

نور الألبان

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

تظهر غرة كل شهر عربي

فهرس

المجلد الاول

مطبعة المآخذ الدينية الإسلامية

١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

فهرس موضوعات المجلد الاول

(١)

الوضوع	بـعلم	صفحة
آداب الجلوس على الطرقات	فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور	٤٢٣
آثار برج بابل	قلم الترجمة	٦٥٧
الاب الشغل وواجبه في التربية	صاحب العزة الأستاذ مدير المجلة	٣٠٧
أثر الاسلام في الحضارة	حضرة الفاضل الاستاذ شحاته محمد الجويني	٦١٠
أثر الثقافة الاسلامية في تطور النهضة الفكرية	» » » صادق ابراهيم مرجون	٧٩١ ، ٧٠٠
الاجتهاد	فضيلة الأستاذ رئيس التحرير	٣٦
الاجسام المنحجرة	قلم الترجمة	٥٥١ ، ٤٧١
أجوبة عن أسئلة شرعية	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي	٣٧٠
أخلاق محمد صلى الله عليه وسلم	٣٨٣
استرشاد الانسان بالملكة النباتية والحيوانية	قلم الترجمة	٣٨٥
استكشاف أئمة جديد	» »	٥٤٦
استكشاف أدوات ذهنية وفضية	» »	٦٨٤
الاستصحاب	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	٢٧٨
استخراج غذاء المرائي من الاخشاب البالية	قلم الترجمة	٦٩٩
الاسلام دين المطهرة	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي	١٨٨ ، ١٢٨ ، ٢٤٤ ٤٢٥ ، ٣٤٤ ، ٢٨٤ ٥٧٦ ، ٥٢١
الاسلام في بلاد الانبوايز	قلم الترجمة	٣٨٠
أسرار البيضة	» »	٤٦٦

الصفحة	بسم	الموضوع
٣٢٣	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	أصول سعادة الامة
٢٠٤	» » » »	الاصول النظرية الشرعية
٧١٥	قلم الترجمة	أغراض النشاط الاقتصادى
٣	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	افتتاحية المجلة
٦١٧	قلم الترجمة	اكتشاف جديد لمسكافة هي الملاويا ...
٦١٣	قلم الترجمة	الامثالية فى التربية النفسية
٨٣	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	الانحراف من الدين . آثاره . دوائه
٤٦٠	قلم الترجمة	انقضاء عصر المنظار
٥٩٧	» »	أنواع اللغات
١٤	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	الايان بالله
٩٧	» » » » »	الايان بالله ومناقشة الطبيعيين

(ب)

٣٥٥	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	البابية أو البهائية
١٠٦	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	البحث
١٣٩	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	بناء الشريعة على حفظ المصالح ودفع المفاسد

(ت)

٥٥٧	تأسيس معهد أسبوط الدينى وخطبة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر
٥٥٦	قلم الترجمة	تأثير أشعة رنجن على الجرائم
٦٣٠	» »	تأثير درجة الحرارة على النباتات
٥٨٣	» »	تأثير المضغ فى الاتضاع بالاعذية
٧٠٩	التاريخ المحجوى
٣٠٧	صاحب العزة الاستاذ مدير المجلة	تجارب وأفكار فيها فضل استقصاء

الصفحة	بسم	الموضوع
٧١٠	قلم الترجمة	التجول وأثره في التربية الوطنية ...
٢٧٥	فضيلة الاستاذ الشيخ محمود عروس	تجربة ونقد
٢٣١	قلم الترجمة	تربية المؤثر في اليابان
٤٧٥	صاحب العزة الاستاذ مدير المجلة	التربية الصامتة
١٤٧٤٦٢	» » » » »	ترجمة الفصل العاشر من السيرة النبوية للسيد أدبينة وسامان ابراهيم الجزايري
٦٣٨	قلم الترجمة	التسميم بماء النعم
٣٢٠	فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور	تصحيح
٦١٨	قلم الترجمة	تعريف الاقتصاد السيامي
٧	فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور	تفسير (ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا) ...
٢٤٩٤١٦٩٤٩٠		
٤٨٩٤٤٠٩٤٣٢٨	» » » » »	تفسير قصة سيدنا شعيب عليه السلام ...
٧٤٤٦٥٠٤٥٦٩		
٧٣٤	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي	التفسير
٤٦٩	قلم الترجمة	تفسير بعض الالتفات العلمية
٢٦٨	فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور	التفقه في الدين وأثره في المسلمين
٣١٥	مفرق الفاضل محمد بنكري ومصلح أبو علي	تقاريف

(ج)

٣٩٩	قلم الترجمة	الجرائم تنكشف حتى لا ترى
٤٣٣	» »	الجرائم وحرائق المزارع
٦٢٧	» »	الجلد صياح لجسم الانسان
٢٩٢	حضرة الاستاذ محمد الحميني رنا افندي	الجن
٢٧٦	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي	الجواب عن إيراد ابن القيم
٤٠٠	حسن منصور » » »	الجواب عن نقد

(ح)

الموضوع	بسم	صفحة
حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر في مسألة معاملة فرنسا للبربر بالمغرب الأقصى	٣٤٢
حديثان كلاهما حكمة بالغة	فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور	٣٣
الحديث المتواتر وحكم ما رواه الامامان البخارى ومسلم	» » رئيس التحرير	٥٤٣
حرية الانسان . تكليمه . القضاء والقدر ...	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٢٩٩
حركة التبشير المسيحية في العالم الاسلامى لقس زويمر	تعريب الاستاذ محمد الحسينى رغا افندى	٧١
الحصول على الصوف بطريقة صناعية	٤٣٣
حكم التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ...	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٥٨٨
حكم شرب الدخان في المساجد	» » » »	٥٩١
حكم شرب الدخان في مجالس القرآن	» » رئيس التحرير	٣٥٣
حكم القراءة للاموات	» » يوسف الدجوى	٥٨٦
الحياة الاقتصادية	قلم الترجمة	٧١٥ ، ٦١٨ ، ٤٦١

(خ)

خلاعة النساء تقودنا الى الهاوية	حضرة الاستاذ على الجندى	٣٧٥
خيالات الفريخ المنسوب الى عيد الله بن سلام	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	٥٤١

(د)

دعوة نصارى العرب الى الدخول فى الاسلام	٦٤٠
دفع شبهة فى حديث	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٥٨٤
الدهاء والاستقامة	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	٦٤٣
الدين ضرورى للامران	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٣٣٢ ، ١٨٠

(ذ)

المرسوع	بسم	صفحة
الذبح اسماعيل لا إسحاق	حضرة الناضل عبد العزيز نصحي	٢٩٨

(ر)

الرؤية عن بعد	قلم الترجمة	٦٢٣
روابط الاخاء	فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور	١٢٢

(ز)

الزكاة	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	١١٦
---------------	-------------------------------------	-----

(س)

سموم الاطعمى ضد الاطعمى السامة	قلم الترجمة	٥٥٠
سوانح ومقتبسات	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٥١٤
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم	٧١٩

(ش)

شباك طيغمية لصيد الاسماك	قلم الترجمة	٤٤١
شرح حديثين شرفين في التربية	فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور	٥٠٦
شرح حديث شريف في التربية	» » » » »	٧٥٦ ، ٦٦٧ ، ٥٩٢
شرح مسألة الاقتداء بالخالف في المذهب	رئيس التحرير	٤٤٨
الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان	» » » » »	٢٠٤ ، ١٣٩ ، ٣٦ ، ٥٣٤ ، ٢٧٨
شركات التأمين على الحياة	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	٦٦٩
الشعور بالتغيرات الجوية	قلم الترجمة	٦٣٨
الشفاعة	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	٧٧١

(ص)

صفحة	بـ	للموضوع
٤٠٣	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	صدق المزينة أو قوة الارادة
١٩٨	» » الشيخ حسن منصور	صلة الرحم وغيرها
٧٨٠	» » رئيس التحرير	سنع الصور واقتناؤها

(ض)

٦١٢	قلم الترجمة	الضوء والعمل
-----	-------------	---------------------

(ط)

٥٤٧	قلم الترجمة	الطيارات وكيف تطير
-----	-------------	---------------------------

(ظ)

٦٧٢	قلم الترجمة	ظاهرة مرئية
-----	-------------	--------------------

(ع)

٦٢٢	قلم الترجمة	العشور على نباتات سامة جديدة
٣٩٠	صاحب العزة الاستاذ مدير المجلة	العدل في معاملة الاطفال
٢١٧، ٧٨	فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الله صيام	علاقة الاخلاق بالعربة الاسلامية والقانون الوضعي
١٦٣	» » رئيس التحرير	العلماء والاصلاح
٦٣٤	قلم الترجمة	العلم يحميننا من سطو اللصوص

(غ)

٤٢٢	قلم الترجمة	غاز مرطب لمنازل المناطق الحارة
٧٦	الاستاذ محمد الحسيني رضا افندي	غرائب الحاصلات
٦٣١	قلم الترجمة	القواصمات وكيف تفوس
٤٨٣	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	الغيرة على الحقائق والمصالح

(ف)

الموضوع	عالم	صفحة
الفرق بين المؤمن وغيره	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي	٢٣٢
فضيلة الصبر	» » » ابراهيم الجبالي	٦٥٨
فقيه الاسلام والشرق مولانا محمد علي	٦٣٩

(ق)

٤٥٦	قلم الترجمة	القمر والحربة في التربية
٤٤٢	فضيلة الاستاذ ورئيس التحرير	قضية البربر بالمغرب الافصى

(ك)

٥٦٣	فضيلة الأستاذ ورئيس التحرير	كبر الهمّة في العلم
٥٩٨	...	كتاب يلحد في آيات الله
٧١٩	...	كتاب الدين الاسلامي
٧٩٠	...	كتاب المبسوط
٧٦٤	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوي	كرامات الاولياء
٦٠	صاحب العزة الأستاذ مدير المجلة	كلمة في أغراض المجلة
٤٣٤	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوي	كلمة تثير محبة الله في القلوب المستعدة
٦٠٧	محمد سليمان السرتي	كلمة موجزة
٧٤	الأستاذ محمد الحسيني رعا افندي	كيف يميز القول الطبعي من الصناعي

(J)

٢٠٣	حضرة الاستاذ الشيخ حسن القاياتي	للأدب والتاريخ
٤٦٥	فلم الترجمة	الاسلكي وكيف يصل الى الاستماع
٧٩١	حضرة الاستاذ الشيخ صادق عرجون	لمحة من التاريخ
٢١١	حضرة الاستاذ علي الجندي	لست بمستشفى ولا مدراس لكنهما معا هاتين

رقم	بسم	للموضوع
٤٦١	قلم الترجمة	النشاط الاقتصادي
٣٣٩	فضيلة الأستاذ الشيخ حسن منصور	النفاق وعلاماته ومضاره
٣١٩	» » » محمد محي الدين	نقد
٤٠٠	حصرة الفاضل محمد كيلاني سالم	نقد
٦٨٥	فضيلة الأستاذ ورئيس التحرير	عوزج من نقد الشعر

(هـ)

٥٤	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	المحررة البوية
٦٤٠	هدية تقيسة

(و)

٤٦٨	قلم الترجمة	الورائة
-----	-------------	----------------

وقع أثناء الطبع بعض أغلاط مطبعية في أجزاء المجلة العشرة نذكرها هنا
ليستدرسها حضرات القراء :

المخطوط الجزء الاول

م	س	خط	صواب	م	س	خط	صواب
١	٢	أدع	أدع	٣٢	٢٨	وعين	وهو عين
١	٢	أحسن	أحسن	٣٢	٢٨	زوها	زودها
٤	٧	الصادرة	الصادرة	٣٤	٤	تجارتهم	تجارتهم
٥	٢٠	السياسة	السياسة	٣٤	٩	ورضيان	ورضيا
٩	١١	المتوكلون	المتوكلون	٣٤	١٧	إدفع	ادفع
١١	٢٧	الحكيم	الحكيم	٣٥	١٤	وعظمة	وعظة
١٢	١٢	المسلمون	للمسلمين	٣٦	٢٠	أتوا	أوتوا
١٢	١٦	التاس	للتاس	٣٩	٥	يرون	يروون
١٣	٢	المسلمون	للمسلمين	٣٩	٢٦	الخلف	الخلفض
١٣	١١	ورسله	ورسوله	٤٤	٢١	العلياء	العليا
١٤	١٠	برزا	برزوا	٤٨	٨	لمله	لعله
١٤	١٥	إنارة	أنارة	٤٨	١٠	واورع	وأدوع
١٨	١	يدل على عدم	يدل على عدم	٤٩	٥	الامبورطية	الامبراطورية
٢١	٩	تأتي معها	تأتي به معها	٥٠	١٨	ويوم غد يفرح المؤمنون	ويوم غد يفرح المؤمنون
٢١	٢٤	يكون اذا	يكون الحلال اذا	٥٢	١٦	رُميت	رُميت
٢٢	٨	بأوردة	بالأوردة	٥٣	١٢	ومن عده أم نكتاب	ومن عده علم الكتاب
٢٥	١٦	به	بها	٥٣	٢٢	ينهما	ينها
٢٧	٢٧	مبثوة	مبثوة	٥٥	٤	معرفون	معروفون

ص	س	خطا	صواب	الجزء الثاني
٥٦	١٨	للمسلمون	للمسلمين	صواب
٥٦	٢٦	محمد	محمدًا	خطا
٥٧	٨	معكم	منكم	وقوم
٥٨	١٦	عاصمة	عاصمه	له بالدين
٥٨	٢١	أغلاب	الغلاب	زكاة
٦٥	٣	العادية مآذن	العادية الى مآذن	إن ربى يمانيلون محيط
٦٥	١٢	بالاماني	الاماني	سوف تعلمون
٦٥	١٣	الموضوعة	للموضوعة	جوستافيون
٦٦	٢٣	اختبار	أخبار	اشعاعا
٦٧	٧	ورق	رق	تربوا
٦٧	١٥	منها	فيها	الأكثر ذرات
٦٩	٤	أنه	ان	نظرياتهم
٦٩	٩	تيرنجير	بيرنجير	ان تم
٦٩	١٤	الى العرب مائدين	ما تسمى الى العرب	من أجهل لجل
٧٠	٤	ذروة	الى ذروة	آباءنا
٧٢	٧	بأن	أن	ويرسم
٧٣	٢٠	أتينا	أتينا	التفصى
٧٣	٢١	شكر	يشكر	للهي
٧٦	٢٣	كل	كلا	وقفهم
٧٨	٤	العلاقات	من العلاقات	إذا
٨٠	٢	الدين والمقل	الدين والنفس والمقل	المعنيان
٨٠	٢٣	والقصاص	قصاص	مشبوة
				ولكن سياق
				ولكن لما كان سياق

ص	س	خطا	صواب	ص	س	خطا	صواب
١٣٥	٥	العلم كله على ما فيه	العلم كله على قدره واحد على ما فيه	٣٤٧	١٢	الشقاء	الشقاء
١٣٨	١٨	روح	روح	٣٤٧	١٨	أبيض أبيض	أبيض أبيض
١٤٣	١٢	إد لو نسير عما كان عليه الوحي	إد لو نسير عما كان عليه ريس الوحي	٣٤٧	٢٣	تغدى	تغدى
		الجزء الثالث					
١٧٣	ماستر	سهدا أن هذا	سهدا نعلم أن هذا	٣٤٩	٢	البر بالانفاق	الانفاق
١٧٣	د	في نعلم المكياال	في المكياال	٣٤٩	١٨	حينما	بينما
١٧٧	٧	لهم ما يشاؤون	لهم ما يشاؤون بها	٣٥٠	١٠	الشيء	الشر
١٨٨	٢	القيم	القيم	٣٥١	٤	فلو اشترطنا	فلو تمكنا
١٨٩	٥	قائده	قائده	٣٥١	١١	القرض	الفراض
١٩٤	١٠	والستعبد	والستعبد	٣٥١	١٦	الكاملين	للتكاملين
		الجزء الرابع					
٢٥٢	٢١	وهدى ورجة تقوم بؤسنون	وهدى ورجة وهدى للسنين	٣٥١	١٧	فقلى	فقل لى
٢٩٣	٧	نفر	نفر	٣٥٢	١	رهبى	رب
		الجزء الخامس					
٣٣٣	١٦	نمحيها	نمحيها	٣٥٢	١	نهدى	مورتهدى
٣٤٤	٢٠	سن الآخر إلى	من الآخر أظير			الجزء السادس	
٣٤٦	١٠	تطلع	قد تطلع	٤٠٦	٧	يخفف	يخفف
٣٤٦	١٣	إذا	إلا إذا	٤٠٦	٨	وتدير	وتدير
٣٤٦	٢٣	يصح	يحتاج	٤٣٥	٨	وما يتع الله للناس	ما يفتح الله للناس
				٤٣٧	١٨	نمت	نمة
				٤٣٧	٢٠	تستطيع	تطيع
				٤٣٧	٢١	وأن نعالى	وأه نعالى
				٤٥٧	١٨	تلف	تلفا

الجزء السابع				الجزء الثامن			
ص	س	خطا	صواب	ص	س	خطا	صواب
١٢	٤٣٥	ومن يهد الله	و (من يهد الله	٦	٥٩٨	وليس مثل الذي عطين	وليس مثل الذي عطين
١٣	٤٩٧	وقالوا لولا أنزل عليه	وقالوا لولا أنزل عليه	١٤	٦٠٠	بقت	بقت
٢	٥٠١	وقال الذي عنده علم	قال الذي عنده علم	٢٤	٦٠١	لمنع	لمنع
٨	٥٠٢	وقالوا لولا أنزل عليه	وقالوا لولا أنزل عليه	١٠	٦٠٢	وصية من الله وأمره عليه	وصية من الله وأمره عليه
٢٠	٥٠٨	قل يا أيها الناس	يا أيها الناس	الجزء التاسع			
١١	٥٠٩	و الله الأسر من قل	و الله الأسر من قل	١٢	٧٤٩	الأمراء أشد كفراً	الأمراء أشد كفراً
٢	٥٢٤	قالوا بل وجدنا	قوا بل وجدنا	١٦	٧٥١	يساناً	يساناً
الجزء العاشر				الجزء الحادي عشر			
٢	٧٢٥	خمس سنوات	أربع سنوات	١٦	٧٤١	تقرأ فقرأ	تقرأ فقرأ
٢٠	٧٣١	لم يراقى في الناس	لم يراقى في الناس	٤	٧٤٢	فقال لو	فقال لو
٩	٧٣٩	ولم يرد إلى صيد	ولم يرد إلى صيد	الجزء الثاني عشر			
١٦	٧٤١	إن خير خير وإن	إن خير خير وإن	الجزء الثالث عشر			
١٢	٧٤٩	الأمراء أشد كفراً	الأمراء أشد كفراً	الجزء الرابع عشر			
١٦	٧٥١	يساناً	يساناً	الجزء الخامس عشر			

ووقع أيضاً خطأ مطبعي في رقم الجزء السادس والصواب في يندى ٤٠١ حيث يقتضيه

الجزء السابع ٤٨١

كما وقع خطأ في رقم المزمعين الأولين من الجزء الثاني والثامن

(مطبعة المعاهد الدينية الإسلامية ١٠٠٠ / ٥ / ١٩٣١)



المرجو من القارى الكريم تصحيح الكلمات الاتية

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١	٢	أدع	ادع	٤٨	٨	لعله	لعله
١	٢	أحسن	أحسن	٤٨	١٠	واورع	وأروع
٤	٧	الصادرة	الصادرة	٤٩	٥	الامورطية	الامبراطورية
٥	٣٠	السياسة	السياسة	٥٢	١٦	رُميت	رُميت
٩	١١	المتوكذون	المتوكذون	٥٣	٢٢	يبهما	يبها
١١	٢٧	الحكيم	الحكيم	٥٥	٤	معرغون	معرغون
١٢	١٢	المسلون	المسلون	٥٦	١٨	المسلون	المسلين
١٢	١٦	الناس	الناس	٥٦	٣٦	محمد	محمد
١٣	٢	المسلون	المسلين	٥٧	٨	ممك	ممك
١٣	١١	ورسله	ورسوله	٥٨	١٦	عاصمة	عاصمه
١٤	١٠	رزا	رروا	٥٨	٢١	الثلاث	الثلاث
١٤	١٥	إثارة	أثارة	٦٥	٣	العادية مآث	العادية الى مآذن
١٨	١	يدل على عدم	يدل على عدم	٦٥	١٢	بالاماني	لالاماني
٢١	٩	تأتى معها	تأتى به معها	٦٥	١٣	الموصوعة	الموصوة
٢١	٢٤	يكون اذا	يكون الحال اذا	٦٦	٢٣	اختبار	أخبار
٢٢	٨	بأوردة	بالأوردة	٦٧	٧	ورق	رق
٢٥	١٦	به	بها	٦٧	١٥	منها	فيها
٢٧	٢٧	مشبوة	مشبوة	٦٩	٤	أنه	أن
٢٢	٢٨	وعين	وهو عين	٦٩	٩	تير نجير	بير نجير
٢٢	٢٨	تروها	ترودها	٦٩	١٤	الى العرب ما نعين	ما نعين به الى العرب
٢٤	٤	تجارتهم	تجارتهم	٧٠	٤	ذروة	الى ذروة
٢٤	٦	ويرضيا	ويرضيا	٧٢	٧	بأن	أن
٢٤	١٧	إدفع	ادفع	٧٣	٢٠	أنينا	آئينا
٢٥	١٤	وعطمة	وعطمة	٧٣	٢١	شكر	يشكر
٣٦	٢٠	أتوا	أوتوا	٧٦	٢٣	كل	كلا
٣٩	٥	يروون	يروون	٧٨	٤	العلاقات	من العلاقات
٣٩	٢٦	الحفظ	الحفظ	٨٠	٢	الدين والعقل	الدين والعقل والمقل
٤٤	٢١	العليا	العليا	٨٠	٢٣	والقصاص	قصاص

قَدْ جَاءَ كُتُبُ الْقُرْآنِ وَكَانَتْ مِنْ كُتُبِ الْقُرْآنِ وَكَانَتْ مِنْ كُتُبِ الْقُرْآنِ وَكَانَتْ مِنْ كُتُبِ الْقُرْآنِ
وَمِنْ كُتُبِ الْقُرْآنِ وَكَانَتْ مِنْ كُتُبِ الْقُرْآنِ وَكَانَتْ مِنْ كُتُبِ الْقُرْآنِ

بُحْثُ الْأَسَاسِ



مجلة دينية علمية اخلاقية تاريخية فلكية
تُصدرها جامعة القاهرة
أول كل شهر عربي

١٢
٢٢٢٢٢٢
١٢

مدير ادارة المجلة : **الشيخ محمد عبد الحليم** من أعضاء مجلس الازهر الاعلى
رئيس التحرير : **السيد محمد الحضر حنين** من علماء الازهر

مكتب المجلة بالأدارة العامة للمعاهد الدينية بشارع ميمى رقم ١٩

• تليفون : ٣٥٠٧ •

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

داخل القطر المصرى	٤٠	} قيمة الاشتراك السنوى
لطلبة المعاهد والمدارس	٢٠	
خارج القطر المصرى	٥٠	

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(أَدْخُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ يَاتِي هِيَ أَحْسَنُ)
(مائدة كريمة)

الحمد لله الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور ، وأزل القرآن حكمة بالغة وشفاء لما في الصدور ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، المؤيد بآيات تنفي عن النفوس قذى الريب والجحود وتعلوها بقرارة اليقين ، وعلى آله الذين اقتدوا به فأقاموا صروح التقوى على أثبت أساس ، وصحائفه الذين دعوا الى سبيل الحق بالحجة فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، ورحم الله من بد الأهواء والأوهام ، وقال :
ربي الله ثم استقام

أما بعد فالاسلام هداية خالصة ، ومطلع حياة زاهرة ، ما زل بأرض إلا خرجت من جهالة إلى علم ، ومن غواية إلى رشد ، ومن حمول الى نباهة قدر ، ومن هوان إلى عزة جانب ، وإذا شهد التاريخ على جماعة من المسلمين بجهالة أو خلاعة أو بطالة أو احتمال مهانة ، فما ذاك إلا أنهم لم يكونوا من تعاليم الاسلام على بينة ، أو لأن أفئدتهم في غطاء من الشهوات فلم يكن لهم في العمل على هذه التعاليم من نصيب وما زال الاسلام على جلاء حقائقه وروعة حكيمته يبتلى بطوائف يصدون عن سبيله في لون من المناجاة والرياء ، وآخرين ينصبونه المداوة في جهل وغرور ، وكان أهل العلم فيما سلف على يقظة مما يعمل هؤلاء وهؤلاء ، فيقعدون لهم كل مرصد ، ويزبحون شبههم ، ويرفعون الغطاء عن سرارهم وما تكن أقوالهم ، فيذهب باطلهم زاهقاً وتبقى كلمة الحق هي العليا

ولم يكن للجاهلين على الاسلام قبل اليوم طريق يهاجموه منه غير حديث يتاجى به الرجل بعض النفوس التي يجدها على شعا حفرة من الغواية ، أو تأليف بعض الكتب كما فعل ابن الراوندي وفريق من الباطنية ، وكان أهل العلم يأخذون في دفاعهم هذه الطريقة نفسها ، فيؤلفون الرسائل والكتب ويقطعون بها جبل إغوائهم ، ويحفظون الأمة من عدوى أمراضهم

أما اليوم فقد تهايت الخوصوم الدين الخفيف طرق أخرى ينفذون منها الى ما ينتفون من إشاعة قول باطل ، أو تزييس عمل خاسر ، ومن أشد هذه الطرق خطراً الكتابة في المجلات السيارة ، فقد يسبق الى بعض قرائها أنها لا تنطق برأى إلا أن يكون موزوناً ، ولا تدعو الى عمل إلا أن يكون مرضياً

أجل في المجلات خير كثير ، وفيها مع هذا الخير صحف لا تتحرى مواطن النصيحة فيكون لبعض ما تنشره أثر في افساد القلوب غير يسير

وإذا كانت المؤلفات الصادرة عن الصراط السوى فيما سلف انما تقع في أيدي أفراد من الناس غير كثير ، فقد تهاها اليوم بوسيلة المطابع أن تنزل في كل واد ، وتهدف بوساوسها في كل ناد ، فأصبح لهذه المؤلفات من الأثر ، أكثر مما كان لها يوم كانت تحط بالقلم ويقرأها نعر قليل في معزل من الناس

ولما كان الأزهر الشريف هو المعهد الذي حمل لواء العلوم الاسلامية أحقاباً ، وهض بها في نشاط وقوة حتى صار اليبوع الذي تستمد منه سائر الأقطار علماً ورشداً ، وجب أن يكون نصيبه في الإرشاد والتدود عن حى الشريعة فوق كل نصيب ، لتحقيق بالأزهر ان يكون له في الدعاء الى الخير صوت ينفذ الى جوابب الأرض يمينا ويساراً ، وحقيق به أن يأخذ في النداء الى الحق بأبعد الوسائل مدى وأبلغها في النفوس أثراً .

وهذا ما جعل الناس يتشوفون الى أن يروا مشيخة الأزهر ممتنية باصدار صحفية تقرر حقائق الدين على وجهها الصحيح ، وتدعو الى الفلاح بالنى هي أرق وأدعى الى القبول أحسن الناس شدة الحاجة الى هذه الصحيفة ووثقوا بأن سيكون لها في انارة السيل والذب عن حوزة الدين موقف خطير ، وهذا الاحساس الشريف هو الذي بعث حصرة صاحب العزة عبد العزيز محمد بك مدير هذه المجلة أن اقترح على المجلس الأعلى للمعاهد الدينية في جلسته المنعقدة في ٣ جمادى الثانية سنة ١٣٤٥ الموافق ٨ ديسمبر سنة ١٩٢٦ أن يدرج في مبرانية المعاهد مبلغاً يقوم بإنشاء مجلة اسلامية ، فعهد اليه المجلس بوضع تقرير في مشروع هذه المجلة على أن يعرضه عليه في جلسته المقبلة ، وفي ٨ محرم سنة ١٣٤٦ — الموافق ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٧ عرض حضرته هذا التقرير على المجلس فكان من المجلس أن قرر تأليف لجنة من حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة : المدير العام للمعاهد الدينية المرحوم الشيخ احمد هارون ، وشيخ معهد الاسكندرية

لذلك المعهد الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام وكيل الجامع الأزهر ، وشيخ معهد ططا
المرحوم الشيخ عبد الغنى محمود ، وعهد اليها ببحث ما احتواه التقرير من الاقتراحات
فقطرت اللجنة في التقرير وقدمت نتيجة بحثها الى المجلس ، وحينما أخذ ينظر في ميراثية
سنة ١٩٢٩ ادرج فيها مبلغا للاتفاق على هذه المجلة ، اذ وثق بأها عمل صالح وفاقحة
نهضة مباركة

ولما أسندت مشيخة الأزهر الى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكرم الشيخ
محمد الأحمد الطواهرى كان من أول ما توجهت اليه عاينته مشروع هذه المجلة ،
فأخذ يدره بمجد وحكمة حتى لانت صغابه ، ونهيات بتأييد الله أسابه

وفضل هذا المشروع الاسلامى الجليل عائد فى الحقيقة الى حضرة صاحب الجلالة
مولانا ملك مصر المعظم احمد فؤاد الأول حرسه الله ، فان جلالة سار على سنن
أسلافه الأماجد ، فأقل يرفع صروح العلم ويحوط العلماء بالرعاية حتى مال الأزهر
الشريف وعلاقوه من هذه الرعاية أوفر نصيب

فأقال جلالة على هذا المعهد الاسلامى بعناية ضافية قد وطد فى هوس رجال العلم
الأمل فى أن تكون دعوتهم الى سبيل الخير ناجحة ، وجعل الأزهر بمكان القادر
على أن يصرح كل ضلالة وينهض بكل صالحه

خرجت هذه المجلة وهى تحمى سريرة طيبة ، لا تنوى أن تهاجم ديننا بالظن ،
ولا أن تعرض لرجال الأديان بمكروه من القول ، اذ لايمزج عنها ما يحدث عن
مثل هذا القصد من الفتن وبواعث التفرقة بين سكان الوطن الواحد وهم فى حاجة الى
السكينة والتعاون على المصالح فردية كانت أو اجتماعية

خرجت هذه المجلة بعد أن رسمت لنفسها خطة لاتمس السياسة فى شأن ، وقصارى
مجهودها أن تعمل على نشر آداب الاسلام واطهار حقائقه نقيه من كل لس ، وتكشف
عما ألصق بالدين من بدع ومحدثات ، وتنبه على ما درس فى السنة من أحاديث موضوعه
وتدفع الشبه التى يحوم بها مرضى القلوب على أصل من أصول الشريعة ، وتنبى بعد
هذا بسير العظماء من رجال الاسلام ، وإن فى سيرهم لتذكيرة لقوم يقهون ، ويضاف
الى هذا ما تدعو فائدته الى نشره من المباحث القيمة عليه كانت أو ادبية ، وسترى
هذه المقاصد ان شاء الله مودعة فى الأبواب المصلة على ما يأتى .

التفسير ، السنة ، السيرة النبوية ، أصول الدين ، دفع الشبه ، أصول الفقه ، الفتاوى والاحكام ، العلوم والآداب ، آراء الباحثين ، التاريخ ، السير والتراجم ، أنباء العالم الاسلامي ، الطرف والملح

تتناول المجلة من مباحث هذه العلوم والفنون ما يدعو الحال الى نشره ، ولا تحكى رأيا خارجا عن نهج الصواب الا أن تقرنه بما يكشف عن كنهه ، وتستحري بتوفيق الله تعالى الطريقة التي تتجلى بها سماحة الدين في بها طلعنا وصفاء ديباجتها ، وتراعى في تحريرها الأساليب التي تألما أذواق القراء ، ويحتلون فيها صور المعاني ماثلة أمامهم لا لئس فيها ولا التواء

تناقض المجلة الأشخاص أو الجماعات الذين يقولون في الدين غير الحق ، مقتدية في مناقشتها بأدب قوله تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) وإذا كان هذا أدها مع قوم هم عن الحق غافلون ، فأحرى بها أن تأخذ به في مناقشة آراء العلماء إذا رأت في بعضها انحرفا عما تقتضيه نصوص الشريعة أو أصولها الثابتة الواضحة ، نذكر هذا ليلاحظه الذين يرغبون في مراسلة المجلة ببعض منشاتهم الموافقة لمهجها

ومن أجل أن يكون جهاد هذه المجلة متصلا بالحركة الفكرية في البلاد الاوربية أنشئ في ادارة المجلة قسم لترجمة ما يجي في الصحف الأجنبية من مباحث عليية او مقالات يتحدث فيها عن الاسلام ، غير اننا لا نضع أمام القراء مقالة في الاسلام صدرت من غير منصب الا أن نصلها بما يستين به خطأ كاتبها ناقلًا كان او مدعيا هذا غرض المجلة وهو بلا ريب غرض نبيل ، وهذه خطتها وهي كما عرفت خطة من يمشى على سواء السبيل ، وما توفيقا إلا بالله وهو حسنا ونعم الوكيل ؟

محمد الحضر مكي



التفسير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
قال الله تعالى . وهو أصدق القائلين . حكاية عن سيدنا ابراهيم . عليه الصلاة والسلام
والمؤمنين به . رضى الله عنهم

(رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا (١) وَإِلَيْكَ أُنِيبُ (٢) وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)

هذه الآية الكريمة . هي الآية الرابعة . من السورة الستين . سورة الممتحنة .
قد أرشدنا الله جل ثناؤه . قبل هذه الآية . إلى أن لنا أسوة حسنة . وقدوة محمودة .
في سيدنا ابراهيم عليه السلام . وكذلك في قومه الذين آمنوا به . واتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
أُنْزِلَ مَعَهُ — فجعلهم جميعاً إماماً متبعاً . نستن بهم . ونهتدى بهديهم . ونستقيم على طريقتهم .
لننصر دين الله الذي شرعه لنا . حتى ينجز لنا ما وعدتنا من استخلافه لنا في الارض .
كما استخلف الذين من قبلنا . وحتى يمكن لنا ديننا الذي ارتضاه لنا . فضلاً منه سبحانه ونعمة
أرشدنا أولاً الى هذا . ثم بين لنا في هذه الآية . دعاءهم له سبحانه وضراعتهم
ولجأهم إليه . وأنه هو وحده الذي عليه يعتمدون . وإليه دون سواء يعوضون ما استعصى
عليهم . ويستمنون المعونة فيما عجزت عنه قُدرهم . وأنه سبحانه مولاهم الذي ينيون اليه .
يرجون رحمته . ويخافون عذابه . وأبهم اليه وحده راجعون .

نادى سيدنا ابراهيم وقومه بهم . جل وعلا . وناجوه بأبهم عليه توكلوا . وإليه
فوضوا أمورهم . فوجب علينا ادن . (وقد أمرنا بالتأسي بهم . والاستئذان بستهم)
أن رجع الى ما قصه الله تعالى علينا في كتابه من تصصهم . وبينه من أخبارهم وأحوالهم .
ومحاجتهم لقومهم .

إنا رجعنا إلى ذلك . علنا أنه عليه السلام . وكذلك قومه المؤمنون به . الذين استقاموا على سنته واتبعوا هديه . قد بدلوا في سبيل الله وتبليغ دينه ونصرته . ما استطاعوا من قوة فبينوا لقومهم وحى الله تعالى . وشرحوا لهم دينه القويم . ووعظوم ونصحوم . وأيقظوا من نفوسهم اليه . ووحهوا من عقولهم نحوه . مشتين لهم صدقه بالدليل الصادق الصانع . منيرين لهم طريق الوصول اليه بالبرهان النير الساطع . حتى لم تنق لتحيير شبهة . ولا لمكار مفند . ولا لمادى وهم أو خيال . هذا الى عدم مبالاتهم . بما توعد به أعداؤهم من الرجم والقتل والتحريق . لا يبتعون بذلك إلا امثال أمر الله . ونصرة الحق على الباطل . ورضا الله تعالى عنهم في الدنيا والآخرة .

رجعنا إلى قصصهم في القرآن العظيم . فتبين لنا ما ذكرناه لك . وعرفنا أنهم بدلوا ما استطاعوا . وسحوا بما وصلت اليه قُدرهم . ثم انهم بعد ذلك . لجأوا إلى الله القادر الكريم . واستعانوه أن يتولى أمورهم . وأنابوه سبحانه عنهم فيما عجزوا عنه . لأنه وحده القادر عليه . المتفضل به . وهذا هو ما حكاه سبحانه عنهم . من قولهم : (ربنا عليك توكلنا) من هذا كله يتبين لنا نحن المسلمين أن التوكل الذي أمرنا به ربنا جل وعلا . ليس كما زماننا به غيرنا . وقلدنم فيه الجهلة من المسلمين . فرغموا أن التوكل الذى جاء به الاسلام . هو السبب الذى أدى الى تهاون المسلمين . وكسلهم وتمرطهم . وتأقلمهم الى الارض . وميلهم الى الدعة والراحة . وكراهيتهم لتحمل المتاعب والمشاق . في مزاولة الاعمال والتقلب في السلاسل . والصرب في الارض بالاسفار برا وبحرا . الى غير ذلك مما تقوم عليه المصالح . وتستقيم به الحياة .

زعموا هذا وقلدنم فيه المقلدون . فكأنوا في حكمهم هذا على الاسلام وأهله من القاسطين الظالمين .

ولو أصفوا لسلخوا للحق سبيله . فتمروا حقيقة التوكل الذى أوجبه الله تعالى على عباده في دين الاسلام — وإذ ذاك تتضح لهم حقيقة . ظاهرة جليلة . قد أوجبها العقول الانسانية السليمة المنصفة . كما أوجبها دين الاسلام الخفيف .

ذلك أن التوكل الذى فرضه الله جل جلالته قدرته ، هو كما قدمناه لك في دعاء سيدنا ابراهيم وقومه أن يعتمد العبد على ربه القادر على كل شئ . ويكتفى به سبحانه في تولى شؤونه التى تعاضت عليه وسائلها . ويفوض اليه أموره التى قصرت قدرته دون أسبابها . ولكن بعد أن يكون قد استند جميع ما عنده من قوة وأمرغ جهده فيما قدر

عليه من تفكير وتدبير ، وأتى على جميع ما اهتدى اليه من الاساب . وزاول ما أمكنه من الوسائل التي وفقه الله تعالى لها

فإذا ما نفذت الوسائل التي يمكن أن تتناولها قدرته الانسانية . وبقي الشطر الثاني وهي الوسائل التي تفردت بها القدرة العظمى الالهية التي لا يعجزها مقدور . لم يكن هناك مفر من أن يلجأ ذلك العبد العاجز إلى الله القادر . مستعيناً به على ما عجزت عنه قدرته متوكلاً عليه فيها وقفت عنده استطاعته . عسى أن ينم عليه نعمته . ويحقق له طلبته فيسهل له ما تعسر عليه أو تعذر .

قلنا إن توكل العباد على ربهم فيها مجبروا عنه حكم قضى به سبحانه فيما شرعه في الدين الاسلامي . بل انه كذلك في كل دين سبقه — فمن ذلك ما حتم به سيدنا يعقوب عليه السلام وصيته لأولاده . إذ يقول : (وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ . إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) .

وقول سيدنا موسى عليه السلام لقومه . شئت من قلوبهم . ويهون عليهم من أذى فرعون وقومه (يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ) حكم الله سبحانه بذلك في كل دين شرعه . ثم حكم به كذلك العقول السليمة والفطر الزكية . فكان أمراً لازماً . لا مندوحة منه ولا مفر

على هذا تجرت سنة الله العليم الحكيم . أنه لا يشرع لعباده إلا ما يكون فيه صلاحهم وخيرهم . وتعقله العقول الراجحة . وتنقله العوس الكاملة المتدبرة من هنا يتضح لك أن العقل الصحيح والدين أحوان شقيقان . بينهما كمال الاتصال وتتام الاتفاق . لا تنفرك سلبها . ولا تنافرا نتائجهما وثمراتهما

قالوا : إن الدين والعقل عدوان . ونقيضان لا يجتمعان — قلنا : صدقتم إذا أردتم ديناً ما أرل الله به من سلطان . أو عقلاً علم علماً ناقصاً . لم يؤت الناس منه إلا قليلاً . فعملوا منه شيئاً . وغاب عنهم منه أشياء

أما الدين السماوي الالهي . والعقل الكامل السليم . فانهما الشقيقان اللذان جعلهما الله تعالى . الأساس المتين لمعاداة النوع الانساني . في الدنيا والآخرة

لا تعجب من قول الدين جهلوا الاسلام . (إن التوكل هو السبب في انحطاط المسلمين وجعلهم في أخريات الامم) — بل اعجب كل العجب من فعلهم . فانك تراهم يرمون ما ينقضون . ويفعلون ما لا يقولون

ترى التاجر منهم مثلا . يرسل تجارتها بحرا من قطر الى قطر . بعد أن يأخذ العدة لحفظها . ويتم كل الوسائل لسلامتها وصيانتها . ولكنك لو اطلعت على ما في نفسه . لوجدتها وجلة تخشى أن تصيب تجارتها حادثة أو كارثة . من حرق أو غرق أو ضياع أو غير ذلك مما لا قبل لها به — ولوجدتها أيضا متوجهة مستجدة بقدرة عظمى لا تحيط هي بحقيقتها . ولا تدرى كنهها ، تستزل منها الحفظ والصيانة لتجارتها . وتسألها كل وسائل السلامة التي عجزت هي عنها .

ليس الأمر في الواقع كذلك أيها العقلاء المنصفون ؟ بل
إذن (فانقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا)

وانفقوا من مواهب عقولكم ومدارككم في تفهم الاحكام وما شرعه الله العليم الحكيم . لسعادة عاده واستقامة دينهم وديانهم . (وانقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم)

ارشد الله عز وجل ان تناسى سيدنا ابراهيم عليه السلام . وبالمؤمنين به . وان نأتمهم فيما كانوا عليه . وبين لنا انهم توكلوا عليه فيما عجزوا عن ادراكه . بعد ان سلكوا من سبل صلاح احوالهم ما استطاعوا

فهل نحن المسلمون الآن . قد اتمرنا بهذا الأمر . ونأسينا بهذه الأسوة الحسنة . أم هل بدأنا أمر الله طهرنا . واستقلنا أحض الأعمال . وعاديننا الأسباب حتى حرمتنا من المسببات . وفرضنا في الوسائل المقدور عليها حتى جهلناها . وصرنا كمن قال الله تعالى فيهم (وإن يروا سبيل الرشدا لا يتحدوه سيلا . وإن يروا سبيل الفنى يتحدوه سيلا) حقا لقد كما من هذا العريق الاحير . الذي قال الله تعالى فيه ما قال . (وَمَنْ صَدَّقْ مِنْهُ اللَّهُ قَبْلًا)

ليت العاقبة السوءى لأعمالنا وإهمالنا . كانت مقصورة علينا نحن لم نتناول ديننا الحنيف — لكنها النعمة لا تختص بالجاني . بل عادت بالسمة السيئة على الاسلام الذي هو الدين عند الله . وهو الذي امتن الله العليم الحكيم به علينا في قوله : (اليوم اكملت لكم دينكم . وأتممت عليكم نعمتى . ورضيت لكم الاسلام دينا) تناوأنه حتى غابه غيرنا وطمعوا فيه . واتهموه باقبح القبايح وأفحش المثالب زعما منهم أن ما رأوه في بعض من ينسب الى الاسلام من الصفات الذميمة . والكسل والخول والخمود . إنما هو نتيجة من نتائج الاسلام . وأثر من آثار تعاليمه .

لكر . ألم يكن الحدير بهم . أن يجتهدوا في الوقوف على حقيقة الدين الاسلامي . حتى يتبين لهم الرشد من الغي . ويعلموا أن الاسلام ربي بما أنتم به من جهلوه وأن المستحق للدم والتعيب إنما هم الذين فرطوا فيه . وخالفوا بواحيه . حتى شوهوا محاسنه واضاعوه . ولكن (لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً)

واجتنباً ! قالوا إن عندهم محاكم العدل . لأنها لا تحكم في الاقضية إلا بعد التحيص والتحقيق والوصول الى خفاياها واسرارها . وربما طال عليها الأمد سيرا . حتى يسأم القضاة والمتقاضون .

قلنا: نعم ما أنتم عليه . حتى يتميز الخبيث من الطيب . والحق من الباطل — ولكن ألم يكن حكمكم على الاسلام هو الاول والأحق بهذه العاية وذلك التحري حتى لا يكون الحكم عليه حكم الجهالة طناً وعدواناً ؟

ألم تعلموا أن هذا الدين الذي حكمتم عليه حكمكم هذا قد حذر المؤمنين به أن يحكموا مثل هذا الحكم الجائر . إذ يقول الله تعالى في قرآنه . (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ بَادِئِينَ) هذا ثم أردف عليه السلام . هو والذين آمنوا معه دعاءهم الاول بدعاه ثان فقالوا : (واليك أُنَبِّئُكَ) .

أظهروا عجزهم أولاً وشكوا ضعفهم عن نيل مرادهم من نصرة الحق ونشره . إلا بتيسير الله القوى المتين . ومزيد توفيقه وتأيدته لهم . ثم توسلوا اليه سبحانه . بأهم أنابوا اليه . ورجعوا إلى عفوه ورحمته . وعادوا إلى واسع فضله وإحسانه . عسى أن يمدّهم بروح منه . وهو القريب المجيب . فيزدادوا قوة على قوتهم . ويتضاعف عددهم . ويضعف عدوهم . ويعلموا الحق وانصاره . ويسفل الباطل واشياعه

لقد سار سيدنا ابراهيم عليه السلام . هو واتباعه . هذه السيرة المرضية . وهي إياتهم الى الله القادر على نصرهم . واتبعوا فيها القانون الالهي العقلي . وهو تقرب المحتاج الى القادر المتفصل . بما يكون به راضياً عنه . مرجو الاجابة — وذلك انما يكون بالتوبة بما قد يكون هفوة من أمثاله . مع صدق العزيمة وخلوص النية . والاسف واليقظة والحذر من الوقوع في مثل ذلك مرة ثانية . كل ذلك انتصاراً للحق . وإتغاء رضا الله تعالى وحسن مثوته .

هذا هو القانون العدل الذي لا يضل العقل غيره . ولهذا قضى الله الحكيم . (والله يَقْضِي بِالْحَقِّ)

قد عرفت أن الله سبحانه قص علينا في هذه الآية ما حصل من سيدنا إبراهيم عليه السلام ومن أتباعه المؤمنين . وأمرنا أن نأتم بهم ونأسي . وقد عرفت تفصيل ذلك كله فيما قدمناه لك .

عرفت أنهم فعلوا ما استطاعوا . وبذلوا ما قدروا عليه . ثم دعوا الله عز وجل أن يكون وكيلاً عنهم فيما عجزوا عنه — ثم توسلوا بعد ذلك بالتوبة الصوح . والالانة الخالصة . إلى الله تعالى . استزادة للقرب من عموه وفضله . واستجلاباً للزيد من رصاه ورحمته . (إن رحمة الله قريبٌ من المحسنين .)

سمع الله القريب المجيب دعاءهم . وحقق رجاءهم . وقواهم بعد ضعف . ونصرهم على أعدائهم . ونجاهم من كيدهم . وبارك على رسوله سيدنا إبراهيم عليه السلام . وجعل في دريته النبوة والكتاب وآتاه أجره في الدنيا . وجعل له لسان صدق في الآخرين . وإنه في الآخرة لمن الصالحين .

إن المسلمون الآن . في مشارق الأرض ومغاربها . لا يحق سوا أحوالهم على أحد فقد صار دينهم في دياره صائعا محاربا فيما بينهم . لا معين له ولا ناصر . ولا حافظ له ولا حارس . ولا مدافع عنه ولا مناضل

على أن المصيبة فيه لم تنف عند هذا الحد . بل صار الذم فيه والظمن في محاسنه والاستهزاء به والزراية عليه — بل الحاد فيه وتحويل الناس عنه . في كتابة الكتاب . وخطب الخطباء . في المحافل والجمامع على رؤس الأشهاد . صار كل ذلك منتشرا فاشيا . يكاد لا يجد منكرا ولا رادعا — وتراه كل آن في ازدياد . ولا يدري إلا الله ماذا يكون المآل (والله عاقبة الأمور)

كما صار المسلمون في هذه الحال السيئة في دينهم . كذلك صاروا في مثلها في دنياهم فصاروا في عبودية بعد سيادة . وورق بعد حرية . وتقيد بعد اطلاق . وجهل بعد علم . وضعف بعد قوة . وفقير بعد غنى ودل بعد عز . وصيق بعد سعة . وسوء بعد حسن

إلى ذلك صاروا وهم به يعلمون . ومنه يألمون — وتراهم مع ذلك يسمعون قول الله تعالى . (وما أصابكم من مصيبة فمما كسبت أيديكم) وقوله : (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) وقوله (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى (١) دون العذاب الأكبر (٢) لعلهم يرجعون)

(١) أي الآثاب . وهو عذاب الله (٢) هو عذاب الآخرة . وضمنه بعد زمن عذاب الدنيا .

ولكنهم لا يرجعون. بل اهتم على ما هم فيه عاكفون. ومنه مستكثرون مستريدون
ماذا على المسلوب. هدام الله ووقفهم. لو استيقظوا من سُباتهم وأفاقوا من
غمرتهم. وأصلحوا من شأنهم ورأوا من صدعهم. واستشفوا من أمراضهم ؟
لا ريب أنهم يعودون في عزة وصلاح في دينهم وديارهم كما كان أسلافهم الصالحون
من قبلهم - وما ذلك على الله بعزيز - اذا استقوا سبتهم. واستقاموا على طريقهم.
ولعلمهم يفعلون.

ذلك بأن الله تعالى. قص علينا قصص سيدنا ابراهيم عليه السلام والذين آمنوا به
ثم أرشدنا الى الاقتداء بهم فيما فعلوا. فكان ذلك منه سبحانه بياناً وتعلية لنا كيف
ندأوى ادواءنا. ونعالج أمراضنا. ونصلح ديننا ودنيانا (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
ولتظهر نفس ما قدمت لعدو واتقوا الله. إن الله خبير بما تعملون) (وقل اعملوا
فسيرى الله عملكم ورسله والمؤمنون. وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما
كنتم تعملون)

ثم إنه عليه الصلاة والسلام والذين آمنوا به ختموا صراعتهم وانتهاهم الى الله تعالى
بقولهم: (واليك المصير) إقراراً منهم بأنه رب العالمين. وأهم سيجعون اليه وحده
(يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها. وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون)

حسن منور
وكيل دارالعلوم العليا

الطرف والملح

قال سيدنا علي رضي الله عنه : أجموا (١) هذه القلوب واتقوا لها طرق الحكمة.
فإنها تمل كما تمل الابدان. والنفس مؤثرة للهوى. آخذة بالهوى. جاحدة الى اللهو.
أمارة بالسوء. مستوطنة بالعجز طالبة للراحة. نافرة عن العمل فان اكرهتها انضيتها.
وان أهملتها أرديتها.

وقال سيدنا عمر رضي الله عنه : عليكم بطرائف الاخبار. فإنها من علم المنوك
والسادة. وبها تنال الميزة والخطوة منهم.

(١) ووضوها وارجعوها

اصْبُوا الدِّينَ

الايام بالله

علم الطبيعة يرى بما نسبوه اليه واقتروه عليه
أدلة وجود الله

منينا في هذه العصور التي يجدر بنا أن نسميها عصور الزور والاشم والعجور يقوم
ينسبون إلى العلم ما يتبرأ منه العلم، فيعارضون كل شيء جاءت به البيانات بحجة أن العلم
يأباه وقد وثق بهم كثير من الناس لما بهرهم من آثار ذلك العلم المادى التي تسمى الانظار
وتدهش الأفكار فظنوا أن كل ما يقولون من جنس هذه المنظورات وأن لهم من
التجديد في المعقولات ما لهم من التجديد في المخترعات ولكن فاتهم أن هؤلاء المتفهمين
المتحاملين على الأديان إنما برزا في المحسوسات لا في المعقولات وفي علوم الطبيعة
لا فيما وراء الطبيعة، ولما لم يمكنهم أن يكذبوا على علم الطبيعة في المحسوس كذبوا
عليه في المعقول فكانوا كالمذلس الذي لا ضمير له أو لا منطق له فهو يخلط الحق بالباطل
والصحيح بالعاطل فخانوا العلم وغشوا الناس جهلا بالدين وبنصاً فيه وتحاملا عليه مع
ملاحظة أنهم ليسوا أهل منطق ولا استدلال وليس لديهم غير ذلك القوي الباطل وتلك
الثرة الفارغة التي ليس فيها طل من برهان ولا إثارة من علم، وكثيرا ما يشتبه عليهم
القياس الفاسد بالقياس الصحيح والتخمين باليقين والاستحسان بالبرهان وكثيرا ما تكون
المسائل هناك في محل العرض أو الأخذ والرد فيحسبونها علماً وهي في أول مرحلة من
مراحل البحث العلمى وطالما تناقضوا (والمبطل لا بد أن يناقض) فبينما هم يقررون
أهم متمسكون بالمحسوس ولا يقولون بغير ما وقع عليه العيان إذ تراهم يحطون بخط
عشوائية في ظلمات الأوهام متخطين تلك الحدود التي رسموها لأنفسهم إلى حضيض
الخيال والتظن والتخرص، على أن الملحدين عندنا أجهل وأقل من أن يقال أن لهم شيئاً

يتقدم به العلم المحسوس أو العقول ، وأصغر من أن يكون لهم فيه ظن أو استحسان وإنا هم أذيان لا أولئك الماديين المتعصين الجاهلين كالمنافق الغمر الذي يقول سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته فهو لا يعدون من رجال العلم وإنما يعدون من صنية ملاحظة الغرب الذين يصفقون لهم كلما سمعوا شيئاً من انتراعات أو الخرافات (والمصنف يهيم الآذان ولا يعرف البرهان) وليسق إليك بيان علم الطبيعة وحدوده التي يقف عندها ولا يخرج عنها لتعلم أن هؤلاء كما مرقوا من الدين مرقوا من العلم وكما برتوا من الصدق برتوا من المنطق وكما قتلوا ضمائرهم أرادوا أن يقتلوا الحق أيضاً فنقول :

إن علم الطبيعة علم تعرف به علاقات الأشياء بعضها ببعض ولا يبحث له عما وراء ذلك فإدا سأله عن حقيقة الأشياء أو عن أوائلها ومصيرها أجابك : ذلك خارج من حدودي وليس من اختصاصي .

فالطبيعي إنما يبحث عن الطبيعة وظواهرها بعد وجودها وتحققها لا قبل وجودها وظهور مقتضياتها كما لا يبحث له عن أوجدها ولا لماذا أوجدت فيها تلك الظواهر ولا كيف أودعت فيها تلك الخواص .

فعلم الطبيعة يعرفنا مثلاً أن جزءاً من الاوكسيجين وجزءين من الادروجين تكون ماء ولكن كيف كون هذا العنصران ماء مع أن الاوكسيجين عنصر محرق متى لقيه شيء قابل للالتهاب والادروجين عنصر لا يعيش فيه الحيوان وكذا الأزوت الداحل في تركيب الهواء نسبة ٧٩ / فكيف تكونا ماء أو هوا تكون به الحياة واحدهما محرق والآخر يمت اذا سأله هذا السؤال أجابك أنه عاجز عن تمثيل ذلك وإن هو إلا علم تجربة فقط فما أدت ابيه التجربة العملية جعله قانوناً من قوانينه وإن كان لا يعرف لماذا كان ولا كيف كان فصلا عن أن يعرف أول الأشياء وآخرها أو كنهها وحقيقتها . ولديك هذا الغذاء تعرف من أحواله أنه يهضم في القم هضم أول ثم يهضم في المعدة هضم ثانياً وتعرف أن في المعدة عصارة تساعد على الهضم ثم يخرج منها إلى الامعاء الباق فيهضم فيها هضم ثالثاً ويساعد على ذلك العصارة البنكرياسية التي أوجد لها الحكيم العليم تلك العدة التي تفرزها ويساعد عليها أيضاً الصمرا التي تفرزها الكبد إلى آخر ما هو معروف ولكن كيف تمثل ذلك الغذاء عيماً وهماً وبدأ ورجلاً ونحاً مدركاً الخ . أو تقول كيف تمثلت تلك الاضاف التي تأكلها من القبول والحضرات والفواكه الخ اساناً سمياً بصيراً عالماً مشكلاً ؟ إذا قلت للطبيعي كيف صارت هذه

الاشياء انساناً ؟ ولو حدثنا أحد بذلك ما صدقناه لولا أننا نرى الأمر عياناً في كل وقت أو قلت له : كيف انقلب هذا التراب زرعاً وريبتونا وبخيلنا وأعابيا وثمرات مختلفة الأشكال والطعوم والألوان ؟ لو سأله مثل هذه الأسئلة لأجابه انى لا أعرف لذلك سراً ولا أفهم له معنى ولكنى أقرر لك ما أثبتته المشاهدة وأوصلتني إليه التجربة فاما ما وراء ذلك فليس من على ولا هو داخل تحت اختصاصى ولذلك قال سنسر الفيلسوف الانجليزى الكبير : ليس العرض من تعلم علم الطبيعة معرفة هذه الظواهر التى يعرفها تلامذة المدارس وإنما العرض الاسمى أن نقف على ذلك السر الباهر من وراء تلك الحدود التى ينتهى اليها علم الطبيعة . وقال باكون وهو أستاذ أساتذة علم الطبيعة : « من أخذ علم الطبيعة رشفاً بالشعاع كان ملحداً ومن شر به عاً أوصله إلى الخالق » . وفى (سبيل السعادة) نقلاً عن (مجلة الحياة) هذه العبارة الطريفة « جاء فى أعداد المجلة الطبية الباريسية هذه المجلة (ليست الفكرة الواحدة إلا اتحاداً يشبه اتحاد حمض الفسفوريك والتفكر نفسه ناتج من الفسفور الذى هو فى تركيب المخ) فرد عليها العلامة الطبيعى الشهير كاميل فلامريون قائلاً : « من أخبركم بذلك يا حضرات المحررين ؟ إن الناس يتوهمون أن معلبيكم يعلمونكم هذه الهديات مع أن الأمر بخلاف ذلك لأن هذه الادعاءات ليست أمام الطر العلى إلا هباء مشوراً على أنى لا أدرى أى الأمرين يستحق أن تتعجب منه أكثر ، أم الجسارة الصادرة من هؤلاء الممثلين المعيين للعلم أم من سخافة ادعائهم ، أن (بيون) كان يقول (يظهر لى) (وديكارت) كان يقول (إنى استزل حكمكم فى هذه الفروض) ولكن هؤلاء يقولون : نحن نشك . نحن نكر . هنا موجود هذا غير موجود . العلم قد حكم العلم قد أقر . العلم قد أدهض مع أنه ليس فيما يقولون ظل من الرهان العلى إلى أن قال : إنكم تتجاسرون أن تعرفوا إلى العلم هذا العبء الثقيل ولئن سمعكم العلم أيها السادة (ويجب أن يسمعكم لانكم من أبنائه) لضحك استهزأاً من ع وركم اسمكم تقولون : العلم يشك . العلم ينق . العلم يأمر . العلم ينهى . وبذلك فأنتم تصعمون على شفتى هذا العلم المسكين هذه الكلمات الضخمة وتدخلون إلى فؤاده هزة الكبر والعجب ، اه كلامه . فأنت ترى مكان تلك الطلطنة المارعة أمام العسمة الصحيحة والعلوم الحققة التى يعرفها (كاميل فلامريون وأمثاله) وقال البحاة الكبير (توماس كارليل) فى هؤلاء المتشدين الذين ضغطوا على وجدانهم حتى قتلوه وعلى عقولهم حتى أزهقوها ثم دفنوها فى مقبرة المحسوسات .

قال إنهم يحصرون هذا الكون وما به من شتى المناظر والأشكال والاصوات والحركات العديدة العدد والحجوم والعيوم والقمار والحرار في اسم مركب من بضعة احرف (طبيعة) فيطوون جلاله العظيم في أثناء لفظ حقير . إن للكون لروعة في القلب أى روعة وموقعا أى موقع لو طهر عاريا من تلك الحجب التى غطت جماله ورويقه إلى ان قال : « أما طاهر الكون فقد عرف العالم عنه شئ ، وأما الباطن فهو سر عميق لا يبعث معه علم عالم ولا بحرية كيمائى ، أما اولى الناس في هذا المقام الادعاء والخشوع ، وللجهل هنا ازيد من العلم وما يستعيد المتوحش الجاهل من جمال الطبيعة شعوره أكثر مما يكتسه المتمدين العالم بمطواره وكيماياته ، إلى ان قال : صنع العلماء في اسرار الكون الرائع الذى يتضائل العلم في حضراته ويدل لدزته وعظمته ويظهر على موجة التلاطم كريشة في مهب الريح ، الى ان قال : ان هذا الكون على رغم العلم ودعواه لا يزال عجيبة المعائب ومعجزة المعجزات ، ثم قال : أليس أقصى ما نستطيع ان نعلم عنه انه قوة مركبة من الف قوة وانه شئ ونحن شئ آخر فهذا كل ما يمكننا معرفته ، الكون شئ ونحن شئ غيره قوة في قوة في قوة لحيثما القيت النسر الصيت قوة ونحن بين هذه اقوى المختلفة قوة بجهولة حية ، ثم يقول : لا أخال أنه يجتمع الاتحاد والتكبير في هذه القوى الفعالة الذاتية المحدقة لنا والتي لا تكل ولا تلى ولا تفتر ولا تعرف لها اولا ولا آخرا ولا مبدأ ولا نهاية (ففنى على الملحين انهم غير مفكرين) الى ان قال : ثم يحى العلم بمنطاره وآلاته فيجمل يقلبها ويديرها كأنما هي حنة مينة توصع في الزجاجات وتناع في الحوانيت . إلى آخر ما قال . وقال العلامة الطيبي الانجائى (مليون ادوارد) يجب ان يدهش الانسان حينما يرى ان امام هذه المشاهدات الناطقة المتكررة رجالا يدعون لك ان كل هذه العجائب الكونية ليست إلا نتائج المصادفة او بعبارة اخرى نتائج الخواص العامة للمادة واثرا لتلك الطبيعة التى تكون مادة الخشب ومادة الاحجار وان الهامات العمل بل اسمى مدركات القوة الانسانية ليست الا نتيجة عمل القوى الطبيعية او الكيمائية ان هذه الفروض الناطلة او بالاحرى هذه الاصول العقلية التى يستروها باسم العلم الحسى قد ادحضها العلم الصحيح ادحاضا فان الطيبي لا يستطيع ان يعتقدها ابدا وإذا أطل الانسان على وكر من اوكر بعض الحشرات الصمبة يسمع نايه الجلاء والوصوح صوت العناية الآلية ترشد مخلوقاتها الى اصول اعمالها اليومية . ، ثم يقول

لهم بعد ذلك على سبيل التنازل هل عدم الدليل يدل عدم المدلول وهل عدم العلم بالشئ يوجب العلم بعدم الشئ، اما كما نجهل الميكروبات والكبرياء ومكشأ على ذلك الوف السين فهل نستنتج من ذلك عدمهما في الواقع، وكذلك الراديوم مثلا لم يعرف الا منذ عهد قريب فهل كان معدوما قبل ان تستكشفه تلك السيدة التي ابرزته الى عالم الطهور، واي فرق اذن بينكم وبين زنوح افريقية المتوحشين الذين ينكرون مرقم الخطاب الجوى (التلغراف اللاسلكى) مثلا لعدم علمهم به وتصورهم اياه اللهم انا نرفع الصوت عاليا بأسمكم في انكار الاشياء حتى تروها بأعينكم مثل أولئك الزنوج لا فرق بينكم وبينهم فأن حجتكم هى حجتهم وما تستندون اليه عين ما يستندون اليه وكان ينبغي أن ترأوا بأنفسكم عن تلك المحجلات وترتفعوا بها عن ذلك المستوى الذى فيه أولئك الممججون المتوحشون، بل نقول لهم أكثر من هذا ولا نخشى في الحق لومة لائم إن الوقوف مع الحس وعدم تحطيه اما هو شأن البهائم التى لا تعرف غير المحسوس ولا يمكنها أن ترتقى إلى ما فوقه فهذه فلسفة سيمية لا انسانية، ثم نقول بعد ذلك إن العلم الذى يستندون اليه كثيرا ما ينقص اليوم ما قرره بالامس فقل لى يعيشك أى ثقة تبقى لهذا العلم بعد ذلك وأى علم هو ذلك الذى يوجب هذا التبرج وتلك الكبرياء التى جعلتهم يحكمون على السموات والارض ويخرجون على الله ورسوله ويفنون جازمين ويثبتون موقنين وكلما عرثهم مشكلة فى الكون حلوها بعبارة فارغة لا معنى لها عد من لا يقدرهم ولا يهائم . وما اجدربا أن نقول لمن يتفلسف ذلك التفلسف الفارغ الذى عرفت قيمته ما قل بعض الفضلاء

يا من تفلسف كى يؤيد كفره مع أنه لم يدرك كنه وجوده
خسرت بسوق الفصل صفقة جاهل تحذ العلوم ذريعة لجهوده
ولذكر لك بعد هذا شيئا من الادلة الواضحة القربية التى يطرب بها أهل الوجدان
ويشهد لها أرباب صناعة البرهان فنقول

(أدلة واضحة)

كان ينبغي ألا يختلف الناس فى هذه العقيدة لأن دلالة الاثر على المؤثر والنظام على المنظم والفعل المحكم على الحكم سديه بل قالوا إن ذلك مما يدركه الحيوان فصلا عن الانسان فأنتك إذا ضربت الحمار مثلا التفت ليرى من ضربه لأنه مركز فى فطرته أن الاثر لا يكون بلا مؤثر والفعل لا يكون بلا فاعل . فأذا رأيت كلمة مركبة من ثلاثة

احرف لم نشك في أن كتابا كتبها وإن رأيت ساعة تشير إلى الاوقات ابقت أن لها صائعا رتب أجزائها وأعددها لتلك الغاية، وما مثل من ينكر الخالق وهو أظهر من الشمس (لأن وجود الأثر في نظر العقول ليس أقوى ولا أجلى من وجود المؤثر) إلا كمن رأى خزان اسوان بالقطر المصرى أو برج إيفل بفرنسا فقال : ان ذلك على نظامه وضخامته لا يحتاج الى مهندس ولا صانع، أو كمن رأى كتابا بديعا في معانيه بليغا في معانيه وفيه من الفلسفة العالية والافكار السليسية ما يفوق افكار افلاطون وفلسفة أرسطو ومن الأدب الرائع والشعر البارع ما يسمو على شعر المتنى وادب ابي العلاء، فلما نظر فيه عبس وبسر وفكر وقدر ثم قال : ما هذا الكتاب إلا اوراق كانت في صندوق وكان معها شيء من حروف الطباعة ثم هز الصندوق هزات متوالية فعملت حروف الطباعة في الأوراق عملها فوجد ذلك الكتاب على ما ترون ، فهل ترى صاحب تلك الفلسفة الجنون ، وإذا كنت لا تسلم ان ساعة توجد بلا صانع وان باخرة توجد بلا مهندس بل لا تسلم أن كلمة صغيرة توجد بلا كاتب فكيف تسلم ان هذا الكون العظيم الذى يهر العقول ويحير الالباب قد وجد بلا موجد ونظم بلا منظم وكان كل ما فيه من بحوم وغيوم وقمار وبحار وليل وهار وظلمات وانوار واشجار وازهار وشمس واقمار الى انواع لا يحصى العدد ولا يأتى عليها الحصر ، قد وجدت بلا موجد يخرجها من العدم ويوسعها الى ما لا يحصى من الانواع ويمتصها بما شاء من الخصائص المختلفة والمزايا المتباينة والصفات المتقابلة علما منه بما يترتب على ذلك من العايات وماله من جليل الثمرات ثم يحفظها بما أودع فيها وما هيا لها وما أوجد بينها وبين غيرها من العلاقات والروابط التى رحلت العالم العلوى بالعالم السفلى وجعلتهما جميعا يؤلفان نظاما واحدا يرمى إلى غاية واحدة فكان العوالم كلها فى ترابطها وتضامنها أو نقول فى تمازجها وتضامرها على مقصد واحد تؤلف بينها احكامه بانيه . فليست ترى شيئا صغيراً أو كبيراً الا لغرض سام وحكمة جليسة، أو كأنها جسم واحد قد تعاونت اعضاؤه وتضامرت أجزاؤه وإذا نظرت الى كل جزء من أجزائه هرك ما فيه من حكم واسرار وما يبط به من منافع وآثار فإذا نظرت الى ما بين تلك الاجزاء من العلاقات وما فيها من الدقائق الخفيات والمناسبات المدهشات ورأيتها متآخدة يمسك كل منها بحجرة الآخر وهى مسوقة للسير الدائم لا تقتر ولا تنف ولا تعرف الهدوء ولا السكون، علت أن لها مدبرا دبرها ومقدرا قدرها وحكيما سيرها وقويما يكلؤها بعينه التى لا تنام وقدرته التى لا ترام

وقد قال بعض الفلاسفة يكفيني من الدلالة على الله وجود الاثنى بجانب الذكر فهل علمت الطبيعة أن النوع لا يبقى ولا يحفظ إلا بوجود المرأة فأوجدتها وغايت بينهما وبين الرجل وأعدتها لما يراد منها فخلقت لها الرحم والمهبل ومتعتها بما يجذب الرجل اليها من صفات الجمال حتى في صوتها ومنحتها ما يحتاج اليه طفلها الصغير هذا معنى ما قال وهو يشبه ما قال افلاطون . يكفيني ما في العين من التدبير الذي جعلها في مكان من الحجاج وجعل لها الحاجب ليقبها من العرق أن يتساقط فيها والهدب ليقبها الغبار ولا يمنعها الضوء ، وقد قال (فولتير) وهو من اكبر الفرنسيين : من قال إن طبقات المين العجيبة التي تدل كل واحدتها على حكمة سامية قد وجدت بالمصادفة كان مصابا بافطع أنواع الجنون التي تلم بسوء الانسان وقال بعض فلاسفة اليونان لرحل يقول اني معجب بفلان المصور الذي يخرج لنا تلك الصور البديعة قال له ذلك الفيلسوف (واطه افلاطون) من الذي يستحق الإعجاب أكثر ؟ من يصور صورة لا روح بها أم من يصور صورة فيها روح ، وإن شئت بعد ذلك فانظر إلى الانسان وما فيه من العجائب فظرك فيه يكفيك ، وفي أممكم أفلا تبصرون ، ولنا سبب لك نهج الفلاسفة الذين يقولون ان كل شيء ممكن وكل ممكن لاشيء له من ذاته فلا بد من مرجح يرجح وجوده على عدمه ويعطيه مقداره الخاص به الذي كان يجوز أن يكون أصغر منه أو أكبر ويمحوه كل الصفات القائمة به التي تجوز عليه هي ومقالاتها حيث ان الجميع جائز عليه فلا بد من مرجح يجعله متمتعاً بتلك الصفات المخصوصة دون غيرها وواقفا عند ذلك الحد منها دور ما فوقه وما دونه ، ولكن نلتك بك طريقاً أوسع ومهيأً أوسع وزبك الأمر مفصلاً ودقائق الصنع واضحة جليلة حتى نكون لمس اليد ورأى العين معقول قبل كل شيء : ان اعادة ليس فيها حياة ولا ادراك ومن البدهي أن فاقد الشيء لا يعطيه فلا يمكنها أن تعطى عبداً ما ليس عدها ، وقد أحسوا ذلك فاعترفوا بأنهم عاجزون عن تعليل الحياة بالتعاليل الطبيعية أما المكارون منهم فيقولون : إنها فلتة من فلتات الطبيعة ولا ندري ما معنى ذلك وكيف يعقلونه وهل فلتة الطبيعة تجوز أن يوجد معلول بلا علة ومسبب بلا سبب اللهم ان ذلك غير معقول فالحياة وحدها كافية في إغماهم فصلا عن الادراك السامى والعلم الواسع اللذين لا تملكهما المادة لنفسها على أن المادة وخصائصها لا يعقل أن تكون إلا من غيرها لا منها (أم خالقوا من غير شيء أم هم الخالقون) على أن المادة لا يظهر عنها إلا مقتضاها ، أما اجتماعها مع غيرها واتماقها هي وسواها على أن توجد أشياء مرتبة وأموراً مدرة منظمة تشتمل على

حِكم كثيرة وترى إلى غايات بعيدة فما لا يعقل فيها بوجه من الوجوه، وهل يعقل أن العاصر التي تتألف منها اليد والرجل والمعدة والامعاء والقلب والكبد والمنع أرسل بعضها إلى بعض من أجل أن تجتمع ثم تورع العمل فيؤلف بعضها قلباً وبعضها كبداً وبعضها عيماً وبعضها في المرأة رَحماً الخ وهل علت بيضة الصقر انه يتغذى باللحوم فيأه لذلك بخلاف بيضة العصفور والدجاجة مثلاً فاذا قلنا ان المادة تفعل مقتضاها على حسب ما أودع الله فيها من الخصائص فهل يمكنها أن تنتج كائناً حياً سميعاً بصيراً؟ وهل يمكنها أن تدبر الأشياء تدبيراً حكيماً بحيث يكون في موضعه اللائق به ولغاياته المقصودة منه؟ وإذا كان لها سلطان على نفسها وظواهر من داتها فكيف يكون لها السلطان على غيرها حتى تأتي معها وتنوطه بعمل خاص لعرض خاص اللهم ان ذلك غير معقول ولا مفهوم فهل علت المادة أنه لا بد لك من عين تبصر بها وأنه لابد لها من طمقات مختلفة في الشكل والتركيب وأنه لابد لها من صيانتها لما فيها من مزيد الرقة والطاقة فجعلتها في حجاج العين وحاطتها بتلك العظام الصلبة وهذا العطاء الذي يشتمل على الجص والهدب وعلى ذلك الحاجب الأعلى إلى آخر ما لا يمكننا شرحه ولا الخوض فيه . وماذا يكون الحال لو كانت هذه العين في الرجل أو تحت الانبط مثلاً، ثم نقول هل علت الطبيعة أنه لابد لك من أكل وشرب فصغت لك العم وجعلت فيه الاسنان والأصراس مشكاة بأشكال مختلفة لحكم جليلة ، ثم جعلت له غطاء من الشفتين والاشدق ثم علت أن العدا لا يمكنك بامه إلا سائل تسيعه به خلقت لك الريق وركنته من تلك العاصر التي تفيد في هضم الطعام . ثم جعلت لك مفذين : مفداً للنفس ومفداً للطعام والشراب ثم احتاطت فجعلت لك غطاء يعطى به مجرى النفس عند البلع خوفاً من أن تدخله اللقمة تموت، ثم جعلت لك ذلك اللسان الذي لا تحصى عجائبه ولا تعد فوائده، ثم جعلت لك معدة مركبة تركيباً خاصاً لكي تفرر تلك العصارة المعديّة . ثم جعلت لك أمعاءً يتم فيها الهضم الثالث ودرت لذلك تدبيراً حكيماً فاعانتها بالمصاراة السكرياسية وبالصفراء التي تفرزها الكبد ثم ترسلها إليها عند الحاجة ثم حققت لك الكلى التي تفرز البول وهيات له السيل، فقل لي يعيشك كيف يكون اذا لم يدر للعداء سيل الخروج كما در له سيل الدخول، وكيف يكون الحال اذا لم توجد فيك تلك المماصل ومادا كنت تصنع عند القيام أو الرقاد أو الجلوس، وإلى أى حد من المشقة والصيق كنت تصل اذا لم يخلق لك ذلك الأنف الذي تنفس منه وتستنشق منه الهواء صافياً خالياً من التراب والغبار

بواسطة ما أودع الله فيه من تلك المصفاة العجيبة البديعة وماذا كنت صانعا لو خلقت بلا يدين أو خلقت اليد بلا مفاصل تمكنها من الحركات المختلفة الى الجهات المختلفة أو خلقت اليد بلا كف ولا أصابع أو خلقت الأصابع بلا أنامل ولا أطراف الى آخر ما يطول الكلام فيه ، ولا نستطيع أن نصل الى باطنه وخوافيه غير أن نقول بالاجمال : إن الذي وضع فيك الرتين لاصلاح الدم ووضع فيك القلب بشكله المخصوص وتقسيمه الى الأذين الأيمن والأذين الأيسر والبطين الأيمن والبطين الأيسر وما دبر لذلك من تلك المجارى التى تحمل الدم الصالح المسماة بالشرايين وهاتيك المجارى الأخرى التى تحمل الدم الفاسد المسماة بأوردة . وأوجد تلك الصمامات المختلفة الى آخر ما أدهش علماء الفزيولوجيا ، ان الذى فعل ذلك واضعافه واصعافه لجدير ان يعرف ولا ينكر ويشكر ولا يكفر .

ان الطبيعة لا يمكنها التعمن فى العمل ولا أن تلاحظ المقاصد والغايات فتدبرها تدبراً وتقدر وسائلها تقديراً ولكننا نرى فى الجسم الانسانى من الاشكال والألوان والعنائع والتديرات افانين وأعاجيب فتجد نصفه الاعلى يتغير نصفه الاسفل ، ورأسه يتغير بدنه وكل عضوفه يباير الآخر وما من عظم صغير أو كبير ولا عصب ولا وريد ولا شريان الا قد وجد لحكمة كبرى . ولو زاد عن مقداره الذى هو عليه أو نقص عنه أو تغير موضعه لاختل نظام الجسم حتى الشرايين الشعرية التى هى كالشعرا وأدق منه كثير كل واحد منها لحكمة كبرى . ولو زال عن محله أو زاد عن مقداره لفسدت الصحة واختل مزاج البدن . ولتعلم أن الاشياء الطبيعية لا يعجز عنها الانسان بعد ما عرف ظواهر الطبيعة ومقتضياتها وتحليل المادة وعناصرها وقوانين المزج والاتحاد ، وأحكام الجوامد والسوائل والغازات ولذلك تراهم يخترعون لنا من الآلات على مقتضى تلك الظواهر ما نشاهده كل يوم ، ولكن ليس فى امكان الطبيعة أن تنظم وتدبر ولا فى امكان الطبيعيين (وقد عرفوا عناصر الاحياء) أن يوجدوا لنا انسانا حيا أو عضوا حيا مع أن الامر لو كان طبيعيا لم يتوقف الا على عناصره التى يعرفونها ويمكنهم أن يركبوه تركيبا طبيعيا على مقتضى قوانينهم . ومن نظر فى مقدار حبة حردل من الجسم الانسانى كفته فى الدلالة على الله ، فإن فى تلك الذرة الصغيرة من جسمك عصباً للحس وعصباً للحركة ويجرى للدم الشريانى ويجرى آخر للدم الوريدى الى غير ذلك مما لا يحصره العد ولا يأتى عليه القول وبالحيلة ان انكر الطبيعيين ما فى الانسان من الاعمال المدهشة والاسرار

الغريبة التي أثبتت في كل ذراته بحيث لو أخذنا منها شريانا شعريا لتعطلت وظيفته ، لو أنكروا ذلك كانوا مجانين وكذبهم علماء الفريولوجيا تكديبا محجلا ، وإن اعترفوا بأن كل شيء فيه لحكمة لا فرق بين مادي منه وماجل كما يقرره العلماء ، وإن هو مشاهد ثم نسبوا ذلك لتلك المادة الصماء العمياء كانوا أشد جونا من المجانين وأقطع جهلا من الحيوان الاعجم فأين يذهبون ولعلنا نطرح نظرة أخرى في بقية العوالم وما اشتملت عليه من الحكم والاسرار في انفسها وما وضع بينها من العلاقات والروابط وما ينط بها على وجه التضار والمعاونة من الغايات والمقاصد إن شاء الله .

يوسف الرمزي

من هيئة كبار العلماء

الطرف والملح

قيل للامون : ما ألد الاشياء قال التنزه في عقول الناس . يعني قراءة اقوالهم . قال البوري في باب النوادر والفكاهات والملح : هذا الباب مما تجذب النفوس اليه . وتشتمل الخواطر عليه . فان فيه راحة للنفوس اذا تعبت وكلت . ونشاطا للخواطر اذا شمت وملت . لان النفوس لا تستطيع ملازمة الاعمال . بل ترتاح الى تنقل الاحوال . فلذا عاهدتها بالنوادر في بعض الاحيان . ولاطعمتها بالفكاهات في احد الارمان . عادت الى العمل الجهد بنشطة جديدة . وراحة في طلب العلوم مديدة .

وقال ابن عبد ربه : الملح زهرة النفس وريح القلب . ومرتع السمع . ومجانب الراحة ومعدن السرور .

وقال علي بن هذيل . ان في الحكايات والاحار سلوة للنفوس . وآنايا نافعة للرئيس والمرئوس . والقلوب ترتاح اليها من شجونها ، والآذان تصغي لسباع طرفها وفنونها . الوحيد يأس بمطالعتها ، والجلس يبسط بمذاكرتها ومحاضرتها والطباع نجم^(١) بها من ملها ويذهب عنها قلة نشاطها . وكثرة كسلها والملوك يتحفون بها . وينال الجاه والرفعة منهم بسببها .

اصْبُوا الدِّينَ

الاسلام دين الفطرة

قال الله تعالى في كتابه العزيز مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيمًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِلْ خَلْقَ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) وقال تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)

ولقد اردنا بسوق هاتين الآيتين الكريمتين أن نجلو مظهرها من مظاهر عموم الرحمة في رسالته صلى الله عليه وسلم وأنها شاملة لجميع العالمين وذلك ببيان أن الهداية التي أتت بها هذه الرسالة العظمى مسيرة للعريضة الانسانية موافقة للفطرة السليمة فطرة الله التي فطر الناس عليها مستمدة من مواهب الخلقة منيرة من قرارة النفس ليس حكمها بناب عن مقتضى العقل ولا فهمها مرهقا للتصور وأى أبواب الرحمة أوسع وأشمل وأى مناهج الهدى أوضح من أن يكون رشادك مستمدا من فطرتك ودليلك كامنا في خلقتك فيوجه نظرك اليه فتلبسه من نفسك وتشعر به في وجدانك ثم كلما زدته نظرا واعتبارا ارددت فيه بقبيا واستبصارا إذ كان مع هذا أدلته باصرة وبراهينه قاطعة وحججه دامغة وآياته بالغة ، فهدى هذه صفته وتلك محجته هل يفوت إلا على نفس غلبتها شهوتها واستولت عليها شهوتها فانهحرت في مزاجها والتوت عن سبل استنتاجها فكانت جنائيتها على نفسها شرا من جناية غيرها عليها ؟ لا شك أن هدى على هذا الوجه تشعر النفس بأساسه وتقيل العقول فهم تفاصيله وتحيط بالمرء أدلته وبراهينه وتطلع أمامه الآيات الليات ثم تكون احكامه جماع المصالح العامة والخاصة ومستقر الطام لحياة الفرد والجموع فهو هدى يقبله العقل وتقر عنده النفس ويطمئن له القلب وينشرح له الصدر واداء حلت الهداية قلبا نشطت للعبادة الاعضاء

الاسلام في حملته — جاء الدين الاسلامي مشتملا في حملته على طائفتين عظيمتين من المسائل ، الاولى العقائد الدينية والثانية الاحكام العملية ولكل منهما تفاصيل كثيرة ومباحث واسعة ، وقد افرد لكل من الطائفتين من العلوم ما وى بالحاجة وزاد ففتح

أمام الفكر كل مسلك يمكن أن يخطر بالبال . وأما الذي يعنينا في هذا المقال وفيما سيقم على سنه ان شاء الله . هو بيان ان كلا من هذين القسمين : العقائد والاحكام تهدي الفطرة السليمة إلى أصوله ويقبل العقل والعريضة فهم تفاصيله بلا ارهاق للنفس ولا اعناء في التصور ولا قهر للعقل على ما لا يستطيع فهمه أو الاعتقاد لما يناقض حكمه . وان العقائد قد جاءت مقرونة بدرايينها القاطعة وادلتها الباطنة لا تدع للشك لدى النفس محالا ، ولا للريب عند العقل مدخلا ، وان الاحكام جاءت متصلة من المصالح العامة والخاصة ما يكفل تهذيب النفوس وتكميلها واصلاح حال المجتمع وتنظيم علاقاته في كل اطواره سواء المجتمع المنزل أو المندى أو الانسان العام على حالة سهلة القبول واضحة التهجيرة المسلك لا تعقيد فيها ولا موارنة

ولقد جاء الاسلام مخاطبا العقل مستنصحا ان يفكر بحيث النفس على الطر في حوطها والتفكر فيما يحيط بها ، يرشدها الى ان هذا كله قد خلق لها لتستوفي منه حاجتها ولتهتدي بالنظر فيه الى طريق سعادتها ، ففسح بها ادا ان تفوت على نفسها الانتفاع بذلك وهي في أشد الحاجة اليه من التاجين : ناحية استخدامه في ميل أعراضها بقدر ما تسمح به قوتها ، وناحية الاسترشاد بالطر في بعقلها وبصيرتها

ولما كانت مسالك التفكير وطرق البحث العقلي مما تشعب امام النفس وقد تجمعت الظروف واحوال قد تحيده عن الحادة وربما طوحت بها الى مهاوى الضلالة أحد الذين يبدوا ليرشدها من ناحية عريزتها التي ركبت فيها ويعصمها بمقتضى سلبقتها الكلمة في قراراتها حتى يصل بها الى مستوى سعادتها ويرقيها الى أوج سيادتها فاذا ما أشرق عليها هذا النور الذي هي مطلعه وعليها مداره تفتحت له عورها وأقبلت عليه بأكملها فجلت ثمرته واستمرأت مذاقه ووجدت حلاوة الايمان به وحيث تمسك به وتحرص عليه بأقصى قوتها حتى تحوز بذلك السعادتين : سعادة هذه الحياة الحاضرة والسعادة العظمى الخالدة التي هيئت لها وهي بها جديرة

وهنا يحق لنا أن نشرح في تفصيل ما أجملنا وتوصيح ما ذكرنا نين ما في كلنا الطائفتين : العقائد والاحكام من مظاهر عموم الرحمة عسيرة الفطرة ليظهر أن من حرم نفسه من الانتفاع بها واجتناء ثمارها فهو كمن (يموت طمآن وفي الحر فنه)

العقائد — هذا القسم من الدين الخفيف يتضمن نوعين عظيمين الأول العقائد الالهية وبين فيه ما يوجب الدين اعتقاده في حق الآله جل جلاله من صفات الكمال

والتزیه عما لا یلیق بمقام الآله جل شأنه ومستند ذلك وأدلته من العقل الصحيح
والعقل الصریح ووجه مجاراته لمقتضى الفطرة الانسانية وكيف اتفق الدين والعقل في
هذا الباب

والثاني العقائد النبویة - ویشرح فی معنی البوة والوحی وإمكانه وکیفیه ومن هم
الانبیاء وما حججهم وآیاتهم الدالة علی وجوب صدقهم فی أهم مبلعون عن ربهم
وأهم تبح طاعتهم فیما یأمرون ویجب تصدیقهم فی کل ما یحذرون به وأنه حقیقة
ثانئة (وهذا قسم السمعیات) ومن أول ما یجب تحققه فیما یحذرون الا یناقض صریح حکم
العقل ولا یکابر فینا ثائتا ، فحال أن یأتوا بما یناقض صریح حکم العقل فانهم بالعقل
عرفوا وعرفت ببونهم فیکان العقل أساس وجوب التصدیق بهم والادعان لحکمهم فلا
یصح أن یهدموا أساسا بنی علیه أمرهم وإلا کانوا هادمین لبائهم فانه منی اختل الأساس
تقوض البناء

العقائد الالهیة - یدعو الدین الاسلامی الی اعتقاد أن لهذا العالم خالقا واحدا
وهو واجب الوجود ولا یقل العدم ولا یحتاج الی شیء وليس کمثله شیء مره عن
کل نقص متصف بصفات الکمال التام والجلال العام فهو حی علیم قدير مدبر حکیم
سمیع بصیر متکلم بکلامه القدیم أرسل الرسل بالهدی ودين الحق لیرشد الناس ویخرجهم
من الظلمات الی النور

ولقد ترى جلیاً ان الاعتقاد بوجود إله لهذا العالم مهیمن علیه علیم بما یمجرى فیہ
قدير علی تصریعه حسب مشیئته غالب علی أمره یصح أن یأمر فیجب طاعته ویهی
فلا تجوز مخالفته ، هذا الاعتقاد یجب أن یکون سابقاً علی الطر فی شریعة بعینها
أصحیحة هی فیدعن لها أم غیر صحیحة فیهمل أمرها . أجل إله لو لم یسبق الی نفسک
الشعور بأن لك حالقا خلقتک فسواک وأنعم علیک ورباک ، ثم تقوم الأدلة علی أن هذا
الذی تشعر به حقیقة لاشک فیها وأمر ثابت لاماصر منه ولا مفر وانه إذ قدر علی
الانعام علیک فهو قادر علی السلب ملک . وادا أنعم بالفصل فلا یؤمن منه الطش وانک
بین نعمته وبطشه عبد له وهو سیدک یصح أن یأمرک فیجب علیک أن تطیعه وینهاک
فلا یجوز أن تخالعه وانک بطاعته تستحق رضاه وبمعصيته تعرض لغضه وانه مطلع
علی ما یکون ملک وانه بکل شیء علیم ، نقول لو لم یسبق الی نفسک هذا الشعور یتلوه
الاعتقاد الجازم الذی تمجلی معاله وتظهر دلائله ما کان لك أن تفکر فی شریعة تجب

طاعتها ودين يلزم الادعاء له لما كان لنفس أن تدعى إلا لمن تعلم أنه غامرها نعمة وقاهرها بقدرته فترجو رحمة وتخاف عذابه

من أجل هذا كانت الدعوة إلى الشريعة مسوقة أو مدعوة بتوجيه النفوس إلى الاعتراف بخالقها الذي تشعر به في وجدانها وتقرير هذه العقيدة بدليلها وبرهانها ومن أجل ذلك يرى الكلام في اثبات وجود خالق العالم وبيان استبداده إلى ما في الفطرة الإنسانية فطرة الله التي فطر الناس عليها أمراً واجب التقديم على الكلام في مفصلات الشريعة من عقائد وأحكام وإن كان سيتجلى لك أن الأصول العامة في الجميع تسير الفطرة السليمة وتعاين العقل الصحيح

استقرار الأدلة في فطرة الإنسان — إن الإنسان بما ركب فيه من غريزة العقل وقوة التفكير لا يكاد يتجاوز درجات التمييز الأولى ويستعد للنظر الصحيح فيما يحيط به ويجري أمامه من العوالم الثابتة والشؤون المتحددة حتى يجد نفسه منساقاً إلى التساؤل فيما بينه وبين نفسه: ما أصل الوجود الذي أراه؟ وما منشأ هذا العالم الذي أمامه؟ وما مصدر هذه التحولات والتقلبات؟ شمس وقر يحرران محسبان. كواكب وأفلاك لا يتخلل لها ميزان. جبال ووهاد. بحار وإنهار. نبات وحيوان. وما منها إلا له نظام معلوم وقانون محكم لا يتخلل ولا يتحول. فهل هذه العوالم المختلفة والكائنات المتباينة التي استوفى كل منها أعظم درجات كماله الخاص به في نظرتنا واتسمت في مجموعها بهذا النظام الدقيق فتباينت في أوضاعها وارتبطت في حملتها. هل هذا كله وجد من نفسه فلا صانع أوحده ولا يد أحكمته تديره؟ أم هل هلك قوة أثرت فيه وأررت به بعد أن دبرته وأحكمتها؟ فما هي هذه القوة وكيف اهتدى لمعرفتها. ولقد تدرك هذه الفكرة في النفس حيناً وتتخذ أحيانا ولكن المرء بما هو عرضة له من مفاجأة آلامه ومشاهدة حوادث جسام تدهشه وتهره يرى نفسه مضطراً إلى معاودة الفكرة وإرجاع البطرة والعود إلى تلك المسألة: ما أصل هذا الوجود وما منشأ هذه الخليفة وما مصدر هذا العالم وهكذا لا يزال هذا التساؤل يدين النفس حيناً بعد حين لا فرق بين الفرد والمجموع حتى يرى هذا البحث لبعض النفوس لزماً ويصير شغلها الشاغل فلا تهدأ ولا تظمن إلا إذا تجلى لها الأمر واتضح أمامها سبيل الحق.

ومن هنا يتضح أنه كما أن العقل الذي يفكر به الإنسان مركوز في فطرته كذلك لدواعي التي تحفزه إلى البحث والنظر مشبوة فيما يحيط به مستمدة من تأثير نفسه بما

يتصل بها وله علاقة بوجودها فالامران معا: العقل الذي به التفكير والبواعث التي تدعو الى النظر مركزان في فطرتها متصلان اتم اتصال بوجودها . فاذا ما استعملت عقلها في النظر على الوجه الصحيح السليم من الشوائب فتسير حيث يضي لها السبيل وتقف حيث يزجرها العقل كانت بذلك متعة لبطرتها مسايرة لحريرتها ، أما اذا لعت بها الاهواء وتفرقت بها السبل فاعرف مزاجها والتوى منهاجها وفسد استنتاجها فانها تكون فاسدة الفطرة قد غلبتها شقوتها واستولت عليها شهوتها وذلك شر جاية منها على نفسها . ولنعد إلى ذلك التساؤل لنصل إلى جواب يطمئن له القلب وتدعن له النفس : هاهي أشياء امامنا نراها وجدت بعد أن لم تكن ثم يلحقها الماء والعدم كاشخاص النبات والحیوان ، وأشياء أخرى لم نشاهد أول نشأتها ولم ر حالة عدمها كالكواكب والافلاك ، فما منشأ هذا كله ؟

ولندأ بما شاهدنا حدوثه بعد ان لم يكن نبحث حاله لتبين منشأ وجوده أمن نفسه وجدام وجوده من غيره ، ثم نعود إلى القسم الثاني نبحث عما يبيد وبين الاول من وجوه المشاركة والمخالفة لرى امشركة كلها في أنها محتاجة في وجودها إلى سواها أم يصح لها أو لشيء منها أن يعطى نفسه الوجود ، فنقول هذا الذي وجد بعد أن لم يكن قد وجد على أدق صنع وأبدع وجه فاشتمل على ما يكمل نموه ويحفظ شخصه من غوائل وعراء وعلى ما يحفظ نوعه بتجديد مواليده ولكل من هذه الاعمال التي يحتاج اليها في حفظ شخصه ونوعه أجهزة هي غاية في الاتقان تؤدي أعمالها بلا شعور منه ولا ارادة بل ولا دراية له بها حتى إذا كان من أهل الدراية كشخص الانسان فهو يبحث عن تفاصيلها فلا يهل بعد المجهود الا لمعرفة القليل منها وكلما ارداد تأملا فيها ازداد اعجابا بها واكبارا لها : فندبهة العقل قاضية في مثل هذا أنها ليست من صنعه اذ كيف يصنع مالا دراية له به بعد وجوده وكيف وقد كان عد ما صرفا فكيف يقدر حال عدمه على إيجاد ما لا يستطيع استيفاء بعد وجوده ، والاستيقا أسهل من الایجاد وهو بعد الوجود أقوى بالدهامة منه حال العدم وكذلك لا يقبل العقل أن هذا النظام والاحكام والاتقان الذي لا يحتل له ميزان يكون قد وجد في تلك الكائنات بلا موجد مع أن وجودها ليس مقتضى ذاتها والالم يفارقها فلم يسقه عدم ولم يلحقه عدم والمشاهد خلافه والعقل يأتي كل الاما أن يكون الوجود والمنفى المحكم نتيجة المصادفة الصرفة التي لم تسق بعلم واردة وتدبير فحال أن تدخل في عقل ساذج ان هذا القطار الخارى مثلا الذي يشاهد عجائب آثاره قد وجد من نفسه بلا إيجاد ولا تأثير فكيف بهذه العوالم الحية النامية

وإذا بطل أنه وجد اتفاقاً ومصادقة وبطل أنه حين كان معدوماً مسح نفسه هذا الوجود تعين بالبدهة أن وجوده قد جاء من مؤثر له من القدرة على الابرار والايجاد ومن العلم والحكمة والتدبير ما تشهد به آثاره وينطق به إحكام صعته وهنا يجد المرء نفسه مضطراً إلى الاذعان والاعتراف بأن لهذا الوجود خالقاً أبرزه بعد أن أحكم تدبيره واختار له أدق الانظمة وأدع الكالات التي تناسبه عن علم واسع الاحاطة وإرادة كاملة. هذا طريق واضح المسالك نير الاعلام لا تجد النفس حيرة إذا سلكته ولا تعترضها عقبة بتعذر أو يتعسر اجتيازها ولكن النفس البشرية واسعة المجال في التفكير لا تترك فرضاً محتملاً الا بطرت فيه حتى تجد ما يصدها عنه ويرجمها إلى النهج القويم والطريقة المثلى. وإن لكل فئة من الناس مسلماً في التفكير يخضع لما يحيط بها ويعلم على مشاعرها فيها المعوج ومنها المستقيم. لذلك كان العقل الشرعي على ما فيه من هذا الشعور العام الذي شرحناه مختلف المشارب في تحديد وفهم معنى الخالق الذي يشعر به ولا يراه ولكنه مهما اختلف فانه يغلب عليه مبدأ واحد وهو ارجاعه هذه القوة العظمى إلى أعظم وأقوى ما يقع عليه حسه ومشاهدته خصوصاً منه للحس الذي كان أول معد لمداركه فترى فئة تشمل هذه القوة في الكواكب وفئة تزعمها في حيوان هو أقوى أو أعظم أو أرفع ما رأت، وفئة تنصب لها تماثلاً من صنع يدها تتمثل فيه جلالها والكل يحاول أمراً واحداً هو أن يقرب إلى فهمه تلك القوة التي يدعس لها الاذعان الخفي فهو يحاول رؤيتها ولمسها لتطمئن نفسه من حمرتها. وترى من الناس فريقاً يقول: إن هذه القوة التي نشأ عنها هذا الكون ليست سوى استعدادات كامنة في مادة الاشياء التي لا تنفى ولا تنعدم وقد نسى الفريق الاول ما في تلك الكائنات التي طنها المثل الاعلى في القوة من مظاهر النقص ودلائل الحدوث وعلامات الحدوث وعلامات الاحتياج والتعرض للعناء وذهل الفريق الثاني عن أن المادة التي دعمها مركز القوة لا شعور لها ولا إدراك حتى تنظم وتحكم ولا قدرة لها حتى تؤثر وتضع فهي منفصلة متأثرة دائماً أبداً لا فاعلة ولا مؤثرة ثم هي متشابهة الاجزاء في أصلها قابلة لكل صورة تفاض عليها فلا بد لهذا التقسيم والتصوير من ميسم ذي سلطان قوي واسع وحكمة بالغة وقد قدما لك أن العقل لا يقبل أن يكون الصنع المتقن نتيجة المصادفة التي لم تسبق بعلم ولا تدبير هذا اذا نظرنا الى الاشياء التي شاهدها حدوثها بعد عدمها، فاذا انتقلنا الى الاشياء التي لم نشاهد حدوثها كالكواكب والافلاك والمادة التي قالوا فيها : انها لا تنفى ولا تنعدم على ما زعموا.

نجدها تشارك تلك الاشياء التي شوهد حدوثها في دليل الحدوث ذلك أنها متخيرة في احيائها
تنقل منها الى احيار أخرى بحركة متتالية، والحركة لا شك في حدوثها فهي وضع مسوق
بوصح آخر، والاضاع التي كل واحد منها حادث هي حادثة بالضرورة، وإذا كانت تلك
الكائنات متلثة دائما بحركة حادثة مسبقة بالعدم ولا يمكن أن تخلو عن الحادث المسبق
بالعدم فهي مسبقة بالعدم البتة فهي حادثة ضرورة، وإذا فرص أن شيئا منها ساكن أي
مختص بحيز لا يفارقه فإنه بلا شك قابل لأن يأخذ حيزا آخر ويتحرك اليه إذ لا فرق بين
حيز وحيز، وما أمكن زواله استحال أن يكون قديما فالكل حادث فلا بد له من موجد ليس
من جنس هذا العالم وليس كمثلته شيء.

وهناك طريق آخر لا نأس بالالمام به بانحار وهو يحتاج إلى مقدمة بسيطة اصطلاحا
على أن يدأوا بها هذه المباحث وهي أن العقل اذا نظر الى أي شيء يتصوره ويخطر
بأله ونسب الوجود اليه فإنه لا يعدو أن يكون واحدا من ثلاثة أشياء : الواجب والجائز
والمستحيل. فالواجب هو ما لا يقبل العدم في نظر العقل، والمستحيل ما لا يقبل الوجود
والجائز ما يصح عند العقل أن يوجد ويصح أن يعدم وقد يسمى الجائز بالممكن فيقال
الواجب ما كان وجوده مقتضى ذاته لازما لها لا يفتك عنها ولا يحتاج اليها في وجودها
الى غيرها، والمستحيل ما كان عدمه مقتضى ذاته كذلك. والممكن ما لا تقتضى ذاته وجودا
ولا عدما فهو اذا وجد فوجوده من غيره، واذا عدم فلان غيره لم يوجد. فاما المستحيل
فلا صلة له بالوجود ولا سبيل له اليه، واما الممكن فها هو دائره ونظم امكانه إما بتعاقب
الوجود والعدم عليه، وإما باحتياجه إلى حيز يحويه أو يتقل فيه والى قوة تحركه أو
تقبه والى ما يخصه بحدوده وسماياته واشكاله وأوصاعه، ولما كان الممكن لا وجود
له من ذاته وهو محتاج في وجوده الى غيره لفيض عليه الوجود وما يتبع الوجود من
كمال كان وجود تلك الممكنات دليلا على ان هناك موجودا لا يحتاج الى شيء وبحاجة
اليه كل شيء فوجوده من ذاته وهو يفيض الوجود على غيره وذلك هو واجب الوجود
وبه تنقطع سلسلة الاحتياج الشاملة لجميع الممكنات ويجب ان يكون من صفاته التي
المطلق عن كل شيء واستيفاء الكمال في جميع صفات الوجود فيجب أن يكون هو الحى
العليم القدير الحكيم

هذا وقد يخطر بالبال أن هذه البذة وما سبقها بذة فنية، وسياق الكلام في تقرير ان
هذا دين الفطرة، والفطرة امر عام لا يختص بأهل من وعلم فقول : نعم حق ما تقول وما جرتنا

ليها الا تتبع رغبات لبعض النفوس ونزوات للاهواء لنقضى عليها بلسانها ونزورها الى
 رسلها ورجعها الى فطرتها بيان أن ما تطوحت اليه وتورطت فيه طريق مسدود ومسلك
 لا يوصل وان الجادة المثلى هي في الرجوع الى أسط قضايا العقل وتأيد الشعور
 الصادق في النفس وضبطها عن الهوج والهرج وردها الى طريق ليس بدي عوج
 ذلك هو ما سلكه القرآن الكريم ودعا اليه النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم
 فقد دعا الناس الى الطر السليم بالفكر النير يقرب العبد ويصني المظلم ويحل المشكل
 وأرشده الى أدلة ناصحة وراهن قاطعة تضي السيل وتنشئ العليل لا يحتاج الباطر فيها
 الى التحير في صناعة عليية أو ثقافة أدبية بل يكفيه أن يكون من أهل العقل والتمييز
 هي كالشمس يستضي بها العالم والجاهل وكالهواء البقي ينتفع باستنشاقه السليم والمرضى
 وكالماء الزلال يروى كل غلة وكالدواء الشافي يبرى كل علة ، اذا سمعه السامع استمداد
 منه ، واذا تأمله الحكيم اهتدى بنوره هالت عنه كل شبهة واقذ من كل صلالة وحيرة
 مع سهولة فهم وقرب تناول . يزيده الشعور الصادق ويقرر الحق الواضح ويزيل
 الريب والريب حتى يبقى اليقين نضيا صافيا ، ولنسق لك بعض آيات الكتاب الكريم
 في ذلك قال تعالى (وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، وفي
 السماء رزقكم وما توعدون) (أفرايتكم ما تُمْنُونَ أَنْتُمْ تَخَذُونَ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ)
 لو كنتم تخلقونه لعلمت تركبه وتفصيل أجزائه ووظائف اعصانه ومسالك أعصابه بل
 لتحيرتم لتسلككم أبدع ما يكون ، أو على الأقل لتخيرتم ما تحبون من أن يكون العسل
 دكرا أو أنثى (أفرايتكم ما تَحْزَنُونَ أَنْتُمْ تَرْزَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الرَّاعُونَ) هل تعلمون
 كيفية امتصاصه غذاءه ومسالك الحياة وطرق النماء فيه (أولم يروا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى
 الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ)
 (أولم يروا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْتَازَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) (وفي الأرض قطع
 متجاورات وجنات من أغصاب وزرع ونخيل وصوان وغير صوان يسقى بماء
 واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل) وهل يوجد أدل على رد مزاعم الماديين
 مما اشتملت عليه هذه الآية على وضوح دلالتها وقرب تناولها للفهم وكذلك قوله جل شأنه
 (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَأَنْصَنَّا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا
 فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعُشْبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَغَايِكَ وَأَنْبَا
 مَنَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) ويقول في شرح اطوار خلق الانسان (وَأَمَّا خَلْقُنَا
 الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْقَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْقَةَ

عقبة خلقنا العفة مضمعة نفلنا المصنة عظاما فكسوا العظام لحام ثم أنشأناه خلقاً آخر
فتبارك الله أحسن الخالقين) فأى هدى وارشاد هو أصدق وأثبت مما تنزعه من قرارة
نفسك وتأخذه من متاول حسك ويحيط بك من كل نواحي وجودك ولقد أشار القرآن
الكريم الى أن هذا شعور كامن في النفس بقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله)
(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن حاققن العزيز العليم) ومن هنا ترى أن
الدعوة الى الشريعة جاءت من ناحية الشعور الصادق بفرزه وتهذيبه والوجدان السكامن بشيئه
ثم تشرحه وتوضحه ، وتقيم البراهين مما تعرفه النفس ويناله الحس ، ثم تزيل الشبهة وتبره عن
النقائص حتى يستقر الايمان في النفس وتذوق حلاوته ، ثم تدعو الى عبادة وتمجيد من
له العظمة والقدره ، وكل ذلك في آيات بيته وحجج واصله كان من حق العقل لولا
ما يحيط به من عوامل وظروف ويؤثر فيه من برعات ونزوات أن يبتدى إليها ببطرته
ويستجليها بقريحته ، فعلا كان ذلك لبعض من استقارت بصائرهم وصفت ضيائهم أما
العامة فهم بحاجة الى هاد منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويذكهم

افليس في هذا مقنع بأن الدين الاسلامي جاء في باب اثبات الخالق بما يوافق الفطرة
السلمه ويقرر ما يقتضيه النظر الصحيح ويهدى العقل اذا صل حتى تدعن النفس ويطعن
القلب (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) ولنعقب في
هذا المقال عند هذا الحد راجين أن نعرض في المقالات التالية إن شاء الله لبيان مسيره
الدين للفطرة في باقى مباحث العقائد لالهية ، وكذلك في باب النوات والسمعيات ثم في
العبادات والمعاملات ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع
عليم ، والله المستعان وهو ولى التوفيق

ابراهيم الجبالي

مدرس بقسم التخصص بالارهر

الملح والطرف

قال اباس بن معاوية : خرجت في سفر ومعى رجل من الاعراب . فلما كان في بعض
الماهل (١) لقيه ابن عم له . فتعانا . والى جانبها شيخ من الحى فقال لها الشيخ : انعماء عيشا (٢)
إن المعاتبة تمت التجبى (٣) . والتجنى يبعث المحاصمة . والمحاصمة تبعث العداوة . ولا خير في
شيء ثمرته العداوة . فقلت للشيخ : من أنت ؟ فقال انا ابن ثجرة الدهر . فقلت : ما افاذك الدهر ؟
قال : العلم به . قلت : فأيه احدى ؟ قال : أن يفنى المرء أحدوئته حسنة بعده .

(١) جمع سيل وعبر ماء نزرعا الايل (٢) دعاء لما يطيب الملة ورامتها (٣) نهر ال ان يدعى احداهما على الاخر تد لم يسله

السُّنَّةُ

حديثان كلاهما حكمة بالغة

الحديث الاول في الارشاد الى التعارف والائتلاف :

عن أبي أيوب^١ . رضى الله عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
لا يجزئُ للمسلم أن يجزُر أخاه فوق ثلاثٍ يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا .
وخيرهما الذي يبدأ بالسلام^(١)

خلق الله . جلت حكمته . الناس من جنس واحد . للتعارف لا للتساكر . وللتواصل
لا للتقاطع . وللإجتماع لا للافتراق . وللتعاون لا للتجادل — قال سبحانه : (يا أيها الناس
لما خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)
لهذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . أن الله سبحانه حرم علينا أن يجزُر
أحدنا أخاه المسلم فانه تربطه به رابطتان إحداهما رابطة الانسانية وثابتهما رابطة الدين
الاسلامية . التي لا تطاولها رابطة أخرى ولا تنأيهما صلة سواها .

حرم علينا ذلك المجر لما فيه من قطع الصلة بين المؤمنين . وتفكيك عروة الاسلام
الوثقى التي بينهم . وذلك مؤرد إلى ضعفهم وحدلهم . وتمطيل أحكام دينهم القويم .
وتمكن أعدائهم منهم وتسليطهم عليهم حتى يصبحوا ادلاء بعد العزة . فقراء بعد الغنى .
جهالاً بعد العلم . عبيداً بعد السيادة . ويصير دينهم الحنيف معطلا بعد معاده . معيياً بعد
سلامته وطهارته . مضطعة في أفواه أعدائه والجاهلين به والذين لا يألون به خبالاً . ولا سعيّاً
في طمسه ومحوه .

(يريدون أن يُطفئوا نور الله بأفواههم . ويأبى الله ألا أن يمتَّ نوره ولو كره

الكافرون)

(١) رواه البخارى ومسلم

زد على ذلك . الأضرار العديدة الدنيوية . من تمكن العداوة في نفوسهم ، ورسوخ العضاء في قلوبهم . حتى يحملهم ذلك على التشاحن والتطاحن . ويجر بعضهم بعضاً إلى القضاء حتى تكتظ بهم دياره . ويسأمهم الحكام والقضاة — واد ذلك تعطل مصالحهم ونكسد تجارتهم وتهلك مرادهم . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فشر صلى الله عليه وسلم الحجر فبيته أنه الإعراض عند الالتقاء . فيتولى كل منهما بروجه عن أخيه . ليشفيا بذلك أنفسهما . ويرضيان شياطينهما . وغلب عنهما أنه تمرق لشمائهما . وتطيع لأوصالهما . وإغصاب لرهما . واستنزال لمقته وسخطه .

بين هذا كما بين أن باب التوبة مفتوح . وأن الله الكريم العفو يقبل من رجع منها إليه . وأن أفضلهما عند الله وأقربهما إلى عفوه ورحمته . هو أسرعهما إلى التوبة والإجابة . والتسامح والمصافاة . والبدء بالتحية والسلام .

وصفوة هذا التعليم النبوي المطاع . إرشاد المؤمن أنه إذا غفل فخطأ وهفا . تذكر فأجاب وعفا (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) . فاستمع بعد هذا ما نقصه عليك . فإن فيه عظة وذكرى لقوم يفقهون — اختلف عائدان في مسألة . فلما اشتد الجدل بينهما . قال أحدهما للآخر : إني أعرف أنك كلك شر طول حياتك — فأجابه الآخر : وإني أعرف أنك كلك خير طول حياتك — فهت الذي اعتدي ولم يسمه إلا أن اعتذر . ثم تصالفا وتصافيا .

ذلك هو مصداق قول الله تعالى : (إُدْفِعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (١) .

أما الحجر فيما دون الثلاث فانه مغفور عنه لا محذور فيه — والحكمة الآلية البانفة في ذلك أن الأسار في اليوم الأول يسكن غصه . وفي الثاني يراجع نفسه . وفي الثالث يعتذر لأخيه . وما زاد على ذلك فانه يكون قطعا لرابطة الاخوة التي ربط الله تعالى بها المؤمنين . هدام الله وأصلح بهم . وأعز بهم دينهم ودنياهم .

الحديث الثاني في الارشاد الى شكر النعمة :

عن أبي هريرة رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنظروا إلى من هو أسفل منكم . ولا تنظروا إلى من هو فوقكم . فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم (٢)) .

(١) يعبر عنك كالصديق الغريب في محبة إذا هنت ذلك . (٢) رواه البخاري ومسلم .

هذا تعليم من تعاليم النبوة المحمدية . وتطبيب ناجع من طب الاسلام الحبيب .
عالج به النفوس لتتبه لنعم الله تعالى عليها . وتقدرها حق قدرها . وتؤدي ما وجب
عليها لله من شكرها . ليحفظ لها تلك النعم . ثم يتفضل عليها بزيادتها وتكثيرها . كما
وعد بذلك في قوله سبحانه : (لئن شكرتم لأزيدنكم)

أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . أن ننظر إلى من هو أسفل منا في أمور هذه
الحياة الدنيوية وشؤونها . ونها أن ننظر إلى من هو فوقنا فيها
أرشدنا إلى أن ننظر إلى المبتي بالاشقام . ثم ننقل منه إلى ما تفضل الله تعالى به
علينا من العافية التي هي أصل كل إنعام .

كذلك ننظر إلى من في خلقه تقصر كمي أو صمم أو تكلم . ثم ننقل إلى ما نحن
فيه من السلامة من تلك العاهات التي هي بحكمة النعم والهم .
وكذلك ننظر إلى من اتلى بالعقر المدقع . أو بالدئين المدبل لأعناق الرجال ثم
للتفت إلى نجائنا منها .

على أنه ما من مبتلى بشئ مما في هذه الحياة الا وهناك من هو أعظم منه بلاء وعناء .
فإذا نظر الانسان اليه كان له فيه سلوة وعطمة . ووجب عليه أن يسارع إلى شكر الله
تعالى على ما أنعم به عليه وتفضل .

أما من كان فوقه في الدين والعلم الصحيح والفضل وعمرك الصالحات . فأن النظر اليه
مطلوب ومحجوب لأنه يعلم به أنه من المفرطين . اذ لولا تفریطه لكان مثله أو أعظم منه
وصفة هذه الحكمة النبوية البالغة أن ننظر المرء إلى من هو دونه في الأحوال
الدنيوية . يجلب له السرور والاعتباط بما هو فيه . ويوقظه لشكر الله على نعمه التي
أسبغها عليه — وأن النظر الى من هو أعلى منه في الخير والطاعات . يحمله على الحياء من الله
عز وجل . ويثمنه به إلى المسارعة والمبادرة في عمل الصالحات . وفنون البر على اختلافها
وكثرتها — قال الله تعالى :

(لئلا هذا فليعمل العاملون) (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)

من منصور

وكيل دارالعلوم العليا



اصول الفقه

الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان

يقع في وم من لا يدري ما الاسلام أن شريعته لاتوافق حال العصر الحاضر ، ويبني تومعه هذا على أن القوانين إنما تقوم على رعاية المصالح ، ومصالح العصور تختلف اختلافا كثيرا ، فالدعوة الى بقاء أحكامها نافذة هي في نظره دعوة الى حطة غير صالحة ذلك ما نقصد في هذا المقال الى تعنيده وتفصيل القول في دفع شبهته ، حتى يثبت بالدليل المرأى رأى العين أن الشريعة العرا تسار كل عصر ، وتحفظ مصالح كل جيل ولما كان التشريع الاسلامى يعتمد في معظم أحكامه على الاجتهاد استدعى البحث أن نصدره بكلمة في الاجتهاد ، وفي هذه الكلمة نرى شيئا من عظمة علماء الشريعة ، ولا أخالك إلا أن تقرأ البحث بدقة فلا تأتى على آخره حتى تشهد بأهم كانوا هداة مصلحين . وأخذ بعد بحث الاجتهاد في تقرير الاصول التي جعلت الشريعة تسع مقتضيات العصور على اختلافها ، وتقوم بحاجات الشعوب على تباعد ما بينها ، ونسوق لك الشواهد على هذا من عمل القضاة ورجال الفتوى حتى لا يبقى في صدرك حرج من مزاعم أولئك الذين يكتنون أو يخطبون فيما لا يعلمون

(الاجتهاد في أحكام الشريعة)

شريعة الاسلام عامة فلا يختص بها قليل من البشر دون قليل ، ودائمة فلا يختص بها جيل دون جيل ، وأفعال البشر على اختلاف أجاسهم وتعاقب عصورهم لاتنتهى الى حد ، ولا تدخل تحت حصر ، ومن أجل هذا لم تنزل أحكامها في نسق واحد من التفصيل والبيان ، بل أرشدت الشريعة الى بعضها بدلائل خاصة ، وقررت بقيتها في أصول كلية ليستنبطها الذين اتوا العلم عند الحاجة اليها

يمكن العالم من استنباط الاحكام بمعرفة أمور

(أحدهما) الأدلة السمعية التي تنتزع منها القواعد والاحكام

(ثانيهما) وجود دلالة اللفظ المعتمد بها في لسان العرب واستعمال البلغاء ويرجع النظر في الأدلة السمعية الى الكتاب والسنة والاجماع ، ويتصل بهذه الأدلة أصول احتللت فيها انظار الأئمة ، كمذهب الصحابي ، وعمل أهل المدينة ، وشرع من قبلنا الذي لم يرد في شريعتنا ما يفسحه ، فان الأحاذ بهذه الأصول يرجع الى التمسك بدليل منقول لا يدخل فيه العقل الاعلى وجه التفهم كما يدخل في غيره منصوص الكتاب والسنة ويرجع النظر في وجوه الدلالات الى دلالة المنطوق ، ودلالة بالمعوم ، ودلالة بالمعقول ومن متناول دلالة المعقول ذلك الاصل الكبير الذي يسمونه القياس ، ويضارع القياس في هذه الدلالة أنواع جرى فيها الخلاف بين أهل العلم ، مثل الاستصحاب ، والمصالح المرسلة ، ومراعاة العرف ، وسد الذرائع

ثم إن الأدلة قد تتزاحم في نظر المجتهد ويرأها واردة على قضية واحدة ، وكل منها يقتضي من الحكم غير ما يقتضيه الآخر ، فيحتاج الى أن ينقب عن الوجوه التي يترجح بها جانب أحدها ليعتمد عليه في تقرير الحكم

فدخل في الاركان التي يقوم عليها الاجتهاد القدرة على الموازنة بين الأدلة وترجيح أقواها على ما هو دونه عند تعارضها ، فمن كان على بصيرة من الأدلة السمعية ووجوه دلائلها وطرق الترجيح بين الأدلة عند تعارضها ، فقد قضى على زمام الاستنباط ، واستعد لأن يجلس على منصة الاجتهاد

فالاكتفاء بذلك الفقيه الواسع لاستخراج الأحكام العملية من أدلتها التمهيدية

شروط الاجتهاد

قلنا إن الاجتهاد يدور على معرفة الأدلة السمعية ، ووجوه دلائلها ، وطرق الترجيح عند تعارضها

أما معرفة الأدلة السمعية فتتحقق بمعرفة الكتاب والسنة والأحكام المشتركة بينهما كالعلم بالناسخ والمنسوخ والأحكام الخاصة بالكتاب ، كالعلم بوجوه القرآت والأحكام الخاصة بالسنة كالعلم بأصول الحديث وأحوال الرواة .

وأما معرفة وجوه الدلالات فتتحقق بالفرق بين المنطوق والمعوم ، والمجمل والمبين والصريح والظاهر ، والعام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والحقيقة والمجاز ، والحكم والمنشأ ،

والصریح والكنایة ، والمعانی التي يدل عليها الكلام بنفسه ، والمعانی التي يراعيها البلغاء ، ويسميا علماء البيان بمستبغات التراكيب

فمن شروط الاجتهاد العلم باللغة والحس والمعاني والبيان ، ومحل القول أن يكون عارفا باللسان العربي ووجوه تصرفات أفعاله ومعانيه معرفة ترفعه بين علماء اللغة وبلغائها مكابا عاليا .

أما طرق الترجيح فنها ما يعرف بالطرق في علوم الشريعة كتقديم ما يتلى في الكتاب الكريم على ما يروى على أنه حديث ، ومنها ما يعرف بالبحث عن حال الراوية كتقديم ما يرويه البخاري على ما يرويه غيره ، ومنها ما يعرف بالنظر في علوم اللغة كتقديم النص على الظاهر والمنطوق على المفهوم

الكتاب :

ذكرنا في شروط الاجتهاد العلم بالقرآن الكريم ولا سيما آيات الاحكام التي قدرها العزالي وابن العربي بخمسمائة آية . واقتصرنا في تقديرها على هذا العدد لانهم رأوا مقاتل ابن سليمان وهو أول من أورد آيات الاحكام في تصنيف - قد جعلها خمسمائة آية ، وقد نازعهم ابن دقيق العيد في هذا التقدير ، وقال مقدار آيات الاحكام لا ينحصر في هذا العدد ، بل هو يختلف باختلاف القرائح والاذهان ، وما يفتح الله من وجوه الاستنباط . والراسخ في علوم الشريعة يعرف أن من أصولها أو أحكامها ما يؤخذ من موارد متعددة حتى الآيات الواردة في القصص والأمثال .

وقد عني طائفة من العلماء بآيات الاحكام بعد مقاتل فألفوا في تفسيرها خاصة كما فعل منذر بن سعيد البلوطي قاضي قرطبة المتوفي سنة ٣٥٥ وأبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص المتوفي سنة ٣٧٠ وأبو بكر بن العربي المتوفي سنة ٤٦٨ وعد المنعم بن محمد المعروف بابن الفرس المتوفي سنة ٥٩٩

السنة :

أوردنا في شروط الاجتهاد العلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد اختلف أهل العلم في القدر الذي فيه كفاية ، فقال أبو بكر بن العربي في كتاب المحصول : هي ثلاثة آلاف حديث ، ونقل عن أحمد بن حنبل أن الأصول التي يدور عليها العلم ينبغي أن

تكون ألفا وماثمين ويذهب ابن القيم الى أن الأصول التي تدور عليها الأحكام خمسمائة حديث ، وهي مفصلة في نحو أربعة آلاف حديث

والحق في جانب من يقول . إنه لا يبحق الاجتهاد الا لمن كان عالما بما اشتملت عليه جميع السنة كالأهيات الست وما يلحق بها من الكتب التي التزم مصنفوها الصحة فيما يرون ، إذ من المحتمل أن يوجد فيها ما يدل على الحكم صراحة ويأتي الاستساق بما يخالفها ، وكان أهل العلم فيما سلف انما يرجعون بالواقعة الى الاستنباط بعد أن يبحثوا جهد استطاعتهم فلا يظفروا بآية أو سنة تنص على حكمها . في كتاب القصص لأبي عبيد ان ابا بكر الصديق كان اذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله تعالى فان وجد فيه ما يقضى به قضى به ، وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان وجد فيها ما يقضى به قضى به ، فان أعياه ذلك سأل الناس هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فيه قضاء ؟ فربما قام اليه القوم فيقولون قضى فيه بكذا وكذا ، فان لم يجد سنة منها النبي صلى الله عليه وسلم جمع رؤساء الناس فاستشارهم ، فاذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به ، وكان عمر يفعل ذلك .

والحديث الذي يرويه أحد الأئمة ويصله بما ينبي عن صحته ، يسوغ للعقبة متى عرف مذهب الراوى في التعديل أن يعتمد على تصحيحه ، ومن هذا القليل ما يرويه البخاري ومسلم في صحيحيهما . وأما ما يروى في الكتب التي لا تخلو من الضعيف ، فلا بدله من النظر في سند الحديث والبحث عن سيرة من يحمل حاله حتى يكون على بينة من أمره

علوم اللغة العربية

أخذنا في شروط المجتهد أن يكون قائما على علوم اللغة العربية ، بحيث يلعب في فهم الكلام العربي مبلغ العرب الناشئين في الجاهلية أو في صدر الاسلام . قال ابو اسحاق الشاطبي : لا غنى للمجتهد في الشريعة عن بلوغ درجة الاجتهاد في كلام العرب بحيث يصير فهم خطيبها طبعيا غير متكلف .

وقد يقع في خاطرك أن شرط الاجتهاد في اللسان العربي يجعل رتبة الاجتهاد في الشريعة بمنزلة المتعذر ، فانه يقتضى أن يسلك العقبة في البحث عن معاني الالفاظ وأحكامها ووجوه بلاغتها الطرق التي سلكها أئمة تلك العلوم ، ولا يكفيه أن يأخذ من القاموس أن الكاح مثلا يطلق على الوطء والعقد ، ومن كتاب سيويه أن الحفظ يكون للجوار . ومن دلائل الاعجاز أن تقديم المعمول أو تعريف المسند يفيد القصر ، حتى يتبع كلام

العرب بنفسه ، ويقف على صحة إطلاق النكاح على الوطء والعقد ، ويظهر بشواهد كثيرة يحقق بها قاعدة الحفظ بالجوار . وشواهد أخرى يعلم بها أن تقديم المعمول أو تعريف الطرفين يفيد الحصر ، وتكليفه بأن يبلغ في علوم اللغة هذه العاية يشبه التكليف بما لا تسعه الطاقة وجواب هذا :

ان المجتهد في الشريعة لا بد له من أن يرسخ في علوم اللغة رسوخ البالغين درجة الاجتهاد ، وله أن يرجع في أحكام الالفاظ ومعانيها الى رواية الثقة وما يقوله الأئمة ، وإذا وقع نزاع في معنى أو حكم توقف عليه فهم نص شرعى تعين عليه حيثئذ بذل الوسع في معرفة الحق بين ذلك الاختلاف ، ولا يسوغ له أن يعمل على أحد المذاهب الحوية أو اليبانية في تقرير حكم إلا أن يتبين له رجحانه بدليل فالجتهد في أحكام الشريعة وان ساغ له التقليد في العلوم التي هي وسائل الاستنباط يجب عليه أن يكون في معرفتها بمكانة سامية ، حتى اذا جرى اختلاف في رتبة حديث أو قاعدة عرية احتاج الى تطبيقها ، جرد نظره لاجتلاء الحقيقة دون أن يقف وقفة الحائر أو يتمسك بأحد الآراء على غير بينة .

أصول الفقه

مسائل علم الأصول مما ما يستمد من النظر في الكتاب والسنة ، ومنها ما يستمد من النظر في علوم اللغة العربية فيمكن من تضياع من موارد الشريعة . ورسخ في فهم لسان العرب أن يدرك هذه الأصول بنفسه كما أدركها الأئمة الذين نهضوا بالاجتهاد قبل أن يدون علم الأصول ، ولكن الوصول إلى مسائل الأصول وهي مدونة أسهل على الطالب من أن يدل جهده في استقرائها ويرسل فكره في اقتناصها ، ناهئاً عنها في أبواب متفرقة ، وموارد متشعبة ، وعلى أي حال كان طالب الاجتهاد في الأحكام لا يستقيم له هذا المنصب إلا أن يطر في الأصول نظر الناحث المستقل بحيث لا يبنى في الاستنباط على الاستصحاب أو سد الدرائع مثلاً ، ولا يقرر الحكم اعتياداً على عمل أهل المدينة أو مذهب الصحابي ، متابعة لمن يقول بحجتها ، فالاجتهاد في الأصول عملة الأساس للاجتهاد في الأحكام ، فلا يدخل في قبيل المجتهد المطلق من يبنى في تقرير الأحكام على أصول قررهما إمامه وتلقاها منه بتقليد .

فالخلق مع من لم يرض لدعى الاجتهاد إلا أن يرسخ في أصول الفقه ويبحث مسائله بنظر قائم بنفسه ، حتى لا يعتمد في الاستنباط إلا على أصل رأى كيف تشهد به البيئة وتقوم عليه الحجة

الفقه:

يظهر في بادىء الرأى أن ليس من شروط الاجتهاد المطلق معرفة الاحكام التى استنبطها الفقهاء من دلائل الشريعة ، ذلك لأنها صادرة عن اجتهاد ، فيجب أن يكون الاجتهاد متقدما عليها في الوجود ، فهو مستقل عنها ، وجائز أن يتحقق بدونها ، ولو قدرنا ناشئا درس علوم اللغة حتى أصبح في ذوقه وفهمه لدقائق العربية كالعربي الخالص ، ثم أقبل على الفقه في الكتاب والسنة حتى عرف مقاصد الشريعة لا يمكنه استنباط الاحكام من دلائلها كما استنبطها العلماء من قبل أن تدون المذاهب والآراء . والتحقق أن معرفة المذاهب ودرس أحكام الفقه مربوطه بأصولها مما يحطو بالعالم في سبيل الاجتهاد خطوات سريعة لولا دراسة الفقه على هذا الوجه لا تنفق في بلوغها مجهوداً كبيراً وزمناً طويلاً . ثم إنه يأمن العثار والخطأ في الفتوى أكثر مما اذا لم يدرس أقوال الأئمة من قبله ، وهذا ما يراه طائفة من الاصوليين كأبي حامد الغزالي إذ قال : « إنما يحصل الاجتهاد في زماننا بممارسة الفقه فهو طريق تحصيل الدربة في هذا الزمان ».

وهذا يحمل ما نقل عن السلف من حث الفقهاء على معرفة اختلاف أهل العلم من قبلهم ، قال هشام بن عداة الرازي : من لم يعرف اختلاف الفقهاء فليس بمفقه ، وقال عطاء : لا ينبغي لأحد أن يعي الناس حتى يكون عالماً باختلاف الناس ، فانه إن لم يكن كذلك رد من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه ، وقال سفيان بن عيينة : أجراً الناس على الفتوى أقلهم علماً باختلاف العلماء ، وقال سعيد بن أبي عروبة . من لم يسمع الاختلاف فلا تعده عالماً .

ولا يقصدون بهذا حفظ مجرد الخلاف ، بل القصد أن يعرف أقوال السلف ومداركها
مواقع الاجماع :

يذكر الاصوليون في شرط المجتهد أن يكون عارفاً بمواقع الاجماع ، وهذا في الواقع شرط لصحة الاجتهاد بالفعل ، وليس بشرط في بلوغ رتبة الاجتهاد ، وإنما أحدوا هذا شرطاً لصحته لئلا يقرر الفقيه حكماً يخرج به عن الاجماع ، إذ كل فتوى يخرق بها صاحبها الاجماع هي في نظر أئمة الدين باطلة ، وقد خفف الامام الغزالي في هذا الشرط فقال : ليس من واجبه أن يحفظ المسائل التي وقع عليها الاجماع ، فالواقعة التي علم أنها كانت موضع اختلاف ، والحادثة التي يعرف من حالها أنها وليدة عصره ولم يقع لها

مثيل في العصور المتقدمة ، له أن يجتهد ويفتي فيها بما قام الدليل على رجحانه وإن لم يكن ملماً بالمسائل التي انعقد عليها الإجماع .

فإن وقعت الواقعة ولم يكن قد بلغه أنه جرى فيها اختلاف ، ولم يتق بأهأ وليدة عصره ، بحث ما استطاع ، فإن لم يقف على أهأ مسألة يجمع عليها ، تناولها بالاجتهاد وفصل لها حكماً مطابقاً القياس :

هل يعد في شروط المجتهد أن يكون ممن يقول باصل القياس ؟
هذا ما يراه أبو اسحاق الاسفرائيني وعزا الى الجمهور أنهم قالوا : ان نعاة القياس لا يبلغون درجة الاجتهاد ، وأخذ به امام الحرمين وقال : علماء الشافعية لا يقيمون لأهل الظاهر وزناً ومن أهل العلم من لم يتمسك بهذا الشرط وعدّ الظاهري الذي تحققت فيه الشروط الآتية في قبيل أهل الاجتهاد ، ويبني على هذا أن يكون خلاصهم معتداً به ، فلا إجماع فيما خالفوا فيه من الاحكام ، وهذا ما ذكر الاستاذ أبو مصور البغدادي أنه الصحيح من مذهب الشافعية ، وقال ابن الصلاح إنه الذي استقر عليه الأمر

وستنوق في مقام آخر الأدلة على أن القياس أصل من أصول الشريعة الفراء
العدالة والاستقامة :

ليست العدالة شرطاً لتحقيق وصف الاجتهاد في نفسه ، وإنما هي شرط في قبول فتوى المجتهد ، إذ الفتوى من قبيل الاخيار ، والفس لا تركز الى حبر العاسق ، ومن يعمل سوءاً يسمل عليه أن يقول زوراً ، والفتوى هي التي تحمل المجتهد على التروى في تفصيل الحكم ، فلا يافظ بالفتوى إلا بعد النظر في الواقعة وما يترتب عليها من مصالح أو مفاسد ، ثم يعود الى قواعد الشريعة ويفصل لها حكماً يطابقها ، قال مالك ابن أنس : ربما وردت على المسألة فتنعى من الطعام والشراب والدم ، فقيل له : يا أبا عبد الله ! والله ما كلامك عند الناس إلا نقر في حجر ، ما تقول شيئاً إلا تلقوه منك ، قال فمن أحق أن يكون هكذا إلا من كان هكذا ، وقال : ربما وردت على المسألة فأفكر فيها ليالى وكان اذا سئل عن المسألة يقول للسائل : انصرف حتى انظر فيها ، فينصرف السائل ويجعل مالك يردد النظر في المسألة ، فقيل له في ذلك ، فقال : إني أخاف أن يكون لي من المسائل يوم وأى يوم ! وكذلك كان السلف من الصحابة والتابعين ، يكرهون التسرع في الفتوى ، ويود كل واحد منهم أن يكون غيره قد كفاه أمرها ، حتى اذا رآها قد تعينت عليه بذل جهده في تعرف حكمها ثم أفتى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نبوته صلى الله عليه وسلم

الكلام في النبوة في مقامين :

• المقام الأول •

امكان النبوة وتصوير كيفية الوحي وأنه لا يعد فيه وبيان انهم الآن في أورية اصبحوا
يعترفون به أو بما هو من جنسه

• المقام الثاني •

ثبوت نبوته (صلى الله عليه وسلم) بالبراهين القاطعة .

(امكان النبوة)

تعلم أن في كل شيء من الاشياء وصنعة من الصنائع وعلم من العلوم وحلق من
الاخلاق مثلاً أعلى ، لأن الناس في كل ذلك متفاوتون وليس هناك تفاوت يشبه تفاوت
أفراد نوع الانسان حتى أن من في الدرجة الدنيا يجمل علوم من في الدرجة العليا
تمام الجهل فلا يعرف ذلك إلا بالتوقيف . وربما كان البعد بينهما شاسعاً فلا يعرفه
بالتوقيف أيضاً ، وإذا كان ذلك معقولا في العلوم والصنائع والسياسات فهو في باب الفضائل
والكالات وطهارة النفوس وعلو الفطرة ورفعة الاستعداد أوضح وأظهر حتى أنك لتجد
في هذا النوع الرجل النبي الذي لا يفرق بين الحق والباطل ولا يكاد يعرف الضار من
النافع ولا المهلك من المنجي ، أو تجده شريراً قد تنهى شره فلا يلذ له إلا النقائص
والموبقات وهؤلاء الشريرون هم عقارب نوع الانسان ، ومنهم من يتفدح في نفسه الامور
على غير وجهها ولا يكاد يحكم فيها حكماً صحيحاً ، ومنهم الدكي الذي يظفر في الأمر نظرة
صادقة فيعرف بواطنه وحقاياه ويعلم ما سيكون له من أثر وما يترتب عليه من غاية ويتفكر
فلا تخفى فراسته وكأنه يرى من وراء حجب الغيب ما قد خفى على غيره كما قيل

الاعمى الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعاً

فهذا هو المحدث والملمهم أو الدكي والأولى أن تقول هو الطاهر النفس الصافي الدهن

الرفيع الاستعداد القوى الحدس ، فهذه الصفة أو الميزة أو الدرجة التي تعرفونها في بعض الناس قد تترقى حتى يكون صاحبها مستعداً للتلقى من الملائكة الأعلى ، وأهل أوربة لا ينكرون الأخذ عن الأرواح الآن (وستفيض القول في ذلك بعد) فمثل هذا باستعداده الشريف يكاد يعرف جليلة الأمر قبل أن ينزل عليه الوحي فنفسه الطاهرة كشجرة مباركة يكاد زيتها يضيء ولولم تمسه نار فإذا جاءه الوحي كان نوراً على نور والوحي لا ينزل الا على صاحب الاستعداد الرفيع الذي يحب الفضائل جاحداً ويبغض النقائص بعضاً شديداً لأنه يابها وتباينه قتره يمقت الظلم والشرك والفساد ويكرهها كراهة ذاتية ، وبالاختصار يحب الحق كما بالغا من اعماق قلبه ويكره الباطل كرها يلعبا من اعماق قلبه كذلك . فمذله ذاتي وشفقته على خلق الله ذاتية ومحته لمكارم الاخلاق ذاتية ومعرفته بالله أحده بكل قلبه ومستولية على جميع مشاعره لا يشغله عن ذلك شيء ولا يحالجه فيه شك ولا وهم ولا يعتريه إهمام ولا تردد ولو انقردت سالفته (١) فليس كل انسان صالحاً للرسالة ولا مستعداً للنسوة وانما المستعد لها هو الفرد الكامل والمثل الاعلى من ذلك النوع كما قال عز وجل (الله أعلم حيث يجعل رسالته)

أما الوحي الذي يجعله كثير من الناس أو لا يكاد يصدق به لعدم تصوره إياه حتى قال لي بعض الكبراء : لو انحلت مشكلة الوحي لزال عقات كثيرة تعترضنا في سبيل التصديق بالنسوة فانه لا يمكننا أو لا يمكن اناء هذا المصير الحاصر أن يصدقوا بما لم يفهموا . نقول أما الوحي الذي بلغ من الصعوبة في بعض العقول هذا المبلغ فأمره واضح الا بعد من يقف مع ما ألف ولا يؤمن إلا بما عرف فأل الوحي عبارة عن اللقاء الملك في الرؤوع (٢) شيئاً من الاشياء . ومن ذا ينكر الإلهام الذي يقع في القلوب المستعدة بغير نظر وفكر في كل الطبقات من أفراد هذا النوع حتى الطبقات الدنيا منها فيما هو مستعد له ، فضلاً عن العلماء ، وقد اثبت ذلك المناطقة وسموه حدساً ، وقالوا إن الحدس ليس فيه ترتيب أمور معلومة ليتوصل بها إلى أمر مجهول كما هو شأن النظريات ، ثم يقول من ذا الذي يجعل المعارف الانسانية كلها قصراً على ما ينتجه الفكر والنظر بعد ما أثبت علماء التنويم المعنطيسي بالدلة المحسوسة التي يمكن كل انسان أن يشاهدها أن المنوم بعد أن يبطل

(١) السالفة أعلى المدن أو سمعته وهما سالفان وكذا يسمونها عن المراث لا لا تنفرد بها إياها الا بالمراث والحدس

(لا تالظهم على أمرى حتى تنفرد سالفى)

(٢) الرؤوع القلب

حسه وتتخدر اعصابه تخدراً تاماً فلا يمكنه أن ينظر أو يفكر حتى أنه لا يسمع أصوات المدافع ولا يتأثر بشيء من الأشياء، يأتي في هذا الحال بما لا يصل إليه فكر ولا نظر وقد أصبح الجدال في ذلك جدالاً في المحسوس ولا حاجة للاطالة فيه والاستدلال عليه بل نقول : من ذا الذي ينكر الرؤيا الصادقة وقد وجدت في كل أمة وأثبتها علماء كل ملة بعد التجربة والمعاينة ، والمقام لا يحتمل كثرة الاستشهاد وليس غرضنا في هذه العجالة أن نلم بكل ما يتطلبه الموضوع في كل نقطة من نقطه فان ذلك يحتاج إلى مقالات عديدة ولعلنا نوفيها حقها على ما يحب وتحب ان شاء الله ، على أن من لا ينفعه اقليل لا يفيد الكثير ولا نأس أن نقول للمؤمنين بالقرآن إن سورة يوسف فيها من الرؤيا الصادقة (رؤيا يوسف عليه السلام ورؤيا الملك) وإن شئت فقل رؤيا صاحي السجن ، وعلماء الأرواح الآن يثبتون ما هو أكثر من هذا (وإن شئت افردنا ذلك بمقال صاف) أما الملك الذي يرل بالوحي ويكلم الأرواح فلا معنى لامكاره والحكم بعدم وجوده فان الحق في ذلك الاسكار انما هو كون العلم يشته (كما يقولون) وهل كل ما لم يصل إليه العلم غير موجود (اللهم إن العلم يكذب ذلك) فقد كما يحل الميكروبات منذ زمان قريب أفكان جعلها بها موجبا لعدم وجودها ، أم كانت موجودة في الواقع على الرغم من هذا الجهل ، وأي معنى للبحث والسقيب الذي يتقدم به العلم يوما بيوم اذا كان لا أمر على ما طموا

ومن ذلك الجاهل الذي يزعم أنه أحاط بكل العوالم وعرف ما في الوجود . ألم يقرر العلماء والفلاسفة أن عدم الدليل ليس دليلا على عدم المدلول ، على أن علماء الاسبريزم (استحضار الارواح) الذين اشتعلوا بالناسائل الروحية أثبتوا بالمشاهدات المتكررة والحوادث المتواترة أن هناك عالما وراء عالم الطبيعة قد خرق لهم كل حواصم المادة وما قرروه من ذلك وقد أصبح ذلك عندهم لمس اليد ورأى العين (وستعرف أن علم الطبيعة رى بما نسوه اليه وافسروه عليه) وسدين أن له دائرة خاصة لا يتعداها وانه هو نفسه يكذب هؤلاء المتصيقين الجاهلين . فاذا كان ذلك معقولا بل محسوسا في غير الانبياء فما بالك بالانبياء وهم المثل الأعلى لذلك اسوع

هذا وقد ذكر علماءنا للوحي كفيات كثيرة ولكن تقتصر منها على كفتين ذكرهما الحديث الصحيح الذي رواه الامام البخارى ، وهما في غاية الوضوح لكل من يريد الحق لا التعصب والعتاد . أحدهما أن يرتفع النبي (صلى الله عليه وسلم) عن المستوى البشري الى

المستوى الملكي (وروحه الشريفة مستعدة لذلك تمام الاستعداد فان علاقتها بالملك الاعلى أكثر وأنهم من علاقتها بعالم المحسوسات) والروح في أصل خلقها مناسبة لخلقها الملك وربما كانت ارفع منه قدرا وأعظم منه سرا والملك إذا كان يكون على حاله الملكية ولكن يصح أن يراه الرسول وهو على هذا الحال لأنه إنما ينظر اليه ببصر الروح عند تجرده عن العواشي البدنية ومفارقته للعوالم المادية ، وأما جلساؤه فلا يرونه لأنهم لم يتجردوا من ملابسهم الطبيعية ومحيطاتهم الكونية ويقرب هذا بعض التقريب ما نشاهده من أحوال المنوم ترويحاً معاطيسياً فإنه يرى ما لا يراه الحاصرون لأن السلطان فيه للروح هو يرى بحواسها لا بحواس البدن ، وأما حاضروه فالمستولى عليهم هو سلطان الجسم لاسلطان الروح ، ونقربه من وجه آخر فقول : لا بدع في تغيير الاحكام بتغير الأنطوار والاحوال حتى تصل إلى حد التباين فان الثلج اذا كان جامداً كان له حكم الجامدات فاذا اذابه بقليل من الحرارة كان له حكم السوائل فاذا صيرناه غازا كان له حكم الغازات . وإذا فاما الذي يستنكر من تغير الاحكام بتغير الاحوال ويكفي هذا لمن انصف ولم يتعسف .

أما الكيفية الثانية للوحي فهي أن ينزل الملك من سماء الملكية الى أرض البشرية فيتمثل رجلاً فيكلم النبي بلسان الاشباح لا بلسان الأرواح ، وفي هذه الحال يراه كل من حضر ويكون النبي على حاله العادية وصفاته الشريفة (كما في حديث الاسلام والائمان والأحسان)^(١)

وقد أعطى الملك القدرة على هذا التمثيل ولا معنى لأن تنكر ذلك قياساً على ما تعلمه من نفسك فانك لا تعرف إلا أحكام عالمك ، ومن الغلط البين أو الجهل الشائن أن تحكم بأحكام عالم على عالم آخر . ويحسن بنا أن يقتصر اليوم من هذا المقام على ما ذكرناه لننتقل للمقام الثاني

« ثبوت النبوة »

لنا في اثبات النبوة طرق كثيرة وهي في اجمالها ترجع الى ثلاثة أشياء

- ١ — ما جاء عنه (صلى الله عليه وسلم) من المعجزات
- ٢ — النظر في حياته عليه السلام ودراسة سيرته الشريفة وآثاره الجليلة

(١) حصل ذلك الحديث أن سيدنا جبريل جاء بصورة امرأة تجلس أمام النبي (صلى الله عليه وسلم) سأله عن الاسلام والائمان والأحسان وعن الساعة وآمارتها فاجابه عن كل ذلك

٣- القرآن

وكل واحد من هذه الطرق الثلاثة مترامي الاطراف بعيد الاكتناف يحتاج الى عدة مقالات ولكن رأينا أن نمر بك اليوم على جميعها لتحيط خيرا باجمالها وماسح القول فيها

المعجزات

ان المعجزات ثابتة بالتواتر وان لم يعرفها الجاهلون أو لم يعترف بها المنحدون وقد تعلم أن أرباب كل فن وصنعة قد يكون عندهم من الأمور المتفق عليها فيما بينهم والتي لا يمكن الشك فيها وقد التفتت عنهم بالبدعيات ما لا يعرفه غيرهم، وقد تعرف الأمة من أحوال بعض رجالها ما يحمله سواها . وقد يحذف بالرجل أو الخبر قرائن لا تدع للشك في صدقه مجالا فن عرف مالكا أو الشافعي أو أبا حنيفة أو ابن حنبل أو البخاري فانه لا يشك في صدقهم ولا فيها رويته فابالك اذا اجتمع من أمثالهم العدد العديد وبلغ الأمر مبلغ التواتر في آحاد المعجزات أو جعلتها وبالاختصار فأخبره صلى الله عليه وسلم وما ظهر على يديه أظهر عندنا وأثبت من أخبار (ارسطو) (وافلاطون) (وجاليلوس) (وأقليدس) (وهوميروس) (ولويس الرابع عشر) (ونابليون) (وجان دارك) (وريتان) (واثاتول فرنس) . وثقة الأخبار الاسلاميون أظهر وأكمل وأكثر من ثقة الأخبار عن هؤلاء، ومن يردّها هو جاهل أو معاند . ولا فرق بين ما يحدثه التواتر من اليقين في النفوس وبين ما يحدثه الحس من ذلك فان وجود امريكا (وان لم رها) مساو عندنا لا كبر ما نحس به ، اللهم إلا أن تضل العقول أو تفسد العطر . وقد قال الشاعر العربي الذي لم تفسد فطرته ولا انعكست فكرته

نأوئني هم من الليل ناصب وجاء من الاخبار مالا يكذب

تظاهرن حتى لم يكن لي رية ولم يك فيها للهى متعصب

ومع هذا فلا نسير بك في هذا الطريق وان كان لنا فيه مجال واسع (فقد قال الامام النووي ان المعجزات ألف ومائتان)

ولكن عندنا ما يبنى عنه ولملك أعرف به من هذا ولكل قوم طريق هو عليهم أقرب ولهم أجنب ، فنقول

﴿ الطريق الثاني ﴾

ان حال الصادق لا يشبه بحال الكاذب في الأمور الصغيرة فكيف يشبه في الأمور الكبيرة . الكاذب لا يكون الا جباناً والجبان لا يأتي بمجائز الأعمال وعظائم الأمور الكاذب يظهر في قوله وفعله وحركاته وسكناته ومعاملاته ومن الأمثال قولهم (نحر عن محموله مرآته (١)) أي يخبر ظاهره عن باطنه وما سار سير الأمثال قول القائل (ضمائر قلب المرء تدو بوجهه) ويقول الشاعر الجاهلي

ومهما تكن عندهم من خبيثة وإن حالها تحفى على الناس تعلم

من عرف الرسول وصدقه ووفاه ومطابقة قوله لعدله وما كان عليه في جميع أحواله وسيرته طوال حياته وما أحدثه من الانقلاب الهائل في العالم كله لم يشك في أمره ولا أجد في هذا المقام ابلغ وأورع مما قاله ذلك الرجل الكبير لا مارتين الفرنسي الطائر الصيغ الغنى عن التعريف قال (٢) (ارون محمداً كان احب خداع وتدليس وصاحب باطل ومين كلا بعد ما وعينا تاريخه ودرسنا حياته فان الخداع والتدليس والباطل والمين كل أولئك من بفاق العقيدة وليس للصدق قوة العقيدة كما أن ليس للكذب قوة الصدق ، واذا كانت قوة الصعود والمرمى في علم الطبيعة والحركات الآلية هي المقياس الصحيح لقوة المصدر الذي تنبع منه الرمية ويظهر في الأفق من القديفة فان العمل والعمل الذي يحدثه المحدث في علم التاريخ وسجل الخلود وكتاب الاسانية هم المقياس الصحيح لمقدار الوحي وقوة القاب والوحدان والمكررة السامية العالية التي تنهد الى مكان بعيد وتبقى زمناً طويلاً ، وتمشي في الحياة ادا رحية وهي لا ريب مكررة قوية . صدرت من جنان قوى . ولكي تكون تلك المكررة قوية ينبغي أن يكون ظاهرها وباطنها الاخلاص . وعلمها الاكبر الحق والصدق . وتروح معقولة يقبلها اللب . ويعتمدها الذهن ولا رب أن ذلك ينطق على محمد ورسالته . والوحي الذي تنزل عليه . فان حياته وفية تأمله وتمكيره وحياده ووثيقته على خرافات امسه . وجاهلية شعبه وخزعبلات قبيلته وشهامته وجرأته وبأسه في لقاء مالهقيه من عبدة الأوثان . وثباته وبقائه ثلاثة عشر عاماً يدعو دعوته في وسط أعدائه وبهرة حصومه

(١) المرأى والمرأة المنظر يقال فلان حين في مرآته وفي مرآته أي منظره

(٢) نقل ذلك صاحب مجلة البيان في صفحا الثالث من السنة السابعة صحيفة رقم ١٤٠

في قلب مكة ونواحيها وبجامع أهلها . وتقبله سخرية الساخرين . وهرمه هزم الهازنين وحيمته في نشر رسالته . وثباته وتوفره عليها . وحروبه التي كان جيشه فيها أقل نفيرا من عدوه . ووثوقه بالنجاح . وإيمانه بالظفر وإعلاء كلمته . وإطمئنانه ورباطة جأشه في الهزائم وإناته وصبره حتى يحمرز النصر . وطباعيته وتطلعه إلى إعلاء الكلمة وتأسيس العقيدة لا فتح الدول وإشياء الأمور طيبة وإقامة القيصرية . وبجواه التي لا تنقطع مع الله وقبض الله إياه إلى جواره وبجراح دينه بعد موته . كل أولئك أدلة على أنه لم يكن يضمر حداعا أو يعيش على باطل ومير بل كان وراءها عقيدة صادقة وبقيت مضي في قلبه . وهذا اليقين الذي ملا روحه هو الذي وهبه القوة على أن يرد إلى الحياة فكرة عظيمة وحجة قائمة . ومبدأ مزدوجا . وهو وحداية الله وتجرد ذاته عن المادة .

الأولى : تدل على من هو الله

والثانية : تنفي ما الصق الوثنيون به

والأولى حطمت آلهة كاذبة . ونكست معبودات باطلة

والأخرى فتحت طريقا جديدا إلى الفكر . ومهدت سبيلا لطيفة للنظر . فالفيلسوف والخطيب والرسول والمشرع والمائد ومسر الحرب وقاتح أقطار الفكر . وراد الاسان إلى العقل وياشر العقائد المعقولة الموافقة للدهن واللب ومؤسس دين لا وثنية فيه ولا صور ولا رقيات ، ومنشئ عشرين دولة في الأرض . وقاتح دولة واحدة في السماء من ناحية الروح والوؤاد فذلكم هو محمد . فأى رجل لعمركم قيس بجمع هذه المقاييس التي وصعت لوزن العظمة الانسانية كان أعظم منه وأى انسان صعد هذه المراتق كلها فكان عظيما في جميعها غير هذا الرجل .

انتهى كلام ذلك الرجل العظيم الذي لم يأكل الحقد قلبه ولا الجهل عقله وحقا

(ليس يدري العظيم غير العظيم)

ولتقتصر اليوم من هذا الطريق على هذا ولو شئتنا لذكرنا من شمائله ورفيع دلائله ما يلتحق بمدركات الحس ويخضع له أساطين علماء النفس ولنا إليه عودة إن شاء الله فليستقل بك إلى القرآن .

(الطريق الثالث)

القرآن

وما أدراك ما القرآن ، وليت شعري نَعِدُهُ معجزة واحدة أم تتجاوز به كل عدد
وتتخطى به كل حد فلو نظرت الى ما فيه من العلوم والمعارف وما اشتمل عليه من
الحقائق والدقائق لعرفت أنه المعجزة الكبرى والآية العظمى وقد قال سيدي الفرنسي
« لو وجدنا القرآن في فلاة ولم نعرف من جاء به لعلنا أنه من عند الله ، وقال الكونت
هرى دي كستري ما هو مثل هذا أو أعظم منه وربما قلنا كلامه في غير هذه العجالة
ولو نظرت الى ما فيه من الشرائع التي تطهر النفوس وتأخذ الناس الى السعادة من كل
باب وتعلمهم على عظمة الله وجلاله بانبلغ ما يكون واقصى ما يتصور وتس لهم السن
التي عجز عنها أرسطو وأفلاطون لعرفت أنها الآيات الباهرة والحجة القاهرة خصوصاً من
مثل ذلك الأسمى الذي لم ينل كتماناً ولا خطه يمينه . ولو نظرت الى فصاحته وبلاغته
لاستولى عليك الدهش ولم تستطع أن تكيف ما حالج صمبرك وملأ قلبك ، روح غير
معروفة لأنها من السماء لا من الارض ، وأسلوب أعجز الفصحاء من العرب العرباء
فلم يستطيعوا مفردين ولا مجتمعين أن يعارضوه أو يأتوا بسورة من مثله . ولديع ذلك
كله وتحدث معك اليوم في ناحية من بواحي اعجازهِ غير ما سمعت ، وهي اخباره بالمغيبات
التي وقعت على نحو ما أخبر ولم يتخلف منها شيء فمن ذلك قوله (غلبت الروم في دقي
الارض وهم من بعد علمهم سيعلمون في بضع سنين الله الأمر من قل ومن بعد ويومئذ
يمرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده)
وانى استحلعتك بحق العلم وشرف الاوصاف أن تنظر في هذه الآيات نظرة صادقة لترى
كيف ذكر ذلك الوعد على سبيل الجرم وكيف أكدته تلك العبارة البالغة حيث يقول
(وعد الله لا يخلف الله وعده) وكيف ذكر أنه يكون في بضع سنين ، وهل يستطيع
الذى يقول من عند نفسه أن يؤكد ويحدد ، وهو اخبار عن أمتين عظيمتين بيديتين
لا يدري حاطها وما لها إلا الله تعالى خصوصاً في مثل ذلك العصر وهل ذلك ألا تعرض
للخطر والقاء بالعمس الى التهلكة لولا وثوقه بالله عن الله ، ولقد كان في عنى عن ذلك
وأنه لا حزم من أن يحاظر بمستقبله بالاخبار عن مستقبل غيره بهذا التحديد والتأكيد

حتى جعله في بصع سنين ثم قال (وعد الله لا يخلف الله وعده) ولستقل بك الى آيات
المفنيات الأخرى ولا نطيل القول فيها

يقول الله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض)
وهم يومئذ قليلون ذليلون مستضعفون يحاربون أن يتخطبهم الناس فكانوا بعد ذلك خلفاء
وعطاء وصدق الله ورسوله (سيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ) فهزموا وولوا ويقول في حق
اليهود (لن بضرؤكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يؤتوكم الأذى ثم لا يصرون ضربت عليهم
الدلة أيما ثبتموا) وفي هذا أخبار بثلاثة مفيات (١) (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين
أنها لكم) فكانت لهم يوم بدر (اذ جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في
دين الله أفواجا) فكان كل ذلك (وقد عبر بأذا التي للتحقق كما هو معروف) (لتدخلن
المسجد الحرام إن شاء الله آمين) (قاتلوهم يعدتهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم
ويشمر صدور قوم مؤمنين) (ولي فعلوا) . فما فعلوا . ويقول (وعدكم الله مغنم
كثيرة تأخذوها وأخرى لم تعدوا عليها فداخا الله بها) ويقول (وأخرى تحبونها
فصر من الله وفتح قريب) ويقول (قل للذين كفروا سيعلمون) فعلوا كما أحر ويقول
(والله يعصمك من الناس) ولو لم يكن هذا كلاما إلهيا لكان ذكره سفها موقعا له
في الورطات والهلكات ، وقد جاءه اعراني وهو قائم فاختلط سيمه وقال من يجيك مي
فقال الله ، فوق السيف من يد الاعراني وقد كان يوم حين على نغلة لا تصلح للطلب
ولا تسمع في الحرب وقد قرع أصحابه وهو يادي بأعلى صوته (أنا البى لا كذب)
(أنا ابن عبد المطلب)

وقائل هوازن إذ ذاك بقصتها وقضيصها فهل يتصور مثل هذا من غير من تكفل
الله له بالعصمة من الناس فوثق بكفاله فلم يبال بأحد سواه
ويقول (سلب في قلوب الذين كفروا الرعب) ويقول (أنا محي ركبنا الدكر وأنا له
الحافظون) ويقول (إن الذي عرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) مرده الى مكة عام الفتح .
ومن ذلك اجباره بما كان للاتيباء السابقين وهو أمي نشأ بين أميين كما قال بعد قصة
نوح عليه السلام (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك
من قبل هذا)

(١) الاول لا يصرفهم الاوى بالنسب فقط والثاني أهم بهم موجه لنا فانهم والثالث أهم بكونهم ادلاء تحت سلطان غيره .

وقال بعد قصة مريم عليها السلام (وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون) وقال في قصة موسى صلى الله عليه وسلم (وما كنت بجانب الغربي اذ قصينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين) وما كنت ثابوا في أهل مدين تلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك)

وقال بعد قصة سيدنا يوسف واخوته (ذلك من آباء الغيب يُوحى إليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون)

ولم يمكن أهل الكتاب أن يكدنوه في شيء من ذلك وكاوا احرص الناس على تكديسه وكانت هذه الاحار عتدهم مكتومة يتواصون فيما بينهم بكتابتها ولذلك يقول لهم الله تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) وينمى عليهم كتبهم ما في كتبهم .

كما قال (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من الآيات والهدى من بعد ما يتياه للناس في انكتاب اولئك يأنهم الله ويلعنهم اللاعنون)

وكثيراً ما نحدوه تلك المعيات فسألوه عن أهل الكهف وعن دى القرين الى آخر ما يعرفه العلماء وقد سمعه الجهلاء . مما ياسب ذلك أن القرآن وهو المتواتر الذي لا شك في تواتره ذكر معجزات أخرى مثل قوله (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى)

وقد امتحنوه صيحة ليلة الاسراء امتحان المتعنين ، فلم تن عزيمته ولا دحضت حجته الى غير ذلك مما يطول فيه القول ولا يأتي عليه اليان) وقد قال له الله وهو العليم بحال خلقه (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) ولعلك تلاحظ نذهك الثاقب ما في هذه الآية من تحدى الجن والإنس ومناوأة الجميع وما تشير اليه من يقينه البالغ الذي يستحيل ان يكون من كاذب فيما يدعيه أو مرئى فيما يقوله ، وما تحويه من الثقة بالله التي لا يبالى صاحبها بحس ولا إس الى آخر ما يميله عليك ذوقك السليم وطبعك المستقيم ولنسق لك دليلاً آخر لا يمارى فيه إلا الجاهلون ولا يتصلب أمام حجته الناصعة إلا الجامدون . ذلك الدليل القاطع والبرهان الساطع هو قوله تعالى (يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل) أفتراه وهو من أغفل العفلاء وأسوس العالم باتفاق الجميع

وشهادة آثاره التي هزت العالم يأتي الى أمره المحتمل فيفضحه والى سائه الذي كاد يكمله فينتفضه حيث يعتمد الى كتبهم التي في بيوتهم وهم يضمنون بها كل الصن على غيرهم فيخاطب جميعهم قائلاً لهم إنكم تجدونني فيها بعني ونعت أصحابي بل بذكر اسمي وأمتي كما قال (ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) ويقول على لسان المسيح (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) فلم يستطع أهل الكتابين أن يكذبوه وكان من السهل أن يجمعوا الخاصة والعامة ويقفوه على ما بهدم دعواه هذه الصريحة التي لا تحتمل ولا يستطيع أن يدافع عنها لو كانت كاذبا فيها .

فقل لي بعيشك هل يخاطر عاقل يعلم من نفسه الكذب مهما كان أمره هذه المخاطرة التي لا معنى لها ولا داعي اليها ثم يسكت اليهود بعد ذلك وهم من ألد أعدائه بل يؤمن الكثير منهم مثل عبد الله بن سلام واضرابه حتى قال تعالى (قل كفى بالله شيداً بيني وبينكم ومن عنده أم الكتاب)

ويقول في حق قوم من النصارى (واذا سمعوا ما أثّرل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) ويطههم للباهلة فيستنمون ويقولون الجرية ولا يباهلون ويذكر عنهم جميعاً أنهم يعرفونه كما يعرفون أبائهم ويكرر ذلك بدون خوف ولا وجل اللهم إن ذلك غير مقبول ولا معقول ولنختم مقالنا هذا بقول الله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشد على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوا بما يسيلهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة) ولعلك تلحظ ما في هذه الآية الكريمة التي تعطيك مقاصد الشريعة المحمدية اجمالاً فقد بينت للأمة ما يجب عليها مع الخارجين عنها من أعدائها فقالت (أشد على الكفار) وما يجب عليها في داخلتها مع آبائها فقالت (رحماء بينهم) وما يجب عليها فيما بينهما وبين الله تعالى فقال (تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوا) ولقهر القلم على ترك الجولان في هذا الميدان فأنه عميق الغور بعيد المدى وليس ذلك إلا اجمالاً يطول تفصيله ويدق تحليله ولعلنا نحلى بعض مقالنا المقبلة بشدور من فضائله ونماذج من شمائله ان شاء الله .

ما إن مدحت محمدًا بمقالتي لكن مدحت مقالتي بمحمد

يوسف المهجوي
من هيئة كبار العلماء

السيرة النبوية

الهجرة النبوية

يذكرنا هلال المحرم ومفتح العام الهجري بحادث عظيم الشأن كان له في تاريخ البشر اعظم أثر . ذلك هو هجرة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة المشرقة الى المدينة المنورة ، فها استهل الدين الحنيف ظاهرا باهرا بعد ما مكث ردحا من الزمان بطن مكة مستكنا كما وما بزغت شمس ساطعة فلأت الكون ضياء وبورا بعد ما ترقق بجره في بطاحا يظهر حيننا وتغالبه القوة أحياء . فاهاب بالناس احمين ، وأضاء لجميع العالمين همهم من آمن فاهتدى واحرز كل السعادة ، ومنهم من نكص عنه فقوت على نفسه الخير الكامل ولكن لم يفته نفعه العام الذي شمل جميع العالم بما ث من مبادئ العدل بين الناس وبما نظم من علائق المجتمع في المعاملة والمعايشة حتى سرت مبادئه وتعاليمه في الدول والامم حتى التي لم ترتضه دينا وذلك بحكم المجاورة واختيار الأفضل الذي يرغب فيه كل فرد وهيئة .

يذكرنا هلال المحرم ومفتح العام الهجري بذلك الحادث الجليل الذي اعتز به الدين واهتز له العالم . فقد ظهر صوه الدين عاليا ، وسمع نداء الحق واضحا ، وأخذت الدعوة مكانها الذي يجدر بها ويبغى لها . وأمكن من يريد الهدى أن يدخل فيه أما مطمئا بعد أن كان عرصه للتعذيب في حياته ومصالحه كلها

يذكرنا هلال المحرم ومفتح العام الهجري بهذا الدرس العظيم والمبدأ السلمي الذي يجب أن يستشعره كل من ينتهز نصرة حق يقين والقيام باصلاح خطير وهو أنه لا بد ملاق من أهله وعشيرته وجيرانه معارضة ومصادرة ومصادمة ومكابرة ولا يزال الحق والباطل يتصارعان حتى يفوز الحق ويصرع الباطل متى ثبت صاحبه عليه ولم ينهزم امام المصادمات القاهرة وإن الثبات على المعتقد الحق ودوام الاستمسك باليقين مهما كلف صاحبه

من حمل الشدائد ولو أن ينخلع المرء من أخيه وبنه وعشيرته التي تقويه واصل صاحبها
لا محالة إلى الفوز في النهاية فإنَّ يعدم الحق أنصاراً.

نشأ صلى الله عليه وسلم في مكة وترى في ربوعها، وترعرع في أعظم أرومة فيها أهل
لرأي والسيادة في الحرم المقدس وأهل العصية والرياسة بين العرب، قوم معروفون وسادة
بابيون تعرف خصال أبنائهم من صغرهم وفي كل أدوار أعمارهم فلا يستطيع ناشئ أن
يخفى خلته ولا أن يوارب في خليفته قالوا: البها! دائماً تعرف خصالهم وتراقب أحوالهم
فكأن عليه الصلاة والسلام من أول شأنه معروفاً بين قومه بأكمل ما يعرف به ناشئ.
من صفات الخير وكرم الخلق والتزهد عن الهبات والثقات وما زال هكذا حتى عرف
فيهم بلقب الصادق الأمين وحتى كانوا يرتضونه حكماً بينهم على صغر سنه وامتلاء نفوسهم
بالعزة والحمية حية الجاهلية يرتضونه حكماً في أمر هو مدار غفرهم (وكل حياتهم مبنية
على الفخر) وأساس مجدهم (وكانوا يريقون الدماء ويزهقون الأرواح في سبيل المجد)
يرتضونه حكماً في أعظم القضايا في نظرم وينزلون على حكمه فيغمدون سيوفهم كانوا
استلواها ويسكتون شفاشق السن كانوا أحدها وما أمر اختلافهم في وضع الحجر الأسود
في مكانه من الكعبة يعني^(١) عرف بينهم من صغره بالصدق والإمانة حتى رعب في
مضايرته والاتصال به ذوات المال والحسب الرفيع. وما زال محبوباً مومقاً من الجميع
مرموقاً بعين التجارة والتعظيم، وما زال هذا شأنه حتى احتاره ربه، والله أعلم حيث يجعل
رسالته فاصطفاه ليهدي قومه فيهديهم الناس أجمعين، وكلفه أن يدعوهم ليؤمنوا به
ويهدوا بهديه ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإدائه ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً.
وكان هذا النور فاجأ أنصاراً ألفت الظلام فعضت عن أن تصر به وتستضيئ
بضوئه فقام الكثير منهم بل جهودهم بناؤونه ويعارضونه بل يحاربونه ويؤذونه وهو
يقابل أذاهم بالعطف عليهم وشدتهم عليه باللين لهم وإعراضهم عنه بالاقبال نحوهم وإذا
اشتدوا في أذاهم قال (اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون) ولما لم يستطيعوا أن ينالوا من أذاهم
ما ينتفون اتجهوا إلى من اتعنه فلم يدعوا أذى يقدرؤن عليه إلا أوقفوه بهم فكانت
القبيلة تعتمد إلى من أسلم من مستضعفيها بحسوسهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش
ومنهم من يطرح على ظهره في فضاء مكة إذا اشتدت الهاجرة وحمت الطهيرة ويوضع

(١) لا جدت فريش بناء الكعبة ووصلوا إلى البيت إلى محل وضع الحجر الأسود اختلقوا بين يديه في مكانه حتى لما رواه
إلى السيف ثم ارتضوا حكم من يحكم بينهم الخ.

على صدره الصخرة العظيمة، ويقال له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد .
فإذا كان الرجل قد أسلم وله شرف ومعة فلم يستطيعوا ضربه وتعذبه أتوه ووتجوه
وقالوا له تركت دين ابيك وهو خير منك، لنسفس حلك، ولتقبحن رأيك ولنضعن شرفك
فإن كان تاجرا هددوه بكساد تجارته واهلاك ماله، كل هذا والبي صلى الله عليه وسلم
يقابلهم باللين ويعاملهم بالرحمة ويقرعهم بالحجة ويبين لهم الهدى ويدعوهم الى سبيل
الله بالحكمة والموعظة الحسنة ومع هذا لم يتركوا بابا من أبواب الأذى يقدرّون عليه
الا ولجوه ليوقعوا به ومن معه حتى اضطر صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على
القبائل في موسم الحج فيبلغهم أنه رسول الله ويعرض عليهم الاسلام ويسألهم أن يحمّوه
من أدي قومه، فكان منهم من يعتذر ويرد ردا حسنا، ومنهم من يرد ردا سيئا، ومنهم
من يشترطون عليه أن يكون لهم الامر من بعده فيقول لهم: الامر لله يجعله حيث يشاء

وما زال هكذا حتى أراد الله اظهار أمره وانجاز مواعده له فخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم في موسم الحج فلقى نورا من الخبز فجعل يقرأ عليهم القرآن وتلا عليهم القرآن
فشرح الله صدورهم له وقد كانوا يسمعون من أهل الكتاب نبأه وأنه سيرسل فيؤمنون
به فيغلبون به المشركين، فقال بعضهم لبعض هذا الذي توعّدكم به اليهود فلا يسبقكم اليه
فأجابوه لما دعاهم وقالوا له: لقد تركنا قوما من ورائنا ولا قوم بينهم من الشر ما بينهم
فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك، فلما رجعوا الى المدينة ذكروا لقومهم ما رأوا
ودعاهم فأجابهم كثير ونشأ الاسلام في المدينة فلما كان العام المقبل واثى الموسم من
أهل المدينة اثنا عشر رجلا من المسلمين فبايعوه صلى الله عليه وسلم على ألا يشركوا
بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزناوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا بهتان يهترونها بين
أيديهم وأرحلهم ولا يعصوه في معروف، وتسمى البيعة الاولى، وانصرفوا الى المدينة
وأرسل معهم صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير يؤمهم ويقرئهم القرآن ويفقههم في
الدين فزاد فشو الاسلام في المدينة حتى كان الموسم الذي يليه قدم كثير ممن أسلم
فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوافوه بالعقة ليلا خفية وكان ذلك
وسط أيام التشريق فاجتمع به منهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان وكان قد خرج
اليهم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، وكان ذلك قبل أن يسلم ولكنه صحب
ابن أخيه ليحضر أمره ويتوثق له فكان هو أول متكلم، قال لهم: أرى محمدنا حيث قد
علمتم وقد منعاه من قوما من هو على مثل رأيي فيه فهو في عز من قومه ومنعة في

بلده وأنه قد أتى إلا الانحياز إليكم والحق بكم، فإن كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتوه إليه وما دعوه من خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون انكم مسلموه وحادلوه بعد الخروج به إليكم من الآن فدعوه فقالوا: قد سمعنا ما قلت فندكم يا رسول الله، فخذ لعصك ولربك ما أحببت، فلا عليهم القرآن ودعا إلى الله فرغب في الإسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعوني عما تمنعون منه ساكنكم وأولادكم فبايعوه على هذا، وتسمى البيعة الثانية وثبات الخبر في قريش فجاءوا إلى أهل المدينة وقالوا: بلعناكم قد حتمت إلى صاحبنا هذا لتخرجوه من بين أظهرنا وتبايعوه على حربنا وأنه والله ما من حى من العرب أبصر ألبا أن تشب الحرب بينا وبينهم معكم، فانبعث منهم من لم يحصروا البيعة ولم يعلم امرها من بقى على دينه يحلفون بالله ما كان من هذا شئ وما لهم به من علم

وقال قاتل منهم: إن هذا الأمر جسيم ما كان قوماً ليفوتوا علياً بمثله، وما علمناه كان. فانصرفوا عنهم. فلما نهر الناس من مئ تحسس القوم الخبر فوجدوه جميعاً فخرجوا في أثرهم فادركوا منهم اثنين فأنهم أحدهما وأمسكوا الآخر وهو سعيد بن عاذة فرجعوا به إلى مكة يضربونه ويحذونه من شعره حتى استجار رجلاين منهم وهما جبير بن مطعم ابن عدى والحارث بن حرب بن أمية، وكان يجير لها تجارتها ويمنعها ممن يريد ظلمها بلده فلما هتف باسمها وسمعا بذلك جاءا وخالصاه من أيديهم فانطلقا راجعاً إلى المدينة

على هذا الوجه كان اهتمام قريش بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبصارهم في أذاه وأذى من اتبعه وتصيقتهم الخناق عليه وعابهم وحذروهم أن يقاتل من أيديهم شعورا منهم بأن ذلك وبال عليهم وأنه سيقهرهم. بعد هذا أمر الرسول أصحابه أن يهاجروا إلى المدينة فكانوا يخرجون أرسالا خفية وكان قد هاجر منهم جماعة قبل ذلك إلى الحبشة ومكث صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أمر ربه له بالخروج، فلما رأت قريش ذلك وحشيت أن يستفعل أمره عليهم فيوقع بهم كما أوقعوا به رأوا أن يفعلوا في ذلك أمراً حاسماً فاجتمعوا في دار الندوة وهى دار قصى بن كلاب كانت قريش تجتمع بها للتشاور فلا تقضى أمراً إلا فيها، فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما رأيتم ولا نأمنه على الوثوب علينا فبمن اتبعه من غيرنا فاجعوا فيه أمراً فقال بعضهم احبسوه في الحديد واغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب غره من ريب المتنون. فقال قاتل: والله ما هذا لكم برأى لأن حبسته وهى ليخرجن أمره من وراء الباب إلى أصحابه

فلا وشكوا أن يثبوا عليكم فينزعوهم من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم وقال بعضهم نخرجه من يثبا فنعيه من بلادنا فما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع اذا غاب عما وفرغنا منه فاصلحنا أمرا وإفقتنا كما كانت . فرد عليه القائل الاول بقوله : ألم تروا الى حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتكم أن يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك فيتابعوه ثم يسير بهم اليكم حتى يطاقكم في بلادكم فيأخذكم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد وقال أبو جهل : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى جليدا سيبا ثم نعطي كل فتى سيفا صارما فيعمدوا اليه يضربونه ضربة رجل واحد ، فيقتلوه ويتفرق دمه في القبائل فلا يقدر نو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فيرصوا بالعقل ففعلناه لهم جميعا فأتعظ رأيهم على هذا . هكذا كان شأن القوم يحاولون قتل من يريد لهم الحياة الطيبة كما قال القائل ، أريد حياته ويريد قتلى ، ويفنون أهانة من يبنى لهم الكرامة ، ونفى من يدعوم ليكونوا خير أمة أخرجت للناس وهم مع هذا يرون انفسهم سادة العرب وقادتها وذوي الرأي الأصيل والعقل الراجح فيها ، ويعرف لهم العرب قدرهم ويعجلوهم ويعظمونهم ويرون فيهم حماة حرمهم الذى يحجون اليه كل عام من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويسمون انفسهم الخمس لشدة محبتهم في دينهم ، حقان أشد العدوات واضعها عداوة المرء لنفسه .

وقد أوحى الله الى نبيه واطلعه على ما يتواله من الأثر ووعده انه عاصمة مهم وامره بالخروج مهاجرا الى ربه ، وان يتوجه الى المدينة المنورة وكان خروجه في الليلة التي أزمعوا تهذيب نيتهم الخيثة فيها ، فامر على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن يبيت في مكانه وان يرتدى بردائه واخبره أن لن يخلص اليه شيء يكرهه مهم ، وخرج عليه السلام يحترق الفتية الذين رصدوه ليقعوا به فأحد الله بأبصارهم فلم يروه وهو خارج من بينهم وحثا على رؤوسهم التراب ارغاما لهم واهانة (وليذهبن مغاب الغلاب) وكان صلى الله عليه وسلم يتلو حين خروجه ، يس ، الى قوله ، فأعشيهم فمهم لا يبصرون ، فلما أصبحوا التمسوه فأروا عليا نائما في فراشه مرتديا برداه صلى الله عليه وسلم فظنوه إياه حتى اذا قام على وعرفوه تبين لهم فشلهم وسقط في أيديهم ، وقد اشارت الآية الكريمة الى شيء من ذلك في قوله تعالى (واذ يذكرك بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكركم والله خير الماكرين) خرج صلى الله عليه وسلم الى بيت ابى بكر وكان دا مال وكان يطمع أن يكون في صحته عليه السلام لانه كان استأذنه في

الحجرة فقال له لا تجعل لعل الله يجعل لك صاحباً فاعد راحلتين دفعهما الى رجل يعرف الطريق ليكونا عنده الى وقت الحاجة وليكون دليلاً لهما، فلما أحبره أنه قد ادن له في الخروج سأله الصحة فاجابه اليها، فاحبره بما أعد لذلك ثم خرجا خفية الى غار بجبل ثور بأسفل مكة فاقاما فيه ثلاث ليال وكأت قريش قد أهمها الامر، فجعلت لمن يدل عليهما مائة ناقة وتفرقوا في السبل عنهم يدركونهما وكان بما مروا به ذلك الغار فصرف الله أنصارهم عنهما فلما سكن الناس عنهما اتاهما الدليل الذي استأجراه بالراحتين واسمه عبد الله بن ارقط فركبا وسارا على بركة الله وقد سمع بمسيرهما رجل يسمى سراقه ابن مالك فركب فرسه ولبس لامته يريد الطمرهما طمعا في المائة الناقة التي جعلتها قريش على ذلك، فلما اقترب منهما عثر به فرسه وسقط عنه ثلاث مرات وساخت يدا فرسه في جلد من الارض بدعائه صلى الله عليه وسلم عليه فاستجارهما وعاهدتهما أن يرد عنهما الطلب فدعا له صلى الله عليه وسلم فقام من كونه ووفى بما تعهد به، وقد علم أنه ان يصل اليهما فاداهما ان لا أريد بكما شرا وانما انقضى منكما كتابا يكون آية ما بيني وبينكما فكتبه له أبو بكر بأذنه صلى الله عليه وسلم وحفظه سراقه عنده حتى كان يوم فتح مكة فقدم به على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم وحسن اسلامه. ولما سمع أهل المدينة بخروجه اليهم غلبهم الفرح والشوق الى رؤيته بينهم فكانوا يخرجون كل يوم يرقبونه خارج المدينة حتى يشتد الحر فيعودوا الى دورهم حتى كان اليوم الذي وصل فيه صلى الله عليه وسلم كان أول من رآه رجل من يهود فصاح بأعلى صوته هذا جدكم الذي تنتظرون قد جاءكم - يريد بالجد الحظ - فاقبلوا عليه مرحبين وأخذ البنات يغنين .

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

الطرف والملح

قال ابن فارس : لو اقتصر الناس على كتب القدماء . لضاع علم كثير . ولذهب أدب غزير . ولضلت افهام ثاقبة . ولحلت السنة لسنة . ولجأت الاسماع كل مردد . ولتلفظت القلوب كل مرجع .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة لمدير المجلة

لقد كان من الأمانى التى تحول فى خاطر كل مؤمن خالص الإيمان أن تصدر عن الأزهر الشريف الذى هو مشرق أنوار العلوم الدينية ، مجلة تكون ميداناً تنافس فيه الأفكار ، ومستقفاً تبارى فيه العقول ، ومثابة للسليب وأماً ياجأون إليها إذا نجحت بينهم نواجم الشبهات ، وثارت عليهم أعاصير العثر ، تهديهم سُبُل السلام وتَقْمُطُهُمْ عَلَى حجة الهدى ، وتريل عواشى الماثل عن وجه الحق فيبدو ساطعاً يهتدى به الضال ويضوى إليه المعتسف .

ومن سنن الله تعالى المشهودة فى مجارى الحياة أن النيات الصالحات الصادرة عن الإخلاص والنصح المجرد لابد أن تتحقق آثارها وتؤتى ثمارها .

لحقيق بكل مسلم أن يشكر الله سبحانه نعمة صدور (مجلة نور الاسلام) ويعرف لصاحب الجلالة ملكنا المعظم « فؤاد الأول » حرس الله ملكه ولرجال دولته الأمائل ما لهم من الفضل فى هذا العمل المبرور ، وبرجو لها تحقيق تلك المقاصد الشريفة . وجدير بالمستقرين من المسلمين الخالص الصالحين لدينهم فى جميع أقطار العالم الإسلامى أن يتقبلوها بقول حسن ، وأن يمدوها بشار أفكارهم وتنانج قرائحهم ، وأن يعتبروها وصلة معنوية توثق بينهم عروة الإخاء التى لا رابطة لهم أقوى منها « إنما المؤمنون إخوة » .
« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً »

أغراض المجلة دينية خلقية عليية بحتة ، فلا تنعرض للسياسة بحال ، ولا تتدخل فى أمور الناس إلا فى حدود قوله تعالى « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » .
تُعنى المجلة أشد العناية ببيان ما فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من أصول الأخلاق العاضلة ، وقواعد الآداب الكريمة التى ينبغى لكل مسلم أن يقتضها ويسير على سننها فى حياته وشرح ما تضمنناه من العظات والعبر التى يجب على المؤمن أن يتحدها قواماً لسيرته ونبراساً لسريره وتشير الى ما احتويا من مبادئ الترية الصحيحة

التي لا تكمل الانسانية إلا بها ، وتُهيّب بالدّأبِ عن جادة الاسلام من انسانيته الذين
تعذّوا بلبابه ، وترعرعوا في حجره إهابة الأمّ الرّؤوم بأولادها أن هللوا إلى حظيرتكم
المقدسة وحصنكم المنيع واعملوا مع احوالكم على تعزيز أركان الاسلام وتقوية سنانه ،
وابدلوا ما وهبكم الله من قوة التفكير والبيان في دراسة علومه وتفهم أصوله ومقاصده ،
لتعلموا أنه هو الوسيلة الوحيدة لسعادة البشر ولا يغرنكم تلبس الماديين وتمويه دعاة
حرية الفكر من الغربيين وتساءل الله لها ولهم الهداية الى سواء السبيل .

وترجو المجلة من كل مسلم غيور على دينه أن يوافيها بكل ما يعن له من طرق الإصلاح
في التعليم الديني سواء أكان متعلقاً بوسائله أم بمقاصده وما يطلع عليه في المجلات أو الجرائد
السيارة من المقالات التي لها مساس بالدين ، وتحضّ طلبه العلم كافة سواء بالمعاهد الدينية أم
بدار العلوم والكليات والمدارس أن يواظبوا على مطالعتها بحذر واهتمام ، ويعشوا إليها بما
يجول في خواطرهم من الآراء والأفكار في شأن المواضيع التي تنشر فيها ، ترجو من
القراء كل ذلك ليعينوها على القيام بأعباء ما احتملته من إعلاء كلمة الحق ونشر الفضيلة .
و رَزَقْنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا .

عبد العزيز محمد



السيرة النبوية

ترجمة الفصل العاشر من كتاب السيرة النبوية

للسيد . ١ دينة

وسليمان بن ابراهيم الجزائري

لصاحب التوقيع

وقفت على كتاب جليل في السيرة النبوية وضعه كل من المسيو ١. دينيه والشيخ سليمان بن ابراهيم الجزائري . والاول منهما رجل فرنسي اقام في الجزائر نحو ثلاثين عاما درس في خلالها احوال الاسلام والمسلمين وحجب اليه هذا الدين فأسلم والاف هذا الكتاب هو والشيخ سليمان المذكور فأحببت أن أترجم منه بعض فصوله لمجلة نور الاسلام لما فيه من الحقائق التي يمجدها المفتونون بالحضارة الغربية ويموهون على الناس بأن لا فضل في وجودها لغير الأوروبيين .

الفصل العاشر من الكتاب

لما لحق مؤسس الدين الاسلامي العبقري بالرفيق الأعلى كان قد فرغ من تنظيمه تنظيمًا دقيقًا محكمًا شمل أقل الاعمال فيه .

وكانت جنود الله قد دومت بلاد العرب كلها وأنشأت تغير على الشام وعلى مملكة القياصرة العظيمة وقد عرست فترة اضطراب كان تجنبها غير مقدور عليه بعد وفاة ذلك المرشد الموحى اليه فسيبت بعض العن ولكن الاسلام كان من قوة بنائه وشدة تحمس الناس له بحيث إنه كان لا بد له أن يدهش العالم نهضته الساحقة التي قد تكون معدومة النظر في سجلات التاريخ

اندفع العرب الاعزاء لأول مرة خارج بلادهم المحرومة من مواهب العلم تيرهم معجزة

الآيمان فاستولوا في أقل من مائة سنة على ما كان بهم من قلة معرفة في عددهم على معظم بلاد الدنيا القديمة المتعددة من الهند إلى الاندلس وقد شغلت هذه المتوح المتوالي كثيرا بال إعجب رحل في عصرنا اعنى ناليون الذى كان دائما يبدي الاسلام عظيم اهتمامه الصادر عن عطف ومودة . فقد قال في خطبة له شهيرة القاها في مصر هدين اللفظين : مؤمنون . وموحدون . (انظر كتاب بونارت والاسلام للسبو شرفيس) وكان في أخريات أيامه يتحدث عن الاسلام أيضا فمن قوله فيه : يظهر لى أنه بقطع النظر عن الاحوال العرضية التى تجلب المجانب لاندأ في تأسيس الإسلام شيئا بجهله وأن العالم المسيحى قد انتقص انتقاصا بلغ الغاية بنتائج سبب أولى بقى مستورا وأنه ربما كان لهذه الشعوب التى رزت لجأه من أعماق الصحارى حروب أهلية طويلة نشأت لهم في خلالها اخلاق كريمة ومواهب عظيمة ودوافع لائنة وم أو بعض الأسباب الأخرى التى من هنا النوع .

(انظر ذكرى سنت هيلين — الجزء الثالث صفحة ٨٣ للسبو لاسكساس) ولكونه كان يتبأ بأن سيكون للإسلام وهو في غصوته حال تدهوره ذخيرة من القوة لا نظير لها سعى عدة مرات فى أن يتحالف معه مخالفة كان يعتقد أنه لو يجمع فيها لكان أهلا لابقاظه ولتغير وجه الارض بمعوته .

ولم يكن ناليون واحدا في ذلك لأن الحروب الاهلية التى كانت تشب بين العرب قد رفعت في نفوسهم صفات البطولة ولكها صيرت كل تنظيم لهم وكل تقدم مستجيلا ولو لم يبعث بينهم محمد لظل هؤلاء الجنود الشجعان باقين في حدود صحاريهم إلى الآن مستغرقين فى الاهتمام بمحاركمهم الموروثة .

ولما محا الاسلام من نفوسهم نخوة الاعتزاز بالقبيلة وبالنسب والجنس وجعل جميع المؤمنين اخوة ونفع فيهم روح المساواة والدين وسمو الفكر صاروا ذوى نفوس تنقد حية وقلوب لا تخضع للظلم أخوة جديرين بحمل اعباء جميع الغزوات والحروب . ولم تكن ذخائر هذه القوة التى تراكت في نفوسهم خلال قرون قضاها في الحروب الاهلية هى وحدها الوسائل التى قلبوا بها كيان كثير من الشعوب المعاصرة لهم مغيرة عظيمة والمتفوقة عليهم تفوقا كبيرا فى ذلك العصر بمعلوماتها العامة ، بل هم قد جمعوا أيضا في أحيلتهم نفائس من المي والاحلام خلال عدة قرون صرفوها فى التأمل فى جلال الصحراء وعظمة الفضاء . وهذه المي والاحلام المدخرة فى هذه الامة التى وأن لم تكن منقفة كانت قنية ، قد فرضتها فرضا على جميع تلك الشعوب التى كانت على ثقافتها شائعة منهوكة .

ونحن نتصح لمن قد يستربسون في ذكاء العرب ونبوغهم أن يتصفحوا مجموعة من الرسوم المقوشة التي تمثل الابدية المنتشرة في البلاد الخاضعة لسلطانهم فلا شيء يدهش فيها كاتحادها في النمط الذي يميز هذه الآثار عن غيرها من جميع آثار الدنيا. ومع تشابه هذه المباني فيما بينها تراها قائمة في الهند وتركستان وفارس والشام وبلاد الترك ومصر والبربر وأسيانية وغيرها. اعنى في بلاد متغايرة تعارفا مطلقا، ومتميزة تمايزا كثيرا في مواهبها الخاصة حتى إن مواهب اليونان والرومان لم تستطع في وقت ما أن تغير منها شيئا يعتد به.

اقتبس العرب اشياء كثيرة من الامم المغلوبة لهم كما انتفعوا في كثير من الاحيان بمواهبهم وبسواعدهم ايضا في تشييد قصورهم ومساجدهم.

ولكن هذه الاعمال كانت دائما خواطر في احلام العرب واخيلتهم برزت الى الوجود. ومحل الغرابة الشاذة في النمط العربى هو أن المرشد المتحكم فيه هو فن ولد مع الاسلام في وقت واحد ولم يسبق له نظائر. وهذا الفن يهدى اليه إن صرح لنا التعبير بذلك صورة مجسمة في تمجيد كلمات الله اعنى آيات القرآن في الخط العربى هذا حتى لو اقتصر على طرفة وحدها يصح أن يقال فيه بلا مبالغة: إن فيه روحا لأنه كلفط الانسان يعبر عما في النفس من الفكر وهو بعدم اقتباسه شيئا من العالم الخارجى حتى ولا من اشده عناية بتنميته يمت الى الموسيقى بسبب، فكأنه رموز مقتضة لاحق حركات القلب. انظر الى هذه الخطوط التي تهضر من اليقين الى اليسار على هيئة منحنيات مطمئة أو ثائرة ثم تنصب لتقف عن الحركة ثم ترسم لجأة على هيئة أعمدة شاحخة ثم تعود عما قليل سيرتها الاولى الى مجراها المطلق وتوسط ما اشتبك منها، ويتغير تناسقها على ما يشاء الهوى المحبوب.

وليس من الضروري أن يكون المرء عالما بالعربية منقطعا لها متضلعا فيها أو ماهرا دقيقا في الخط ليتبع آثار الكلام الذى خط بهذه الحروف ويتمتع بمحض تمييز اشكالها أو بالافتعال الشديد الذى يجده في منحنياته فكل متفنن ستفد روحه في أسرار نفس هذه الحروف بلا عناء.

وبعد أن عبّر الخط العربى تعبيرا تاما عن المثل الاعلى لامته اذل لسلطانه الذى يكاد يكون دينيا كل ما كان معدا لأن يحمله او يكون اطارا له. اعنى بذلك فن البناء وطرق الزخرف الاخرى بالجائها الى مزاجته نمط أشكاله — وقد دانت لهذا السلطان

قبة برنطية الثقيلة التي على صورة نصف كرة بأن اختير لها شكل حوزة للجندى المسلم وقد تحولت محبات بواكيها المبتذلة الى محبات العقد الستين الجميل، أو الى قوس شامخ متجاوز الحد في علوه وتغيرت ابراجها العادية ما آذن شيقة تذهب صعودا الى ذرى ما يأخذ بالعقل ويدهب باللب .

ثم طريقة الزخرفة الوحيدة التي هي كالخط لم تقتبس شيئا من الفطرة واعنى بها الرية الهندسية التي لم يستمد منها اليونانيون واللاتينيون الا آثارا غاية في الحفارة والسباحة قد انتعشت عند العرب بروح حقيقية، ومن ثم سميت هذه الزينة باسم ذى معنى وهو الزخرف العربى وعلمت على اثاره استحسان الفكر متأسية بمثلها وذلك باضلاله بين اعسر الملتصبات تعقدا وابعد الاستحالات توقفا .

واها لك أيتها المسدعات الفيسة للفن الاسلامى ان عشاق الطرف من الاوربيين يتعاسون اليوم في شراء بقاياك بالذهب عسى ان يدخلوا بك في بيئاتهم المظلمة بعض الاشعة المعكسة بالامانى التي استمدتها من روح الالهام صانعوك . ليست الواح الزجاج المشعة والافداح الزجاجية المختلفة والسائج الموضوعية والحرار المتعددة الالوان والنحاس المرصع ومصرعات الصور الفاخرة هي مفتحة الاسلام التي تتخون بها في مساكنهم انهم قد أنشأوا يفضلون من جميع نفائسك النعاس الخطية المعشة بنقلها الآيات الالهية أى النقوش القرآنية أو نفائس القيشاني المتلاثة الطلاء وهم بذلك يحسدون مثال أمراء المسلمين في عصر الحضارة العظمى للإسلام الذين كانوا يرتكبون من اجل اقتناء صحيفة واحدة من خط خطه أحد مشاهير الخطاطين حملات كالتى رى ارتكابها الآن من أجل اقتناء طرف التصوير . ولكن أنت أيتها النقوش المقدسة التي تقفين ما لكبك الجدد خافقة قلوبهم إعجابا بانق اشكالك . ألا تكشفين لهم يوما القباب عن جمال روحك الاسلامية الاسمى .

لقد كانت أوربة حتى في وقت أشد عدائها للإسلام مبهورة من كل هذه البدائع فقد اقتبست أشياء لاعد لها من آثار نوع العرب في الحرف والبناء وقد يدل الاستقصاء في البحث على انها مدينة لهذا النوع بأكثر مما تدين به للناغبين من قدماء اليونانيين واللاتينيين ومثل هذا البحث قد يعد لنا كثيرا عن موضوع الكتاب، وحسبنا ان نذكر هنا على سبيل الاستعراب أننا اذا اخذنا بقول المؤرخ دولور يكون بعض مهندسى البناء من العرب قد استخدموا في بناء كنيسة ترودم دوباري .

ولم يكن هوذا المسلمين في ميدان العلم بأقل من ذلك خصبا ولكي نعطيك فكرة
مه لا نرى احسن من أن نلخص لك الرأي الذي ابداه الدكتور جوستاف لوبون في
كتابه المشهور حضارة العرب اذ قال (علينا أولا ان نعترف بأن العرب هم الذين يرجع
اليهم الفضل كله في الاستعاضة عن ولاية الاستاذ بالتجربة والملاحظة اللتين هما اساس
الطرق العلمية الحديثة لا الى ما يكون الذي ينسب اليه ذلك في الجملة)

وبعد أن أثبت العالم الشهير هنبلط إن أعلى درجة في العلم تنحصر في استدعاء المرء
نفسه وباختياره للظواهر الكونية وحثها على الظهور قال: ان العرب قد بلغوا هذه الدرجة
التي تسكاد تكون بمجولة للقديما.

ودراسة الرياضيات كانت منتشرة جدا عندهم والريادات التي اضافوها الى علم الجبر
صيرت هذا العلم الى غاية نسبوا اليهم بها انهم هم الذين اخترعوه ويرجع الفضل اليهم
كذلك في التطبيقات الاولى للجبر على الهندسة وفي ادخال خطوط التماس في حساب المثلثات
وقد كان علم الهيئة يدرس بشغف في مدارسهم ببغداد ودمشق وسمرقند والقاهرة
وفاس وطليلة وقرطبة وغيرها .

ويمكن تلخيص ما استكشفوه في هذا العلم فيما يلي من العدد وهي :
ادخال خطوط التماس في الحسابات الفلكية ، ووضع جداول لحركة الكواكب وتحديد
سمت الشمس تحديدا دقيقا وتدرجه في القوس وتقدير تقدم الاعتدالين تقديرا مضبوطا
وأول تحديد مضبوط لمدة السنة

ثم انما مدينون لهم ايضا باثبات ما في اكر خط عرص للقمر من صروب عدم
الاتظام واستكشاف عدم التساوي القمري الثالث المعتبر عنه اليوم بالتعبير

وقد ادلى هؤلاء الجوالون الجريشون في علم تقويم البلدان بالقدرح المعلى
وكانت لهم من الوجهة العلمية هذه التحديدات العلمية المضبوطة التي هي أول اساس
للخرائط ، وقد صححوا الاعلاط الجسيمة التي ارتكبتها اليونانيون في أوصاع البلدان .
ومن جهة جوب الاقطار قد نشروا اختصار رحلات لهم عرفت الناس أجراء مختلفة للعالم
قل من توهموا وجودها قبلهم ، ولم يسبق للاوربيين ان طرقوها فقد بينت على خريته
رسمها الادريسي يرجع تاريخها الى سنة الف ومائة وستين يانا كاملا منابع نهر النيل
مخترقة البحيرات الاستوائية الكبرى التي لم يكتشفها الاوربيون الا في النصف الثاني
للقرون التاسع عشر

وفي العلوم الطبيعية يزيد عدد اكتشافاتهم عن ذلك أيضاً، يدلك على علو شأنها تعددها فيما يلى. فمنها معلومات عالية في نظريات علم الطبيعة خصوصاً في نظرية البصر ومنها اختراع أجهزة آلية من ادع ما يكون، واكتشاف أعلق الاجسام باصل علم الكيمياء مثل الكحول والحامض الآزوتى والحامض الكبريتى، وأهم الاعمال الاساسية في هذا العلم مثل التقطير وتطبيق علم الكيمياء على فن الصيدلة وعلى الصناعة خصوصاً صناعة استخراج المعادن وصنع الفولاذ والصبغة وغيرها وصنع الورق من الخرق والاستعاضة به عن ورق الغزال والبردى وورق الحرير الصينى، ومن المحتمل اهم طقوا بيت الارة (الصلة) على الملاحظة ومن المحقق انهم ادخلوا هذا الاختراع الاساسى في اورة ثم ان من ذلك اكتشافهم للأسلحة النارية فى سنة ١٢٠٥ كان الامبر يعقوب يستعمل المدافع فى حصاره مهدرة

وفى سنة ١٢٧٣ استعملها السلطان ابو يوسف فى حصار سجلماسة وفى سنة ١٣٤٢ كان الكوتنان الانجليزيان دربى وسالبرى يشهدان حصار الجزيرة والعرب يدافعون عنها بالمدافع، ولما عابنا استعمال البارود نقلاً هذا الاكتشاف الى بلادها ولهذا السبب استعمله الانجليز بعد ذلك بربع سنين فى حصار مدينة «كربسى» وفى العلوم الطبية استمد العرب اولاً معلوماتهم من كتب اليونان ثم حصلوا منها ربادات أعلى ما يكون شأناً فمعظم علوم اورة الطبية فى عصر تجدها أخذت عنهم وأشهر الربادات التى اضافوها الى العلوم الطبية هى فى التشريح ووصف الامراض والمادة الطبية والصيدلة. وقد اخترعوا عدة طرق علاجية بعضها كاستعمال الماء البارد فى الحمى التيفودية (١) قد استوف استعماله فى العهد الاخير بعد أن نسي قروناً طويلة والمادة الطبية مدينة لهم بكثير من الأدوية مثل خيار شتر والسالمكى والراوند والتمر الهندى والكافور والكحول والقينى وغيرها.

وقد كانوا هم المشين الحقيقيين لفن الصيدلة ويرجع اليهم الفضل فى أغلب المستحضرات المستعملة الى اليوم مثل الاشربة وصفوف اللعوق واللقق والمراهم والادمان والماء المقطر وغيرها ومن التشريح مدين أيضاً للعرب زيادات اساسية وقد استعملت كتبهم فيه أساساً للتعليم فى كليات الطب بأوربة الى عهد قريب جداً، وفى القرن الحادى عشر من التاريخ المسيحى

(١) وقد ورد فى هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «من ميع جهم فاطمونها ناء» وفى روايه قاردها رواه كحلوى فى كتاب الطب

كانوا يعرفون علاج الماء الذى ينصب في العين ، الكتاركتا ، بالتحويل أو استخراج البلورية ، وفتيت الحصاة وعلاج الزيب بصب الماء البارد واستعمال الكاويات والأحزمة والكي بالنار ، ان التخدير الذى يرى الناس الآن ان اكتشافه الأساسى حديث العهد يظهر إنه لم يكن مجهولا لديهم فانهم كانوا يوصون باستعمال الزوان^(١) لتسويم المريض قبل البدء في الأعمال المؤلمة حتى يفقد ادراكه واحساسه .

وكانت لهم ايضا ثقة عظيمة بعلم تدبير الصحة من جهة علاج الأمراض فكانوا يعتمدون كثيرا على الوسائل الفطرية والطب الانتظارى الذى يظهر أنه هو كلمة العلم الحديث الأخيرة لا يجرى في استدلاله على ما يخالف ذلك

(انتهى من كتاب الدكتور جوستاف لويون — حصارة العرب)
وفي مجال المعانى والافكار كان لفرود المسلمين نتائج ربما كانت أنفوس من ذلك أيضا .
فاذا كان المسيح قد أوصى قومه بالمساواة والأخاء فقد سعد محمد بتحصيلها وتحقيقها للمؤمنين به في حياته .

وقد يكون من السخافة أن يزعم زاعم أن الثورة الفرنسية قد استطاعت أن تقتدى بقدوته مباشرة في عملها لأنها كانت تجهل معظم عمله في تأسيس قاعدة المساواة — على أن المحاولات الأولى لتحرير الفكر هذا الذى كان لابد أن ينظم المجتمع الحديث على أسس جديدة يمكننا أن نثبت أنه كان النتيجة المنطقية لشرعيته ، فان شرف ادخال حرية الفكر (التى لا ينبغي خلطها بالاحاد) لأول مرة في أوربة يرجع الى الحكيم المسلم ابن رشد الذى كان يعيش في اسبانية من سنة ١١٢٠ الى سنة ١١٩٨

عارض ابن رشد بعقيدة الإيمان بالله وحده في الاسلام مذهب وحدة الوجود الخرافى عند اليونان ومذهب التجسيم عند المسيحيين

وقد هاج شراح كتبه الذى ألفه في ارسطو رغما من اصطباغهم شديدا بالصفة الاسلامية كل العقول المستقلة في القرون الوسطى بأوربة . ومذهب ابن رشد الذى نشأ من هذا التمسك يصح اعتباره بحق ليس بشيرا للاصلاح فحسب بل أبا للحكمة العقلية الحديثة
ثم إن تأثير أخلاق المسلمين في الاخلاق الاوربية لم يكن أقل من ذلك معافان العرب مع ما كان فيهم من التسامح الدينى المتأهلى (الذى سنتكلم عنه فيما بعد) كانت لهم أخلاق كلها شهامة ومروءة

(١) الزوان نيك فيه خلعة التخمير

وقد صرح الكاتب الاسبايولى الشهير بلاسكو ايبانيز في قصته المعنونة « في ظل الكنيسة الكبرى » ، بأن روح الشهامة إنما ولد بين العرب الاسبايين وإن كان غزاة الشمال من المسيحيين قد ادعوه لأنفسهم زاعمين أنه صفة من صفات الامم المسيحية ولنذكر أيضا في هذا الموضوع ملاحظات الدكتور لوبون اذ يقول إنه « الشهامة العربية قانونها كالشهامة المسيحية التي جاءت بعدها فانه لم يكن جديرا بوصف الشهامة إلا من كان حائزاً للنخلة العشر التالية وهي سلامة القلب والبسالة وخفة الروح وملكة الشعر واللاعة والقوة وحذق ركوب الخيل وإدارة الرمح والسيف والقوس » .

لما حاصر والى قرطبة في سنة ١١٣٩ مدينة طليطلة التي كانت في حوزة المسيحيين ارسلت اليه الملكة تيرنجير التي كانت محصورة في هذه المدينة ماديا يؤذنه بأنه لا يليق بفارس شهم ظريف كريم ان يهاجم امرأة فما لبث القائد العربي أن عاد ادراجه غير طالب جزاء على انصرافه عنها الا اشرف التسليم عليها .

وتواريخ عرب اسبانية غاصة بالحكايات التي هي من هذا النوع الدالة على مبلغ انتشار صفات الشهامة هذه بينهم ، وقد حقق العالم الشديد الاستمساك بدينه برتلى سان هيلير تحقيقاً التزم فيه الامانة الى العرب — ما تدبر به الاخلاق الاوربية اذ قال في كتابه الذي ألفه في القرآن مانصه « ان اشراف القرون الوسطى القساة قد لانت عوائدهم الجافية بمخالطتهم العرب ومتابعتهم لهم . وأهل النخوة مهم عرفوا بهذه المخالطة عواطف أرق من عواطفهم وأشراف وألحق بالاسبانية بدون أن يضع عليهم شئ من شجاعتهم » . ربما تسأل القاري « والاحوال كما ذكر — لماذا صار يهوذ العرب وتأثيرهم منكرا اليوم جد الاكار من بعض العلماء الذين يطهر أن عقولهم تنبو عن الاوهام الدينية ؟

سبب ذلك أن استقلال الآراء هو في الواقع اعلق بالطاهر منه بالحقيقة واتنا في بعض المواضع لنا أحرارا في فكرنا مطلقا كما يحب ، فالأوهام الموروثة التي ندين بها جند الاسلام واتباعه قد تراكت في نفوسنا حلال قروب بلغت من الكثرة حدا يبعد فيه أن لا تندمج في تركيبنا .

وإذا أضفنا الى ذلك هذا الوهم الآخر الموروث أيضا الذي ينمو على تعاقب الاجيال تربيتنا الممقوتة على المذاهب القديمة وهو أن جميع علوم الماضي وآدابه لم تأتأ الا من اليونانيين واللاتينيين سهل علينا أن نفهم سر جحود الاوريين في الجملة ما كان للعرب من الاثر العظيم في التاريخ والحضارة الاوربية فانه سيبدو دائما لبعض العقول انه من

الدل والمهانة أن يعترف للسليين باخراج أوربة المسيحية من ظلمات البربرية والتوحش
ومن كتاب الدكتور جوستاف لوبون - حضارة العرب - ما هي الاسباب التي دعت
الى تدهور الاسلام تدهورا غاية في السرعة وهو في ثمانية قرون تسلط فيها على اسبانية
قد رفع هذه البلاد ذروة الحضارة العربية ولم يكن سواه أقل سطوعا في البلاد الممتدة
من دلهي وبخاري الى القسطنطينية والى فارس.

أول سبب ينبغي تلسه لذلك هو عدم اتباع قواعد المساواة التي جاهد النبي كثيرا
في سنها في حياته والتي كانت هي السبب في نجاحه ونجاح الخلفاء الاولين من بعده ،
ولنضرب لك مثلا نين فيه مبلغ التشدد في تطبيق هذه القواعد أول الامر : كان جبلة
(ابن الابهيم) ملكا من ملوك العرب دوى السلطان والافقة يطوف بالكعبة في أول
عهد الاسلام فاصطدم به بدوى حفيظ فلا قصد منه فطمه جبلة على وجهه لطمه شديدة
فلما رفع الامر الى الخليفة عمر بن الخطاب لم يأبه بمكانة المدنب ولا أنه يجر الى نفسه
عداوته بالاقصاص منه وهو في مثل هذه المكانة ، بل رأى أنه لرفع الاسلام ومستقبله
ينبغي أن تُسقط المساواة أمام العدالة كل اعتبار فحكم على الملك جبلة بأن يحتمل قصاصا
بمثال الجريمة من يده البدوى الحفيظ الذي ضربه

بمثل هذه القواعد التي لا هوادة فيها ما كان يستطيع أحد أن يستفيد إلا من أعماله
الخاصة وقد ولد التفاوت في خير الاسلام امورا مدهشة ولم يختر للرأسه فيه الا من كانوا
يستحقونها ، وكان الرؤساء يطاعون ابليخ الطاعة لانهم محل الاعجاب والتوقير الخالصين
من الرعايا ؟

عبد العزيز محمد

الطرف والملح

أهدى سيدنا نعيان بن عمرو رضى الله عنه . (وهو بمن شهد غزوة بدر) . الى
النبي صلى الله عليه وسلم - جرة غسل اشترأها من اعرابي . واتي بالاعرابي الى باب النبي
صلى الله عليه وسلم . فقال : خذ الثمن من هاهنا . فلما قسمها النبي صلى الله عليه وسلم
نادى الاعرابي - ألا أعطى ثمن عسلي ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لإحدي هات
نعيان . وسأله . لم فعلت هذا ؟ فقال : أردت برؤك يا رسول الله . ولم يكن معي شيء .
فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم . وأعطى الاعرابي حقه .

أنباء العالم الاسلامى

حركة التبشير المسيحى فى العالم الاسلامى

(المبشرون يدبّرون الخطط لمضاعفة الجهود فى التبشير فى أرجاء الاقطار الاسلامية)

نشرت مجلة العالم الاسلامى • The Moslem World • التى يحررها القس زويمر فى عدد ابريل الماضى مقالة افتتاحية تحت عنوان • المساحات التى لم تحتل بعد • تقطع منها ماأتى :
• ان الاقاليم التى لم يزرها المبشرون للآن يجب أن تكون موضع اهتمام الكنيسة وميدان جهادها . ولا ينبغي أن يبق فى هذا القرن العشرين للتاريخ المسيحى مكان على وجه الأرض لا تطأه قدم المشر . وإنا نجد أن غالب البلاد التى لم يحتلها المبشرون إنما تقع فى دائرة العالم الاسلامى . ولا يراد بذلك فقط شمال افريقيا وعرب آسيا بل الصين أيضاً . إذ أن فى هذه الاقطار الشاسعة ولايتا قنصوه وسينكيانغ وهما يشتعلان على السواد الأعظم من مجموع المسلمين فى الصين . ومع ذلك فإن عمل التبشير لم يتناول خمس المساحة العامة لهاتين الولايتين .

كذلك يوجد فى الهند الصينية الفرنسية وسيام ما يقرب من مليون مسلم لا يزالون بعيدين عن حركة التبشير . وأما بلاد الأفغان ففىها من المسلمين ما يقرب من ثمانية ملايين . وفضلا عن أنها خالية من المرسلين فهى مغلقة فى وجوههم من رمن قديم ولا تزال كذلك للآن .

وأما فى فارس فالجهات التى لم يسمع فيها صوت الدين المسيحى هى الواقعة فى الشمال الشرقى من ادرىجان وكذلك بلاد الأكراد المتاخمة للحدود التركية وهناك جهات أخرى كالولايات الواقعة على طول الحدود الغربية للعراق وغيرها . ويحمد جنوب خط عرض ٣٠ شمالا ان بلاد العرب ولا سيما الأجزاء الداخلية منها لا تزال أرضاً عذراء . ويقدر سكانها بنحو خمسة ملايين نسمة . فالحجاز واليمن وحضرموت وسلطنة نجد كلها لم يزرها المبشرون

وأما في الهند فانا اذا تأملنا خريطة توزيع مراكز التبشير بالنسبة لكل مليون من سكان المديرية وجدنا أن عدد تلك المراكز ضئيل جداً في الأقاليم التي توجد فيها أكثرية مسلمة . مثلاً في البنغال والشمال الغربي للهند توجد أقاليم كل سكانها أو حلهم مسلمون . ومع ذلك لا نرى فيها مبعشراً واحداً . كذلك الحال في برما وبلاد الملايو

وإذا نظرنا للإسلام في جنوب أوربة وجدنا أن في الولايات البلقانية ما يقرب من ثلاثة ملايين ونصف من المسلمين لا يعدون عن لندن بأكثر من ثمان وأربعين ساعة بقطار السكة الحديدية . وبالرغم من هذا فانه يبعششاً جداً بان نسمع أن تلك الجهات خالية من التبشير . وفي روسيا يبلغ عدد المسلمين طبقاً للأحصاء الأخير حوالي سبعة عشر مليوناً ولا يوجد بينهم هيئة منظمة تعمل على نشر الدين المسيحي

ولنعد ثانياً الى الكلام عن افريقية فقول: إن المسلمين في جزيرة مدغشقر يبلغون نحو ٩٧٠ ألفاً مسلمين من وجهة التبشير . وأما أقاليم غرب أفريقية الفرنسية فإن الغالب فيها العنصر الاسلامي وتعد من أوسع أقطار العالم التي سبها في اصطلاحها غير محنة . ولقد ورد في تقرير السكرتير العام لآرساليات السودان المتحدة أن الامارات الاسلامية الواقعة شمال نيجيريا (غرب أفريقية) لم تصلها دعوة المبشرين لأن حكومة تلك المستعمرة ظلت مدة طويلة تمنع المرسلين من التجول داخل الاقاليم الاسلامية حيث أنها كانت تعهدت لحكام تلك الامارات بالألا تدخل في شئونهم الدينية

وأما شمال أفريقية فلا يصح أن نعتبره قطراً غير محتل نعم إن هناك أجزاء يصح أن نعتبرها كذلك . مثلاً في ولاية طرابلس لا يوجد في العاصمة كلها إلا مبشر واحد . ولكن في تونس والجزائر ومراكش توجد عدة هيئات منظمة تعمل على التبشير . إلا أنه كلما توغلنا في الداخل تضائلت حركة التبشير . ومن المستطاع التغلب على هذه الصعوبة بالالتجاء إلى الوسائل المعروفة كالمناجزة مع الأهالي وفتح المدارس لأبنائهم وما مائل ذلك

ويظهر أن السودان قد قدر له أن يكون فتحه وتقدمه وتعمدينه من طريق الصحراء لا من طريق السواحل التي نظراً لما فيها القتال تحول دون تجول المبشرين . لذلك سيصير السودان قاعدة للتبشير ومنها يكون الزحف إلى قلب أفريقية . كما أنه يصلح لأعداد طائفة من الأهالي تتولى الدعوة إلى المسيحية . بينما في نفس الوقت يمكن صد القوى الاسلامية في شمال أفريقية واجبارها على اتخاذ خطة الدفاع .

هذه خلاصة ما جاء بتلك المقالة الممضاة باسم زويمر نفسه . ورجو أن تكون بنقلها إلى اللغة العربية قد أدبنا واجبا نحو اخواننا المسلمين في تلك البلاد حتى يأخذوا حذرهم ممن يبيتون لهم ما يبيتون . ويريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

محمد الحسيني رضا

مفتش الآداب بالمعاهد الدينية

الظرف والمُلح

قال بعض العلماء : في حِكْمِ الحكماء . وفي كلام الآلِيا العُقلاء . من أئمة السلف وصالحى الخلف الذين امثلوا في أفعالهم وأقوالهم آداب التنزيل . ومعاني سنن الرسول ونوادر العرب وأمثالها وأجوبتها . ومقاطعها ومبادئها وفصولها . إلى ما حَوَّوه من حكم المعجم وسائر الأئمة . وتقييد أخبارهم . وحفظ أمثالهم وأشعارهم . التى هى صَوْنُغ الباهم . وثمار آدابهم . ما يبعث على أمثال طرقهم واحتذائهم . واتباع آثارهم واقتنائهم قال الشعبي : لو أن رجلا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن لسمع كلمة واحدة يفتفع بها فيما يستقل من عمره ، ما رأيت أن سفره قد ضاع .

وقال بعض الحكماء : من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة . ومن تسلى بالكتب لم تفتته سلوة . وإن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان . فابتعوا لها طرائف الحكمة . والحكمة شجرة تنبت في القلب . وتثمر في اللسان . وهى موقظة للقلوب من سنة الغفلة . وللبصائر من سكرة الخيرة . وحمية لها من موت الجهالة . ومستخرجة لها من ضيق الضلالة . وقد أثنى الله سبحانه على الحكمة فقال : (وَمَنْ يَوْثِ الحكمة فقد أَوْثى خيرا كثيرا) ووصف بها لقمان فقال عز من قائل : (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله . ومن شكر فزادنا شكره . ومن كفر فإن الله غنى حميد) — وقال لقمان : إن القلب ليحيا بالكلمة من الحكمة كما تحيا الأرض بوابل المطر .

العلوم والآداب

مقتطفات علمية^(١)

« كيف يميز اللؤلؤ الطبيعي من الصناعي »

قد أصبح الآن من السهل التفرقة بين اللؤلؤ الطبيعي واللؤلؤ الصناعي والفضل في ذلك يرجع الى اكتشاف أحد العلماء الانجليز المسمى هوبكنس . إذ وجد أن الطبقات القشرية التي تترك منها صدفة اللؤلؤ الحقيقية يمكن تمييزها من غيرها عند عكسها لاشعة تسلط عليها بألة خاصة داخلها زئبق

« احتواء القلب على معدني الفضة والألمنيوم »

اعندما أن نعد عن صفاء القلب ونقاوته بأنه من الذهب وعن شدة البطش لدى الافراد بأن لهم يدا من حديد . واذا ما أردنا أن نصف اساما بالطة والتاقل قلنا إن له قدما من رصاص وهكذا . وقد اثبت الفحص العلي الحديث أن هذه الاستعارات لا تخلو من حقيقة . إذ قد دلت أبحاث عالمين من علماء الكيمياء بفرنسة على أن القلب والرتين يحتويان على معادن النحاس والألمنيوم والفضة . واد الكد فيه نحاس ورصاص وفضة . ويوجد بالسكرياس^(٢) نيكل ورصاص . وفي الكليتين المنيوم وفضة ونحاس . وفي الطحال فضة وقصدير . واما المح فهو غني بمعدن القصدير

« صنع اللحوم من بزور القطن »

اكتشف أحد أطباء ولاية يوجرسي بالولايات المتحدة بأمر يكة طريقة توصل بها الى صنع مادة من بزور القطن تشبه اللحم تماما . وذلك بأن تطحن البذور جيدا

(١) هذه المقتطفات مقبولة من مجلة الانجليزية علمي . Popular Science & Scientific American

المصدرين في شهر يونيو سنة ١٩٣٠

(٢) خفة في القسم العلي القطن وظيها تفرز في المني سائلا لالون له غرائيا يؤثر في اللحوم

ويضاف إليها شيء من الشحم والماء بمقادير معينة فتكون عجينة لا تختلف مطلقاً عن مادة اللحم بل تفصله في رخص الثمن لأن الرطل منها لا يزيد ثمنه عن قرش صاغ . فضلاً عن أن تلك المادة الجديدة تحتوي على الخواص الغذائية التي توجد في اللحوم الحيوانية حيث أن بها من البروتين ما يقرب من ٥٠ ٪ .

« البحر الميت يصحح مركزاً حيوياً للصناعة »

لقد تألفت في لندن شركة كيميائية يباع رأس مالها نحو مليونين من الجنيهات لاستغلال الأملاح الموجودة في مياه البحر الميت بفلسطين . والمنظور أن تتمكن هذه الشركة من استخراج نحو ٥٠ ألف طن سنوياً من كبريتات البوتاسيوم

« الجراثيم تفوق الإنسان في استخراج زيت جوز الهند »

ربما يصبح للجراثيم أهمية عظيمة للصناعة في المستقبل . لأنه قد اتضح أن إحدى فصائل المكروبات المسماة بشلس دايروكيا يمكنها أن تفصل زيت جوز الهند عن المادة الأصلية بطريقة أسهل وأرخص مما هو معروف لدى رجال الصناعة الآن . وبيان ذلك أن هذه الجراثيم تستطيع أن تلتهم خلايا جذران الثمرة وتفصل عنها الزيت . وما يبقى بعد ذلك من الفضلات يصلح لأن يكون غذاءً للماشية

« اختراع أحذية من الصلب للساجين »

اخترع اثنان من رجال الشرطة السرية الألمانية حذاء من الصلب يرتكز على كعب شكله كالكرة بحيث إن اللابس له لا يستطيع السير إلا إذا عمل على حفظ توازنه . وقد نُطِنَ من الداخل باللباد حتى لا يؤذي القدم . ويقول المخترعان : إن السجين لا يمكنه مطلقاً أن يحاول الهرب لأنه إذا أقدم على الجري سقط لا محالة . وهذا الحذاء يُرَبَطُ بالقدم ويقفل بقفل خاص . والمقصود به أن يحل في المستقبل محل الأغلال التي توضع في الأيدي .

مقتطفات جغرافية^(١)

غرائب الحاصلات

ريش النعام:

يربى طير النعام بكثرة في جنوب افريقية داخل حطائر واسعة . ويُتَبَّع في تفريخ البيض الطريقة الصناعية المتبعة في تفريخ الدجاج . الا أن جابا عطيا من يصر النعام تسطو عليه الغربان بطريقة تدل على كثير من المكر والدهاء . ولما كانت مناقيرها لا تعمل في البيض لصلابة قشوره فهي تعتمد الى قطع من الاحجار وتحلق بها في الجو الى أن تحاذي مكان البيض ثم تسقط عليه الحجارة فتشم كثيرا منه ثم تنفض عليه فتلتهمه ويربى النعام لاحماذ ريشه في الزينة والاثاث وقد يبالغ قيمة ما يباع سنويا من ريش الطير الواحد ١٥ جنيا

مدينة الماس :

كمبرلى — احدى مدن مستعمرة الرأس في جنوب افريقية — هي أغنى بلاد العالم بمناجم الماس . وتبلغ تلك المناجم من الاتساع والعمق درجة عظيمة بحيث لو القيت فيها اهرام الجيزة الثلاثة لوسعتها

السماك المحفوظ في العلب:

في كلمة «بيرة» أحد اقالم كندا الغربية نهر يسمى بهذا الاسم يشتهر بكثرة الاسماك التي يراحم بعضها بعضا فتتعلق ذبونها وزعانفها وتسيل منها الدماء فتغير لون الماء . ولذلك انشأت الحكومة مصانع على شاطئ هذا النهر لحفظ السمك في العلب . ويقال إن مقدار ما يصنع منها في اليوم الواحد تبلغ زنته ٢٥ طنا .

النزرة في الولايات المتحدة :

الولايات المتحدة أغنى اقطار العالم في مختلف الحاصلات الزراعية والحيوانية والمعدنية ومن أهم حاصلاتها الزراعية النزرة وينتج منه سنويا مقادير تفوق الحصر بحيث لوشحت في مركبات يجر كل منها حصانان لتكوى منها خط يبلغ طوله طول محيط الكرة الأرضية

(١) منقولة عن كتب المطالعة وتقوم البيان الحديث لستر كولنس «Collin's New Geography Readers»

البلد الذي يركب فيه الشحاذ الخيل :

اشتهرت بلاد الأرجنتين أو الجمهورية الفضية في أمريكا الجنوبية باتساع مراعيها التي تربي فيها الخيول بكثرة هائلة . وهي أهم وسيلة للانتقال من مكان الى آخر ومن الواحد منها لا يزيد على ثلاثين شهنا . لذلك تجد الشحاذين انفسهم يركبون الخيل في تجوالهم من قرية الى أخرى ؟

محمد الحسيني رنما

مفتش الآداب بالمعاهد الدينية

الطرف والملح

قال الجاحظ : إن عمرو بن سعيد دخل بعد موت أبيه على سيدنا معاوية : رضى الله عنه . وعمرو يومئذ غلام . فقال له سيدنا معاوية : إلى من أوصى بك أبوك يا عمرو ؟ قال : إن أبي أوصى إلى ولم يوص في . قال : وبأى شيء أوصاك ؟ قال : أوصاني ألا يفقد إخوانه منه إلا شخصه . فقال سيدنا معاوية لاصحابه : إن ابن سعيد هذا لاشرف . قيل للإمام الشافعي رضى الله عنه . كيف اصححت ؟ قال : أصبحت تطلني ثمانية . الله تعالى بالمرض . ورسوله عليه الصلاة والسلام بالسنة . والدهر بصروفه . والعيال بقوتهم . والحفظة بما ينطق به لسانى ، والشیطان بالمعاصى . والفسر بالشهوات . وملك الموت بقبض روحى .



علاقة الاخلاق

بالشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

تمتاز الشريعة الإسلامية عن الشرائع الوضعية بتناول أصولها وقواعدها علاقة الإنسان بخالفه وعلاقته بنفسه فوق تناولها لما تعرضت له القوانين العلاقات الاجتماعية الخاصة والعامة - فعلاقة الإنسان بخالفه ينظمها ما وردت به الشريعة الإسلامية من العادات والمقائد كاعتقاد الوحدانية والقدرة والكمال والتزه عن القائص لله سبحانه وتعالى وكالرضا بالقضاء والقدر والأيمان بالله ورسوله وملائكته وكتبه وغير ذلك، وقد جمع أصول المقائد الدينية وألم بأبحاثها علم المقائد، ويسمى علم التوحيد وعلم الكلام أما العادات العملية (من الصلاة والزكاة والحج وترك المحرمات ونحو ذلك فقد تعرضت لبيانها وتفصيل جريئاتها كتب الفقه الإسلامي وجعلت لها قسما خاصا بها يسمى العبادات

وعلاقة الإنسان بنفسه ينظمها ما وردت به شرعة الدين من الحث على الفضائل الخلقية والكمالات النفسية التي تؤدب النفوس وتكاملها وتحلصها من رجس المعاصد وتستغنىها من أدران القائص من الصدق والاحسان وطلاقة الوجه وكف الأذى وبذل المعروف والحياء والاحسان إلى الوالدين وتفيس كربة المسلم وأن يحب المرء للأنسان ما يحب لنفسه وصلة الرحم والاحسان للجار وبذل المعونة وسر عيوب الناس وعبادة المريض والصدقة على الفقير وبذل النصيحة عن إخلاص وإطعام الطعام وإفشاء السلام وترك الكذب والفية والبيعة والحسد والعجز وإيذاء الناس إلى غير ذلك مما هو موضوع الاخلاق والآداب - وإما سمينا هذه العلاقة بعلاقة الإنسان بنفسه وإن كانت من العبادات والقربات التي يثاب عليها المؤمن ويتقرب بها إلى الله - جريا على اصطلاح القانون في تسميتها ولائها أمور ترجع إلى تهذيب النفس وتربيتها بالآداب ومحاسن الاخلاق .

— وإنما لم تتعرض القوانين الوضعية لطائير العلائق لائنها لا تصدي إلا إلى ما هو ضروري لحياة المجتمع البشري وصيائه وترقيته ويرى مشروعها أن العبادات

الدينية لا تدخل لها في ذلك — أما العلاقة الأخرى فيرونها من الآداب التي ليست صرورية
لحياة المجتمع وله منها بد وعن تنظيم القانون إياها مدوحة
— فليس للقانون أن يرتب على مخالفتها جزاء قانونيا ولكن عقاب المخالف لها أدبي
كزراية الناس واحتقارهم لمن يخالف العادات والآداب المألوفة — اللهم إلا ما صار
من هذه الآداب والمسالك ضروريا للمجتمع فإن القانون خليف حينئذ أن يتناول
بأحكامه ونصوصه أما من طريق العادة أو التشريع — فلا ينبغي للقانون أن يحتم على
الناس أن يصدقوا أو يصدّقوا أو يتركوا الحسد والكذب — ولو فشت خصلة من هذه
الحصال أو عدمت في أمة من الأمم ما كان ذلك مؤثرا في كيانها وإن كانت مكارم
الاخلاق تكسبها كالا أديا ورذائل الحصال اذا فشت تحدث نقصا في آدابها وغضاضة
في كرامتها ولكن حياتها مع ذلك تبقى موفورة وكيانها الاجتماعي يستمر محيا بالقانون والتشريع
هذا ما يقول أهل القانون في علاقة الاخلاق بالقانون الوضعي فهم يرون أن كلا
منها في ناحية وليس بأحدهما حاجة الى الآخر والواقع الملوس أن القانون والاخلاق
يتعاونان على حفظ كيان المجتمع البشرى ويتساندان في توفير السعادة والرفاهة له واليك
بيان ذلك : (فصل في أن الآداب والاخلاق تخدم الضروريات للحياة الاجتماعية فهي
مثلها في حاجة المجتمع إليها) .

لم نقل تمتاز الشريعة الإسلامية بتنظيمها هاتين العلاقتين عبثا من القول ولكن لما
هو أوضح من الشمس في رائحة النهار من ظهور آثارها في تقويم النفوس وتحضير
بداوة الطباع وتنقية القلوب من جفاتها وجلال الضمائر والذم من أصدائها ولها أيضا آثارها
في آداب السلوك العامة ، ولا أطل مجتمعا معها ارتقى به التشريع واحيط بسياج من
القانون يحلو من هذه الشرائع والعصائل إلا انحط الى درك الضعف والاستكانة وتقع
بالحقارة والمهانة يدل على ذلك أنه قد أصحح رقي الأمم يقاس رقي آرائها واخلاقها
والتاريخ يشهد أن أسباب عظمة الأمم ترجع الى الاخلاق والتقاليد التي تكون عظمته
وتبنى سيادتها قال (جوستاف لوبون) في كتابه (سر تطور الامم) : (لقد بدأت عوامل
انحطاط الأمم الرومانية في الوقت الذي ازدهرت فيه العلوم وكثرت الشعراء والملاسة
بها فيه لأن أخلاقها وتقاليدها التي كانت تنبى عليها عظمته بدأت في الانحلال) .

ومن أجل ذلك عنيت الشريعة الإسلامية بالآداب والاخلاق التي كان لها الأثر
الأكبر في عظمة الأمة العربية والدول الإسلامية التي كانت معتصمة بحملها مستمسكة بعراها

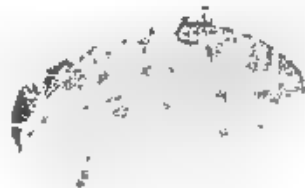
ومن المعلوم أن القوانين الوضعية قد سابت الشريعة الإسلامية في المحافظة على ما هو ضروري للمجتمع وجعلت الشريعة الضرورات التي يجب المحافظة عليها حسماً (الدين والعقل والمال والنسل) والقوانين الوضعية تسير الشريعة في المحافظة على هذه الأمور الخمسة غير أنها قد تحالفت الشريعة في نوع الفكرة دون جنسها أو في طريقة المحافظة .

والمحافظة على الدين في القانون معناها تمتنع كل إنسان بحرية الاعتقاد فله أن يعتنق ما شاء ويسب بأى دين شاء أما المحافظة على الدين في الشريعة الإسلامية فهي ألا يترك الدين الإسلامى من دخل فيه بالارتداد والا استوجب العقاب الشرعى ، فالقانون يحاط على مطلق الدين الذى يدين له الإنسان — والشريعة تحافظ على دين معين لا ترى فى سواء السعادة الحققة وتترك للإنسان حرية الدخول فى الإسلام (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي) والمحافظة على الدين فى الشريعة هو الأصل فى وجوب قتل المرتد وقتال المرتدين والخروج على الدين الإسلامى

فها اتفاق بين الشريعة والقانون فى جنس الفكرة دون نوعها — ويرجع هذا الخلاف إلى الخلاف بينهما فى مبدأ حد الحرية الشخصية فالشريعة ترى أن حد الحرية الشخصية ألا يصر الإنسان نفسه ولا غيره لأن إلقاء النفس إلى التهلكة والضرر والصرار محرمه فى الشريعة بالنصوص القطعية — والقانون يرى أن حد الحرية الشخصية ألا يضر الإنسان غيره فقط — والما كان الارتداد عن الدين الإسلامى فيه إصرار بالنفس وإلقاء بها فى الشقاء الأبدى بعد أن تبيئت نور الإسلام ووقفت على مرآياه واقتنعت بأنه سبيل السعادة الحققة كان هذا من باب إلقاء النفس إلى التهلكة ولم يكن داخلًا فى دائرة الحرية الشخصية التى تخبر من لم يدخل الإسلام وتمنحه الحرية فى ألا يدخله لأنه لم يندوق بعد حلاوته ولم تشرب نفسه الاعتقاد بأنه حق وسعادة جديهما نفسه بترك الدخول فيه .

(ب) والمحافظة على النفس فى القانون ينظمها قانون العقوبات وقانون تحقيق الجنايات — والمحافظة على العرض داخلية فى النفس — أما المحافظة على النفس فى الشريعة فبالقصاص والديات وسائر العقوبات الجسائية الداخلة فى قوله تعالى (والجروح والقصاص) وبالحجود الشرعية وتحريم الانتحار وإباحة أكل الميتة المضطر والمحافظة على العرض بعقوبة القذف إلى غير ذلك — واختلاف نصوص العقوبات فى الشريعة والقانون يرجع إلى اختلافها فى طريقة المحافظة

هـب الله صياحه
متخصص فى الشريعة وعلم شرعى



مَدِينَةُ كَرِيمَةِ سَائِقِ نُورٍ وَكَانَتْ مَسْجِدَ بَهْدِيَّةِ أَهْلِهَا تَسْبِيحَ وَصَلَاتِهِ مُسْتَلَامَةً
وَمُسْتَهْدَةً مِنْ أَطْلَاقِ بَيْتِ سُبْحَانِهِ وَكَهْدَ نَهْمِهِ إِلَى صَرْطِ مُشَقِّقِهِ .

بَيْتُ الْأَنْبِيَاءِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكيمية

تصدرها مِشْخَرُ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ

أول كل شهر عربي



المنشأ بمحكمة الاستئناف سابقا
ومن أعضائها مجلس الأزهر الأعلى

المكتب
عبد الحليم

مدير إدارة المجلة :

السيد محمد الحضر حنين من علماء الأزهر

رئيس التحرير :

مكتب المجلة بالإدارة العامة للمعاهد الدينية بشارع فهمي رقم ١٩

« تليفون : ٣٥٠٧ »

الرسائل تكون باسم مدير المحمد

٤٠ داخل القطر المصري .

٢٠ لطلبة المعاهد والمدارس .

٥٠ خارج القطر المصري .

قيمة الاشتراك السنوي

يصل أئمة المساجد والمأذونون ومعهم المدارس لأولية معاملة الطلاب .

وتتم الجزء الواحد ٣ صاع داخل القطر و ٤ خارجه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الانحراف عن الدين

علله ، آثاره ، دواؤه

بين أيدينا حكم رائعات ، وعظمت بالغات وتاريخ عظيمات مملوءة بالمهم الكبيرة ،
والمساعي الخطيرة ، وقد أتى علينا مع هذا النور الساطع والتاريخ المجيد حين من الدهر
ونحن عن طرق السعادة والمنة غافلون ، وعن العمل للحياة الصالحة نائمون ، جهل
بعد علم ، تقاطع بعد اتلاف ، بطالة بعد نشاط ، صغار بعد شمم ، خمول بعد نباهة
شأن ، كذلك كنا حتى جاءنا من صروف الليالي ما نهينا من سباتنا ، فنهضنا نبحث
عن وسائل تقدمنا ، ونجاري الأمم العاملة والأمل ميلاً ما بين جوانحنا ، نهضة
مباركة ، ولكن نفوسا خالطها من الانحراف عن سبيل الرشدا ما خالطها ، فأصبحتنا
في حاجة الى أن نشغل جانباً من أوقاتنا في تقويمها .

حق علينا أن نبحث عن علل انحراف هذه النفوس حتى نعرف طريق علاجها ،
فنزيج أو نخفف مرضاً لو خيلنا سبيله لسرى الى نفوس كثيرة ، وعاقنا أن نسير الى
السعادة كيف نشاء

علل الانحراف

النواحي التي يأتي من قبلها هذا الانحراف كثيرة ، وجاعها الجهل والدعايات

الباطلة ، واليك البيان :

ينحرف الناس عن الدين متى شب على الجهل بحقائقه ، وفريق من ابناؤنا
غير قليل لا يتعرفون الاسلام من وجهه الصحيح ، وانما يتزعجون صورته من مظاهر
يرون عليها طوائف من المسلمين ، ولم تكن هذه المظاهر من الاسلام في كثير

ولا قليل ، فليس بعيد أن يشهد الشاب شيئا من البدع المزرية كضرب الدفوف في المساجد أو تحت رايات يحملها أحداث باسم الدين لهوا ولعبا ، فيخالها من تعاليم الاسلام ، ويسوء اعتقاده في هدايته ، ونحن نعلم أن بعض البلاد الداخنة تحت سلطان غير اسلامي قد تقام فيه حفلات مشهودة يكلف فيها بعض الجبهة من المتعين الى طرق التصوفة ان يحضروها بأزيائهم الخاصة ، وقوم كل طائفة بأعمال يتنازون بها عن سواهم ، وقد يكون في هذه الازياء والاعمال مالا صلة له به بالدين ولا بما ترضى عنه العقول السليمة ، فنتناولهم من أجل هذه المظاهر الألسن بالازدراء ، ولا شك أن شبائنا كبعض المخالفين الذين يشهدون هذه الحفلات ، قد يسبق الى أذهانهم أن نسبة ما يعمل باسم الدين الى الدين صحيحة ، فيتجافون عنه وهو منه براء ، فظواهر البدع والمحدثات من وسائل اضعاف العقيدة في نفوس أبنائنا ، ومن أصعب العقبات التي تحول بين المخالفين وبين قبولهم للدين الحق بسهولة

وإذا كان في المتجافين عن الدين من قرأوا جانبا من الكتب المعزوة اليه فعلة انحرافهم فيما يظهر انهم لم يدرسوا تعاليمه خالصة مما أضيف اليها من مزاعم وآراء ، ولم يلبثوا من قوة العلم أن يفرقوا بين الشرع الخالص وما يوضع بجانبه من أشياء لاتدخل في الصميم ، ونحن نعلم أن في كثير من المؤلفات احاديث موضوعة وقصصا مزعومة وآراء لاتستند الى أصول معقولة ، ومن الذي ينكر أن في بعض الكتب احاديث مصنوعة وقصصا غثقة ، وان في مؤلفات بعض أصحاب الاهواء والمستضيفين في العلم آراء سقيمة وأقيسة عقيمة

كان لهذه الكتب أثر سيء في نفوس بعض نشئنا ، وقد اتخذ بعض من خف في العلم وزنهم من هذه الكتب وسيلة الى الطعن في علماء الاسلام فذهبوا يلتقطون هذه الآراء السخيفة ولا يتقون الله في نسبتها الى علماء الشريعة ليضعوا من شأنهم ، مع أن أهل العلم من قبلهم ، قد نقدوها بانظار راجحة وطرحوها من حساب الشريعة بالحجة الساطعة ، وجعلوا تبعثها على أصحابها وحدهم ، وأي طائفة من

طوائف أهل العلم لا يوجد بينهم ذو رأى ضعيف أو ذوق عليل بل العالم الراسخ قد تصدر عنه آراء تدفعها أصول العلم الذى رسخت فيه قدمه ، ويردها عليه من هو أقل منه نباهة وأدنى في العلم منزلة

أما الفريق الذين ينكرون أشياء من صميم الدين ، فلم يجنهم الجحود من ناحية البحث الدقيق والنظر القائم على قوانين المنطق الصحيح ، وإنما سبقت اليهم في التعليم أو في الجلوس ببعض النوادي آراء فتقبلوها ، وترامت لهم شبه فاعتنقوها ، والآراء الفاسدة والشبه المغوية تربي في النفوس الضعيفة أذواقا سقيمة ويكون لهذه الأذواق الحكم العاجل ، حتى اذا انكرت حقا خيل الى اصحابها أن انكارهم صادف محزا وظلوا في جهالتهم يتخبطون ، فقطع يد السارق أو السارقة مثلا - قد تنازع في حكمته بعض الأذواق الخاصة ، ولكن الأحكام انما يراعى فيها المصالح العامة ، وفي قطع يد هذا الصنف من المجرمين مصلحة سنأتى على بيانها في مقام غير هذا .

ولا تنسى بعد هذا أن ما بلنه الغربيون من التقدم في العلوم والفنون قد جعل لهم في القلوب اكبارا وبلغ هذا الاكبار في بعض النفوس الصغيرة أن يفوه أحد الغربيين بكلمة يطمئن بها في حقيقة من حقائق الاسلام فيتلقوها منه بمتابعة ، ويحبوها طعنا صائبا ، ولا سيما الكلمات التى تصدر من طائفة يخرجون في زى الكتاب أو الفلاسفة اذ يقع في أوهام الغافلين انه نتيجة نظر لا يعرف غير البحث والدليل ، ويفوتهم أن في هؤلاء الكتاب من لا يزال في أسر تقاليد وعواطفه ، وفهم من يكون بارعا في ناحية من العلم قاصر النظر في ناحية أخرى ، وها نحن أولا نقرأ نتائج أبحاثهم في موضوعات الالهية أو تاريخية أو اجتماعية أو لغوية ، فترى فيهم من يتبع الظن الذى لا يفتى من الحق شيئا ، وكان على نشئنا أن يعتبروا بالمناقشات التى تدور بين علمائهم انفسهم ، فانها شاهد صدق على أن من علمائهم أو فلاسفتهم من يعتمد الرأى لمجرد الشبهة ، ولا يبالي أن يسميه علما وهو لا يرتبط بعد بالحجة أو ما يشبه أن يكون حجة

ومن الطرق المضلة عن السبيل أن بعض الداعين الى غير الاسلام قد وجدوا من موسريهم خزائن مفتحة الابواب ، وأيديا تفيض عليهم الاموال بغير حساب ومن الميسور أن يتصل هؤلاء الدعاة ببعض البائسين من نشئنا الذين لم ينفذ الايمان الى سويداء قلوبهم ، فيشتروا ضمائرهم أو سنتهم بشئ من حطام هذه الحياة ، وربما أتوهم من ناحية الشهوات ففتحو لهم أبوابها ، وجعلوا ثمن تمكينهم منها الانسلاخ عن الدين فلا يزالون أن ينسلخوا منه ، اذ لم يدخل بعد في قلوبهم حتى يكون أعز عليهم من كل ما تهوى أنفسهم .

ومن الذى لا يعلم أن معاهد تقام في أوطاننا باسم العلم أو العطف على الانسانية والناية منها صدف النفوس عن صراط الله السوى ، دل على هذا كتب يدرسونها في هذه المعاهد وهى كما قرأنا نبذا منها بحشوة بالطنن في الاسلام والحط من شأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وهذا القس زوير نفسه ينهنا على أن المدارس التى يقوم بها جماعات التبشير انما تجعل وسيلة الى تحويل المسلمين عن دينهم القويم فقال في مقال تحت عنوان (حركة التبشير في العالم الاسلامى ^(١)) بعد أن ذكر ما يمتزجهم من المصاعب في داخل أفريقية ، ومن المستطاع التقلب على هذه الصعوبة بالانتجاع الى الوسائل المروقة كالمتاجرة مع الاهالى وفتح المدارس لابنائهم وما مائل ذلك .

وقد رأينا لهذه المدارس التى تفتح في سورية ومصر وغيرها من البلاد آثارا محزنة .

فكم من فتي مسلم بُعث به اليها فتخرج منها وهو يحمل من التنكر لقومه وشريعتهم مثل ما يحمله خصومهم المحاربون .

ثم ان بعض الناشئين في مهد اسلامى قد أصيبوا بما يشوه فطرهم وأرادوا ألا يكون هذا التشويه مقصورا على أنفسهم فاجتهدوا في أن ينقلب الناس منقلبهم ويعملوا على شاكلتهم ، فكان لهم في الاستخفاف بالعقائد الصحيحة والشرعية

الحكيمة حركات طائشة ، ولولا هداية القرآن ووقوف فريق من أهل العلم في وجوههم لاستدرجوا خلقا كثيرا .

ونذكر بمنتهى الأسف أن من هذا الصنف من يقضى نصيبا من حياته في الدفاع عن الاسلام حتى يتبوأ مقعد الدعاة المصلحين ، ثم لا يلبث أن يرى بضاعة الازدراء بالدين نافقة ، فيثور عليها مع الثائرين ، ويسرع الى لمز الرجال الذين رفعوا لواءه وقد كان يطئب في تمجيدهم ، وفي أمثال من يكون على هذا النعت خطر على النشء كبير اذ الثقة التي أحرزها من قبل قد تجملهم يسيئون أقواله بما يحمل من أقداء وسوم ، فيبلغ مأربه دون أن يفقد مكانته ، ثم ان انحرافه عن الدين بعد أن كان من انصاره قد يلقى في نفوس المستضعفين ان هذا الذي قضى زمنا في مظاهرة الدين لم يتجاف عنه الا بعد أن بصر بالحجة واستبان له أنه كان على غير هدى ، وصفار العقول لا يشعرون بان في الناس من يطوى في نفسه حاجة يستطيع أن يلبس لها ثوب الرباء أمدا غير قصير ، حتى اذا رأى قضاءها في ذم ما كان يحمد ومحاربة ما كان ينصر وجد في استعداد ما يساعده على أن يظهر في أى لباس شاء .

آثار الانحراف

دلت المشاهدة على أن الناشئ الذي يصاب بمرض الريب أو الجحود لا يملك أن ينحط في المآثم وينبذ الادب الرفيع والعمل الرشيد وراء ظهره ، واذا رأيناه يتجنب انما بالمقدار الذي يتقى به لومة لائم أو طائلة قانون ، واذا عمل حنا فينال مدحا واطراء ، أو ليصل الى عاجل من المنافع المادية أكبر ، وان ناشئا يعتقد أنه متى استتر عن أعين الناس لم يبق له فيما يفعل من رقيب ولا يناله على ما يأتي من جزاء ، لا يتحامى في غالب أمره أن يعتدى على نفس أو عرض أو نسب أو مال الاعتداء الذي يشين وجه المدينة ويحدث في نظام الجماعة وهنا .

ودلت التجارب على أن زائغ العقيدة متى ملك جاهها أو سلطة فتن الأمة في دينها ، وانتهك حرمت شريعته ، ولم يخلص النظر في اصلاح أمرها ، ولاق منه

المؤمنون اضطهادا ، والجاحدون وأصحاب الأهواء مناصرة واقبالا ، فيكون داعيا عمليا الى الخروج على الدين فتسوت الفضيلة والنيرة على الحقوق العامة ، ويتقطع جبل اتحاد الامة اربا .

دواء الانحراف

حتم علينا أن نسمى الى أن يكون التعليم الديني شاملا ، فما من ناشئ الا يتلقى منه مقدارا يكفي لاثارة عقله وطمأنينة نفسه ، ونقبل بعد هذا على كتب الدراسة فتتخير منها ما هو حسن الوضع ، نقي من كل ما ليس بشرع ، وبهذا نأمن من أن يكون في نشئنا من ينحرف عن الدين جهلا بحقائقه .

واذا نحن سرنا في تقرير أصول الدين واحكامه على طريقة اقامة الحجة وبيان الحكمة خففنا شر الصنف الذي ينكر امورا من الدين بعله انها لاتوافق العقول أولا نتحقق بها المصلحة

وانما يستعان على جعل التعليم عاما بعناية أولى الأمر ونصحهم في تدبير شئون الامة حيث يقررونه في سائر المدارس ويقومون عليه كما يقومون على سائر العلوم ومما يسر الامة أن ترى من ولاة أمورها العناية بتعليم الدين الذي هو ملاك سعادة أبنائها في الدنيا قبل الآخرة .

ومن واجب أهل العلم بعد هذا أن يرقبوا حركة التأثيرين على الدين ويكونوا على بصيرة مما يكتبونه في الصحف ، أو يحاضرون به في النوادي ، ليقوموا أوده وينبهوا على خطره ، حتى يستبين أمره ، وتوضح أمام الناشئين طريقة قرع الشبهة بالحجة ، وصرع الباطل بقوة الحق وكذلك يفعل العلماء الراسخون ، والكتاب المخلصون

وحق على من يبنى السعادة لابنه أو لقريب وكل اليه أمره ألا يلقى به الا حيث يأمن على ايمانه وطهارة نفسه ، ولا يذهب به الطمع في متاع الدنيا الى الاستهانة بأمر العقيدة ، فانها الاساس الذي تقوم عليه الحياة الطيبة والشرف الاصيل

فإذا اشتدت عناية أولى الأمر بالتعليم الدينى في المدارس على اختلاف أقسامها وفنونها ، وأرهف أهل العلم أqlامهم في حماية الشريعة ممن يتساقطون على الطعن فيها أو المكر في تأويلها ، وأخذ الآباء يهدى الله فصانوا أبناءهم عن المدارس المنشأة للصد عن السبيل ، خسرت تجارة الرهط الذين يجهلون على الحق والفضيلة ، وتنهأت لنا أسباب نهضة علمية اجتماعية نجنى ثمرها لذينا من نتائجها ،
وتحمد الاجيال القابلة عاقبتها

محمد الحضرمى حسين

الظرف والمُلح

ان لكل فضل زكاة . وان زكاة المال الصدقة على الفقير المحتاج . وان زكاة القوة المدفعة عن الضعيف المظلوم . وان زكاة البلاغة القيام بحجة من قد عجز عن حجته . وان زكاة الجاه أن يُعَادَ به على من لا جاه له . وان زكاة العلم التعليم لمن قصر علمه .
ان الفاسق اذا كان حسن الخلق . عاش بخلقه وخف على الناس وأحبوه — وان العابد اذا كان سيئ الخلق ثقل على الناس وملوه .

قال شاعر حكيم

ما استقامت فتاة رأيت إلا — بعد أن عوّج المشب قاتى

وقال الأشعث بن قيس يوماً لقومه : انما أنا رجل منكم . ليس لى فضل عليكم . لكتنى أبسط لكم وجهى . وأبذل لكم مالى . وأقضى حقوقكم . وأحوط حريمكم . فن فضل مثل فعلى فهو مثلى . ومن زاد على فهو خير منى . ومن زدت عليه فأنا خير منه —
فيل له : يا أبا محمد ما يدعوك الى هذا الكلام . قال حصهم على مكارم الأخلاق .

النفس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصّة شعيب عليه السلام

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين

وإلى مدّين أخام شعيباً . قال يقوم اعبدوا الله . ما لكم من الله غيره . ولا تنقصوا
المكيالَ والميزانَ . إني أُرْسِلُكُمْ بخير . وإني أخافُ عليكم عذابَ يومٍ محيطٍ ٨٤ ويقوم
أوفوا المكيالَ والميزانَ بالقيسط . ولا تبخسوا الناسَ أشياءهم . ولا تَعَثُوا في الأرضِ
مفسدين ٨٥ بَقِيَتْ اللهُ خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ ٨٦ قالوا يشعيبُ
صلوتك تأمرُك أن تترك ما يعبُدُ ، أبأؤنا أو أن تفعلَ في أموالنا ما نشأُ . أنك لأنت
الحليمُ الرشيدُ ٨٧ قال يقوم أريدتم إن كنتُ على بينة من ربي ورزقي منه رزقا حسناً .
وما أريدُ أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريدُ إلا الأصلاحَ ما استطعتُ . وما توفيقِي
إلا بالله . عليه توكلت . وإليه أنيبُ ٨٨ ويقوم لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ
ما أصاب قومَ نوحٍ أو قومَ هودٍ أو قومَ صالحٍ . وما قومُ لوطٍ منكم ببعيدٍ ٨٩ واستغفروا
ربكم ثم توبوا إليه . إن ربي رحيمٌ ودودٌ ٩٠ قالوا يا شعيبُ ما نَعَقَهُ كثيراً مما تقولُ .
وإنّا لنرى فينا ضعيفاً . ولولا رهطك لرَجَّحْنَاكَ . وما أنت علينا بعزيز ٩١ قال يقوم
أرهطِي أعزُّ عليكم من الله واتَّخِذْتُمُوهُ ورائكم ظهيراً . إن ربي بما تَعْمَلُونَ محيطٌ ٩٢ ويقوم
اعْمَلُوا على مكانتكم إني عملٌ سوف تعملون من يأتية عذابٌ يُخْزِيهِ ومن هو كاذبٌ
وارْتَقِبُوا . إني معكم قريبٌ ٩٣ ولما جاء أمرُنا نجَّيْنَا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا .

وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جُثُمِينَ ٩٤ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا آلَا بُعْدًا
لِلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ٩٥

السورة ١١ - سورة هود عليه السلام .

كلمة تسبق التفسير

هذه الآيات الكريمة من السورة الحادية عشرة سورة هود عليه السلام . افتتح الله عز وجل . هذه السورة الكريمة . ببيان قدر ذلك الكتاب الذي جاء به رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيمن أنه كتاب قد أحكمت آياته وأتقنت فصوله ، وأبدعت جلله ، واختيرت كلماته ، وعلا أسلوبه ، واتقنت معانيه ، فلا ترى فيه عوجاً^(١) ولا أمثاً^(٢) ، و (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

ثم بين لنا منشأ ذلك الكمال الفائق ، ببيان المصدر الأعظم الذي أنزل الكتاب المبين . وهو الله الحكيم الخبير ، ثم أردف ذلك بيمض ما تضمنه ذلك الكتاب وهو توحيد الله سبحانه وإرشاد الناس إلى عبادته وحده فان ذلك هو عماد دين الله تعالى على ألسنة رسله الكرام .

ثم تلا ذلك بيان المهمة التي لاجلها أرسل رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهي بشارة الموحدين الطائمين ونذارة المشركين العاصين .

كما بين لهم أنه سبحانه يقبل المستغفرين من ذنوبهم ويتوب على التائبين من أشراكهم وعصيانهم وأنه تعالى يكافئ المحسنين بأحسنهم والمسيئين بأساءهم جزاءً وفاقاً في يوم يجمعون فيه إليه وحده . (يوم يقوم الناس لرب العالمين) .

ثم أعلمهم بعد ذلك أنه سبحانه على كل شيء قدير لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء فلا جرّم إذا أت بهم إليه بالبعث ثم يُنفذ فيهم قضاءه فضلاً وعدلاً ، ثواباً وعقاباً .

بعد ذلك قص علينا سبحانه سوء معاملتهم لرسوله الذي جاءهم بخير الدنيا والآخرة
وازوارهم وأعراسهم واستخفاءهم منه . كأنهم يظنون أن ذلك يَخْفَى على الله الذي لا
يَخْفَى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .
ثم بين لهم سبحانه بعد هذا أنه تَامَّ العلم بما يعملون في السر والعلانية ، محيط بكل
شيء ، فانه جل وعلا راقٍ كُلَّ دَابَّةٍ ، عليم تمام العلم بِمُسْتَقَرِّهَا وَمُسْتَوْدَعِهَا ، يُعْذِّهَا
بِرِزْقِهَا إِنَّمَا كَانَتْ ، وحيثما حَلَّتْ فَلَا رَيْبَ إِذَا أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُهُ كُلُّ نَفْسٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ
ثم انه جلَّتْ قدرته لَقَّتْ المقولَ الى أن رجوع العباد اليه سبحانه بالبعث أمرٌ هَيِّنٌ
عليه تعالى فانه هو الذي خلق هذا العالم ، وأبدعه هذا الإبداع كما قال : (وهو الذي يَبْدَأُ
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ . وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ)

كذلك بين سبحانه الحكمة العالِية التي لأجلها خلقهم وهي معاملته لهم معاملة
المتحيز المختار . لِيُظْهَرَ لَهُمْ وَلِسَائِرِ الْعِبَادِ الْحَسَنُ وَالْمُسَىءُ وَيَتِمِزَ الْبِرُّ مِنَ الْفَاجِرِ وَيَتَبَيَّنَ
التَّقَى وَالْآتِقَى وَالْحَسَنُ وَالْأَحْسَنُ . كما قال تعالى في آخر هذه السورة : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ
لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً . وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مِنْ رَحِمِ رَبِّكَ . وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)
ولكن مع وضوح هذه الآيات التي نَصَبَهَا اللَّهُ عز وجل في الأنفس والآفاق
اختلف الناس فما جاءهم من الهدى عن ربهم في ذلك الكتاب العزيز المحكم فمنهم من
آمن وعمل صالحاً ومنهم من أبى واستكبر وجادل في الله بغير علم واتخذ آيات الله ورسوله
هزواً

أَلَا إِنَّ النَّاسَ قَدْ آسَأُوا كُلَّ الْأَشْيَاءِ إِذَا قَالُوا هَذَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ النَّاصِحُ الْمَخْلَصُ
هَذِهِ الْمَقَابِلَةُ السُّوءَى وَلَقَدْ جَنَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ جَايَةً لَا يَنْفِرُهَا إِلَّا أَتَهَاؤُمُ عَنْ كَفَرِهِمْ
وَاسْتَهْزَأُهُمْ . وَلَا يَخُشَوْهَا إِلَّا الْإِيمَانُ بِهِمْ وَتَعْظِيمُهُمْ اللَّهُ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ .

لا ريب أن هذه المعاملة السُّوءَى كانت تحزُّدُ الرسول صلى الله عليه وسلم وكان
يَضِيقُ لَهَا صَدْرُهُ الشَّرِيفُ وَلَكِنَّ اللَّهَ اللَّطِيفَ بِرَسُولِهِ قَدْ جَرَتْ سُنَّتُهُ أَنَّهُ يُثَبِّتُ فُؤَادَهُ

وَيُسْكِنُ مِنْ نَفْسِهِ وَيُطْمَئِنُّ مِنْ قَلْبِهِ بِمَا يُوجِيهِ إِلَيْهِ مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسْتَعِذْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ . وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)

وقوله في آخر هذه السورة : (وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَبِّئْتُ بِهِ فَوَدَّكَ)
وقوله : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لَأُولَى الْأَلْبَابِ .)

إن هذه الآيات الكريمة التي تلوناها عليك قد فقَّهَتْ أُولَى الْأَلْبَابِ فَفَقَّهُوا حِكْمَةَ اللَّهِ الْحَكِيمِ فِي ذِكْرِ قَصَصِ الْأَوَّلِ فِي الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، كما فَقَّهُوا كَذَلِكَ الْحِكْمَةَ فِي تَكَرُّرِ الْقِصَّةِ الْوَاحِدَةِ فِيهِ

وَلَعَلَّنَا نَحْصُ (قِصَصِ الْقُرْآنِ الشَّرِيفِ) بِمِقَالٍ فِيمَا بَعْدَ تَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى .
وَأَجْمَالِ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَصَّ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى أُمَّتِهِ أَخْبَارَ الْمُرْسَلِينَ الْأَوَّلِينَ مَعَ أُمَمِهِمْ وَذَلِكَ لِحُكْمٍ جَدِيدَةٍ بِالْعَمَلِ .
فَنَهَا تَخْفِيفُ الشَّدَائِدِ وَالْمَتَاعِبِ الَّتِي كَانَ يَلَاقِيهَا الرَّسُولُ وَأَصْحَابُهُ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ إِلَى الدِّينِ وَحَايَتِهِ فَإِنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الرُّسُلِ الْكِرَامِ وَأَصْحَابِهِمْ قَدْ لَاقَوْا مِنْ أُمَمِهِمْ مِثْلَ مَا لَاقَوْا

وَمِنْهَا تَنْبِيهُتُ اقْتِدَاءَهُمْ وَتَسْكِينُ قُلُوبِهِمْ وَطَمَئِنُّهَا ، حَتَّى لَا يَلْسَكُهَا عَلَيْهِمْ فَرْعٌ أَوْ قَلْقٌ أَوْ ضَجَرٌ

وَمِنْهَا تَحْيِيصُ الصَّبْرِ عَلَى احْتِمَالِ الْمَكَارِهِ وَالْكَوَارِثِ اقْتِدَاءً بِالْأَوَّلِ مِنَ الرُّسُلِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَابْتِنَاءً لِإِدَاءِ مَا كَلَّفُوهُ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَمِنْهَا الْإِعْتِبَارُ وَالِاتِّعَاضُ بِمَا جَرَى عَلَى الْأُمَمِ الْأَوَّلَى الَّذِينَ جَعَلُوا بَيِّنَاتٍ مِنْهُمْ وَعَصَوْا رِسْلَهُ فَكَانَتْ عَاقِبَةُ أُمَمِهِمْ خُسْرًا

وَمِنْهَا عِظَمُ الْوَثُوقِ بِصَدَقِ وَعْدِ اللَّهِ لَهُمْ بِأَنَّهُ سَيُخَذُّلُ أَعْدَاءَهُمْ وَيُعَاقِبُهُمْ عَلَى عِصْيَانِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ وَبِأَنَّهُ سَيَنْصَرِّمُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيُورِثُهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَيَمَكِّنُ لَهُمْ دِينَهُمْ

الذي ارتضى لهم كما قال : (ثم نُحْيِ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ)
 كان من جملة السور القرآنية التي جاء فيها قصصُ الأممِ السالفةِ هذه السورة
 سورة هود عليه السلام
 أنزل الله تعالى فيها سبع قصصٍ لسبعةٍ من رسله الكرام فكان منهم سيدنا شعيب
 خطيبُ الأنبياء عليهم السلام

أرسله الى مدين كما قال سبحانه : (والى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا) الآيات المقدمة

التفسير

مدين : هو أحدُ أولادِ سيدنا ابراهيم عليه السلام ويُطلقُ تارةً على ذريته الذين
 منهم سيدنا شعيب عليه السلام وتارةً على الأرض التي استوطنها هو وذريته من بعده
 على بحر القلزم^(١) والمراد بمدين في الآية المعنى الثاني وهو ذريته

أهلُ مدين هم احدى الأمم القديمة في الأيام الخالية كانوا في عيشة راضية وحياة
 طيبة ولكنهم فسقوا وعاثوا في الأرض فساداً فأرسل الله تعالى إليهم رسولا منهم تبليغ
 بهم صلةُ الأخوة النسبية وهو سيدنا شعيب عليه السلام ليبليغهم عنه دينه القويم حتى اذا
 ما آمنوا وأصلحوا متعمهم متاعا حسناً الى أجل مسمى ثم ردهم اليه يوم القيامة موفياً لكل
 ذي حق حقه

فانظر اذاً الى حكمة الله البالغة أن جعلَ رسولهم منهم لا من غيرهم
 ذلك لأنهم أعرفُ الناس به وأدراهم بأحواله وسيرته وأخلاقه وسائر شؤونهم وأفهمهم
 لكلامه وأسبقهم الى ادراك مقاصده وأغراضه وأولامه باتباعه وأحقهم باقتفاء آثاره
 اضطلع سيدنا شعيب عليه السلام بالرسالة فصَدَعَ بأمر ربه . مُطَفِّفاً لقلوبهم عليه
 منادياً لهم بما ينه ويبيّنهم من صلة القومية والقرابة حتى لا يتهمونه بأنه يكذبهم أو يريدُ

بهم شراً فطلب اليهم عدة أشياء ونسح لهم أن يتبعوها فان في اتباعها صلاحهم وفلاحهم أمرهم عليه السلام بستة أشياء ونهاهم عن أربعة ، أمرهم أولاً أن يعبدوا الله ويخصّوه بالعبادة وحده لا يشركون به شيئاً ولا يعملون معه لها آخر من الإنسان أو ماله أو كوكب أو شجر . أو تمثال من ذهب أو حجر .

ثم ان عبادة الله تعالى هي الخضوع الكامل لمظنّته سبحانه وخشوع القلب خشوعاً تاماً لقدرة وهيبته مع ملاحظة النفس أن الله الذي تعبّد له قد أحاط علمه بما ظهر منها وما بطن ، وان قدرته نافذة فيها لا يُعجزها شيء ، في السموات ولا في الأرض ولا تقدر النفس أن تدرك حقيقة ذلك المعبود الأعظم ولن تستطيع الى محاولة ذلك سبيلاً .

والعلامة التي تدل على أن النفس قد عبّدت الله تعالى تلك العبادة هي الأعمال البدنية الظاهرة وهي أداء العابد حقوق الله تعالى وأداء حقوق العباد وأداء حقوق نفسه الى نفسه .

هذه هي العبادة التي أمر سيدنا شبيب عليه السلام قومها بها ثم بين لهم السبب الذي لأجله وجب عليهم أن يعبدوا الله وحده هذه العبادة وهو أنه ليس لهم إله غيره فهو وحده الههم الذي خالقهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً وهو دون سواه ربهم الذي يربّي نفوسهم بالدين الحق والعلم الصحيح ويؤدّبهم بالمعقوبات الدنيوية لينكفوا عن المعاصي ومخالفة الأوامر الإلهية كما أنه كذلك يربّي أبنائهم وينميها بما أخرج لهم من الطيبات من الرزق .

فلا ريب إذاً أن يكون الله عز وجل هو الههم الواحد لا ندّ له ولا شريك . إن التدبر في معنى العبادة الذي شرحناه يبين له أنها حُصاعٌ كل خير وأنها الوسيلة العظمى التي تقرّب العابد الى الله زلفى وأنها تتضمن جميع التكاليف الإلهية من مأمورات ومنهيات مما ربّ الله الحكيم عليه صلاح أحوال البشر في الدنيا والآخرة .

فمن عبّد الله تعالى هذه العبادة فإنه لا يفرّط في أداء حق وجب عليه لله ولعباده أو لنفسه كذلك لا يُقدّم على ارتكاب منهيّ أبداً كان من اشراك أو نقص مكيال أو ميزان أو غير ذلك .

ثم ان هذه العبادة التي أمر بها سيدنا شبيب عليه السلام قومه هي التي كلف الله تعالى سائر الرسل أن يلقوها أمتهم ومنهم سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في مثل قوله سبحانه : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم) وقوله : (فَأَيُّ فَاعْبُدُونِ) وقوله : (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) .

ان الواجب على هذه الأمة المحمدية حينئذ أن تجتمع ما تفرق من أحوالها وشؤونها في الأنظار الإسلامية سواء في ذلك ما يتعلق بالحياة الدنيا أم بالحياة الآخرة . ثم تزن ذلك كله بهذا القسطايس المستقيم الذي وضعه الله تعالى وجمعه معيارا صادقا لصلاح أحوال العباد في الحياتين . وذلك هو ميزان العبادة الألهية .

فمن ثقلت موازينه . وجب عليه المثابرة والمصابرة والاستزادة مما هو فيه من هذه العبادة الصحيحة وكان ممن يُرجى له عند الله تعالى النفرة وحسن المآب . ومن خفت موازينه وجب عليه أن يتحسر على ما فرط في جنب الله وعلى ما أضاعه على نفسه من خير عاجل أو آجل . ولزمه أن يسارع الى اصلاح ما أفسده من أمور دينه ودنياه . عسى الله أن يتوب عليه . (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) .

من منصرف
وكيل دار العلوم سابقاً

ينبع

الطرف والملح

أوصى رجل ابنه فقال له : يا بني . اذا كنت في قوم . فدار بينهم تديراً . فلا تعجل بالجواب قبل أن تعرف ما عندهم . ولا تكبر عن متابعتهم اذا ظهر لك الحق . فان المتابعة على الصواب . أحسن من الابتداء بالخطأ — واعلم يا بني أن اصابتك الرأي بعد خطأ القوم . أحمد لك من اصابتك قبل كلامهم . فانه لا يعرف فضل رأيك على غيره . إلا بعد المعرفة بما عندهم . فخذ ذلك يستبين القول السديد من السفيه . والرأي الرشيد من الكريه — ومن استقبل وجوه الآراء . علم مواضع الخطأ .

اصول الدين

الايان بالله . ومناقشة الطبعين

عجا للطينين يبحثون لكل شىء يحدث في الوجود عن سبب ولو كان صغيرا وحقيقا فاذا وصلوا الى سبب الاسباب وما لا يعقل شىء الا به انكروه وقد قال بعض الفلاسفة ، ان انكار السبب الاول للاشياء بمنزلة عدم الاسباب بالكلية فليس بمقول أن الحلقة من السلسلة تحتاج الى ما يمسكها من الحلقات الاخرى والسلسلة كلها لا تحتاج الى ممك ، وقال آخر لا يمكننا أن نمثل شيئا ولا أن نعرف سرا في هذا الوجود ما لم نعرف بوجود الخالق والا تعذر علينا تعليل الاشياء تعليلا مفهوما . ثم نقول : من تأمل في الحكم المودعة في تركيب المركبات خصوصا الحيوان والانسان وما نيط بكل جزء من اجزائها وكيف تعاونت الاجزاء كلها على مقصود واحد ثم نظر بعد ذلك في ارتباط مجموع العالم ببعضه ببعض وما أودع فيه من غريب الصنع ودقيق الحكمة حتى انك لا تجد ذرة في جسم الانسان أو في جسم العالم كله الا لحكمة سامية . عرفها من عرفها وجهلها من جهلها

من تأمل هذا كله بهره ذلك العلم الذي وسع كل شىء واتقن كل شىء ودبر كل شىء وحفظ كل شىء وقام على كل شىء وما تسابقُ اسماء في ميدان البحث ولا تبرزهم في مجال العلم الا لاستطلاع هذه الحكم ، واستكشاف تلك الاسرار التي ابان علم التشريح منها شيئا كثيرا أو قليلا . وكذلك عم الفلك وكل العلوم التي تدور حول ذلك المحور ، وتشيد صرح عظمة الله تعالى كما قال بعض الفلاسفة وستسمع ما قال .

وما هذه الكتب المتركة في علم النبات والحيوان والانسان والمعادن والارض

والسما والنجوم والافلاك وكل ما كتب فيه العالم من أوله الى آخره الا نقطة صغيرة من علم الله تعالى الذى دبر هذا العالم لانها تفصيل لبعض ما اودعه من الاسرار فى ارضه وسماه ولسنا فى الوجود الا شيئا ضئيلا . ولعل ما عند غيرنا من العوالم يفوق ما عندنا أضعافا مضاعفة . فليست أرضنا هذه الا كحبة رمل صغيرة فى جانب غيرها من العوالم

وقال العلامة الشير (هرشل) . كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدائمة القوة على وجود خالق أذى لاحت لقدرته ولا نهاية ، فعلماء طبقات الارض والرياضيون والطبيون قد تعاونوا وتضافروا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده .

ثم لو فرضنا أنهم عرفوا نوااميس هذه الارض كلها مع أن ذلك محال لما كان ينبى لهم أن يتبجحوا بهذا التبجح فان الارض بجانب غيرها من العوالم ليست الا شيئا ضئيلا جدا كما قلنا .

ولعل فيها ما يصلوا الى معرفته ولم يحملوا بشىء من نوااميسه هذا ولتقل لهم بعد ذلك: هل حافظتم على مبدئكم ومقتضى منكم فلم تقولوا الا بالمحسوس عند ما قمت ببقاء القوة والمادة وانها لا تزيد ولا تنقص ولا تفى ؟ فهل سبرتم العالم كله ووزنتم ما فيه من مادة وقوة ففرتم مقدارها حتى قلتم بذلك ؟ لا يستطيع أحد منكم أن يدعى هذا ، وهل وصلت من الوسائل والآلات الى حد لا يمكن الزادة عليه حتى قلتم بعدم فناء المادة

الم يلفكم ما قرره (جوستافلوبون) وغيره . : (ان المادة تفى وسواء أصبح هذا الرأى أم لم يصبح فقد قلتم بغير المحسوس وعارضه هذا العلامة بالمحسوس الذى قام عليه البرهان الحسى عنده . فقد رجعت من اليان الى البرهان وكل نظرية لا يشهد لها اليان بوقوعها تحت الحس وامتحانها بالتجربة فليست عندكم من العلم فى شىء

وهذا ما يتبجحون به ولكنهم يضطرون الى نقضه فى مسائل كثيرة كما سمعت

وكما تسمع . فان قولهم : ان دقائق المادة تتجاذب وتتدافع لا يمكنهم أن يثبتوه ثبوتاً علمياً ، بل يكاد يعجز العقل عن ادراكه والتسليم به . فاننا لانعقل كيف أن دقيقة من دقائق المادة تجذب أخرى في حين انها تدفعها ومع ذلك هم قائلون به من غير أن يعلموه أو يفهموه . فلأين أساسهم الذي أسسوه .

وما اعترضهم بعد ذلك على أصحاب الايمان وارباب البرهان . وما قيمة قولهم اننا لانؤمن الا بما رأينا ولا نرضى لانفسنا أن نقول بالحرفات أو الخيالات . لا يا حضرات الفلاسفة . اننا ندعوكم أن تقولوا بما توجيه العقول ويقوم عليه البرهان كما هو شأن أنواع الانسان . ولذلك نراكم تلجئون الى النظر والاستدلال في كثير من المسائل لانكم من نوع الانسان الذي فطر على ذلك على كل حال . ثم نقول لكم بعد ذلك ماذا استكشفتم من النواميس حتى تحكموا على السماء والارض وعلى المنظور وغير المنظور . لم تكشفوا الا بضعة نواميس قليلة لاتسمن ولا تغنى من جوع . فليست هذه الارض في جانب العوالم الا كحجرة صغيرة للحيوانات الدنيا في جانب فصر كبير . وقد حيركم ما اودع فيها من الاسرار والخواص . وما جهلتموه منها اكثر مما علمتموه باعتراف المذنبين منكم ، ثم نقول انكم ما أخذتم علمكم الا عن الحواس وهى في خداجها وخداعها على ما بينه العلماء فما هذا التبجح الذى لا اساس له يا اخواننا في الانسانية .

ولست ادرى كيف ينكرون ما وراء الحس ويتبجحون بانهم لا يقولون الا بالمحسوس . وقد تركوا لغيرهم الحرفات والالوهام . ساخرين منهم هازئين بهم مع اننا نراهم اثبتوا الأثير وبنوا عليه كثيراً من قواعدهم . ولم يروه ولا احصوا به . فان قالوا : أثبتناه بالادلة الكثيرة فقد نقضوا أصلهم ورجعوا الى الاستدلال واى فرق اذا بينهم وبين من يستدل على افعه بآثاره وباهر انواره وعلى الروح بظواهرها التى يستحيل لدى العقل الصحيح أن تكون أثراً لذبذبات المادة أو اشعاعاً لفسفور المخ الى آخر ما يتخللون . وهل هذا الا عدول عن المعقول المقبول الى التخيلات الفارغة والتعليقات السقيمة فضلاً عن كونهم هدموا بذلك ما اصوله

من القول بالمحسوس ومجافاة غير المحسوس على أنه يمكننا أن نطعن على الحس أكثر مما طعنوا على العقل فنقول .

ان ادراك هذا العالم المحسوس الخارج عنا انما هو بوساطة الحس فلو فقدنا ابصر لم يكن للمبصرات وجود عندنا ولو فقدنا السمع لم يكن للمسموعات وجود كذلك الى آخره . فالذى يصلنا بالعالم الخارجى انما هو حواسنا فهل الحس مأمون (اللهم لا) وقد بينوا ذلك في كتب الفلسفة القديمة وذكروا أن هناك فرقة لاتقول بشهادة الحس الذى يغلط كثيرا فانا نرى حبة العنب مثلا في الماء كبيرة ونرى ما في البر يجرى اذا كنا في البحر وها هو ذا كوكبنا الارضى يسير بنا اسرع من كل سرع عندنا ولا نحس به ونشوهه ثابتا ساكنا

فا الذى يؤمننا أن نكون غططين فيما نحس به وها هي ذى الالوان تستند الى ذبذبات معينة في الأثير حتى تتصل بابصارنا وتتغير الحكم لدينا بقلة عدد الذبذبات وكثرتها ، وكذلك الاصوات في سمعنا على ماقررده فكيف نحكم على الاشياء بانها في الواقع على ما هي عليه عندنا والحواس على ما سمعت على اننا لو ننزلنا وقبلنا احكام الحواس على علاتها وكثرة ما يكون فيها من الخطأ فا الذى يؤمننا بعد ذلك أن تكون هناك أشياء لاندرك الا بحالة أخرى لم تخلق فينا وقد اثبت بعضهم للنحل حاسة ليست في الانسان وكذلك لنير النحل كالحمام والكلاب ، وقد ذكروا أن القطاط ترى في الظلام الى آخره ، وعلى كل حال فالابصار لا يكون الا على حد محدود من الذبذبات في الأثير ولا يمكن فيما دون ذلك . وكذلك السمع ومما لاشك فيه أن الحيوانات مختلفة في ذلك اختلافا كثيرا فأي ثقة بالحس حتى تربوا عليه ذلك كله ؟

افلا يجوز أن تكون الاشياء في الواقع على غير ما ادركناه بحسنا . اللهم ان ذلك جائز وواقع . فيجب اذا أن يكون التمويل على العقل لاعلى الحس والنقطة بالبرهان لا بالبيان وان رأيتم أن ذلك افراط (فليس دواء الافراط الا الافراط) والعقل أولى أن يكون ذا السلطان ومرجع الانسان وبمعنى قول العلامة (كروزيار)

في هذا المقام اذا كنت لا أقول الا بالمحسوس فكيف يمكنني أن أعرف أن صديق
الذي يماشيني يحوز شيئاً أدعوه العقل . اني لا استطيع أن أراه أو أحس به أو
أتناوله بتجربة اتخذه بجهر الطبيب أو مشرط الجراح أو مجهزات الكيماوى اداة لها
قلو كان معتقدي في عقل صاحبي يعود الى مقدار ما استطيع أن أعرف منه علميا
(أى بالحس) لم استطع أن أعتقد بوجوده مطلقا مع أن مفخرة العلم الحاضر
ادعاؤه بأن كل مستتجاته من المستطاع أن توضع تحت حكم الحواس فاذا وجود
العقل في صاحبي كوجود (واجب الوجود) كلاهما اعتقاد الزامى لانستطيع أن
نعرفه من طريق الحس وفي الوقت نفسه نحن ملزومون بالاعتقاد به ثم قال كيف
ندرك أن العقل متفوق على المادة وان المواطف العقلية أذكى طبيعة من المواطف
الحسية كيف ندرك أن الشجاعة وكرامة الاخلاق ونضحية النفس أصنى طبيعة
من حب الملاذ والخشونة واشرف من الحيات بضروبها ان خلايا المخ هي التي
تنشئ من نشاطها وحركتها تلك الانفعالات . ولكن نعرف من جهة أخرى وبقدر
ما يسمح لنا به العلم الطبى أن هذه الخلايا متشابهة في المرتبة والقدر فكيف وقع
الفرق في المرتبة بين الانفعالات المتشاكلة ولولا هذا الاعتقاد لاصبحت العلوم
والمجاهدات الأدبية برمتها سخرية وتضليلا ، وهناك تتمطل المصالح العظمى في حياة
الانسان ويبتل التفريق بين درجات الفضيلة والريذة والمدح والذم والشرف
والاسفاف وتصبح هذه الاشياء غير واقعية ولا حقيقية وهو ما يتنافى العقل ويصادم
البديهة . انتهى كلام هذا المفكر الكبير ، ثم نقول لهم بعد ذلك هل يعقل انكم تطلبون
لكل شئ سببا ثم لا تطلبون للكون كله سببا؟ ثم نكرر ماقلناه ببسط وتوسع . هل يعقل
أن كل حلقة من حلقات العالم تحتاج الى حلقة تمسكها أو تنشأ عنها أو تعتمد عليها
أو قل ما شئت ولا تحتاج السلسلة كلها الى ممسك يمسكها ومبدأ تعتمد عليه .
وهل اذا وجدنا مدفا كبيرا ذا صنع دقيق ولقدوفاته الاثر الكبير . وقد عرفنا
سر صنعه وترتيب أجزائه واتصال حلقاته الى أن يترتب عليه أثره في الوجود .

فهل ينبغي ذلك عن الفاعل الذى صنعه . والعقل الذى دبره والارادة التى ارادته؟
 اللهم ان الامر جلى واضح حتى على مقتضى قوانينهم التى تطلب لكل شئ سببا
 وتبحث لكل معلول عن علة . ولا أدري كيف يبحثون فى الاشياء الجزئية عن عللها
 ثم لا يبحثون للمجموع عن علته ؛ ثم نقول من وجه آخر . اذا عرفت أطوار البذر
 ودرجات نموه حتى يثمر فهل يمد ذلك معرفة للبذرة نفسها . ولما أودع فيها من السر
 الذى أوجب هذا النمو وذلك الاثمار . على أن معرفتهم للأشياء التى يدعونها ليست
 ناشئة الا عن رؤيتهم تواليها وحدوث بعضها عقب بعض فما الذى ادراهم أن الحلقة
 السابقة هى الفاعلة فى الحلقة اللاحقة بل ما الذى ادراهم انها سبب حقيقى فى حدوث
 ما بعدها وهم لم يشاهدوا الا وجود هذا عقب ذاك لا غير . وهل هذا يفيد السببية
 الحقيقية أو يقتضى الفاعلية المؤثرة أم ذلك ظن وتخمين لاشهود عيان كما يزعمون
 وقد ينطقون بالصواب فى بعض الاحيان من حيث يشعرون اولا يشعرون فيقولون
 سنة الكون فاذن الاسباب هى السن والىبية هى المادة الجارية بحدوث هذا
 عقب ذاك أما التأثير أو الفاعلية أو السببية الحقيقية فامر وراء ذلك . فان القوانين
 التى تضعها والمخطط التى ترسمها والاعمال التى ترتبها على نظام خاص لا تدل على
 تأثير بعضها فى بعض ولا ايجاد بعضها لبعض وانما هى قوانين اقتضتها ارادة المقتن.
 وانظمة استدعتها حكمة المنظم فهذا هو كل ما تعطينا المشاهدة التى ظلموها فتنسبوا
 اليها ما هم برثة منه ، على اننا نستطيع أن نقول انهم لم يعرفوا حقيقة شئ على
 الاطلاق وانما هى ظواهر يعرفونها عند ظهورها أما مهايى الاشياء فلم يصلوا اليها
 ولم يثمروا عليها . أما كلمة قوة ومادة التى يعتبرونها من الاوليات الضرورية وانما
 كذلك من حيث ظاهراتها المحسوسة فلا تؤدى الى العقل كما قال بعض المحققين
 الامعاني خفية غامضة مجملة لاتفيد شيئا من معرفة الماهية والحقيقة
 ما يذكرونه فى أمثال ذلك لا يخرج عن كونه جنسا عاليا أو عرضا عاما وقد ذكر
 المنطقيون أن التعريف بالجنس لايفيد وان التعريف بالخاصة رسم ناقص والرسم
 لايبين الكنه ولا يشرح الحقيقة . وكذلك الحياة والادراك والتذكر والتخيل

لا يمكنهم أن يملأوه تعليلا ماديا فضلا عن أن يعرفوا الحقيقة والماهية . ومن أظهر الاشياء أن المادة التي حللوها كل التحليل وقلبوها على كل وجه وفعلوا بها الافاعيل (أو فعلت بهم الافاعيل) لم يعرفوا حقيقتها حتى الآن فبعد أن قالوا : انها جواهر فردية واستمروا على ذلك قرونا كثيرة رجعوا فاثبتوا مذهب الاكثر ذرات وما فيه من تخمين أو يقين . واثبتوا ذلك الدوران السريع الذي يوجب دوران الدماغ في تلك المنظومات التي تشبه المنظومات الشمسية على ما يقولون ولا داعي للتوسع ولعلك رأيته وقرأته . ومن أغرب ما قالوه فيها وهو من أحدث الآراء انها الحركة وليست شمرى هل الحركة تقوم بغير متحرك وهل العرض يقوم بنفسه ولكن مالنا ولهذا وانما نريد أن نقول : انهم عجزوا عن ادراك حقائق الاشياء حتى المادة التي عبدوها ولم يعرفوا شيئا سواها وهكذا شأنهم في كل أدوارهم يتبعجون من غير علم ويحسبون انهم على شيء وما هم على شيء . فقد قالوا انتصرت المادة وارتفع لواؤها عند ما استكشف (غليليو) دوران الارض وقالوا مثل ذلك عند ما كشف (نيوتن) الجاذبية وقالوا مثل ذلك عند ما قال (درون) بالنشوء والارتقاء . وقالوا ذلك عند ما وضع (لابلاس) قاعدة نظام العالم على ما زعم وقد جاءهم (اينشتين) أخيرا فهدم لهم نظرياتهم الاولى واتاهم بشيء جديد ؟ أن ثم هدم كل قواعدهم ومقرراتهم وهكذا لا يزالون يتبعجون ببجح الاطفال عند ما يظفرون بشيء ضئيل ويصفقون تصفيق الجهال لشيء العليل والنزر القليل وقد كانوا يظنون في كل دور من تلك الادوار انهم اكملوا ما لديهم من نقص وسددوا ما في مذاهبهم من فراغ ثم تبين لهم أن النقص لازم لهم والاستدراك قضاء عليهم ولا يزالون كذلك حتى يرث الله الارض ومن عليها . ولا يفوتنا أن ننصح لهم أن الوقوف مع الحس هو شأن الحيوان لا الانسان والنظر الى الاسباب الاخيرة دون المسبب الاول يشبه ما يقع من الحيوانات التي تعرف سائسها الذي يقدم اليها ماتأكله دون ربها أو الحيوانات الى ادا ضربت بالحجر عضته لاعتقادها انه هو الذي ضربها أو الحيوانات الدنيا التي ترى المداد يسود القرطاس . فتمتد انه من القلم لكونها لا ترى انكاتب

لنقص نظرها

ومع هذا فربما كان الماديون معذورين بقصرهم انفسهم على دراسة المادة التي وجدوا الباري قد وضع فيها من الاسرار ما يدهش العقول ويحير الافكار . وجعل لها نواميس ثابتة . فلم تقو ابصارهم على استطلاع شمس الالوهية من وراء تلك الحجب فقالوا ما قالوا ، ولو نزلوا من عروش كبرياتهم الى الانصاف وحسن التفاهم لعلموا أن ما درسوه لا يخرج عن كونه سننا وقوانين وضعها الخالق في خيخته وانظمة أبدعها الحكيم بحكمته وليس لذلك كله شيء من الفاعلية . بل هو أدل على القابلية من الفاعلية وكان يجب أن يكونوا اكثر الناس ايمانا لأن من عرف سر الصنعة كان أعلم بالصانع فكان يلزم من علمهم بذلك النظام العجيب أن تكون معرفتهم بالحكيم الذي أنقذه بحكمته التي تدهش الالباب وقدرته التي لاحد لها أعظم من معرفة غيرهم وايمانهم أشد وأثبت ولكن الانسان هو الانسان ، كلمة انصاف عن الدينين والطبعين .

رأينا أن نختم مقالنا هذا بكلمة انصاف تقرب بين الفريقين وتشرح وجهة النظرين . ولعلها تزيل ما بينهما من خلاف أو تقلل ما مرنوا عليه من اعتساف فنقول يظهر أن المتدينين انكروا الاسباب الظاهرية التي تستند اليها مسيئاتها دفاعا عما يمتقدون من التوحيد فيما يظنون فصادموا المحسوس وجنوا بذلك جناية كبرى على الدين ولكن تطرف الطبيعيون أيضا عند ما كشفوا الاسباب الموجبة للمسيئات على مقتضى السنن التي وضعها الله في العالم . فقالوا : ليس هناك تدخل لغير هذه الاسباب في ايجاد شيء من الاشياء ولا ايجاد انفسها . ولكن لو عرف الطبيعيون أن هذا قانون وضعه الله في العالم لانه حكيم فتأبى حكمته أن يكون العالم فوضى بلا قانون ولا نظام . واعترف لهم أهل الدين بذلك كما يفعل مفكروهم وفلاسفتهم وعرف الطبيعيون أن هذه النواميس ليست مؤثرة ولا فاعلة وعلمهم نفسه لا يثبت التأثير ولا يدل على الفاعلية وانما وظيفة العلم الطبعى أن يبين العلاقات والترتب والنظام والارتباط بين الاشياء . وليس عندهم ما يدل على السببية الحقيقية كما قلنا ولذلك يعبر كثير منهم بالسنن وهي كلمة لاتفيد غير القانون والنظام بل هم

معترفون انها ليست سيية حقيقية . ومصرحون بان العلم الطبيعى لا يدل على ذلك لو عرفوا ذلك كله وعرفوا بعد هذا أن ما استكشفوه ليس الا نزرا يسيرا لا يقام له وزن بجانب هذا الكون العظيم ثم ضمو الى ذلك تلك الحقيقة الناصعة التى لامراء فيها وهى أن الكون بعد كل تنزل محتاج فى مجموعه ووحدة نظامه وأصل وجوده الى علة ولا يمكن أن يكون كل جزء فيه محتاجا الى علة ومجموعه غير محتاج اليها وليس فى قدرة العالم الطبيعى الذى يبحث عن علل الجزئيات المينة والحلقات المتوالية أن يستكشف علة المجموع فى أصل وجوده ولا أن يعرف كيف تمت له هذه الوحدة ولا ماهو الاصل الذى أعطاه ذلك النظام بوساطة علمه الطبيعى بل نقول لا يمكنه أن يعرف كيف اختص كل جزء فيه بخاصته المينة . ولا لماذا وقفت العناصر الاصلية عند ذلك الحد الذى وصلت اليه من نحو ثمانين عنصرا على ما يقولون ولا لماذا كان بعضها فى هذا الوجود أكثر من بعض (كالأكسوجين) مثلا مع (الراديوم) أو غيره من العناصر العزيزة الوجود لو عرف الطبيعىون ذلك وعرف الدينون أن الاعتراف بالاسباب والمسببات والقوانين والانظمة لائنس الالهية بشىء بل على العكس من ذلك تثبت حكمة الله وعلمه الذى لا يتناهى . لو تم ذلك لما كان هناك نزاع بين الفريقين وتم الصلح بينهما ولست أظن أن هناك نزاعا بين المحققين من الدينين والراسخين من الطبيعيين .

ولكن ماذا نصنع وقد جد كل فريق على ما اداه اليه علمه الناقص ونظيره القاصر . فكان شرا مستطيرا على نفسه وعلى الناس .

وقد علمنا الله تعالى أن هناك قوما من أرباب الجهل المركب ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

وقد قال (كل حزب بما لديهم فرحون) وقال (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية) وبعد (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا)

يوسف المدجوى

من هيئة كبار العلماء بالأزهر

ورئيس جمعية النهضة الدينية الاسلامية

أصول الدين

البعث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نكتب اليوم في البعث وهو من أصعب ما جاءت به الشرائع السماوية حتى أن كثيرا من الناس ليعده من الخرافات أو المحال ولنقدم قبل ذلك كلمة وجيزة عن الانسان فنقول

مقدمه

الانسان من أعجب الكائنات وأغرب المخوقات جمع بين المتضادات واستعد لأكبر السعادات وأعظم الشقاوات لأن فيه قابلية لاتحد وجهات ضعف وقوة لاتعد أما قوته فأنت غنى عنها وممتلئ منها . وأما ضعفه فن وجوه كثيرة فمنها انه متى ألف شيئا ألفا تاما واعتاده اعتيادا متكررا لم يكده يقبل غيره . أو يصدق بشيء سواه ولو كان من أوضح الواضحات أو أول المبرهنات فإنه لا يستمد الا من مألوفه ولا يرجع الا الى معروفه وما عدا ذلك فهو عنده خيال أو محال ، ثم يأخذ وهمه في الاستدلال عليه ولكل قوم أدلة يقتنعون بها ويعتمدون عليها لأنها تناسب حالهم وتروق خيالهم وان كانت من عمل الشيطان وعلى نقيض البرهان . ومن ذلك ما قاله المشركون في رد التوحيد

«أجعل الآلهة الها واحدا أن هذا شيء عجاب» وفي رد النبوة «أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لقي ضلال وسعر القى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر . ومن ضعف الانسان أنه اذا نظر في موضوع فقلما ينظر فيه الا من بعض نواحيه ثم يكون الباقي عنده في عالم المجهول أو غير المعقول لأن البصيرة كالبصر متى اشتغل

برؤية شيء حجب عن غيره وان كان أقرب الاشياء اليه وأدناها منه . وكيف تنظره البصيرة وهي لم تتوجه اليه ولم تلتفت له . ومادامت تجهله فهي تنكره ولا تكاد تصوره . ومن جهل شيئا عاداه وقد قال الله تعالى في مثل هؤلاء (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) وهو بعد ذلك مستعد للتقليد في أي شيء من الأشياء ولو كان من أجهل وأبطل الباطل بمقتضى تلك القابلية التي لاحد لها فانه يتأثر بكل شيء يراه أو يحس به أو يراه من أبيه أو استاذة أو رجل كبير في نفسه خصوصا ما مرن عليه بين بيئة مردت على الجهل والتقليد . أو يقرأ في كتاب من الكتب أو جريدة من الجرائد أو مجلة من المجلات مادام لا يقرأ ما يعارضه . وقد قالو قديما (من يسمع يخل) والنفس الانسانية مستعدة لكل ما ينقش فيها خيرا كان أو شرا والغذاء المعنوي بمنزلة الغذاء الحسى لا بد أن يؤثر أثره في صاحبه ضارا كان أو نافعا حتى اذا تمكنت تلك النفوش من النفس ، واصبحت راسخة فيها تعسر زوالها وربما تعذر وكأنها صارت جزءا من تكوينها وعنصرا من عناصرها . ومعروف أن الشيء اذا صبغ بأي صبغ وتمكن منه ذلك لم يقبل صبغا آخر الا بتحليل كبير وعناء كثير . فمثل هذا الرجل لا يبتنى غير ماعنده بديلا ولا يجد الى ذوق الحقائق سبيلا لأنه لا يرى له أثرا في وجدانه ولا يقع له على ظل في زوايا قلبه . والانسان ليس الا قلبه . والقلب ليس الا تلك المعلومات التي غذيته بها . ولا النفس الا تلك النفوش التي نقشتها فيها وصبغت بها . ولذلك يقول الله في حق هذا الفريق (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) وهؤلاء يرون تقليد الآباء من أول الواجبات وقولهم من أكبر الأدلة وقد قلنا ان لكل قوم أدلة تناسب طفولتهم وتوافق جهالتهم وهؤلاء هم الذين يقولون

(انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وعزيز على أن أقول ان آباء اكثر الناس الآن هم الأوربيون وأساتذتهم هم الماديون والمحددون وذلك

بفضل التعليم المدني وجهلنا بكل شيء عندنا حتى أوليات ديننا وتاريخ اسلافنا، ولترجع الى ما كنا فيه فنقول

ومن أكبر الضعف أنه يظن الشبهة الباطلة دليلا ساطعا والحجة الداحضة برهانا نيرا والأنسان مستعد أن يتسفل الى أسفل الدرجات أو يترقى الى أعلى الدرجات ولقد وصل من الجهل الى حد أنه كان يعمل الصنم بيده ثم يعبد به بل الى حد أنه كان يعمل من عبادة ثم يأكله، ومن أظهر وجوه ضعفه وأعماقها في نوعه تأثير الشهوات التي تختلف ضروبها وتنوع مراميها حتى تقتل عقله وتغيب احساسه أو تفسد انسانيته فتجعله غير انسان ومن أظهر وجوه الضعف فيه أننا نرى بعض أفراد من أقوى الاقرباء ثم نراه من أضعف الضعفاء وقد يكون فيلسوفا سارت الركيان بمحدث نظرياته ثم لا يلبث أن يتهوس في بعض البدهيات ويتخبط في أوائل الضروريات . وعندى أن من أكبر ضعفه جهله بضعفه ولو عرف ضعفه ولم يجهل جهله لكان ذلك أدنى الى قوته وأقرب الى سلامته . وقد تؤمن بهذا كله عند ما ترى أن كل ضال ومبطل وشرير وجاهل يجد له من هذا النوع اتباعا يقولون بترهاته ويدينون بخرافاته وليس المدار في وجود من يتبعك ويقول بقولك ويتوسم جميع خطواتك في هذا العالم مهما كان قولك وعملك ونحلثك ونزعك الا أن تتقن وسائل دعوتك فإن نوع الإنسان مستعد لتصنوف المذيان وجميع الألوان. وقابل لضروب الحق والبهتان . وسبيل الكفر والايان . وانواع السفطة والبرهان. وبعد فالانسان هو الانسان وما احكم قول المتنبي .

وصرت أشك فيمن أصطفيه لعلى انه بعض الأنام

أو نقول

غلب المين منذ كان على الخلق ق وماتت بنيظها الحكماء

ولتقتصر من هذه المقدمة على هذا

• المقصود •

أنى أعجب ولا أخفى عليك ممن ينكر البعث وهو فيما أراه من أوضح الواضحات فإن البعث ليس الا خلقا جديدا ليس بينه وبين الخلق الأول الذى نشاهده كل وقت وكل ساعة أدنى فرق يصح أن يكون شبهة للمنكر أو تكأة للمرتاب

وقد قال المعلم الثانى أبو نصر الفارابى وهو من اكبر فلاسفة العالم (كنت أشتى أن يطلع أرسططاليس على ذلك القياس الجلى) الذى يشير اليه قوله تعالى (قل يحياها الذى أنشأها أول مرة) أما القياس الذى اشار اليه فهو أن الله انشأ الخلق أول مرة وكل من انشأ شيئا كان قادرا على اعادته هذا هو القياس . بل نقول ان الاعادة أسهل في العقول من البدء وقد أشار الله الى ذلك بقوله (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وهذا مسلم يعرفه كل أحد من نفسه فإن العمل كلما تكرر كان أخف وأهون وما نشأ ذلك التوقف الا من جهل الانسان الذى قاس قدرة الله التى لا تحمد على قدرته التى لا قدر لها فوجد أنه لا يستطيع أن يحى الموتى (فأنه كذلك) فهو جاهل بالله من جهة وواقف عند حسه من جهة أخرى فلا يصدق الا بما رآه ببصره (وهو لم ير البعث) وهذا هو شأن البهايم التى لا تصدق الا بالمحسوس . على أن ذلك محسوس لكل أحد .

ولكن الانسان مستعد بحجته أن ينكر المحسوس ولا يفكر في المشاهد فإن القادر على أن يخلق من النطفة وهى فضلة من الفضلات انسانا عاقلا مفكرا مدبرا فصيحيا بليغا عتريا متفتنا عالما فيلسوفا الى آخره . كيف يعجزه أن يعيد أجزاءه الى ما كانت عليه ثم ينفخ فيها الروح مرة أخرى ولعلها مهياة للخلق واقرب اليه مما كانت وهل هناك الا انك رأيت الرجل يخلق من النطفة ولم تر ذلك في الاموات ويمجبنى قول بعض الفلاسفة الاسلاميين : لو حدثنا أن رجلا سميعا بصيرا خرج من قطرة ماء لم نصدق له ولهم أننا به وقلنا أنه يهزأ بنا ولكننا رأينا ذلك ووجدنا فيه ومنه فصدقناه وصرنا لانفكر فيه وكل شئ تكرر رؤيته لم يكن له وقع في النفوس قالشمس اكبر آية وكذا الكواكب البديعة الأشكال العزيرة المثال . لانتفت

اليها لكثرة رؤيتنا اياها والفنا لها (وقد كنا نحدق في الطيارات يوم ظهورها لدينا وقد أصبحنا لانظر اليها ولا نهتم بها وكنا نستعجن السفر أيام انتصار العادات الشرقية الاسلامية على العادات الغربية الأوربية فأصبحنا لانتعض من التهلك ولا ننفل له ولا ننكر عليه وها نحن أولاء يدهنا الليل بظلمته الحالكة كل يوم مرة فلا تهتز له أعصابنا اهتزازها لكسوف الشمس ولو جزئيا . فهكذا شأن الانسان وعلى هذا جيل وقد قال الله في تقرير هذا الدليل (يحبب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يعنى ثم كان علقه فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحى الموتي) . ثم اذا نظرت في هذا التراب وجدته ينقلب تقاحا ورمانا وموذا ولوذا ووردا الى آخره وتشاهد ذلك في كل عام من الاعوام بل في كل فصل من الفصول وكل يوم من الايام فما الذى تستنكره بعد ذلك . اليس جهل الانسان كبيرا حيث لا يعرف قدرة ربه التى لاتحد ولا يستعمل عقله وفكره ولا يلتفت الى نفسه وابناء جنسه ولا الى مزروعاته وجميع محيطاته ويصادم المعقول والمحسوس على أنه اذا لم ير شيئا من ذلك لم يصح له أن ينكر البعث فانه لا يدري من نواميس الوجود الا أقلها ولم يتل من بحر العلم الا قطرات يسيرة شرق بها أو نقول تبجح بسببها فزادته جهلا على جهله وكان مصيبة على الدين وعلى العلم وعلى نفسه وعلى ابناء جنسه الا من وصل من الفلسفة الى لها ومن الحقائق الى صميمها وقليل ما هم وانى لا ادري كيف ينكرون البعث الآن وقد قرروا أن العالم كله يرجع الى شئ واحد في أصله هو الأثير أو الكهرباء أو ما الى ذلك ثم تغير هذه التغيرات واستحال تلك الاستحالات حتى صار الى تلك الأجناس التى لا يحصى عددها ثم تنوعت الى تلك الأنواع التى لا يحيط بها علم فما معنى انكار البعث بعد ذلك وليس هو الا شيئا مما هنالك ولكن لاعجب فالانسان يجمع المعائب والثرائب وحمل المتضادات والمتناقضات على أننا نسالهم هل ينكرون الانسان الأول أو الحيوان الأول (على مذهب درون) فإن انكروه وقالوا انه ذاهب الى غير نهاية (وهم لا يقولون ذلك) ابطلنا قولهم هذا بأنه يلزم عليه التسلسل المحال

الذى لا يقولون به أيضا وان اعترفوا (ولا بد أن يعترفوا) بأنه خلق من الارض وهو من أحدث المخلوقات عندهم فقد قامت عليهم الحجة ولزمهم العجز واحاط بهم الافحام فان هذا هو اخراج الحى من الميت الذى لم يشم رائحة الحياة أصلا وليس البعث الا هذا أو أقرب منه ولا يمكنهم التفضي عن ذلك مهما حرفوا أو خرفوا ولهذا كله ترى القرآن يعجب من انكارهم البعث اشارة الى انه في غاية الجلاء ونهاية الوضوح فيقول (وان تعجب فمعجب قولهم آذا كنا ترابا أنا لى خلق جديد) ويقول النبي (بل عجبت ويسخرون) فكانوا يعجبون منه ويستهزئون به وكان يعجب من انكارهم واستهزائهم حتى قال لهم (كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يبعثنا قل الذى فطركم أول مرة) وانت تعلم أنه لا يبعد استحالة الحجارة الى الحى فانك تراها تستحيل ثم يزرع فيها ثم تنقلب نباتا حيا ثم ينقلب النبات نطفة ثم تنقلب النطف حيوانا وانسانا أليس ذلك كله اخراجا للحى من الميت وقدرة الله بعد ذلك لا يحيط بها محيط وما ابدع ما قال الله تعالى في الاستدلال على البعث (يأيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فأنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه) الى أن قال (ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم) ثم قال في آخر هذه الآيات مشيرا الى دليل آخر (وترى الارض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) ثم ذكر النتيجة بعد تلك الأدلة الواضحات فقال (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير) (وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور) ولا بأس أن نتلو عليك الآية التى بعد هذه (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله) وقد قال الله قبل ذلك وهو العليم بخلقه (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مرید) الى آخر ما جاء في القرآن من الآيات البينات والحجج الواضحات وعلى كل حال فمن تأمل وجد أمر البعث واضحا جليا للغاية فانه لا فرق بين الخلق الاول والخلق الثانى كما قلنا ونحن نشاهد هذا الخلق كل وقت وساعة فكلما رأيت طفلا رأيت خلقا

جديدا . واذا رأيت عصفورا في روض رأيت خلقا جديدا وكلما رأيت نباتا في حقل فقد رأيت خلقا جديدا ففي بيتك وفي سوقك وفي حقلك وفي نفسك وفي البر وفي البحر وفي الارض وفي الجو كلما القيت ببصرك رأيت دلائل البعث تحيط بك من كل جانب ، ومن القريب أن بعض أهل الجاهلية واطنه عبد المطلب كان يرى البعث حقا ويستدل عليه عقلا فيقول . ان هذه الدار ممتلئة ظلما وجورا فلا بد من دار يقام فيها العدل ويقتص فيها من الظالم للمظلوم وهذا هو مقتضى قواعد المعزلة الذين وسوا أنفسهم باهل العدل والتوحيد فلا يجوزون عدم البعث عقلا ولعلنا نحمد في كتاب الله تعالى ما يشير الى ذلك مثل قوله تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) فان عدم التسوية بينهما في الآخرة لافي الدنيا .

فقد تجمد حظ الفجار في هذه الدار أعظم من حظ المتقين فيها ويشير أيضا قوله تعالى (انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليعزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) ويقول (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) ولك أن تقول لو تساوى الظالم والمظلوم والصالح والطالح مع ما كان بينهما من الفرق العظيم في الدنيا لكان ذلك قادحا في عدل الله تعالى لكن ذلك لا يجوز فلا بد أن يذيق الظالم كأس النكال على ما كان منه وتقر عين المظلوم على عظيم صبره واذا يهون علينا ما نلاقه في هذه الحياة انتظارا لما في تلك الحياة (أيحسب الانسان أن يترك سدى) (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون فعلى الله الملك الحق) عن ذلك البعث (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعين) ولك أن تقول لو لم يكن هناك بعث لكان الانسان أخس من الحيوان الذى لا يحزن ولا يخاف ولا يترقب الحوادث . ومن الأدلة الطريفة قول بعضهم ان الانسان يحس من نفسه بعدم النهاية في شعوره وفي مطالبه وفي شوقه الى عالم لا يتناهى وكلما وصل الى شئ طلب غيره لأنه يجده

غير محقق لما تتوق اليه نفسه من صفاء لا غاية له وملاك لا يعتريه زوال، وسعادة ليس فيها شقاء، ونعيم كنعيم أهل الجنة فهو يحس بأنه مستعد لهذا ولكنه يطلبه من هذا العالم جهلا منه فان هذا الشعور لم يخلق فيه عبثا ولا جزافا فليس من سنة الله العبت أو الجزاف وايضا فكل شيء في الوجود خلق لغاية ولو لم يكن للانسان غاية أخرى غير ما في هذه الحياة لكان وجوده عبثا فان غيره في هذه الارض مخلوق لاجله فلا بد أن يكون هو مخلوقا لغاية سامية فانه لم يحصل هنا الا المموم والاحزان وهو متخبط في هذه الحياة لا يعيش فيها عيشا صالحا بوجه ما الا بالتعلق أو الامل أو الحيال ولهذا يقول القائل

طبعت على كدر وانت تريدها صفوا من الاقدار والاكدار
ومكلف الايام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار

أما الظلم ههنا ورفمة الجاهل وانحطاط الفاضل ووضع الامور في غير موضعها فحدث عنه ولا حرج حتى مع أرق القوانين وأعظم الدساتير فانهم يؤولونها على ما شاءوا ويطبّقونها على ما ارادوا

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت حواشيه حتى صار ظلما منظما
(وان شئت فسمه ظلما قانونيا أو دستوريا)

هذا والقرآن يذكر في هذا الموضوع الذي نحن فيه أدلة واضحة للغاية فيقول (أوليس الذي خلق السموات والارض بقدر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) ويقول (ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احيها لمحي الموتى انه على كل شيء قدير) ويقول (لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ويقول (أولم ير الانسان انا خلقناه من نقطة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم قل يحياها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وانى استغفب نظرك الى ما في هذه الآية الشريفة مما يعلوك روعة فيبعد ان قاس الاعادة على البدء وهو قياس أولوى كما عرفت قال (وهو بكل خلق

عليم) كانه اراد أن يقف النفوس عند حدها ويقلل من هواجسها او يقضى على وساوسها التى تجول في تلك الشبه ولعلك رأيتها أو سمعت بها فقال لهم دعوا عنكم تلك الوسوس وهاتيك الهواجس (فانه بكل خلق عليم) وكيفية خلقه وجميع أفعاله لا يحيط بها محيط (فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون) وانى اكرر عجبى البالغ من انكار أولئك الماديين الذين يقولون ان أصل الاشياء هو الأثير قد استحال استحالات كثيرة حتى كون المعادن والنبات والحيوان والانسان فكيف ينكرون البعث بعد اعترافهم بهذا وبعد كثرة ما يشاهدونه الآن من استحالات المادة التى لا تقف عند حد والى التى تأتى بالمبانيات والمتناقضات

أما ما رأيت من الشبه التى تذكر في بعض الكتب وقد أشرنا اليها فلا نريد أن نزع بك في ظلماتها أو نعرضك لآفاتها أو نعرض عليك ما فيها من خيال وخبال ولكن نقول لك ان الانسان على الحقيقة هو الروح الحافظة لشخصيتها في أى ثوب تلبسه وأى مظهر تظهر به والجسم الانسانى له شئ أصلى بمنزلة البذر الصغير للاشجار الكبيرة

تلك البذرة الاولى هى ما كان عند نفخ الروح أو تلك الندة التى وجدت يوم (الست بربكم) أو نحو ذلك ولعلك ممن يكتفى بإيجاز الاشارة عن أطناب العبارة ولا يمكننا أن نتوسع أكثر من هذا فلا نحمل اليشة فوق ما تطيق ولا الظرف أكثر مما يسمح به ولنختم مقالنا هذا بما يروى عن بعض العلماء انه جاء ملحد ينكر البعث فلم يطل معه الجدال ولا أكثر له القيل وقال بل عدل عن كل ذلك وجاء من ناحية أخرى لعلها أعظم أثرا في وجدانه واقرب سيلا الى ايمانه فقال ان كان عدم البعث حقا نجوت انا وانت والا نجوت انا وهلكت انت ومن ذلك قول ألقائل

قال النجم والطبيب كلاهما	لا تبعث الاموات قلت اليكما
ان صح قولكما فليست بخاسر	أو صح قولى فالحسار عليكما

فنحن اذا أعقل منهم على كل حال ، وهذا على سبيل التزل أو المداعبة والا

فالبراهين واضحة لا يمارى فيها الا من قال الله فيهم (افرأيت من اتخذ الهه هواه
واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله
افلا تذكرون)

يوسف الدموي
من هيئة كبار العلماء ورئيس جمعية
النهضة الدينية الاسلامية

الطرف والملح

حكى عن علي بن الهيثم : أنه كان منمرًا برواية اللغة . وحفظ الغريب والحوشى
منها والتكلم به مع من لا يفهمه
حكى عنه : أنه مرَّ به رجل فارسي . قد ركب أتانًا خلفها جحش . ويده عذق
قد ذهب بُسرُهُ الا قليلا . يقود به بقرة يتبها عجل لها .
فناداه علي بن الهيثم : يا صاحب البيدانة القمراء . يتلوها تَوَلَّب . يده شُمْلُول .
يَطْبِي به خَزْمَةٌ . يَقْفُوها عجل . اتَّقَابِضُ بمجلك جُحُجُجًا زَهْمًا ؟
فالتفت اليه الفارسي وقال : يا بابا . فارسي هم ندانم .^(١)
البيدانةُ . الأتانُ — والقمراء . البيضاء الوجه — والتَوَلَّبُ . ولد الحمار — والشُمْلُولُ .
العذقُ — وَيَطْبِي . يدعو — والخَزْمَةُ . البقرة الوحشية . والجُحُجُجُ . الكباشُ —
وَالزَّهْمُ . السمينُ .

قيل لسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كان الرجل يُظلم في الجاهلية فيدعو
على من ظلمه فيجابه عاجلا ولا يُرى ذلك في الإسلام . فقال : هذا حاجز بينهم وبين
الظلم . وإن مَوَعِدَكم الآن الساعة . والساعة أدهى وأمرُّ .

(١) يا ابى انا فارسي لا أعرف

التفاوت والأحكام

﴿ الزكاة ﴾

هي الدواء الشافي لا خطر أمراض المجتمع الانساني

حقيق بنا ونحن في مستهل عام جديد من حياتنا أن ننظر الى نعم الله تعالى علينا نذكرها ونشكرها لتحوطها من الزوال ، ونصونها من الاضمحلال ، أجل ان قطع مرحلة من العمر واستئناف مرحلة أخرى وطى صحيفة من صحائف الحياة ونشر صحيفة غيرها ينبغي أن يكون موقفا من سنة الغفلة وباعثا من رقدة الخمول ، والانسان مقطوع على النسيان حتى يذكره جديد الحداث وممر الزمان ، وجبذا للذكرى يبعثها الرخاء والتقلب في السراء ، ولاجبذا من لايفيق الا بالشقاء وعوامل الضراء

لقد قضت حكمة العزيز الحكيم أن يجعل هذا العالم متفاوت المراتب متشعب المسالك ففضل بعض الناس على بعض في الرزق ، وفاوت بينهم في القوة والضعف ، وجعل لكل قبيل جهة قوة يتأذى بها وقدر له ناحية من الضعف يحتاج بسببها حتى يتم ترابطهم ولا ينتهى تعاونهم . ولقد كان من أعظم ما تفاوت فيه الناس أمر الرزق ، فلقد رزقهم ربهم جميعا ولكن منهم من بسط له الرزق ووسع له فيه فأنقى واقنى ، ومنهم من ابتلاه فقدر عليه رزقه وكل ذلك لحكمة منه جل شأنه ليلو أعمالهم وليتبين من شكر ممن كفر ، وليظهر من جزع ومن صبر ، وقد قرن جل شأنه الشكر بالمزيد ، ووعد الصابرين بالفرج القريب

ذلك انهم خلقوا على ان يعيشوا معا يتعاونون ويتساعدون في سبيل الحياة ، ويقوم كل فريق للبقية بسد حاجة من حاجاته في نظير ما يستوفي منهم من سائر مقومات حياته ، فاحتاج بعضهم الى بعض واستفاد بعضهم من بعض فجمعتهم الحاجة

وألفت بينهم المنفعة فاضطروا فيما بينهم الى اجراء المعاملات والمبادلات فيما بين حاجياتهم التى يستوفونها وفوائدهم التى ينتجونها

ولكن لا يتم ائتلاف الجميع ولا يكمل بينهم النفع الا اذا عمتهم المحبة والمودة وشملهم التعاطف والتراحم، وشعر كل فريق بأنه مع احتياجه الى اخوانه وانتفاعه من بنى جنسه قد قربت الرحمة بين قلوبهم ووثقت المحبة عرى عشرتهم ، فاصبح كل منهم يرى أن ينعم بما ينعم به اخوانه ويتألم مما يتألمون ، واصبحوا جميعا كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحلمى ، وان السبيل المؤدى الى هذه الحياة السعيدة هو سبيل الاحسان والسخاء .

فكل امرئ يولى الجليل محب وكل مكان ينبت العز طيب

ولقد جبلت النفوس على حب من أحسن اليها ، والانسان عبد الاحسان ولما كان من أعظم ماتفاوت فيه الناس أمر الرزق الذى عليه مدار حياتهم وبه قوام وجودهم وهو الذى في سبيله كدوا وكدحوا ، ومن أجله تعبوا في هذه الحياة ونصبوا ، كان باب العطف والرحمة مفتوحا بما يجرونه بينهم من الاحسان والسخاء ، فيه ترتبط قلوبهم برياط المحبة وتأنف نفوسهم بأواصر المودة فيكونون يدا واحدة ويحيون حياة سعيدة

وليس النفع والصلة بمقصورين على العطاء والتوال الواصل من الفنى الى المحتاج بل قد ينتفع المعطى في بعض أوقات محنة بمن أحسن اليه بما يربو أضما فامضاعفة على ما وصله منه من مال ورزق، فربما كانت نجاة بعض المحسنين من الخطر واثقاذحياته من العطب على يد فقير مسكين أو معوز من أبناء السبيل وصله وقتا ما بالزر القليل فتعود المبادلة والمعاملة بينهم من حيث لا يشعرون وما ربك بفاقل عما يعملون ولقد دلت التجارب المتكررة على انه لاسبيل لتطهير القلوب من أحقادها واثقاذ النفوس من ضنائها أعظم واسرع وانفع وانجح من تبادل الاحسان بين الناس ولا شيء يوجب البغضاء وعيلاً النفوس غلا وحقدا ويجعل حياد بعضهم أمام

بعض بغيضة ممقوتة مثل الشح وقبض اليد عن الاحسان. هذا وهو احسان وفضل فأبالك اذا كان الشح ظلما وحرمان ذى الحق من حقه أفلا يتضاعف البغض وتشتد الكراهية ويتربص كل باخيه الدوائر ، ويكون بمضهم حربا لبعض فتسوء الحياة بينهم ويصبح أمرهم نكرا ؟ ولبت شعري ما هذا الداء الوييل وما هذا الخطر الاصفر والموت الاخر الذى أفرغ الحكومات والامم واصبح الجميع منه خائفا يترقب ! أليس هو غول البلشفية الشنيع الحلقة البغيض الطلعة الذى يهدد حياة المجتمع الانسانى عامة بالحرب والدمار كما يهدد كل فرد بحرماته مما رزقه الله ! وهل كان له سبب سوى امساك الاغنياء وقبض ايديهم عن الفقراء فلم يجودوا عليهم بشئ مما انعم به عليهم ربهم بل منعوهم حقهم الذى فرضه الله لهم ففى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم واى شئ هو اشد ايلاما للنفس من ان ترى أمامها من غرق فى النعم وملكه النعم حتى أهلكته التخمة بينما أخوه وعشيرته تقتله الخمصة، ولو أنه رد عليه نذرا مما زاد عن حاجته وفضلا مما جاوز حد كفايته لسلم كلاهما هذا من تحتته وذاك من غمصته وهب ان الفقير كبح جراح نفسه واعتصم بحصن عفته فاذا عساه يصنع اذا نظر الى اطفاله فوجدهم يتظلمون ولا يجدون، فيتحسرون أو يكون، ورأى دموعا تتساقط وزفرات تنصعد ولا قبل له بقدهم وتصيرهم على لا وأئهم اليست تذوب مرارته وتشتمل حميته وتستعر نار الحقد ويخطر شيطان الشر ويجد به الجذ ؟ أليس ينظر الى من وجد ولم يجد نظرة المقت والغضب فيتربص به الدائرة ويتمنى لو أمكنته منه الفرصة ؟ وكأنك بالفتى وقد شعر من ناحيته بما يضمره له الفقير

والعين تعرف من عيني محدثها ان كان من حزبها أو من أعاديها فيأدله الكراهية ويساجله البغضاء فيسوء المنقلب وتكون الحياة على الجميع جحما وسعيرا ، والعشرة بينهم شرا مستطيرا ، وقد كانوا وهم اخوان يتساندون ويتعاضدون ويتصافون ويتصافحون وكان الامر بينهم فى أوله حاجة ينفىها فضل من نوال أو خلة يسدها لقمة من زاد أو ظلما يطفئه كوبة ماء ولكن قد يترك الحرق فيتسع وتهمل الشرارة فتشتعل ، ومعظم النار من مستصغر الشرر : —

على ان الذى يحول بين المرء وفضيلة العطاء ويحرمه ما تصبو اليه نفسه من التحلى بحمية السخاء ليس سوى حبه الغريزي للاستزادة من النعمة وميله الفطرى الى الاستكثار من الخير . فما القول اذا كان السخاء هو باب المزيد فانه شكر وعد الله عليه بالزيادة فقال جل شأنه (لئن شكرتم لازيدنكم) وسميت هذه العبادة زكاة في لسان الشارع الحكيم والزكاة النماء والزيادة

وليس يبدع في رأى أن يكون النقص مفتاح الزيادة ، ترى البستاني يعتمد الى شجرة يقلم اغصانه وينقى ادرانه طلبا لزيادته وجمائه ، والزراع يقتلعون بعض نباتهم لينمو الباقي نموا حسنا ، وترى الانسان يزيل عن بدنه بعض زوائد جسده من شعر وظفر ليستكمل نموه المطلوب له ، وهل ما يطلب اخراجه زكاة من مال الفنى يزيد على فضلات لانكاد تقاس بياقيه ، فاذا خرجت عنه طهرته وفتته وعادت على المعطى والعاطى بسعادة الحياة بما عطف من قلوبهم نحو بعضهم البعض وبما غرست في نفوسهم من المحبة والرحمة ، وبما استاب من بين جواهرهم من الحقد والضغينة ، وان المرء ليجب صنيعته وريب نعمته كما يجب من أحسن اليه وقد سأل بعضهم أحد الملوك ان يحب ابنه ، فقال له كيف تسألنى أن أحبه وليس ذلك في مقدورى ؟ فقال له : نحسن اليه فيحبك فتحبه

وبعد فالمرء واحد من اثنين كريم نتركه لأرجميته فله منها ما يهزه للعطاء ويحييه في السخاء . وبخيل لنا معه كلمة .

بالله لماذا رضيت لنفسك صفة البخيل واثبتتواى اذا عرف به ؟ واطمانت لسبه الشح مع انك تفضب ممن نسبك اليه ؟ فامر هذا رأيك فيه ووصف هذا حكمك عليه ، لماذا لم تقع عنه ونظهر نفسك منه ؟ وكيف قبلته من سماتك وخلالك وانت تنقصه الى هذا الحد ، فاذا أصقت الى جوابه الذى يكنه عنك وتعرفت دخية نفسه التى بسترها دونك وجدته كأنما يردد هذه الكلمة (مال ورثته عن أبى وجدى أو أحرزته بجهدى فكنت مالكة وجدى فمن العدل أن أنتفع به وجدى) وهنا يحق لنا ان نجاهره في مصادحة ، ما عليك من بأس لقد نطقت بعقل ،

واقتربت من قضية العدل فتعال بنا نحدد هذه المنفعة ونتحاكم لتلك القاعدة فما هي منفعتك من مالك الذي أردت أن تستأثر به ؟ ان الجواب على هذا السؤال يبدو متشعب المسالك مشتت النواحي ولكن الحق الصريح والجواب الصادق انه ليس لك من مالك الا ما اكلت فاقنيت أو لبست فابليت أو قدمت فاقبقت

وعلى هذه القاعدة الصحيحة نسير معك فاما ما محتاجه في مطعمك وفي ملبسك وما يتصل بذلك من مسكن ومركب وامانها من متع الحياة التي أحلها الله لك وناسبت مركزك فلا نتعرض لك فيه ولا نحرملك منه (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) ولكن نعمة الله عليك زادت عما احتجت اليه في حياتك هذه وانت أحق بالانتفاع بها على قاعدة بخلك الذي قررته بعقلك وهي انك تملكه وحدك فمن العدل أن تنتفع به وحدك ولم يبق لك بعد استيفاء متع حياتك سوى الباب الثالث باب قدمت فاقبقت ، فانك أولى بمالك أن تنتفع به وحدك ولوفاتك هذا لدخلت في باب كثر فاكثرت . فليس من العقل والعدل أن تكثره فيصيبك ضرره ويحرقك شرره ، ثم تحرم منفعته بينما غيرك يتمتع به ويستفيده . هذا هو البخيل بعقل ان كنت تحتاج له بقضية العدل . أما البخل الذي يؤدي الى حرمانك مما انت أحق بالانتفاع به فهو كبخل الاطفال البله فقد تنال يد الطفل بيضة الدجاجة فتحسب أمه أنه يشتهيها فتحاول أخذها منه لتردها اليه ناضجة مطهية فيسفل بها ويحرص عليها حتى تكسر في يده قتلوث ثيابه وربما ضربته أمه فجمع بين الاذى والحرمان على نفسه فهذا بخل البله السفهاء وانت تزعم انك من المقلاء

هذا ولو تحققت أن ماتدفعه اليوم هو قرض تستوفيه غدا وان موعد الدفع هو أشد أيام احتياجك اليه (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا . وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) وانه قرض مضمون وثيقته كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وشهوده الله وملائكته ، وانه قرض مستمر الى أوسع حد حتى لو قال قائل ان مائة بسبعين الفا أو تزيد لم يبعد عن

الحقيقة (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء)

لو تحققت ذلك لعلت انك بمطائك تجلب أعظم النفع الى نفسك من حيث نحلت انك بشحك وبخلك قد نفعها وبألت الامر وقف عند حد الحرمان من النفع بل هو باب للهلكة والعذاب الاليم . قال تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحسب عبيا في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) فاي حق وبلاهة وغباوة فوق أن ينعم عليك ربك بنعمة نافعة تحولها الى نقمة ضارة وبذل أن تستفيدا . لك تسلطها أذى عليك وهل يصح أن يقال لهذا سوى (ان الاحق عدو نفسه)

ولقد سمينا هذا عطاء وبذلا وسخاء ولكننا لو تأملنا قليلا لوجدناه اعطاء ذي الحق حقه وإيفاء الشريك حصته ونصيبه فقد جعل الله للفقراء حقا وشركة في مال الاغنياء على التقدير الذي قررته الشريعة الغراء وفصله الفقهاء ، ففي زكاة المال وعروض التجارة مثلا يستحق الفقير جزءا مقدرا هو ربع المشر فاخترانه دون مستحقه وحرمانه من نصيبه خيانة من أحد الشريكين لشريكه ، وكيف يرضى لك حياؤك ومروءتك أن تعاقب عاملا فقيرا عندك على خيانتة في دانق ربما دفعته الى اختلاسه منك الحاجة والعوز بينما انت أيها النقي تخون شريكك الفقير فلا تعطيه حصته ولا توفيه حسابه

أما بعد فان الزكاة من أى ناحية نظرت اليها ومن أى جهة واجهتها فانها جمال كلها فهي مطهرة للمال مهذبة للنفس بتعويضها البذل والسخاء مؤلفة للقلوب مسعدة للحياة مرضية للرب مقربة من الجنة مبعدة من النار نسأل الله أن يوفق أغنياءنا لشكر نعم الله عليهم ، وان يعلل قلوبنا بالتراحم والتعاطف والاقرار بفضله ويوفقنا لطاعته

ابراهيم الجبالي

المدرس بقسم التخصص بالأزهر الشريف

الْبَيْتُ

روابط الاخاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حق المسلم على المسلم ست ١ إذا لقينه وسلم عليه ٢ وإذا دعاه فاجبه ٣ وإذا استنصحك فانصحه ٤ وإذا عطس فحمد الله فشمته ٥ وإذا مرض فعده ٦ وإذا مات فاتبعه . (١)

الحق هو الامر الثابت الذي ينبغي مراعاته والاهتمام بشأنه أى ما يستحقه كل مسلم على أخيه المسلم ست خصال .

ثم اعم أولاً أن حقوق المسلم على المسلم ليست محصورة في هذا العدد فقط بل هي أكثر من ذلك وانما السبب في الاقتصار على هذا العدد في الحديث الشريف هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حكماً في كلامه وتبليغه وتعليمه الناس لا يتكلم إلا فيما تدعو اليه الحاجة ولا يبلغ إلا ما يصلح له الزمان والمكان ولا يعلم إلا ما كان المتعلمون أحوج اليه من غيره وأكثر استعداداً له .

فانقصره صلى الله عليه وسلم على هذه الخصال الست حينما كان يحدث (وكثيراً ما كان يفعل ذلك) لأنه رأى أنهم أحوج اليها من سواها وأن الحال يقتضي بالمبادرة الى تعليمها وتأخير ما عداها الى وقت آخر يكون استعدادهم فيه أتم والحاجة فيه أشد .

هذا بعض من الأسباب التي كان صلى الله عليه وسلم يعلم الناس على مقتضاها فتعلمت الطريقة طريقته صلى الله عليه وسلم في تبليغه عن ربه . وإنما لأسلوب أسلوبه في تعليم الناس وهدايتهم فهو بتعليمهم على هذا النحو يعلمهم كيف يعلمون ويرشدون

إلى قاعدة صحيحة في التربية وهي أن أئمة المهملين من يرِنُ قُوَى المتعلم وحاجته ثم ينفذه بالعلوم المناسبة له سالكا به سبيلَ التدرج والترقي درجة درجة فان ذلك أبسرُ في الاستفادة على المعلم وانفعُ في الاستعادة للمعلم.

شرح الخصال

١ (إذا لقيته فسلم عليه) . اللقاء هو الاجتماع بعد الافتراق كما أن الافتراق هو المتاركة بعد الاجتماع .

إياك أن تفهم أن السلام مطلوب عند اللقاء فقط بل هو مطلوب أيضاً عند التفرق كما جاء في حديث آخر

وأما السلام فهو الأمان والسلامة من كل آفة ومكروه ظاهراً وباطناً فقول المسلم لأخيه المسلم (السلام عليكم) معناه أنه أخوه تربطه به أمتنُ رابطة وأوثقها . وهي رابطة الدين وأخوة الإسلام وأنه يحتفظ بها موفٍ بحقوقها وهي الحرص على سلامة أخيه المسلم وتأمينه من كل مكروه والتباعد عن الغدر والخيانة له

قد عرّف المسلمون هذه التحية الدينية الإسلامية وفهموا معناها فحرصوا على صيغتها العربية التي تعلموها من الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعدلوا عنها إلى غيرها من أى لغة أخرى لأنه لا يساويها بل لا يندانيها فيما قصيد منها حتى إنك لتسمع المسلم غير العربي إنما يحيي أهل لغته بهذه التحية العربية الإسلامية فكان ذلك من جملة الأسباب التي ربطت المسلمين فيما مضى بعضهم ببعض ووثقتهم شر الوقوع في التفكك وجمالة بعضهم لبعض أصلح الله أحوالهم وفقهم في دينهم

٢ (وإذا دعاك فأجب) . الدعاء يأتي في اللسان العربي لمان - منها النداء والسؤال والاستغاثة وكلها مرادة في الحديث الشريف

فالدعاء كأن يقول يا فلان واجابته كأن يقول لبيك أو نعم .
والسؤال كأن يستفسره عن شيء . وإجابته أن يفسره له أو كأن يطلب إليه أن يعطيه

شيئاً هبةً أو غيرها أو أن يطلب أن يحضر اليه في أمر مباح كولية أو ائتناس واجابته تكون باعطائه ما طلب أو بالحضور اليه

والاستغاثة أن يستجير به ليدفع عنه ضرراً يخشى الوقوع فيه أو ليرفع عنه أذى نزل به واجابته أن يبادر ببذل ما يستطيعه بنفسه وحده أو مع غيره ليكشف عن أخيه المسلم ما قد يجوز أن يصيبه هو أيضاً وحينئذ يستغيث فيُقِضَ الله تعالى له من يطفئ عليه ونُجِّدَهُ « جزاءً وفاقاً »

٣ (وإذا استنصحتك فأنصحه) . الاستنصاح طلب النصيحة والنصيحة أن ترشد غيرك الى الخير وتُبْعِدَهُ عن الشر وتدلّه على الاقوال والافعال والمعتقدات التي تصلح بها أحواله وتستقيم شؤونه كذلك تبين له كل ما تعوجّ به اموره وتكدر له حياته وتسوء به عاقبته مع الجدمنك في ذلك والاخلاص وحب الخير والنفع له كما تحبه لنفسك ثم اعلم أن بذل النصيحة أمر حثّ عليه الدين الاسلامي في كل حال سواء اُطلبَ أخوك أم لم يطلبه ولكنه يتأكد متى طلبه ولذلك أرشد النبي صلى الله عليه وسلم الى هذه الحالة واقتصر عليها تنبيهاً على أنها أعظم الحالات وأحوجها الى بذل النصيحة والعناية بها وفي الحديث الشريف الآخر ، (ان الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم)^(١)

فمضى النصيحة لله صمة الاعتقاد في نموته وكالاته واخلاص النية في عبادته ومعنى النصيحة لكتاب الله التصديق به والعمل بما فيه . ومعنى النصيحة لرسوله التصديق بنبوته ورسالته والانتقاد لما أمر به والوقوف صما نهى عنه .

٤ (وإذا عطس فمد الله فسمته) — المطاس هو خروج الأبخرة المحتقنة المحبوسة في الدماغ ولو بقيت فيه لأحدثت ادواء عسرة وخروجها كما تعلم يحدث اضطراباً في

الجسم ولا سيما الرأس والوجه والعنق فيخرجُه عن ستمته وهيئته وتركيبه الطبيعي فلا جرم أن يطلب الشارع الى العاطس أن يحمد الله شكرًا له على خروج تلك المواد المؤذية وعلى سلامته من الاضطراب الذي عرض له — وحمدُ الله تعالى هو شكره والثناء عليه ووصفه بحمائل الصفات التي يستحقها وتليق بجلاله وكِماله .

ومعنى التسميت الدعاء للعاطس بالسلامة من ضرر يلحقه بالمطاس كاعوجاج العنق أو تشويه الوجه حتى لا يشمت به أعداؤه ويقال فيه التسميت أيضًا ومعناه الدعاء له بأن يعود له ستمته الأول الذي كان عليه قبل المطاس

فلما كان العاطس قد حصل له بالمطاس نعمة ومنفعة بخروج الأبخرة الضارة كما علمت شرع له حمدُ الله تعالى على هذه النعمة مع بقاء أعضائه سالمةً على هيئتها ونظامها بعد هذه الزلزلة العارضة لها بالمطاس

وقد جاءت كيفية الحمد وكيفية التسميت وكيفية جواب العاطس للتسميت في هذا الحديث الشريف (إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله وليقل له أخوه : يرحمك الله . وليقل هو : يهديكم الله ويصلح بالكم) أى حالكم وشأنكم^(١)

هـ (وإذا مرض فعده) — عيادة المريض زيارته والحكمة الشرعية التي لأجلها أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم الى كيفية معاملة الأصحاء لمرضى هي :

١ الوفاء بحقوق الأخوة الإنسانية العامة المشار اليها بقوله تعالى : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)

٢ القيام بحقوق الأخوة الاسلامية الخاصة التي ينشأ عنها الله تعالى في قوله (انما المؤمنون إخوة) وقوله : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً)

٣ ادخَالُ السرور على المريض وانسراح صدره برؤية اخوانه المسلمين وخاصة
أقاربه وأصدقاءه وجيرانه فان عيادتهم له عنوانٌ على ما في قلوبهم له من الصلة القوية والمحبة
الصادقة والاهتمام بشأنه وحب الاطمئنان عليه

ولاشك أن هذه معاملةٌ حسنةٌ تخففُ عن المريض كثيراً مما هو فيه من شدة المرض
وعنايته وقد يكون ذلك مقدمةً قريبةً من الشفاء الكامل ان شاء الله تعالى

٤ مساعدة المريض واعائه وتخفيف ما هو فيه إما ببذل المال إن دلت قرائنُ
أحواله على ذلك وإما بإرشاده الى الدواء النافع ان كان المائد من العارفين أو بإرشاده
الى الطبيب الماهر الذي دلت التجربة على حذقه وعنايته وإما بالمحادثة الحسنة التي
تنفّس عن المريض وتخفف عنه ثقلَ المرض وتلطّف شدته فان هذه المحادثة مما يُسرّي
عن المريض خصوصاً إذا اشتملت على ما يذكره بحسن عاقبة الصبر واحتمال المشقات
وما يذكره بسنة الله تعالى في خلقه من أنه يحو السبّة بالحسنة والضيق بالسعة والمرضى
بالشفاء الكامل (فان مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً)

٦ (واذا مات فاتّبعه) تَبِعَهُ وَاتَّبَعَهُ اقْتَنَى أَثَرَهُ وَمَشَى خَلْفَهُ عَظَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وسلم المسلمين في هذا الحديث الشريف أن تشيعهم جنازة أخيه المسلم أمر مطلوب في
الدين الحنيف كما علمهم أن تشيعهم هذا يكون بمشيهم خلفَ الجنازة إلى أن يورّى
أخوهم في مقر المغفرة والرحمة ان شاء الله تعالى

أمرنا صلى الله عليه وسلم أن نسير خلفَ جنازة الميت ليكون بمراى منا فتكون
قلوبنا وعبودنا ممتلئة برؤيته بل تكون جميع حواسنا متصلة به منصرفة إلى العِظَةِ بمصيبة
الموت معتبرة بنفية أحد الأخوة المسلمين وقد كان حياً سليماً مثلهم قائماً على مصالحه
الخاصة به عاملاً على مصالح عشيرته واخوانه المسلمين

كذلك يفكّرون في قدومه الآن على ربه الذي يعلم من أحواله وأعماله ما ظهر وما
بَطَنَ راجين له أن يكون من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه وفيهم يقول سبحانه :

(أولئك الذين تَقَبَّلُ عنهم أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّدَقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ)

هذه هي السنة المحمدية الإسلامية التي يَنْتَهِي النبي صلى الله عليه وسلم وأمرُ المسلمين أن يَتَّبِعُوا فِي تَشْيِيعِ جَنَائِزِهِمْ وَأَنْ يَتَذَرُوا مَا فِيهَا مِنَ الْحُكْمِ الْبَالِغَةِ . لِيَنْتَفِعُوا بِهَا وَهُمْ أَحْيَاءُ وَصَحَّاءُ . وَلِيَنْتَفِعُوا بِهَا كَذَلِكَ أَخَافُ الَّذِي سَبَقَهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ عَسَى أَنْ يَكُونَ تَضَرُّعُهُمْ وَدَعَاؤُهُمْ لَهُ حَسَنَةً يَقْدَمُ بِهَا عَلَى رَبِّهِ الْكَرِيمِ الَّذِي يَقُولُ : (مَرَجَاءُ بِالْحُسْنَةِ فَهَلْ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمَنُونَ)

فَعَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَمْرُقُوا مَا جَاءَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ . وَأَنْ يَقْفَهُوا الْحُكْمَ الْجَلِيلَةَ الَّتِي يَنْتَهَاهَا الرَّسُولُ الْأَمِينُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ يَتْرَكُوا مَا عَادَاهَا مِمَّا يَفْرُقُ وَحْدَتَهُمْ وَيَمْرُقُ شَمْلَهُمْ وَيَبَاعِدُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ مِنْ مَظَاهِرِ التَّعَاطُفِ وَالْمُفَافَاحَةِ وَأَنْ يَتَذَبَّرُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) عَنِ مَنْصُورٍ وَكَيْلٍ دَارُ الْعُلُومِ مَابَقَا

الطرف والملح

اجتمع رؤساء بني سعد إلى أَسْكَمَ بْنِ صَيْفِيَّةَ . بِسَنَشِيرُونَهُ فِيمَا دَهَنَهُمْ يَوْمَ الْكَلَابِ ^(١) . فَقَالَ : إِنْ وَهَنَ الْكَبِيرُ قَدْ فَشَى بَدَنِي . وَلَيْسَ مَعِيَ مِنْ حُدَّةِ النَّهْسِ مَا أَبْتَدِي بِهِ الرَّأْيَ . وَلَكِنْ اجْتَمِعُوا وَقُولُوا . فَأَتَى إِذَا مَرَّ فِي الصَّوَابِ عَرَفْتُهُ . وَقَالَ الصَّابِي :

وَاللَّيْسَ فِيمَا بَيْنَ جَبِيٍّ مَكْمَنٍ	خَفِيٌّ قَصِيٌّ عَنْ مَدَارِجِ أَنْفَاسِي
أَصَنَ بِهِ نَصِيٌّ بِمَوْضِعِ حَفْظِهِ	فَاجِيَهُ عَنْ أَحْسَاسٍ غَيْرِي وَأَحْسَاسِي
فَقَدْ صَارَ كَالْمَعْدُومِ لَا يَسْتَطِيعُهُ	يَقِينٌ وَلَا ظَنٌّ تَخْلُقُ مِنَ النَّاسِ
كَأَنِّي مِنْ فَرْطِ احْتِيَاطِي أَضَعْتُهُ	فَبَعْضِي لَهُ وَاجِعٌ وَبَعْضِي لَهُ نَاسِي

(١) موضع وقعت فيه حرب بين بني سعد وأعدائهم

اصول الدين

الاسلام دين الفطرة

قال الله تعالى «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين» وقال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)
بيننا في مقالنا السابق ان الانسان مفعول على التفكير في نفسه وفيما يحيط به ويتصل بوجوده من العالم وفيما يحسد له وامامه من الشؤون والحوادث وان ذلك منه لما أودع فيه من العقل الفرزى ولما ينتابه من التأثير بما يحيط به وان نفسه نزاعة بما أودع فيه من العقل الى تعرف كل شئ يقع عليه بصره وتعرف منشأ كل شئ يحيط به وان هذا النزوع ان هدا في أوقات السراء والرخاء أثارته الشدة وهاجته الضراء (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما) وبيننا كذلك ان هذه النزعة التي تلازم وجوده والتي تذكو حيناً وتخبو حيناً لاستقرار النفس أمامها ولا يطمئن الحاضر حتى تصل الى معرفة منشأ هذا الوجود ومبدأ هذا العالم ومعرفة القوة المهيمنة عليه المنظمة له المدبرة لاحكامه المتصرفه في شؤونه . تلك القوة التي يشعر بها ويمترف بوجودها من أعماق وجدانه وقرارة نفسه وان جهل كنهها وماهيتها . وان الناس في ذلك الشعور يكادون يكونون متساوين ولا خلاف بينهم الا في تحديد بها وتعرف صفاتها وقلنا كذلك ان النفس اذا خلب من المؤثرات والتخيلات ولم تسرف في الاوهام وتتطوح في الاحكام ليس أمامها سوى الاعتراف بان هذه القوة المهيمنة المتصرفه المدبرة المحكمة المنظمة يجب أن يكون لها من الصفات ما تشهد به آثارها . فواجب أولا أن تكون ذاتا لها وجود قائم بنفسه لا يستند الى شئ يقوم ويقوم به . فهذه القوة بالضرورة صفة لقوى هو صاحب هذه الآثار وهو الفاعل لكل ماظهر لنا اذ كانت القوة التي هي صفة لا بد لها من

موصوف تقوم به وهذا القوى الفاعل يجب أن يكون وجوده مستمدا من نفسه أى أن ذاته تقتضى وجوده أو بعبارة أخرى وجوده لازم لذاته وهو مايسمى في لسان المتكلمين (واجب الوجود) ذلك ان هذه الاشياء التى نراها باعيننا توجد ثم تقدم أو تتحرك أو تسكن فتشغل حيزا هى محتاجة اليه في وجودها لايمكن أن يكون وجودها مقتضى ذاتها أى لايعقل أن تكون واجبة الوجود فلو كان وجودها واجبا لاستحال عليها العدم وهامى ذى توجد بعد عدمها وتقدم بعد وجودها فوجودها وعدمها كلاهما ممكن فلا يحصل الا بمؤثر مغاير لها وكذلك مارأيناه من الاشياء موجودا ولم نشاهد حال عدمه كاللكواكب والافلاك قد احتاجت في وجودها الى حيز يحويها وحيز تتحرك فيه ولازمتها الحركة التى هى متألفة من حالة تقضت وحالة جدت وكلاهما حادثة فالتألف منهما حادث البتة فاللزام لهذا الحادث الذى لا يوجد الا معه يكون البتة حادثا مثله ومتى كان حادثا كان وجوده غير واجب أى يكون ممكنا فلا وجود له من نفسه فوجب أن يكون وجوده من غيره وذلك الغير هو الواجب الوجود .

وبعبارة أقرب انا نشاهد موجودات كانت معدومة ثم وجدت ولاحقها العدم بعد وجودها فلا شك في امكانها وان وجودها مستفاد من غيرها فهذا الغير ان كان ممكنا مثلها فتحكمه حكمها ووجوده من غيره وهكذا ولايمكن أن تذهب سلسلة الممكنات الى غير نهاية فلا بد من انتهائها الى موجود يكون وجوده من ذاته وليس مستفيد الوجود من غيره وبه تنتهى السلسلة اذا كان التسلسل لا الى نهاية محالا ومتى وصلنا الى أنه لا بد من موجود يكون وجوده من ذاته وهو واجب الوجود فليكن الجميع مستندا في وجوده اليه ذلك ان الموجود الذى وجوده مقتضى ذاته يكون جميع صفات الكمال الوجودى له من ذاته فهو غنى في وجوده وفي كماله الذاتى عن جميع الاغيار فالواجب في نظر العقل حينئذ أن يكون هناك موجود واجب الوجود مستوف جميع الكمالات له من صفات التأثير مايمكن به ايجاد هذه الكائنات المحكمة النظام المدبرة على ابدع الوجوه واكملها

احكام واجب الوجود :

بعد أن ثبت بالبرهان ان واجب الوجود موجود أو بمبادأة أخرى لابد أن يكون هناك واجب الوجود وان وجود الممكن المشاهد يستلزم قطعا وجود الواجب وانه لا يمكن وجود شيء من الممكنات الا اذا كان الواجب موجودا . بعد أن ثبت هذا نقول ان واجب الوجود لابد أن تكون صفاته الكمالية متحققة بالفعل ولا بد أن تكون صفات النقص بعيدة عنه كل البعد بل يجب أن تكون مستحيلة بالنسبة اليه فانه لو فرض صفة كمال تليق به ولم تتحقق له لكان في حاجة الى من يحققها له فلا تكون ذاته مقتضية لوجوده ولو فرض ان صفة من صفات النقص قد لحقت له أو امكن أن تلحقه لكان بحاجة الى من يزيلها عنه أو يفرهه عن قبولها فلم يكن مستغنيا عن غيره في وجوده وكأله اما تحديد هذه الصفات وتفصيلها فقد لا يستطيع العقل ان يستقل بمعرفتها الا بمرشد ومعلم يقوم البرهان على الثقة به والطمأنينة اليه

نعم هناك صفات يستطيع العقل البشري أن يحزم بها ولا يقبل شكاً ولا ترددا فيها تلك هي صفات التأثير وما تنوقف عليه وهي الحياة والعلم والقدرة والارادة فهذه الصفات الاربع يقضى بها وجود هذه الآثار البديمة والنظام المحكم والعوامل المتقنة وكلما اطلعت العقول على مافي الكون من حكم واسرار ووجوه اتقنان زادت استمساكا في يقينها بان مبدعها ومنشئها يجب أن يكون متصفا من هذه الصفات باكل معانيها ، اما القدرة فامرها بين فديهة العقل قاضية بان من أوجد هذا الكون الذي كلما اتسع دائرة العلم الانساني بدقائقه تبين عجزه عن الاحاطة بجميعها- يجب أن يكون له من القدرة مايقوم بهذا اليجاد . واما الارادة والمشيئة فكذلك فان هذا التدبير والتنظيم وإتقاء كل شيء كآله لا يمكن أن يكون ناشئا عن المصادفة حيثما كان بل هو ناطق بانه سبق وجوده ارادة خصصته بهذه الحالة التي تناسبه والعلم لا يقل عنهما وضوحا فان الذي اختار اكل الوجوه واليقها بكل عالم على حياله لابد أن يكون عالما بها قبل اختيارها وعالما بالوجوه الممكنة غيرها حتى اختار هذا الوجه الانسب من بينها ، واما حياة فلان هذه الصفات المذكورة لا تقوم الا عن اتصف بالحياة

بقى بعد ذلك من الصفات التي قرر علماء الكلام وجوب اعتقاد أن الخالق متصف بها ثلاث صفات وهي الكلام والسمع والبصر - وهذا في غير صفات التنزيه وسيجيء الكلام عليها - فاما صفة الكلام فانا قد عرفنا مما سبق ان النفوس كثيرا ما تخضع في تفكيرها الى مؤثرات تستولى عليها وظروف تحيط بها فكثيرا ما تنصرفها عن الجادة وربما كان من الناس من له من قوة اللسان ما يروج به أى خاطر يخطر بباله دون أن ينضجه بحثا وتفكيراً فيفضل ويضل ومن الناس من تراه في تفكيره ضعيفا قصير النظر يحتاج الى من يصره بالهدى ويرشده الى الحق ومن الناس من أحرز قوة التفكير الصحيح يهتدى به الى الصواب ولعل في عبارته قصورا عن قوة الاقتناع وقد يحوز الشخص قوى التفكير والابانة ولكن لا يكون له من قوة النفوذ ما يلزم غيره باتباعه وهكذا ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم ولقد شهدنا من آثار الموجد الاعظم ما يدلنا على ان الرحمة متجلية في كل خلقه فهل من هذه آثار رحمته يمكن أن يتجرد عن صفة الهداية يهدي بها الناس وينقذهم من حيرتهم وضلالهم ويردهم الى الحق والرشاد في احكامهم وهل تجيء الهداية الا بالافهام وهل الافهام الا بالكلام يوصيه الى الناس بالطريق الذي يختاره لهم وهنا ينبغي أن نشرح معنى صفة الكلام بما يقربه للافهام فنقول تستعمل هذه المادة (الكلام) على ثلاثة أوجه فنقول تارة فلان جلس يتكلم مع فلان تريد به هذه المحادثة اللفظية ذات الحروف والاصوات وتارة تقول انت في نفسك كلام أو هذا الذي تقوله غير الكلام الذي في نفسك أو انا فاهم الكلام الذي في نفسك كل هذا لا يراد به تلك الالفاظ المسموعة ذات الحروف والاصوات وانما يراد به تلك المعاني التي تصورها النفس مرتبة معدة للفهم والكلام هنا معنى نفسى قائم بنفس المتكلم اذا اطلعت عليه وادركته باى طريق من طرق الادراك فهتم مدلوله بواسطته ويسمى الكلام النفسى وهو الذى يشير اليه البيت المشهور

ان الكلام لى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا
وتارة تقول فلان رجل متكلم وقلان متكلم اكثر منه أو أعظم منه أو أقوى

في الكلام منه تريد بذلك صفة في النفس بها الاتقار على صوغ الكلام حسبما يراد فهي من الملكات الثابتة وهي صفة واحدة تنشأ عنها آثار متعددة بحسب المقامات والاحوال

فاما الكلام بالمعنى الاول الحروف والاصوات المسموعة فلا يقوم بذاته تعالى اذ كانت تلك الاصوات حادثة لا تقوم بالذات القديمة ، واما المعينان الاخيران فلا مانع من قيامهما بذاته تعالى فالمعنى الاول يشبه قيام علم المعلومات المتكثرة بذاته تعالى أو كتعلقات العلم ، والمعنى الثاني شأنه شأن بقية الصفات من القدرة والارادة

وانما تعرضنا لهذه التبعة وان كانت من غير ما كلامنا فيه اذ كنا بصدد ما نهدي اليه الفطرة في نسبة ما يطبق بذاته تعالى لان هذا الموضوع مما كثر فيه الكلام بين علماء هذا الفن حتى قالوا من أجلها سمي علم التوحيد كله علم الكلام لكثرة ما وقع في هذه المسألة من الكلام

ولنعد لما كنا بصدد فقول ان الذي خلق الخلق بحكمته وشملهم برحمته وتداركهم بلطفه يقضى العقل السليم بان يكون منه ما ينقذهم من حيرة هم لها متعرضون ويخرجهم من ظلمات الجهالة والشكوك الى نور العلم واليقين وذلك بان يفهمهم الحق ويهديهم الى الصواب وينير لهم سبل الرشاد وان من أعظم أبواب الرحمة رحمة الهداية واخراج النفوس من الظلمات الى النور وذلك أثر صفة الكلام ولما كانت نفوس البشر لا تقوى على فهم الكلام الا بالكيفية التي القوها من حروف وأصوات وكان قيام هذا بذاته تعالى محالا على ما عرفت اصطفى من خلقه من آناه قوة هذا الفهم ليفهم عنه ويفهم الناس رحمة ولطفنا واحسانا فاصطفى من الملائكة رسلا الى الانبياء واصطفى من الناس رسلا الى سائر الخلق فتارة يكلمهم وتارة يلهمهم وتارة يرسل اليهم الملك (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا) واما السمع والبصر فهما من صفات الكمال التي يحكم العقل بوجوبها للخالق العظيم وان توقف في تحديدهما وهل هما راجعتان لصفة العلم أو يحصل بهما انكشاف مقار لانكشاف الحاصل به

موقف الدين في هذه المقامات يصح لنا بعد هذا أن نتساءل عن موقف الدين بالنسبة لهذه المقامات وما احكامه فيها وما أثره اذ كانت هذه الاحكام مما تقضى به الفطرة

والجواب اما موقفه بالنسبة اليها واحكامه فيها فقد قررنا وبسطها وبرهن عليها وبين مظاهرها وتجلياتها في هذا الكون بما يزيدنا رسوخا في النفس ويجعل النفس مطمئنة لها متمسكة بها مستيقنة لها وقد نوع الاساليب في التمييز عنها لزيادة تقريرها وتمكينها في النفس (الله لا اله الا هو الحي القيوم) (وسع كل شيء علما) (وهو بكل شيء عليم) (ان الله على كل شيء قدير) (وربك يخلق ما يشاء ويختار) (وكلم الله موسى تكليما) (وهو السميع البصير) والآيات في هذه الصفات اكثر من أن تحصى واظهر من أن تخفى ولا تكاد تتلو بضع آيات من الكتاب الحكيم الا وجدت صفات التمجيد مشبوة فيها تلاماً بين ثنائها لكل مناسبة اقتضتها اذ كان التمجيد الالهى اكبر ما يقصد من الدين

صفات التنزيه

قد جرت عادة الكثيرين من المتكلمين في العقائد الالهية أن يقدموا الكلام في صفات التنزيه على الكلام في صفات التمجيد ولكن سياق كلامنا مع ما يفيد النظر الصحيح في هذا الكون والتدرج مع العقل من أول ما ينظر الى آخر ما ينتهي به الفكر وكان أول النظر في الكون انما يعطى صفات التأثير وما تتوقف عليه من العلم والقدرة والارادة ، والحياة كان حقا علينا أن نقرر تلك الصفات وباقي صفات المعاني أولا ثم ننتقل الى صفات التنزيه وهى خمس صفات القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية وهذه هى الصفات التى تعرض لها علماء التوحيد تفصيلا ولكن الواجب اعتقاد تنزيه الخالق عن كل ما لا يليق به

فاما الصفات الاربع الاولى فهى من مقتضيات وجوب الوجود الذى برهنا عليه فيما سبق أو متى كان وجود خالق العالم واجبا أى لا يقبل العقل أن يكون

معدوما أى يستحيل أن ينتفى كان قديما البتة ومعنى كونه قديما أنه لا أول لوجوده
أى لم يسبق وجوده عدم ومعنى البقاء أنه لا يلحق وجوده عدم فعنى هاتين الصفتين
أنه لم يكن معدوما قبل وجوده ولا يلحقه عدم بعد وجوده فهو الاول والآخر
والبرهنة على وجوب الوجود أى استحالة العدم كافية في اثبات صفتى القدم
والبقاء واما المخالفة للحوادث فعناها انه لا يشبه شيأ من المخلوقات فليس بجسم ولا
عرض ولا يجوز عليه الحلول ولا الاتحاد ولا يحيط به مكان ولا حدود ولا نهايات
والنقل وان صعب عليه في أول الامر تصور موجود ليس بجسم ولا حال فيه ولا
متصل به ولا يحيط به حدود ولا يتحيز في مكان فانما ذلك لتقيده بالمألوف والافين
يدقق النظر ويعلم ان هذه سمات الحدوث وخصائص الممكنات وان مكونها يجب
الا يكون مماثلا لها والا احتاج احتياجها واقتصر الى من يحدده ويشكله واقتصر الى
المكان الذى يحويه ويتحيز فيه فلم يكن له عليها فضل الاليجاد ولم يتميز عنها تميز الفنى
المطلق نقول حين يدقق النظر ويعلم ان الوجود لم يتقيد بهذه القيود الا للوقوف
عند المشاهد المألوف يذعن لاحالة للاعتراف بانه خالق تلك المحدثات لا يشبهها
ولا يتسم بسمة خلقه (ليس كمثل شئ وهو السميع البصير) واما قيامه بنفسه فعنا
انه لا يحتاج الى ذات يقوم بها كما تحتاج الاعراض والصفات والقوى الى ما تقوم به
وهذه الصفة كما ترى كالنسمة للصفات الثلاث السابقة

الوحدانية — أما هذه الصفة فقد عنيت الشرائع بتقريرها اتم عناية
اذ قد اخطأ فيها الانسان في جميع ادواره واطواره ودخل على العقول أمر الشرك
من مسالك شتى منها ماهو خفى ومنها ماهو ظاهر ولعل السر في ذلك أمران
الاول : ولوع النفس بالركون الى ما تشاهده بإبصارها وصعوبة الاقتناع بوجود
شئ ليس من جنس ما افته من الاجسام والتحيزات والامر الثانى تباعد الآثار
التى صدرت عن القادر الخالق حتى تعاضى على الافهام القاصرة أن تكون كلها
على اختلافها وتباينها راجعة الى قادر واحد فاما اصحاب الفلطة الاولى فهم الوثنيون
على اختلاف نحلهم فمنهم من عبد الكواكب ومنهم من عبد الحيوانات ومنهم من عبد

الاصنام ومنهم ومنهم الخ. ومرجع الكل أن يكون امام النفس محسوس مرئى تقتنع بوجوده فتشغل فيه تلك القوة التى ملأت جوانحها واذنعت لوجودها وعجزت عن تحديدها فاخذت تمثلها في الكائنات التى مثلتها لها نفسها فاما إبداء بالعبادة لها واما تقريبا للتصور في أول الامر ثم انقلابا في الحال الى عبادتها على توالى الازمان واما أصحاب الفلطة الثانية فهم الذين استبعدوا أن يصدر العلم كله على ما فيه من اختلاف في نظرهم القاصر اذ كان يحوى ما يروونه خيرا وما يروونه شرا بحسب زعمهم فقالوا لا بد أن يكون هناك قوتان هما مصدر الوجود واحدة للخير كمنح الحياة والخلق والرزق واخرى للشر كجلب الامراض والموت والقناء والمجيب في أمرهم أن يقولوا ان مصدر الخير فكر مرة في الشر فنشأ عنها اله الشر فكان منه ما كان ثم هم يزعمون مع ذلك ان مصدر الخير لا يكون مصدرا للشر وفاتهم انه متى كان هو الذى فكر فثبت من فكرته مصدر كل هذا الشر على زعمهم فكيف لا يكون هو المصدر ولكن المتناقضات عند امثال هؤلاء ليست مما يستغرب ولا مما يتعجب منه

وعلى الجملة فالشرك في أمر الالهية قد دخل على الجماهير من عدة نواح ومنها الشرك الحقيقى وهو الارتباط بالاسباب المباشرة والغفلة عن مبدعها ورابط أحكامها ومدبر نظامها

وما أجهل قول بعضهم مثل الواقف عند الاسباب المباشرة مثل من يفتاظ من القلم الذى كتب به أمير أمر عقوبته فيكسر ذلك القلم اذ كان هو الذى خط ذلك الامر ولو ارتقى بنظره قليلا لقال لا ذنب للقلم وانما الذنب للانامل التى حركته ولو ارتقى فوق ذلك لقال وما للانامل انما على على الجوارح ذلك من القلب الذى حرك تلك الانامل وأملى عليها ما اراد

هذا شأن الشرك وهذه بلواه وهذا عمومها ولذلك كانت العناية بازالته في نظر الشرائع وتكرار التنبيه على الوحدانية تزيد على ماعداها وانا نبدأ في برهان الوحدانية بما قرره علماء الكلام ثم نتى ببعض ماورد من الآيات اليبينات في الذكر الحكيم دليلا عليها

برهان وجوب الوجدانية

الدعوى واجب الوجود الصانع للعالم يجب أن يكون واحداً وذلك انه لو أمكن وجود الهين لأمكن أن يتأتما أى لأمكن أن يريد أحدهما شيئاً ويريد الآخر ضده بأن يريد أحدهما وجود كوكب معين مثلاً ويريد الآخر عدمه وذلك لان الارادة لا تتوقف الا على شيئين الامكان من جهة المراد وذات الواجب من جهة المرید ووجود الكوكب وعدمه كلاهما ممكن وذات الواجب متحققه فيهما على الفرض المذكور وهو التعدد فلو أمكن الهاز واجبا الوجود لكل منهما من القدرة والارادة والعلم ما يستدعيه وجوب وجوده لأمكن أن يريد كل منهما شيئاً ويريد الآخر ضده وهذا معنى قولنا لأمكن بينهما التامع لكن امكان التامع باطل فما ادى اليه وهو امكان تعدد الاله باطل فثبت وجوب الوحدة وانما كان امكان التامع باطلا لان التامع مستحيل وامكان المستحيل مستحيل ووجه استحالة التامع أنه لو فرض وقوعه لزم المحال فانه لو فرض انهما تآمما فاما ان ينفذ مرادهما معا فيلزم اجتماع الضدين أو يتمطل مرادهما معا فيلزم عجز واجبي الوجود وهو محال اذ وجوب الوجود يقتضى كل صفات الكمال الثلاثة بالفضل أو يتمطل مراد أحدهما فيلزم عجز الآخر وهو واجب الوجود كما فرض وذلك محال والآخر مثله اذا تمطل أيضا فان فرض ان أحدهما ينفذ مراده باطراد فهو المنفرد بالالهية ووجوب الوجود ويبطل الآخر وهو واجب الوجود كذلك وذلك محال واذا كان التامع يؤدي وقوعه الى أحد ثلاثة أشياء كل منهما مستحيل كان التامع مستحيلا واذا كان التامع مستحيلا كان امكانه باطلا واذا بطل امكان التامع بطل ما ادى اليه وهو امكان التعدد واذا بطل امكان التعدد كان التعدد مستحيلا فكانت الوحدة واجبة وهو المطلوب

وانما سقنا هذا البرهان بخصوصه على الطريقة الكلامية والاسلوب المنطقي مع أن الكلام مسوق للجمهور ولعل فيهم من لم يدرس الصناعة الكلامية - لان هذا البرهان بهذه الطريقة من الواضوح بحيث لا يتعاصى فهمه ولانه كثر ايراد

التشكيكات على الوجوه التي قرروها وهو بهذا سالم من كل الايرادات فانه لا يقال عليه يجوز أن يتفقا لاننا لم نجعل اللازم الباطل انهما يختلفان بل جعلناه جواز الاختلاف ولا شك أن جواز اتفاقهما لا يمنع جواز اختلافهما وهو ما ابطالناه ولا يقال عليه أيضا يجوز أن أحدهما في الممكن وان كان ممكنا في ذاته ولكن تعلق ارادة أحدهما منعت تعلق ارادة الآخر وذلك لانهما متى كانا الهين واجبي الوجود فكل حال تفرض فيها أنه يجوز تعلق ارادة أحدهما بجوز فيها تعلق ارادة الآخر وليس لاحدهما خصوصية السبق فان كان أحدهما مختصا بالسبق فافرضه لها وادفع الآخر وان تشابها عجز كل منهما وايضا فان كلا منهما يكون قد امتنعت ارادته لوقوف الآخر في سبيله وهذا هو التعجيز والعجز وهو محال على الاله فالدليل بهذا الاسلوب واضح لا غبار عليه

واما أدلة ذلك من آي الذكر الحكيم فاكثرها وما أظهرها قال تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) (اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) (ان الذين تدعون من دون الله لن يخفوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الديار شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) (أفمن يخلق كمن لا يخلق) وهكذا مما لا يحصى كثرة .

واذا شئت أن يزيد اطمئنانك بنظرك المجرد فاطل التأمل في هذا العالم ودقق النظر فيما حوى من دقة نظام ومتانة واحكام وكيف ارتبطت أجزاؤه بعضها ببعض حتى كونت على تباعدها وتباينها وحدة كاملة دقق النظر تجدها صادرة عن تدبير واحد وعلم واحد وصانع واحد

وفي كل شيء له آية تدل على انه الواحد

بعد هذا البيان تجد العقيدة الاسلامية في شأن الاله أوضح مما يمكن فهمي لا تخرج عن اعتقاد أن لهذا العالم الممكن موقدا واجب الوجود وهو حي علم قدير يريد متكلم بكلام نفسي سميع بصير وهو واحد لا شريك له قديم لا أول له بق لا آخر له قائم بنفسه لا حاجة به الى غيره (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير)

(هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) .

امراهم اليالى

للمرس بقسم التخصص بالازهر الشريف

الطرف والملح

وقد عبد الله بن حذعان على كسرى . فأكل عنده الفالوذ . فسأل عنه فقيل له : هذا الفالوذ . قال : ويم يصنع ؟ قيل : لباب البر يلبك مع غسل الحبل . قال : ابغوني غلاما يصنعه : فأتوه بفلان يصنعه . فابتاعه . ثم قدم به مكة . فأمره أن يصنع الفالوذ ففعل . ثم وضع الموائد من الأطلح^(١) الى باب المسجد . ثم نادى مناديه : ألا من أراد الفالوذ فليحضر . فحضره الناس . وكان فيمن حضر أمية بن أبى الصلت . فقال :

ومالى لا احية وعندي مواهب قد طلعت من التجاد^(٢)
لأبيض من بنى عمرو بن تيمم وم كالمشرفيات^(٣) الحساد
لكل قبيلة هاد^(٤) ورأس^(٥) وانت الرأس تقدم كل هاد
عماد الخيف^(٦) قد علمت معد^(٧) وانت البيت^(٨) يرفع بالعماد^(٩)
له داج بمكة مشعل^(١٠) وآخر فوق دارته^(١١) ينادى
الى روج^(١٢) من الشيزى^(١٣) ملاء^(١٤) لباب البر يلبك بالشهاد
هذا - وابن حذعان هذا . ممن ترك شرب الخمر فى الجاهلية .

(١) موضع مكة . وهو الخيف (٢) جمع مجد . وهو المكان المرتفع من الاراس . ومراده ان حلق انكسرم
قد ورنه لمسوح من آتاه الاول (٣) السيوف الناطقة (٤) عى . وانرد به الذبح (٥) امراد به لمسوع
(٦) موضع ملى (٧) اللثة (٨) الصود (٩) نبط طريف (١٠) قبيلة وقومه (١١) جمع رده .
وهى الخفة (١٢) حطب سود وتخذ منه الخفان (١٣) جمع ملاى . أى ملوء . لباب البر المعجون بسل الحبل

اصُولُ الفِقه

الشریعة الاسلامیة صالحه لكل زمان ومكان

بناؤها على حفظ المصالح ودرء المفاسد

القوانين العادلة هي التي تقوم على رعاية حفظ المصالح ودرء المفاسد، ولا يختلف علماء الاسلام في أن أحكام الشريعة قائمة على رعاية هذين الاصلين ، واذا كانت المصالح والمفاسد قد تخفى في بعض ما يشرع على ائمة عبادة فان الاحكام المشروعة لغير العبادات من آداب الاجتماع ونظم المعاملات والجنايات لا تنصرف العقول السليمة عن ادراك أسرارها ، ومن الميسور تقريرها على وجه يظهر به فضل الشريعة السماوية على القوانين الوضعية

يقدر الباحثون عن حكمة التشريع من عندنا أن المصالح أربعة أنواع : اللذات واسبابها ، والافراح واسبابها ، وأن المفاسد أربعة أنواع : الآلام واسبابها ، والنوم واسبابها ، ويسمون اللذات والافراح بالمصالح الحقيقية ، وأسبابها المصالح المجازية ، كما يسمون الآلام والنوم بالمفاسد الحقيقية ، واسبابها المفاسد المجازية . ويذكرون أن المصالح المحضة كالمفاسد المحضة نادرة الوجود ، واكثر الوقائع ما تجتمع فيه المصلحة والمفسدة ، فما كان مصلحة محضة فتحكمه الاذن قطعاً ، وما كان مفسدة محضة فتحكمه النهي بلا مرأى ، فاما ما يكون مصلحة من ناحية ومفسدة من ناحية أخرى ، فالشارع الحكيم ينظر الى الارجح منهما ويفصل الحكم على قدر الأرجحية ، فما رجحت مصلحته على مفسدته اذن فيه على وجه الاباحة أو التندب أو الوجوب ، وما رجحت مفسدته على مصلحته نهى عنه على وجه الكراهة أو التحريم

التفقه في الادلة السمية : ذكرنا فيما سلف ان من احكام الشريعة ما يدل عليه

آية أو سنة صريحة كتحریم الجمع بين الاختين والقضاء للذكر في الارث بمنثل حظ الاثنين، والقصاص، وقطع يد السارق والسارقة، وهذا النوع من الاحكام لا يختلف أئمة الدين في أنه شريعة عامة باقية ، ولا يجوز لولى الامر اهماله ولا أن يستبدل به غيره .

وربما دعت الضرورة الى ارجاء اقامة الحد كما أخر الامام على رضى الله عنه القصاص من قتلة عثمان مرتقباً وقتاً يتمكن فيه منهم وهو آمن من عصبيتهم، وفي سنن أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن تقطع الايدي في الزور ، وروى أن عمر ابن الخطاب كتب الى الناس : أن لا يجلدن أمير جيش ولا سريّة ولا رجل من المسلمين حداً وهو غاز حتى يقطع الدرب قافلاً لئلا تلحقه حمية الشيطان فيلحق بالعدو . وقد تظراً حال عامة تجمل ولى الامر في ريب من أن تكون واقعة أخذ المال خفية من قبيل السرقة المفروض فيها حد القطع ، فيكف يده عن اجرائه ، وقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أسقط قطع يد السارق في عام المجاعة لان الحاجة كانت غالبة ، فمن المحتمل القريب وقتئذ أن يكون الدافع الى السرقة اضطراره الى مايسد رمقه وينقذه من التهلكة .

ولا يلحق بمنثل هذا الحال أن تمتل اذواق قوم وتساورهم شهوات طائشة فيقيموا هذه الاذواق مقام العقل، وتلك الشهوات مقام المصلحة، فينكروا ما فرض الاسلام على الزانى أو شارب الخمر من عقوبة . وعلى حكماء الامة أن يعالجوا هذه الاذواق حتى تسلم من مرضها ، ويقوموا تلك الشهوات حتى تعود الى حال اعتدالها . يدخل الاجتهاد الادلة السمعية على النحو الذى ذكرنا ، ويدخلها من جهة الاطلاق والتقييد ، اما الاطلاق فكما قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافاً مضاعفة) فاطلق الأئمة في تحريم الربا وعدوا قوله تعالى «أضعافاً مضاعفة» من قبيل ما روى فيه حال ما كانوا يفعلون وقت نزول الآية ، ومن أدلة هذا الاطلاق قوله تعالى (وان تبتم فلکم رؤوس أموالکم) فهو صريح في حرمة الربا كثيره وقليله .

ومن أمثلة هذا أن الله تعالى حرم على الرجل نكاح ربيته فقال (وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) وظاهر الآية أن المحرمة بنت الزوجة التي تكون في حجر الزوج ، ولكن الأئمة تفقهوا في هذا الوصف فلم يظهر فيه أثر للتحريم فأولوه على أنه من قبيل الأوصاف التي ترد في الكلام البليغ من جهة أنها الحال الغالبة في الموصوف، واقتوا بتحريم الربيبة على زوج أمها وإن لم تكن في حجره وأما التقييد فكحديث النهي عن بيع الماء فقد خصصه الإمام مالك بآبار الصحراء التي تتخذ في الأرضين غير المملوكة فيكون صاحبها الذي حفرها أولى بها ، فإذا قضى منها وطره ورويت ماشيته ترك الفضل للناس من غير ثمن ، واستند الإمام في هذا التخصيص وصرف النهي عن بيع الماء في الأرض المملوكة إلى الأصل الذي ورد به السمع وانعقد عليه الإجماع وهو أنه لا يحل مال أحد إلا بطيب نفس منه. ومن أمثلة هذا الباب حديث (شاهدك أو يمينه)

فظاهر الحديث أن اليمين حق على كل منكر ولكن الإمام مالكا قيده بحال ما إذا كان بين المتقاضين خلطة ، وإنما قيده بقاعدة درء المفسد ، إذ أخذ الحديث على إطلاقه يجرى السفهاء على أهل الفضل فيستطيعون أن يوجهوا عليهم متى شاءوا دعاوى ويقفهم للحلف إيلاما وامتنانا

يقيد المجتهد النصوص أو يطلقها على ما تقتضيه الأدلة السمعية والأصول الشرعية، ولا يصرف نظره عن النص جملة إلا أن يثبت لديه أنه منسوخ، أو يعارضه ما هو أقوى سنداً أو دلالة ، أو يكون الحكم مربوطاً بشيء على أنه علة مشروعته ، وتزول هذه العلة فيتبهما الحكم وتدخل الواقعة في نص آخر أو تحتاج إلى حكم من المجتهد يطابقها

ومثال هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم ترك صلاة الراويح في جماعة وقال في وجه تركهما (ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أنني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها) وقد زالت بوفاته عليه الصلاة والسلام الخشية من أن تفرض عليهم ، ولهذا أقامها عمر بن الخطاب بعد وقال « نعم البدعة هذه »

وقصر الحكم على حال وجود العلة متى كان منصوفا عليها أمر واضح لاشبهة فيه ، وقد يجيئ الحكم مجردا من ذكر العلة فيقررها المجتهد استنباطا ويجعل الحكم مقصورا على حال هذه العلة المستنبطة ، ومن هذا القيل أن المؤلفلة قلوبهم قد ذكروا في آية مصارف الزكاة (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم) الآية .

فرأى بعض الائمة أن علة جعلهم في مصارف الزكاة الحاجة في بداية الاسلام الى تكثير أنصاره أما حين قومت شوكته ، وكثر اتباعه وحماته ، فقد زالت الحاجة الى تأليف المخالفين وسقطوا من مصارف الزكاة

ومن أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام ما يحمله المجتهد على أنه صادر منه بصفة الامامة لأنه حكم عام كسائر أحكام الشريعة التي يراد بها التبليغ ، ومثال هذا قوله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين (من قتل قتيلًا فله سلبه) فإن من الائمة من يذهب في هذا الى أنه تصرف من جهة الامامة وأنه منظور فيه الى ما اقتضته المصلحة في تلك الغزوة ، فلقائد الجيوش من بعده أن لا يحمل سلب القتيل للقاتل حيث لم تدع الى ذلك مصلحة. ولهذا النوع من أقواله عليه الصلاة والسلام ناحية يرجع بها الى التشريع وهي أنه يجوز لولى الامر أن يجتهد ويقول «من قتل قتيلًا فله سلبه» أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يردده عن هذا القول أن السلب من الفينة ، والفينة في أصلها ملك للمجاهدين ، أو أن هذه المنحة تنقص الاخلاص وتجعل بعض الجند يقاتل للسلب لا لأعلاء كلمة الله

هذه الوجوه التي يدخل منها الاجتهاد الصحيح عند التفقه في الادلة السمية ، وههنا قد تزل أقدام بعض الناظرين في عجل ، أو يفتضح بعض من يكيدون للشريعة من طريق التأويل ، حيث يعمدون الى بعض النصوص الشرعية ويذهبون في تفسيرها مذهبا يخرجون به عن مقاصد الشريعة أو ينقضون به أصلا من أصولها

وجهور أهل العلم على أن الاحكام المقررة بطريق السمع وليس للمجتهد أن يعددها هي ما جاء في كتاب أو سنة أو اجماع ، وقول الصحابي فيما لا يقال بالرأى

هو من قيل المرفوع فهو داخل في السنة ، أما قوله الذى يمكن أن يكون اجتهادا فليس بحجة تقطع غيره عن الاجتهاد ، لان الصحابي غير معصوم عن الخطأ ولأن الصحابة كانوا يختلفون فيما بينهم من غير انكار ، وما يقع في موطن مالك من ذكر قول الصحابي في مقام الاحتجاج انما يأتي به الامام في معنى التأييد لاجتهاده أو لترجيح بين الاخبار عند اختلافها ، قال القاضي أبو بكر بن العربي في شرح حديث (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين) من سنن الترمذي ، أمر بالرجوع الى سنة الخلفاء وهو يكون على أمرين : الأول التقليد لمن عجز عن النظر ، والثاني الترجيح عند اختلاف الصحابة ، فيقدم فيه الخلفاء الأربعة أو أبو بكر وعمر ، وإلى هذه النزعة كان ينزع مالك ، وتبعه عليه في الموطأ .

واعتماد الامام مالك على عمل أهل المدينة فيما لا مجال للرأى فيه أو فيما كان طريقه النقل المستفيض كالصاع والمد والاذان والاقامة يرجع الى الاحتجاج بالسنة فان العادة تقتضي أن يكون عملهم هذا من زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، اذ لو تغير تغير مما كان عليه الوحي لعلوه ، واذا قدم عمل أهل المدينة الذى هو في معنى السنة على خبر الاحاد فانما قدم على خبر الاحاد سنة يراها أمثن سنداً وأقوى ، وانكر بعض أصحابه أن يكون قد وقع منه تقديم عمل أهل المدينة على الحديث الصحيح ، قال أبو بكر بن العربي في كتاب العارضة . ومن لا تحصيل له من أصحابنا يظن أن مالكاً يقدم عمل أهل المدينة على الحديث الصحيح ، ولم يفعل ذلك قط ، ولا ترك مالك قط حديثاً لاجل مخالفة أهل المدينة له بعملهم وفتواهم .

لا يدخل الاجتهاد في النصوص المحكمة الا بشئوا الاطلاق أو التقييد على مقتضى الأصول الصادقة ، وهذا واضح بنفسه فيما اذا كان النص قرآناً أو سنة متواترة . أما خبر الاحاد فان لم يره المجتهد معارضاً لأصل آخر وجب العمل به عندأئمة الدين بلا مرأه كما أخذ عمر بن الخطاب رضى الله عنه بخبر عبد الرحمن بن عوف في أخذ الجزية من الجوس ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم (سئوا بهم سنة أهل الكتاب^(١))

أما إذا ورد خبر الاحاد وكان فيما يظهر مدارضا لقاعدة أوقاس صحيح فهذا موضع نظر أهل العلم واختلاف آرائهم ، فمنهم من يقدم الحديث على الاقيسة والقواعد يظهر هذا من قول الامام الشافعى : اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضربوا بقولى الحائط ، وقوله : اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح الاسناد به فهو المنتهى ، وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة : لا قول لاحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صح الخبر .

ونجد أثارا كثيرة عن الصحابة تدل على انهم كانوا يتركون القياس لخبر الواحد كما ترك عمر بن الخطاب القياس في الجنين لخبر حمل بن مالك في ايجاب غرة عبد أو أمة وقال لولا هذا لقضينا فيه برأينا^(١) ، وروى انه ترك القياس في تفريق دية الاصابع على قدر منافعتها حين روى له حديث (في كل أصبع عشر من الابل)

ويقول بعض المتسكين بالحديث في كل حال : انه لا يوجد حديث ثابت على خلاف القياس الصحيح ، وحيث جاءت الشريعة باختصاص بعض الاصناف بحكم يفارق به نظائره ، فلا بد أن يختص ذلك الصنف بوصف يوجب اختصاصه بالحكم ويمنع مساواته لتلك النظائر ، لكن الوصف الذى اختص به الصنف قد يظهر لبعض الناس ويخفى على بعض ، فن رأى شيئا من الشريعة يخالفنا للقياس فانما هو مخالف للقياس الذى انمقد في نفسه لا للقياس الصحيح الثابت في نفس الامر ، وقد جاء هؤلاء الى كل ما جاءت به السنة من أحكام كالمساقاة والمزارعة وبيع العرايا^(٢) ، وبسطوا في بيان الفرق بينها وبين أفراد القياس الذى ادعى أنها جاءت على خلافه

والواقع أن الذين يسمون مثل المساقاة والسلم والمصراة^(٣) خارجة عن القياس يمتدحون بانه انضم الى هذه الابواب ما جعلها تخالف سائر أفراد القاعدة التى يبدو لأول النظر أنها من مشمولاتها ، وهذا عز الدين بن عبد السلام يقول في قواعد المصالح : أمر الله تعالى بإقامة مصالح متجانسة واخرج بعضها عن الامر اما لمصلحة

(١) روى ابو دود (٢) أن يهب الرجل لآخر الرحلة ثم ينادى بمدحوله قد صحر من ثمها ويشتره منها ثمنه (٣) المصراة هي التى حصرى فيها أى حبس وجع فلم يجلب أياها ، وقد جاء في الحديث الشريف أن مقاربتها من احبها يكون بخير نظرين : لما أن يحسبها أو يردعها واصلح تمر

ملاستها واما لمفسدة تعارضها ، وزجر عن مفسد متائلة وأخرج بعضها عن الزجر
أما لمشقة اجتنبها ، واما لمصلحة تعارضها ،

ومن أهل العلم من يقدم القاعدة والقياس الذى تكون مقدماته قاطعة على خبر
الواحد ، وقد تردد أصحاب الامام مالك في مذهبه فروى عنه أصحابه المراقبون
تقديم القياس على الخبر ، وروى عنه المديون والمنازبة تقديم الخبر على القياس .
والتحقيق أن للامام في كل حديث يتعارض مع القياس نظرا خاصا ، فيقدم مثلا --
الحديث الذى تضمنه قاعدة أخرى كحديث المرايا عارضته قاعدة الربا وعضدته
قاعدة المعروف

فقد أريناك أيها القارىء النبىه كيف كان علماء الاسلام يراعون عند التفقه في
الكتاب والسنة قاعدة حفظ المصالح ودرء المفاسد ، وأن ما جاء به القرآن والسنة من
الاحكام المفصلة كقيل بحفظ مصالح الوقائع أو درء مفسدها، وفي استطاعة الراسخين
في العلم أن يبينوا ما حفظته من المصالح أو درأته من المفاسد بيانا كافيا

واذا كان من لازم الاحكام العادلة حفظ المصالح أو درء المفاسد ، فليس من
شرط كل حكم أن يتغير باختلاف العصور أو المواطن ، فان الواقعة قد تشمل
بطبيعتها على مصلحة أو على مفسدة لا يختلف حالها باختلاف العصور والمواطن ،
فيكون لها حكم واحد لا يتغير الا أن يتغير حال الواقعة نفسها ، ومن الذى يعقل أن
يكون القصاص مثلا زاجرا عن القتل مقللا لوقائمه في عصر أو موطن دون آخر ،
والحقيقة أن حكم الواقعة انما يتحدد عند ما تتغير طبيعة الواقعة ، وان الحكم
المشروع للواقعة بحق قد يبقى حكمها العادل ولو مضت عليه احقاب ، حتى يمرض لها
من الاحوال ما يستدعى تفصيل حكم غير ماضع لها أولا ، ومن تيسر له أن يدرس
مافصلته الشريعة من أحكام محكمة - وهى فيما يرى أهل مما شرعته في ضمن أصول
وقواعد - عز أن يجد فيها حكما يتعلق بواقعة يختلف حالها باختلاف الزمان والمكان،
واذا وجد العالم الراسخ في فهم مقاصد الشريعة واقعة علق عليها الشارع حكما، ثم تغير حالها
بعد الى حال تقتضى تغير الحكم اقتضاء ظاهرا، كان له أن يرجع بها الى أصول الشريعة

القاطعة ويقتبس لها من هذه الاصول حكما يطابقها، ومثال هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن منع النساء من الخروج الى المساجد، فاذا نظر المجتهد الى علة النهي عن منعهن وجدها المحافظة على مصلحة المرأة من سعيها الى المسجد وحضورها صلاة الجماعة وانتفاعها بما توسع من قرآن أو خطبة، ولم يكن في خروجها لعهده عليه الصلاة والسلام مفسدة تستدعي المنع، فاذا جاء عهد يكثر فيه تعرض السفلة من الرجال للنساء، وحدثت وقائع تدل على أن سلطان الدين أصبح ضعيف الأثر في نفوس هؤلاء، وهؤلاء فقد أخذت واقعة خروج المرأة الى المسجد حالا غير الحال التي كانت عليه في زمن النبوة وانضم الى مصلحة خروجها مفسدة، فلم يجتهد أن ينظر في هذه المفسدة ويقسها بالمصلحة ليعلم أيهما أرجح وزنا ثم يرجع بالواقعة الى أصول الشريعة ويستنبط لها حكما يراعى فيه حالتها الطارئة.

وربما نظر الفقيه في مثل هذا نظرة مستعجل فيخطئ المرمى، وهذا ما جرى لروان بن الحكم حين قدم خطبة العيد على الصلاة نظرا الى أن الناس كانوا في عهد النبوة والخلافة الرشيدة يجلسون بعد صلاة العيد لسماع الخطبة، فلم يكن في تقديم الصلاة على الخطبة من بأس ولكنهم صاروا بعد ذلك المهمل يكتفون بالصلاة ويدعون سماع الخطبة، كما قال مروان معتذرا لابن سعيد الخدري، أن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة، وقد خالفه الصحابة والأئمة من بعدهم في ترك هذه السنة لأنهم رأوا أن هذا تصرف في أمر من قبيل العبادات التي يجب أن تقام كما وردت عن الشارع، على أن مفسدة خروج الناس قبل سماع الخطبة يمكن درؤها بوعظهم وإرشادهم الى البقاء بالمسجد حتى انتهائها، وقد حضرت صلاة العيد في السنة الماضية بإحد المساجد الكبيرة في القاهرة فوقف الإمام قبل الصلاة وذكر الحاضرين بعدم الخروج قبل انقضاء الخطبة، فامتلوا.

فالتفقه في الكتاب والسنة على النحو الذي يحفظ الحقوق ويسير بالامة في أهدي سبل المدنية انما يستطيعه من امتلاء بعلوم القرآن والحديث، وخاص في حكمه التشريع وعرف مقاصد الشارع، وقددر المصالح والمفاسد عيانتها الصحيح
(يتبع) محمد الخضر حسين

السيرة النبوية

ترجمة الفصل العاشر من كتاب السيرة النبوية

للسيدتين آيتين ديزيه وسليمان بن ابراهيم الجزائري

لصاحب التوقيع

— ٢ —

ومن نكد الطالع أن معنى المساواة هذا الذي كان متسكنا من نفس النبي لم تقل مدة رعايته رعاية كاملة في عهد الخليفة عثمان ثالث الخلفاء انشأت أوهام التعزذ بالانساب تستأنف تأثيرها السيء ولم يقد قول النبي لابنته المحبوبة فاطمة الزهراء : يا فاطمة بنت محمد لا اغنى عنك من الله شيئا فكان أبناء البيوتات التي هي دون بيت الرسول يحرقون اخوانهم المسلمين الذين هم أحط منهم أصلا مفاخرين بشرف عتدهم ويعتقدون انهم معفون من العمل معانه لانجاح للمرء بدونه وقد جر التنافس فوق ذلك بين من يعتزون بانسابهم اكثر مما يعتزون باعمالهم الى حروب أخوية لا تنطفيء جذوتها كالتى كانت في الماضى وجر معها الانحلال والفوضى المامين اللذين كاتا السبب في تعطيل تقدم العرب في القرون التي قبل الاسلام ولما فقد المسلمون ميلهم لدراسة العلوم وتفرقوا شيئا وانهمكت قواهم الحروب الداخلية المتواصلة انتهز المسيحيون فرصه انقسامهم وتآلبوا عليهم واخذوا يمتنون أنفسهم بالثار منهم فلم يستطيعوا أن يقاوموهم الا مقاومة ضعيفة .

كان في مكتبة المسلمين فيما مضى كما هو في مكتبتهم الآن أن يتحاموا معظم مصائبهم لو انهم كانوا دائما مستظهرين لآخر موعظة للنبي وعظمت بها في الخطبة التي القاها في حجة الوداع اذ قال : أيها الناس انما المؤمنون أخوة ،

والسبب الثاني لتأخر المسلمين نشأ من إهمال إحدى صفات الإسلام الأولى ذلك أن مطابقة مبدئه الأساسي الذي يكاد يكون مجرداً بالكلية مما يتجاوز القوى الفطرية مطابقة هذا المبدأ لمقتضيات العقل كان لها في أول الأمر فوائد لا تقدر بالنسبة للعلم فإنه مضى في تقدمه غير معوق بشيء من الترهات والباطيل وحسبك هذا بيانا لسبب نهضة حضارته السريعة غير أن الفكر الإسلامي استسلم تدريجاً إلى الغفوة مكتفياً بالتأنيج الرائعة التي أحرزها في الحسنة القرون الأولى من الهجرة وصار من ثم عرضة لتأثير شهوة عبادة البشر وعبادة الأوثان التي كانت في بعض البلاد الحديثة العهد بالفتح فقامت عبادة الأولياء والوسطاء والمرابطين المأخوذة عن المسيحيين والحرمة في القرآن تحريماً صريحاً مقام الاشتغال بالعلم ووقفت كل تقدم فيه بما فيها من الاوهام والمقائد الباطلة المردودة وقد حاول مقاومتها بعض علماء الإسلام كابن رشد ولكن بعد فوات الوقت فقد كاث جذور العلة تأصلت في الأمة فرمت هؤلاء العلماء بالكفر وأوجبت إسقاط حرمتهم .

وهذان السببان من أسباب سقوط الإسلام قديمان وهما يتعارضان مع شريعة القرآن الحقيقية

والسبب الثالث^(١).....

هذه في رأينا هي الأسباب الثلاثة الغالبة لتأخر المسلمين لحصنها عجالة ولسنا نظن أن هذا التأخر معدوم العلاج وأنه قضى على الثلاثمائة مليون من المسلمين المنتشرين على وجه الأرض أن يبقوا دائماً في هذه الحال المحزنة التي قدر لهم فيها أن يكونوا بعيدين عن الحضارة الحديثة .

فمعالج السببين الأولين بسيط وهو الرجوع إلى العمل بالاصول الصحيحة التي وضعها النبي ثم أن الجروح إلى انتاب المسلمين منذ قرن قد أيقظتهم من سباتهم والهزائم التي توالى عليهم نفسها قد نبهتهم ضرورة اختيار الوسائل العلمية التي

(١) وهذا ذكر الأوثان سبباً آخر لتأخر المسلمين وهو حظير الزنا على طلاقه وأخيراً لا نوافقها على هذا الرأي وستحق هذا البحث في أبرزها آلات

استعملها غالبوهم في قهرهم فذكروا قول النبي : اطلبوا العلم ولو بالصين .^(١) العلم خير من العبادة — يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء .^(٢) وقد أرشد المسلمين الى الطريق بعض المجددين من ابنائه التابعين كالشيخ محمد عبده الشهير بآبائهم مطابقة هدى محمد لما تهدى اليه الحضارة الحديثة^(٣) فبادر عدد من الشبان في جميع البلاد الاسلامية الى التعلم على المنهج الاوربي بسهولة مدهشة بدون أن يخسروا شيئا من مميزاتهم الوطنية ولن يمضي كبير زمن حتى يأخذ عدد عديد من المسلمين مكانهم في الدنيا الجديدة دون أن يخشوا اية منافسة .

هل معنى هذا أن مملكة الاسلام باحتذائها مثال المملكة اليابانية ستستعيد مكانها بين الدول السياسية العظمى ؟ ان التخصر بذلك يكون دائما من قبيل الدعوى وحسن ظن المرء بنفسه . على أن السلطان السياسي هو أقصر جميع ضروب السلطان أجلا فتكفي بضعة أشهر لتقويض دعائم أعنى الممالك وهذا السلطان لا يُثبت بوجه من الوجوه قابلية الدين للحياة فهو ليس ضروريا مطلقا في الموضوع الذي نحن بصددده فان ثمة فتوحا تخالف فتوح الجيوش فمملكة الاسرائيليين قد زالت من قرون كثيرة ولم تحتط مطلقا لخطة الرجوع ومع ذلك قل من الشعوب من له اليوم سلطان الشعب اليهودي وقد كان اضطهاد الامم له أعظم مرب فقد أصبح اليهود يشغلون المقام الاول بين جميع أمم أوربة وأمريكا بفضل نشاطهم وذكائهم فلماذا لا تحصل عند المسلمين الذين معظمهم بنوعم لليهود ولهم عليهم مزية وفرة عددهم نفس تلك النتيجة الناجمة عن السبب عينه أعنى الاضطهاد .

وجهت اعتراضات على امكان هذا التجدد الاسلامي من ناحية اشتغال الاسلام

(١) حديث الاول زيادة فيه هي : فان طلب العلم مريضة على كل مسلم ، روى عن أس مرفوعا وهو ضعيف من قال ابن حبان لأصل له وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وفي الجامع الصغير وأنه رواه عن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الايمان والعليني في كتاب الصغائر لكن على علامة الضعف ورواه ابن عبد البر في كتاب العلم عن أس زيادة فيه (٢) هذا الحديث أخرجه الشيرازي عن أس المرمي عن عمر بن الخطاب عن عبد البر في العلم وعن أبي الدرداء .

وابن الجوزي في الملل من النسا أن بشير وكثير يرويه مرفوعا والله أعلم (٣) هذا القول غير صحيح على اختلافه فكثير مما تهدى اليه الحضارة الحديثة يخالف هدى محمد صلى الله عليه وسلم . ويستحق نجدة ان شاء الله بيان ذلك .

على عقيدة القضاء والقدر والتعصب وتعدد الزوجات فلنبحث في هذه الامور بحثاً موجزاً :

١ - اذا كانت وجه لبعض الانتقادات الواردة على كيفية فهم عقيدة القضاء والقدر عند بعض اتباع المراطيين فليس لهذه العقيدة من الشأن مانسب لها فليس الاسلام بأكثر تشبهاً بها من الفلاسفة القائلين بانكار فعل العزبة الشخصية ونسبة كل الامور الى الاسباب الخارجية وهو في ذلك أيضاً أقل من المسيحية التي تقضى باتباع النصوص الانجيلية حرفياً (لذلك أقول لكم لاتشغلوا أنفسكم بالجهة التي تجدون فيها ما تأكلون وما تشربون لاستبقاء حياتكم ولا بالجهة التي تحصدون منها الثياب لتغطية أجسادكم) انجيل متى ٥ - ١٨ - ٦ - ٢٥ .

كيف تهم عقيدة القضاء والقدر بتعطيل كل مجهود عند المسلمين وقد كان محمد انشط من عرفوا على وجه الارض الى الآن في العمل وادومهم عليه واقواهم، والدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي تلا تأسيسه مباشرة سلسلة عجيبة من الاعمال المحيطة والحضارة الزاهرة . ان كلمة الاسلام معناها الخضوع والاستسلام لاوامر الله أعنى لما لا يستطيع أى مجهود انساني منعه لا لما يكاد يبدو من الميسور التغلب عليه بالقوة والشجاعة (ويا قوم اعملوا على مكانتكم^(١)) السورة ١١ الآية ١٣٤ . ومثل هذا الاستسلام يعمد أن يكون سبباً للضعف وانما يصير للمؤمنين منشأ لقوة معنوية لانظير لما تشد أزهرهم في الحن والشدائد .

٢ - ان المسلمين يجدون انفسهم في علاقاتهم مع المتمدنين التابعين لديانات أخرى قد وقفوا عن التقدم بسبب تعصب هؤلاء المتمدنين الشديد الذي لا يقبل التخفيف والذي هم يرمون به المسلمين وكل ما في الامر يرجع الى معرفة ما اذا كان هذا التعصب ليس من ضمن الاساطير المحترقة عليهم في القرون الوسطى ولكي يتيسر على

(١) الآية مسوقة مساى التهديد وأظهر منها في الدلالة قوله تعالى (من حين صلا من ذكر أو أنى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)

القارىء أن يرتأى لنفسه رأيا في ذلك نقدم اليه بعض الاسانيد التى اخترناها من عدد عظيم من نوعها :

قال ابن جرير نقلا عن ابن عباس أن رجلا من بنى سالم ابن عوف اسمه الحصين كان له ولدان مسيحيان وكان هو مسلما فقال يا رسول الله الا الزم ولدى الدخول في الاسلام فانهما يأبيان كل دين سوى المسيحية فاوحى الله جل جلاله الى رسوله هذه الآية ردا على سؤال هذا الرجل وهى (لا اكراه في الدين) (السورة ٢ الآية ٢٥٧) ولما حضر وفد نجران المسيحيون الى المدينة يطلبون مقابلة النبي خصص لهم نصف مسجده لتأدية صلاتهم. وفي ذات يوم قام لجنابة فلما أخبر انها جنازة يهودى أجاب بقوله : اليست هى نسمة . وقد قال أيضا (من أذى يهوديا أو نصرانيا كنت خصمه يوم القيامة ، قد يدوم الملك على الكفر ولا يدوم على الظلم)

ولم يتعمل المسلمون القوة خارج الحجاز أعنى الارض المقدسة وما يجاورها مباشرة لرد الناس عن دينهم خلافا لما ذكر في الحكايات المختلفة ولم يكن مسيحيو اسبانية على تخوف في أمر دينهم مدة الثمانية القرون التى كانوا فيها تحت سلطان العرب بل أن بعضهم كان يشغل أعلى المناصب في حاشية خفاء قرطبة وعلى العكس من ذلك كان حال المسيحيين فانهم بمجرد أن أصبحت الغلبة لهم هنالك أهلكوا جميع المسلمين واهلكوا معهم اليهود الذين كانوا يعيشون بسلام في حكم العرب وقد اعترف بهذه الحقيقة القيس ميثون في سياحته الدينية التى ساحتها في بلاد الشرق اذ صرح قائلا : مما يحزن الامم المسيحية انهم تعلموا من المسلمين التسامح الدينى الذى هو التاموس الاكبر للرحمة والاحسان بين الامم (نقله عن الكونت دى كستري في كتابه الذى افقه في الاسلام)

يقول المارضون وما قولكم في مذابح أرمنية فاجيبهم بأن كل المذابح التى لم تدع اليها ثورات أو مؤامرات يمتتها المسلمون الحقيقيون كما يمتت اليوم المسيحيون الحقيقيون مذبحة جميع المسلمين في اسبانية . على أن هذه المذابح التى وقعت في أرمنية ما كانت قط لاسباب دينية لان اتباع

محمد مافكروا يوما ما في الاقداء بتركاداً^(١) في مذابحه وفي تحيير الارمن بين ترك دينهم وبين احراقهم . على أن المسلمين لا يأنسون في أنفسهم أى ميل لرد الناس عن دينهم وليس لهم مبشرون حقيقيون واذا كان دينهم هو الدين الذى يجذب اليه اليوم أكثر الداخين فيه بأفريقية وآسية فاذلك كما لاحظته ملاحظة في غاية الاصابة المسيو (بردو) الابنوع من الامتصاص المعنوى (انظر كتابه المعنون - العرب في أفريقية الوسطى) الاسوة الحسنة التى لاتقارنهابا محاولة للردة تحدث في النعوس المتدنية أنرا قوما غير الذى يكون من تعليم معلم أصول العقائد من المضايقات وقد اضطر العالم دوزى الى أن يعترف رغما من تحيزه الدال على عدائه للاسلام بانه من الثابت أن كثيرا من المسيحيين في اسبانية دخلوا في الاسلام للاقتناع بصحته .

والقاعدة التى يجرى عليها المسلم في معاملته لاتباع الديانات الاخرى قد حددتها هذه الكلمات من القرآن (لكم دينكم ولى دين) (السورة ١٠٩ الآية ٦) وكيف يكون المسلم غير متسامح وهو يحترم الانبياء المحرمين عند اليهود والنصارى سواسية موسى كليم الله وعيسى روح الله يجب في نظره احترامهما الاحرام الواجب لمحمد حبيب الله (لانفرق بين أحد من رسله) (السورة ٢ الآية ٢٨٥)

ولن يجرأ أى مسلم أن يفوه بأقل بادرة في حق عيسى وهو لن يحتمل أن يفوه بها أحد أمامه حتى ولو كان من المسيحيين الاصليين الذين يلقون عليه تبعة الاغلاط الكهنوتية، فسب المسيح يعتبر سباً للقرآن الذى تأمر باحترامه، وقد اتبع لنا أن نشهد منظرا قليل الوقوع وهو حكم قاض مسيحي على مسلم لضربه يهوديا بدت منه أمامه أفكار مهينة بشأن ولادة المسيح .

ولتقارن الآن بين موقف الاحترام الذى للمسيحيين ازاء عيسى بالطرق التى يستعملها الأوربيون في حق محمد ففي القرون الوسطى كان الرهبان والشعراء المتحولون

(١) تركاداً هو أحد اصحاء محكمة التفتيش في اسبانية

يمثلونه^(١).....
ولو أردنا أن نذكر كلما ولدته فيما سبق بخيلة أعداء محمد الكثيرة الاختراع ما فرغنا منه. ولم يكن المستشرقون الأولون قط بأقل اهانة له من هؤلاء فقد تكلم عنه العالم غانبيه في القرن الثامن عشر بعد أن لام القسيس مراشئ والدكتور بریدو على اهاتهما النائرة^(٢).....

يقول ذلك وهو يزعم أنه وقف في وصفه موقف الاعتدال
ولم يكن نصيب أصحاب محمد الأولين من الاذى بأقل من نصيبه فيه فقد اخترع بعض الناس القصة الشهيرة المنسوبة للخطبة عمر بن الخطاب وهي احراقه لدور الكتب في الاسكندرية شاهدين على انفسهم بكل مالديهم من الاستخفاف بالتاريخ لينسوا الناس الوحشية التي بها أحرق الكردينال ريناس دور الكتب البديعة التي كانت للمسلمين في اسبانية فانه كان قد مضى على تلك الدور عدة قرون قبل أن يوحى الاسلام الى العالم، فاولاها وهي دار الكتب التي كانت في بروخيوم وكانت تحتوى على أربعمائة ألف مجلد كانت أحرقت أثناء الحرب التي نشبت بين القيصر والاسكندريين والثانية وهي مكتبة سرايوم التي كان فيها مائتا ألف مجلد ووصى بها أنطوان كانت نهبت كلها في عهد القيصر تيودور—وقد انشأت هذه القصص السخيفة تتلاشى في أيامنا هذه . على أننا نفضل ما فيها من التعصب الصادر عن سلامة الطوية على الدسائس الخفية التي يسترها بعض الكتاب الذين لاتزال قلوبهم مشربة بشهوات القرون الوسطى بستار العلم المشرق ويسعون في اذاعتها عن رجل من الرجال الذين يشرفون اكثر من غيرهم تاريخ الانسانية نفسه .

لسائل أن يسأل . هل يؤول أمر المسلمين بمد أن اختاروا لانفسهم حضارة المسيحيين الحديثة الى أن يختاروا دينهم ؟ حسبتا في الاجابة عن هذا السؤال أن

(١) هنا تم التؤلف من بعض اعداد الرسول صلوات الله عليه تحيلا له في عاية البديعة والفتح يدل على بوعهم في الحق والسفاجة الثانية المصوى .

لم ترا اهلجة لصره من اللانق بمقامه الذي هو فوق مقام كل علق
(٢) وهنا قل المؤلفان وصفا شيئا تزه اهلجة عنه الاعلام والاسلام

نذكر رأى مؤلف هو مع كونه مسيحيا متشددا يعترف بالوفائع بأمانة فقد كتب في بحث له شهير في الاسلام مايلي :

« الاسلام هو الدين الوحيد الذى ليس فيه مرتدون ومن الصعب جدا بل من المستحيل تصور فكرة صحيحة للحالة النفسية التى عسى أن تكون لمسلم رده مسيحى الى دين الانجيل . ربما لا يحصل في الدهن لهذه الحالة الا صورة تقريبية اذا تصورنا مسيحيا ذى عواطف مستثيرة يحاول رده عن دينه وثنى الى أباطيله وأوهامه المردولة (انظر كتاب الكونت هنرى دو كسرى في الاسلام) .

٣- ليت شعري ما عسى أن يكون منشأ البغض الذى يضره المسيحيون للاسلام وهو مع عدم قابليته للتغير يقدم لهم كثيرا من الادلة على احترامه لعيسى ، هذا البغض الذى استمر في عصرنا هذا عصر التسامح الدينى ان لم تقل عصر عدم المبالاة بالدين ؟ الكون نشأته أسوية ؟ ولكن الم تكن المسيحية أسوية في جوهرها قبل تخليصها من اليهودية بواسطة بولس الرسول ؟ فقد قال عيسى نفسه (انى لم أرسل الا لتعاج بنى اسرائيل الذين هكوا) (انظر انجيل متى ١٥ - ٢٤) أم من شريعته ؟ ولكن شريعة الاسلام تكاد تكون مطابقة لمذهب بعض أشياخ المذهب البروتستنتى ^(١) أم من ذكرى الحروب الصليبية ؟ نعم ان هذه الذكرى رغما من تقادم الزمن لاتزال تفعل فعلها المشنوم في نفوس كثير من الجهلاء . ولكنها لا تكفى وحدها في تحليل حكم الاعداء الذى قضى به على الاسلام في أوربة فلا بد اذن من تلمس سبب آخر وسيعرف هذا السبب في المثل الذى تؤديه لنا الديانة الوحيدة المحترمة احتقار حقيقيا والمضطهدة في أوربة كالاسلام .

توجد شعبة من البروتستنتين وهم المرمونيون بعد أن أبدوا العجائب من قوة العزيمة والدأب في العمل قد حولوا بلادا كانت أشد البلدان كآبة وصحراء من الارض الملحة فطرا زاهرا وكان على أوربة وامريكا بالاجماع أن يبدوا استحسانهم لعملهم المؤدى الى الحضارة والعمارة فبدلا من هذا فسيت جميع شيع المسيحية ما بينها

(١) هذا القول على سلاسه غير صحيح فان في المذهب البروتستنتى تناليد وعقائد كثيرة تخالف للاسلام .

من ضروب الشقاق الخاصة وتألّبوا على المورمونيين يجمعهم شعور واحد بالكره الشديد لهم وليت شعري أى جريمة اقترفوها ؟ انهم لا ذنب لهم الا انهم كالمسلمين يستحلون فيما بينهم تعدد الزوجات ، هذا هو الفلز وفيه انذار للمسلمين انهم لا ينالون حق الانتظام في سلك المتدينين الا اذا تنازلوا عن تعدد الزوجات .

اننا لانجأ في مباشرة الدفاع عن عادة بلغت من المقت والكرهه الشديدة هذا المبلغ بل نقتصر على ابداء بعض ملاحظات في هذا الصدد . الواقع انه لاجدال في أن تعدد الزوجات عام وسبقي كذلك مادامت الدنيا ومهما كانت القوانين وانما المسألة الوحيدة هي معرفة ما اذا كان الافضل الاعتراف به وتحديدّه أو تركه يجرى خفية والى غير حد فقد حقق جميع السانحين ومن بينهم جيرارد دونير فال والادبية مرجانة أن تعدد الزوجات عند المسلمين المتزوجين باكثر من واحدة هو في الجملة أقل انتشارا منه عند المسيحيين المقول باقتصارهم على زوجة واحدة وإى شيء أقرب الى الفطرة من هذا ؟ اليس فيه لهؤلاء غواية الثمرة المحرمة ^(١) ولكن هل الاهتمام بتعدد الزوجات هو أمر حتم ؟ أن حاجات المعيشة الحديثة تجعله في المدن الكبرى غير معمول به وهذا بدون أن ندخل في اعتبارات أخرى وانه سيزول عند المسلمين المتحضرين قبل مضي زمن طويل واذا بقى حكمه فلن يعمل به الا في قلب البادية حيث تدعو اليه الضرورة اللازمة .

وهل يكون في ذلك ربح للاخلاق ؟ هذا ما يبق محلا للرب فتعد المعهارة التي هي نادرة جدا في معظم البلاد الاسلامية رواق افسادها وتدميرها وستظهر فيها مصيبة مجهولة لها بالكلية وهي عزوبة النساء التي تخرب البلاد المقصور الزواج فيها على واحدة . ومن بين هذه البلاد خصوصا بعد الحرب العظمى ما بلغت فيه العزوبة نسبة مهلكة .

قال شارل ديماس في بحث له في مستقبل المستعمرات الفرنسية عند كلامه

(١) يشير بذلك الى قصة سيدنا آدم في اكله من الشجرة التي تسمى عن الاكل منها

عن المسلمين مانصه: لا يتحرر جنس من الرق اذا قضى على نصفه (يعنى النساء بالرق الابدى)^(١).....

ولكننا اذا توقفنا في الحكم على ضروب الاصلاح التى قد بسطناها نعترف بعكس ذلك وبدون قيد بان تعليم المرأة هو ضرورة لازمة لمستقبل الاسلام بلا شرط ولا دخل للتعليم بشئ. في العادات المتقدم ذكرها بل هو موافق لجميع أصول الدين وقد كان في عصر سطوع نور الاسلام يفاض فيضا على المسلمات اللاتي كانت معلوماتهن العامة أرقى من معلومات الاوربيات في ذلك العهد .

على أن تعليم المرأة في الشرق لم يزل بالكلية الا في بعض بلاد المغرب فكثير من النساء المسلمات يشغلن من بضع سنين أوقات فراغهن بالتعليم في خدورهن وقد انشأت نهضتهن العقلية تنتشر فان من التعليم وحده ينبى أن ينشأ ارتقاء الاخلاق حيث يكون ضروريا وبالقدار والمعنى اللذين يكونان أقل اخلايا بداخية الاسر . ان مسألتى تعدد الزوجات وحرية المرأة (وهما المسألتان الوحيدتان اللتان تجملان لتفسد الناقدين من اعداء الاسلام ظاهرا من الحق) متى فصل فيهما ظهر الاسلام على حقيقته . أى دين موافق في جوهره لاحداث حاجات البشر وافكارهم الى حد أن رجلا انجليزيا يدعى أوصلد ويرث قد استطاع أن يكتب هذه الكلمة : قد تبينت يوما أنى مسلم من غير أن أشعر بذلك كما تبين النثر في كلامه الموسيو جردين^(٢) والى حد أن غوث^(٣) بعد أن درس الاسلام صرح قائلا :

اذا كان الاسلام هكذا افلا نكون كلنا عائشين في الاسلام ؟

وعما قليل سيستطيع الاسلام في نهاية الامر أن يطالب بحق الانتظام في الحضارة

(١) وهناك تكلم المؤلفان عن حجاب المرأة الاسلامية كلاما وتعليقا به اقوالا لا نوافقهما عليها والله وسنى بتحقيق هذه المسألة في مقال خاص .

(٢) جردين هو احد المثليين في روية تمثيله لروائي الفرنسي الشهير موليه . وشأنه انه عشق امرأة جميلة المقام ورجا من استاده في الفلسفة ان يحسب على لسانه انها كلفة قال انه سيلقيها بين يديه فدهش لما أخبره هذا العالم انه ليس للتجريح عى في النفس الا طريقان النثر والتعريف وقال له بمعنى ان في كثير من أرسين سنة أقول النثر ولا أعرف منه شيئا وانى أكثر من في الأرض شكرا لك على ان علمني ذلك .

(٣) اكسب كتاب الامان

الحديثة لانه لم يبق أحد يجرأ على التسليم بالاساطير الصيانية المفراة عليه التي استمر توارثها من عهد الحروب الصليبية الى الآن .

وبينما نحن نفرغ من كتابة هذه الكلمات اذا بأوربة ترى فجأة انفجار أعظم حرب عرفها التاريخ في قلبها وتشاهد الوفا من الجنود المسلمين من سلالة غزاة مدينة بواتيه^(١) قد أغاروا من جديد على فرانسة كلها .

لم يأتوا في هذه المرة فاتحين بل جاءوا أصدقاء واخوان سلام دعاهم الحلفاء للاشتراك في هذا الجهاد الهائل الذي يتوقف عليه مصير الحضارة فاثارت بسالتهم الموروثة اعجاب الجميع وقد غرسوا الاسلام الى الابد في قلب أوربة بأشرف واجد طريقة وهي الألوف المؤلفة من قبورهم التي تنطى أرض فرانسة .

تحوى أوربة اليوم في أرضها مدد من اتباع النبي وهم بعد أن أدوا اليها مثل هذه الخدمات الكبيرة يشق عليهم أن تحرمهم من حق الانتظام في سلك الحضارة الذي طلبناه لهم آنفا .

وليس من المعقول أن أسوتهم الحسنة التي انتهت بقشع كثير من الراء السقيمة التي كانت للناس فيهم فيما مضى وعرفتهم بسر الاسلام وبساطته البديعة — لا تحدث في بعض نفوس الأوربيين أفكارا كلها جديدة .

يسمى كثير من ذوى العقول المستنيرة بعد أن أفافت من غفلتها وبعد أن عرفت اخفاق مذهب استقلال العقل بالمعرفة — يسمى لتعرف طريق الهداية وان مذهب الحدس الذي يتهافتون عليه خلف حامل لوائه المسيو برجسون الشهير هو عبارة عن رد فعل واضح لمذهب استقلال العقل بالمعرفة أو وهو الاصح رد فعل لمجزأ هذا المذهب فقد جدد هذا المفكر في قلوب الناس النهمين في الايمان آمالا كان يظهر انها ضاعت ضياعا نهائيا فهو يأذن لهم بأن يأملوا في خلود الروح ويقول لهم ان الدنيا ليست مستبكا عظيما لقوى عمياء وان العقل ليس هو الطريقة الوحيدة للمعرفة . ومع تأكيد هذا الحكيم الشهير كل هذه الامور لم يزد على أن بعث أفكارا كانت

(١) بواتيه مدينة في فرنسا كان تعد ملح اليها الفتح الاسلامي في عهد الاندلس .

قد هجرت فأبرزها بطريقة يسهل بها فهمها واختار لها الوقت الذى يساعدها على أن تهىء عناصر دين جديد يشمر كثير من الناس بانهم في حاجة اليه .

(انظر كتاب حياة الحفائى لجوستاف لوبون) وحركة كهذه لاتقاوم خصوصا بعد قن سفكت فيها دماء كثيرة فسنشهد اذن مجهود الديانات القديمة والحديثة وهى تسمى لاختكار هذه الحركة لفائدتها ولكن مذهب استقلال العقل بالمعرفة حتى في حال انهزامه لن يكون أقل غارا وسيقيم عقبة كاداء بين العقل وبين العقائد التى تصادم معه تصادما عنيفا ثم انه ينبغى من جهة أخرى أن لايعزب عن الذهن مالارواح من ضروب التطلمع الى العالم الروحانى فانها أساس كل دين^(١)

وحيثذ يكون الاسلام اذا تجرد من الزبد الذى طغى عليه خلال جريانه قد توافرت فيه شروط ذلك الدين الخفيف الذى يتوقون اليه . وقد نشأت جماعات صغيرة من الأوربيين الداخلين في الاسلام في انجلترا وأمريكا احداها وهى التى يديرها المستر كولم تقيم من عدة سنين في ليفربول واشتهرت بهذا الامر وهو أن معظم من دخلو الاسلام فيها من النساء ، وقد كان لاسلام عضو من المجلس الاعلى في انجلترا وهو اللورد هدى الذى تبعه في الاسلام بعض أعيان لوندردو وقع في النفوس وتنتشر الجماعة الاسلامية التى أسسها هذا الرجل العالى القدر مجلة شهرية تدعى (المجلة الاسلامية) نقتبس لك منها هذه العبارة ذات المفزى : ، لماذا صار بعض الانكليز وغيرهم من الاوربيين مسلمين ؟ ،

«ذلك لانهم أولا كانوا يتلمسون عقيدة سهلة معقولة عملية في جوهرها لاننا معاصر الانجليز نتبعج — باننا اكثر أهل الارض تشبنا بالعمل — عقيدة تكون ملائمة لاحوال جميع الشعوب وعاداتهم واعمالهم ، عقيدة دينية صحيحة يقف بها المخلوق أمام الخالق بدون أن يكون بينهما وسيط (شلد راك) .

هذا هو الذى وجدته هذه العقول العملية في الاسلام الذى لاحاجة له بالقسوس لخلوه من الاسرار وعبادة القديسين وقد يستغنى عند الضرورة عن المياكل والمبايد

(١) وهنا ذكر المؤلفان كلاما عن المذهب البروتستانتى لارى اهلته وأهبا فيه

فإذا كان الله يملأ العالم وجوده أفلا تكون الأرض مسجدا عظيما له ؟
وفوق ذلك قد يجد بعض أهل مذهب الاعتقاد بالله دون غيره من المصريين
الذين هم في الجلمة متحيرون في التعبير عما يخالج نفوسهم من التطلع- قد يجدون في
الاسلام المذهب النقي للاعتقاد بالله فيجدون فيه أبدع أعمال العبادة واسمى ما يمكن
أن يتخيله مَفْنٌ^(١) من الفاظ الدعاء ثم نزيدك شاهدا آخر وهو قول شرفيس :

(الاسلام يحقق أبلغ معنى لفضية الاشارة على النفس بافل بحث فيها من الوجهة
النظرية). وقد حصل في فرنسا وفي بلاد أخرى من أوربة وأفريقية وآسية دخول
أشخاص في الاسلام فرادى وربما كان ذلك مصداقا لهذا الحديث النبوى الذى معناه
« قد يؤيد الله هذا الدين بالقرباء منه »^(٢)

ومن مميزات الاسلام الاصلية أنه ملائم لجميع الاجناس البشرية فلم يكن من
ضمن اتباع محمد الاولين العرب الذين هم أكثر القبائل اختلافا وحدهم بل كان بعضهم
من الفرس كسلمان الفارسي وبعضهم من النصارى كورقة^(٣) وبعضهم من الاحباش
كبلال وبعضهم من اليهود كخزيم بن عبد الله بن سلام وغيرهم وجاء في القرآن
(وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) (السورة ٣٤ الآية ٢٧)

فدين محمد قد اكد اذن من الساعة الاولى لظهوره وفي حياة النى أنه دين عام
فاذا كان صالحا لكل جنس كان صالحا بالضرورة لكل عقل ولكل درجة من درجات
الحضارة وهو على ما فيه من البساطة المتناهية بالنظر لمذهب المعتزلة والتشدد بالنظر
لمذهب الصوفية يؤدى للعالم الأوربي من غير أن يعوق حرية فكره المطلقة كما يؤدى
للزنجى السودانى الذى ينتشله من عبادة الاوثان الباطلة هداية وتأيدا .

وهو يرفع نفس التاجر الانكليزى الذى يرى حياته في العمل ويعتبر الوقت من
ذهب بمقدار ما يرفع نفس الحكيم المتصوف والشرقى المتأمل في بدائع الصنع كما يرفع

(١) الذى من باقى ما تقدم

(٢) لا يعرف حدث محمد النبى بن الاسلام صلة ولحقه من جميع المسلمين مهما اختلفت ألسنتهم وتعددت لغاتهم (كما

المؤيدون لهم)

(٣) ورقة لم يترك عهد الرسالة وان اترك اول وعسى السورة

نفس القربى المأخوذ بحرافن والخيال بل هو يفتن الطيب العصري أيضا بما فيه من الطهارات المتكررة وتناسق الركوع والسجود القدين هما ليسا في افادتهما الجسم غناء باقل من افادتهما النفس صحة وسلامة .

فليس من الجرأة اذن أن نظن أنه اذا هدأت الزوبعة المروعة القائمة ضد الاسلام وضمن هو الاحترام لكل الشعوب والديانات أنه سيرى مستقبلا حاشدا باعظم الآمال واعلاها شأننا .

ولدخوله في الحضارة الأوربية بفضل اشتراكه العظيم في الحوادث التي تقلبها ظهرا على عقب سيظهر في نهاية الامر بسناه الحقيقى وستتألف الأمم المختلفة في تلمس محالفته لانهم يكونون قد خبروا قيمته وعرفوا ما يستكن فيه من وسائل القوة التي لا تنفاد لها .

واذا نهض اتباع محمد من سباتهم الوقتى تبوءوا مكانهم السنى في العالم ان شاء الله .
(عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَذَبُوا عَنْهُ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

فرغ من تأليف هذا الكتاب في بلدة «بو سعادة» لسبعة وعشرين يوما خلت من شهر رمضان سنة ١٣٣٤ هجرية (٢٨ يولية سنة ١٩١٦) مسيحية اللهم اغفر لمؤلفيه وساعهما في جرأتها الطائشة التي دفعتها رغبة في الخير الى مباشرة التأليف في موضوع واسع كهذا على قلة معلوماتهما واغفر لهما يا عظيم ماعسى أن يكونا وقفا فيه عن جهالة من الاغلاط في سيرة كسيرة رسولك مولانا محمد خاتم النبیین صلوات الله وبركاته عليه وعلى آله وصحبه آمين ، أتیین دینیہ . سلیمان ابراهیم

عبد العزيز محمد

﴿ نرجو من القارئ الكريم تصحيح هذا الخطأ المطبعي ﴾

صحيحة	سطر	خطأ	صواب
٨٤	٥	وقوم	وقوم
٨٤	٦	له به بالدين	له بالدين
٨٩	١١	زكاة	زكاة
٩٨	١٩	حوستا فلبون	حوستاف لوبون
٩٩	٢٣	اشعاعا	شعاعا
١٠٠	١٩	تربوا	تربوا
١٠٣	٤	الاكثرذرات	الاكثر ذرات
١٠٣	١٥	نظرياتهم	نظرياتهم
١٠٣	١٥	ان ثم	ان ثم
١٠٧	٥	من أحهل	من أحهل للحهل
١٠٧	٢٢	آبائنا	آباءنا
١٠٨	١٥	ويتوسم	ويتوسم
١١١	٤	التقصي	التقصي
١١١	٧	البي	البي
١٢٣	١٨	وقفهم	وقفهم
١٢٩	١٧	إذا	اد
١٣٢	٥	المعينان	المعينان
١٣٣	١١	مشبوثة	مشبوثة
١٣٣	١٥	ولكن سياق	ولكن لما كان سياق
١٣٥	٥	العلم كله على ما فيه	السلم كله عن قدرة واحدة على ما فيه
١٣٨	١٨	روح	روح
١٤٣	١٢	اذ لو تعبر تعبر عما كان عليه الوحي	اد لو تعبر عما كان عليه رمن الوحي

تدبره : وقع في ترقيم الملتزمين الأولى والثانية من هذا الجزء خطأ مطبعي حيث لم يوضع فيه
متسلسلا مع الجزء الأول فنرجو ملاحظة ذلك

11

هَذِهِ جَمْعَةُ كُتُبٍ مُؤَدَّاهُ بِمَنْ يَهْدِيهِ اللَّهُ تَعَالَى سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ سُبْحَانَكَ
وَسُبْحَانَكَ سُبْحَانَكَ سُبْحَانَكَ سُبْحَانَكَ سُبْحَانَكَ سُبْحَانَكَ سُبْحَانَكَ سُبْحَانَكَ

بُحْرَانُ الْإِسْلَامِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمت

تصديرها مشيخة الأزهر الشريف

أول كل شهر عربي

المنشور بمحكمة الاستئناف ساجاً
ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى

عبد المحسن بن
عبد الحليم بن

مدير إدارة المجلة :

السيد محمد الخضر حنين من علماء الأزهر

رئيس التحرير :

مكتب المجلة بالإدارة العامة للمعاهد الدينية بشارع فهمي رقم ١٩

٣٥٠٧ : هاتفون

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

داخل القطر المصري ٤٠

لطلبة المعاهد والمدارس ٢٠

خارج القطر المصري ٥٠

لطلبة المعاهد والمدارس ٣٠

قيمة الاشتراك السنوي

يماثل أثمانه المباحة ولأدوية ومعلمو المدارس الأولية معاملة الطلاب .

وتنم الحرة الواحد ٣ صاع داخل القطر و ٤ خارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العلماء والاصدق

نود من صميم قلوبنا أن تكون نهضتنا المدنية راسخة البناء رائعة الطلاب محودة
الماقية ولا يرسخ بناؤها ويروع طلابها وتحمدها عاقبتها الا أن تكون موصولة بنظم
الدين مصبوغة بأدابه والوسيلة الى أن يجرى فيها روح من الدين يجعلها رشيدة
في وجهتها ، بالغة غايتها ، أن يزداد الذين درسوا علوم الشريعة عناية بالقيام على
ما استحفظوا من هداية ، فلا يذروا شيئا يشعرون بأنه موكول الى أمانتهم الا
أحسنوا أدائه .

ينظر أهل العلم في حال الناس من جهة ما يتقربون به الى الخالق ، ويزنون
أعمالهم ليميزوا البدعة من السنة ، ويرشدوهم الى أن يعملوا صالحا ، ومن الذي لا يدرك
أن البدع تقف كقطع من الليل المظلم فتنتطى جانبا من محاسن الشريعة الفراء ، وهي
بمد هذا ضلالات تهوى بأصحابها في ندامة وخسران .

ينظرون في أحوال الناس من جهة ما يدور بينهم من المزاعم الباطلة والأحاديث
المصنوعة ، وينفون خبثها نقي النار لحب الحديد ، يفعلون هذا ليكون الناشئ المسلم
نقي الفكر صافي البصيرة ، لا يحمل في نفسه الا عقائد خالصة وحقائق ناصية .

ينظرون في أحوال الناس من جهة ما يجرى بينهم من المعاملات ، فيصلحون
ما كان فاسدا ويصلون ما كان متقطعا ، وما شاعت المعاملات التي نهى عنها الدين في
غير هوادة كالربا والميسر الا حيث قل من يمتظ الناس في ارتكابها ويبسط القول
في شؤم عاقبتها .

ينظرون في أحوال الناس من جهة ما يمسهم من السراء والضراء ، ويسمعون
ما استطاعوا في كشف الضر عنهم ولو بمرض حالهم على أولى الشأن واتادة دواعيهم
الى أن يعالجوا السر حتى يتقلب بفضل تدبيرهم يسرا ، يتحدثنا الكاتبون في تاريخ

الاندلس أن العلماء المقيمين في ضواحي قرطبة كانوا يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة ويصطلعونه بأحوال بلدهم ، وقال أحد علمائهم .

وأنتب أن لم يمنع الناس راحة وغيرى أن لم يتعب الناس يتعب
ينظر أهل العلم بعين الاحتراس الى كل من يدعو الى مذهب باسم الدين .
ويتخذون الوسائل الى الاطلاع على حقيقة قصده ، ومن أسباب وهن جبل الاسلام
وتقطع أوصاله مذاهب يتتبعها ملاحدة يمكرون ، أو جهال لا يفقهون ، أقلم يكن
المذهب البهائى يعمل لهدم قواعد الاسلام واستهواء أبنائه من خلف ستار ، وقد
أحس بعض اتباعه اليوم بقوة فصاروا يخطبون على منابر بعض النوادى ويجهرون
بشيء من مزاعمه ، وعرف بعض خصوم الاسلام قصدهم فقاموا يشدون أزرهم
ويرددون الثناء على مذهبهم .

نحن نعلم أن في كل أمة فئة يفتحون صدورهم لقبول كل دعوة توافق أهواءهم
أو تأتبيهم في طلاء يلائم أذواقهم ، ولكن نهوض العلماء بعزم وحكمة ان لم يسحق آراء
زعماء هذه الفئة سحقا ، فانه يكشف عما فيها من سوء ، فلا يسكن اليها الا من هم
الى الحيوان الاعجم أقرب منهم الى الانسان .

يرقب أهل العلم كل حركة تقوم بها جماعة من الامة ، فينقدونها بالنظر الخالص ،
ويصدعون فيها بآرائهم مدعومة بالادلة المقنعة ، ولا تعد هذه المراقبة وهذا النقد
خارجين عن خطة العالم الاسلامى ، بل هما واجبان في عتقه كواجب التعليم والافتاء .
واذا قص علينا التاريخ أن فريقا من أهل العلم قضوا حياتهم في بحث المسائل العلمية
البحثة ، فقد قص علينا أن أمة من عظمائهم كانوا ينظرون في الشؤون العامة ويمثلون
السيرة التى تكسو صاحبها جلالة وترفع له بين الخلائق ذكرا .

كان أهل العلم يوجهون همهم الى الوسائل التى تقى الامة ممن ييغونها الاذى ،
فهذا ابو بكر بن العربى فاضى أشيلية رأى ناحية من سورأشيلية محتاجة الى اصلاح
ولم يكن في الخزانة مال موفر يقوم بسدادها ، ففرض على الناس جلود ضحاياهم
وكان ذلك في عيدأضحى فأحضروها وصرفت أثمانها فياصلاح تلك الناحية المتهدمة

وكان محمد بن عبد الله بن يحيى الشيباني قاضي قرطبة كثيرا ما كان يخرج الى الثغور ويتصرف في اصلاح ما وهى منها حتى مات في بعض الحصون المجاورة لطليطلة .
وظهور العلماء في أمثال هذه المواقف يفرس لهم في نفوس الامة ودا واحتراما ،
ويورثهم في رأى أولى الامر مقاماً كريماً ، أفلا نذكر أيام كان أمراء الاسلام يعرفون
في طائفة من العلماء رجاحة الرأى وصراحة الزم وخلاص السريرة فيلقون اليهم
بقيادة الجيوش فيكفون بأس اعدائهم الاشداء ، وما كان أسد بن القرات قائد الجيش
الذى فتح صقلية الا أحد الفقهاء الذين أخذوا عن مالك بالمدينة ومحمد بن الحسن في
بنداد وعبد الرحمن بن القاسم في القاهرة .

ينظر أهل العلم الى ماغرق فيه بعض شباننا من التشبه بالمخالفين وتقليدهم في
عادات لاتفنى من الرق شيئا ، وقد يرى بعضهم انحطاط كثير من ابنائنا في هذا
التشبه والتقليد ، فيمده قضاء مبرما ، ويملكه خاطر اليأس حتى ينتكت من التعرض
لشؤون العامة ومعالجتها ، ولكن الذى يعرف علة هذا التسرع ويكون قد قرأ
التاريخ ليحتر ، يرى الامر أهون من أن يصل بالنفوس الى التردد في نجاح الدعوة .
بله اليأس من نجاحها .

وأذكر بهذا أن كاتباً كتب في احدى المجلات مقالا تحت عنوان دوحدة العالم ،
يدهو فيه الى مسامرة أوربة في السفور ونحوه ، وقال في علة الدعوة الى هذه المسامرة :
ليخرج الشرق والغرب في مدينة واحدة ، وأشار على دعاة الاصلاح في الشرق بأن
لا يقفوا في سبيل هذه المدنية زاعماً انهم لا يستطيعون مقاومتها ، ولا يزيدون على أن
يحملوا سيرها بطيئاً ، ورغب اليهم أن يحثوا الناس على المساعدة الى قبولها .

والذين ينظرون الى مدنية أوربة باعتبار ، يبصرون فيها على البهانة مالا يرتضيه
العقل ولا يقبله الشرع ، واختلاف الامم بالحق خير من اتحادها على باطل ، ولا
يفوت الحكمة أن تجد نفوساً مهذبة وعقولا سليمة فقبلها ، فحقيق على العلماء أن
يتسموا لهذا الرأى تبسم الازدراء ولا يقيموا لظه وزناً الا أن يكشفوا سريرته
ويعرضوا على الانظار سوء مغبته ، والعالم بحق من يتدبر بالايان البالغ والثقة بما

وعد الله به الداعي الى الحق من الظهور على اشياء الباطل وان أوتوا زخرفا من القول وسعة من المال وكانوا أكثر قبلا .

لا ينبغي لاهل العلم أن يغفلوا عن سير أرباب المناصب والولايات ، فن واجبهم أن يكونوا على بينة من أمرهم ، حتى اذا أبصروا عوجا نصحوا لهم بان يستقيموا ، أو رأوا حقا مهملا لفتوا اليه أنظارهم وأعانوهم على اقامته . أمر السلطان سليم بقتل مائة وخمسين رجلا من حفاظ الخزائن ، فبلغ هذا النبا الاستاذ علاء الدين الجلالى وكان متوليا أمر الفتوى فذهب الى السلطان وقال له : وظيفة أرباب الفتوى أن يحافظوا على آخره السلطان ، وهؤلاء الرجال لا يجوز قتلهم شرعا فليك بالعفو عنهم ، فنضب السلطان سليم ، وقال له : انك تترضى لأمر السلطنة وليس ذلك من وظيفتك ، فقال الاستاذ علاء الدين : لا : بل أترضى لأمر آخرتك ، وانه من وظيفتى ، فان عفوت فلك النجاة ، والا فليك عقاب عظيم ، فانكسرت سورة غضب السلطان وعفا عن الجميع . ومتى كان في ولاة الامور شيء من العدل ، وكان في الداعي الى الاصلاح حكمة واخلاص ، نجحت الدعوة في سعيها ، وبلغت بتأييد الله مآربها . يكون العالم رفيقا في خطابه لنا في ارشاده ، أما اذا أراد ذو قوة على أن يقول ما ليس بحق أو يأتي ما ليس بمصلحة أخذ بالتي هي أرضى للخلق ، وكان مثالا للاستقامة صالحا . أذكر أن احمد بن طولون دعا القاضى بكار بن حنيفة الى خلع الموفق من ولاية العهد فأبى ، فحبسه وكرر عليه القول فأصر على الالباءة ، وبقي في السجن حتى ثقل ابن طولون في مرض الوفاة ، فبعث الى القاضى بكار يقول له : أردك الى منزلتك أو أحسن منها ، فقال بكار للرسول قل له : شيخ فان ، والمتقى قريب ، والقاضى الله عز وجل ، فابلغ الرسول ابن طولون ذلك فاطرق ساعة ثم قال شيخ فان ، والمتقى قريب ، والقاضى الله عز وجل ، وأمر بنقله من السجن الى دار اكثريت له .

وانما يقوم العالم باسداء النصيحة الى ذى قوة أو لا يوافقها فيما يחדش أمانته وتقواه ، متى قدر مقامه العلمى قدره وكان شأن العلم أسمى في نظره من كل شأن ، وهذا الشعور هو الذى يهيؤه بعد داعية النيرة لانه يجاهد في سبيل الحق

مستبيننا بكل مايعترضه من أذى :

ومن أدب العلماء أن ينصحوا للأمة فيما يقولون أو يفعلون ، ويحتملوا مايتألمهم في سبيل النصيحة من مكروه ، وكم من عالم قام في وجه الباطل فأودى فتجلد للاذى ، وأجاب داعى التقوى متأسيا بقوله صلى الله عليه وسلم (اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون) وعن جري على هذا الخلق المشين أبو بكر بن العربى يوم كان قاضيا باشيلية ، قال في كتاب القواصم والعواصم ، حكمت بين الناس فالزمتهم الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يك يرى في الارض منكر ، واشتد الخطب على أهلى الفصب ، وعظم على الفسقة الكرب ، قتالبوا وألبوا ، وثاروا على فاستسلمت لامرأته وأمرت كل من حولى الا يدفعوا عن دارى ، وخرجت على السطوح بنقى ، فماتوا على حتى أمسيت سليب الدار ، ولولا ماسبق من حسن الاقدار ، لكنت قتيل الدار .
يعنى يقتيل الدار عثمان رضى الله عنه .

ولا يستحق لقب عالم أو مصلح ذلك الذى يدعو الناس الى العمل الصالح وبقبض عنه يده ، أو ينهاهم عن العمل السيئ ولا يصرف عنه وجهه ، ففى أدب العلماء أن يسابقوا الامة الى اجتناب ما يؤاخذ به ، وعمل مايمجد عليه ، كان يتفقوا في وجوه البر والمشروعات الصالحات ما يتفقه أمثالهم من المكثرين أو المقلين ، فان ذلك أدل على اخلاصهم وأدعى الى توقيهم وقبول نصائحهم .

واذا كان العدد القليل فيما سدف يكفى لحراسة الدين وارشاد من ينحرف عنه حتى يعود اليه ، فلأن سلطان الاسلام يومئذ غالب ، وصوت الجهل عليه خافت ، أما اليوم فالحال ماترون وما تسمعون ، فلا يمكن للدعوى أن تأتى بفائدتها الا أن تضم المعاهد الاسلامية بين جدرانها طوائف كثيرة من أولى الفيرة والعزم . يصرفون جهدهم في الدفاع عن الدين والدعوة الى الخير وبعيدون الدعوة مرة بعد أخرى .

وستتبت المعاهد الاسلامية ان شاء الله كثيرا من العلماء القوامين على نحو ما وصفناه ولا سيما حين يأخذ التعليم بالازهر الشريف نظامه الاسمى ويجرى مثل هذا النظام في غيره من المعاهد الاسلامية كجامع الزيتونة في تونس ، وجامع القرويين في فاس ، ويقوى

الامل في أن تؤتي هذه المعاهد الثمرة الطيبة متى نظر إليها أولو الامر برعاية،
وعاملوا النشء المتخرجين منها بما يدل على أنهم يحترمون الشريعة ويقدرون ما بثته في
الامة من رشد واصلاح . محمد الحضر حسين

الظرف والملح

لما توفّي عبد الله بن طاهر . صلى عليه ابنه طاهر بن عبد الله . ودفنه واعتق هند
كل زاوية من زوايا قبره : رقبة من غلمانه — وفعل ذلك اخوته . ودفع كل رجل منهم
الى كل غلام خمسمائة درهم — وكان عبد الله بن طاهر قد خلف أربعين ولداً ذكراً . فقال
أبو العَمَيْثَل الأعرابي الشاعر . لِمُصْعَب بن عبد الله . وكان ابو العميشل يختص بطاهر
ويناديه : أَلَا أدُلُّكَ على شيء تفعله فتقدم به سائر اخوتك عند الامير طاهر ؟ قال بلى .
فانشده هذه الأبيات . وقال اكتب بها الى الأمير .

يامن يحاول أن تكون خلاله	تخلال عبد الله أنصت واسمع
فلا قصدك بالنصيحة والفي ^(١)	حجّ الحجاج اليه فاقبل أوذع
ان كنت تطمع أن تحلّ تحله	في المجد والشرف الأتم الأرفع
فاصدّق وعفّ وبرّ وانصروا حمل	واحلّم ودار وكاف واصبر واخضع
والطفّ ولين وتأنّ وارفق واتشد	واحرّم وجدّ وحام واجمل وادفع
هذا الطريق الى المكارم مهيماً ^(٢)	فأبصر فقد أسلكت قصد المهيّج ^(٣)

فاستحسن طاهر الأبيات وقال : والله لقد أفدّني بما يحب به شكرك على . فقلده
نيسابور وأعمالها ثلاث سنين وأكسبه الف الف درهم .
قال أبو الحسن علي بن هذيل : وقد جمعت هذه الأبيات خلال المكارم . وموجبات
السودد . وتفاريق المروءة .

التفسير

تفسير قصة شعيب عليه السلام

٢

بسم الله الرحمن الرحيم

قد بينا في المقال السابق معنى العبادة كما بينا أنها واجبة على العبد في جميع الأحوال .
سواء في ذلك حقوق الله تعالى وحقوق العبد على نفسه وحقوق غيره عليه .

ولما كان أهل مدين قد اعتادوا نقص المكيال والميزان ، ومرتوا على بحس الناس
أشياءهم ، ومرتوا على العثيان في الأرض مفسدين ، خص عليه السلام نبيهم عن ذلك
بالذكر بعد شمول الأمر بالعبادة له — وهكذا كانت عادة الأنبياء عليهم السلام إذا
رأوا قومهم مقبلين على نوع من أنواع المفاصد اقبالا أشد من اقبالهم على سائر أنواعها بدوا
بمنهم من ذلك النوع لكثرة ضرره وعموم ضرره .

فكانه عليه السلام قال لهم : اعبدوا الله لأنه لا إله لكم غيره ، فراقبوه في جميع
شؤونكم ، ولا تفسدوا أموالهم ، ولا تحطوا نواحيه ، ولا سيما ما أغرمتهم به وشققتم .
من نقص المكيال والميزان ، وبحس الناس أشياءهم ، واليبي^(١) في الأرض مفسدين .
ثم إن نقص المكيال والميزان ، هو جمل هاتين الآتين بمقدار أقل من المقدار
الذي تواضع عليه الناس ، فإذا كالوا للناس كالوا لهم بهما ، متوسلين بنقصهما إلى الزيادة
في أرباحهم وأموالهم وإن عاد ذلك بالنبي والنقص على غيرهم .

وعلى هذا يكون المنهيون عن نقص المكيال والميزان هم المؤفون كالبايعين مثلا .
وسأتي الكلام في نقص المستوفين لهما كالمشتريين مثلا في تفسير قوله تعالى : (وَلَا
تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) .

(١) معنى في الأرض يعني عثيا وعتيا أقصد فيها أشد الاعتدال وأقبحه .

ولما كان النعمى انما يُعْتَمَلُ فى الغالب اذا قُرِنَ بالسبب الذى اقتضاه اردف عليه السلام ذلك النعمى بسببين : يتن لهم بالأول خطأهم فيما قصدوه من تقص المكيال والميزان فذكرهم بما هم فيه من الخير الذى يتقلبون فيه من الصحة والعافية والأمن والثروة وسعة العيش وطيب الحياة والخصب وكثرة الفسل الى غير ذلك مما يتناولوه الخير الذى هو كل ما يرغبه الناس جميعاً فى كل حال .

فاذا كان هؤلاء القوم مضمورين فى هذه النعم الكثيرة الزيرة لزمهم أن يستنوا بها عن ارتكاب هذه الرذيلة ، رذيلة غبن الناس بقص المكيال والميزان ، كما يجب عليهم أيضاً أن يشكروا الله الذى أنعم عليهم بها ، فيؤدوا حقها من التسامح فيها والتفضل على المحتاجين والمُعوزين .

ثم يتن لهم بالسبب الثانى سوء العاقبة اذا استمروا عا كفين على ما هم فيه من سوء معاملة الخلق ، وكفران نعمة الخالق .

حذرهم شر ذلك اليوم المصيب الذى لا ينفعهم فيه مال ولا بنون ، ولا شفيع ولا ولى حميم ، وما هو منهم يعميد - ولكنه تحذير مزوج بشمته عليهم وتقربه اليهم ، ورجائه أن يردجروا ويقلموا عما هم فيه ، ويقبلوا وعظه واحلاصه لهم .
ألا تراه عليه السلام يقول لهم : (إِيَّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ) ، وأنت تعلم ان الخائف على غيره انما هو من يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لها .

كذلك تمييزه عليه السلام لهم بخوفه عليهم يشمر بأنه لم يكن على يقين بانهم سيعصرون على طيناتهم حتى يحيط بهم ذلك اليوم لا محالة ، بل كان يرجو أن وعظه لهم وتذكيرهم بنعم الله عليهم ، مع علمهم من قبل بأنه من أخوتهم ، ومع معرفتهم بخلافه الكرمية وسيرته الحسنة ، كل ذلك كان يُطِمْئِنُهُم أَنَّهُمْ سَيَفِيقُونَ مِنْ غَفْلَتِهِمْ ، وَيَخْلُصُونَ مِنْ غَمَرَتِهِمْ ، ولكن (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) .

من هذا يتضح لك أنه عليه السلام ، لم يَأَلُجْهُدًا فى التجنب اليهم ، وفى اثبات صحة ما يدعوم اليه ، وفى ترغيبهم فى الإيمان به والعمل على مقتضاه .

كذلك لم يأل جهدا في زجرهم عما وقعوا فيه وتخوفهم من سوء عواقبه وتحذيرهم من العناد والاصرار على عكوفهم عليه .

الم تر أنه عليه السلام ، قد وصف لهم ذلك اليوم بأنه محيط بهم ، كما يحيط العدو الكثير العددي والعددي بمدوه الذي لا يدانيه منمة ولا عدة ولا عدا — فهل تظن أن تثبت اقدامهم امام هذا العدو المحيط بهم ، أم هل يفلت منهم أحد ، أم (هل ترى لهم من باقية ؟) .

على أن التخوف من سوء العاقبة وشر المصير لم يقف عند هذا الحد ، بل أنه تجاوزه الى ما هو ادهى وأمر : ذلك أن الذي سيحيط بهم ويسانهم أثره هو العذاب الواقع ، الذي ليس له من دافع — ومن الواضح أن هذا العذاب سيحصل في زمان يحيط به ويشتمل عليه ، فيكون القوم حينئذ محصورين في داخل محيطين منيعين ، هما العذاب وزمانه — ولا ريب أن واحدا منهما لا يمكن تسوره ، ولا استطاع اختراقه ، ولا يقبل فيه عدل . ولا تنفع فيه شفاعة .

هل يفلت أحد من أهل مدين اذا جاءهم بأس الله يياتا وهم نائمون ، أو اذا اتاهم ضحا وهم يلمعون ؟ بل (إن عذاب ربك لواقع . ما له من دافع) .

بقي أن هذا اليوم المحيط قد ذكر في الآية الكريمة مطلقا لم يقيد بوصف يعينه ويبين أي يوم هو ؟ — فوجب اذا أن يبقى على إطلاقه ليصلح لأي يوم من أيام الله التي ينزل فيها عقابه على من استحقوه سواء كان ذلك اليوم من أيام الدنيا أم من أيام الآخرة .

هذا اليوم الذي خوفهم عليه السلام بأنه سيحيط بهم في الدنيا هو ذلك اليوم الذي ذكره الله تعالى في آية أخرى بقوله : (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة . إنه كان عذاب يوم عظيم) .

واما الذي سيحيط بهم في الآخرة فهو اليوم الذي يقول الله تعالى فيه لهم ولاشياعهم : (هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين . فإن كان لكم كيد فكيّدون . ويل

يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ . هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ . وَلِلْمُكَذِّبِينَ

ثم انه عليه السلام بعد أن بين لهم ما حرمه ربهم عليهم - وهو نقص آلتى الكيل والوزن - بين لهم ما أوجب عليه فقال مذكرا لهم برابطة أخوة النسب ، تليقاً لقلوبهم وحسراً لشكيتهم ، وترغيباً فى الاستماع اليه : (وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ) .

أمرهم أن يوفوها بالعدل ، فيجملوها على القدر الذى جرى عليه العرف بين الناس - وإيفاؤها يعم عدم قصصها . وقد تقدم النهى عنه صريحاً فى قوله : (وَلَا تَقْصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ) فيكون اعادته مرة ثانية فى ضمن الايحاء توكيداً وتقريراً له كما هو الشأن فى الأمر بالشئ ، بعد النهى عنه . وفى النهى عنه بعد الأمر بضده . ومنه قوله تعالى : (وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ) وقد جاء الاستعلاء فى قوله تعالى : (فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ . وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) .

كما يعم إيفاؤها عدم قصصها كما عرفت ، كذلك يعم عدم زيادتهما على القدر المصطلح عليه فيها - فالذى يفهم حينئذ من نهييه عليه السلام لهم عن نقص آلتى الكيل والوزن ، ثم أمرهم بإيفاتهما . أن القوم كانوا قد اتخذوا لانقصهم مكايل وموازين متفاوتة بعضها ناقص وبعضها زائد - ومن البين أن الناقص منها انما كانوا يستعملونه فى الكيل أو الوزن لغيرهم . وان الزائد انما اتخذوه ليتزنوا به أو يكتالوا لانفسهم من غيرهم .

هذا : ولا يخفى عليك أن وجوب إفاء آلتى الكيل والوزن بالقسط والعدل بدون نقص ولا زيادة فيها لا ينافى أن زيادة الموفى كالبائع مثلاً فى الكيل والوزن أنفسهما أمر مندوب اليه ، لأنها من قبيل التفضل ومكارم الأخلاق والبر بالمستوفين كالمشتري مثلاً .

بجملته ما يلزمهم عليه السلام من الأحكام، ورغبهم في العمل به، ورهبهم من مخالفته،
 حكان : تحريم نقص المكيال والميزان، ووجوب إيفائها بالقسط .

ثم أنه عليه السلام بمسألة أن نهام وأمرهم نهيا وأمرًا خاصين بالنقص والإيفاء، نهام
 نهيا عاما ينتظم سائر أنواع ظلم الناس والتعدي على حقوقهم فقال : (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ
 أَشْيَاءَهُمْ) ، أى لا تنقصوهم حقوقهم ، ولا تسلبوهم ما بأي نوع من أنواع التعدي ،
 كالنصب والسرقة وأخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع الأموال بأي أسلوب من
 أساليب التفرير والاحتيال .

فيدخل حينئذ في عموم تحريم البخس بأي وجه من وجوه التفرير والاحتيال ما
 يفعله الموفون كالبائمين ، والمستوفون كالشترين من بخس ذات المكيال والموزون ،
 مع كون آتى الكيل والوزن وافيتين غير ناقصتين ^(١) .

وتوضيح ذلك : أن النقص في المكيال والموزون تارة يكون في الإيفاء ، ومرتكبه
 هو الموفى كالبائع مثلا : فيحتال لذلك بوضع شيء في المكيال ، أو بالصاق شيء ثقيل في
 كفة الموزون ، ويكون النقص في هذه الحالة لاحقا بالمستوفى كالشترى مثلا - وتارة
 يكون في الاستيفاء ، ومرتكبه هو المستوفى كالشترى : فيتحيل لذلك بتحريك المكيال
 أو كبس المكيال ، أو بتثقال كفة الصنجة - - - وحينئذ يظهر في رأى العين نقص
 المكيال والموزون - - - ويكون النقص في هذه الحالة عائدا على الموفى كالبائع مثلا ، وفي
 كلتا الحالتين قد لزم نقص حق صاحب الحق .

ثم إن هاتين الحالتين هما المذكورتان في قول الله تعالى : (وَيَلُومُ الْمُطَغَفِينَ الَّذِينَ إِذَا
 اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُواهُمْ أَوْ وَزَنُواهُمْ يُخْسِرُونَ) .

ثم انه عليه السلام أتبع هذا النهى العام، وهو نهيمهم عن بخس الناس أشياءهم، نهى
 أعم ، وهو نهيمهم عن العثيان في الأرض مفسدين .

هذا : ثم استمع " أولاً أن نهيك ، فلاناً عن شيء لا يستلزم أن فلاناً هذا قد تلبس بهذا
 الشيء وبإشره بالفعل . بل كما يجوز أن يكون قد بإشره ، يجوز أنه لم يكن بإشره ، وانما

(١) بهذا أن هذا غير مكرر مع ما سبق . لأن ما هنا في المكيال والموزون . وما هناك في المكيال والميزان .

قصدت من نهيك إياه أن تباعد بينه وبين الوقوع فيه بالفعل .

مثال الأول . قول علماء بني إسرائيل لقارون . (وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ) فإن قارون كان قد بنى بالفعل كما قال الله تعالى : (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَنَى عَلَيْهِمْ) .
ومثال الثاني قول لقمان لابنه وهو يعظه : (يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ) فإن ابنه كان مؤمناً موحداً . ولم يقصد لقمان الإحشاء على الاستمرار على التوحيد ، وتحذيره من الوقوع في الشرك .

ولما كان شأن النهي كما سمعت كان قول سيدنا شعيب عليه السلام لقومه : (وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ) ليس نصاً في أنهم قد تلبسوا بالعتيان بالفعل ، مع أن الواقع أنهم قد ارتكبوه وأمعنوا فيه وعكفوا عليه فعلاً .

لهذا أتبع عليه السلام نهيمهم عن العتي في الأرض قوله : (مُفْسِدِينَ) تنصيهاً على أن ما نهام عنه كانوا قد وقعوا فيه بالفعل . وهم الآن عليه مقيمون ^(١) .
فكانه عليه السلام قال لهم : اتى أنهاكم عن العتيان الذي ارتكبتوه ولا تزلون عاكفين عليه ^(٢) .

ثم انظر بعد ذلك الى اقتداره عليه السلام على أخفاهم بإقامة الحجة عليهم . ذلك أنه قال : (مُفْسِدِينَ) دون أن يقول (عاتين) . لأنه أراد أن يسجل عليهم العتيان الذي هو أخص كما عرفت . فأثبتهم بأنهم الآن متصفون بجنسه الذي يشمل جميع أنواع الفساد خاصاً وعمماً لا يشذ منه نوع — فبلى هذا يكون وصفه عليه السلام لهم بالفساد العام بعد وصفهم بالفساد الخاص من قبيل إيراد الدليل بعد المدلول عليه .

وانما بدأ عليه السلام بنهيمهم عن العتيان الذي هو الخاص . دون الأفساد الذي يشمل ويشمل غيره . لأن العتيان شره مستطير . وضرره أعظم . وأثره أنكى وأعم . وعاقبته أسوأ وأوخم — وأما غيره فانه ليس كذلك . بل هو قد يحتمل في الجملة .

(١) ينشأ هذا أن اسم الفاعل كلفه يدعيها حقيقة في الموصوف فسمعت بالفعل الآن

(٢) فهو حال مؤسفة لا مؤكدة .

زد على ذلك أنه اذا نهام أولاً عن الفساد الأعم فقد يحيل اليهم أن افلاهم عن الافساد الضعيف منه كاف في الازدجار وامثال النهى . ثم لا يزالون بعد ذلك مقيمين على أشد أنواع الأفساد وأضره وهو الميثان .

فلنا فيما سبق : أن نهيم عن العي في الأرض مفسدين أعم من نهيم عن بخس الناس أشياءهم . ووجه ذلك أنه يشمل الأموال والأعراض والنفوس والأخلاق والآداب والمعتقدات وكل ما يوجب مفسدة دينوية أو دينية .

ومما يفسر لك مقالته عليه السلام هنا . ما قصه الله تعالى عنه عليه السلام في سورة الأعراف من قوله لقومه : (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا . ذَاكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا حِوَجًا . وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ . وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) .

ثم أنه عليه السلام قفى على جميع ما دعاهم اليه . من عبادة الله تعالى وحده ، ومن عدم نقص المكيال والميزان ، ومن إيفاء المكيال والميزان بالقسط ، ومن عدم بخس الناس أشياءهم ، ومن عدم العي في الارض مفسدين ، قفى على جميع ذلك بقوله : (بَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ) .

البقية من الشيء . هي بمضه الموجود منه بعد ذهاب بمضه الآخر . خيراً كانت أو شراً - والمراد بها في الآية الكريمة المعنى الأول بدلالة اضافتها الى الله تعالى والأخبار عنها بأنها خير .

أما الشيء الذى بمضه بقية الله هذه فهو الجزاء الحسن الذى تفضل الله تعالى به على من آمن به وأطاع أوامره واجتنب نواهيه ، فبمض هذا الجزاء دينوى يناله المؤمنون في الدنيا ويزول زوالها ، كالسلامة من الآفات والصحة والأمن والعزة والفنى وتمكين الله لهم دينهم في الأرض ونصرهم على من يناوئهم .

وبعضه الآخر (وهو بقيته) أخروى دائم مدخر لهم عند الله سبحانه، قد أعد لهم ليحيوا به في دار كرامته الحياة الطيبة الخالدة .

ولعظم هذه البقية وجلال قدرها زاد الله تعالى شرفها بإضافتها إليه في قوله : (بَقِيَّتُ اللَّهِ) . ونظيرها في ذلك قوله تعالى : (ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا)

وقد أُرشدنا سبحانه إلى ذلك بقوله (وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا . إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ . وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ .)

وانما قلنا أن بقية الله بمض من الجزاء الحسن الذي جازى الله تعالى به المؤمنين في مقابلة إيمانهم وتوحيدهم وطاعتهم . لأن هذا هو الذي يدل عليه تبليغ سيدنا شعيب عليه السلام لقومه — ألا ترى أنه عليه السلام دعا قومه إلى عبادة الله تعالى ذكره ، ثم نهاهم وأمرهم ، ثم ختم كل هذا التبليغ بقوله : (بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ) . وقد عرفت من معنى البقية أن لها معادلا يقابلها وهو هنا الجزاء الديوى الفانى ، فدل نظم كلامه عليه السلام في دعوة قومه على أن هذا الجزاء الذى بقية الله بمضه راجع إلى جميع ما جاء في تبليغه وليس خلاصا بالنقص والبخس .

وانما كانت بقية الله خيرا لأنها أعظم وأجل من جملة وجوه : في مقاديرها — قال تعالى : (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ . فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ . وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ . وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ . وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى) وفي كثرة صنوفها واشتمالها على ما ينتم به — كما قال سبحانه : (وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) وقال : (لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ) .

وفي كيفياتها كما قال عز اسمه : (فِيهَا عِشَّةٌ رَاضِيَةٌ . فِي جَنَّاتٍ عَالِيَةٍ . قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ .) وقال : (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ . يَصُبُّهَا لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ . لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ . وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٍ . كَأَنَّهُنَّ يَصْفُؤْنَ مَسْكُونُونَ) إلى غير ذلك ، ككون ماء الجنة غير آسن وعدم تغير طعم لبن أنهارها ونصفية عسل أنهارها .

وفي دوامها وعدم منها . كما قال سبحانه (وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّامَقْطَرَعَةٍ وَلَا
مَمْنُوعَةٍ) وقال : (إِنَّ هَذَا لَرِزْقًا مَّالَهُ مِنْ تَفَادٍ) .

وفي حسن عاقبتها وسلامتها من الآفات . وتقويض التعم بها الى مشيقتهم . وذلك
قوله بل شأؤكم حكاية عن أهل الجنة : (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ . إِنَّ رَبَّنَا
لَغَفُورٌ شَكُورٌ . الَّذِي أَخْلَصْنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فُضُوهِ . لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا
فِيهَا لُغُوبٌ) وقوله : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ
حَيْثُ نَشَاءُ . فَنِمْ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) وقوله . (لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ . وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) .

وجملة المعنى . أنه عليه السلام يقول لهم . أن البقية المدخرة لكم عند الله تعالى في
الآخرة . التي هي بعض من الجزاء الحسن الذي يكافئكم الله تعالى به اذا آمنتم وعلمتم
الصالحات . هي خير من بعضه الآخر الممجل لكم في الدنيا وأجل من قدرنا وكنا وكيفا
ومن الجلي الواضح أنها تكون خيراً مما يحزنونه من النقص والبخل بالطريق الأولى .
بل لا يكاد يصح تفضيلها عليه ، لانه تفضيل للأفضل الأكل على الخسيس الناقص .

ثم ان بعض هذا الجزاء الحسن الذي يناله المؤمنون الطائعون من قوم سيدنا
شعيب في الدنيا لم يذكر في الآية هنا صريحاً بل بطريق الاستعارة والاشارة في التعبير
بالبقية كما قدمناه لك . ولكنه قد ذكر صريحاً بعبارة تشمله وتشمل البعض الثاني
الأخروي الذي هو البقية في قوله عليه السلام في آية الأعراف : (فَأَوْفُوا الْكَيْلَ
وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا . ذَلِكَ
خَيْرٌ لَّكُمْ) — فقد رأيت أن هذا الإطلاق في قوله عليه السلام : (ذَلِكَ خَيْرٌ
لَّكُمْ) شامل لما ينالونه في الدنيا من الجزاء الحسن النافع . ولما ينالونه من الجزاء الحسن
الخالق المدخر لهم عند ربهم سبحانه .

بعد هذا بين لهم عليه السلام أن هذه البقية انما تكون خيراً ثابتاً مستحقاً لهم . أي
جزاء أعظم وأكمل مقصياً لهم به من الله تعالى ينالونه في الآخرة ان كانوا مؤمنين
مصدقين بما جاءهم به ممثلين له عاملين به .

أما إذا لم يؤمنوا به فأنهم يكونون قد حرّموا أنفسهم من ثواب المؤمنين الشامل للبقية وغيرها ، ولا تكون البقية خيرا محكوما لهم به من الله تعالى ، لأنهم حرّموها بفعلهم . بل تكون خيرا قضى الله به لفيرهم ، وهم الذين آمنوا منهم بشعيب عليه السلام وعملوا صالحا .^(١)

ثم أنه عليه السلام بعد أن أمرهم ونهاهم ورغبهم ورهبهم وعذّر اليهم بما أنذرهم به . أخذ يشرح لهم منزلته فيهم بقوله : (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيزٍ) - الحفظ هنا هو تعهد الشيء والرّقابة عليه والتسلط والسيطرة ، فأخبرهم عليه السلام أنه ليس مُهيّينا عليهم ، وليس من شأنه ولا من حدوده أن يسيطر عليهم ، فيفقدَ مَورم وشؤونهم . ويتسلطَ عليها بالتصرف فيها بتفسير وتبديل أو نحو وإثبات

وذلك بأن يحصى عليهم أعمالهم وأحوالهم ثم يحازيهم عليها ، أو بأن يضطرهم إلى الإقلاع عما هم فيه من الكفر والمعاصي ويكرههم على قبول ما يدعوم إليه من الأيمان والطاعات ، أو بأن يُتَمَيَّ عليهم ما هم فيه من النعم والخيرات وإن أساءوا التصرف فيها ولم يشكروا الله تعالى عليها .

لا شيء من هذا في قدرته ولا من حدوده عليه السلام بل إنما ذلك كله إلى الله وحده القادر على كل شيء . وإنما منزلته عليه السلام فيهم أن يبلّغهم عن الله تعالى ما أمره بتبليغه ، فيأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرمهم عليهم الخبائث ويقيم وجوههم للدين حقّاء لا يدعون مع الله لها آخر ويبشرهم وينذرهم ، وينصّب لهم الدلائل على صدقه ونصحه فيما بلغهم ويقيم لهم البيّنات على صحة الدين الذي يدعوم إليه ، حتى يتبين لهم الرشد من النقي ، ويدخلوا في دين الله مقتنعين طائعين ، لا مقلّدين ولا مُكرّهين .

(١) قوله عليه السلام : (إن كنتم مؤمنين) شرط فيما بعده اللام في قوله (لكم) وهو استحقاقهم لهذه الصلة العظمى . وعلى ذلك حذف جواب الشرط لدلالة معنى السلام عليه . وتفسيره هكذا إن كنتم مؤمنين استحققتُم لى هذه البقية العظمى .

تلك هي معاملة الرسل لأمتهم ، لا يُكْرِهونهم على الأيمان ، ولا يَضْطَرُونهم اليه ولا يُلْجِثُونهم الى قبوله قسراً وقهراً ، بل وسيلتهم في ذلك انما هي الاقتناع القائم على الحجة والبرهان .

على هذه السنة كانت دعوة سيدنا شعيب لقومه ، وتلك هي سنة إخوانه من قبله ومن بعده ، فمن ذلك قول سيدنا نوح عليه السلام لقومه : (يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَمُضِيَيتُ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْتُ مُكْرِمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ؟) وقوله عرشانه في شأن رسالة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَا تُكْرَاهُ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ أَرْشُدُ مِنَ النَّبِيِّ) وقوله . (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ؟) .

من منصور

وكيل دار العلوم العليا سابقا

يتبع

الطرف والملح

وقال بعضهم مهتأ بالعيد :

رأى العيدُ وجهك عيداً له	وان كنتَ زدتَ عليه جمالا
وكبرَ حينَ رآك الهلالُ	كفعلك حينَ رأيتَ الهلالا
رأى منك مامنه أبصرته	هلالا أضاء ووجها تلالا

لما دخل المؤمنون بغداد بعد قتل الأمين دخلت عليه زبيدة ابنة جعفر أم المؤمنين . فجلست بين يديه وقالت : الحمد لله إن أهنئك بالخلافة فقد هتأت بها نفسي قبل أن أراك . وإن كنتُ فقدتُ ابناً خليفة فقد اعتضتُ ابناً خليفة . وما خسر من اعتاض مثلك . ولا تكلفتُ أمٌ ملأتُ عينها منك . وأنا اسأل الله أجراً على ما أخذ . وإمتاعاً بما وهب . فقال المؤمنون : ما تليد النساء مثل هذه . ما تراها ابقت في الكلام لبلعها الرجال !

اصْبُوا الدِّينَ

الدين ضرورى للعمران

وأكبر مقومات الانسان من حيث هو انسان

خلق الله الانسان مركبا من شيئين ، روح وجسد ولكل منهما مطالب لا يتم أمره ولا يصفو عيشه ولا تحصل راحته ولا يفيته التي هي من خصائص ذاته ومقتضى طبيعته الا بها ، فاذا فرط في مطالب البدن عاش ذليلا عليلا ، وأسرع اليه الضرر من كل جانب ولم يمكنه أن يقاوم السنن الكونية التي تصرع كل من يغالبها ويخرج على أحكامها ، وإذا أهمل مطالب الروح عاش عبثة البهائم ولم يكن له من الانسانية نصيب ، اللهم الا في صورته الظاهرية . وتخطيطه الجسمية ، بل تقول إن عيشه أسوأ من عيش البهائم لأن البهائم ليس فيها ذلك الشعور المغروس في طبيعة الانسان الذي يريه الآلام صنوفا وألوانا ولا ذلك الخيال الذي لا يقف عند حد ، ولا ينتهى الى غاية ولا تلك الشهوات التي تبعد مرامها وتتسع نواحيها . ولا ضروب ذلك الانزعاج الذى يحصل مما يكون أو لا يكون وليس فيها النظر الى المستقبل الذى فعل بها الأفاعيل ولا تلك المواطن التي قد تهلك صاحبها في سبيل ما تصبو اليه ، ولديك مصارع المشاق وأخبار من ماتوا شهداء في سبيل الفضائل أو قتلوا مجرمين في سبيل الرذائل مما لا نطيل القول فيه .

فإن هذا من الحيوان الذى يكون هادى ، البال حتى يفجأ ما يفجؤه من الحوادث الوقتية التي ينتهى الألم باتهاثها من غير أن يحسب لها حسابا قبل هجومها عليه ولا يعترية أسف الذكرى بعد مفارقتها ، فإذا لم ينظر الانسان في المنهاج الذى يضعه لنفسه من الجهة الروحية والمطالب النفسية حتى يقفها على الصراط المستقيم ويهذبها بما يقيم اودها ويزيل أعوجاجها كان شرا من البهائم ، وأخط من كل ذى روح ، - هذا حاله في نفسه - أما حاله بالنسبة الى المجتمع العام فهو وبال عليه فإنه لا يلقى منه المجتمع الا صنوف البلاء وأنواع الشقاء ، فإن الرجل العارى من مكارم الأخلاق الذى لم تهذب عواطفه ولم

أصف معارفه فأصبح يتجبط في دياجير الظلمات وأنواع الشرور والآفات هو وحش ضار يفتك بكل من قدر عليه وهو عقرب يلدغ كل من يلتصق به أو يقرب منه ، وهو بعد ذلك شيطان متفنز في ضروب الشر وفنون الاحتيال لا يعرف الا نفسه المجرمة وشهوته الفاجرة وتزعته الحقاء ، ولو هلكت الأمة وخرب العالم ، فهو من نفسه في شقاء شديد . أصبح مضطرب الأحوال محتل الخيال مرتبكا كل الارتباك بين انسانيته وحيوانيته . أما المجتمع فقد فقدته ، أو نقول بعبارة أصح قد اعتاض منه ثعبانا ينفت السم ووحشا أفسى قلبا من وحوش الفلاة وأكبر روغانا من النملب وأعظم شرها من الخنزير ، وجدير به أن يكون كذلك ، فانه لا يؤمن بالجزاء على ما اقترف ولا بالحساب على ما جنى ، فهو لا يرغب في جنة ولا يخاف من نار ، وكأن العالم في نظره لعبة لالع لا يكون الفوز فيها الا لمن كان أكثر تهوينا وأحذق شعوذة ولا حياة في نظره غير هذه الحياة ، وهو لا هم الذين خاطبهم الله بقوله (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) وينبهم في الآيات الكثيرة على خطيئهم فما ظنوا بمثل قوله (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) فهذا ما يعاينه في نفسه وما يعانى المجتمع منه في الدنيا . أما ما أعد الله له في الآخرة فهو أشد وأخفى . ولكن تعال ننظر في حال المؤمن المتدين وإلى ما يعود على الناس منه فصور لنفسك رجلا مؤمنا حق الايمان بقوله تعالى (قَن يَمْعَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَمْعَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) وبقوله (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمْعَلُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَآخِذُوا بِهِ) (وَإِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِمَا حَاسِبِينَ) (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَمُزُّ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) وبقوله عز وجل (وَأَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَّمْ مَا تَوْسَّوسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)

فانظر كيف تكون مراقبته لله تعالى وخوفه من الله ، وهو يعتقد أن الله يعلم السر وأخفى وأنه مسئول عن كل أحواله ويجزى بجميع أعماله . هل يمكنه أن يكون مع هذا الاعتقاد منتهكا للحرمان مفتصبا للأموال أو يكون سارقا أو قاتلا أو خداعا أو غشاشا أو مزورا . . . الخ ثم تراه بعد ذلك قد نظر فيما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فوجده يحث على مكارم الأخلاق ويهي عن مساوئها ، وجده يأمر بالرحمة لكل أحد حيث يقول (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) ثم لم يقتصر على رحمة الانسان العاقل بل أوجب الرحمة والشفقة على كل دى روح ، وإن شئت فانظر الى قوله عليه السلام (دخلت امرأة النار في هرة حبستها لاهى أعلمتها ولاهى تركتها تأكل من خشاش الأرض) وقوله (لا ترع الرحمة الا من قلب شقى .) إلى غير ذلك ثم نظر فوجده يحث على المحبة بين المؤمنين جميعا علما منه عليه السلام ان المحبة رسول السلام والوئام ، ومحبة الخصام والانتقام ومبعت الهناء والصفاء . فأمرهم أن يكونوا اخوانا فقال (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا .) وجعل البغضاء هى الخالقة ونهى عن التفرق والتهاجر بالبلغ ما يكون وأقصى ما يتصور حتى حرم الخصام فوق ثلاثة أيام ، ونهى عن الايذاء بكل أنواعه حتى جعل غيبتك لأخيك من أكبر الكبائر وشبهها بما تشتمل له كل نفس وينفر منه كل انسان ، وقال الله فى الكتاب العزيز (وَلَا يَنْتَبِ بِمَعْزُكُم بِمَعْزُكُم أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا) . وقد نهى قبل ذلك عن أن تظن السوء بأخيك كى يظهر نفسك ولسانك وظاهره وباطنك فتكون خيرا محضا للناس ، لا تنصر لهم حقدا ولا تسوءهم بكلمة حتى فى منيهم فقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَمَعْزُكُم بِمَعْزُكُم) يريد بذلك أن يعلمهم متحايين متآزرين حتى يكون بينهم التعاون والتآزر ، لا التهاجر والتفاجر والتخاصم والتشائم وهل نجد شيئا أبلغ فى التآزر الذى يريد الدين أن يجعله بين أبنائه من قوله صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) ويقول (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) ويقول (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا) ويقول

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ويقول في التحذير من إيذاء بعضهم بعضاً (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) ويقول (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) ويقول في الترغيب في عمل الخير بكل أنواعه والترغيب فيما يمود على الناس بالمنة صغيرة كانت أو كبيرة (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تغرغ من دلوك في دلو أخيك أو أن تلقى أخاك بوجه طلق) ويقول (اماطة الأذى عن الطريق صدقة) وقد جعلها شعبة من شعب الإيمان في الحديث الآخر ، فتراها قد حدث كل انسان على فعل الخير وعرفه أنه قادر عليه مهما كان أمره حتى جعل الكلمة الطيبة صدقة ، وأن تمين الاخرق الذي لا يحسن العمل صدقة ، وأن تساعد الرجل في الحمل على دأته صدقة وأخيراً جعل الكف عن الشر صدقة ، فطلب من كل انسان أن يعمل الخير ما استطاع وبين أن كلا مستطيع ، وقد ورد في بعض الآثار أن كل مسلم على ثغر من ثغور الاسلام اما تحذيره من الظلم فحدث عنه ولا حرج ، حتى عرفنا أن كثيراً من العقوبات يؤجل للآخرة ولكن عقوبة الظلم معجلة في الدنيا مع ما ادخر له في الآخرة ، وأخبرنا أن الله يحاسب على الفتل والبقير وان من أخذ شيئاً ظلماً فإما اقتطع قطعة من نار ، وقد حذر الحكماء أن يجوروا في حكمهم بما لا يمكن الزيادة عليه حتى قال صلى الله عليه وسلم فيما ورد عنه « ما من أمير عشرة الا يجاء به يوم القيامة مغلوله يده الى عنقه فلا يفكه الا العدل . » وانظر هل تجد أبلغ وأروع من قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ عَنِيَّ أَوْ فِتْنًا فَاِنَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدُوا وَإِنْ تَلَوْا وَتُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) وقوله في الآية الأخرى (وَلَا يَجْزِي عَنْكُمْ شَتَاؤُكُمْ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ)^(١) فإذا كان هذا شأنهم مع أعدائهم الذين يعصونهم في الله والله ، فكيف يكون حالهم مع غيرهم ؟ ومن ذلك القبيل قوله تعالى (وَإِنَّمَا تَخَافُونَ مِنْ قَوْمٍ خِثَاةٍ فَابْذُرْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِثِينَ)^(٢) . وعلى الجملة فانا لمعجب كيف لا يظهر نور الاسلام في هذا العصر

(١) أي لا يحل لكم بفسادكم لنوم أن تخافوا في جريمة الظلم

(٢) أي إذا كان بينك وبين قوم عهد ونهيت من حلفهم فيه جباه العهد فادعهم بطرح العهد اندى بينك وبينهم حتى تكونوا على سواء في الحلف من خرق ذلك العهد

عصر العرفان ويقتطعة العقول، ونذكر هنا قول اللورد هدى الانكليزي الذي اختار الاسلام ديناً بعد أن وقف على ما فيه من خير وسعادة وتعاليم تروق العقول وتبهج الأرواح .

« انى أعجب من الذين يبحثون عن أحسن مأكل ومشرب وملبس ومسكن ولا يبحثون عن أحسن دين في الوجود » - انى أعجب كما يعجب أو فوق ما يعجب للأوربيين كيف يستكشفون ما كان غامضاً من أسرار المادة التى أدهشوا بها العالم ولا يستكشفون أسرار هذا الدين وهى أعظم من كل ما استكشفوه ، حتى يعرفوا ما انطوى عليه من الحكمة العلمية والعملية التى تفوق حكمة أفلاطون وأرسطو وكان لها من الأثر ما لم يكن لها ولا لغيرها من كبار الحكماء . ويجدون فيه من البسم الشافى للأدواء كلها ما يعجز عنه عصبة الأمم ومؤتمرات السلام ، ومن وسائل المحبة والوئام ما يستأصل الشيوعية التى تهدد مدينتهم وستقضى على كياناتهم وتأتى على بنيانهم شاءوا أم أبوا كما أنذرهم بذلك كثير من عقلائهم ان لم يصلحوا مدينتهم الفاسقة ، ولا غرو فهى لا تدور الا على محور واحد يرجع كل شىء عندهم اليه وهو المادة التى أخذت كل عقولهم واستولت على جميع مشاعرهم واحساسهم ، فلاوا الدنيا من أجلها شرّاً وشقاء وضرّاً وبلاء بحجة أنهم يريدون أن ينقذوا الانسانية المعذبة (وما عذبها غيرهم ولا قضى عليها سواهم) ، ولو كانوا صادقين لرحبنا بهم وما تقمنا عليهم وقتنا ان الطبيب يفعل بالمريض ما يؤلم لكن بقصد أن يداويه ، والأب يضرب ابنه لكن لقصد أن يريه ، أما أولئك الماديون فكاذبون فيما يدعون غشاشون مُموّهون فيما يقولون . فلبسوا يريدون من الأمم الا ما يريد رب الماشية من الماشية ، ورب الضيعة من الضيعة ، وقد أفسدوا علينا معشر الشرقيين (لا سامعهم الله) آدابنا وأخلاقنا وعقائدنا وجميع فضائلنا الا قليلاً من عقلائنا يجاهدون فى ذلك السبيل ، عسى الله أن ينصرهم ويكثر سوادهم بجه وكرمه ، على أن كثيراً من الأوربيين قد شهدوا للاسلام ونبي الاسلام أكبر شهادة كاللورد هدى المتقدم ولا مرتين الذى نقلنا شهادته فى العدد الأول . ومثل توماس كارليل والدكتور موريس وكاين تيلر وغيرهم ولو حسن التفاهم بين الناس وحل الانصاف محل الاعتساف واهتم العالم بفضاء أرواحهم كما اهتموا بفضاء أبدانهم لدخل الناس فى دين الله أفواجاً طوعاً وكرهية ، فالاسلام

وحقك هو بنية الأرواح وطلبة الأشباح ومهبط السكينة ومستقر الطمأنينة وضالة العقول وخلاصة المعقول والمنقول وأمنية القلوب ورأس كل مطلوب ، وهل للناس مطلب غير أن يسمدوا في ظاهرم وباطنهم ودينامهم وأخراهم سعادة تدفع عنهم شرور الحياة ومكارهاها ثم تقيض عليهم من أنواع السرور وشرح الصدور وبهجة الأسرار وصفاء الأنوار ما لا يعلمه إلا الله تعالى ثم تسلمهم بعد ذلك إلى نعيم لا يشوبه كدر ولا يعتريه زوال ومُلْكٍ ليس فيه عناء ولا له انقضاء . ثم هو فوق هذا يدعو إلى الديمقراطية الحقة والمساواة الصحيحة فلا يرى فضلا لأحد على أحد إلا بالتقوى وقد أمر الناس بالتواضع في أنفسهم وخشية الله من قلوبهم وأن يشارك غنيهم فقيرهم بالمعشر أو نحوه فيما أعطاه الله تعالى حتى يطهر نفوس الأغنياء من البخل وقلوب الفقراء من الحقد عليهم فيتم بينهم المحبة والوثام ، أوصى الجار بالجار حتى قال (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن : فقالوا من يا رسول الله فقال ، من لا يأمن جاره بوائقه) وقال (ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم) أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا فرق في ذلك بين أمير ومأمور ورئيس ومرؤوس ، وقال جل شأنه في حق قوم أصابهم اللعنة (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) فكيف تكون مكارم الأخلاق في مثل هذه الأمة لو أخذت بتعاليم دينها به وهل يكون لانتهاك الحرمات وارتكاب المحرمات وخرق سياج الآداب سبيل إلى أمة يكون بعضها رقبيا على بعض وقد سيطر عليها الدين الذي يجعلها خير أمة أخرجت للناس سيطرة تستولى على نفوسها ولا تفارقها في خلوتها وجلوتها به أوجب أن تكون لها العزة والرفعة حتى أوجب عليها الهجرة من أرض الدنأ بكرامتها . واستبقاء لعظيم شرفها ، حتى قال (المؤمن لا يذل نفسه) وقال الله في وصفهم (أَدْلَىٰ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أُعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) وقال (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) إلى آخر ما لا يسعنا إلا التلخيص به والاشارة إليه ، نعم هذه قواعد المتينة وقوانينه الرفيعة ، وإن أمره فوق هذا ، فانه لما رأى الانسان كثيرا ما تلمب به الأهواء وتغلب عليه الشهوات وكان يمكنه أن يحافظ على ظاهر تلك القوايين ولا تقوم عليه حجة بعد المحافظة على أشباح هذه الرسوم مع ما له من القصد السيء فيما يأتي وينت

فيكون طالما يلبس ثياب العاديين ومتدنساً يتسم بسيمى المتطهرين

لما علم ذلك علمنا ان المحافظة على تلك الرسوم الظاهرة لا قيمة لها في نظر الدين فقال في الحديث (ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم : وقال انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى) . وقد قال تعالى (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاخْذُرُوهُ) وقال . (وَلَكِنْ يُوَافِقُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ فَلَكُمْ) . وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الأشياء تتشابه فأمرنا بالاحتياط عند ذلك فقال (دع ما يريبك الى ما لا يريبك) وقال . (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه) وقال تعالى (وَلَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَتَبَ بِنَا حَاسِبِينَ) (وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى)

فأنت ترى وقد وضع الصبح لذي عينين ان الاسلام لا يريد من أبنائه الا الحق الصراح الذي لا يعتريه ريب والعدل الكامل الذي لا يشوبه ظلم ولا تبني أموره الا على المصالح الحقيقية والحقائق الواقعية ، فما أدرى كيف صمت آذانهم عن سماع ندائه العالي وعميت أبصارهم عن رؤية شمس المشرقة . ولنختم هذه الكلمة بمحادثة وجيزة جرت بيني وبين بعض العظماء تناسب هذا الموضوع . قال ان الأمة لا يزعمها عن الشر الا أحد أمرين : الدين والفلسفة . وحيث ان الأمة لا تستطيع الفلسفة ولا يمكنها ان تكون من ذويها فلا بد لها من الدين فقلت له أشكرك على أن أحلت الدين ذلك المحل وأصغته ذلك الانصاف ، ولكن يسمح لي معالي الباشا أن أقول :

ان هناك فروقا كبيرة بين الدين والفلسفة ، فالعسفة تستمد من نظريات العقول التي تصيب وتحطى ، وأمامنا السوفطائية التي تجافى فلسفتهم الحقائق على خط مستقيم ، وكثيرا ما يكون هناك نزعات خفية توحى للفيلسوف فلسفته من حيث يشعر أو لا يشعر ، والانسان أسير نزعاته وشهواته محصور في الناحية التي تسيره فيها نزعته الخاصة أو شهواته الخفية ، وأمامنا فلسفة ابيقور وانباعه تلك الفلسفة التي لا ترى الخير الا في

الملاذ الحسية وتقول ان ما وراء ذلك وهم أو خيال ، وقد يؤثر زخرفها الخلاب الموافق لاهواء النفوس وشهوات الطبيعة في كثير من أطفال العقول واسراء الشهوات فيرون كل شئ مباحاً . وان الأموال والابضاع حق مشاع بين الناس . وان من الظلم استئثار بعض الناس بشئ ، فيجب في شرعة الطبيعة أن لا يكون هناك استئثار بملك أو روجة والا يكون هناك تحريم لأخت ولا بنت ولا أم ، وان من استطاع الوصول الى الاستمتاع بشئ من ذلك كله حل له أن يتمتع به لأنه استرداد لحقه المعتصب الى آخر تلك الفلسفة ومزخرفاتها

أما الدين فيستولى على النفوس من كل جهاتها فيقف بها عند ما حد لها من الحدود ثم يحاول أن تكون فاضلة كاملة حتى تؤثر على ضيها ولو كان بها خصاصة . وترى في ذلك كل سعادتها وهنائها ، وللقلوب مسادة لا يحس بها ذوا الأموال ولا أرباب المناصب ، على حين أن فلسفة أبيقور تقول هارئة بهذه التعاليم (ما هي الفضائل وما هي الرذائل وما هي السعادة وما هي الشقاوة وما هو النقص وما هو الكمال) ما هذه الا ألفاظ فارعة وخيالات باطلة ، فهذه الفلسفة لا تلقن أبناءها الا الزور والفجور ولا تغذيهم الا بجرائم الأوبئة الفتاكة المهلكة والأفكار المربكة ، ولكن المتدين يقول ما يقول الله عز وجل (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَنُوا بِهَا وَلَدِينَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ عَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (فَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدِّلُوا مَآقِيَ أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ) الى آخر ما جاء بالكتاب والسنة وهو كثير فأنتم ترى المتدين فاضلاً خيراً كاملاً ، وترى ذلك الفيلسوف جاهلاً ضالاً شريراً ، والفلسفة غير مأمونة ولا مقدسة لأنها من نتائج الأفكار البشرية ، بل ضررها أقرب من نفعها . بخلاف الدين الذي هو تنزيل من رب العالمين ، وبألجلة فالاسلام عظيم أمره . كبير شأنه . ولكن ضيعه أمراؤه . وفرد فيه علمائوه . منذ زمان بعيد ، ولتقف هنا اليوم ولنا الى الموضوع عودة بعد عودة ان شاء الله

يوسف المدبري
من هيئة كبار العلماء

اصول الدين

الاسلام دين المطرة

قال تعالى (فَأَنفِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيمًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَئِيمُ) وقال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)

بيننا في المقالين السابقين ، أن في فطرة الانسان ما يهديه الى الاعتقاد بوجود خالق للعالم متصف بصفات الكمال منزّه عن سمات النقص ، وبيننا أن الانسان في تحديد صفات الكمال قد يتطوح به الفكر فيضل عن سواء السبيل ، وان العقل البشرى كثيرا ما يتأثر بما يحيط به وبألفه ، ولكل فئة مآلوفاتها ولكل فرد ظروفه (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ) .

وكذلك بيننا أن آثار الرحمة والحكمة التي تجلب في أفعال الخالق القادر (وهو الرؤوف الرحيم) (العليم الحكيم) تشهد بأنه لم يترك الناس حيارى يهيمنون في كل واد ويتنازعون في كل ناد بل لابد أن يرشدهم من غيهم ويخرجهم من الظلمات الى النور بأذنه ، لقد أعطى كل شيء كماله الذي هياه له ، ولقد تعهد الجميع بالتربية التي أعد لها فكان رب العالمين حقا سواء في تربية الجسم أو تربية القوى المختلفة ، ولقد أودع في النوع الانساني من القوى الروحية الكامنة ما يهيشه لان يتبوأ أعلى مكان في الوجود وما يربو به اذا أحسنت تربيته من الله على مستوى الملائكة المقربين كما هو شأن الانبياء والمرسلين ، وحسبه أن جملة خليفة في الارض فمنحه بذلك أعظم لقب يطعم فيه مخلوق من الخالق ، لقب نطلمت اليه الملائكة حتى قالوا ما يحوج طاهره الى تأويل (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَمِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

فخلق هذه صفته وتلك مكانته ، وكل ماهو فيه نعمة وفيض ورافة ورحمة ، وقد قضت الحكمة ليعرّز تلك المنزلة ، أما يكون تفكيره متنوع المسالك متفرق المشارب، وقد مكن له في الارض وخلق له ما فيها جميعا وسلط عليه من القوى المختلفة ما يحفزها الى العمل على تثبيت مركزه في العالم واستغلال غايته لمنفعته ، وجعل رائده في ذلك حبه لمصلحته وفائدة عقله وتفكيره وما يستنبطه من حيلة وما يبرزه من عمل كامل متقن .

خلق هذه صفته وتلك مكانته وهذه اثار الرحمة فيه وتلك مئارات الخلاف بين أفرادهم يقضي العقل السليم الا يترك قربة للاختلاف الفكري والاضطراب المذهبي والا يدع الحكميم الرحيم أمره العام المشترك خاضعا لعقله وحده المضطرب في حكمه عادة بما يؤثر فيه من تزامم على المنافع واستئثار بالفوائد ، كذلك يحكم العقل الايكله في تعرف أساس حياته ومنشأ وجوده الى ضروب من التخمين وبما حادفها عن الجادة وضل عن سواء السبيل، وقد تذهب ضروب التخمين في شئ المسالك فتطاحن وتنشاحن وليس عقل باولى بالحكم على الغير من عقل آخر، ولا فكر أحق بالخضوع من فكر، والعقل القوى لا يدم نظيرا يمارضه ، فكان من الواجب في نظر الرأي السديد أن يتدأوك الخالق الحكميم هذا النوع الذي كرمه والذي وهبه ماوهبه بما ينقذه من حيرته ويخرجه من جهاته وضلالته ذلك هو النور النبوي .

والكلام في ذلك يرجع الى عدة مقامات (١) تعريف النبوة والرسالة لمعرفة النبي والرسول (٢) بيان امكان حصولها (٣) بيان الحاجة اليها والاثار المترتبة عليها (٤) طريق اثباتها ودليل صحتها لمن يدعيها (٥) دليل نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولتكم عليها على هذا الترتيب .

١ — النبوة هي أن يوحى الله لبعض عباده الذين يصطفهم وهو أعلم بهم بأحكام شرعية يكلفهم العمل بها ، أو معان اعتقادية يعلمهم بها ليعتقدوها ، سواء أكلفهم ابلاغ ذلك لغيرهم من الناس أو قصر علم ذلك والعمل به عليهم في خاصه انفسهم، والرسالة هي أن يوحى لبعض عباده بأحكام أو معتقدات ليعملوا بها ويلفوها

غيرهم ، فكل رسول نبي وقد يكون النبي غير الرسول وهذا ماعليه جمهور العلماء ، وعلى هذا فالنبي انسان أوحى اليه بشرع يعمل به سواء أمر بتبليغه أم لم يؤمر ، والرسول انسان أوحى اليه بشرع يعمل به وأمر بتبليغه .

٢ — امكان حصولها : لقد بسط فضيلة الاستاذ الشيخ الدجوى في العدد الاول من مجلة نور الاسلام هذا الموضوع بما يشرح الصدر ويحلو الكرب ويزيل الحيرة عن القلب ، ولكن هذا لا يمنعنا أن نجمل القول في هذا الموضوع بما لا يخرج عما قرره الاستاذ وحرره ، فإن تكرير القول في موضوع عظيم الخطر عظيم الاثر كهذا الموضوع ليس من التكرار الذى تسأله النفس وقلة بل هو تكرير للتقرير وتأكيد للتأييد فنقول أتفق العقلاء من القدم على أن الانسان جسم وروح ولا اعتداد بقوم سموا أنفسهم الماديين يزعمون أنهم جد حريصين على الاحتياط في أحكامهم فلا يجوزون الا بما يشاهدون ويقولون شاهدنا الجسم فحكمنا بوجوده ولم نشاهد الروح فتحن تنكر وجودها ، وفاتهم أن استنباط العلم بعدم الشيء من عدم العلم بالشيء استنباط عقيم لا يقبله الا الفهم السقيم ففرق بعيد بين عدم العلم بالشيء والعلم بعدمه

هذه الصفات والامار التى لاعلاقة لها بالجسم ولا تتصل به كالذكاء والبطنة والشجاعة والكرم واضدادها كالعزيمة والخور والاحسد والرضا والمضب والحلم وامثالها . أتوا في تعليلها بما يضحك الشكلى ويكي العقلاء ، فقالوا انها اقرارات لغدة المخ كما تفرز غدد الفم اللعاب ، وغدد الجلد العرق ، وبالمعجب العجائب اقرأى أولئك المختاطلون الذين لا يصدرون في حكمهم الا عن مشاهدة وعيان ، أقرأوا غدة المخ وهى تفرز تلك الملكات والفرائز وصفات النفس والعقل حتى يكونوا التزموا حدودهم التى حدوها وترسموا خططهم التى زعموها ، كلا وايم الحق ما بالقوم من هذا شيء وانما هو تخبط المختار الذى يأنف أن يعترف بحيرته فهو يهرف بما لا يعرف ويتورط في قاعدة «خالف تعرف» اذ لولا هذه السخافات التى نشبتوا بها ما احس بهم العلم ولا العلماء

وليس كل خلاف جاء معتبرا الا خلافا له حظ من النظر

نقول اتفق العقلاء من القديم على أن الانسان جسم وروح ، وان لكل منهما خصائص واثارا وان كلا منهما يتفاوت أفراده الى حد بعيد، بل لا يكاد يذكر تفاوت الاجسام بجانب تفاوت الارواح ، فترى الشخص بين أترابه عظيم النفوذ قوى السلطان شديد التأثير له من المهابة في النفوس والروعة في القلوب ما يشهد به كل من شاهده ، ولعله مع هذا ضعيف الجسم ضئيل البنية وربما كان في قل من المال والجاه : وهذا لا ينكره الا مكابر، وناهيك بالتنوع المناطيسي وهو قد يأتي من مجرد تسلط نظر على نظر ، وتحديد اسان في عين انسان ، فينهزم أحدهما ويخضع ويتغلب الآخر ويتسلط وما ذاك الا لتفاوت الروحين قوة وضعفا . وعلى الجملة فتفاوت النفوس في الملكات والمدارك والصفات والمواهب أوضح من أن يحتاج الى شرح

واذا كان كلامنا في بيان امكان النبوة فما الذي يمنع العقل من أن يجوز أن بعض النفوس يصل من القوة الى درجة أن يفهم من الملائكة الاعلى ، وان يتلقى معاني من القوة العظمى، وما الذي يمنع العقل أن يجوز أن الخالق القادر واهب العقول والمدارك يهب بعض خلقه قوة أزيد من سائر الناس ، فيجعله يفهم عنه ما يليه في روعه أو يرسل اليه بعض ملائكته أو يسمعه كلاما يفهمه لا يفهمه غيره ؟ ستقول ان هذا غير مألوف فتقول نعم . وتقول لم تجربوه المادة فتقول نعم . وتقول أنه مستحيل فتقول لا : قف مكانك وافهم الفرق بين مستبعد ومستحيل والفرق بين لم تجربوه المادة ولم يقبله العقل ، واعلم انك تلابس أشياء لو لم ترها كل يوم واخبرت بها لجزمت باستحالتها ، فلو قيل لك ان في العالم كائنا جبارا مدمرا يسمى النار لا يدع شيئا أتى عليه الا جعله هباء ، ويجانبه كائن هين لين لطيف رقيق يلعب به الطفل وتزقه الاعلة الضعيفة يسمى الماء وانه لاشيء يهلك ذلك الجبار العاتي وهو النار الا هذا اللطيف الضعيف وهو الماء فلو لم تكن تشاهد ذلك كل يوم أفكنت مصدقه ؟ أم كنت تسخر ممن أخبرك خبره وتبادر بقولك مستحيل ، يجب أن تتأني في كلمة المستحيل قبل أن تطلقها جزافا، ويجب أن تزن ماتحكّم بها عليه يميزان العقل، لامتزان المادة والالام، فكم من أمر كان في نظر بعض الناس مستحيلا أصبح مألوفًا وبخاصة

في عصرك هذا ، فاذا عذرنا من سبقنا في مسارعهم الى الحكم بالاستحالة فلا عذر لنا
أهل هذا العصر ونحن نشاهد المستحيل تتدهور استحالاته أمامنا كل عام مرة أو مرتين
حتى أصبح لقب مستحيل في النزع الاخير ، ولم يبق منه الا مالا يقبله العقل كاجتماع
التقيضين أو ارتفاعهما أو اجتماع الضدين أو مماثله ، والخلاصة أن العقل لا يجد أمامه
مطلقا ما يمنعه من تجويز أن يكون لبعض النفوس من المواهب والقوى ما به يفهم عن
اللطيف الخبير الحكيم العظيم ، أو ما به يتلقى عن عالم روحي محض لاتراء ، ولكننا
لانتكره ولا نجد مستندا لنا في انكاره وهم الملائكة .

٣ - وجه الحاجة اليها والآثار المترتبة عليها : اذا تدبرت مقالنا السابقين
ومقدمة هذا المقال أدركت معنا أن العقل البشري وحده عاجز عن ادراك كل
ما ينبغي له ادراكه في تحديد صفات الخالق المهيمن على هذا العالم ، وانه أشد عجزا
عن ايفائه حق شكره على ما انعم عليه به وانه كذلك عاجز بما يحيط به من الظروف
المؤثرة في احكامه ، ومن منازعة قوى الشهوات والغضب وحب الاثرة عن
أن يدرك مصالحه الحققة الثابتة الدائمة ، وان المناقصة والمغالبة على المنافع ومحاولة كل
جليل لنفسه واحتيازها عن غيره مؤدية به لاحالة الى التناهد والتقاتل ، وان كل فرد
أو كل فريق يحاول أن يرى الاشياء ويفهمها على ما يوافق مصلحته والمصالح متعارضة
والمنافع قد تقصر عن ايفاء رغبات الجميع ، فن المحتمم أن يكون هناك حكم له الهيمنة
والنفوذ على الجميع ويخضع له كلهم على السواء ، وما ذلك الا حكم من اختص من
بينهم بيزة لا وجود لها عند غيره ، فتي ظهرت ميزته وتبين اصطفاؤه القوى القدير
له وغيره على غيره بما لا يطمع أحد في مشاركته فيه ، فقد قضى الامر بينهم وكان له
القول الفصل ويكون هو الميزان العادل بين الطبقات والمهادى المرشد المنقذ من
الضلالات ، فيه تعرف كل نفس حقها وواجبها ، وبه ينصف المظلوم من ظلمه وبه
يتبين المرشد من الغي ، فيعرف الناس صفات ربهم ويعلمهم طريق شكره وتمجيده
ويقوم عوجهم ويهديهم اليه صراطا مستقيما ، فتي آمنوا به وصدقوه واتبعوا النور
الذى أنزل معه ، انتظمت شؤونهم وسعدت معيشتهم وتهذبت نفوسهم واستقامت

أمرهم وتبدلوا بالفوضى ضبطاً وبالشحاح والتطاحن تسانداً وتساعدوا وانقلب شقاؤهم الى سعادة .

٤ — طريق ثبوتها : ان أمراً هذا مكانه في الوجود جدير بان يدعيه كل من طمع فيه وما من أحد الا ويطمع فيه لو لم يقرن بما يميز صحبته من باطله وغشه من سمينه ، وما ذاك الا أن يظهر على يد من يدعى هذه الدعوى وهي أنه يتلقى ما يقوله عن الخلاق العظيم . العليم الحكيم ، وأنه اذا أمرهم فانما يلفهم أمر ربهم ، فيجب عليهم أن يطيعوه ولا يجوز لواحد منهما كان عظيماً أو حقيراً ملكاً أو رعية أن يخالف له أمراً أو يتجاوز حدود مانهى عنه : يظهر على يد من يدعى هذه الدعوى العظمى أمر يميزه عن كافة البشر فلا تتأله قدرة المخلوقين مهما كانت مواهبهم وقواهم ، ومهما اجتمعوا وتعاونوا ، وتلك هي المعجزة وهي أمر خارق للعادة يظهر على يد مدعى النبوة مع التحدى لكل من يعارض أو ينكر ، ومعنى التحدى طلب المعارضة أى الاتيان بمثل ما أتى به اذا كان هناك من ينكر عليه معجزته ، وقد جرت سنة الله مع أنبيائه أن يجعل معجزتهم من جنس ما تنبأ اليه أفكار أهل عصرهم ويفوقون فيه غيرهم ، فجاءت معجزة موسى عليه الصلاة والسلام على وجه يكبت السحرة حتى كانوا من أول من آمن به وذلك أن السحر كان فاشياً فيهم فيخيلون للناس ما يخيلون ويستربونهم ويأتون بسحر عظيم فكان من معجزاته انقلاب العصا حية تسمى وخروج يده بيضاء من غير سوء ، وقلق البحر وامثاله مما تكون معرفة الساحر به أقوى من معرفة غيره ، وجاءت معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام على وجه يعجز الاطباء قبل سواهم فابراً الالكمة والأبرص وأحيا الموتي باذن الله ، وذلك أن أكثر ما كان يشغل الناس في ذلك العهد أمر الطب وهكذا . من تتبع معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ونقب عن تاريخ قومهم وما كان يسود عقولهم تبين له ذلك اتم تبين .

٥ — دلائل نبوة ورسالة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : — جاءت شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع قبلها مقررمة دينا واحدا لا يقبل غيره (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)

فكان من مقتضى الحكمة أن يؤيد من عند الله بمعجزات تضاهي كل معجزة تقدمت
لنبي حتى لا يمتاز المنسوخ على الناسخ بيزة تجعله أقوى منه ، فأيد صلى الله عليه وسلم
بطائفة كبيرة من المعجزات المماثلة لمعجزات الانبياء السابقين نذكر منها على سبيل
المثال في مقابلة احياء الموتى وقلب العصا حية ، حنين الجذع له صلى الله عليه وسلم ،
وتسبيح الحصى في يده ولعلك ترى أن تسبيح الحصى أبلغ في الاعجاز من حركة
العصا ، وان حنين الجذع فرع طول الحياة بل الشعور في جسم هو أبعد عن الحياة
من جسم الميت الذي هو انسان سبق له عهد بالحياة ، وفي مقابلة فلق البحر نبع الماء
من بين أصابعه وهو أبلغ في تسخير الماء لارادته من انفلاق البحر ، وكذلك انشقاق
القمر لاشك أنه أبلغ من انفلاق البحر، وهنا نذكر لك لكيلا تنسى الفرق بين المستحيل
والمستبعد وفي مقابلة ابراء الاكبر رد عين قتادة وقد جاء للنبي صلى الله عليه وسلم
وعينه في يده وقد فقت بسهم في غزاة فقال عيني يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه
وسلم ان شئت رددتها لك وان شئت سألت الله أن يعوضك خيرا منها في الجنة، فقال
يا رسول الله اني رجل مبتلى بحب النساء واخاف أن يقتل أعور فأرددها لي واسأل
الله أن يؤتيني خيرا منها في الجنة ، فضحك صلى الله عليه وسلم وردها له ودعا له بما
طلب ، وهكذا مما لا يكاد يحصى لمن تتبع .

هذا ولما كانت الشريعة باقية الى يوم الدين ، وقد نعى جل شأنه على قوم أنهم
أخذوا دينهم تقليدا لاسلافهم من غير دليل ولا مستند ، اقتضت حكمته جل شأنه
أن يكون مع الشريعة معجزة باقية بذاتها باقية باعجازها لا تخلق جدتها ولا تبلى
صفحتها ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، كتاب حكيم لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، أنزله جل شأنه على نبيه تأييدا له وتمجيذا
لقومه وتعهدا بحفظه فقال جل من قائل (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

ولقد كانت الامة العربية التي بعث صلى الله عليه وسلم من بينها أعظم الامم
بلاغة وأشدهم لسانا وافصحهم مقالا وأعرفهم بأساليب الكلام ورفعة شأنه وما خلفك

بأمة تجعل أهم مقاصدها في مؤتمراتها ومعارضها ومواسمها السنوية نقد الكلام وتهذيبه وانتقاء أجوده ، فيه يفخر المعتز وفيه يتنافس المتنافسون فلا غرو ان جاءت معجزته مما يخرس البلقاء ويمجز الفصحاء ويقول قائلهم فيها وكان من أشد المعاندين له : والله أن له لطلاوة وان عليه لطلاوة وما هو من كلام البشر ، ويتحداهم أن يأتوا بمثله فلا يقدرّون ، فيتحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فيخسّون ، فيتحداهم أن يأتوا بسورة فيهتدون فبأى حديث بعده يؤمنون .

ولعلك تقول ان الشريعة على ما ذكرت دائمة وعامة للناس أجمعين ، ولا يقبل الله دينا غيرها من أى انسان ، وان الغرض من المعجزة الباقية اخراج التمسك بها عن أن يكون مقلدا لغيره ولكن الاعجاز البلاغى لا يدركه الا أهل البلاغة فهل يكون غيرهم مقلدا لهم وماذا فعلنا اذا ؟

فنقول أولا : معلوم أن الشئ متى أعجز صاحب الفن البارع فيه فقد أعجز غيره بالاولى ، فقامت الحاجة على الجميع وثانيا : كان يصح منك هذا القول لو كان اعجازه محصورا في بلاغته أما ووجوه اعجازه لانتف عند حد فلا يتجه هذا القول فكن أى رجل شئت تجد أمامك من وجوه اعجاز القرآن ما يهرك بل يلاّ صدرك حكمة وإيمانا ، فكن من رجال القانون وانظر الى الامم التى تضع قوانينها بنفسها لنفسها تجدها أولا تختار فئة من أئمتها درسوا القوانين السابقة وعرفوا حالة أمتهم التى يخالطونها وفهموا مواضع الحاجة منها ، فيضعون مشروعا يفرغون فيه جهدهم متعاونين متساندين ثم يبرزونه لفئة أخرى تهذيبه ثم أخرى تنقده وهكذا تسلمه فئة الى فئة حتى يخرج وهو عصارة افكار قوم هم صقوة أمتهم ، فيعتمدونه قانونا لهم فكم يملك ؟ هل ترى قانونا يمضى عليه عشر سنين الا دب اليه سوس التغيير والتبديل ، وها انت ذا ترى قانونا جاء به فرد واحد لم يدرس قوانين أمة أخرى ، فقد كان أميا نشأ بين أميين منقطعين عن سائر الامم ، فجاء هذا القانون صالحا لكل أمة في كل زمان وكل مكان وكل طور من أطوار الحضارة والبداءة ، كما يعرفه من

قرأ هذا الموضوع في مجلة نور الاسلام لفضيلة رئيس التحرير ولابن اسحق الشاطبي في كتاب الموافقات فاذا كنت من رجال القانون فما رأيك في هذا القانون ؟ ابقى عندك شك في أنه معجزة قانونية ؟

كن من رجال الطب وقرأ قوله تعالى (بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) وانظر لماذا اختار البنان من بين سائر أعضاء الانسان ؟ اذا كنت عالما بالتشريح فانت أقدر مني على بيان عظام الانامل وتقسيمها وعضلات الانامل ودقتها وسهولة انزلاقها وضبطها حتى يزاول بها صاحبها أدق الصناعات وأصعبها واعصاب الحس والحركة في الانامل وعظم شأنها بل في بشرتها وجلدها وما طابع الابهام منك بيميد .

لا بل كن رجلا عاميا لم يتناول من أنواع العلوم ما يلزمه نتائجها ، فاذا تقول يارعاك الله في رجل دعا قوما خصمين للحق فكذبوه فاقام لهم البرهان فبهتوه وما زالت الحجة تفرع الحجة حتى لم يبق الا مقارعة القوة بالقوة فظهره الله عليهم ، واخذوا يتلمسون اليه منفذا يصون منه الى غرض من أغراضهم ليظهروا عليه فلا يجدون ، بينما الامر كذلك اذا به يعطيهم فرصة للنيل منه باهون السبل واقربها لم يكونوا ليحطوبوها فيقفون مكتوفي الايدي مسلوبي القوى ويعرضون أنفسهم للقتل وأموالهم للنهب ونساءهم للسي ، ولا يجرون على أن يفتنوا فرصة قدمت لهم لقمة سائفة: ماهي هذه وكيف كان ذلك ؟ أريت قوله تعالى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الدِّينَ فَإِنَّ اللَّهَ يُخَالِصُ الَّذِينَ يُحِبُّونَ دِينَهُ وَاللَّهُ مُتَجَنِّبٌ عَنِ الضَّلَاطِ) يقول الله تعالى بعد هذا (وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ) بدأ بالمعجب قل لي بربك هل تصدق أن بشرا يخاطب مثله ويكون كلامه من عند نفسه ويرزعه أنه يحدث عن ربه ، يجروء على أن يقول لحصمه الذي يتمنى كبوته انا صادق في كل ما أقول واخبرك انك لا تستطيع أن تمنى الموت ولن يقول قائل منكم ليتني أموت فان قالها قائل لم اكن صادقا فيما أحدث عن ربي فيسمعونها وتمتثل السنهم فلا ينطق بها واحد منهم ولا بلسانه من غير أن يتمنى بقلبه ، وهل لو قالها أحد بلسانه كان يستطيع محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول انك انما تقول بلسانك ، فمن ذا كان يوافقه حينئذ ؟ وما الذي يقطع حجة خصمه اذا قال بل أقولها بقلبي ولساني وانا أدري بما في

قلبي ؟ وبعد فالحق أبلغ والسماء صاحبة ولكن بعض العيون بل بعض القلوب عمياء فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وان تعجب فمعجب قولهم بعد ماوضح الصبح لذى عينين (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم) تمسا لهم وسحقا. هلا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا الى صراطك المستقيم ، ولتقف بالقلم عند هذا الحد مكتفين في أمر الالهيات والنبوات بهذا القدر وبعد ذلك سيكون كلامنا في الاحكام العملية وما فيها من مسaire الفطرة السليمة ومظاهر الرحمة العامة وموعظنا العدد القادم ان شاء الله تعالى ،

ابراهيم الجبالي
مدرس بقسم التخصص

الطرف والملح

قال أبو المكارم بن عبد السلام مهتاً بمولودة :

هذا شبيب النبي بابنته صفورا، استأجر موسى كليم الله . وهذا سيد المرسلين أبقي الله بفاطمة ابنته نسله الى يوم الدين . وهذه أم الكتاب سميت الفاتحة وهي لا بواب مناجاة الرحمن فاتحة . وهذه مُحْكَمَات القرآن . بها ثبتت شرائع الايمان . وهذه سورة النساء سميت بهن وهي من الطوال . ولا سورة من القصار سميت بالرجال . على أن الدنيا بأسرها مؤنثة والملوك من خدماها . والشمس مؤنثة والضياء والبهاء من تمامها . والنفس تؤنث وبها فضل الناس . والحياة تؤنث وهي أساس الحواس . والعين تؤنث وبها يتوصل الى علم الحقائق . واليد تؤنث وهي المتصدية لتحخير الاشياء . والعضد تؤنث وبها استعانة سائر الأعضاء . والسماء تؤنث وهي تُرْجى الأمطار . والأرض تؤنث وهي مَجْمَعُ أطايب الثمار . والحنة تؤنث وبها وعد الأبرار الأخيار . والعين أعنى لذهب تؤنث وبها يُدْفَعُ الهلك . والقوس تؤنث وبها عر المُلْك .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السُّنَّةُ

صلة الرحم وغيرها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يدخل الجنة قاطعٌ ^(١) يَعْنِي قَاطَعَ رَحِمٍ .
الجنة هي دار الثواب العظيم الدائم . التي تفضل الله تعالى بها على الدين آموا به إيماناً
يرضاه . وأطاعوا أوامره واجتنبوا نواهيه .

ثم أن الناس بالنسبة إلى دخول الجنة أقسام ثلاثة .

قسم يدخلها بدون ساقطة عقاب ، وهؤلاء هم المؤمنون الأخيار السابقون .
وقسم يدخلها بعد أن يعاقب على ما جناه ، وهم المؤمنون الذين فرطوا في الواجبات
ولم يبالوا بارتكاب المحرمات ، فكان ذلك سبباً في تأخر دخولهم الجنة تأخراً مناسباً لمدة
عقابهم طويلاً وقصراً .

وقسم محروم من دخولها البتة ، وهم الذين لم يؤمنوا ولم يعملوا صالحاً

ومن القسم الثاني ، الذين يقطعون الأرحام .

أما الرحم ، فهي نوعان : عامة وخاصة .

فالعامة ، هي الرابطة الدينية الإسلامية التي تربط جميع أفراد المسلمين بعضهم
ببعض في جميع أقطار الأرض .

وهذه الرابطة هي النعمة التي أنعم الله تعالى بها على المسلمين حتى صاروا بها إخوة

كما قال سبحانه : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) وكما قال . (فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)

هذه الرحمُ العامة تجب صلّتها بالتواؤم والتناصح والعدل والانصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة والدفاع عنها في الغيب والشهادة جهْدَ الاستطاعة .

والخاصةُ هي القرابة التي تربط أفراد الأسرة بعضهم ببعض كالأبوة والبنوة والعمومة والخوالة .

وهذه الرحمُ الخاصةُ تجب صلّتها بما توصّلُ به الرحمُ العامةُ وتزيد عليها بالاتفاق على الأقارب ومزيد العناية بتفقد أحوالهم والتغافل عن زلاتهم .

وحكمة المعنى أنَّ صلة الرحم بنوعها تكون بإيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة والاستطاعة .

ثم أنه من المعلوم أنَّ الأمة الإسلامية هي مجموع الأسر الإسلامية المؤلفة من أفرادها ، فإذا تواصلت الأسرُ وتواصلت أفراد الأسر كذلك على الوجه الذي ينهك فيه ما سبق كانت الأمة الإسلامية أذكى أمة مسمة حقيقة قائمة بما أمر الله واقفة عند حدوده عزيزة الجانب مهيبة صلحة لأن يستخلفها الله تعالى في الأرض اهلاً لأن يُمكن لها دينها الذي ارتضاه لها ، ويحمل لها السلطان وينصرها على من يكيد لها ، فكانت خير أمة أخرجت للناس ما أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر .

من هذا الذي شرحناه لك . تتضح الحكمة الإلهية العادلة في معاقبة الذين يقطعون الأرحام ولا يؤدّون ما وجب عليهم من الحقوق لأشرتهم أو لأمتهم ، ولا يباليون بما يترتب على قطعها من الضرر العام أو الخاص العائد على الأمة أو الأسرة . والله يوفق من شاء لما يشاء .

ثم إن تفسير القطع بقطع الرحم ، إنما هو تفسير من راوى الحديث رضى الله عنه وهو تفسير صحيح في نفسه إلا أنه خاص . وذلك أنَّ معنى القطع كما يشمل قطع الأرحام كذلك يشمل قطع غيرها من سائر ما أمر الله عز وجل في كتابه أن يُوصَلَ -

وذلك قوله في شأن الفاسقين : (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)^(١)

ومن البين أن استحقاقهم للخسران إنما هو جرّ مأثمهم من دخول الجنة المعدّة للمتقين الواصلين ما أمر الله به أن يُوصَلَ على ما ستعرف .

وقوله أيضا في شأن أولئك الواصلين : (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) الى قوله سبحانه : (أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّرِ) . فإذا كان معنى القطع في الحديث الشريف عاما كما يقتضيه وَضْعُهُ اللَّغْوِيُّ وَعَدَمُ تَقْيِيدِهِ فِي الْحَدِيثِ وَعَمُومُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فَانْهَ يَحْذَرُ بِنَا أَنْ تُتْبَعَ مَا سَبَقَ مِنْ شَرْحِهِ بِكَلِمَاتٍ تَتِمُّ شَرْحَهُ تَوْفِيقَ اللَّهِ تَعَالَى ، فنقول :

ان المعنى الوصفي للقطع وعدم تقييده في الحديث والعموم الذي في الآية . كل ذلك يدل دلالة قربة على أن ما أمر الله به أن يوصل . يشمل كل قطع لا يَرْضَى اللَّهُ سبحانه وتعالى به . كقطع الرحم وترك موالاة المؤمنين . وكالتفرقة بين الأنبياء عليهم السلام والتفرقة بين الكتب السماوية في التصديق . وكترك الجماعات الواجبة وسائر ما فيه رفض خير أو تعاطي شر . فانه يقطع ما بين الله تعالى والعبد من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل^(٢) .

فاذا كانت الوصلة بين الله عز وجل والعبد هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل وكان من المعلوم أيضا أن العبد لا ينالها الا بالوسائل التي يبتغيها الله تعالى وحث عليها أمكن أن يقال :^(٣) ان مما أمر الله جل ذكره أن يُوصَلَ العقول والمدارك والمشاعر والحواس وسائر ما أنعم الله سبحانه به على الاسان من المواهب التي هي وسائل العلم والمعرفة .

(١) شرح الحديث وتفسير الآية الكريمة للإمام ابن حزم وغيره .

(٢) تفسير أبو السعود

(٣) شرح الحديث وتفسير لاية الكريمة .

والذى تُوصَلُ به هذه الأشياءُ أمران : كَوْنِي خَلْقِي فَطَرِي وهو السُّنُّ الكونية والنَّظْمُ الألهي والآياتُ والدلائلُ التى نَصَبَهَا سبحانه فى الأَنفس والآفاق ، وثانيهما دينى شرعى وهو ما أَوْحاه الله تعالى الى رسله وأمرهم بقبليغه لعباده .
وأما وَصْلُهَا بما ذكر فهو استعمالُها فيه بالنظر والتفكر والبحث والاعتبار والتجربة والاختبار .

وأما قَطْعُهَا عنه فهو اهمالُها وتعطيلُها وعدم استعمالها فيه .
فإذا ما استعملتْ على هذا الوجه الذى ذكرناه فإِها تكون قد وَصَلَتْ الأدلة بالمدلول عليه ، وترتبت النتائجُ على مقدّماتها المسلسلة ، وأدَّتْ الأسبابُ الى مسبباتها وعُرِفَت المنافعُ فى الأحكام العقلية والشرعية بحسب غاياتها ، والمضارُّ بقبح نهاياتها واستحق الواصلون لها عند الله تعالى أن يُحَسِّنَ جزاءهم وأن يَتِيَهُمْ بدخولهم الجنة التى أعدَّها للمتقين الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل فكانوا من الذين يعرفون نعمة الله عليهم ثم يشكرونها باستعمالهم لها فيما خلقتْ لأجله .
أما إذا عَطَلْتُ وأهملتْ فإن ذلك يكون قطعاً لها عما وجب وصلُّها به ، واستحق القاطعون لها ما أعدّه الله الحُكْمُ العدلُ لهم من الحرمان من دخول الجنة جرماً ما خالداً أو غير خالداً .

من هذا تعلم أن القاطع لما أمر الله به أن يوصل حُلم يشمل قاطعَ الرحم وغيره .
فإن كلاً منهما قد قطعَ الدليلين ، العقلى والشرعى أن يُقْضَى الى ما دلَّاهُ عليه من وجوب تحقيق صلة الرحم وغيرها ، فكان كلُّ من الدليلين بسبب هذا القطع عقيماً لا نتيجة له ولا أثر .

فدعرتَ بما أسلفناه لك ما ذلك الذى أمرَ الله تعالى به أن يُوصَلَ ؟ فاعلم أنه هو الذى ذكره الله جل ثناؤه فى قوله (أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ؟) نَعَى ، قد جعل جِلَّتْ قدرته وحكمته للأُسان عَيْنَيْنِ يُنْصَرُ بهما فإذا

أَبْصَرَ فَأَنَّا يَبْصُرُ بِإِعْطَامِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِهِمَا ، وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ يَتَكَلَّمُ بِهِمَا ، فَهُوَ إِذَا تَكَلَّمَ فَأَنَّا يَتَكَلَّمُ بِمَا تَفْضِلُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ بِهِ ، وَهَذَا مِنْهُ تَذَكُّيرٌ لِلْإِنْسَانِ بِنِعْمَةِ الْخَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ وَتَمَامُهَا فِي آيَاتٍ أُخْرَى .

ثُمَّ ذَكَرَهُ بِنَمٍ أُخْرَى بَاطِنَةً أَوْدَعَهَا فِي فِطْرَتِهِ ، وَهِيَ الْعَقْلُ وَالْإِدْرَاكُ وَسَائِرُ الْمَشَاعِرِ وَالْوَجْدَانِيَّاتِ لِبَسْتَعْمَلِهَا وَيَصِيهَا بِمَا جُعِلَتْ لَهُ ، وَيُمَيِّزُ بِهِمَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالنَّفْعِ وَالضَّرِّ لِصَلَاحِ أَحْوَالِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ . وَلَكِنْ فَرِيقًا مِنْ النَّاسِ حَسُنَ اخْتِيَارُهُمْ فَسَلَكُوا لِلْخَيْرِ سَبِيلَهُ وَشَكَرُوا نِعْمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَاسْتَعْمَلُوا فِيهَا خُلِقَتْ لَهُ (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ) وَفَرِيقًا حَقَّتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ وَقَبِيحِ تَصَرُّفِهِمْ فِي مُوَاجَهَةِ الْمَوَاضِعِ فَسَلَكُوا لِلشَّرِّ سَبِيلَهُ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا مِنْ سِوَا السَّبِيلِ .

وَذَلِكَ كُلُّهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَهَذَيْنَا السَّبِيلَيْنِ) أَيَّ عَرَفْنَاهُ طَرِيقِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ بِمَا رَكَّبْنَاهُ فِي تَكْوِينِهِ مِنْ آلَاتِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِيهَا سَلَفٌ حَتَّى صَارَ كُلُّ مَنْ مِنَ الطَّرِيقَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ ظَاهِرًا جَلِيلًا وَاضِحًا لِمَنْ أَرَادَ سَلُوكَهُ لَا يَحْتَاجُ بِمَدِّ هِدَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا إِلَى مُجَاهَدَةِ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ وَصَبْرِهِ عَلَى مُوَاصَلَةِ السَّيْرِ فِي طَرِيقِ الْخَيْرِ ، وَعَلَى مُدَاوِمَةِ الْإِبْتِعَادِ عَنْ طَرِيقِ الشَّرِّ فَصَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الطَّرِيقَيْنِ بِمَدِّ هِدَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى كَالْتَجِدِ الَّذِي هُوَ الطَّرِيقُ الْمُرْتَفِعُ الشَّائِخِ لَا يَخْفَى عَلَى الْأَبْصَارِ .

فَبَعْدَ تَذَكُّيرِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْإِنْسَانَ بِهَذِهِ الْهِدَايَةِ يَكُونُ (مَنْ اهْتَدَى فَلِنَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَلِنَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) (وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا) .

من مضمرة

وكيل دار المعلوم سابقا

للادب والتاريخ

أتيت لنا مجلتكم الرشيدة الهادية « نور الاسلام » فإذا هي قرعة عين للعلم والدين :
يبد أنى وقفت فيما انطوت عليه من « الطرف والملح » على كلمة معرفة . حسبتهافى
بادئة الأمر مما طنى به التحريف المطبى . فلما عدت الى بيان الأخطاء . لم أجدها فى
جلته . هنالك عمت أنها من عمل السهو . وقد أفسد بها المعنى كله . والعصمة لله وحده .

أما الكلمة فهي تحت عنوان « طرف وملح » فى الصحيفة التى رقبها « ٧٧ »
قال الجاحظ : ان عمرو بن سعيد دخل بعد موت أبيه على سيدنا معاوية رضى الله
عنه . وعمر ويومئذ غلام . فقال له سيدنا معاوية : الى من أوصى بك أبوك يا عمرو ؟؟؟ .
قال : ان أبى أوصى إلى . ولم يوصى بي . قال : وبأى شىء أوصاك ؟؟ : قال : أوصانى الآ
يفقد اخوانه منه الاشخصه : قال سيدنا معاوية لأصحابه : ان ابن سعيد هذا لأشرف ؟؟؟ .
الأشرف بالذال والقاف — لا الأشرف — لقب عمرو بن سعيد بن العاص الأشرف
الأموى . أحد رجال الدولة الأموية . وناب من أنياب قريش . وكان يدعى كذلك
« لطيم الشيطان » قتله ابن عمه عبد الملك بن مروان . فصفت له الخلافة بعده :
أما الأشرف . فهو واسع الشدين والقم . الفصيح اللسن . وسعة الفم عندهم من
سماة الفصاحة والبيان : وقد كان عمرو بن سعيد هذا أشرف فصيحاً :

يقول معاوية :

ان ابن سعيد هذا لأشرف . يريد أنه فصيح لسن . لما راعه منه من حلاوة لسانه .
وقوة جدله :

أما الأشرف . فالأشرف له مغزى أليس كذلك ؟؟ : حسن القايى

« نور الاسلام »

تشكر فصيلة الاستاد الادب على هذا التفد العبد ، والمجلة تتلقى كل نقد ادبى أو علمى ىرد عليها
فى حسن قصد ، وتشره بلوتياح وشكر

اصُولُ الْفِقْهِ

الشریعة الاسلامیة، صالحة لكل زمان ومكان

الأصول النظرية الشرعية

لم یختلف المسلمون فی أن الشریعة الاسلامیة نزلت لتقریر أحكام لوقائع ، فلا واقعة إلا لها حکم مدلول علیه بالنص أو بأصل من الأصول المستمدة من النصوص
أما الأحكام المستفادة من النصوص ، فهي الأحكام المأخوذة من الكتاب والسنة
كتحریم المیسر ، ومنع القاضی من أن یقضی وهو غضبان ، وجواز الشفعة للشریک
وقد أریاک بوجه عام أن کل ما قرره الشارع من أحكام مفصلة هو دائر بین حفظ المصالح
ودرء المفاسد . وستتناول المجلة بإذن الله تعالى القول فی هذه الأحكام بتفصیل كما اقتضى
المقام بیانها .

وأما الأحكام المدلول علیها بأصول عامة فیستبین أمرها بالنظر فی هذه الأصول
وهو ما أزمعنا البحت عنه منذ الآن . وسترى من هذه الأصول کیف تسر للشریعة
أن لا تدع واقعة من غیر حکم ، وکیف تتحرى بالأمة أرشد طرق المدنیة وأعدل نظم
القضاء ، واحتواء الشریعة على أصول عامة ، وتناول الأصول لما لا یتناهی من الوقائع
مما یزیدنا تقفها فی قوله علیه الصلاة والسلام « بعثت بجموع الکلم » ویضع فی أیدینا
معجزة ما زال کثیر من الناس عنها فی غطاء ، وهى شریعة سمحة حکیمة تتناول کل
ما یمکن تصوره من الحوادث على تباعد المواطن واختلاف الأحوال . وما جاءت على هذا
النحو الا لأن رسالة المبعوث بها عامة كما قال الله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا)

ونحن نعلم أن الألفاظ وضعت للدلالة على ما في النفس فتى أى التكلم بلفظ شأنه أن يدل على ما في نفسه ويستبين منه المخاطبون قصده وقف عنده سواء كانت دلالة بالمنطوق أو المفهوم أو بمقتضى المعنى أو بقرينة حال أو عادة مطردة . ويمكن فى الخطاب الموجه الى الناس كافة أن يفهمه القوم المستنيرون منهم ، وهم الذين يبلغون سائر الطبقات ما فيه من أحكام وحكمة . وإذا كان هذا شأن التكلم بلغة العرب بل شأن المتكلمين بالسنة غيرها فيما يظهر ، فمن حكمة الشريعة العامة الخالصة أن تسلك فى ارشادها وفيما تسنه من أحكام لا تنقصى وقائلها .

والأصول التى نريد البحث عنها فى هذا المقام هى القياس ، والاستصحاب ، ومرعاة العرف ، وسد الدرائع ، والمصالح المرسله ، والاستحسان .

﴿ القياس ﴾

حقق علماء الاسلام أن لكل حكم شرعى حكمة تلائم شرعه ، ومرجع الحكمة الى رعاية المصالح والمفاسد ، وقد قرر المحققون كأبى اسحاق الشاطبى وغيره أن أحكامه تعالى معاملة بمصالح العباد ، وهذا معروف باستقراء موارد الشريعة كقوله تعالى (وَأَلَكُمْ فِي الثَّمَنَاتِ حَيَاةً يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) وقوله تعالى (فَلَمَّا قَضَى زَيْنُودٌ مِنْهَا وَطَرَّ زَوْجُنَا كَهَآ لِكُنَى لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَرْوَاحٍ أُذْعِيَاءٍ) إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا) وقوله صلى الله عليه وسلم فى وجه طهارة الهرة (أنها من الطوافين عليكم والطوافات) وقوله فى وجه منع بيع الثمرة قبل بدو صلاحها (رأيت إذا منع الله الثمرة بيم يأخذ أحدكم مال أخيه) .

وإذا كانت الأحكام المنصوص عليها قائمة على رعاية المصالح ، فإذا قرر الشارع للواقعة حكما ونبه فى لآية أو الحديث على وجه المصلحة المناسبة لتقريره ، أو كان ذلك الوجه طاهرا طهورا لا تحوم عليه شبهة ، صح للمجتهد أن يعتمد الى كل واقعة تحقق فيها ذلك الوجه من المصلحة ويسوى بينها وبين الواقعة المنصوص عليها فيما علقه عليها الشارع من حكم ، وذلك ما نسميه بالقياس .

فالقياس أن يعتمد المجتهد الى حكم أمر معلوم فيثبت له أمر آخر لا اشتراك الأمرين فى

علة الحكم . ومثال هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا يتناجى اثنان دون واحد) وعلة هذا النهي أن الاثنين اذا تناجيا دون رفيقهما قد يقع في نفسه أن حديثهما في شأنه ويحدث له من الظنون ما يكدر صفو الأخاء بينهم . وللمقيد متى اطمان الى هذه العلة أن يقرر حرمة محادثة اثنين بلسان لا يعرفه الثالث متى كانا يحسان لسانا يعرفه رفيقهما . لأن علة النهي متحققة في هذه الصورة تحققها في المناجاة .

فأى عالم يتلو قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّىٰ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ) ولا يهم أن علة الأمر بترك البيع عند النداء للصلاة كونه شاغلا عن أدائها ، وهذه العلة موجودة في غير البيع نحو الاجارة بلا فارق ، فيصح إلحاقها بالبيع في منعه عند النداء لصلاة الجمعة .

وأى عالم يسمع قوله عليه الصلاة والسلام (لا يبيع بمضكم على بيع بعض) ولا يفهم أن علة النهي ما يحدثه هذا البيع من التقاطع والعداء ، ثم ينتقل بوسيلة العلة الى حرمة استنجاره على اجارته .

وانما جعلنا القياس في صدر البحث من نوع دلالة اللفظ بالمقول لان اللفظ اذا دل بمقتضى وضعه على حكم واقعة وعرفت علة الحكم ، فان العقل متى وجد هذه العلة متحققة في واقعة أخرى ، أدرك أن حكمها حكم الأولى نظرا الى أن الشارع يسوى بين الواقعتين حيث اشتركتا في الوصف المؤثر في الحكم وتماثلتا فيه من كل وجه .

فالقياس أصل من أصول الشريعة وبه اتسع نطاقها ، وصارت تتناول من الوقائع ما لا يتناهى . قال الإمام احمد بن حنبل : لا يستغنى احد عن القياس . وقال ابراهيم النخعي : ما كل شيء ، نُسأل عنه نحفظه ، ولكننا نعرف الشيء بالشيء ونقيس الشيء بالشيء . وقال الشعبي : انا تأخذ في زكاة البقر فيما زاد على الأربعين بالمقاييس . وقال المزني . الفقهاء من عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومنا استعملوا المقاييس في الفقه في جميع الأحكام في أمر دينهم . قال : واجمعوا ان نظير الحق حق ونظير الباطل باطل ، وقال ابن عقيل الحنبلي : قد بلغ التواتر المعنوي عن الصحابة باستعمال القياس وهو

قطعي ، وحقق ابو اسحاق الشاطبي ان اصل العادات ^(١) الالتفات الى المعنى اى انها معقولة الحكمة ، واستدل على هذا بأمرين « أحدهما » الاستقراء فقال : انا وجدنا الشارع قاصدا المصالح العباد ، والأحكام العادية تدور معها حيثما دارت ، فترى الشئ الواحد يمنع في حال لا تكون فيه مصلحة ، فاذا كانت فيه مصلحة جاز « ثانيها » ان الشارع توسع في بيان العلة والحكم في تشريع باب العادات ، واكثر ما علل بالمناسب الذي اذا عرض على العقول تلقته بالقبول ، ثم قال : ففهمنا من ذلك ان الشارع قصد منها اتباع المعاني لا الوقوف على النصوص .

جرى العمل بالقياس لمهد الصحابة رضى الله عنهم ، ثم التابعين ، وطهر العمل عليه في العراق لمهد الامام أبي حنيفة وأصحابه أكثر من ظهوره في الحجاز فاستكثروا منه وبرعوا فيه ، وما زال الناس يأخذون بالقياس إذا لم يجدوا في الواقعة نصا حتى جاء ابراهيم ان سيار النظام المتوفى سنة ٢٢١ فحدث نقول بانكار القياس زاعما الاستغناء عنه بالنظر الى ما يدعون من وصف الفعل بالحسن أو القبح الباطنين . قال أبو القاسم عبيد بن عمر في كتاب القياس : ما علمت أن أحدا من البصريين ولا غيرهم ممن له نباهة سبق ابراهيم ان سيار النظام الى القول بنفي القياس والاجتهاد ، ولم يلتفت اليه الجمهور ، ومن خالفه في ذلك فريق من رعماء المعتزلة كأبي الهذيل وبشر بن المتتمر وبشر المريسي .

وظهر بعد هذا داود بن علي الأصبهاني المتوفى سنة ٢٧٠ ونشأ بظهوره مذهب الظاهرية وروى عنه أنه كان ينكر القياس الا أن يكون جليا وهو ما يكون المقيس فيه أولى بالحكم من المقيس عليه كتحریم ضرب الوالدين قياسا على التأنيف الثابتة حرمة في قوله تعالى (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ) أو مساو يا كفرة اتلاف مال اليتيم باللبس قياسا على أكله الثابتة حرمة بقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِغْيَا يَأْكُلُونَ) في بَطُونِهِمْ نَارًا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ سَمِيرًا) وهذان النوعان يسميهما الاصوليون مفهوم الموافقة . وأجاز بمضمم القياس الذي وقع النص على علة خاصة ونكروا ما كانت علة مستنبطة . وجاء بعد هؤلاء أبو محمد علي بن حرم الاندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ فوقف في جمود

وأسكر أن تكون أحكام الشريعة معلة، وبني على هذا الرأي الجامد انكار القياس جملة ولم يهرق بير جلي وخفي، وبين ما كانت علة منصوصة وما كانت علة مستنبطة قال في كتابه الاحكام: ذهب أهل الظاهر الى ابطال القياس جملة وهو الذي يدين الله به والقول بالعلل باطل، وقال لا يشرع الله شياً من الأحكام لملة أصلاً، فإذا نص الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم على أن أمر كذا لسبب كذا أو من أجل كذا أو لأنه كان كذا فنسدى أنه جعل ذلك سبباً للشيء في ذلك الموضع خاصة، ولا توجب تلك الأسباب شيئاً من تلك الأحكام في غير تلك المواضع البتة، وأغلظ القول على القائلين بالقياس وحمل عليهم جملة جافية، والنظر في الشريعة بتدبر، القائم على سير الأئمة المجتهدين يقطعة يدرك أن ابن حزم سار في غير سبيل واعتمد على غير دليل.

تحدث أبو بكر بن العربي في كتاب المارسة عن طائفة الظاهرية وقال: وغرهم رجل كان عدنا يقال له ابن حزم، انتدب لأبطال النظر وسد سبيل العبر، ونسب نفسه الى الظاهر اقتداء بدلاود واشياعه، واعتمد الرد على الحق نظماً ونثراً، ثم أورد القاصي أبو بكر آياتاً في الرد عليه ومما يقول في الآيات

ان الظواهر معدود مواقعها	فكيف تحصى بيان الحكم في البشر
فالظاهرية في بطلان قولهم	كالباطنية غير الفرق في الصور
كلاهما هادم للدين من جهة	والمقطع المدل موقوف على النظر
هذي الصحابة تستمرى خواطرها	ولا تخاف عليها غرّة الخطر
وتعمل الرأي مضبوطاً مأخذه	وتخرج الحق محفوظاً من الأثر

بالغ ابن حزم في انكار القياس وجعوده ان تكون أحكام الشريعة معلة، وادعى أن نصوص الشريعة وافية بكل ما يحتاج اليه من أحكام، وقد خرج بهذه النزعة عن طريقة السلف، ولم يرتضها منه المحققون من الخلف، وجمهور أهل العلم يمسكون بأصل القياس وان كانوا يختلفون في بعض ضروبه، وهؤلاء اختلفوا في تقدير الأحكام المستفادة من النصوص، فمنهم من يراها قليلة بالنسبة لما يؤخذ من طريق الأقيسة، حتى قال إمام الحرمين: ان النصوص لا تفي بمشعر معشار الشريعة، وسائر ما خرد من طريق القياس،

وقال قوم منهم ابن تيمية : ان النصوص وافية بمعظم أحكام العباد ، والبقية مشروعة على طريق القياس .

وقد يكون اختلافهم في هذا التقدير راجعاً الى اختلافهم في فهم النصوص وفيما تتناول من معان ، فبعضهم لا يتعدى في تفسير اللفظ صورة واحدة ، وغيره يذهب في تأويله الى معنى واسع ويحمله شاملاً لصور شتى ، والخمر المحرمة بالكتاب مثلاً - يحملها بعضهم على عصير العنب خاصة ، وعليه ما لا يكون من عصير العنب من المسكرات يرجع في حرمة الى دليل آخر كالقياس . ويذهب آخرون الى أن الخمر في القرآن يتناول كل مسكر واستدلوا على هذا بحديث مسلم (كل مسكر خمر) فلم من الحديث أن لفظ الخمر لم يكن عديم مخصوصاً بعصير العنب . فيكون المسكر من غير عصير العنب محرماً بنص الآية سواء أكان الحديث ميئناً لمعنى الخمر لمة . أم ميئناً له على مقتضى عرف الشارع . فإن الشارع يتصرف في اللمة . ومن تصرفاته فيها أن يستعمل اللفظ فيما هو أهم من معناه كما يستعمله فيما هو أخص منه .

ونحن لا ننكر ان من أنصار القياس من أوردوا في الاستدلال على صحته ما يقصر عن ان يفيد عما او يكسب طناً ، كما ان منكري القياس ساءوا آيات وأثاراً تفسفوا في حملها أدلة على بطلانه ، وانما يقصد بتلك الآيات والآثار الآراء التي لا تستند الى علم . والاقيسة التي تنكح . على غير أصل كقياس الذين قالوا : (إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّمَاءِ) وما القياس بمعنى الحكم على الشيء ، بحكم نظيره الموافق له في المعنى المقتضى للحكم بدون فارق فذلك ما لا يختلف أولو الأبواب في صحته . قال ابن قيم الحوزية . وهل يستريب عاقل في ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال (لا يقضى القاضى بين اثنين وهو غضبان) انما كان ذلك لأن الغضب يشوش عليه قلبه ودهنه ويمتعه من كمال الفهم . ويحول بينه وبين انعام النظر . ويؤمى عليه طريق العلم والقصد . فن قصر النهي على الغضب وحده دون اهم المزيج . والخوف المقلق ، والجوع ، والظما الشديد ، وشغل القلب بالمنازع من الفهم . فقد قل فقهه وفهمه .

فالقياس أصل في الشريعة أصيل ، واذا تعرض له هر بقول غير راجحة او بقلوب

غير عامرة بالتقوى ، فابتغوه وسيلة الى أحكام تنبأ منها الشريعة ، فقد بُليت النصوص - وهي حقائق كالصبح اذا سفر - بامثال هؤلاء ، فخرجوا بها عن مقتضى الحكمة والبلاغة ، وجاؤا في تأويلها بما يشاكل عقولهم ويرضى شهواتهم .

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه « ولا يكون لأحد أن يقبس حتى يكون عالماً بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف وإجماع الناس واختلافهم ، ولسان العرب ، ويكون صحيح العقل حتى يفرق بين المشتبه ولا يجعل بالقول ، ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه ، لأن له في ذلك تنبيها على غفلة ربما كانت منه ، أو تنبيها على فضل ما اعتقد من الصواب »
يتبع محمد الخضر حسين

الطرف والملح

ما ينشر تحت هذا العنوان هو من مختارات مصيلة الأستاذ الشيخ حسن منصور

قال الشيخ أحمد بن علي الرفاعي صاحب الطريقة الصوفية المشهورة :
تعلق الناس اليوم بأهل الحرف والكيمياء والوحدانية (والشطح) والدعوى العريضة -
اياك ومقارنة مثل هؤلاء الناس ، فانهم يقودون من اتبعمهم الى النار وغضب الجبار ،
ويدخلون في دين الله ما ليس منه ، وهم من جلدتنا ^(١) - اذا رأيتهم حسبته سادات
الدعاة الى الله تعالى . حسبك ^(٢) الله ؟ اذا رأيت أحدا منهم قفل : (يَأْلَيْتَ يَلْنِي وَيَنْتَكَ
بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ) .

وقال الشاعر الحكيم

أَلَا أَيُّهَا الْمُسْتَطَرِفُ ^(٣) الذنب جَاهِدَا	هو الله لَا تَحْنِ عَلَيْهِ السَّرَائِرُ
فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَعْرِفْهُ حِينَ عَصَيْتَهُ	فَإِنَّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ اللَّهَ كَافِرٌ
وَإِنْ كُنْتَ عَنْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ بِهِ	عَصَيْتَ فَأَنْتَ الْمُسْتَهِينُ الْمَجَاهِرُ
فَأَيُّ حَالِكَ اعْتَقَدْتَ فَإِنَّهُ	عَلِمَ بِمَا تُطَوِّرُ عَلَيْهِ الضَّمَائِرُ

(١) من طائفة الصابغ

(٢) دعاء لك بأن الله تعالى كافك قفر يرههم والناس

(٣) المستعص

ليست مستشفيات ولا مدارس

ولكنها معاهد تبشير



قرأت ماكتبه المربي الفاضل الحسيني بك رخا في مجلة نور الاسلام نقلا عن مجلة العالم الاسلامي التي يحررها القس (زويمر) ذلك المبشر المتعصب الذي لا يوجد في مصر من يجهله. ولقد أسدى المترجم الكريم خدمة جليلة الى اخوانه المسلمين بهذا المقال الذي أفاضل اللثام عما ينويه المبشرون ازاء الدين الحنيف . وهأنذا أقفوا أثره بهذه الكلمة لعل من ورائها تبصرة للجاهل ، وذكرى للغالل : -

يتذرع المبشرون لنفث سمومهم القاتنة في الصدور بمدة ذرائع أشدها خطرا وأقواها أثرا المستشفيات والمدارس التي غمروا بها الشرق الاسلامي من أقصاء الى أقصاء مستغلين في ذلك حاجة الناس الى الاستشفاء والتعلم ومستعينين بماغلكه جمعياتهم من أموال دثر تمكنهم من بناء أضخم المستشفيات وأضخم المدارس مجهزة بما يبهز الأبواب ويثني اليه أئنة الأحداق من عدة وعتاد وقد نجحوا في ذلك نجاحا باهرا (والفضل ماشهدت به الاعداء) فأصبحت مستشفياتهم ومدارسهم قبلة المسلمين غوج بهم موجا من مرضى ومتعلمين وانفسح أمامهم مجال التبشير فصالوا فيه وجالوا والمسلمون في غفلة ساهون وعن أمر دينهم لاهون. نعم لايطمع المبشرون في تصيرهم بالفعل لأن الاسلام دين الفطرة ولكن حسبهم أن يشككوكهم في دينهم أو يخرجوهم الى دائرة الاتحاد وهم في كل حال الراجحون وسأكشف في مقالى هذا الستار عن أمور تجري داخل هذه الاماكن تضر ولا تنر أمور هي حقائق مرة واقعية حدثت تحت ظل المشاهدة والبيان ليس للخيال والتحويل منها نصيب :

هناك في مدينة أسيوط مستشفى أمريكي يدعى مستشفى (هنرى) له في هذه البقعة من الصعيد صيت ذائع وشهرة طائفة فترى المرضى الرقيقين يؤمونه من كل أوب وصوب لعقيدة وقرت في نفوسهم مصدرها الدعايات الخارة (من أن كل من

دخله لا بد أن يبرأ ولو كانت علته مزمنة وداؤه عضالا) كأن ملك الموت لا يعرف السبيل الى هذا المكان أو كأن من فيه علقوا من الحمام بذيام وحدث أن عرتني علة تحتم استوصاف الاطباء وكتب اذ ذاك أشارف الثالثة عشرة من عمرى فذهبت برفقة أبى الى هذا المستشفى وكيف تعدل عنه الى سواه ؟ وهو هو الذى نعلم الناس أخباره وتناقلوا آثاره . وكان أن قضيت بين جدرانہ خمسة عشر يوما لم أدر أكنث خلالها بين أطباء نطس ؟ أم بين رهبان وقسس ؟ وهل هذا مستشفى تشفى فيه العلل أو كنيسة تدرس فيها العقائد والنحل ؟ كان مرضى يقتصى عملية جراحية فإذ نعت على المشرحة ووضع المخدر على أنفى وأخذت في غشية الفيومة (والفكر مشرد والمقل طائر والموت يطالغنى من كل مكان) حى سمعت الطبيب يقيم بكلمات تنثال على مسمى في صورة دعاء يناهى العقيدة الاسلامية كل المنافاة . أقسم لقد ارتعش بدنى لهذه الكلمات واضطربت لها نفسى بين الجوانح وهمت أن أنطق بالشهادتين ردا عليها لولا أن النوم اعتقل لسانى فأنظر كيف يستغلون وجدان المريض في ساعة من أخرج ساعاته ساعة لا يدري أيصحو فيها من منامه أم يسلمه المنام الى الحمام ؟ ولو عقلوا لعلموا أن المسلم أصفى مايكون في هذه الحالة عفيفة وأرسخ ايمانا وأنها اللحظة التى يؤمن فيها الكافر ويتق الفاجر . أما ماشاهدته بعد ذلك فحوادث يعجز عن تصويرها القلم تحمل في ثناياها محاولات ثعلبية لضحك التكالى وتسرى عن الحزين . كتب أقيم في غرفة يرافقتى فيها أربعة أحدهم قعطى فكان يطرق غرفتنا كل يوم غير مرة قس لا يلبس اللباس الكهنوتى بل يرتدى حلة أفرنجية وهو رجل ثقیل الظل كربه المحضر تقرأ في أسرة وجهه أمارات الموج والتسرع وان صدقتنى فراستى فهو (كامل منصور) فقد سألت عنه فقل لى أنه كان مسلما فطاح بدينه برنق الذهب الوهاج وأصبح من أشد الناس على الاسلام . كان هذا القس كما أسلفت يلم بنا كثيرا فيصلى من أجلنا وينرق في توسلاته وإبتهالاته وكلها كما تعلم تقرير لأصول المسيحية فاذا فرغ مما هو فيه أخذ يخوض في الاديان فيناقح عن معتقده ويجرح غيره ولا أدري من كان يجاذب جبل الحصام ؟ وأمامه مرضى منهو كون لا يستطيعون الكلام. أضجرتنا

تلك الزيارات المتكررة المزدولة وبرمنا بهذه الطلعة المنحوسة تقطع علينا سلك الراحة
ونُقَضْ مضاجعنا وتزيدنا سقما وشاركتنا في ذلك زميلنا القبطى بل كان أشدنا
انكارا (ولانتس أنه أرثوذكسى العقيدة وصاحبنا يروتستنتى) حتى قال بصوت الخائف
(نحن ماجئنا هنا لتلقى الدين ولكن جئنا للتداوى) ولقد سرى نبأ هذا التألم والامتعاض
الى ذلك الضيف الثقيل فقلل من زياراته وخفف من مناقشاته. ولعل من المضحكات
أن أسوق اليك هذه النادرة لتعلم الى أى مهوى سحيق من التصليل والكذب يتحدر
بعض المبشرين . يظهر أن هذا القس كان يطعم كثيرا في افساد عقيدتى بنوع
خاص أغراه بذلك صغر سنى وتوهمه أننى خالى الوفاض من التعاليم الدينية مع أنى
اذ ذاك كنت أجيد حفظ القرآن الكريم وأعرف تفسير كثير من آيه متفقهها على
مذهب المالكية متشبها بالثمرة الدينية شأن نابتة القرى فانتبه فرصة مرودى به وهو
يحادث رجلا أمام باب الغرفة فقال بصوت أسمع ما أعلم هذا الرجل وأعقله (يعنى
شيخا كبير السن جليل القدر على مكانة من العلم جاء عندنا أخيرا مريضا بعرق النساء)
فقال له صاحبه وكيف عرفت ذلك قال انه يقول (ان المسيح صب حقيقه وأن
المسيحية خير دين) ! ففعلت في نفسى هذه الكلمات أفاعيلها فذهبت توا الى الشيخ
وقصصت عليه القصص بصوت خريد متهدج فهاج الشيخ وماج وأقسم بكل محرجه
من الأيمان أنه لورأى هذا القس مرة أخرى بعد ذلك ليحطمن عكازته على أم ناميته
وكان هذا القسم فصل الخطاب فلم يطالنا هذا الشبح البغيض في الغرفة من وقتها
وأظننا الهدوء والسكون ومما يجب التنويه اليه أنه كان لايمضى يوم حتى تزورنا طوائف
مختلفة يثرون علينا الورود والأزهار ويصلون أماما ويدعون بدعوات سداها ولحتها
التبشير، أما أيام الاتحاد فكان المستشفى يستجيب الى كنيسة بأوسع معانى هذه الكلمة
فيساق المرضى طوعا أو كرها على اختلاف مذهبهم ونحلهم وتباين أمراضهم وعلاهم
ولا يعنى من ذلك الا من قعد به المرض عن المشى الى مكان معد للصلاة بالطابق
العلوى فيجلسون على معاهد مصفوفة وتعطى لهم كتب تحوى رانيم ومزامير لافرق
بين قارىء وأى فيصلى بهم القس السالف الذكر وهم وقوف ثم يملأهم وهو مطرق

الرأس مسبل الطرف يتقطع أسى وحرقة لصلب المسيح وآلامه ويتقطع كلامه بإشارة إلى رجل من الحاضرين أفاهم أنت (يا عم محمد)؟ فيجيبه المخاطب بنعم وهل ينتظر غير ذلك من قروى ساذج يعد نفسه فريسة شراكمهم ويتوقع المكروه في مخالفتهم وإن نسيت لأنس المعزف (اليانو) تجس أوتاره بينان رخص غادة برزة رشيقة القد أسيلة الخد ساجية العينين رهوة الصوت فتستمع العيون والآذان بشجى الالخان وصوت مرنان وجمال فتان — فاقض العجب أيها الانسان — كان لهذا المشهد أثر في نفسى عميق فإني انفرط عقد الحضور حتى دلفت وراء (عم محمد) وأنكرت عليه ما سمعته منه فأجابني بأنه (لا يمتد ما يقوله الواعظ ولا يفقه شيئاً من كلامه وأنه مسلم وموحد بالله) فرجعت قرير العين مثلوج القواد . وبما لاحظته أنه معلق على الجدران فوق أسرة المرضى ألواح مكتوب فيها جل وعظية مثل (أمن بالرب يسوع تسلم) إلى غير ذلك مما يخالفها لفظاً ويطابقها معنى

هذه صورة لبعض ما رأيته بمعنى رأسى رستها للقارئ الكريم في مستشفى من تلك المستشفيات التي لا يحصيها العد وكلها لم تنشأ لدفع سقم ولاتخفيف ألم فقد كانت بلادهم بها أحق وإبناء جلدتهم أولى وإنما أقيمت لتفتن الناس في دينهم وتفسد عليهم عقائدهم فهل يتنبه المسلمون .

بقى أن أحدثك عن مدارسهم وبخاصة مدارس الأمريكان والفرير فهم أنكى فعلاً وأشد ضرراً إذ تبشر بالمسيحية علناً ولا تألوا جهداً في تنصير أبناء المسلمين بكل الوسائل الفعالة والحيل الممكنة ولهم في ذلك أفانين تشب عن طوق المردة والشياطين ومع ذلك لا يتورع الآباء أن يزجوا بأبنائهم في هذا الطريق الشائك المفضى إلى الجحيم كأن العقيدة الإسلامية لا تمدهم عندهم شيئاً مذكوراً فترى هؤلاء الصبية الإبرياء الذين ولدوا على الفطرة النقية ينشدهم المرسلون الأجانب تنشئة كاثوليكية أو بروتستنتية وغصنهم رطيب ورداء حدائهم قشيب فيشبهون معادين للإسلام ومن جهل شيئاً عاداه يحضر الطلبة المساكين دروس الدين بحجة أنها دروس أخلاق وأنوفهم راغمة فيتلقون أصول المسيحية ويلقنون عقائدها ويصلون في مفتاح الدراسة

صباحا مع المصلين فلا تمجب بعد هذا أن ترى هؤلاء التلاميذ يعرفون من تاريخ المسيح مالا يعرفون من تاريخ سيدنا محمد ويحفظون من آي الانجيل مالا يحفظون من آي القرآن ويدرون من تاريخ الحواريين مالا يدرون من تاريخ الخلفاء الراشدين وقد درجوا في هذه المدارس على أن يسندوا دراسة التاريخ الى أناس متمصين مغرضين يشوهون الحقائق ويقلبون الفضائل الاسلامية نقائص ورذائل ويصورون الرسول الكريم وصحبه الابرار في صورة السفاكين السلايين ويخلمون على المدنية العربية رداء الانحطاط والمهسية — وما أفة الأخبار الا رواتها . ولقد سألت مرة تلميذا مسلما في الفرير هل تتحنون في الديانة المسيحية فقال نعم ولهذا الامتحان أثره في النجاح والسقوط والتقدم والتأخر فقلت هل لك أن تعرض على غوذا من هذه الاسئلة فقال مثل . ما الذي ترتب على وقوع آدم في الخطيئة ؟ ولماذا رضى المسيح بالصليب ؟ ومن الذي يحرم من دخول ملكوت السموات ؟ وبأى قوة قلب المسيح على الموت وقام من قبره ؟ ولقد كان من تلاميذى في الناصرة من قضى مدة في هذه المدارس فكنت تراهم في دروس الديانة الاسلامية ينهلون بأسئلة تفصح عن جهل مطبق وتكشف عن حيرة واضحة وشك مرعب فيقولون أليس القرآن متقولا من أساطير الأولين ؟ وهل للنبي معجزات خارقة مثل معجزات موسى وعيسى ؟! ولماذا تزوج بكثير من النساء وهل يجوز لنبي أن يقاتل الناس ؟! الى غير ذلك من الاسئلة التى ينفضها في روعهم شياطين المبشرين والى يعرفون جوابها الصحيح كما يعرفون أبناءهم ولكنهم مكابرون معاندون ومن أغرب ما وقع لى أننى مرة كنت أدرس سيرة المسيح عليه السلام لتلاميذ السنة الأولى فماكدت ألفظ باسمه حتى ابتدرنى تلميذ صغير في سذاجة وبراعة (... مكيين . صلبوه . قتلوه . وضعوا على رأسه الشوك . دقوا في جسمه المسامير) فبغت لهذه الكلمات يلفظها تلميذ مسلم أبواه مسلمان ولم أبدا ازاء ذلك أن أقضى أسبوعا كاملا في دراسة سيرة المسيح على وجهها الاسلامى لأجث من نفس هذا الطفل واخوانه ماعلق بها من غراس التبشير والامثلة في ذلك كثيرة ومن بدع هذه المدارس التى يستهون بها قلوب الناس ويتغفلون بها المسلمين ما يقيسونه كل عام من الحفلات المدرسية الشائقة

التي يوزعون فيها الشهادات والجوائز على الناجحين والسابقين ليظهروا مدارسهم في صورة رائعة من التقدم وارقى وحتى في هذه الفترة لا يتسبون التبشير فيفتشون الحلقة بصلاة إتهال يسقط فيها كثير من الألفاظ التي تجرح عواطف المسلمين وهم الكثرة الساحقة في المدعوين وكان لهم عنها مندوحة لو أرادوا المجاملة ولكن كيف يجاملون فتضيع عليهم الفرصة السانحة للتبشير في هذه الجوع الزاخرة. ألا ان المسلمين غافلون.

على الجدى

المدرس بمدرسة الناصرية الأميرية

الطرف والملح

قال خَلَادُ الأَرْقَطُ : حدثني زميلُ عمرو بن عُبيد . قال : سمعته في الليلة التي مات فيها يقول : اللهم انك تعلم أنه لم يُعْرِضْ لى أمران قطُّ أحدهما لك فيه رضا والآخر لى فيه هَوَى الا قدّمتُ رسالك على هواى . فاغفر لى - ومراً أو جعفر المنصورُ على قبره بمرّان . وهو موضع على أميال من مكة على طريق البصرة . فقال :

صلى الأله عليك من متوسّد	قبرا مررتُ به على مرّات
قرا تصنّ مؤمنا متخشما	عبّد الأله ودان بالقرآن
فادا الرحال تنازعوا في شبهة	فَصَلَّ الخطابَ بحكمة وبيان
فلو آن هذا الدهر أتى مؤمنا	أتى لنا عمرا أبا عثمان

قال شاعر حكيم:

ادفعْ بصبرك حادث الايام	وترجّ لطف الواحد العلام
لا تياسن وان تضايق كربها	ورماك رب صروفها بسهام
فله تعالى بين ذلك فرجة	تحفّى على الابصار والأوهام
كم من نجيّة ^(١) بين أطراف القنا	وفريسة سلمت من الصرغام

الأخلاق والعادات

علاقة الاخلاق

بالشريعة الاسلامية والقانون الوصى

- ٢ -

(ج) أما المحافظة على العقل في الشريعة فبتحريم المسكرات لأنها تضر بمن يتناولها بنقص العقل - والشريعة كما ذكرنا تحمى الانسان من اضرار نفسه بنفسه - أما الفكر ففي المحافظة على العقل في القانون فليست لذات العقل ولا لأن المكر يضر بعقل من يتعاطاه ولكن لما ينشأ عن السكر من الاضرار بالغير فلم تعاقب عليه إلا مع العريضة في الطريق العام أو في المحال العامة حيث يظن أن ينشأ عنه ضرر للغير والشريعة الإسلامية راعت في أصل عقوبة السكران حماية العقل ودفع اضرار الإنسان نفسه ولاحظت في تقدير العقوبة ضرر الغير ومن أحل ذلك جعلت عقوبة السكر كمقومة القذف لأن السكر مظنة له وقد قال على كرم الله وجهه لما سئل في تقدير عقوبة الشارب: (أرى أنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افتري فعليه حد المفتري وهو ثمانون سوطاً).

وقد أثبت الطب الحديث وجميعيات منع المسكرات أن ضرر السكر لا يقتصر على العقل وحده بل يتعداه إلى اتلاف الأجسام وإفساد الأخلاق واصناف النسل وقد نشطت بعض الأمم المتمدنية إلى تحريمها كأمرىكة (الولايات المتحدة) وبعضها إلى عاربتها وتضييق الخناق عليها ووضع القيود من دون أنتشارها كأيطالية وألمانية وغيرها وإنا نمد هذا النشاط في تحريم الخمر أو مطاردتها انتصاراً للفكرة الإسلامية فيها - وبين فكرة الشرع وفكرة القانون هنا اتفاق في جنس الفكرة ووعها تقريباً واختلاف في طريقة المحافظة لاختلافهما في نص العقوبة.

(د) والمحافظة على المال في الشريعة بمعاقبة السارق وتحريم النصب والأمر بررد المنسوب قائماً وضمانه هالكا والأمر بإداء الأمانة وتحريم أكل أموال الناس بالباطل وتمويض الضرر المالي وحقوق الملكية والوصاية والقوامة على عديمي الأهلية إلى غير ذلك وهذه الأمور ونحوها منها ما هو من موضوع قانون العقوبات كالسرقة ومنها ما هو من موضوع القانون المدني والتجاري كالتمويض وحقوق الملكية ونحو ذلك - وقد اتفقت فيه الشريعة مع القانون في جنس الفكرة ونوعها - واختلفا في طريقة المحافظة لاختلاف النصوص فيها .

(هـ) والمحافظة على النسل في الشريعة الإسلامية بتشريع الزواج وتحريم الزنى والمخادعة ووجوب الاتفاق على الأبناء الفقراء وإثبات الأنساب وغير ذلك مما يرجع إلى حفظ النسل من أحكام اللقيط وغيره - والمحافظة على النسل في القانون بتشريع الزواج المدني والمحافظة على شروطه ورسمياته والتشريع الخاص باللجوء ومجئ الآباء والمنشردين من الأطفال - وقد اتفق مع الشريعة هنا في أصل الفكرة ونوعها دون طريقة المحافظة .

نحن بعد أن تبين لنا اتفاق الشريعة والقانون على وجوب المحافظة على هذه الضروريات نجد طائفة من الآداب والأخلاق تخدمها وتكون ساداً لها وعوناً على صيانتها - بل من المعتقدات الدينية نفسها ما يخدم هذه الضروريات - اليس الإيمان بالله واليوم الآخر والرضا بالقضاء والقدر مما يحمل النفس تطيب بالنارلة إذا رلت والجامحة إذا أملت فلا تضيق بها ذرعاً حتى تتلمس الخلاص من الحياة بالانتحار - فهذا مما يخدم المحافظة : على النفس ؟

أليس الصدق وطهارة النمة مما يمتد عليها القضاء في أيسال الحقوق إلى أربابها وهما لازمان لمثل القاضى واستقامة الشاهد - فهذا مما يخدم الضروريات الخمس لأن القضاء وصلة إلى الحقوق التى ترجع إلى جميعها - والقضاء يلجأ عند المعجز عن الأثبات إلى تحليف اليمين فيكل من يريد تحليفه إلى ضميره وذمته وخلقه فى النطق باليمين فان كان عف الضمير طاهر الخلق صدق بها أو نكل عنها وان كان مئىء الخلق استحل بها الحقوق كذبا وظلماً وكذلك قل عن اليمين المشروعة فى تحليف الشهود -

ولا نذهب بعيدا إذا قلنا ان القوانين الوصية تقضى على القاضى إذا لم يجد نصا فى القانون أن يحكم بقواعد العدل والانصاف وهى مستمدة من ضمير القاضى وذمتها أتى له بذمة طاهرة وضمير ورع ما لم يكن له من الآداب والأخلاق الحظ الوفير - بل أى قيمة للقضاء وما قدر القوانين إذا فشت رذيلة الكذب مثلا فى مجتمع حتى شملت القضاء والشهود والمتقاضين بل كيف تعرف الحقوق وكيف يستطيع أياها إلى أربابها؟

أليس الحياء مقلصا للنفوس عن الرذائل والمظالم وأن ليس ارتكاب الموبقات والجنايات ألا من حيث تخلت النفوس عن وجدانها وفارقها حياؤها؟

أليس الكذب مدعاة للزور وفساد الذمم أساس التفتيق وضياح الحقوق؟
أليس الحقد والضغينة بذر الجرائم والآثام المستنبت فى القلوب والأكباد؟
أليست النجاسة والسعى بالوقعة بين الناس من رسل الشيطان وعوامل الفتن والجرائم؟

أليست خطبة المرء على خطبة أخيه وسومه على سوم أخيه مما يبعث التذمر والخزارة فى النفوس - أليس كف الأذى وبذل المعروف وغض البصر عن المحرم وترك القسم على حديث الناس والاحسان فى المعاملة إلى غير ذلك من آداب الدين ومكملات الأخلاق صقلا للنفوس وتهذبا للطباع يعتمدان بها من الشرور والآثام؟

أليس ضبط النفس عند الغضب حاقنا للدماء مانعا من الاعتداء؟
أليست الخيلة والكبرياء مدعاة إلى السرف والتبذير فى سبيل المظاهر والمفاخر فضياح الأموال فالعقر فالأجرام؟

وقس على ما تقدم سائر آداب السلوك والأخلاق التى وردت الشريعة الفراء بالحث عليها فانها لا تخرج عن أن تكون حادمة لضروريات المجتمع - فمجبب أن يصمها القانونيون مع هذا بأنها من الآداب التى لا يحتاج القانون إلى تنظيمها فى حفظ كيان المجتمع وحمايته من الفوضى قال صاحب الموافقات : (ان كل حاجى أو تحسنى انما هو خادم للأصل الضرورى ومحسن لصورته الخاصة اما مقدمة له أو مقارنا أو تابعا وعلى كل تقدير فهو يدور بالخدمة حواله فهو أخرى أن يتأدى به الضرورى على أحسن حالاته) اهـ

ولا يخفى أن مكارم الأخلاق عند الأصوليين من المحسّنات أى الأمور المستحسنة فى الشرع والمراد من خدمتها للضروريات أنها تخدمها بالكل لا بالجزء فلا يتعين جزئ من هذه الكمالات الخلقية لخدمة الضروريات فى فرد معين من الأمة لأنه قد يتحلف عن خدمتها بالجزء فقد يأتى الاجرام أو مخالفة الضروريات من الأحكام الشرعية والقانونية ممن تحلى بمكارم الأخلاق وتهذب بمحامد الشيم مدفوعا الى هذه المخالفة بطرؤف شاذة وانما المراد أن ذبوع هذه المكارم والمحامد فى أمة يقل فيها من الجرائم ومخالفة النظام والقانون وأنها لازمة لكل مجتمع بطريق الكمية أيضا فلا يؤثر تحلى أفراد من الأمة عنها بل المؤثر فى هدم المجتمع واسلامه الى الفوضى حلو بمجموعه من آداب السلوك وصوافل الاخلاق اهـ

عبد الله صباىم

متخصص فى الشريعة الاسلامية

وعالم شرعى

الطرف والملح

قيل لسفيان بن عيينة : قد استنبطت من القرآن كل شىء فإى المروءة فيه ؟ فقال : فى قوله تعالى : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) . ففیه المروءة وحسنُ الأداب ومكارمُ الأخلاق فجمع فى قوله : خُذِ الْعَفْوَ . صلة القاطمين . والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين وغير ذلك من أخلاق المطيعين — ودخل فى قوله : وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ . صلة الأرحام . وتقوى الله فى الحلال والحرام . وغضُّ الأبصار . والاستعداد للدار القرار — ودخل فى قوله : وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ . الحضُّ على التخلق بالحلم . والأعراضُ عن أهل الظلم . والنزعة عن منازعة السفهاء . ومساواة الجُهلة والأغبياء . وغير ذلك من الأخلاق الحميدة . والأفعال الرشيدة .

السيرة النبوية

مولده صلى الله عليه وسلم

ونسبه الشريف

في العدد الأول من مجلة (نور الاسلام) قطفنا زهرة يانعة ، بل جنيينا ثمرة نافعة من
بستان الكمال البشرى ، والجمال الأنسانى ، والجلال النبوى .

تلك كانت النبذة المتملقة بهجرته صلى الله عليه وسلم من مكة المشرفة الى المدينة
المنورة ، اقتطفناها من سيرته صلى الله عليه وسلم لحافلة بأنواع الكمال ، وصنوف الفضائل ،
بل التى هى مظهر التجلى الالهى الأكمل على أفضل خلقه الذى اصطفاه هاديا ورسول
رحمة للعالمين .

والآن نردفها بكلمة فى المولد الشريف ، والنسب الطاهر ، آمليين أن تتدرج فى
ممارج هذا الافق الممتلىء بجيوم الهدى من أخلاقه صلى الله عليه وسلم وشئونه ، وأفعاله ،
وأقواله ، فنجلو لميون القارئ من سناها ما يضىء سبل السعادة والمجد .

وقد كان حقيقا بمن يتكلم فى السيرة النبوية أن يجرى مع ترتيبها فى الوجود ، فيبدأ
بأولها وهو النسب ، ثم المولد ، وهم جرا . ولكن لما صادف ظهور أول عدد من المجلة
فى أول شهر من السنة الهجرية ، وكان ذلك مدعاة للتكلم على الحادث الجليل الشأن الذى
اختاره المسلمون مبدأ لتاريخهم اذ كان مبدأ ظهور نور الاسلام واصحاحا جليا ، وتبوء الدين
الحنيف مكانا عليا ، وهو هجرته صلى الله عليه وسلم التى أعز الله بها الاسلام والمسلمين .
رأينا أن نبدأ مقالات السيرة النبوية بالهجرة الشريفة ، وليس معنى هذا أن الهجرة
كانت فى شهر المحرم ، بل قد كانت فى ربيع الأول ، كما كانت ولادته صلى الله عليه وسلم
و نتقاله الى الرفيق الأعلى فى ربيع الأول .

وانما جعل شهر المحرم تذكارا للهجرة النبوية لاسيما لما جعلت مبدأ للتاريخ الاسلامي

وكان المحرم ولا زال معتبرا أول العام الهجري ، كان تذكراها أبدا قرين أول السنة الهجرية
ولقد اخترنا شهر ربيع الأول للكلام على مولده عليه الصلاة والسلام لانه الشهر
الذي تشرف فيه الوجود بطلعته الزاهرة ، ووفقا لما جرت به عادة المسلمين في مشارق
الارض ومغاربها ، من التنويه بفضل هذا الشهر ، واحياء لياليه بالعبادات وبث الصدقات
على الفقراء ، شكرا لله تعالى على نعمة اشراق هذا النور الساطع الذي كان هدى للعالمين
ورحمة للناس أجمعين

وبحسن قبل الكلام على المولد الشريف ، أت نبداً بنبذة في نسبه عليه الصلاة
والسلام ليتبين أنه قد اختير من أفضل أرومة وأكرم منبت .
وهل ينبت الخطي الا وشيجه^(١) وتغرس الا في منابتها النخل

نسبه صلى الله عليه وسلم

ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى
قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم)

وقد اتفق على أنه عليه الصلاة والسلام من ولد اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن
صلى الله عليهم وعلى جميع إخوانهم الانبياء والمرسلين ، وورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه
قال (أنا ابن الذبيحين) وأن اعرابيا قال له (يا ابن الذبيحين) فتبسم ولم ينكر عليه . أما
الذبيح الاول فهو اسماعيل عليه السلام ، فان الصحيح أنه هو الذبيح لا اسحق عليه السلام
ودليله من القرآن الكريم أنه تعالى بعد أن قص قصة الذبيح في سورة الصافات بقوله تعالى
(فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ
فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى) الخ الآية أردفها بقوله (وَبَشِّرْنَاهُ بِاسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ)
والظاهر المتبادر أنها بشارة أخرى بمولود آخر . وأما الذبيح الثاني فهو أبوه عبد الله
وقصته مشهورة في كتب السير .

هذا : والذي صح في النسب الطاهر اتصاله بدوحة معد بن عدنان باتفاق النسابين ،
 وعدنان فرع من نبعة اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام باجماع ، وما بين عدنان واسماعيل

(١) الخطي : الريح نسبة الى الخط وهو مرقأ للسمن بالحرس لان الرياح منع به ، والوشج شعر الزمان

فقد اختلف فيه النساجون . وقد ورد في بعض الآثار : أنه ما افترق الناس فرقتين الا كان صلى الله عليه وسلم في أفضلهما . وورد أن نوره عليه السلام كان يرى متللاً في جبين آبائه الأكرمين ، وما زال ينتقل بين أصلاب كريئة وأرحام طاهرة حتى خست العناية الصمدانية به والده عبد الله فكان أجمل نساء العرب يتعرضن له وروى أن سيدة من بني أسد بن عبد المزى عرضت نفسها عليه وجعلت له مائة من الإبل ان هو أجابها فقال لها :

أما الحرام فاللمات دونه والحل لالحل فاستينيه
يحمي الكريم عرضه ودينه فكيف بالامر الذي تبينه

وقد روى أن الله نظر الى آبائه نظر تكريم في الجاهلية ، فكانوا كلهم سادة قادة ، وتجمع فضلهم في عبد المطلب جده عليه الصلاة والسلام وهو الذي حفر زمزم بعد أن طمت ، وكان له بذلك أرفع منزلة في العرب قاطبة ، والذي ينظر في سيرتهم ويتتبع تاريخهم لا يجد فيهم الا من كان سيداً نابهاً عظيماً دون له التاريخ ما يحفظ الذكر الحسن والأحدوة الطيبة وليرجع الى مولده الشريف وما تقدمه من تزوج أياه بأمه

تزوج أياه عبد الله بأمه أمنة بنت وهب

روى أن عبد المطلب جده صلى الله عليه وسلم كان في سفرة فربراهب من أهل الكتاب فسأله الراهب . ممن الرجل ؟ قال من قريش ، قال من أيهم ؟ قال من بني هاشم قال أتأذن لي أن أنظر بمض جسدك ؟ قال نعم ، ما لم يكن عورة ، ففتش في منخره ، وقال إن فيك ما يدل على الملك والنبوة وأنا نجد ذلك في بني زهرة ، فسمد عبد المطلب الى بني زهرة ومعه ابنه عبد الله وقد بلغ الثمان عشرة سنة ، فخطب اليهم لنفسه ولابنه ، وتزوج عبد الله أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وعقد له عليها وبني بها فحملت به صلى الله عليه وسلم ، وروى أنها لم تشك تقلباً لحله ، وأنها آتاهها آت المنام فقال لها انك حملت بسيد هذه الأمة ونبيا ورأت في منامها كأن قد خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام . وقد توفي أبوه وأمه حامل به ، كان قادماً

مع قومه من تجارتهم بالشام فرض بالمدينة ، فأقام عند أخواله بنى عدى بن النجار فما قدم أصحابه مكة سألهم عنه عبد المطلب فقالوا خلفناه مريضاً عند أخواله ، فبعث إليه أحد أخوته ، فوجده قد توفى بالمدينة ودفن بها . .

وكان السر في يتمه عليه الصلاة والسلام من صفره أن تظهر عناية الله به من أول أمره ، والأئمن أن العز قاصر على ما يكتسب من الآباء ، ولكيلا يكون عليه حق لسوى خالقه وليظهر منزى قوله صلى الله عليه وسلم (أدبني ربى فأحسن تأديبي) وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال (ارحموا أيتامى واكرموا الغرباء ، فإنى كنت فى الصغرى يتيماً وفى الكبر غريباً)

مولده صلى الله عليه وسلم

أشرق هذا النور الذى هدى الله به من اتبع رضوانه سبيل السلام فى فجر يوم الاثنين لثمان ليال مضت من ربيع الأول من عام الفيل ، وقيل لاثنتى عشرة ليلة خلت منه وقيل غير ذلك . فنزل صلى الله عليه وسلم مسروراً^(١) محتوناً نظيفاً ، وروى أنه نزل على كفيه وركبته ساجداً ثم رفع رأسه الى السماء ، شاخصاً يبصره إليها ، قابض أصابع يده باسطة سبابته كالمتضرع المتبهل وفى ذلك يقول البوصيرى

رافعاً رأسه وفى ذلك الرفع الى كل سؤدد إسماء
رامقاً طرفه السماء ومرمى عين من شأنه العلو العلاء

وكان مولده صلى الله عليه وسلم فى دار عقيل بن أبى طالب عند الصفا ، وقد تلقتة حين ولادته الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ، وحضته أم أيمن . وقد روى عن أمه أنه لما أخذها ما يأخذ النساء وأنها لوحيدة رأت من الآيات ما كان مقدمة لمقدمة وارهاسا لنبوته صلى الله عليه وسلم . ولما وضعت أرسلت لجدده عبد المطلب ورفقته اليه ، فأخذه ودخل به الكعبة ، ثم عاد به إليها . وقد ظهرت لمولده آيات بينات واصحات وأخبر به من عنده علم من الكتاب ، وتصدع لأجله أيوان كسرى ، وغاضت بحيرة ساوة ، وانطلقت نيران الفرس وقد جاء عليها حين من الدهر لم تحمد جذوتها ، فكان هذا وما

ماثله من الارهاصات التي تعد الاذهان لقبول ما بعدها من شأن خطير وأمر عظيم
ولنكتف بهذا المقدار في السيرة النبوية مذكرين بان رواية أصحاب السيرة ليست
في قوة رواية حفاظ الحديث فان المحدثين لكونهم يملفون شرع الله وحلاله وحرامه
يجب أن يكون احتياطهم بالغاً الفاية القصوى

وقبل أن نختتم هذه الكلمة نقرر أن ظهور هذا النور النبوي للعالم كان من عظم آثار
رحمة الله التي سعد بها الناس دينا وأخرى وان السعادة الدنيوية لم تقف عند حد من آمن
به بل قد اقتبست الأمم التي لم تسعد بالايان من نظم العدالة وتهذيب النفوس ما ارتقى
به حياتها وهذبت به نفوسها حق على كل من يعرف حق الحيل وشكر النعمة أن يرى
ما في هذا الشهر العظيم من أفصل الذكريات فيشكر الله جلّت قدرته بما قدر عليه من
أنواع الزاني اليه جل شأنه خصوصاً صلة الأرحام وبث الصدقات على المحتاجين في الشكر
زيادة النعم وتحصينها نسأل الله تعالى أن يمن على الأمة الاسلامية بجنة المعرفة لنعم الله عليها
والتمسك بحفظها ويريدها من دوام الشكر لنعمه واستعمال النعمة في وجوها الحقيقية
والله المستعان وهو ولي التوفيق

ابراهيم الجبالي
مدرس بقسم التخصص بالأزهر

الطرف والملح

قال بعض الشعراء:

عَجِبْتُ لِمَا رَأَيْتُنِي أَنْدُبُ الرَّبْعَ (١) الْحَيْلَا (٢)
وَأَقِفُ فِي الدَّارِ اسْكِي لَا أَرَى إِلَّا الطُّلُولَا
كَيْفَ تَبْكِي لِأَنَاسٍ لَا يَمْلُؤُونَ الذَّمِيلَا (٣)
كَلِمَا قُلْتُ اطْمَأْنَنْتُ دَارُهُمْ جَدُّوَا الرِّجِلَا

(١) لعمري كانوا يباركون في (٢) الذي مضى عليه حول مدحهم منه (٣) سير والاضح من محبة في أخرى

مثال من عناية الالمان

بتريية أولادهم

جاء في كتاب المالى عنوانه « كيف نربي أولادنا » ما ترجمته

الموقف الحقيقى للمربي ازاء الطفل

إذا أراد المرء الاشتغال بامور التربية متعمقاً فى أصولها لا مقتصرأ على قشورها
وجب عليه ادن أن يتبين أولاً ما التربية فى حقيقتها، وفيم تنحصر واجباتها؟ وما حدودها؟
لو أردت الاقتصار فى الجواب عن هذه الأسئلة على جملة موجزة أو على تعريف معنى
كلمة تربية لكان ذلك قليل الفناء فى الايضاح فلاجل الوصول الى فهم معناها فهما حقيقياً
لا بد من احالة العقل فيما يلى من مجارى الافكار والاعتبارات .

ليست التربية فى أصلها شيئاً آخر سوى التأثير الذى يحدثه الوالدان وغيرهما من
الكبار قصداً فى نفس الصغير الذى لما يبلغ مبلغ الرجال ، أما امكان مثل هذا التأثير فما
لا يحتاج الى اثبات لأن تجارب الحياة اليومية تدل على أن نمو الناشئ تابع لضروب من
التأثير يختلف كثرة وقلة .

والذى أتكلم فيه هنا عن بيئة تامة انما هو ضرب معين من التأثير . والتأثير يقتضى
وجود ذات مستقلة عن المؤثر تنمو وتثبت وجودها لا يتأنى توجيهها وتكوينها إلا
باتخاذ بعض الطرق . فالنهر يجرى فى مجراه ونحن معاشر البشر لا ندفعه فى جريانه ولا
نمنعه منه وأقصى ما نستطيعه هو أن نسد مجراه الى حين أو نحول جريانه أو نوجهه الى
جهة أخرى . والنبات يخرج من البذر وتتولى اتمامه وبناءه ونصويره قوى غيبية خفية
ولا يستطيع البستاني أن يعمل فى هذا إلا عملاً تافهاً فهو لا يملك إلا وقايته من العاصفة أن
تكسره ومن حرارة الشمس أن تجففه ومن الحشرات وأيدي العارمين^(١) من الأطفال
أن تتلفه .

والذى يحصل فى التربية شبيه بهذا . ولم يكن قط من باب المصادفة والاتفاق أن
سمى الأستاذ فريدريك^(١) فرييل وهو أرفع علماء التربية وأكثرهم عبقرية — المربين
والمرقيات نستافى الأطفال ونستانياتهم فادراكه العميق لنمو النفس البشرية من الناحية
الجسدية وتحققه البليغ بفهم ماهية التربية تعبر عنهما هذه التسمية .

ولم يكن أمر التربية فى كل زمن مفهوما على هذا الوجه بل كان كثير من الناس
فيما مضى يعتقدون فى التربية نوعا من القدرة على كل شيء على أنهم ما زالوا الى اليوم
غير قليل، خذ لذلك مثلا أراسم الروتردامى^(٢) وهو العالم الضليع فى اللغات والآداب الذى
كان معاصرا للدكتور مارتى لوتر^(٣) لا يزال يقول : « ان الفطرة (كذا) اذا وهبت لك
ابنا فانما نسمك كتلة جفة ومن شأنك أن تعطى هذه المادة القابلة للهيئة والتشكل بكل
شكل أحسن صورة تريدها فان أنت أهملتها حصلت منها بهيمة وإن عنت بتربيتها
حصلت منها — ان صبح القول — ملكا كريما — وكذلك صرح الحكيم لاينتز^(٤)
ذات مرة قائلا : آتونا التربية نغير لكم أخلاق أوربة فى أقل من قرن » أما الآن فقد
صرنا أكثر قصداً واعتدالا بمن سبقونا فاصبحنا نعرف وجود الاعضاء فى كل موجود
معرفة أجسدى وأظهر من معرفة أهل القرون السالفة ونعرف اليوم أن كل مخلوق حى
تستقر فيه بالفطرة من بدأ نشأته الشروط اللازمة لنموه وكل حى ينمو بقانون قاهر خفى
وفقا لسنن أولية مستقرة فيه . كذلك شأن الطفل .

وانما إياك أن تظن أن ليس فى كل فرد على حدته الاضروب خاصة من الاستعداد
والجراثيم تكون كلها متمايزة لما فى غيره ، بل توجد صفات معينة عامة فى كل نفس عادية.
ويرجع الفضل الأكبر للاستاذين بستالوتزى^(٥) وفرييل من علماء التربية فى أن
وصفا بناء علم التربية على هذا الأساس الأسمى الذى هو القدر المشترك فى الخواص الانسانية.

(١) فريدريك فرييل — عالم المانى من علماء التربية ولد سنة ١٧٨٢ م ومات سنة ١٨٥٢ م وهو مدفون بسايبين
الأطفال .

(٢) سنة ١٧٠٠ م وتردام مدينة فى جنوب هولاندة هى موطنه

(٣) كاهن بنح وغشتان وهو رئيس الإصلاح الدينى فى اللايه

(٤) واسمه جود فريد وهلم وهو حكيم مشهور وعالم ألمانى ولد فى مدنه لايرج

(٥) اسمه جان هيرى عالم سويسرى من علماء التربية ولد فى مدينة درويج وباله شهرة عظيمة بالماله التى قصد بها

تربية أولاد الفقراء وتعليمهم ولد سنة ١٦١٦ م ومات سنة ١٨٢٧ م

ما الانسان في حقيقته ؟ أى الانسان من حيث هو انسان سواء أكلت ملكاً أم سوقة ؟ هذه أكبر معضلة شغلت بستانلوتزى وصايقته مدة عشرات من السنين . لا بد لى أن أعرف قبل كل شىء م تكون فطرة الانسان ؟ وما استعداده الحقيقى ؟ وحينئذ فقط يمكننى أن أريه أى أؤثر فى نفسه تأثيراً يكون من ورائه مساعدته على أن يعيش وفق استعداده وينمو ، كان فى امبلاج هذه المعرفة فى نفس بستانلوتزى إشارة بوقت ظهور علم التربية المصرى المبني على الحكمة فن ذلك الوقت لم نعد هذه المسألة الى ما كانت عليه من الاعمال والسكوت عنها . ثم أقول م يتكون هذا القدر المشترك فى الخصائص الانسانية ؟ ليس من السهل الجواب عن ذلك ، على أنه مما يصح أن يقال فيه أن فى كل انسان عادى تكن غرائز معينة هى واحدة فى الناس جميعاً وهذه الغرائز تظهر مثلاً فى السرور بالعمل والتهيئة وفى ادراك العدل والظلم وفى الشوق الى معرفة الحق وفى الشعور بالائتلاف وحب الاجتماع وفى المهابة لكل ما هو على وارى وقد نشأ من هذه المرائز كل ما هو عظيم وحسن فى الانسان وظهرت بواسطتها الخصائص الانسانية ونشأ من بلوغها الغاية فى تأثيرها المجالات الكبرى للحضارة وهى الفنون والعلوم والحقوق ولآداب والاديان وهذا هو تقدم نموي قوي مستتر غير أنه من نوع عقلى مجرد .

فحمل نفوس الأطفال على أن تخرج من أكامها فى ضوء هذه المجالات الواسعة للحضارة الانسانية هو الواجب الايجابى للتربية العملية ودعوة كل الناشئين الى الاشتراك فى هذه الحركة العقلية الكبرى ومساعدتهم على ذلك حتى ترسخ أقدامهم فى دوائر هذه الحضارة الانسانية القيمة هو معنى التربية والغاية القصوى لعمل كل مرب ، ولا يتأتى النجاح فى تربية الانسان والبلوغ فيها الى أعلى شأوا الا بالسير بها على هذا المنهج ، نعم أن هذه هى الناحية الايجابية الانشائية وحدها لعمل التربية وبجانب هذه الناحية يوجد أيضاً واجب سلبي للتربية ، وهذا الواجب ينشأ من الغرائز البشرية ، فان النفوس البشرية ليست مقصورة على أن تكون مستقرة الجرائم كل شريف وكل صالح ، بل فيها أيضاً مستودع لجرائم كل مبتذل وخسيس كاللذات الجسدية والكسل والحسد والكذب والحبن ، وعلى الجملة جميع الرذائل التى تتولد من الأثرة الانسانية .

فغالبه هذه الرذائل وقعها هما الحاجة السلبية للتربية العملية ، وذلك هو واجبها المنمى وهذا الواجب لا يقل شأنًا عن الإيجابي وكلاهما شرط في الآخر لأن العالي لا يرتفع إلا بقمع الدنى، وبالعكس لا يتأتى قهر الدنى إلا باستسلامه للعالي وحيث ذكلكل من واجبي التربية هذين ينبئ البداية به في وقت واحد ولا يصح أن يتأخر أحدهما عن الآخر .

بذلك يمتاز الواجب العامان لعمل التربية وفي تنفيذهما صعوبات ظاهرة وباطنة ينبئ التخلب عليها ولعمل التربية حدود محدودة باطنة وظاهرة أيضا .

فالحدود الباطنة تعينها الخواص الذاتية والأحوال الشخصية للطفل وأما الحدود الظاهرة فتمينها البيئة التي يعيش فيها والمخالطة .

فواهب الطفل الباطنة يأتي بها الى الدنيا حال ولادته كما ذكرنا . وماله من الخصوصية هو نتيجة التوارث فليست نفس الطفل الحديث الولادة كما كان مزعوما فيما مضى عبارة عن لوح خال من الكتابة بل هي مجموع قوى كامنة تنمو فيه بدون دخل لعمل المربي بل كثيرا ما تنمو على خلاف ارادته ألا أن الطفل ليس ذاتا منفردة نشأت فجأة وإنما هو مظهر جديد وناقل جديد للحياة الأزلية المتجددة على الدوام فكأنه غصن أو فرع لجذع دوحه عُمرت آلافا من السنين تنبض فيه ذات الحياة التي كانت تجري في عروق سالفه ، وهذه الحياة الموروثة هي أم شيء بالنسبة لنموه كله فهي تحدد وجهة الانسان وخصائصه الباطنة تحديدا جوهريا وهذا هو السبب في أن كثيرا من الأسر يرى فيها نموذج بارز لأعضائها يكون بالدرجة التي نراه عليها من الظهور وإن في كثير من الأسر مواهب وكفاءات مميّنة قوية يتكرر ظهورها حين بعد حين ولهذا يعد مثلا في أسرة « باخ »^(١) فوق الثلاثمائة من أعضائها ذوى قرائح موسيقية واضحة امتاز منهم على الأقل اثنان وعشرون في المدة التي خلت بين سنة ١٥٥٠ وسنة ١٨٠٠ كانوا موسيقيين ممن يشاد

(١) اسم لأسرة شهيرة من الموسيقيين الألمان . أشهرهم جان سيبتيان باخ ولد في مدينة ارستاد بألمانيا . مؤلفاته الموسيقية الدينية بديعة معجها لما فيها من الألحان العلى وتوافق الألحان

بذكركم ومثل هذه الوقائع توجد في أسرة « هولباين »^(١) وأسرة « كراناخ »^(٢) وأسرة « شليجل »^(٣) وغيرها .

نعم ان هذا التوارث ليس ظهوره مقصورا على خلال الخير بل هو يشمل أيضا خصال الشر وتوجد لذلك أمثلة لا تحصى وأشهرها خزيا الأسرة « الجوكية » في ولاية نيويورك وأصلها رجل سكبير هولاندى من سكان السادية يدعى جوكه ولد في سنة ١٧٣٠ ميلادية وكان يعيش عبثة وحشية في بركة صخرية تنسب اليه في الأجيال الخمسة التي خلت من تاريخ ميلاده على ما تبسر لنا العلم به ٧٠٩ أشخاص كان منهم ١٨٠ شخصا يعيشون من الصدقات العامة و٧٦ كانوا مجرمين و٥٢٪ من النساء أى فوق نصف عددهن أعنى ١٧٠ كن يعشن من العاهرة .

لم يعرف حتى الآن على أى قانون يجرى التوارث في المواهب النفسية ولا عرف أيضا هل في استطاعتنا بأى كيفية كانت أن نؤثر في هذه المواهب أو نضعفها فنحن لا نستطيع في الترية أن نعمل شيئا سوى أن نحسب حساما لهذه القوة الهائلة باعتبارها عاملا كبيرا موجودا وحدا يحدد عملنا . ولا ينبغي لنا أن ننسى مطلقا أنه ليس في قدرتنا أن نحصل من كل طفل كل شيء نريده بل الذى في وسعنا أن نعمله هو ما يؤدي اليه استعداداه لا غير .

نعم ان هذا أسهل في القول منه في الفعل وصعوبة ذلك ناشئة من أننا لا نعرف بحال بادية ذى بدء ما المواهب الموجودة في الطفل لأن كل طفل على حدته لا تتجسد فيه خواص أسرة واحدة لا غير بل تتوارد على الجريان في نفسه خواص كثيرة آتية له من أسر مختلفة ، فليس لكل انسان أب فقط بل له أم من أسرة أخرى ثم له جدان وجدتان من

(١) هولباين — اسمه هنس وهو مصور ولد في اسورج — مدينة من أعمال بافاريا إحدى الولايات الألمانية سنة ١٤٩٠ م وتوفي بمظن حياته في اسكاتره حيث توفي سنة ١٥٤٣ م
(٢) اسم لأسرة المانية شهيرة .

(٣) اسم أسرة ألمانية . سمع بها جان الياس شلجل الشاعر الألماني المولود في مايس من أعمال سكسون سنة ١٧١٨ م وتوفي في سورو من أعمال هاننوفر سنة ١٧٤٩ م ومنها جان أولف شليجل الشاعر والواعظ الألماني المولود في مايس سنة ١٧٢١ م والتوفي في هونوفر سنة ١٧٩٣ م وهو أخ جان الياس السابق ذكره . ووالد ليون وريدريك شليجل ومنها أغسطس غليوم شليجل الكاتب الألماني ومنها شارلس غيوم الشاعر في أدب اللغة الألمانية

أربع أسر ثم والدو أجداده وهم من ثمان أسر ثم أجداد أجداده وهم من ست عشرة أسرة وهم جرا .

وعلى ذلك فضروب الامكان التى يتأتى بها امتزاج المواهب لاحد لها ومن ذلك يتضح أيضا الفرق الكبير الذى يوجد أحيانا بين الاحوة والاخوات وذلك الأمر الغريب وهو أن أطفالا يكادون يكونون من سن واحدة نشأوا من أصل واحد وكبروا فى أحوال واحدة كثيرا ما يختلف بعضهم عن بعض اختلافا جوهريا .

لو أن التوارث كان هو العامل الوحيد فى نمو الانسان لكادت التربية التى نحن بصددھا تكون غير ممكنة على الجملة . ولكن بجانب هذا العامل نعرف من عهد لامرک^(١) ما لعامل الملازمة من الشأن العظيم فانه هو الذى يحدث التغير والنمو والتقدم فى كل مكان وهو الذى من أجل ذلك أيضا يحمل التربية لا تحصل الا فى حدود معينة .

وعمد الملازمة تأثير المخالطة فكل مخلوق مقدر له أن يكون نموه من نوع ما يخالطه ويوجد لذلك فى الخليقة آلاف من الأمثلة وهاك بعض الشواهد على ذلك : النبات المعروف بـن الأسد « تارا كام أوبسينالا » ينبت بين بساتين عاليين من نبات المروج بأوراق قائمة ، على حين أنه اذا نبت وحده هنالك نامت أوراقه الوردية الشكل على الأرض ويمكنك مشاهدة هذا الأمر نفسه فى كثير من أنواع البسات الأخرى كما يشاهد فى بعض أنواع الحسك والنبات المعروف بـقدم ديك الماء « رانسكولوس فلويتانس » فانه لا يكون له اذا نبت على الشاطئ ، الخاف الا أوراق ذات ففتين فإذا نبت فى الماء نبتت له من أحد جانبيه أوراق عائرة عريضة ذات ففتين تطفو على سطح الماء وفى جانبه الآخر أوراق دقيقة على شكل الخيوط تكون تحت الماء . وعلى ذلك يكون لضروب التأثير التى تجىء من الظاهر فى النمو العضوى الباطنى عمل بالتغير والتحويل الى درجة محدوده كذلك نفس الطفل — نم نفس الطفل على الأخص تكون تامة فى نموها مثل هذه الضروب من تأثير المخالطة ، من أجل ذلك يكون من الشأن بمكان عظيم أن تعرف أى

(١) اسمه جان بائست بيراطون - هو عالم فرنسى مشهور صليح فى التاريج الطبيعى ألف فيه دائرة ماروف خاصة بعلوم النبات وكبأخرى مشهور بها وأسس نظرية نشأ الانواع مصفا من دس تلازمة البيئة وطوراته

نوع من الناس ومن الأشياء ينبغي أن يربى بينهم الطفل ، فكل ما علا وكل ما سفل في عصرنا يؤثر في نفوس أولادنا تأثيرا مختلف كثرة وقلة ، وشر ما في ذلك أننا معاشر المربين ليس في مقدورنا أن نملك رمام هذه الضروب من التأثير الذي يصدر من كل ما يخالط الأطفال ، فلا نستطيع إذن أن نفصل بعضها من بعض إذا اعتبرنا بعضها ضارا بهم لأنه ما الذي نعرفه مثلا من المحادثات العديدة التي تكون بين أولادنا وبين بعض رفاقهم في المدرسة بين الجهر والمحافة أثناء طريقهم إليها أو في فنائها ، وكيف ينبغي أن يبقى أولادنا محفوظين خصوصا في المدن الكبرى من كل الأذناس التي تكون في الأقوال والصور المعلنة على الأعمدة المخصصة للإعلان والمروضة في وجوه الخوانيت ؟ اننا نكاد دائما نكون عاجزين إزاء هذه المخالطة عن مقاومة تأثيرها .

إذن حسبنا حقا ما للتربية من الحدود الباطنة والظاهرة وما أعظم ما فيها من المشاق . على أن هذا الأمر لا يُعفى المربين والوالدين خصوصا من شيء من تبعته بل هو إلتزامهم حيث يكون عملهم أقوى وتأثيرهم أفعلى .

الوراثة والبيئة هما على الجملة خارجان عن دائرة قدرتهم ومراقبتهم ولكنهم بجانب البيئة أو معها يعملون أيضا في نفس الطفل من حيث هم مربون فهم أيضا كأهمهم من ضمن هذه البيئة بل هم أقرب شيء فيها إليه من جهة نفسه وجسده وهم أهم العوامل التي تخالطه ولذلك كان مما ينبغي العناية به عناية غير عادية أن يُعرف أي صنف من الناس يوكل لهم تربية الطفل . فينبغي بل يجب أن يكونوا ممثلين عن علم عدلا^(١) لما للبيئة من ضروب التأثير المختلفة الضارة والمخاطر المتنوعة التي تنشأ من أنواع الاستعداد الموروثة غير الصالحة ، وينبغي أن يستقر عمل التربية على هذا الأساس قبل كل شيء ، وما هنا تقع التبعة الكبرى على الوالدين وبما أنهم من حيث أشتغالهم من البشر كانت تبعته كلها واقفة عند هذا الحد ، فينبغي لكل والد ووالدة أن يتساءل دائما هل أحدث في هوس أولاده التأثير النافع الذي يمكن أن يبعث من شخص ناصح مملوء قوة فاذا عمل

(١) المدن صف داخل صف لا آخر حتى ترون على صهر العج والمراء به هاء قوة لغاومه ما تحذته البيئة من الاثر السيئ في النفس لأم نفس الطفل من الموهبة .

والوالدان كل ما في وسعها ليكون أولادهما مثلها في النضوج والقوة الكاملة والخلق الحسن والسلطان الحقيقي وان يكونوا يبنوها للخير والحسن مستمرا لا ينضب اذن يكونان قد عملا ما استطاعا فعله من حيث هما والدان بل هما على الأقل ان اقتصر ا على المجاهدة بكل ما في أنفسهما من قوة في سبيل ذلك كانا قد أديا ما عليهما من الواجب من حيث كونهما مريين لانه لا يمكن أن يطلب من بشر أكثر من أن يكون دائم العمل جاهدا فيه .

قلت آنفا ان الوالدين هما أهم العوامل في مخالطة الطفل وان التأثير الذي يحدث منها في نفسه يكون من أجل ذلك أقوى ضروب التأثير، غير أن هذا لا يتأتى الا إذا خصصا لولدهما الوقت الضروري لثريته فبذلك وحده يشب الوالدان والأولاد في الواقع مما في أحوالهم النسبية ومن الطرق الموصلة لهذا الغرض المحاورة الليلية التي تكون بين الأم وولدها فكم لهذه المحاورة من الاثر في توثيق الرابطة بينهما ودونك مثلا واحداً لذلك من أمثال عدة : حككت امرأة فاصلة في مدينة برمين^(١) ذات مرة هذه القصة :

قالت كانت أخت زوجي لا تقصر قط في الصلاة مع ولدها من نعومة أظفاره وكانت ساعة هذه الصلاة لكليهما في كل مرة ساعة مشهودة وكان الطفل يقضى بكل ما يتماور قلبه في النهار من ترح وفرح الى والدته وبذلك صارت الام خير صديق له ولما كبر الولد خُصِصَتْ كذلك آخر ساعة في النهار للصلاة بالاشتراك مع والدته وكثيرا ما كانت تنتهي هذه الساعة بتبادل الحديث بينهما في كل ما وقع أثناء النهار فاذا ألم بقلبه شيء من الغوايات والفتن اعترف به مساء لوالدته لأنها كانت مجدها سبيلا الى كل نواحي قلبه. وكان ابن أخي وقد أدى امتحان الصلوة^(٢) للشهادة الثانوية في شهر أغسطس سنة ١٩١٤ ثم انطلق في شهر سبتمبر الى ميدان الحرب ممتلئ القلب بحبة وطنه المتقدمة فيه - يوجه كل يوم حتى ساعة وداعه عند ما يلتقي تحية المساء على جماعة أسرته يوجه هذا السؤال الى أمه قائلا أي أماء ألا تجيبين للصلاة معي ؟ وقد كان فوق ذلك شابا نشيطا ذكي الفؤاد ينتهي بكليته الى الشباب المصري ، وكان قد أنشأ يشغل بالتأليف وهو لا

(١) ويغال لها بالفرنسية برمين - هي إحدى المدن الثلاث الحرة في شمال ألمانيا

(٢) انما سمي امتحان الصلوة لانه امتحان غير عادي لحأت اليه ضرورة التحديد للحرب المعلنة

يزال طالباً في المدارس الثانوية فرن ذلك أنه كان قد التزم للجريدة المسماة همبورجر فرمدن بلات « جريدة الأجانب الهمبورجية » أن ينتقد لها الروايات التمثيلية التي كانت تمثّل في مدينة بريمن .

ثم انه لما جرح جرحاً بليغاً في ميدان القتال وهو صابط وعاد الى أهله ليعنوا بعلاجه كان خلقه كما عهدناه لم يتغير منه شيء ، ولا أزال أذكر وأنا مكتئبة حديثاً هادئاً شيئاً وقع بيني وبينه قبل رجوعه آخر مرة الى قتال العدو ولقاء الموت في آن واحد ، فمن قوله في ذلك الحديث : اى عمته ما أعظم شكرى لوالدى لأنها كانت كل ليلة تجدد وقتاً لتصلى معى فيه .

الوالدان اللذان يصلان الى الظفر يمثل هذه العلاقة بينهما وبين الطفل ويصيران أحسن أصدقائه يكون لهما دائماً أثرى تأثير في نفسه لأننا نعلم بالتجربة أن الإنسان صغيراً كان أو كبيراً يتأثر لمن نال منه أعظم ثقة به أن يؤثر في نفسه أسهل ما يكون . وبما أن التربية في أصلها ليست شيئاً آخر سوى التأثير كما وصفناها فيما سبق فلا يستطيع المربي أن يعمل أحسن من أن يحظى بمن يريه بثقة المطلقة به فإن كسبها كفته أحياناً إشارة قصيرة من ناحيته في التأثير في نمو الطفل نمواً موافقاً له كما تدل عليه الحادثة التالية التي روتها ذات مرة طالبة من جامعة لايبزيغ^(١) لاستاذها قالت :

من الأمور التي لا أنساها الطريقة التي بها فتحت أُمى عيني ذات مرة بإشارة حاذقة لأدرك ما هو عظيم في حياة الإنسان الخلقية وما هو حقير وما هو لذلك جوهرى وما هو غير جوهرى .

كان ذلك في أول سنة لي بالمدرسة .

نسبت ذات يوم أسفنجة لوى الارردوارى وسجل ذلك على في دفتر المكتب وبما أنني كنت عادة مجتهدة وبقية الوجدان أُلنى ذلك إيلاماً بليغاً فكنت أنسل من الحجل وأتقى الحاظ والدنى المستفهمة كما لو كنت قد ارتكبت خطأ جسيماً . ثم انه لما أقبل الليل لم أستطع الصبر على احتمال ذلك فلما جاءت والدنى للصلاة عند مضجعى اعترفت لها وأنا

(١) مدسة المانية من أعمال ولاية ساكس بها حصة شهيرة

أنتحب بما يحامر قلبي من النعم والحزن فجلست حينئذ الى وقالت لي هذا القول الذي ملؤه المحبة والعطف: أنظنين ان نسيانك أسفنجة اللوح قد آسف ربك فأجبتها مترودة مستغربة قائلة لا. فقالت اذن لا موجب لأسفك انت أيضا فلو أنك كنت كذبت لكان لحزنك هذا موجب فحسبك في مستقبلك أن تجتهدى في أن لا تنسى مرة أخرى. هذه الكلمات خلصتني من الوزر الذي كان يضايقني وأحدثت في نفسي أثرا كان من نفوذه فيها بحيث انى كنت اهتدى به في مثل هذه الحالات وغنمت بذلك قاعدة أجرى عليها في حكمى على الأخلاق. نعم البذرة التي بذرتها والدتي وآتت ثمرتها مضاعفة.

في هذه الكلمة تسلية لنا: ذلك اننا نظن غالبا ان كل جهودنا ضائعة وان كلماتنا لا يلتفت اليها الطفل وأنها ستنسى ولكن من هذا المثل نرى ان كثيرا من البذر الذي نبذره ينمو في قلوب الأطفال من غير أن نشعر به ولذلك لا ينبغي أن نبدى في عمائنا كلالا ونصبا.

وعلينا أيضا من هذه الجهة الخاصة بنا: أن لا نكف عن العمل ولا ينبغي لنا قط نحن معاشر الوالدين والمربين أن نكون ضعفاء ولا كسالى ولا غير مباليين فيما يتعلق بأحوالنا الانسانية وصفاتنا اللازمة للتربية ولن يستطيع أى والد ولا أية والدة أن يتحلى من حصر كل قوته في هذا الأمر وفي تعرف صفة أحوال نفسه ومن اشتغاله على الدوام باصلاحها فترية المرء نفسه واجب على كل فرد من شأنه أن يصير مرييا أن يمارسها فلا يصلح أمر التربية دون تضحية وتنازل أعنى بدون ترك كثير من محاب النفس وشهواتها من أجل اصلاح الطفل أو كما قال غوث^(١) ذات مرة « من جد في ارشاد غيره ارشادا حسنا عليه أن يستعد لحرقان نفسه من كثير من محابها »

وعلى ذلك تكون القوى التي تتضافر في العمل على توجيه نحو الناشئ ثلاثا وهي : أولا - ضروب الاستعداد الموروثة . وثانيا - المخالطة . وثالثا - ذات المربي فهذه العوامل الثلاثة تؤثر فيه مشتركة من أول يوم من حياته فصاعدا تأثيرا لا يكون بدرجة واحدة من القوة فتارة ترجح احداها وتارة ترجح أخرى ومن أجل هذا لا يمكن

تحميل الوالدين وحدهما تبعة مساوى الطفل كما انه يكون من الخطأ من جهة أخرى نسبة جميع المحاسن التي تكون له فيما بعد الى التربية وحدها فالربى وحده لا يصير المرء ما هو لأن للوراثة والمخالطة في ذلك أيضا حظا وافرا .
عبد العزيز محمد

الطرف والملح

قال الأصمى : قال لى الرشيد أول يوم عزم فيه على تأنيص . يا عبد الملك . انت أحفظ منا . ونحن أعقل منك . لا تعلمنا في ملاء^(١) . ولا تسرع الى تذكيرنا في خلاف . وتركنا حتى نبتدئك بالسؤال . فاذا بلغت من الجواب قدر استحقاق فلا تزد . وإياك والبدار الى تصديقنا وشدة العجب بما يكون منا . وعلمنا من العلم ما نحتاج اليه على عتبات المنابر وفي فواصل المخاطبات . ودعنا من رواية حوشى الكلام وغرائب الأشعار . وإياك وإطالة الحديث الا أن تستدعي ذلك منك . ومتى رأيتنا صادقين عن الحق فأرجعنا اليه من غير تقرير بالخطأ . ولا إضجار بطول الترداد . - قال الأصمى : فقلت له يا أمير المؤمنين : أنا الى حفظ هذا الكلام أحوج منى الى كثير من البر .

وقال أبو الحسن على بن هذيل : ومن الواجب على من عرى من الأدب . وتخلّى عن المعرفة والفهم . ولم يتحلّ بالعلم : أن يلزم الصمت ويأخذ نفسه به . فان ذلك حفظ كبير من الأدب . ونصيب وافر من التوفيق . لأنه يأمن من الغلط . ويمتص من دواعي السقط . فالأدب رأس كل حكمة . والصمت جماع الحكيم - قال الشاعر :

وفي الصمت سرّ للمي وانما صحيفة لبّ المرء أن يتكلما
وقال آخر : لسان المرء ينبيء عن حجه وعي المرء يستره السكوت

وقال بعض العلماء : اتق مصارع الدنيا بالتمسك بجبل المروءة . واتق مصارع الأخرى بالتعلق بجبل التقوى . تفزّ بخير الدارين . وتحمّل أرفع المنزلتين .

المسلمون في روسيا

١ — حالتهم من الوجهة الداخلية

(١) الأدوار التي مروا بها

سياسة الحكومة القديمة^(١)

بدأ خضوع شعوب التتر المختلفة لدولة روسية باستيلاء الروس على قازان في سنة ١٥٥٢م وتم إخضاع تلك الشعوب لسلطانها في أواسط القرن التاسع عشر من الميلاد، حيث بلغ عدد رعاياها من المسلمين ما يزيد على عشرين مليون نفس، وامتدت حدود ملكها الى يامير في الكشك والارارات .

هذا ونستطيع أن نلخص فيما يلي المعاملة الخاصة التي عاملت بها الحكومة المركزية رعاياها المسلمين تبعاً للدوار التي مروا بها :

الدور الاول—وهو عهد الردة القهرية الذي استمر حتى حكم كاترينا الكبرى حيث كانت ترغب الحكومة طبقة الملاك من التتر على التدين بالمذهب الارثوذكسي من الديانة المسيحية والا تصادر جميع أموالهم وتسليم كل امتيازاتهم ، وقد بلغت نسبة من ارتدوا عن عقيدة آبائهم نحو ثلاثة في المائة من طبقة الملاك من التتر ، واما الأغلبية الكبرى منهم فلم تدفن لتلك التهديدات ،

هذا . وزيادة على أنها اندمجت من الوجهة الاجتماعية في عامة الشعب فانها بقيت متمسكة بدينها محافظة على عقيدتها ، حتى أنه كثيراً كان يقع بينها وبين الطوائف الأخرى من المنازعات ما كانت تسيل بسببه الدماء الفزيرة في المجتمعات الدينية مما جعل حياة المسلمين مهددة بالخطر على الدوام ، واستمر التتر كذلك مضطهدين زمناً من جانب الحكومة التي كانت تكره كثيراً من القرى على أن تبقى قرى أرثوذكسية بأجمعها

الدور الثاني — بعد أن أمضت الحكومة المركزية مدة في اتباع سياسة الشدة وارغام المسلمين على ترك دينهم بالقوة وبجميع أساليب التهديد ، تلك السياسة التي لم تفلح في تحقيق أغراضها منها — بعد ذلك - لجأت الى سلوك سياسة أشد خطورة على حياة التتر القومية ، وهي سياسة الدين التي كانت ترجو من ورائها قتل الروح الوطنية في نفوس التتر ، وصبغهم بالصبغة الروسية ، وللوصول الى هذه الغاية عينت الحكومة فئة خاصة من مفتشى المدارس كان يطلق عليهم في أوساط التتر اسم « مضطهدى العلم » الذين كانت مهمتهم أن يراقبوا الكتب الدراسية ودور الكتب مراقبة شديدة يستحيل معها دراسة اللغة التترية ، الا أن التتر أفسدوا على الحكومة سياستها واتخذوا ازماءا خطة كان من نتائجها عكس ماكانت ترمى اليه الحكومة . وقد كان رد الفعل عنيفا ، اذ أن تجاوز حدود السلطة لم يؤد الا الى ايقاظ الروح القومية وانعاشها . وكان في أوائل من جاهدوا في سبيل المحافظة على لغة التتر الاصلية ونشر التعليم بينهم اسماعيل بك جاسيرنسكى اكبر محرر في جريدة «ترجمان» التي كانت تحرر باللغتين التترية والروسية في بلاد القرم وكانت منتشرة بين التتر والروس انفسهم . واسحاقوف الشاعر الروائي الذائع الصيت ، وصدرى نظام أوغلى ، وكريموف وشاهتا ختنسكى مدير « شرق روس » وغيرهم

وقد بنى جميع هؤلاء النابهين دعايتهم الوطنية على فكرين أصليتين جماوهما كشرط أولى وأساس ضرورى لنجاحها :

أولاهما — المحافظة على قوميتهم على الرغم من كل المحاولات التي ترمى الى صبغها بالصبغة الروسية ، وذلك بالعمل دائما على ايقاظ الروح الوطنية

ثانيهما — السعى باستمرار الى نشر التعليم بين أفراد الشعب التتري والعمل على رقيه وسعادته حتى يصبح عضوا عاملا لرقى الانسانية بصفة عامة ، الا أن أولئك المتعلمين النابهين قد صادفوا كثيرا من العقبات في سبيل نشر دعايتهم وتحقيق أغراضهم سواء أكان ذلك من جهة رجال الادارة باتهامهم بأنهم داعون الى الجامعة الاسلامية للخروج على الحكومة ، أم من جانب بعض مواطنيهم الذين كانوا يرون في دعوتهم

الى التعليم خروجا على الدين ، ومن هنا نشأ المراك بين انصار طريقة التعليم القديمة وأنصار الطريقة الجديدة في المدارس والكتاتيب وبدأت المناقشة بين «أصول القديم» و«أصول الجديد» الآن مما يجدر ذكره هنا أن الطريقة الحديثة المسماة «الصوتية»^(١) هي التي انتشرت بسهولة على الطريقة القديمة في المقاطعات التركية التترية التي انضمت أخيرا لروسية ، وانه بفضل ما اظهره أولئك المتعلمون من الفيرة وثاقب الفكر أمكنهم أن ينشثوا أدبا تتريا كان سيبا في نشر الاراء الوطنية بين الشباب ، وان يضموا الكتب التي استطاع بها النشر، التربون تلقى الدروس بلفهم الاصنية.

الدور الثالث — سهل هذه المهمة على رجال الحركة العلمية الادبية من التتر ما ابداه من التشجيع والمساعدة لهم الموظفون المسلمون في «الرخوس» (الادارة المحلية في المديریات والبلديات) الذين مالبتوا أن انضموا الى الصفوف المعارضة الشعبية فوجدوا جهودهم وأخذوا يقاومون ولايات الحكومة الادارية فصاروا محتجون بشدة على نوى اساتذة المدارس والقبض عليهم بدون ذنب اللهم الا بشهم روح الوطني في نفوس النشر ، وعلى تقييد الكتب وجعلها تحت الرقابة الشديدة ، وعلى السياسة الاستبدادية التي كانت متبعة في المقاطعات الاسلامية لاسيا في الستب والكرغيز .

وقد ظهرت عقب ثورة سنة ١٩٠٥ عدة جرائد ومجلات قيمة وألف الكثير من الكتب باللغة التترية فساعدت على نشر الروح القومية كما أن مؤتمر مسلمى روسية الذى انعقد في ذلك الحين ببلدة «نجنى نوفوجروده» والسياسة التي اتبعها النواب المسلمون في مجلس «الدوما» بالاتفاق مع نواب الشعب الروسى قد ساعدا على تنمية الحركة الوطنية وزادا في قوتها وجملا جهود الوطنيين اكثر انتاجا حتى تمكنوا من اصدار أول قانون انتخابى ينص على انتخاب ممثلين عن تركستان، وما كانوا ينتخبون قبل ذلك . وعلى ذلك اتفق جميع انصار الحرية في روسية ومن بينهم رجال السياسة من المسلمين — وتم هذا الاتفاق ثقة متبادلة على أن يعملوا للتخلص من نير الحكم الاستبدادى

(١) سميت «صوتية» لأن الكتابة فيها تطابق النطق

وعلى أثر ثورة مارس سنة ١٩١٧ م التي اهتزت لها جميع أركان روسية عقد المسلمون مؤتمرا للنظر في شئونهم السياسية والاجتماعية وقد ظهر في ذلك المؤتمر تياران مختلفان يبرزان عن رأى فئتين انقسم اليهما أعضاؤه الذين انعضوا على أن يتركوا البت في تقرير مصيرهم الى الجمعية التأسيسية حيث يناح لجميع الشعوب المكونة منها الدولة الروسية التعبير عن امانيتها القومية .

فيل مدكور

(يتبع)

الطرف والملح

روى أن الرشيد قال يوما لابنه أنى عيسى وهو صبي . ليت جالك لعبد الله . يعنى المأمون . فقال له . يا أمير المؤمنين على أن حظه منك لى . فمجب الرشيد من جوابه على صباه ومنه اليه وقبله .

خرج شبيب بن يزيد الشيباني الخارجي على عبد الملك بن مروان في خلافته وحاربه . والحجاج أمير العراق يومئذ . غرح بالموصل وهزم عساكر الحجاج وحصره في قصر الكوفة وصرب باب القصر بعمود فلقبه . وبقيت الصربية فيه الى أن خرب قصر الأمانة . وكانت زوجة غزالة نذرت أن تصلى في مسجد الكوفة ركعتين . تقرأ فيهما بسورة البقرة وآل عمران . ففعلت . وكانت شجيرة . قيل فيها .

وفت غزالة نذرها يلرب لا تغفر لها

وهرب الحجاج في بعض حروبه مع شبيب من غزالة . فعيّرهم عمران بن قحطان السدوسي بقوله :

أسد على وفي الحروب نمامة فتحاء^(١) تنفر من صغير الصافر
هلا كررت الى غزالة في الوغى بل كان قلبك في حناحي طائر

(١) لينة حناحي مترجمتها .

قَدْ جَاءَ كَرَمُ اللَّهِ تَوَكُّلاً مَعْتَبَراً بِهَلْكَى فِي أَفْهٍ مَرَّاشِعٍ وَخُشُونَةٍ مُسَلِّمَةٍ
وَبُحْرٍ نَهْمَةٍ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى التَّوَكُّلِ بِرَوْحٍ وَبَهْزٍ نَهْمَةٍ إِلَى جَسْرٍ مَوْجٍ مُسْتَقِيمٍ

بُحْرُ الْإِسْلَامِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكيمية

تصدرها ميثاق الأزهري الشريف

أول كل شهر عربي

المستشار بمحكمة الاستئناف سابقاً
ومن أعمام مجلس الأزهري الأعلى

عبد المحسن بن
عبد المحسن بن

مدير «درة المحلة»

المبر محمد الخضر حنين من علماء الأزهري

رئيس التحرير :

مكتب مجلة بالمادارة العامة لمعاهد الدينية بشارع ميمى رقم ١٩

« تليفون : ٣٥٠٧ »

البرقائيل نكورة باسم مدير المحلة

٤٠ داخل القطر نصري

٢٠ لطلبة المعاهد والمدارس

٥٠ خارج القطر المصري

٣٠ لطلبة المعاهد والمدارس

قيمة الاشتراك السنوي

يعامل أئمة المساجد والمأذونون ومعظم المدارس الأولية بمعاملة لطلاب

وتتم الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« المربية الفاضلة في الاسلام »

أخذ نبيهـا الأم الخاملة أو مهضومة الجانب يسمون الى أن تكون أمهم في رق وسعادة ، وخطوا في هذا السبيل خطوات قصيرة أو واسعة ، ووصعوا أسسا متينة أو واهية ، والذي ينبغي في هذا المقام أن نقول كلمة في وسائل هوض الشعوب الاسلامية أن كانت خاملة ، أو ظفرها بالحرية لصادقة ان كانت محرومة من التمتع بحقوقها التي أوصى بها دينها الحنيف .

لا نعتأ تذكر ذلك السلطان الكريم الذي بسطه خلفاء الاسلام الراشدون على المعمورة ، فعلم الناس كيف يعيشون أحرارا ، والملوك كيف يقيمون عروشهم على قواعد العدل والمساواة ، ورجال الدين كيف يدعون الى الحقيقة والفضيلة في مماحة ووقار ، ولا يجحد مع هذه الذكرى أن الشعوب الاسلامية قد وقعت منذ عهد بعيد في وهدة من الخمول ، وانقطعت الصلة بينها وبين الأمم فلم تدر ماذا يصنعون ، حتى ترائى لها ما نبيهـا من غفوتها وحشا أن تنهض من كوتها ، فسك بقيادتها فريق كانوا على بصيرة من هدية لاسلام ، وان شئت فقل : تقدم لقيادتها رجال مستنيرون من أنشاء المعاهد الاسلامية وآخرون مهتدون من القميين على جانب من العلوم السكونية ، فمن يتحدث عن النهضة المصرية — مثلا — لا يجحد عن ذكر رجال استنارت عقولهم بين جدران الجامعة الأزهرية ، ومن يتحدث عن النهضة التونسية ذكر في مقدمة رجالها فريقا تلقوا معارفهم بين جدران الجامعة الزيتونية .

ولو استمر العمل لرفيقا المدني بأيدي طوائف تجمع بين رجال الدين المصلحين ورجال العلم الحديث المهتدين ، لقطعتا في سبيل السعادة شوطا أبعد مما قطعنا ، ولكننا أثبت

موقفاً وأقرب إلى أن يهابنا الذين يصلون لشقائنا ، ولكن حركة تقدُّماً لم تستمر على ما وصفنا ، ومسا مرض اذا لم يبادر الى اتقادها منه كان شرها أكبر من خيرها ، وخيبتها أقرب اليها من نجاحها .

بليت نهضتنا المدنية بعلمين :

(اولاها) ان بعض نشئنا المتخرجين من مدارس غير اسلامية قد وقفوا موقف الدعوة الى الاصلاح ولم يصبروا انفسهم على تعرف آداب الدين فجادوا عن طرق الاصلاح النقية ولم يبالوا أن يجهلوا على الدين ويحددوا أن يكون له في الحياة المدنية سلطان كبير أو صغير .

(ثانيها) ان كثيراً ممن درسوا العلوم الاسلامية تقاعدوا عن أن يخوضوا في شئون الحياة المدنية ، فكان أنزواؤهم وزهدهم في منصب الارشاد العام فرصة لظهور الدعايات المنحرفة عن الطريق المستقيم .

ان الأمة التي تأخذ بنصائح الدين وتقتدى بأدابه في السر والعلانية هي الأمة التي يمكنها أن تتحد وتتآزر في صماء ، وهي التي تستطيع أن تبني عظمة وتحوط أكافها بمنعة ، فلا تجد الأيدي العادية الى هضم حق من حقوقها منفذاً .

سنواصل توفيق الله القول في نصائح الدين التي تأخذ بيد الجماعة الى هضبة الشرف القصوى ، ونقفى على أثر النصيحة بأخرى حتى يستبين لك أن الاسلام صنع الله الذي أتقن كل شيء ، ، وانما أذكر في هذا المقام خصالاً كالنعمات يقوم عليها صرح الحياة المدنية بهي المنظر شامخ البناء ، وما هذه النعمات الا العلم الصحيح والعمل النافع والخلق لرفع . أما العلم فقد عني به الدين فيما عني . ونوه بذكره فيما نوه ، فقال تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ومن دلائل أن الاسلام ينظر الى العلم باقبل ويعدده في أكبر النعم التي يتقلب فيها الانسان انك ترى في أول ما نزل به الروح الأمين قوله تعالى (اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم)

وقد اندفع المسمون الى اقتناء ما لعيرهم من العلوم برغبة حريصة وهم كبيرة ،

وتناولوا بحثها بمقول راجحة علاوة على العلوم التي استمدوها من الكتاب والسنة كأحكام الفقه وأصوله ، أو العلوم اللغوية كالنحو والبيان .

فالإسلام ينصح لأولياته أن يتفوا العلوم أينما كانت ، ويحضهم على أن ينظموا شؤونهم الحيوية على مقتضى ما علموا ، ولم يحيى الإسلام في عقائده أو أخباره بما يخالف العلم الصحيح ، ولم يحيى في نصحهم بما ينقص الرغبة في العلم على اختلاف فنونه ، فثارت الأمة التي تبتغيه ديناً أن تكون أصفى الأمم بصائر ، وأغزرها معارف ، وأبعدها في البحث نظراً .

وإذا أضف أحد على جهالة أو سوء قصد إلى الدين شيئاً لا يقبله العلم ، فالإسلام كله حقائق ، وهو من تبة ما يلصقه به الجاهلون أو المفسدون براء ، وإذا صدر من بعض المنتسبين إلى الدين كلمة تصرف الناس عن علم مادي أو أدبي فاقصى مصدر هذه الكلمة ذهن صاحبها ، وليس بينها وبين الدين من صلة ، بل شأن الدين أن لا يكون عنها راضياً .

ولم يبق اليوم بعد أن ظهر من نتائج العلوم الكونية من أمثال هذه الفواصات والطائرات والمقذوفات ووسائل المخبرات — من لا يرجع إلى قوله تعالى (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) ويتفقه فيها أكثر مما كان يتفقه ، ويشهد بأن العلوم التي يسمونها الطبيعيات والرياضيات هي من فروض الكماليات التي يجب أن تقوم عليها طائفة من الأمة فإن الله لا يرضى لها إلا حياة المزة والكرامة ، وهي لا تحيي هذه الحياة إلا أن تكون على بيئة مما يعلم أو يصنع خصومها .

وأما الأخلاق الشريفة فإن الإسلام لم يدع مكرمة إلا به على مكانها وبدب على التحجبل بحيلتها ، وقد غنى عزايها هي أساس رقي الأمة وانتظام حياتها الاجتماعية ، كالصدق والأمانة والعفاف والحلم والعفو والتراحم والعدل وعزة النفس والشجاعة وحرية الضمير والاقدام على قول الحق وبذل المال في وجوه البر ، وسبغت في هذه المزايا يبسط القول واقامة الشواهد في مقام آخر إن شاء الله .

وأما العمل النافع فإن الدين يبحث على العمل لهذه الحياة كما يبحث على العمل للحياة

الأخرى ، وجعل لعمل الشخص في هذه الحياة نصيباً من ثواب الآخرة فوق ما ينال من منفعة عاجلة متى كان قصده من العمل خالصاً .

ولما سمي أعمالاً أخروية وهي العبادات الأثر الطيب في الحياة الدنيا قبل الحياة الآخرة ، أليست الصلاة المقرونة بحضور القلب وعمارته بجلال الله تنهى عن المحشاء والمنكر ، وتكف يد صاحبها عن أن يعمل سوءاً فتحويه من جرائم شأنها أن تجره إلى عقوبات بدنية أو مالية ، وفيها بعد هذا غنى عن طائفة من الشرط والسجون ينفق عليها أولو الأمر أموالاً طائلة .

أو ليس في الصيام رياضة النفوس وتدريبها على احتمال المكروه والصبر عن الشهوات حتى لا تكون أسيرة في ملاذها ، وفي النفوس التي اعتادت الصبر عما تشتهى وهو حاصر لديها قوة وجلادة لا تجدها في النفوس التي لا تكف عن المشتيات إلا عند فقدانها ، فالصيام بحق يشق النفوس من علة الانحطاط في الشهوات كلها عرضت ، ويسبكها في صورة النفوس القوية التي يسهل عليها أن تنصرف عن ملاذها ساعة ترى الخير في الانصراف عنها .

أو ليس في الحج فوائد اقتصادية واجتماعية لو وجه إليها زعماء الحجاج عنايتهم لعادوا إلى أوطانهم بما ينفعهم في الأولى بعد أن قدموا للآخرة من العمل الصالح ذخراً باقياً

ولا أرى حاجة إلى أن أذكر في هذا النسخ فريضة الزكاة فإن أثرها في سد حاجات كبيرة من حاجات الأمة ظاهر ظهور الشمس في كبد السماء . وقد أتى مقال فضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم الجبالى المنشور في الجرنال الثانى على جانب من حكمها الاجتماعية والاقتصادية ولم يشرع الدين من العبادات ما يضيق به وقت العمل للحياة مقداراً ثمناً ، فنحن نرى الذين هم عن الآخرة غافلون يشغلون جانباً من أوقاتهم في راحة وهو ، أفلا يحق للمؤمن أن يقضى جزءاً من وقت راحته في الوقوف بين يدي الخالق وابتغاء رضوانه ، وهذا الجزء لا يريد على ساعة في اليوم واللييلة إذا شاء ، ليفعل هذا وليتقن حياته بحياة من يصرف أوقاته في جمع المال وإذا انتقل عنه إلى راحة وهو ، فإنه يجد من طمأنينة القلب وارتياح النفس

ما يجعل عيشه أهنا وحياته أطيب مصداق قوله تعالى (مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُخَوِّضَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

لا أدري كيف حدث خاطر أن قلة أقبال المسلمين على العمل لجمع المال وتقضى الفقر في شموهم آتيان من ناحية دينهم ، وهؤلاء علماءنا يقررون أن كل صعة تحتاج إليها الأمة فرض كفاية لا تخلص الأمة من واجبها حتى تقوم بها طائفة منهم ، وقالوا إن نحو التجارة هي مباحة النسبة للأفراد شئ يجوز للرجل أن يتخذها حرفة يستمر عليها ، وله أن يختار غيرها في بعض الأحيان ، ولو تركها الناس جميعا لأثموا بتركهم لما هو من الضروريات المأمور بها ^(١) . وهذا الزركشى يقول في بحث فرض الكفاية من قواعده « الدينوى كالحرف والصنائع وما به قوم المعاش كالبيع والشراء والحراثة وما لا بد منه حتى الحجاماة والكفس » ثم قال : « ولو فرض امتناع الخلق منها أثموا »

والتوكل في لسان الدين اتحا يراد به توجه القلب الى الخالق حال العمل واستمداد المعونة منه ، فلم يكن داعية الى البطالة والافلال من العمل البتة ، بل كان للتوكل الأثر العظيم في اقدام عظماء الرجال على الأعمال الجليلة التي يسبق الى ظنونهم أن استطاعتهم وما لديهم من الأسباب الحاضرة يقصران عن ادراكها ، وإذا فسرته فئة غير عالمة بقبض اليد عن العمل وطرح الأسباب جملة ، فذلك تفسير لا يقره الدين الذي يقول (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) ويقول (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ)

فالشرية الاسلامية تأمر بالعمل لهذه الحياة وتجعل السعى على العيال والعمل للتعفف عما في ايدي الناس أو للاتفاق في سبيل الخير من قبيل العمل الذي يستحق صاحبه ثواب الله في الاخرى ، وتكره للرجل ان يوصى بما فوق الثلث وتقول له (انك أن تدع ورتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم)

(١) انظر بحث «الايح» بالجزء المطلوب بالكسر من موافقات الشاطبي

ان شريعة هذا شأنها لشريعة مدنية تجمع الى تهذيب النفوس الذى هو القوة المعنوية أسباب البسطة فى المال الذى هو القوة المادية ، واذا جمع قوم بين القوتين فقد أحرزوا الكفاية لان يعيشوا كما ولدتهم امهاتهم احرارا .

فالاسلام ينادى أممه الى ان يتعلقوا من العلم بكل فن ، وينوّه بشأن الاخلاق أبلغ تنويه ، ويحمل كل ما ندعو اليه حاجة الجماعة من العمل النافع أمرا واجبا ، فامن أمة تريد ان تصعد الى أفق السيادة الاعلى الاوجدت فى مبادئه اجنحة تطير بها الى حيث تطمح همها ، وعلى قدر ما تنفق من عزمها ، وكذلك قص علينا التاريخ الصادق ان الاسلام اخرج للناس أمة بهرت العالم بعلومها الزاهرة واخلاقها الزاهرة واعمالها الفاخرة ، واذا شاءت الشعوب الاسلامية ان تكون المثل الأعلى للمدنية الفاضلة فى استطاعتها ان تتجرى نضام الدين الحنيف ، وفى احترام رؤسائها وزعمائها لاحكام الدين ونصائحه أخذ بالسياسة الرشيدة وهى التصرف فى شؤون الامة على مقتضى ارادتها

محمد الخضر حسين

الطرف والملح

روى أن العماد الكاتب والقاضى الفاضل اجتمعا يوما فى مؤكّب السلطان وقد انتشر من القبار ما ساء الأفق . فأنشد العماد الكاتب :

أما المبار فانه مما أثارته السنايك^(١)
والجور منه مظلم لكن أثار به السنايك^(٢)
يا دهرى لى عبد الرحيم فلست أخشى من نايك^(٣)

وهذا التجنيس فى غاية الحسن . توفى العماد فى مستهل رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة بدمشق . ودفن بمقابر الصوفية — وتوفى القاضى الفاضل فى سابع شهر ربيع الثانى سنة سبع وتسعين وخمسمائة بالقاهرة . ودفن بترية بسفح المقطم . وهو صاحب بستان الفاضل المسمى باسمه فى حى الناصرية . رحمهما الله تعالى .

(١) جمع سنيك طرف مقدم الحمار (٢) الفسوة — كتابة عن مروحة وحوادثه .

النفس

تفسير قصة شعيب عليه السلام

٣

بسم الله الرحمن الرحيم

قد أسلفنا لك أن مما أبلغه سيدنا شعيب عليه السلام قومه نهيهم عن تقص المكيال والميزان ، وأمرهم بإفائتهما ، ونهيهم عن البخس وعن أخس الفساد الذي كانوا عليه مقيمين وأن مما أبلغه إياهم أيضا خوفه عليهم عذاب يوم يحيط بهم ، وأن ذلك اليوم يومان ، يوم في الآخرة ويوم في الدنيا وأنهم ان آمنوا وانتهوا عما نهوا عنه واتمروا بما أمروا به فان لهم أجرا حسنا يعجل الله تعالى لهم بعضه في الدنيا ويدخر لهم بعضه الآخر في الآخرة ، وهو (بقية الله) على ما يناله فيما سبق .

فاما اليوم المحيط في الآخرة فهو اليوم الذي فيه (يَفْرُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبْنَيْهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ . وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُنْفَرَةٌ صَاحِكَةٌ مُنْتَشِرَةٌ . وَوُجُودٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ . تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ . أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْعَجَرَةُ .)

وأما اليوم المحيط بهم في الدنيا ، فهو اليوم الذي ينطبق عليهم فيه المثل الذي ضربه الله تعالى لهم ولاشياءهم ممن كانوا قبلهم ومن سيكونون بعدهم اذ يقول (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ بِأَمْسٍ مَطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ . وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ . فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا لِنِعْمَتِ اللَّهِ إِنَّ كُفْرَكُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)

لقد كانت مدينٌ كثيرها هذه القرية . آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رعداً من كل مكان ، كما ذكرهم به رسولهم شعيب عليه السلام في قوله (إِنِّي أَرَأَيْكُمْ يُخَيَّرُ) وقوله (وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمُ) .

فارجع البصيرة كرتين إذا في ذلك الرزق الرغد الذي كان يُجَيَّ الى القرية من كل مكان ، هل تحيط به كيفاً . أو تُخصيه عدداً ؟ ان الذي يحيط بذلك انما هو الله الذي أنعم به ، وهو علام الغيوب

ان الرزق الرغد الكثير يُجَيَّ من كل مكان عاقبته طيبُ الحياة الدنيا ونُعمة عيشها ، فان به تكثرُ الاموالُ وتمظُم الثروة ، فاذا أحسنت الأمةُ تصرفها في ذلك الرزق فأمنت بالله الذي أنعم به عليها ، وشكرته سبحانه فوصفت كلَّ نعمة فيما وهبت لأجله ، فبشرها بدوام ذلك الرزق وزيادته كما وعد سبحانه الشاكرين بذلك اذ يقول (لَنْ شُكِّرْتُمْ لَأَرْيِدَنَّكُمْ) و (لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ) .

اذ ذلك يكثر النسلُ ويعظم عددُ الأمة ، وتممها الصحة والسلامة من الآفات ، ويقوى سلطانها ويميز جانبها ، ويجلها من عداها ، ويتقي بطشها من عاداها ، ويُعزس فيها العلم وينمو ، وتعمُ المعرفة وتشر ، فتكثر الصناعات وتروجُ التجارات وتعمُرُ البلدان وتجوب أهلها الأرضَ لحلب المنافع برا وبحرا ، فيعم الخصب ويرغد العيش وتتمتع الأمة متاعا حسنا الى أجل مسمى .

هذا هو الخير الذي رأى سيدنا شعيب عليه السلام قومه فيه وهذه هي الكثرة التي ذكرهم بها ، ولذلك نهام عن نقص الكيال والميزان وأمرهم بإيقاظها ووعظهم بما وعظهم لان ما هم فيه من ذلك الخير يُفنيهم عن تلك المعاملة الفاحشة التي زعموها مجلبة للربح والغنى وغفلوا عن أنها مجلبة الفقر والخسران ونذير العذاب في ذلك اليوم المحيط .

أنذرتهم نزول العذاب في ذلك اليوم المحيط بهم ، وأخفه ما يصيبهم منه في الدنيا وهو اذاقة الله تعالى لهم لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون فيسلبهم النعمة الواسعة

الفضافة والأمن الشامل والقوة والمهابة التي أَسْبَغَهَا عَلَيْهِمْ ، وَبَدَّلَتْهُمْ
 مِنْ كُلِّ تِلْكَ التَّمِ اضْدَادَهَا ، فَيَمْتَنُّمُ الْجُوعُ بِذَهَابِ الثَّرْوَةِ وَنَفَادُ الْأَمْوَالِ وَضَعْفُ الْقُوَّةِ
 وَانْدثارُ الْعِلْمِ وَالصَّنَاعَةِ وَخَسَارَةُ التِّجَارَةِ وَسَائِرُ مَا كَانُوا يَقْبَلُونَ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ .
 وَحِينَئِذٍ يَصِيرُونَ أَذْلَاءَ بَعْدَ عِزَّتِهِمْ أَسْرَاءَ لَغَيْرِهِمْ بَعْدَ إِطْلَاقِهِمْ أَرْقَاءَ بَعْدَ حُرِّيَّتِهِمْ إِلَى
 غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطِيبُ لَهُ الْمَوْتُ وَتُكْرَهُ لَهُ الْحَيَاةُ .

هَذَا بَعْضُ مَا يَصِيبُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الْعَذَابِ إِذَا عَصَوْا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ
 وَاجْتَرَحُوا سَيِّئَاتٍ مَا هُوَ عَنْهُ (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ شَدِيدٌ وَأَبْقَى) .

كُلُّ هَذَا الْعَذَابِ الْكَثِيرِ الْعَظِيمِ فِي نَفْسِهِ بَعْضٌ قَلِيلٌ مِمَّا هُوَ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنْهُ فِي
 الدُّنْيَا (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُونَ) وَمَا جَرَّ عَلَيْهِمْ وَأَوْقَعَهُمْ فِيهِ إِلَّا مَا
 أَرْكَسُوا فِيهِ أَنْفُسَهُمْ مِنْ تَقْصِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ وَعَدَمِ اسْتِغْنَائِهِمْ بِمَا آغْنَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى
 بِهِ مِنْ صَنُوفِ النِّعَمِ وَضُرُوبِ الْخَيْرِ الَّذِي أَفَاضَهُ سَبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ .

هَلْ يَظُنُّ ظَانٌّ أَنَّ هَذَا الْعِقَابَ الْأَلِيمَ وَذَلِكَ الْعَذَابَ الْمَوْجِعَ إِنَّمَا هُوَ جَزَاءٌ لِأَهْلِ
 مَدِينٍ خَاصَّةٍ دُونَ مَنْ سِوَاهُمْ وَلَوْ فَعَلَ كَمَا فَعَلُوا وَأَسَاءَ كَمَا اسَاءُوا ؟

إِنْ طُنَّ ذَلِكَ أَحَدُ فَنَاهُ يَكُونُ مِنَ الْمُخْطِئِينَ النَّافِلِينَ كَمَا اخْطَأَ وَغَمَلَ أَهْلُ مَدِينٍ مِنْ
 قَبْلِهِ لِأَنَّهُ ظَنَّ كَمَا ظَنُّوا أَنَّ مَا يَسْلُبُ بِنَقْصِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ وَعَدَمِ إِعَاثِهِمَا خَيْرٌ فِي زَعْمِهِ
 وَهُوَ نِهَايَةُ الْحَقِّ وَالْجَهْلِ بِمَعْنَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْخَيْرَ الْحَقِيقِيَّ إِنَّمَا هُوَ مَا كَانَ حَسَنًا
 مَحْمُودًا فِي كُلِّ الْعُقُولِ مَرْغُوبًا فِيهِ عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ فِي كُلِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ، وَهُوَ الْمُسَمَّى
 بِالْخَيْرِ الْمَطْلُوقِ ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَهُوَ شَرٌّ ذَمِيمٌ وَإِنْ زَعَمَهُ بَعْضُ النَّاسِ خَيْرًا وَمَنْفَعَةً لِأَنَّهُ وَافَقَ
 شَهْوَةَ بَاطِلَةٍ فِي نَفْسِهِ .

أَمَّا الَّذِي ظَنَّنَهُ هَذَا الظَّانُّ كَأَشْيَاعِهِ مِنْ قَبْلِ فَانْهَ الشَّرُّ كُلُّ الشَّرِّ كَمَا عَلِمْتَ وَلَكِنَّهُ لَمَّا
 وَافَقَ هَوَى مَطْلَعًا عِنْدَهُمْ خَدَعَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ فَزَيَّنَتْ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ فَأَرَاهُ حَسَنًا فَأَقْدَمُوا
 عَلَيْهِ اغْتِرَارًا بِهَذِهِ الْخُدَيْعَةِ وَطَمَعًا فِي النِّعَمِ الَّذِي هُوَ بِذَوْرِ الْخَسَارِ وَالنِّعَمِ وَلَمْ يَكْتَرِثُوا بِمَا

يُلْخَقْ غَيْرَهُمْ مِنَ الْغَنِيِّ وَالضَّرِّ وَصَيَّاعِ الْحَقُوقِ عَلَى مُسْتَحَقِّهَا مَا دَامُوا يَتَوَهَّمُونَ أَنْ فِيهِ خَيْرًا لَأَنْتَقَسِمَ . كَمَا أَنَّهُ كَانَ هُوَ وَأَهْلُ مَدِينٍ مِنَ الْمُخْطِئِينَ فِي مَا ظَنُّوا ، كَذَلِكَ غَيْرُهُمْ كَانُوا أَجْمَعًا مِنَ الْغَافِلِينَ عَنْ أُمُورِ إِعْمَالِهَا إِيَّاهُمْ كَبِيرٌ .

تلك هي السُّنَنُ الْأَلْهِيَّةُ وَالْأَدْلَالُ الْكُونِيَّةُ الَّتِي نَعَسَهَا اللَّهُ الْحَكِيمُ لِعِبَادِهِ فِي الْآفَاقِ ، وَكَذَلِكَ الْعُقُولُ وَالْمَدَارِكُ وَالْوُجْدَانِيَّاتُ الَّتِي رَكَّبَهَا اللَّهُ الْقَدِيرُ فِي الْفِطْرَةِ الْآدَمِيَّةِ الَّتِي كَرَّمَهَا ، وَمِثْلُهَا الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ الَّتِي أَتَمَّ بِهَا النِّعْمَةَ عَلَى عِبَادِهِ فِيمَا أَرَادَ إِلَيْهِمْ عَلَى السَّنَةِ رَسَلَهُ مِنْ كِتَابِهِ السَّامِيَةِ .

كُلُّ ذَلِكَ كَانَ نِيْمًا عَظْمَى تَفَضَّلَ بِهَا سُبْحَانَهُ عَلَى الْعِبَادِ لِتَكُونَ بِهَا رِكَازُهُمْ وَطَهَارَتُهُمْ مِنْ رِذَائِلِ الْأَخْلَاقِ ، وَلِيُمَيِّزُوا بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالنَّافِعِ وَالضَّارِّ وَالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ ، وَيُقِيمُوا عَلَيْهَا مَصَالِحَهُمُ الدِّيُونِيَّةَ وَالْآخِرِيَّةَ لِتَحَسُنَ شُؤْنُهُمْ الْفَرْدِيَّةُ وَالْاجْتِمَاعِيَّةُ .

أَتَمَّ عَلَيْهِمْ سُبْحَانَهُ بِتِلْكَ النِّعْمِ ، ثُمَّ ارشَدَهُمْ إِلَى اسْتِمَالِهَا وَالِاتِّفَاعِ بِهَا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى . الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى .) وَكَمَا قَالَ فِيمَا حَكَى عَنْ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا قَالَ لِفِرْعَوْنَ مِصْرَ (قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى .) ثُمَّ زَادَ سُبْحَانَهُ فِي ارشَادِهِمْ فَأَمَرَهُمْ بِذَلِكَ فِي شَرَائِهِ أَمْرًا لَا هَوَادَةَ فِيهِ وَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يَتَصَرَّفُونَ فِي تِلْكَ النِّعْمِ وَالْمَوَاهِبِ وَيَنْتَفِعُونَ بِهَا ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) وَقَوْلُهُ (إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أُنَزَّلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ . فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ) وَقَوْلُهُ (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ) وَفِي أَنْفُسِكُمْ . أَفَلَا تَبْصُرُونَ ؟) وَقَوْلُهُ (وَرَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) .

اهْتَدَى الَّذِينَ قَدَرُوا تِلْكَ النِّعْمَ حَقَّ قَدْرِهَا ، فَوَصَلُوا بِهَا بَيْنَ مَا خَلَقَتْ لَهُ ،

فاستدلّوا بها على ما جعلت أدلة عليه وربطوا الأسباب الصحيحة بسبباتها والوسائل
المشروعة بمقاصدها وميزوا الأشياء النافعة بماياتها الحميدة وعرفوا الأمور الضارة
بنهاياتها الذميمة فوقفوا عند الحدود التي هدام اليها العقل والشرع واستقاموا على
الطريقة التي يصلون منها إلى خيرَي الدنيا والآخرة وتقرّبوا إلى الله بامتثال أوامره
 واجتناب مناهيه شكراله على نعمه وأدّوا ما وحب عليهم من الحقوق لأربابها فوقفوا
المكيال والميزان بالقسط ولم ينقصوها ولم يبخسوها الناس أشياءهم ولم يمشوا في الأرض
مفسدين وتمتعوا متاعا حسنا بالخيرات الدنيوية التي عجلها الله تعالى لهم واحتسبوا عنده
عز اسمه نية اجرهم الحسن الذي اذخره لهم في الآخرة (والآخرة خير لمن اتقى)
أما أهل مدين ومن من مثلم ظنّ السوء فانهم لم يقدرُوا هذه النعم حق
قدرها ، بل لم يقيموا لها وزنا ، فأهلوها ولم ينتفعوا بها ولم يصلوها يديها وبين ما توصّل
إليه من الخيرات الدنيوية والآخروية . ولهذا وعظّم رسولهم عليه السلام وخاف عليهم
وحذرهم عذاب ذلك اليوم المحيط لأنهم بارتكابهم هذه الآثام المظالم كانوا ممن قال
الله عز وجل فيهم (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
نَ يُؤْصَلُ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) .
أول في ذلك الذي ذكرناه عظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو
شاهد ، ليعلم أنّ هذا العقاب عام ، قضى الله عز وجل به على كل أمة من أمم الأرض
وقعت في ما نهي الله ومعاصيه وعتت عن أمر ربها ورسله فانتهكت محارم الله
وزهدت في حسن ثوابه واستخفت بأليم عقابه وحنت على الفضائل وزينت الرذائل
واستهانت بصيانة الأعراض واستطعت الحقوق وأكل أموال الناس بالباطل وطفقت
المكيال والميزان وبخست الناس أشياءهم ، وأفسدت في الأرض بعد إصلاحها وزعمت
أن استقامة الحياة الدنيا ورفعتها إنما هي في نبد شرائع الله تعالى والقضاء عليها وفي عصيان
ما ترشد إليه العقول السليمة وتجارب الأمم التي عرّكتها رحى الدهر ، كل ذلك منهم

إِعْجَابُ بِنَفْسِهِمْ وَاغْتِرَارُ بِمَا زَعَمُوهُ عِلْمًا (وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ) (وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا)

وَبَعْدُ : قَالَتْ نَضْرِبُ صَفْحًا عَنْ سَرْدِ أَحْوَالِ نَحْنِ الْآنَ عَلَيْهَا مَا كَفُوفٌ وَفِي الْمَسَارَعَةِ إِلَيْهَا وَالتَّنَافُسِ فِي ارْتِكَابِهَا وَالتَّنَاهَا عَلَيْهَا مُجِدُّونَ وَفِي السَّخَاءِ بِالْأَعْمَارِ وَبَذْلِ الْأَمْوَالِ وَتَكْدِيبِ الْوُجْدَانِ وَاسْتَفْضَابِ الرَّحْمَنِ مُتَسَابِقُونَ .

نَضْرِبُ عَنْ هَذَا صَفْحًا إِلَى أَجْلِ قَرِيبٍ ثُمَّ نَسْأَلُ : هَلْ هَذِهِ الْمُخَازِي الَّتِي خَالَفَتْ بِهَا مَدِينُ أَمْرَ رَبِّهَا وَعَصَتْ رُسُلَهُ وَفَسَقَتْ بِهَا عَنْ حُكْمِ الْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ السَّالِمَةِ حَتَّى كَانَتْ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ الْحُكْمُ الْعَدْلُ فِيهِمْ (وَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ عَنَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّانَاهَا عَذَابًا نُسْكَرًا فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا) هَلْ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتُ مِنَ التَّطْلِيفِ وَالْبُخْسِ وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا قَدْ تَبَيَّنَ لَنَا الْآنَ نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ غِيَا وَضُرُّهَا وَقُبْحُهَا فَرَأَيْنَا بِأَنْفُسِنَا أَنَّ تَقَعَ فِيهَا كَمَا وَقَعَ أَهْلُ مَدِينَةٍ مِنْ قَبْلِنَا حَتَّى نَأْمَسَ غَضَبَ اللَّهِ أَنْ يَنْزِلَ بِنَاءً فَيَسْلُبَنَا نِعْمَتَهُ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا وَلَمْ نَشْكُرْهَا بِحَسَنِ التَّصَرُّفِ فِيهَا كَمَا عَدَرَ الْيَنَابِذُكَ فِي قَوْلِهِ (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) . وَفِي قَوْلِهِ (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) . وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ . وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ . ؟

هَذَا سَوْأَلٌ لَا يَخْفَى الْجَوَابُ الصَّحِيحُ عَنْهُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْآنَ بَلْ كُلُّهُمْ بِهِ عَالِمُونَ وَكُلُّهُمْ أَجْمَاعٌ عَلَى أَنَّهُ حَوَابٌ وَاحِدٌ لَا يُخَالَفُ فِيهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَلَا يُجَارَى فِيهِ مِمَّارٍ مُخَالِفٌ وَلَكِنْ قَدْ أَبَى الْقَوْمُ أَنْ يُبَوِّحَ بِهِ لَا كِتَابًا لِلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ، بَلْ طَمَعُوا مِنْهُ أَنْ يُغَيِّرَ مَا بِأَنْفُسِنَا مِنْ سُوءِ الْحَالِ وَتَقَى شَرَّ الْمَالِ لِيَرْفَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ نِقْمَتَهُ وَيُتِمَّ عَلَيْنَا

نعمته ففسار عَ اذ ذاك الى تبشير اخواننا المسلمين باستقامة الأمور وصلاح الشؤون ان شاء الله تعالى ، ونُثْنِي على الله المنعم بما هو أهله

لقد تبين للمستمع المتدبر فيما قدمناه أن جميع ما جاء في شريعة سيدنا شعيب عليه السلام هو بمينه ما جاء في الشريعة المحمدية لم يتبدل منه شيء ، ولم يُنسخ منه حكمٌ . وتوضيح ذلك ، أنها احكامٌ اتفقَ الشرعُ والعقلُ معاً على أنها خيرٌ دائماً في كل زمان وفي كل حال محمودةٌ عند جميع العقلاء على وجه الدهر ، ومن البدهية ان كل ما كان شأنه ذلك فانه حكم لا يتغير ولا ينسخ ، ولهذا كان دين الله تعالى واحداً لا يمتريه تبديل ولا نسخ في الأحكام المتعلقة بالله تعالى كمنوته الألهية مثل القدرة والارادة وسائر كمالاته وكأحكام النبوات من الصدق والأمانة وتبليغ وحى الله تعالى وكالفَضائل مثل الوفاء بالوعد والصدق في القول وأداء الأمانات الى أهلها والبر بالمحتاجين الى غير ذلك ، فدينُ الله تعالى واحد لا تبديل فيه ولا نسخ كما قلنا في كل زمان ومكان لاى أمة من الأمم على لسان أى رسول من الرسل عليهم الصلاة والسلام .

نعم قد دخل النسخ بعض الاحكام المرعية العملية ككيفية الصلاة وكأكل ما له ظفر من الحيوان مثلاً وكانت مُحَرَّمًا على الدين هادواً ، أما لأحكام الأصلية العملية كنفس الصلاة والزكاة وكإيها ، المكيال والميزان بالقسط وغير ذلك فان النسخ لا يلحقها ، بل هي مقررّة محتمةٌ في كل شريعة الهية .

أما المرعية فاما كما سلف تُنسخُ فتُقرّرُ تارةً في بعض الأزمنة لبعض الأمم ثم تتبدلُ في بعض آخر وتُشرعُ الله الحكيمُ غيرها ، لانه سبحانه عليمٌ أن غيرها أوفقٌ لهذا الزمان الأخير وأصلحُ لأهله ، وهو سبحانه انما يريد بعباده اليسرَ ولا يريد بهم العسرَ (يُريدُ الله ان يُخَفِّفَ عنكم وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا)

قلنا ان ما أمر الله تعالى به رسوله شعيباً هو ما أمر به رسوله سيدنا محمداً عيهما

الصلاة والسلام، وذلك هو قوله سبحانه (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقَيْسِطِ ^(١) الْمُسْتَقِيمِ . ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ^(٢)) .

ولقد يحسن هنا أن نقف على ما سبق بكلمات وجيزة تتجلى فيها بعض حِكَمِ ديننا الحنيف ومحاسن التشريع الألهي الحكيم مما تضمنته هذه الآية الكريمة فنقول :
أمر الله تعالى في شريعتنا المحمدية بإفاء المكيال فيما يكال وإفاء الميزان فيما يُوزن كما أمر بذلك في شرائع من قبلنا من الرسل ، والحكمة الألهية البالغة في ذلك أن عدم إيفائهما إذا كان نقصا ^(٣) ، هو من قبيل اتلاف المال واضاعته على الشخص الذي لأجله سكيل أو لوزن وهو المستوفى كالمشترى — وإذا كان زيادة فهو من قبيل اتلاف المال وتقويضه على المكال منه وهو الموفى كالبائع . وأيضا هو خيانة ونسكت للمهد الذي تقتضيه المبادلة بين البائع والمشتري مثلا . وقد قال الله عزت أسماؤه (إِنَّ الْمُهْدَكَ كَانَ مَسْئُولًا) .

ثم انه سبحانه أرشد عباده الى الحكمة الألهية التي لأجلها أوجب الإفاء في الكيل والوزن ، فآخبرهم أن ذلك لأمرين جليين (الأول) أن إيفاءهما خير ، أي وصف حميد يرغبه المقلاء أهل الفضائل والأمانة والرؤفة كافة في كل حال وآني (الثاني) أنه أحسن تأويلا ، وأحمد مآلا وأطيب عاقبة في الدنيا والآخرة

أما في الدنيا فانه يُكسِبُ صاحبه الشهرة بين الناس بالأمانة وإتاء كل ذي حق حقه ولا جدال أن ذلك يجعل له الذكر الجليل بين الناس ويوجب الرغبة الصادقة في معاملته ، ولا يخفى عليك ما يعود عليه من ذلك من الرواج والرخ الحلال العظيم .

أضف الى هذه الفوائد الخاصة التي عادت عليه ، تلك الفائدة العامة التي تعود على الناس ، وهي عدم صياح أموالهم عليهم بنقص المكيال والميزان ، ثم اتخاذهم له قدوة

(١) بالميزان العدل السوي

(٢) مآلا وعاقلة

(٣) رجع ما سبق في تفسير لايه التقدمة .

يقتدون بها وجملة ما لهم ياتمون به في هذا الفعل المشكور ليترجوا كجارج ويستفيدوا كما استفاد .

وأما في الآخرة التي هي خير وأبقى ، فإنه يكون مرصياً عنه من الله تعالى الذي وَصَفَ نَفْسَهُ بأنه لَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ، وأنه سَيَجْزِي الْعَامِلِينَ لِلصَّالِحَاتِ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .

هذا : وانه لَيَحْزُنُنَا مَا تَكَرَّرَ سَمَاعُنَا لَهُ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِينَ ، إِنَّ غَيْرَ الْمُسْلِمِ عَدْلٌ أَمِينٌ لَا يَنْدُرُّكَ وَلَا يَخُونُكَ فِي مَعَامَلَةٍ مِنْ كَيْلٍ أَوْ وَزْنٍ مِثْلًا ، ولهذا كانت معاملته أَفْضَلَ وَإِنْ كَانَتْ بِعَوَضٍ أَكْثَرَ .

أما المسلم فإنه لَا يَعْرِفُ لِلْأَمَانَةِ قُدْرًا وَلَا يُقِيمُ لِلوَفَاءِ وَرَنًا فَهُوَ إِذَا كَالَ أَوْ وَرَدَ طَفَفَ وَإِذَا عَامَلَكَ خَانَكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا .

لم نَحْزَنْ لِهَذَا الْقَوْلِ حُزْنًا مَنَّا عَلَى غَيْرِ الْمُسْلِمِ إِنْ يَكُونُ أَمِينًا أَوْ حَسَدًا لَهُ إِنْ يَكُونُ ذَا فَضِيلَةٍ وَمُرُوءَةٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا حَرَّمْتُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ شَرِيعَتُهُمُ الْخَفِيَّةُ السَّمْعَةُ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَذَبَ الْمُسْلِمِينَ وَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يَعْمَلُونَ غَيْرَهُمْ إِذْ قَالَ (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) لَمْ نَحْزَنْ لِهَذَا ، بَلْ إِنَّمَا كَانَ حُزْنُنَا مِنْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ سَدَّوْا قَرَأَتِهِمْ ظَهْرِيًّا وَتَسَوَّاءُ اللَّهِ بِتَرْكِهِمُ الْعَمَلَ بِتَعَالِيهِمْ وَأَحْكَامِهِ الْحَكِيمَةَ ، بَلْ بِتَعْطِيلِهَا وَذَمِّهَا وَالصَّدِّ عَنْهَا . فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ تَطْفِيفُهُمُ الْمُسْكِالَ وَالْمِيرَانَ وَخِيَاتَتُهُمُ الْأَمَانَةَ وَنَكْثُهُمُ الْعَهْدَ وَتَقْصُصُهُمُ الْمَوَائِقَ اسْتِخْفَافًا بِأَمْرِ الدِّينِ وَنَوَاهِيهِ وَرُهْدًا فِي الرِّيحِ الْحَلَالِ الَّذِي يُشْمَرُهُ امْتِثَالُ مَا وَجَبَهُ اللَّهُ ، وَتَرَاهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ ذَاتُ ثَلَاثٍ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ الْآمِرَةُ النَّاهِيَةُ (لَوْ أَرَأَوْهُمْ سَأَلُوا رَأْيَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ)

لَيْتَ الْأَمْرَ وَقَفَ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ ، وَلَيْتَ هَذِهِ الشُّرُورَ وَالْدَّمَ حَافَتْ بِهِمْ وَحَدَّهُمُ

بل ان الأمر ادهى من ذلك وأمرٌ ، فان سيئات ما كسبوا وجرأثر ما عملوا ، قد طوّقت
بدين الله تعالى ، فزعم الجاهلون به أنه اصل جهل المسلمين ومَرَجِعُ فسادِ احوالهم
وشؤونهم الدنيوية ومنشأ خولهم وخمودهم وجودهم على ما هم فيه ، وأنه لارجاء في
تدارك ما فاتهم من صلاح احوالهم ولا طمع في استقامة ما التوى من شؤونهم ماداموا
يقاومون كل اصلاح دنيوى بما يحتجّون به من احكام دينهم الذى هو للدنيا عدوٌ مبين .

هكذا ادعى الجاهلون بحقيقة الاسلام واحتجوا على انه كما قالوا بأمرين (اولهما)
أعمال اهل المؤمنين به فان أعمالهم شاهدة عليه بهذا ، فلو كانت حقيقته غير ذلك لظهرت
ثمرتها في اعمال الذين يدينون به (ثانيهما) انه دين كبقية الأديان لاسطان له الاعلى
الارواح يذكّرُها بالها اما الحياة الدنيا وشؤونها من العلم بها والعمل لها ومعرفة
طرق اصلاحها واساليب الانتفاع والتمتع بها وسائر وجوه النفع والانتفاع التى يقوم
عليها صلاح المجتمع الانسانى على كثرتها وتنوع فنونها ، فان الاسلام كغيره لاشأن له بها
ولاشئ من ذلك بمستفاد منه فكان لذلك ديناً روحياً لاجتماعها دنيوياً ، هكذا زعموا
وقلدهم منا المقلدون ، وكلّهم جميعاً مخطئون ومخاطئون .^(١)

نحن الآن بعد ما بسطنا ذلك فيما سلف لسنا في حاجة الى الأفاصة في بيان خطأ
هؤلاء الزاعمين والذين شايعواهم في زعمهم واتهامهم عمداً او جهلاً دين الله تعالى بانه دين
جُرُزٌ^(٢) عقيم ليس للحياة الدنيا وشؤونها فيه مرعى صالح ولا ما تقوم عليه نطمها من
أحكام دنيوية تناسبها وتسير الى جانبها الى غير ذلك مما يرمى به العدو عدوه والصديق
الخاغل صديقه وجميعهم قد ضلوا عن سواء السبيل وقذفوا بالميب دين الله تعالى من مكان
بعيد . وان تجب فمجب قولهم : (اتنا نومن بالله رب العالمين الذى له العظمة والكمال)
ثم تراهم يتبعون مقالته هذه بالطمس في دينه ورميه بما ينافى ربوبية الله العلى الكبير
ويناقض عظمته وكماله سبحانه .

(١) الخاصى متعدد الخطأ بخلاف الخطى فانه لم يسجد (٢) اصله لأرض الفاحشة لا مات هم ولا ماء

ان هذا لا يصدر الا عن احد رحلين ، رجل كاذب يُظهرُ خلافَ ما يُخِطِرُ
ويُبدى غير ما يُعِدُّ ويقول ما لا يفعل ، وقد غفل عما يَسْمُ به ثوبُ رِيائِهِ ومِرائِهِ ، ورجل
جاهل بالله الذى يدعى الأيمانَ به لا يعرف لربوبيته سبحانه للعالمين معني ولا يقدر
لعظمته وكِماله قَدْرًا (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) .

فاما هذا الكاذب المرائى فإنه مُسْتَهْتَرٌ ^(٢) ماجنٌ ^(٣) ، قد كفى العقلاء مؤونةً
تكذيبه وتشهيره ، أما تراه وهو فى كذبه وريائه قد استغشى ثوبا من نسج كذبه وريائه
وقد غاب عنه ان ثوبه هذا يشعُ عما تحته وينادى عليه بين الملأ أنه مُرَّاه كَذَّابٌ .

وأما ذلك الجاهلُ فانتا نرشدُه الى الصواب ونملِّه ما حبل فقولُ له ان رب
العالمين جَاءَ أَسْمَاءُ ونموتُه هو الله خالقُ العالمين ومالكُهم وهو الذى يُرَبِّي أبدانَ
العباد عما يرزقهم من الطيبات من الرزق وعما يُفيضُه عليهم من بركات السماء والأرض
حلالا طيبا، وهو الذى كما يربِّي أبدانهم بهذا يربِّي نفوسهم بأنواع العلوم الصحيحة ويهذبها
باصناف المعارف الصادقة النافعة ويؤدبهم بضروب النعم والحوادث الدنيوية تذكرةً
لهم وزجراً لهم عما يقرط منهم ثم يتمُّ نعمته عليهم بعد ذلك بإرسال الرسل الكرام عليهم
لسلام ليلقوهم عنه سبحانه دينه القويم الكافل لمصالحهم الدنيوية والأخروية من
المقائد الصحيحة والمبادئ المشروعة التى يشكرون الله تعالى بها على نعمته ويتقربون
بها اليه سبحانه رُفْقَى وم الفقراء اليه وهو المعى الحميد وكذلك الاحكامُ الدينية العملية
التي تقوم عليها منافعهم وأعمالهم ومعاملاتهم الدنيوية يَمْلِكُ كل هذا حقَّ العلم (الَّذِينَ
آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ^(٤) إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) (أولئك هم الصادقون) (أولئك هم المؤمنون حقا)
لقد حَتَّى هؤلاء القوم الطاعنون فى دين ربهم بالباطل ، وهرطوا فى أمرين عظيمين ،
كان يجب عليهم قبل أن يطعنوا أنفسهم بطعنهم فى دين الله ظاهرا وزورا أن يُحيطوا بها
علماً ليكونوا من الأمر على بينة .

(الأمر الأول) أن يقدرُوا دَينَهُم حقَّ قدره فيُعرفوا له سبحانه عظمته وكِماله كما

(١) منع فواء لا يبال بمامل (٢) هارب . (٣) يخلصو (٤) ما يظنون به أنفسهم من الآثام .

ادْعُوا وَأَنَّهُ تَنَزَّهَ حُكْمُهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَخْلُقُ خَلْقَهُ ثُمَّ يَذَرُهُمْ فِي طَفْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ دُونَ أَنْ يَبَيِّنَ لَهُمْ عَلَى السَّنَةِ رِسَالَهُ مَا يَقُومُ أَعْوَجَاجُهُمْ فَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ وَيَأْخُذُ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى مَا يَصَحُّ مُعْتَقَدَاتِهِمْ وَرُشْدَهُمْ إِلَى صِلَاحِ مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ دُنْيَا وَأُخْرَى ، تِلْكَ هِيَ السَّعَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ الْعَامَّةُ الَّتِي يَنْهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلنَّاسِ فِي دِينِهِ الْقَوِيمِ وَلَكِنْ لَدِينِ يَطْمَعُونَ فِيهِ بِحَبْلِهِمْ لَا يَزَالُونَ فِي حَقِيقَةِ مَعْنَى السَّعَادَةِ يَمْتَحِنُونَ .

(الأمر الثاني) ان يسروا سيرة الباحثين المنتقدين المنصفين ويطعموا على الدين جملةً وتفصيلاً فَيَسْتَبْرُوا غَوْرَهُ وَيَجُوبُوا خِلَالَهُ وَيُنْتَبِهُوا فِي مَنَاحِيهِ وَيَتَدَبَّرُوا آيَاتِهِ وَيَهْطِنُوا إِلَى إِشَارَاتِهِ وَيَقِفُوا عَلَى مَبَادِئِهِ لِيَصِلُوا مِنْهَا إِلَى عَالِيَاتِهِ وَمَقَاصِدِهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْبَاحِثِ الَّذِي يَرِيدُ الْوَصُولَ إِلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ صِرَاطِهَا الْمُسْتَقِيمِ .

اننا نَحْسِنُ الظَّنَّ بِهَؤُلَاءِ الْمُجْتَهِدِينَ عَلَى الطَّمَنِ فِي دِينِ اللَّهِ ، فَنَحْمِلُ طَعْنَهُمْ هَذَا عَلَى تَقْصِيرِهِمُ الْمَغِيبَ فِي حَقِّهِ وَتَعَامٍ جَهْلِهِمُ الشَّيْءَ بِهِ وَبُغْضِهِمْ عَنْهُ ، وَلَا نَحْمِلُهُ عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوهُ وَلَكِنْ قَرَّطَ عُنَادِهِمْ وَاسْتَكْبَارَهُمْ عَنْ قَبُولِهِ وَاصْرَارَهُمْ عَلَى الْمَحَادَلَةِ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ هُوَ الَّذِي لَوَّى مِنْ أَعْنَاقِهِمْ قَوْلُوا عَنْهُ وَحُوهَهُمْ أَفْعًا وَاسْتَكْفَا .

وَأَيَّامًا كَانَ أَمْرُهُمْ بِإِزَاءِ هَذَا الدِّينِ الْحَكِيمِ ، فَإِنَّا نُنصَحُهُمُ النَّصِيحَةَ الْخَالِصَةَ أَنْ يَتُوبُوا إِلَى رُشْدِهِمْ وَيُنِيبُوا إِلَى فِطْرَتِهِمْ وَيَتُوبُوا إِلَى رَبِّهِمْ لِيَتَعَرَّفُوا هَذَا الدِّينَ تَعَرُّفَ الْبَاحِثِينَ الْمُخْلِصِينَ ، فَسَيُؤْنِسُ أَنْ يَعْرِفُوهُ وَيَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ لِلْهُدَايَةِ سَبِيلًا الْمُسْتَقِيمَ .

هَذَا ، وَإِنَّا رَغْبَةً فِي تَيْسِيرِ الْأَمْرِ عَلَيْهِمْ وَتَقْرِيبِهِمْ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ السَّوِيِّ نَأْخُذُ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى مَا قَدَّمَ مِنْهُ مِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ . عَسَى أَنْ يُقِيمُوا وَجُوهَهُمْ لَهُ مَخْلُصِينَ وَيَعْرِفُوا الْحَقَّ حَقًّا فَيَذْبُوهُ مُذْعِنِينَ وَيَكُونُوا مِنَ (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ . أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ) . مِنْ مَنَصُورٍ

وَكَيْلِ دَارِ الْعَالَمِ الْعَالِيَا سَابِقًا

اصول الدين

سوانح ومقتبسات

ليس الشأن أن تتكلم في كل علم انما الشأن أن تكون راسخا فيه تعرف عنه من سمينه ، كثير من الناس يتقف فقرات من العلم من غير أن يعرف حقيقتها فيردها ويطنطن بها ولا يعرف ما فيها ، فهو أشبه شيء بما ورد في الحديث في شأن المناق حين يُسأل حيث يقول : سمعت الناس يقولون شيئا فقلته ، وقد أصبح المتعلمون عندنا يقدسون كل ما يسمعون عن أوربة بلا بحث ولا تمحيص . ويمتقدون أنهم أصبحوا علماء وقد يكون ذلك محل نزاع كبير عندهم . ولكنهم كالاطفال الذين اذا سمعوا شيئا لم يخالجهم فيه شك ولم يعترضهم فيه حيرة ، خصوصا اذا كان ذلك من آبائهم أو اساتذتهم ، وليس الفضل في تلك الوثبات الحقاء ، فانها ضارة لانافسة ، وانما الفضل في البحث والتمحيص بحيث يحيط باطراف المسائل ويقارن بينها وبين ما جاء في الديانات مقارنة صحيحة .

أما هؤلاء فلا يعرفون ما قيل في تلك المسائل العقلية نفيا وإثباتا ولا ما كان لها من مراحل البحث العلمي . ولا ما وصلت اليه من درجة الظن أو اليقين أو الشك أو التخمين ، كما لا علم لهم بما قيل في تلك المسائل الدينية وما قرره العلماء فيها وما كان لهم من أنظار وأفكار وتأويل وتعليل ، وقد كان يجب أن يعرفوا أولا أهى من القطعيات أم من غيرها ، وهى مما جاء في الكتاب المجيد والسنة الصحيحة . أم من عمل الاجتهاد الذى هو معترك الانظار ومزدهم الافكار ، فان هذا القسم قد يدخله وهم كثير ، شأن البشر في كل أبحاثهم وأفكارهم - قيل لابد للناس من فلسفة أودين ولكن فرق كبير بينهما ، فان الفلاسفة يستمدون من أفكارهم التى تختلف ونزعاتهم التى تتضارب وتتناقض . ومنهم من اقتضت فلسفته الاكباب على الشهوات ، وفرق بين الرسول الذى يفرغ الى الله ، والفيلسوف الذى يفرغ الى فكره وعقله .

الفلسفة تدخل في كل شيء حقا كان أو باطلا ، لأن مدارها على قوة الخيال
وفصاحة اللسان وحسن الأسلوب والقسرة على التلاعب بالكلمات والتفنن في
العبارات ، وليس مدارها على كون الشيء حقا ولا كون الدعوى صادقة ، ولديك
السفسطائيون المعروفون. ولكل فلسفة قوم يعتقونها واذواق تقبلها وعقول تصطبغ
بها .

ان الله قد أوجد العالم على نظام محكم ليدل على حكمته ، وقد يخرق هذا النظام
المشاهد أو يتصرف في نواميسه ليدل على قدرته ، ولكن الماديين اذا رأوا اتقان
النظام ، قالوا ان العالم سائر على سنن لا تتبدل ، فلا حاجة الى اله . كأن القوانين
ينفي عن المقتن ، وكأن النظام ينفي عن المنظم ، أو وضع الخواص في الاشياء ينفي
عن الواضع ، واذا رأوا مالا يدركون سره ، قالوا ان ذلك فوضى لا تليق بالحكيم ،
فماذا يريد هؤلاء الذين لا ينفعهم نظام ولا غيره ، ولكن اذا فسدت معدة الانسان
وجد كل شيء مرا ، وفي بعض الكتب ان الطاهر يجعل كل شيء طاهرا ، والدنس
يجعل كل شيء دنسا ، والمريض الذي اختل مزاجه لا ينفع معه شيء .

العالم لا نهاية له وهو منظم غاية النظام ، فيه قوة لاحد لعلمها وحكمتها
وقدرتها والمادة وجه من وجوهها . وأثر من آثارها . لاسبب في أصل وجودها ،
ان وراء العالم المادى عالما خفيا ، هو عالم الادراكات والرغبات والانفعالات
والمواطف ، ولا يدركون كنهه . ولا يمكن أن يعلل بتعليل مادي ، وأصول علم
النفس الآن ليست أقل من أصول علم الطبيعة .

الاسلام يعطى الارواح الامان والاطمئنان ، وقد جعل تحيته السلام . وكلما
لاقيت رجلا بدأت بالسلام فرد عليك السلام فشعار المسلمين السلام وامته جديرة
أن تسمى أمة السلام وأما عصيته للحق فمن أكبر فضائله ولو صدق الأوروبيون
المستعمرون المتعصبون في أنهم أنصار الانسانية المذبذبة ومنقذوها مما هي فيه
ورافعوها الى ذرى السعادة لقابلنا ما يفعلون في الناس بالاستعسان والابتهاج
ولكنها وسيلة من وسائل الاستعمار أيضا ، وما كان ذلك الا لأمة الاسلام حينما

كانوا متمسكين بعبادته عاملين بعماليه التي أصبحوا بها ملوك الشرق والغرب
في أقل من قرن يقيمون موازين العدل (ولا يخشون في الله لومة لائم)
قال الفيلسوف تولستوى : ولعل المبادئ العظيمة السامية السماء التي تضمنها
القرآن في بسط قوة الله وجهه وعظمته ورحمته لأمثال لها ولا ضرب في أي دين آخر
من الأديان ، تراها تندفق في آيات من أبغ آيات البيان وأشدّها إثارة للأرواح
وهزة للنفوس ، ثم لا تزال الروحانية تعمل عملها في الحياة وفيضها ونورها . مبادئ
لا ينتهي الإنسان منها . ولا تجد في دين الإسلام كله من أوله الى آخره أثرا من آثار
الاستبداد الفكري والسفسطة التي تراها في تلك النظريات ، ولا من السفسطة
واللجاج والمحاجة والثروة ، بل لا يزال هذا الدين ينمش الأرواح . وينادي الضمير
العميق في الإنسان وينتجى الفؤاد والوجدان ، ويمشي مع الصوت الخارج من حبة
القلب الصادر من سويداء الروح ، ولا يقبل الامتناع القلوب وعقل الغريزة والقطرة .
الكلام على الإسلام يجب أن يكون في مقامين : مقام النظر في أصول الإسلام
وعماليه وسيرة من جاء به ومقام رد الشبه عنه وما يحتاج بعض العقول الصغيرة مما
لا يدركون له سرا ولا يفقهون له تأويلا ولا بد من هذا ، فإن الناس مختلفون
اختلافا كبيرا في الاستعداد وفي التربية والنزعات والاهواء ، حسباً أحاط بهم من
الأوساط المختلفة والبيئات المتنوعة ، وهم بعد ذلك في معلوماتهم متفاوتون تفاوتاً
لا يعلو الا الله ، فحال ان يتفقا . ولو فرضنا انك ذكرت ما يفكر فيه كبار الرجال
وما يرمون اليه من مرام بعيدة وانظار سديدة للأطفال ، واعطيتهم الحرية فيما يقولون
وقيا ينتقدون لذهبوا مذاهب شتى ، ولا عرتهم شكوك وأوهام تناسب حالهم
وخيالهم ، فهكذا الجهلاء مع العلماء والسفهاء مع الحكماء ، لانهم لا يعرفون لهم قدرا
ولا لما يقولون معنى ، فاذا انضم الى ذلك تبجح وعناد مع تقديس الجهلاء أنفسهم
كانت الطامة الكبرى والداية الداهية ، ومن جهل شيئا عاداه ، وما أصدق قول
الله تعالى وأصماه لكبد الحقيقة (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) .
لا يجوز أن يكون العالم بلا الله ، لا أدلة القطعية ولا يجوز أن يكون له الله ثم يهمل

خلقه ، فلا يرسل اليهم من يرشدهم الى طريق السعادة ، ولا يجوز أن يتوك من يكذب عليه بلا انتقام ، كما في القرآن وغيره من كتب الأنبياء . وقد قال الله في كتابه العزيز (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) - ينكرون الشياطين وقد آمنت بهم أوربة عند ما شاع استحضار الأرواح ، ويطلبون السور وهم يثنون منه هاك ، ولكننا اعتدنا . أن نهزأ بكل ما ورثناه عن أسلافنا ، فاجتهدنا في هدم كل معتقداتهم وعلومهم .

أريد في هذه السوانح أن ألقت نظرك الى شئ بديع جدا في الاسلام ، لا تكاد تجده في غيره خدمة للحقيقة وتحقيقا للحق لاطننا ولا تمصبا ، وقد أصبح البحث والتحصيل شهوة من شهوات العصر الحاضر والوقوف على الحقائق كما هي نزعته من نزعات العقول العصرية ، فتحليل الاشياء تحليلا علميا حتى المسائل الادبية والتاريخية الآن هو فوق كل شئ . ومقدم على كل شئ . وبهذه الابحاث الحرة التي لا يصد منها الا خدمة العلم كان للاسلام شهادات كثيرة من منصفى الاوربيين وفلاسفتهم ، وقد كانوا يشوهونه غاية التشويه في القرون الوسطى فنقول .

ان الاسلام لا يعرف الافراط ولا التفريط ولا غرور الصراط المستقيم الذي هدانا الله اليه ، ولا يكون مستقيما الا اذا سلك الجادة والترم الوسط ، فتراه لم ينجس بالزهد البالغ الذي يترتب عليه خراب الدنيا وذل المؤمنين به مما هو منافر للطباع البشرية تمام المتافرة . وموجب لسقوط الامة واستذلالها فلم يقل . من ضربك على خدك الايمن فأدر له خدك الايسر ، ولم يقل لا يدخل الفنى ملكوت الله ، مما لا ينبغي أن يستعمل الادواء وقتيا لمرض خاص في وقت خاص ، ثم لا تجده مع هذا يذكر الدنيا مرغبا فيها لاننا الانظار اليها بجملها جزاء على الاعمال كما في الشريعة اليهودية (ولكن كان بين ذلك قواما) وكذلك لا يجده حتم القصاص كالنوراة ، ولا العفو كالانجيل ، لانه يعلم أن الطباع في ذلك تختلف اختلافا كبيرا فمن الناس من لا يشفيه

الا القصاص ، ومنهم من كرمت نفسه فيسمح بالعفو ابتغاء وجه الله تعالى ، ومنهم من تسمح نفسه بالعفو في نظير شيء يأخذه من الجاني ، فجاءت الشريعة الاسلامية بذلك كله بعد أن رغبت في العفو كثيرا وكذلك تجد الشريعة الموسوية أمرت بقتل النساء والاطفال في بعض الامم وجاءت الشريعة الاسلامية بتحريم ذلك وترى الديانة المسيحية بجانب هذا لاجهاد فيها فأكبر مخالفا على وجه الارض اليوم هم المدعون لاتباعها المجتهدون في التبشير بها .

تجد الاسلام يحث على التوكل ويجعله لازما للايمان فيقول :

(وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) ويحاجب هذا يقول (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقهِ) ويقول (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) ويقول (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) ويأمرهم الا يكونوا عالة على الناس وهو القائل (كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) يريد أن يجعلهم معطين لا آخذين وهو القائل : اليد العليا خير من اليد السفلى . ويقول في حفظ الحاممة الاسلامية ودرء الشرور عنها ورد عادية أعدائها (وَأَعِذُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) ثم يأمرهم أن يحتفظوا بفصيلة الاعتدال في جميع الأحوال ويطلب منهم ألا يأسوا على ما فاتهم ولا يفرحوا بما آتاهم ، يريد أن يجعلهم رحالا عظماء لا يطيشون عند ورود نعمة أو حلول نقمة

يقول (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ولا يدعها حتى يتلافها بقوله (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ مِنْهُمَا) (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى) ويقول (فَإِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ فَأَمَّا إِذَا يَسُوءُ وَكَانَ خَبِيرٌ مَمْلُوكًا) (وَأِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ) دلالة على طريق العدل ثم يدل على طريق الفضل فيقول (وَلَنْ يَصْرَبْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ مِنَ الصَّابِرِينَ) ومثل ذلك قوله (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) الى آخر ما يرشدك اليه بحسبك الصادق وذهنك الثاقب

يرمون الاسلام بانه دين التأخر والجمود ، وانه لا يمكن أن نجارى الامم الراقية في ميادين الحياة ونحن متمسكون به حريصون عليه ، يريدون أن يجعلونا ماديين نخدم الاجسام والالوهام وأن نقتل الوجدان ولا نصفى الى البرهان ، وأن نخفق أنفاس الارواح ونحصر جهودنا كلها في مطالب الاشباح ، على أنى وأييك لأعرف لذلك معنى ولا أذوق له سرا فان الدين يوجب علينا أن نكون أرق الامم وأن لا نحتاج الى غيرنا، حتى أنه جعل الصنائع كلها مهما تجددت بتجدد العصور من فروض الكفاية التى تأثم الأمة جميعها بترك أصفرها وأحقرها ، فلا يبيح لنا الدين أن نجعل صنع ابرة نحتاج اليها فكيف بالمدفع أو الطائرة . . . الخ فإأدرى كيف يفهمون أن الدين أخرهم وما تأخروا الا بترك أوامر الدين وتعاليمه ، وانا ننادى بأعلى صوت أن المسلمين اليوم كلهم آثمون بهذا التكاسل الذى يحرمه الدين تحريما باتا وينهى عنه نهيا ليلا ، وهم محتاجون بعد هذا الى أن يكونوا مخلصين فيما يعملون ، قد طهرت نفوسهم من الاثرة والانانية والتشاحن والتكالب على حطام الدنيا الذى تجاوزوا به حده ، ولم يعرفوا أنه وسيلة لاغاية ، وأن مقاصد الانسانية أسمى من ذلك واكبر مما هنالك ، ومعلوم أنه لا يمكن الاعتدال في طلب الدنيا ، ولا الاخلاص الصحيح ولا محبة الفضائل واجتناب الرذائل الا بالخوف من سلطان الله والرغبة فيما عند الله ، فاذا خضت غمار الدنيا وانت متسلح بسلاح الدين وراقبت الله تعالى فيما تفعل وما تترك حفظت من مكاييد الشيطان وآثار الطغيان ، واذا كنت أعزل من هذا السلاح تخطفتك الشياطين وضللت في تلك الميادين فارتكبت الموبقات ، ووقعت في الهلكات فكنت شرا مستطيرا على نفسك وعلى أبناء جنسك فالتاس في الحقيقة في حاجة الى الدين لاصلاح الدنيا قبل الآخرة ، واجدنى مسوقا الى أن أقول أنه لا يمكن الانسان أن يعيش في راحة بال وصفاء حال ولأن يشعر بلذة انسانية حقيقية الا اذا كان ذا دين فريم وقب سيم ، فانه يجد من النور وشرح الصدور ومن يرد اليقين ونفحات رب العالمين ما يفوق نعيم الملوك والسلاطين ، فان نعيمهم جسماني لا روحاني وبهيمى لا انساني على أن قلوبهم دائما في قلق واضطراب وخوف ووجل مما يتوقعون أو

يتوهمون ، لأنهم لا يشتدون الا من زقوم المادة (وهى شجرة الموم والغموم) ومحال أن يكون لشيء غير ظواهره الطبيعية ولوازمه الخلقية ، فالسعادة لا تجي من هذه الناحية وانما تجي من ناحية أخرى يعرفها المؤمنون وقد رسخ فيها الروحانيون واما أهل الدنيا فلا أثر لذلك الا في ظواهرهم لا غير .

لا تفترد بنعيمهم فجسومهم في جنة وقلوبهم في نار ،

يوسف الدموي
من هيئة كبار العلماء

الطرف والملح

من أمثال العرب المشهورة قولهم : في بيته يُؤْتَى الحَكَم . وهو مما زعمته العرب على السنة الحيوان — قالوا . ان الأرنب التقطت ثمرة . فاحتسبها الثعلب فأكلها . فانطلقا يختصمان الى الضب . فقالت لأرنب : يا أبا حنبل^(١) . قال : سميت دعوت . قالت : اتيناك لنحتصم اليك . قال : عادلا حكما . قالت : فانخرج اليها . قال : في بيته يُؤْتَى الحَكَمُ . قالت : اني وجدت ثمرة . قال : حلوة فكليها . قالت : فاختلسها الثعلب . قال : لنفسه بنى الخير . قالت : فطعمته . قال : بحقك أخذت . قالت : فطمني . قال : حرأ انتصر لنفسه . قالت : فاقض ينسأ . قال : قد قضيت — فذهبت أقواله كلها أمثالا . عتبت مولاة علي بن هشام عليه مرة قتمادي عتبها . فترصاها فلم ترض . فكتب اليها : الإذلال يدعو الى اللال . ورُب هجر دعا الى صبر . وانما سُمي القلب قلبا لتقلبه . وقد صدق عندي العباس بن الأحنف حيث يقول :

سَارَانِي إِلَّا سَاهَجْرُ مَنْ لِي — سَ يَرَانِي أَقْوَى عَلَى الْمَجْرَانِ
مَلَّنِي وَاتَّقَا بِحَسَنِ وَقَائِي مَا أَضُرَّ الْوَفَاءَ بِالْأَسَانِ
فَفَرَجَتْ إِلَيْهِ مِنْ وَقْتِهَا وَرَضِيَتْ .

السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

التفقه في الدين وأثره في المسلمين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَإِنَّمَا نَأْتِي بِالسُّمِّ وَاللَّهُ يُعْطِي ، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَنْزِعُهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ » (١)

الشرح

الدِّينُ الإسلاميُّ هو الأحكامُ التي وصَّها اللهُ العليمُ الحكيمُ لعباده مشتملةً على جميع ما تُصلَحُ به حياتُهم الدُّنيويَّة والأخرويَّة صالحةً لكلِّ زمانٍ ومكانٍ لأَيِّ أمةٍ من الأممِ على ألسنةِ رسله عليهم الصلاة والسلام المؤيِّدين منه سبحانه بالمعجزات والآيات البينات شرَّعَ سبحانه هذه الأحكامَ وفصلها تفصيلاً وأقام الأدلةَ الناطقةَ الباهرةَ على صحتها وموافقيتها لمصالحهم ورُدَّفَ ذلك ببيان المنافع والثمرات الطيبة العائدة عليهم ما داموا حاملين بها واقفين عند حدودها ، يَعْرِفُ ذلك من مآرِسِ هذا الدينِ ونظر فيه نظرَ المتدبِّرِ المُتَنَصِّفِ الباحثِ عن الحقِّ حتى إذا تبين له اتَّبعه وكان به من المهتدين .
شرَّعَ جَلَّتْ حُكْمَتُهُ لَنَا هذا الدينَ وأَمَرَ رَسُوْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَلِّغَهُ لَنَا فَأَخْبَرَنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ عِلَامَةَ إِرَادَةِ اللهِ تَعَالَى الْخَيْرَ لِلْعَبْدِ أَنْ يُفَقِّهَهُ فِي الدِّينِ وَأَنْ يَهَبَهُ مِنَ الْفِطْنَةِ وَالذَّكَاةِ مَا يُوصِلُهُ إِلَى ادْرَاكِ حَقِيقَةِ هَذَا الدِّينِ وَحَقِيقَتِهِ ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ مَا

فيه من الأسرار والحِكَمِ البالغة والى العلم بأنه الوسيلة العظمى الى نيل السعادة الكاملة في الدنيا والآخرة ، فمن كان متعقب في دين الله تعالى هذا التفقه فهو ممن أراد الله به خيراً كثيراً ينال حظّه في دنياه وآخرته ، ومن لم يكن كذلك فهو من المحرومين الذين ذُكِرُوا بآيات ربهم فأعرضوا عنها وتولّوا مستكبرين وصلّوا عن سواء السبيل .

بعد ذلك أرشدنا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (وإنما أنا قاسم) الى أنه عليه الصلاة والسلام إنما هو موزّع عليهم جميع علوم الدين وموصلها اليهم مع التسوية بينهم في تبليغها لهم لا يخصّ فريقاً بشيء دون فريق ولا تأثير له في تعيين مقدار نصيب كل واحد منهم بل إنما ذلك التعيين لله سبحانه ، وذلك قوله صلى الله عليه وسلم (والله يُعْطِي) أي أن التفقيه في الدين إنما هو من الله وحده لأن نعمة الذكاء والعطية التي بها يكون التفقه والعلم الكامل إنما يُقدَّر عليها الله تعالى دون سواء فهو سبحانه الذي يجعل نصيب فلان من التفقه في الدين بمقدار معين فيكون هو قِسْمُهُ ونصيبه الذي يوصله اليه الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغه كل على قدر ادراكه وذكاؤه الذي وهبه الله له ، وأعتبر هذا الذي ذكرناه بما تعلمه من أمر المعلم مع من يعلّمهم يظهر لك معنى الحديث الشريف واضحاً حلياً ، ألا ترى أن المعلم يُبقي على المتعلمين المسائل محدودة مضبوطة من قبل القاء رتب أجزاء ترتيباً ونسق جملة تنسيقاً وأسمّتهم عبارته جميعاً وسوّى بينهم في الإعلام والتعليم ^(١) . وبذلك ما استطاع من أساليب الإفهام والتفهم ، ثم بعد ذلك يكون حفظ كل متعلم مما تلقاه عن معلمه بقدر استعداد فطرته وذكاء عقله وصفاء نفسه الذي فطره الله تعالى عليه ووهبه إياه . فما أشبه هذا المعلم المُخْلِص حينئذ بالزارع الخبير المُجِدِّ ! يُهيء الأسباب ويُمِدُّ الوسائل ويهيئ المزرعة ثم يَبْذُر الحب ويَنثُرُه فيها بالنساوي والقسطاس ثم يُسَمُّ الأمر ويفوض العاقبة الى الله الذي جعل لكل شيء قدرًا وخص من فضله من شاء بما شاء من نعمته وهو المعلم الحكيم .

(١) الإعلام مرة بعد أخرى . ومنه (قل اعلمون الله بدينكم) . ومنه التفهم .

هذا : ثم ان الفقه في الشئ هو ^(١) أن تتوصل بالأمر الذي تعلمه الى الأمر الذي تجهله فتجعل الشئ المعلوم لك الحاضر في ذهنك وسيلة تتوصل بها الى إحضار الشئ الغائب عنك فمن هذا يبين لك أن الفقه اخص من مطلق العلم ، ويكون معنى تفقيه الله تعالى لمن يريد به خيرا هو انه سبحانه يفيض عليه من لدنه فيوقفه لصحة ترتيب ما في نفسه من المعلومات ويُلهمه نظم ما هو حاضر عندها من صحيح المقدمات ليَتبَرَّ منها الى العلم بما هو مجهول له ويستنبط منها ما يتناسب معها ويشاركها في حكمها وحكمتها .

فاذا تلقى المتعلم عن معلمه مسألة وعلم حكمها فعلى قدر ادراكه الغريزي يكون قدر فهمه لها ، فان كان ضعيف الفطنة فإنه يفهمها ويقف ادراكه عند فهمه لما طهر له منها لا يتجاوزُه الى ما يماثلها من مسائل أخرى لم يسمعها من المعلم ، وادا كان قوى الفطنة دكيا فانه يتخطاها ويقس عليها امثالها ويستنبط منها اشباهها والناس في ذلك متفاوتون تفاوتاً لا يتناولُه عدٌّ ولا احصاء .

على هذا السنن وأمثل منه وأحكم كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم المسلمين ويُلقيهم أحكام الله تعالى التي علمها اياها ويرشدُهم الى تفهم ما نزل عليه في كتابه العلي الحكيم . كان يُلقى عليهم ما يراه انسب بحالهم الحاضرة ويقدم اليهم ما هم احوج اليه من غيره ، يعدل بينهم في التعليم ويسوى بينهم في التقسيم والتوزيع ولكل منهم نصيب من عناية النبي صلى الله عليه وسلم وتبليغه يعادل نصيب اخيه الآخر ، وهذا كما قد مناه لك معنى قسمته عليه الصلاة والسلام في قوله (وأنا قاسم) أي مؤزَع بينكم بتبليغ دين الله تعالى بالعدل وموصله اليكم على المساواة بعد أن تتساوى نصبتهم في قسمة الرسول صلى الله عليه وسلم التبليغ بينهم وفي فهمهم لها فهما صحيحاً تفاوت حظوظهم فيما فهموه قوة وغيرها قلة وكثرة تفاوتاً نشأ من تفاوتهم الخلفي في الاستعداد والدكاء والافهام ، لا من تفاوتهم في التبليغ والتعليم والافهام ، لذلك كان منهم من يفهم المعنى

الظاهر الجليّ فها سديدا من تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم لا يعتمد على ما هو خفي عليه لأن استعداده لا يقوى على الوصول إليه ، ومنهم من إذا فهم ما سمع تأمل فيه وتدبر وجال فكره فيه وأمعن في نواحيه حتى يدرك ما فيه من رموز وإشارات صحيحة ويعرف ما اشتمل عليه من أمرار وحكم بالغة وتجلي له الماني التي هي وراء ما سمعه فيقيس^(١) الأشياء على الأشياء ويلحق النظائر بالنظائر ويستنبط من أصول دين الله الصالح لكل أمة في أي زمان ما يوافق المصالح الحاضرة مبيّنا للناس ما فهمه وما استنبطه موضحا لهم من أين استنبط وكيف استنبط لا يُتهم بعد ذلك أنه شرع لهم ما لم يأذن به الله فإذا أصاب فيما اجتهد فيه قبلوه منه وله عند الله أجران وإن لم يُصب ردّوه إلى الصواب وله أجر ، وعلى الجملة كانوا في تعرف أحكام الدين واستنباط ما ينطبق على مصالحهم المشروعة الحاضرة مؤتمرين بقول الله تعالى (وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ وَاعْلَمُوا اللَّهَ) وقوله (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) وقوله (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)^(٢) .

هذا هو الصراط المستقيم الذي سار عليه الصحابة رضي الله عنهم ، ثم اقتدى بهم في ذلك خلفهم الصالحون من التابعين وتلاميذهم ، ثم جاء من بعدهم الأئمة المجتهدون فاهتدوا بهديهم وأمنتوا بسنتهم ، إمامهم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذي جمع كل صلاح الدين والدنيا كما قال عز وجل (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) .

وكذلك كانت قدوتهم الحسنة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تُفسر لهم كتاب الله تعالى وترشدكم كيف يتعلمون ويعلمون كما قال الله تعالى جل ذكره (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)

(١) إعلام الرقيب

(٢) عمل صالح مشكور عند الله والناس أجمعين

(٣) ما لا وعادة

لعل الذين اجترأوا على الدين الاسلامي فاتهموه عمداً أوجهاً بأنه كغيره من الأديان إن صلح فانما يصلح للأرواح . أما الحياة الدنيوية الزمنية فانه لا صلة بينه وبينها . لانه خلوا مما يصلحها ويقومها ، وأن ما يدعيه له أنصاره فانما هو أشياء جافة جمدوا عليها وأنها إن ناسبت كما زعموها له فانما هي أمور قدّم عهدتها كانت لزمن سلف وأمر قد خلت ، لعلمهم تبينت لهم مما شرحناه حقيقة ذلك الدين فعملوا أنهم في آثامهم له بذلك كانوا عن صراط الحق ناكبين ، ولعلمهم اعترفوا لدين الله تعالى بأنه دين حرية العقل المشروعة وأنه سبيل الإصلاح الدنيوي والأخروي مذعنين .

نقول أما أن حقيقة الاسلام الخفيف قد تبينت لهم فانه لاشك فيه ولا جدال على أنها ما خفيت على بصائر أولى الألباب منذ أن أشرقت شمسها وبلغت الدعوة إليها مشارق الأرض ومغاربها ، كما قال عز اسمه (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) . وأما أنهم علموا أنهم كانوا عن سواء السبيل منحرفين فانه كذلك لا زاع فيه ولا مرء فان البطل إذا أخذته العزة بالإيحم فأنكر على الناس علمه بالحق فانه لن يستطيع إنكاره على نفسه التي بين جوارحه .

وأما اعترافهم بأن دين الاسلام هو وحده دين الله الذي لن يقبل من احدي دين سواء كما قال سبحانه (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) فان كان هذا الاعتراف منهم بالسنتهم رحماناً لما في قلوبهم فقد آمنوا بمثل ما آمنتم به وكانوا مهتدين وإن كان الاعتراف منهم على غير ذلك الوجه ا ولم يعترفوا اصلاً (ولا نخال صدوره عن جعل الله لهم سمعاً وأبصاراً وافئدة يقدرونها قدرها) فاننا لانيأس من رجوعهم الى الحق وقتاً ما ، فان الباطل لا يتراءى^(١) للنفوس الا في اشتغال الحق عنه فاذا فرغ له دمه^(٢) فاذا هو زاهق^(٣) . (إن الباطل كان زهوقاً) .

هذا . ثم أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك العاقبة الحسنى لمن اعتصم

(١) لا تصدى ولا يرمى للنفوس لئلا (٢) اصابت دماغه . والرد ربه (٣) ذهب رطل .

بهذا الدين الحنيف واطاعه والعاقة السوءى لمن أعرض عنه وعصاه فأخبر أن هذه الأمة
المحمدية التى اكرمها الله المتفضل بهذا الدين القويم ستستمر قائمة على امر الله سائرة على
تعاليم دينه ممثلة أوامر مجتنبه نواهيه منعذة أحكامه حافظة لشرائعه وحينئذ يكافئها الله
تعالى فى الدنيا بان يحفظها ممن يخالف دينها فيرد عنها كيد اعدائها ويدفع عنها شرورهم
ولا يسلطهم عليها ولن يحمل الله لهم عليها سبيلا بل يحفظها مهيبة ملء قلوبهم واعينهم
ويحمل الفور والنصر العزيز ونفاذ الكلمة وعزة السلطان وقوة الجانب لها عليهم .
ولكن هذه المكافاة الحسنى من الله تعالى لهذه الأمة المحمدية انما تكون ماداموا متصمين
برؤية دين الله الوثقى ، عاملين بتعاليمه اما اذا نبذوه وراء ظهورهم وعصوا اوامرهم
وارتكبوا محارمه فاذا ذاك يأتى امر الله وهو حكمه على من يعرضون عن دينه ويفضون
أوامرهم وينتكهون حرمة ما به بالدالة والصغار والفقير والحاكة وتسليط غيرهم عليهم جزاء
وفاقا (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ) وقال سبحانه (وَمَا كُنَّا
مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) فلينظر المسلمون بعد ذلك ليعلموا من أى شطر
من شطري هذا الحديث المبشر المنذيرهم ؟ فان كانوا من شطره الأول قائمين على امر
الله شكروه سبحانه أن هدام للأيمان ووقفهم لما يرضيه عنهم ويرضيه عنه واستوفهوه
دوماً توفيقهم وشكرهم له حتى يزيدهم من فضله كما وعد الشاكرين فى قوله (لَنُثَبِّتَنَّ
شُكْرَكُمْ لِأَرْيَدَنَكُمْ)^(١)

واذا كانوا من شطره الثانى الذين نسوا^(٢) الله فتسيهم^(٣) واستهذفوا الأمر الله
ياتيهم بفتنة وهم فى خوضهم^(٤) يلعبون ، غير لهم أن يتقوا الله وينظروا ما قد موالعده ان
الله خير مما يسمون (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ
وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ

(١) لا تخشع اليك الأمة ثم لأصعب (٢) تركوا ذكره والتمس بدنيه (٣) تركهم وحدهم وحرهم وموته
(٤) ودحوهم ل" من وسيرهم فى المصمى وامانهم فيها لا على عاطف عن الموات (٥) ام بجى الوقت لدى تخشع
فيه قلوبهم لذكره تعالى فينظروا اوامرهم ويقتضوا عما نهوا عنه

مِنْهُمْ فَأَمِيتُونِ) (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ^(١) وَالْأَنْصَابُ ^(٢) وَالْأَزْلَامُ ^(٣) رَجَسٌ ^(٤) مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ ^(٥) وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ. فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ؟)

مس منصور

وكيل دار العلوم العليا ساجا

الطرف والملح

كل ما نشر وما يشر تحت هذا العنوان فهو من مختارات فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور
سأل ابو العيناء الجاحظ كتابا الى محمد بن عبد الملك في شفاعه لصاحب له .
فكتب الجاحظ الكتاب وناول له الرجل ، فأخذه ورجع به الى ابى العيناء وقال . هاهو
الكتاب ، فقال له ابو العيناء : هل قرأته ؟ قال لا ، لأنه محتوم قال : ويحك ! ففضه
لا يكون صحيفة المتلمس ، ففضه فإذا فيه « مؤصل كتابى سألتى فيه ابو العيناء وقد
عرفت سفته وبدوء لسانه ، وما أرام المعروفك اهلا ، فان احسنت اليه فلا تحسبه على يدا
وان لم تحس اليه لم أعدّه عليك ذبا . والسلام » فركب ابو العيناء الى الجاحظ وقال له : قد
قرأت الكتاب يا ابا عثمان فحجل الجاحظ وقال : يا ابا العيناء . هذه علامتى فيمن أعنى به .
قال ابو العيناء ، فإذا بلغك ان صاحبي قد شتمك فاعلم انها علامته فيمن شكر معروفه .
قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : اتقوا الزاح فانها حُمقة تورث صفيته .

(١) القامرة اي كانت (٢) جمع صب . وهي اعمار كانت منصوبة حول البيت يدبجون عليها ويمدون ذلك قرينة
(٣) جمع زم . وهي قطع رفيقة من الخشب . كتب على احدتها (امرى رى) وعلى الثانى (نهائى رى) والثالث
لاكتابة عليه . ثم وضع في كيس . ويخرج صاحب الارلام واحدا منها . قال خرج زم المكسوب عليه (امرى رى)
مضى الشخص فما ارد . وان خرج القى فيه النوى لم يضى . وان خرج البهل من السكتاية اعدوا العمل مرة بعد مرة
حق يخرج الامر او النوى . وغرضهم من ذلك معرفة ما قسم لهم أخبر هو ام شر ؟ (٤) اقدار تعاقبها الطامع الزكية
والعقول السدسة الراحة (٥) الحياء هنا تأثر النفس وانغاضها اغضالا غير حرد . فهي صد الحية واثرها الناعىء عنها
العداوة . وهي هنا التمدي واماعة العامة . فذكر الحياء بعد العداوة من ذكر الباب بعد الباب (٦) استصنام
مصاه الامر بالانتهاء .

مجلة نور الاسلام

تحية وتقدير

ملخص مقال من فضيلة الاستاذ صاحب التوقيع في تحية المجلة وقد كلمة

حات في مقال (الهجرة) المدرج في الجزء الأول من هذه المجلة

عندما قرأت في الجرائد ذلك النبأ السار الذي بشرنا بظهور مجلة نور الاسلام حمدت الله كثيرا على ظهور هذا النور ورجوت الله سبحانه أن يبدد به ظلمات الشبهات التي أحاطت بالمسلمين من كل جانب وكنت في شوق الى رؤية هذه المجلة التي يشرف على تحريرها نخبة من العلماء الأجلاء وقد كان الواجب أن تكون في عالم الوجود من ربع قرن على الأقل بل كان الواجب أيضا أن يكون لنا معشر المسلمين المصريين عشرات من أمثالها اذا أردنا أن يكون لنا وجود يشعر به أهل الأديان الأخرى .

وقد أسمعني الحظ بالعثور على الممدد الأول منذ يومين ثنين فقرأته وعند ذلك ذكرت قول القائل « أول الفيت قَطْر » ودعوت الله أن يوفق القائمين بأمرها حتى تأخذ المسكاة الحقيقية بها اذ هذه المجلة منسوبة الى أكرم جامعة دينية اسلامية في العالم وعلى هذا الاعتبار سينظر اليها العالم الاسلامي في جميع أقطار الارض وحبذا لو تمكن القارئون بها من نشرها بلغات أخرى حتى يعم النفع بها

قرأت فيما قرأت من بحوثها القيمة الكلمة التي كتبها حصرة مولانا الاستاذ الكبير الشيخ ابراهيم الجبلى تحت عنوان الهجرة السوية التي اختتمها بقوله (ولما سمع أهل المدينة بخروجه إليهم « أى النبي عليه السلام » عليهم الفرح والشوق الى رؤية بينهم فكانوا يخرجون كل يوم يرقبونه خارج المدينة حتى يشتد الحر فيعودوا الى دورهم حتى كان اليوم الذي وصل فيه صلى الله عليه وسلم كان أول من رآه رجل من اليهود فصاح بأعلى صوته هذا جدكم الذي تنظرون قد جاءكم (يريد ما لجد الحظ) فاقبلوا عليه مرحبين وأحد

البنات ينعين

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا بعت بالأمر المطاع

والذي لاحظته على ذلك أن فضيلة مولانا الاستاذ جارى في قوله هذا بعض أهل السير الذين رووا هذه الأبيات وقالوا أن بنات المدينة تعين بها عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا اليهم من مكة والصحيح أن هذه الايات أنشدها النساء والبنات والولائد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم عند رجوعه من غزوة تبوك الى المدينة قال ابن القيم في كتابه زاد المعاد في ذكر هذه الغزوة ولما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه وخرج النساء والصبيان والولائد يقفن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

ولم يذكر غير هذين البيتين ثم قال وبعض الرواة بهم ويقول : إنما كان ذلك عند مقدمه المدينة من مكة وهو وم ظاهر لأن ثنيات الوداع هي من ناحية الشام ولا يراها القادم من مكة الى المدينة ولا يمر بها الا اذا توجه الى الشام أى في رواية من روى أنها قيلت عند مقدمه المدينة مهاجرا من مكة غلط مادي ظاهر كان سببه عدم معرفة مواقع الطرق والجبال المحيطة بالمدينة هذا ما رأيت بيانه في هذه الكلمة القصيرة وهي تحيتي لهذه المجلة التي أرجو لها حياة مباركة طيبة ان شاء الله تعالى

محمود هرنوس
قاضي محكمة نى مزار
الشرعية

« الجواب عن ايراد ابن القيم »

نشكر لفضيلة الاستاذ علو همته وعنايته بالتحري والتحقيق مع أدبه الجم ، فذلك هو ما ينتظر من مثل فضيلته

ثم نقول : ان الذى ذكرناه هو ما درج عليه أهل السير ، وقد أجاب صاحب السيرة الحلبية عن اعتراض ابن القيم فى (زاد المعاد) الذى نقله الاستاذ بان دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة من هذه الجهة كان بعد اقامته أياما بقاء ، ونقل أيضا عن بعضهم ما يفيد أن العادة كانت جارية بان دخول المدينة كان من هذه الجهة ، وكان فيما يزعمون أن من لم يعبر منها مات قبل أن يخرج من المدينة لوبائها ، ومثل هذا الزعم معها كان كاف فى جعل تلك الثنية هى الطريق المألوف للقادمين الى المدينة ، فجرد كون ثنية الوداع ليست فى جنوب المدينة لا يكفى فى توهيم الرواة على ما زعم ابن القيم .

هذا وقد قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان عن ثنية الوداع (انها ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة) وقال (واختلف فى تسميتها ثنية الوداع فقليل لانها موضع وداع المسافرين من المدينة الى مكة وقيل غير ذلك) وعبارة القاموس (ثنية الوداع بالمدينة سميت لان من سافر الى مكة كان يودع ثم ويشيع اليها) فمن هذا يظهر أن ثنية الوداع كانت هى الطريق المألوف فى دخول المدينة فلا محل لتوهيم من روى ذلك .

وأما انشاد بنات الانصار هذين البيتين عند مقدمه عليه الصلاة والسلام من تبوك فلا يمنع سبق انشاد الايات الثلاثة عند مقدمه من مكة فكلمات الترحيب ملحقة بالاغاني تتكرر ولا تملى والله أعلم .

ابراهيم الجبالى

مدرس بقسم التخصص بالأزهر

تغبيه

وردت ادارة المجلة رسائل فى مسائل شتى وسبشرع فى الجواب عنها فى الجزء

القابل ان شاء الله تعالى

أصول الفقه

الشريعة الإسلامية، صالحة لكل زمان ومكان

الأصول النظرية الشرعية

الاستصحاب

يجد الانسان في نفسه انه اذا تحقق عدم شيء أو وجوده كان على ظن من استمرار ذلك الشيء على ما تحقق فيه من عدم أو وجود ، ويبني على ذلك الظن افعالا ليس من شأنه أن يفعلها في حال ما اذا كان في شك من استمرار الشيء على العدم أو الوجود ، فاذا ناقش أحد في مراسلة الشخص عن عرف وجوده ، وزعم أن مثل هذه المراسلة يكفي فيها أن يكون على شك من استمرار وجوده ، فانه لا يستطيع أن يناقش في أن من اشترى حيوانا غائبا مثلا كان قد رآه من قبل ، ودفع ثمنه أنه اعتمد على ظن استمرار حياته ، ولا يستطيع أن يناقش في أن من اقتحم بصيبته مغارة مفجرة الارحاء دون أن يحمل معه ماء كافيا انما اعتمد على ظنه بقاء ماعرفه فيها من أبار نابعة ، ولولا ماينقلب على ظن الاب المطوف من حياة ابنه الغائب في سفر لما كان يبيت الا في قلق وحيرة ، وانك لتجلس الى الانسان العاقل وتسأله عن شخص عرف أحواله ثم انقطع عنه شهرا أو سنة فيتحدث عنها بكلام من لا يشك في أنها واقعة في الحال ، فيقول : هو موسر أو بائس ، له ولد أو لا ولد له ، بينه وبين فلان عداوة أو صداقة .

وظن الانسان لاستمرار ما تحقق عدمه أو وجوده منه الى أن الأصل في عدم الشيء أو وجوده الاستمرار حتى يقوم الشاهد على انقطاعه ، وهذا الأصل مما نظر اليه الفقهاء عند تقرير الأصل الذي يسمونه «الاستصحاب» .

الاستصحاب : أصل من أصول الشريعة اني تجعل العلماء في فسحة ، وتخلصهم

من مواقف الحيرة ، وهو أصل متفق على العمل به في الجملة وان اختلفوا في بعض ضروبه ، قال القرطبي بالقول بالاستصحاب لازم لكل أحد لانه أصل تنبني عليه النبوة والشريعة ، فان لم نقل باستمرار حال تلك الأدلة لم يحصل العلم بشيء من تلك الامور ، واستمرار حال أدلة النبوة والشريعة من الاستصحاب الذي لا يختلف العقلاء في صحته ولا يتطرق اليه الريب في حال

ونحن لا نقصد في هذا المقام الى بسط القول بذكر مذاهب الفقهاء في الاستصحاب وتقرير أدلتها ، فوضع ذلك كتب الاصول ، والقصدان نتحدث عنه بتقدير ما يستبين القارى حقيقة أصل من الاصول التي جعلت مجال الاجتهاد فيها ، وطريق الفتوى ممهدة ، ولا تنجلي حقيقته الا ببيان أقسامه وضرب المثل لكل قسم منها ، وذلك ما نتعراه في هذا المقال

الاستصحاب : ثبوت أمر في الزمن الحاضر بناء على ثبوته فيما مضى ، فالأمر الذي علم وجوده ثم طرأ الشك في عدمه فالأصل بقاؤه ، والأمر الذي علم عدمه ثم عرض الشك في وجوده فالأصل استمراره في حال عدمه ، فن تزوج فتاة على أنها بكر ثم ادعى بعد البناء بها أنه وجدها ثيباً لم تقبل دعواه الا بيينة ، لأن حال البكارة ثابت من حين نشأتها ، فيستصحب الى حين البناء حتى تقوم على عدمه البيينة ، ومن اشترى طائراً أو كلباً على أنه يحسن الصيادة ، وادعى بعد أنه وجده غير متعلم لها ، سُمعت دعواه هذه الا أن تدفع بيينة ، لأن حال الحيوان في الأصل عدم معرفه الصيادة حتى يعلمها ، فاذا وقع فيها تردد استصحب الأصل حتى يقوم الشاهد على ثبوتها .

والاستصحاب كسائر الاصول التي يستغنى عنها المجتهد من استقراء جزئيات كثيرة من موارد الشريعة ، ويرجع بمقتضى ما ذكره علماء الاصول الى أربعة أقسام (أحدها) استصحاب ماهو حكم الاشياء في الأصل حتى يقوم الدليل على ما يخالفه وبيان هذا أن كثيراً من أئمة الشريعة ذهبوا الى أن الاشياء في الأصل خالية من

الحكم ، أى أنها لاتوصف بشئ من الاحكام الشرعية من الوجوب والحرمه والندب والكراهة والاباحة ، ومقتضى هذا رفع الحرج والاثم عن الفعل والترك ، ورجح فريق انها على الاباحة ، ومآل القولين واحد فان الحرج في الفعل والترك مرفوع على كلا المذهبين ، وانما يمتاز مذهب الاباحة بانه صريح في التخيير ، أما مذهب انتفاء الاحكام فقايتة رفع الحرج ، ورفع الحرج لايتلزم التخيير في الامر لاحتمال أن يكون مكروها ، ورأى آخرون أنها على المنع ، وأدلة هذه المذاهب مبسطة كما ذكرنا في كتب الاصول

وتظهر فائدة الخلاف في الاشياء التى لايجد المجتهد على حكمها من دليل ، أو الاشياء التى تتعارض عندها الادلة ولا يبدو له في جانب أحدها وجه من الترجيح . فهذه الاشياء يرجع بها كل فريق من أصحاب هذه المذاهب الى استصحاب مايراه أصلا للأشياء ، فهذا يستصحب فيها انتفاء الحكم فتلحق بما لاهرج فيه ، وذلك يستصحب فيها الاباحة فتكون من قبيل التخيير في فعله وتركه ، والآخر يستصحب فيها المنع فتدخل فيما لايجوز الاقدام عليه ، وقد يسبق الى ظنك أن القول بانتفاء الاحكام واستصحاب هذا الانتفاء فيما لايطلع له المجتهد على حكمه يجعل بعض الافعال خالية من أحكام الشريعة ، فيدفع هذا الظن بان المجتهد يصل به الدليل المتد به في نظر الشارع الى أن مالا يجد له حكما في نص أو قياس ، يستصحب الأصل الذى هو انتفاء الاحكام الخمسة المقتضى رفع الحرج ، فيرجع الى أن حكم الشارع فيه رفع الحرج في الفعل والترك ،

هذا وقد اختار كثير من المحققين أن الأصل في الاشياء الاباحة ، فهى على التخيير حتى ينهض الدليل على ماسواه من كراهة أو حرمة أو ندب أو وجوب ، فاذا عرض لهؤلاء أو للقائمين بان الأصل انتفاء الأحكام أمر اجتهدوا في تعرف حكمه من الأدلة السمعية أو القياسية ، فإن لم يظفروا به هناك استصحب الاولون فيه الاباحة واستصحب الآخرون رفع الحرج والاثم . ومقتضى هذا الأصل ان كل ما يوجد في

هذا الكون من جاد أو نبات أو حيوان ولم يرد في الشرع ما يقتضى النهى عن تناوله واستعماله ، يكون من قبيل المأذون فيه .

ذلك ضرب من الاستصحاب ، وهنا ضرب آخر وهو استصحاب مادل الشرع على ثبوته كملك الأرض أو البضاعة عند تحقق القول المقتضى له ، وحل النكاح بعد امتلاك العصمة وشغل الذمة عند التزام مال أو اتلافه فإذا عرض شك في الملك أو حل النكاح أو شغل الذمة أثنى الشك وقضى باستمرار الملك حتى تقوم البيئة على نفيه ، وببقاء العصمة حتى يعلم انقطاعها ، وببقاء الذمة مشغولة بما التزمت بقيمة ما اتلفت حتى تثبت برأتها باقرار أو بيئة

والقضاء ببقاء الملك أو العصمة أو شغل الذمة مع عروض الشك فيها ، يستند الى استصحاب مادل الشرع على ثبوته قبل حال الشك ، فصار بعد حال الشك بمنزلة المعلوم . ولم يختلف أهل العلم في العمل بهذا الضرب من الاستصحاب الا أن يقوم تجاهه ما يراه المجتهد أقرب دلالة واظهر حكما .

ذاتك ضربان من الاستصحاب وهنا ضرب ثالث وهو استصحاب العدم الاصلى كان يدعى الشريك أو المضارب أن المال لم ينتج عنه ربح ، فقبل دعواه استصحابا للأصل الذى هو عدم الربح الا أن يثبت الربح بيينة ، ومن مثله أن يشتري المضارب صنفا من البضائع فيدعى صاحب المال أنه نهاء عن شراء هذا الصنف ، وينكر المضارب ، فالقول للمضارب استصحابا للأصل الذى هو عدم النهى ، وهذا الضرب من الاستصحاب لا يخالف في العمل به أحد من أهل العلم الا أن يصرفه عنه دليل أظهر منه وأقوى .

تلك ثلاثة أضرب من الاستصحاب ، وهنا ضرب رابع منه وهو أن يعلم ثبوت أمر عقلى أو حسى باحدى طرق العلم ، ثم يقع الشك في زواله فيستصحب بقاؤه وتجري الاحكام على هذا الاستصحاب حتى يحصل العلم أو الظن بزواله ، ومن أمثلته الدائرة أن يفقد شخص فيقوم بعض من شأنه أن يرثه مدعيا وفاته ومطالبها بقسم ماترك من

مال ، فترد دعواه بان حياة ذلك الشخص كانت قبل الفقد معلومة فتستصحب فيما بعد حتى يقوم الشاهد بوفاته .

وهذا الضرب من الاستصحاب يعمل عليه كثير من أئمة الفقه ، وخالف في حجته أئمة آخرون ، وذهبوا فيه مذاهب وسمتها كتب الاصول بحثا واستدلالا . تلك أربعة أضرب من الاستصحاب وهنا ضرب خامس يسمى استصحاب الاجماع ، وهو أن يكون الامر بحالة ويتفق فيه على حكم ثم تغير الى حالة أخرى ، فيستصحب حكم الاجماع في الامر بعد تغيره حتى يقوم الدليل على أن له حكما غير ما انعقد عليه الاجماع ،

والمثال الذي يوضحه : مناظرة جرت بين أبي سعيد البردعي وداود الظاهري في بيع أم الولد ، قال داود الظاهري : قد اتفقتا على جواز بيعها قبل العلوق بالحل ، فن زعم أن بيعها بعد الولادة لا يجوز فعليه الدليل ، فقال أبو سعيد : قد اتفقتا على منع بيعها حاملا ، فن زعم أن بيعها بعد الوضع جائز فعليه الدليل ، فسكت داود ولم يحر جوابا ، وهذا النوع من الاستصحاب قبله بعض أهل العلم ورده آخرون .

ذلك الاستصحاب وتلك أقسامه ، وقد استنبط الفقهاء استصحابا آخر هو على عكس الاول ويسمى الاستصحاب المطلوب ، وحقيقته ثبوت أمر في الزمن السابق بناء على ثبوته في الزمن الحاضر ، وللمالكية فتاوى مبنية على رعايته ، كمسألة الوقف الذي لا يدري بعد البحث أصل مصرفه وشرط واقفه ، ولكننا نجده في الزمن الحاضر يصرف على حالة . اذ قالوا : ان هذه الحالة تستصحب فيما قبله ويحمل على أن مصرفه في الاصل هكذا ، وتكون الحالة التي يصرف عليها صحيحة حتى تقوم البيئة على عدم مطابقتها لما صدر من الواقف . وكمسألة الزوج ينسب عن زوجته دون أن يترك لها نفقة ثم يقدم فطالبه بما أنفقت في غيبته ، فيدعى أنه كان في مدة النية معسرا وتدعى هي أنه كان موسرا : اذ قالوا : انه ينظر الى حال قدومه من عسر أو يسر وتستصحب في زمان النية ، فان قدم موسرا عد في النية ذا يسار وقضى عليه بما تطلب الزوجة من النفقة ، فهنا ثبت أمر وهو يسار الزوج في الزمن السابق أعنى زمن النية بناء

على ثبوته في الزمن الحاضر أى زمن قدومه بالاستصحاب .
وانما يعتمد المجتهد على الاستصحاب بجميع أقسامه بعد أن ينظر في الحادثة
ولا يجد لها حكما في نص أو قياس ، قال الخوارزمي في كتاب الكافي «الاستصحاب
آخر مدار الفتوى فان المفتى اذا سئل عن حادثة يطلب حكمها في الكتاب ثم في السنة
ثم في الاجماع ثم في القياس ، فان لم يجده يأخذ حكمها من استصحاب الحال في النفي
والاثبات ، فان كان التردد في زواله فالاصل بقاؤه ، وان كان التردد في ثبوته
فالاصل عدم ثبوته» .

هذا صفة ما يقوله أهل العلم في الاستصحاب ، وقد رأيت كيف يفتح للفقهاء
طرقا يصدرون بها الفتوى في يسر ، وينفذون منها الى فصل القضايا في سرعة ، علاوة
على ما فيه من الدلالة على ساحة الاسلام وانه دين الفطرة الذي لا يشتر أولياؤه
بمخرج فيما شرع من أحكام .

(يتبع)
محمد الخضر حنين

الطرف والملح

وقال ابو الحسن الماوردي : الفرق بين العقل والمروءة ان العقل يأمر بالأنفع .
والمروءة تأمر بالأجل ولا ينقاد للمروءة الا من سهلت عليه المشاق . رغبة في الحمد .
ولذلك سيد القوم أشقاهم .

قال ابو الطيب :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُفقرُ والإقدام قتال
وقال ايضا :

واذا كانت النفوس كبارا تسبت في مرادها الأجسام
وقال شاعر حكيم :

الماء يغسل ما بالجسم من دنس وليس يغسل قلب المدنب الماء

اصْبُوا الدِّينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاسلام دين الفطرة

قال الله تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) وقال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)

وعدنا في العدد السابق أن يكون الكلام في الاحكام العملية وما فيها من مساهمة الفطرة السليمة ومظاهر الرحمة ، ووفاء بما وعدنا نذكر اليوم بعض ما تضمنته أحكام الشريعة الغراء من بالغ الحكمة ووفائها بمصالح البشر على وجه يكفل سعادة الحياتين ونعيمهما فتقول .

الاحكام العملية ثلاثة أقسام (الأول) الاحكام المتعلقة بما بين العبد وخالقه و (الثاني) الاحكام الراجعة الى الانسان في خاصة نفسه و (الثالث) الاحكام المنظمة للعلاقات بين المرء وسائر الناس أو وسائر الخلائق .

نقسمها هذا التقسيم وان كانت جميع الأفعال متى قصد بها الوقوف عند حد ما أذن الله فيه كانت مرضاة لله موجبة للمثوبة، وإذا تعدى بها حدود ما نهى الله عنه كانت موجبة لسخطه ، وكذلك بعض أفعال العبادات راجعة الى تنظيم العلاقات بين الناس بعضهم وبعض .

(فالتقسيم الاول) وهو ما يعرف بالعبادات قد جمعه الحديث الشريف « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » رواه البخاري ، وقد سميت أركان الاسلام وقواعده ، فانظر اليها واطل التأمل والتفكير تستجمل ما حوت من معان وحكم ، ألا ترى عمادها الاول وركنها الاقوم شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، انظر في التعبير بكلمة شهادة

وقد عرفت في التحدث بما تعلمه علم الشهود، علما لا شك فيه ولا ريبه، علما يجعلك كأنك تحدث عما تشاهد، لا أنك سمعت الناس يقولون قولاً فقلته، ثم انظر الى الشطر الاول منها تجد الاعتراف والادعاء بأنه ليس في الوجود من له الهيمنة والتصرف ويده وحده مقاليد كل شيء. ومن له الخلق والامر ومن وسع كل شيء، رحمة وعما ومن يده تقليب القلوب وتصريف الامور وتقدير الشؤون ومن هو الضار والنافع وهو على كل شيء قدير، سوى واحد أحد هو الله لا شريك له في الملك وليس لأحد معه في الامر شيء. فلا ينبغي أن تخضع النفوس للاله ولا ترجو ولا تخشى سواه، انظر كم فيها من اطلاق نفس الانسان من العبودية للانسان بله الجداد والحيوان، انظر، كم فيها من السمو بانفس الى مرتبة السيادة والاستقلال والرجوع الى من هو مرجع الجميع، لا فضل لأحد على أحد إلا بالرفق لديه والتقرب اليه، انظر، كم فيها من الاشعار بأنه هو الاله الذي يعلم السر وأخفى، ويعلم خواطر النفس وما تحنى الصدور، الذي يطاع عليك في خلوتك ويعلم دخيلة نفسك وهو قابض على ناصبتك ومالك رمام قوتك وأنت الفارق في نعمته السابح في بحر رحمته (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْبَاطِنُ الْغَيْبُ)، انظر وتأمل كثيرا ثم حدثني بالله أليس من أكبر المعجب كما قال الحريري « ان تتواري من مملوكك وأنت بمرآى من مملوكك وانت تجاهر بمصيبتك مالك ناصيتك »؟ ألا تشهد معنى قوله صلى الله عليه وسلم (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) أليس صحيحاً أنه لو استحضر معنى ما ينطق به كل ساعة ويستقده اعتقاداً تاماً وإن كان ينفل عنه أحياناً — وهو أن القوة التي يحارب بها ربه هي هبة من ربه وأنه مطلع عليه كما يطلع الرجل على الرجل بل أكثر وأكثر ؟! — لو استحضر ذلك لكان على صفة صهيبي التي وردت في الأثر الشريف « نعم العبد صهيبي لو لم يخف الله لم يعصه ^(١) » إلى ان أمر الانسان لمعجب ؟؟ يستخفى من مملوكه الذي لا يقدر له على شيء وهو بمرآى مملكه الذي يده مقاليد كل شيء، وما أصدق قوله صلى الله عليه وسلم (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) فلو استحضر معنى ما هو مؤمن به وأجره على قلبه لكان ان لم

(١) المراد أن لديه من الاحلال له واحداً منه ما يحول بينه وبين مصيبته ولو لم يحب منه

يمنعه الخوف من عقاب الآخرة منحه الحياء من اطلاع سيده النى وهبه نعمته ليستعملها في طاعته فقلب على نفسه النعمة وصيرها نعمة (فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفَرَ لِذَنبِكَ).

وأما الشطر الثاني وهو « وان محمد رسول الله » فهو الوصلة العظمى والعروة الوثقى بين ما يفهم من الشطر الاول وبين جميع أحكام الشريعة الفراء ، فتى أذعنت النفس واعترفت بما تعلمه عم اليقين والمشاهدة حتى صح لها أن تقول أشهد واحداث بما أعلم أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو من عند الله أرسله اليها بالبينات والهدى ، فأمرنا به فأما أمرنا به ربنا وما نهاها عنه فهو حل شأنه الناهى في الحقيقة كما قال تعالى في الكتاب العزيز (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأْتَهُوا) — كان ذلك مدعاة للنفس التي يصح أن يقال لها نفس الانسية تميز ما ينفعها مما يضرها أن تأخذ بقدر استطاعتها من هذه الامور التي هي تجارة رابحة وموجبة للرفى عند الله وباب مرضاته وأن يرتدع ارتداعا تاما عما يوجب غضبه ، وأنه ليكفى العاقل في المسارعة الى امثال هذه الاوامر عما أنها من أمر ربه موجبة لرصائه ، وأن مخالفتها موجبة لسخطه وغضبه ، يكفي هذا لدى العاقل ولو فرض أنه لا يترتب على امثالها أو مخالفتها ثواب أو عقاب ، فان النفوس الشريفة ليس شىء أحب اليها من أن تعمل عملا يبلغ مرضاة من له عليها منة ما ، فأبالك برصاة من هو صاحب المنن كلها في الحقيقة ، وما كانت منة أحد على أحد إلا لأن المنم الاعظم جعل بعض عبادته طريقا لتوصيل نعمته الى بعض ، والكل من الله وحده فلا اله الا الله ولا متصرف في الكائنات سواء : أحل يكفي هذا وحده في اقبال النفوس على الطاعة وارتداعها عن المصيبة ، فكيف اذا علم أن الطاعة موصلة الى جنة عرسها السموات والارض ، وان المصيبة قائدة الى نار وقودها الناس والحجارة ؟ ليس هذا يجعل من أكر المعجب أن يحارب المرء بمصيبته مالك ناصيته ؟ أو ليس هذا مما يشرح لنا قوله صلى الله عليه وسلم (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن) الى آخر الحديث وفوق هذا فقد اقتضت حكته جل شأنه أنه لم يتعبنا الا عما فيه مصلحة عاجلة لنا

لم يمتحننا بما نصيب العقول به حرصا علينا فلم ترتب ولم نهم
وان كان هو السيد المالك يكفي في وجوب المسارعة الى امتثال أمره ان ذلك
موصول الى رضاه وهو صاحب النعمة حتى في أصل الوجود والتكوين .
نقول لم يتعبنا الا بما فيه مصلحة واضحة لنا سواء في العبادات وهو ظاهر في
أصولها وجعلها وان خفي علينا في بعض تفاصيلها ، وفي المعاملات وهو ظاهر واضح في
جعلها وتفصيلها وان غم على بعضهم اتقيادا للنظرة المجلى في مستحدثات الشؤون ومجارات
الاهواء ، وفي الاخلاق وهو أظهر وأوضح .
واليك البيان في بقية أقسام العبادات .

الصلاة : الصلاة عماد الدين فمن ضيعها فهو لما سواها أشد تضييعا . أجل ، فانها جماع
أركانها ، فقد اشتملت على الشهادتين وانفق المصلى بعض ماله في العبادة ، وهو بذل الماء
للطهارة ، وأمسك عن كل ما يمسك عنه الصائم ، واتجه نحو البيت الحرام تنسكا وتعبدا ،
وقد عني الشارع بها حتى جعلها تتكرر في اليوم حتما خمس مرات ، وجعل أعمالها مكررة
في كل مرة متى وثلاث ورباع تثبتا لها وتمكينا في النفس ، بل جعل بعض أعمال الركعة
الواحدة متكررة فيها كالسجود مبالغة في اخضاع النفس لخالقها وحده ، ولقد شبهها صلى
الله عليه وسلم بالهر يكون أمام بيت الرجل يفتسل فيه كل يوم خمس مرات فلا يبقى فيه
من درن وبلغ من عناية الشارع بأمرها أنه لن يبيحها لشخص حتى يستعد لها الاستعداد
اللائق بها فيتطهر من الحدث والجس فيطهر ثوبه وبدنه ومكانه ، وكأنه وهو يتطهر
يقول بلسان حاله . رب قد طهرت طاهري من الادرن والافذار استعدادا لمناجاتك
والوقوف بين يديك فأعني على تطهير باطني من كل ما يدنسني ويعنني عن الوصول لمرتبة
الصديقين ، رب قد غسلت في الماء فأجعل ذلك تكفيرا لما جرى به لساني مما لا ترصاه لي ،
رب وقد غسلت وجهي وهو مجمع حواسي فأجعل ذلك تطهيرا لها مما اقترفت مما أشعر به
ومالا أشعر ، وكذلك غسل يديه التي هي مطهر بطشه ومرجع عمله ثم مس رأسه الذي
هو مستودع قوة تفكيره ، فكأنه يقول اللهم هذا مبلغ طاقتي في تطهير نفسي فأعني على
ما بقى خفياعتي ، فاذا غسل رجله فلكي يسمى بهما طاهرتين الى خير ما تسعى اليه القدم ،

ذلك هو الوقوف بين يدي ربه خاشعا خاضعا مستحضرا عظمته وجلاله وصغر كل ما سواه قائلا بلسانه وقلبه « الله أكبر » أليست هذه الكلمة بعد هذا الاستعداد العظيم كافية للنفس التي تعرف قيمتها أن تنصرف عن كل ما سواه وكل ما سواه صغير حقير والله أكبر ؟؟ أليس ينبغي له وقد وقف برأى من ربه أن يقبل عليه فيذكر نعمته ويشكرها ويثني عليه بانه هو صاحب الحمد وحده في كل نعمة ، فما من نعمة الا وهي منه وأنه هو رب العالمين خلق كل شيء فسواه وأعطاه كماله اللائق به ، ثم هو مصدر الرحمت والواهب لجميع المطايا ، فان لم يكفه هذا ليجذب نفسه نحوه رغبة في فضله واعترافا بشكره فهو مالك يوم الدين (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) وهنا تجد نفسك بين الرغبة المظلمة والرغبة الكرى فلا تجد مناصا من افراذه بالعبادة وحده فتسجده اليه مستحضرا عظمته وتحاطبه كأنك تشاهده (إِنَّا كَ نَعْبُدُ) ولما لم يكن للنفس قدرة الا منه ولا معونة الا به تحصى بطلب المعونة (وَإِنَّا كَ نَسْتَعِينُ) وهما تشعر بأن التوفيق والهداية ليس لهما باب الا رحمة الواسعة فكم من عقول كانت راجحة فزلت وضلت لأنها لم تدركها هدايته فيتمهل المصلي الى ربه طالبا منه الهداية الى الطريق الاقصر طريق المتقين وأن يباعده عن مبيد المتكبرين المعاندين والضالين الزائمين فيقول (إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) وبعد هذا فسواء أقرأ بعد ذلك ما تيسر من القرآن أم اقتصر على أم الكتاب فان هذا المقدار كاف في أن يخضع لجلال الله ، ويطأطئ هامته أمام عظمته مسبحا حامدا ممتزقا بلسان حاله أنه هو الحدير وحده بأن يخضع له ويحشع أمام هيئته ، وتحنى الهامات تعظيما لقدره ، فاذا ما اطمان لهذا طلب اليه أن يرفع قامته استعدادا لامتثال ما يطلب منه والقيام بما يؤمر به ، فيطلب اليه بعد هذا أن يخر ساجدا لله وأن يضع جبهته وهي أعز شيء لديه على الارض خضوعا لله وحده ليحرر نفسه من العبودية لغيره ، وهنا يحى « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » ثم يكرر ذلك تثبيتا وتمكينا لمعالم الذلة لله وحده التي هي باب المزة للنفس ، فاذا ما كرر هذا العمل مثنى في الصبح وثلاث في المغرب ورباع

في باقي الاوقات قائما باستحضار تلك الاسرار ، فكيف يكون مطهرا نفسه ؟ وكم يكون للصلاة من أثر في تهذيب النفوس وتطهيرها من الادران كما يعتس المرء في نهر أمام منزله خمس مرات كل يوم فلا يبقى فيه من درن كما في الحديث الشريف . أو لم يتضح لنا بذلك قوله تعالى (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) أو لم يظهر صدق قوله صلى الله عليه وسلم في الرجل لذي قبل عنه أنه يفعل كيت وكيت وقد سأل أليس يقيم الصلاة ؟ قالوا بلى فقال ان صلاته ستنباه .

اجل . ان الصلاة على هذا الوجه وهذا الاستحضار عماد الدين فن أقامها فقد اقام الدين ، ومن صيغها فهو لما سواها اضيع ولا يفوتك ان تتأمل بنفسك مغرى كلمات التشهد في آخر الصلاة أو وسطها وما فيها من توجيه التحيات والتعظيمات لله ثم اهداء السلام للواسطة العظمى صلى الله عليه وسلم ، ثم السلام على نفسك وعلى عباد الله الصالحين والعودة الى الاساس الأكبر شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثم الصلاة على النبي وعلى آله لانه الوسيلة الى هذا الخير كله .

وما التوجه الى القبلة فليشعر بانه واخوانه المؤمنين جميعا متجهون الى جهة واحدة هي أول مهبط للوحى فينبغى ان تتحد ملوهم كما آمنت وجهتهم .

ناشدتك الله بها المصلى ان تروض نفسك المرة بعد المرة على أن تستحضر في صلاتك هذه الاسرار حتى تتمكن من نفسك وتصح ديدتك وعادتك ، فانك بلا شك ذاتق حلاوة الأيمان وشاهد مصداق قوله صلى الله عليه وسلم (وحملت قرّة عيني في الصلاة) ومصداق قوله تعالى (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) ويبلغ درجة الاحسان وهي « ان تمجد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك »

الزكاة : قد جعلها الشارع الحكيم قرينة الصلاة في غير ما آية من الكتاب العزيز وذلك ان المال أعز شيء على النفس حتى قالوا المال شقيق الروح ، اذ يشعر المرء أنه مامن غرض ينتفيه الا وجد المال وسيلة اليه ، فامر هذه صفته ومنزلته في النفس كم يكون الخروج عنه بلا مقابل عاجل صعبا على النفس وشاقا ، فلا حصر ان جعل الشارع بدله وهو على هذه الصفة ابتغاء مرضاة الله علامة الاتقياء لطاعته والرغبة في مرضاته ، وكان

جديرا بالنفس التي ربيحت على التهذيب الدائم حتى أصبحت سلسلة القيادة لطاعة مولاهما ان يكون اول مظهر هذا الانقياد الاقبال على بذل النفس العزيز حبا في احراز المطلب العزيز وهو رضا الرحمن ، فانظر كيف ان العبادات يأخذ بعضها بحجز بعض حتى تكون هيكلها عظيما وبناء شامخا ، وقد افردنا في الجزء الاول للزكاة مقالا في هذه المجلة شرح بعض مآلها من مزايا وان كانت اسرار التشريع اوسع من ان يستوفى مثل هذا القلم القصير .

الحج : جاءت الشريعة الاسلامية المطهرة لتكون الامة وتوحد صفوفها وتجمع شملها وتقوى كتلتها وتمتحن بنيتها كما كفلت تهذيب الفرد ونظهير نفسه ورفعته عن الدنايا والدس وعن الخضوع خضوع العبادة لغير ربه ، والامة الاسلامية لا يحويها صعيد واحد ولا يحصرها اقليم واحد ، وانما هي تملأ الارض مشارقها ومغاربها ، ولكل امة مزاياها ورزاياها ورب امة متمتع بمزاياها قد حرمت مزية كبرى امتازت بها امة تعيش ببناء عنها وكذلك رب رزية حلت بقوم وقد نجأ منها غيرهم بما هدام الله اليه .

ولما كان الاسلام قد جعل المؤمن المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وجعل المؤمنين في توادم وتراحمهم كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحلم — كان تشريع امر الحج تشريعا هديا يهدي الى الرشاد وينفذ من الضيم ويمين البعض على مساعدة البعض ويجعل التراحم بين المؤمنين والتساند حقيقة لا خيالا ففرض على المؤمنين ان يحج منهم من استطاع ليشهدوا منافع لهم وليطوفوا بالبيت العتيق الذي هو قبلتهم وروم وحدتهم ووجهتهم في عبادتهم لحكم جليلة لان الله في مكان فسبحانه عن ان يحويه مكان ، وقد تضمن بما شرع فيه من التجرد عن متاع الحياة الدنيا ذكرى يوم البعث والنشور ، ذلك يوم يحجوع له الناس وذلك يوم مشهود ، وكان الحجاج يقولون بلسان حالهم ربنا اننا تجردنا من كل شيء لتقبل عليك فليكن اللهم ليك . وقد اقتضت حكمته جل شأنه ان يجعله في واد غير ذي زرع تجبي اليه ثمرات كل شيء لينجو من ان يكون مثار التنازع على الملك من حيث احتوائه على زخرف الحياة الدنيا ومتاعها ، فاذا ماتنوزع على الأمر فيه فليس الا للقيام بخدمة عباد الله ، واقامة شعائر

الله وهكذا كان وهكذا يبقى الى ما شاء الله. وقد نهرد للحج مقالا نبغ فيه جهد المستطيع ان شاء الله .

الصوم : اما الصوم فما احوج النفوس التي غرقت في لذائذ الحياة وانغمست في الترف والنعيم ان تشعر ردها من الزمن بالحاجة الى المربي الاعظم وتذكر نعمته عليها ولا يذكر بالنعمة الاقدها كما قالوا « الصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المرضى » وليس هذا قاصرا على نعمة الصحة ، فالانسان دائما مولع بالنظر الى ما حرم منه غافل عن الاعتداد بما متع به ، ولذلك جاءت الايات تترى حاثية على تذكر النعم للقيام بشكرها ، ومن اعظم نعم الله على عباده المؤمنين التي تكررت حتى اصبحت كأنها امر طبعي مألوف لا يحس به ، هو الاطعام من جوع ، فاقترضت حكمة العليم الحكيم ان يكلف الانسان ان يجمع نفسه جزأ من الزمن ليشكر نعمته عليه وليذكر حال من حرم من هذه النعمة بسبب الفقر فيعطف عليه ، وليهذب نفسه ببيان عجزها وضمفها حتى ترجع الى خالقها ، ثم تعويد النفس على ضبط عواطفها ، وتربية ملكة الصبر والامانة فيها .

نسأل الله تعالى ان يرزقنا التوفيق لطاعته ، وياعد ما بيننا وبين معصيته . فانظر الى هذه الاحكام وما احتوت من اسرار وحكم عقلك فيما اذا كشف لك الفطاء وكنت من انور الناس بصيرة وارجحهم عقلا وهديت الى ما لم يهتد اليه غيرك ، ثم كلفت ان تضع للناس قانو ما يهذب من طباعهم ويسلس من قيادهم ويلين شكيمتهم ويزيل الاحقاد من نفوسهم حتى يتم تراحهم أفكنت واحدا خطة أهدي تتبعها ام انت معترف بان الكمال لله وحده ، وان هذا هو الدين الخنيف (فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) وسيكون كلامنا فيما يلي على القسمين الباقيين ، قسم الاخلاق ، وقسم المعاملات فلا يأخذك الضجر والسأم ، فاعلم هو نور الاسلام يُجلى بين يديك لينير البصائر ويظهر السرائر ويصفي الضمائر والله المستعان

ابراهيم الجبالي

مدرس قسم التخصص ، لاهر

الجن

موضوع غريب . واغرب منه الخوض فيه . وما كنا للتصدي له لولا أن مهمة هذه المجلة محاربة الشبهات والرد بالتى هى أحسن على ما يوجه من المطاعن نحو الاسلام والمسلمين . خصوصا ونحن في عصر قد فشا فيه الاتحاد وانتشر فيه الزيف والفساد . واصبح القابض على دينه كالتفاض على الجمر . والتمسك بأدابه وسنته يرمى بالجلود والتأخر . وترمقه الاعين بالازدراء والسخرية

نقول هذا لمناسبة ما نشرته مجلة العالم الاسلامى (The Moslem World) لمحررها القس زومر في عددها الصادر في أبريل الماضى عن اعتقاد المسلمين في بلاد الفرس في الجن وكيف أنهم ينسبون اليهم كثيرا من خوارق العادات وغرائب الأفعال . وبعد أن اسرسل الكاتب في سرد مايقوله الفارسيون عن الجن وتأثيرهم في كثير من نواحي حياتهم اليومية ختم مقاله بما يأتى :

«ان السواد الأعظم من مسلمى فارس يؤمنون بوجود الجن ايمانا راسخا ويجعلون لهم علائق وثيقة بجميع شئونهم البيتية وحياتهم الدينية بحيث يعتقدون أن الجن ملازمون لهم من المهد الى المهد . وليس عقيدتهم هذه وليدة الخرافات الموروثة منذ الجاهلية الأولى بل هى مستمدة من القرآن والسنة وكلام الأئمة . لذلك أصبحت هذه العقيدة عاملا ذا شأن في عقلية المسلمين من الشيعة»

والقارىء لتلك المقالة يستخلص منها أمرين . أولا أن الكاتب يعيب على الفرس تمسكهم بكثير من الخرافات التى تدور حول الجن وعلاقتهم ببنى الانسان . والاثر الثانى أنه يسخر من وجود ما يسمونه بالجن وينسب تعلق الفارسيين بتلك الاوهام الى ماورد في القرآن والسنة من الآيات والأحاديث الدالة على وجود أولئك المخلوقات .

أما عن خرافات الفارسيين فلن نبحث فيها من حيث الصحة والبطلان . لأنه مامن

أمة على وجه الأرض إلا لها خرافات ويتناقضها أفرادها جيلا بعد جيل ولا يؤثر فيها انتشار العلم واتساع نطاق المدنية والحضارة ، ولكن الذي نريد أن نبحث فيه هو أن انكار وجود الجن والاستهزاء بمن يقول بوجودهم أمر لا يوافق النظر الصحيح والبحث الحثالي من التعصب والتحزب ، ومما يؤسف له أن كثيرا من شباب المسلمين يرون رأى ذلك الكاتب بعير علم ويزعمون أن ما جاء في القرآن من ذكر الجن إنما هو على سبيل المجاز لا الحقيقة . وانا نائلهم أن يدلونا على المجاز في قوله تعالى « قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ رَبِّنَا أَحَدًا » كذلك أين المجاز فيما ورد في سورة النمل في قصة سيدنا سليمان وبلقيس في قوله تعالى « قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِيْهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِيرٌ »

وإذا أردنا أن نحصى الآيات والأحاديث الدالة على وجود هذا الخلق لضاق بنا الحصر . إلا أنه لا يفوتنا أن نذكر أن القرآن الكريم أثبت في كثير من الآيات أن الجن يختلفون في أصل خلقهم عن بني آدم « خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ . وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ » . « قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ . » « وَالْجَانُّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ » الى غير ذلك من الآيات الدالة على أن هناك خلقا مناهرين للبشر وهم بحكم طبيعتهم محجوبون عن العيون « إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ »

هذا ما يصح توجيهه الى المنكرين من المسلمين . أما غيرهم من أهل الملل الأخرى فلا يجدي أن نسوق اليهم الأدلة على وجود الجن من كتاب لا يؤمنون به ولا يمتثلون بصحته بل نحتكم نحن وهم الى العقل والاستدلال الصحيح وما دلت عليه الابحاث العلمية الحديثة وما كتبه بعض كتاب الافرنج انفسهم في هذا الموضوع !

أما من حيث العقل فأى غريب في وجود خلق يختلف عن بني آدم في التكوين ؟

أليست الروح الآدمية التي تحتل هذا الهيكل الجسماني لانتقل غرابة عن الجان من حيث كنهها وما يكتنفها من الاسرار ؟ ورب معترض يقول أن ليس هناك مايسى بالروح الانساني بل الحياة انما هي تفاعل كيميائي في الجسم أو نتيجة للدورة الدموية . الا أن مثل هذه النظريات قد أثبتت المشاهدات الحسية فسادها وبطلانها . ولا يقول بها الا نفر قليل من المكابرين المعاندين ، ونجد الآن كثيرا من أساطين علماء الغرب يسلمون بوجود الروح ويعترفون بأن وراء هذا الحجاب المادي الكثيف عالما آخر يختلف اختلافا كليا عن عالمنا وما يحويه .

ومع هذا أليس في التنويم المغناطيسي وعجائبه ما يكفي لأن ينهض دليلا على أن الإنسان ليس مجرد كتلة من اللحم والدم والعظم ؟ . أضف الى ذلك ما يقوم به بمض طوائف الهنود من خوارق العادات كتحكمهم في الدورة الدموية فيمنعون سيلان الدم ويوقفون ضربات القلب ويمشون حفاة على أرض صلبة من الحديد تكاد تكون في حالة الانصهار ويدفنون أنفسهم تحت الثرى مدة شهور بدون طعام أو شراب ثم يقومون بعد ذلك أحياء ، ولقد توصلوا الى القدرة على هذه الأفعال برياضة أنفسهم رياضة خاصة غايتها التغلب بقدر الاستطاعة على شهواتهم المادية وقهر ميولهم النفسية .

فاذا ثبت أن هناك روحا تسكن الجسم الانساني وتأتي بالمعجزات من الأفعال ما الذي يمنع من وجود أرواح أخرى طليقة لانتقيدها الاجسام ؟ أريد الانسان الا يصدق الا بما يلمسه بيديه أو يراه بعينه أو يسمعه بأذنيه ؟ نحن الآن في عصر ارتقت فيه المختبرات الى حد يخالها الانسان سحرا ، ومع ذلك ننظر اليها نظرا الى الثنى ، المؤلف . فهل كنا نصدق اذا قيل لنا قبل عشرين عاما أن الانسان سيظهر في يوم واحد مقدار ما تقطعه السفن في عشرات الايام . وأن الواحد سيتكلم مع الآخر من قارة الى أخرى في بضعة دقائق ! ! وهل نصدق الآن اذا قلنا لك أن الهواء سيحل قريبا محل الشاشة البيضاء في الحياة (السينما) أي أننا سنشاهد في هواء الحديقة

أو الغرفة ما يمثل من الروايات في نفس الوقت الذي تمثل فيه في لندن أو باريس مثلا ونرى أشخاص الممثلين بل نسمع أصواتهم فعلا^(١)»

فاذا كنا نسلم بوقوع هذه المدهشات في عالمنا المادى فلماذا نجادل في وجود ما يماثلها في عالم تجرد عن المادة ؟ ألم يثبت العلم الحديث أن المادة التى يتكون منها العالم ترجع نهائيا الى أصل لطيف جدا دائم الحركة وهو المسمى بالالكترونات أو الذرات الكهربائية ، والكهرباء — كما نعلم — شىء يرى أثره ولا يدرك كنهه . وناهيك بما استفاده العالم من خدمات ذلك الشىء المجهول — الكهرباء

على أن القول بوجود الأرواح متقصصة أشكال الآدميين لم يكن من عند الشرقيين فقط بل قاله الغربيون أيضا وكتب فيه الباحثون من علماء النفس وبنوا إبحائهم على مشاهدات حسية لا ينكرها الا كل مكابر ، وانا لناقلون هنا بعضا من تلك المشاهدات لا نتميز بها البرهان على وجود الجان لأن وجودهم كما اسلفنا يسلم به العقل والبحث المادى . فضلا عما ورد بشأنهم في جميع الكتب السماوية . وانما غرضنا من ايراد امثال تلك الوقائع أن نلفت نظر كاتب تلك المقالة الى أن هناك من بنى جلده من أهم أولى بالتقريع والنقد من المسلمين اذا صح له أن يكذبهم في دعواهم التى يتحدثون كل من تعرض لأنكارها .

والكتاب الذى ننقل عنه المشاهدات الآتية موضوع باللغة الانجليزية تحت عنوان «الاشباح التى رايتها وتجارب سيكولوجيه أخرى»^(٢) . وهو يقع في اكثر من ثلثماية صفحة وطبع مرتين منذ الحرب العالمية . وقد جاء في الفصل العشرين ص ٢٩٠ ما يأتى :

« عرفنا قصرا كانت تسكنه أسرة ثم هجرته مدة طويلة ولما عادوا اليه صاروا يسمعون في بعض نواحيه صراخا يصم الآذان ويشعرون في بعض الأحيان بوقع أقدام تيجى . وتذهب ويسمعون صوت أبواب تفتح وتغلق . ومن الغريب أن لتلك

(١) قد صرح بذلك شيخ المخترعين السرداديين الى احدى اصحات الطبية ووعد بأن مايقوله سيصير حقيقة واسعة لي سنة ١٩٣١

(٢) The Ghosts I have Seen and other Psychi Experiences .

الاسرة كلها كان يشاهد دائما في حالة انزعاج فيهر من وقت لآخر كأنه يرى أمامه أشخاصا لا يراهم سواء . كما أن الحيل كثيرا ما كانت تأتي دخول الاسطبل الا بعد أن تدفع اليه دفعا .
وجاء أيضا في ص ٢٧٧ ما يأتي :

في ليلة من ليالى شتاء سنة ١٩١٧ كنت في مأمورية تتعلق بالحرب وكانت الأوامر العسكرية تختم اذ ذاك على السكان ولا سيما القرييين من السواحل بأطفاء الأنوار . فكان الظلام دامسا . وفي أثناء رجوعي مررت في طريقى بذلك البيت المهجور السابق ذكره واذا بى اسمع قرعا عنيقا على احدى النوافذ المطلة على الطريق وصوتا يقول وقف . أريد أن أحدثك . فجمدت في مكاني ووددت لو أن انسانا مر بى في ذلك الوقت ليكون شاهدا معى على ما رأيت . ولكن للأسف لم تتحقق أمتيى . ولما حاولت السير سمعت ضحكا من أفواه متعددة أعقبه وقع أقدام مختلفة الحركات . فكثت في مكاني نحو عشر دقائق ثم عزمت على السير فسمعت ثانية قائلا يقول وقف . لا تذهب بالله . فف . فلم أطق صبرا واطلقت لساقى العنان .

وجاء في موضع آخر ص ٢٧٨ ما يأتي :

حدثنى شقيتى أن زوجها—وهو ضابط كبير بالجيش—استأجر منزلا للصيد في مكان منزل في احدى قرى الريف . وبينما هما نائمان اذ سمعا وقع أقدام في المطبخ فظننا أن اللصوص قد سطوا عليهما . ولكنهما عجبا من شدة الجلبة والضوضاء التى يندد حدوثها من قوم يريدون السرقة ليلا . فأشعل الزوج شمعة ونسلح بمسدسه وكذلك شقيتى واتجها نحو الأصوات بكل خفة وسكون . ولما اقتربا من المكان لم يجدا شيئا مطلقا . وفي اليوم الثانى في الساعة الرابعة بعد الظهر سمعا ضجة منبعثة من حجرة مقفنة الباب . فاسرعا نحوها ووفعا هنية يتمجبان من جراءة أولئك الاشخاص الذين يقدمون على احداث جبة كهذه بدون اكراث بأصحاب المنزل . واخيرا دفعا الباب لياغتا اللصوص ولكنهما دهشا اذ وجد الغرفة خاوية . وأخذ كل منهما ينظر الى الآخر وقد تملكهما الرعب والفرع

وبعد عدة أيام من هذه الحادثة وقع ما هو أغرب إذ كانت شقيقتي جالسة بالليل وحدها في حجرة الاستقبال منكبة على قراءة رواية . فسمعت حركة شخصين في الطرق المجاورة يتصارعان بشدة ويتدافعان ويزجران كأنهما سبعان مفترسان . ثم رأت أن كليهما النائم تحت قدميها قد استيقظ وشخص يبصره نحو الباب وكان يرتعد كالقصب في مهب الريح . ولم يلبث أن ففز من مكانه هاربا . فاستولى الرعب على شقيقتي فتناولت مصباحا ومشت خلفه نحو الباب تريد الصعود الى غرفة نومها . وإذا بها تسمع وقع أقدام وراءها فارتدت نحو الحائط مذعورة . وفي اللحظة نفسها مرت بها عاصفة من الأقدام اصطدمت بمصباحها فأطفأته . ولم تصل الى غرفتها الا بعد أن كادت تموت هلما ورعا . وبلااستفسار فيما بعد من السكان المجاورين عن تاريخ هذا المنزل اتضح أنه كان يسكنه فلاح أرمل وله ابن وحيد . ولما تزوج الأب بفتاة حسنة وقع الولد في شرك غرامها واتصل أمرهما بأبيه فما كان منه الا أن طعنه بمدية طعنة كانت القاضية عليه.

والكتاب مملوء بتل هذه الحوادث وسواء أكانت صحيحة أم مبالغا فيها فانا لانزال نكرر أن العقل السليم لا يأبى التصديق بوجود مخلوقات تفير بنى آدم في الخلق والتكوين . وانما الذى يدعو البعض الى الانكار هو الاندفاع وراء المادة وانهماك العقول والقلوب في الحصول عليها . فعميت البصائر وهنت العقائد . وكلما توغل الناس في هذا السبيل ضعف تمسكهم بحبل الدين وصاروا يعدون السمعات من نعيم وجعيم وجن وملائكة أساطير الأولىين .

محمد الحسنى رضا

مفتش الآداب بالمعهد الدينى

الذبيح اسماعيل لا اسحق

بعث الينا حضرة الفاضل صاحب الامضاء هذه الكلمة

طلالت كلمة فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى فى السيرة النبوية ونسب المصطفى صلى الله عليه وسلم المنشورة فى العدد الثالث من المجلة وترجيحه أن (الذبيح) هو سيدنا اسماعيل لا سيدنا اسحق عليها الصلاة والسلام مفسرا لآيات سورة الصافات بما يخالف بعض المفسرين معتمدا على القرينة وسياق الالفاظ الدالة على أنه بعد ذكر الذبيح فى الآيات السكرية ذكرت البشارة بمولد سيدنا اسحق عليه السلام فهو غير (الذبيح) المذكور قبلا ومن حيث أن هذا الاستنتاج هو الظاهر أرجو التكرم بنشر ما يأتى تأييدا للاستنتاج من نفس التوراة الموجودة الآن وهو ما يؤخذ منه أن الذبيح هو (اسماعيل) لا (اسحق)

نصت التوراة أن اسماعيل ولد وعمر أبيه (سيدنا ابراهيم الخليل) ست وثمانون سنة وان اسحق ولد وعمر أخيه (اسماعيل) أزيد من ثلاث عشرة سنة أى لما كان عمر سيدنا ابراهيم تسعا وتسعين سنة

ومن حيث ان الله تعالى قال لابراهيم كما فى التوراة «خذ ابنك وحيدك الذى تحبه (اسحق)» فتكون كلمة (اسحق) زائدة لأنه لا يمكن أن يكون اسحق وحيد سيدنا ابراهيم لأنه مسبق باسماعيل الذى هو وحيد سيدنا ابراهيم قبل ولادة (اسحق) فكيف يكون اسحق وحيد ابراهيم

أما لفظة اسحق التى بعد كلمة وحيدك فقد قال عنها العلماء المحققون أنها (الحاقية) أى أنها زيادة إما للتفسير كما يقولون عن كل ما هو الحاقى أو لغرض آخر كبنفسهم لاسماعيل لا هم ليسوا من نسله وكى يفتخروا أنهم من نسل (الذبيح) اسحق (راجع سفر التكوين ص ١٦ ع ١٦ وص ١٧ ع ١ وص ٢٢ ع ١)

ومن جهة أخرى أن اختبار الله لابراهيم بذبح الابن الوحيد أشق على النفس من ذبح الابن الذى يوجد غيره عبد العزيز نصحي

اصول الدين

حرية الانسان

تكليفه — القضاء والقدر

نكتب اليوم في القضاء والقدر وهو من اعرض المسائل سرا وأبعدها غورا وقد اضطربت فيه الأفهام وزلت فيه الأقدام واكثر في خوض صباه المسلمون والمسيحيون وان كانوا يرموننا الآن بالتأخر والجود والتكاسل والتواكل من جراء ما نعتقد من القضاء والقدر ونسوا ان تلك العقيدة عندهم كما هي عندنا بل يجب أن تكون في كل دين من الاديان لأنها حق لامية فيه وليس ذلك منافيا للحرية الانسانية كما سيتضح لك أجلى اتضح ، ولقد كان يكفي لادحاض مآرموا به المسلمين نظرة واحدة لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين أتوا من جلائل الأعمال ماغير وجه البسيطة وقلب نظام العالم .

هذا ما أرشدنا اليه عمله مما امتلأ به التاريخ ، وقد عضده الكتاب والسنة ولكن الأمر كما يذكرون هم عن سيدنا المسيح عليه السلام وان الانسان يرى القذى في عين أخيه ولا يرى الخشبة في عين نفسه، على ان ذلك جهل بحقيقة القضاء والقدر عندنا وعندهم كما ستقف عليه ، ولنجهد في توضيح ذلك حتى تجعله على طرف النّام وان كان من معترك الأفهام ومزالق الأوهام ولعل ذلك هو ميزة المجالات العلمية في هذا العصر ، توضح الحق وتقرّب البعيد وتطلع الجمهور على ما كان لا يتحدث به الا بين الخاصة وسط المعاهد العلمية أو المآبى الدينية معرضين عن الاصطلاحات المذهبية والعبارات الفنية ما استطعنا الى ذلك سبيلا فنقول :

من البدهي اننا نختار الفعل على الترك والترك على الفعل فترجح ماشئنا متمتين بالحرية ، وقد كان يجب أن يكون هذا كافيا في الجزم بمرئتنا واختيارنا ، وقد تعلم أن كل ما يعارض البدهي أو المحسوس يجب الا يلتفت اليه ويكفى في سقوطه مصادمته للبدئية ، حتى اننا لو عرفنا أن هناك دواعى تدعو الى ذلك الفعل لم نشك في أن لنا

تدخل في الفعل بالتفكير والترجيح بعد الموازنة والتروى ، فاذن لنا شيء في العمل
لا محالة وان كنا نعتقد أن ما يسهره الله كان وما لا فلا ، واذا كانت الاسباب الجارية
لها تدخل في الأشياء كما قال تعالى في حق الماء (يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ
وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) فجعل الانبات به كما جعل الاحياء به في الآية
الأخرى ، فكيف لا يكون لنا تدخل فيما يكون منا ، هل السبب الآلى أقوى من
السبب المفكر المختار الذى يستطيع أن يقلب الاسباب الآلية ويسيرها في أى طريق
شاء وهو أعظم منها ، فانها مسخرة له وهو مليكها فكيف لا يعطى ما أعطيته من
الأحكام وهو أقوى الاسباب وأعظمها ولماذا لا يحيطون من الاسباب التى يتوقف
عليها الفعل نظر الانسان وارادته واختياره وترجيحه ، هل يكون لغير العاقل المقهور
من التدخل في الفعل ما ليس للعاقل المختار ، اللهم ان ذلك غير معقول فلم يبق الا
التحديد وبيان مقدار ما لمعد من ذلك وهو غير ضرورى للعلم الانسانى بل غير ممكن
فار اكتناه الأشياء كما هى غير مستطاع للانسان ولا داخل في متناول قدرته ،
فهذا الغذاء الذى هو من أظهر الاشياء لانعرف من أمره الا الظواهر التى «لا تسمن
ولا تنفى من جوع» أما كيفية انقلابه أعضاء مختلفة فلا نعرفها ولا نستطيع أن نعرفها ،
وكذلك ماتنتب الارض من أوضح الواضحات من حيث أطواره المعروفة . ولكن
كيف تكون هذا النبات من التراب وكيف استحالت التراب أزهارا بهية . وانقادا
شبه فذلك مما لا سبيل الى الوصول اليه وهكذا الاشياء كلها ، وبما يجب أن يلتفت
اليه أن كل شيء نستطيع البحث فيه الى حد محدود ، فاذا تجاوزنا ذلك الحد استغرق
علينا وانسدت أبواب الفهم فيه فأخذنا نضرب في متاهات الخيال ونخبط في مهامه
من الظنون والاهام ، فتضاربت الأقوال وتناقضت الآراء ولعلك رأيتهم كيف
تخبطوا في الوجود وهو أظهر الأشياء عند ماتعمقوا فيه وكذا العلم والنور النخ
مارأيت ولو عرفنا هذه الحقيقة فلم نجاوز قدرنا ولم نتمد طورنا نزال هذا العناء وذهب
ذلك الشقاء وهى حقيقه يجب أن تقرر وتكرر حتى تلا الرءوس وتنبس في النفوس .

ومن العجيب أنهم أطالوا القول في هذه المسألة (مسألة أفعال العباد) منجدين ومُتهمين مشرقين ومغربين فكانت من أعوص المسائل بين الفرق الإسلامية والمسيحية ولو تأملوا لعرفوا أنه لا فرق بينها وبين غيرها فكل شئ عويص إذا أردنا أن نقف على كنهه وحقيقته فما بالنا نتجاوز قدرنا ثم نكثر من الصراخ والضوضاء .

وبعد فالقول بكون الانسان مجبرا لا مختارا قول باسقاط كل تبعة وكل مزية وجراحة على التسوية بين الخبيث والطيب وهو أمر يناقض العلم اليقيني وينافي البديهيات الأولية ، ويمعجنى قول من قال كيف تزعم انك جبرى مع انك تجرى لاحضار الطيب لمريضك وتدافع عن وطنك وتستدعى رجال المطافي لاطفاء حريق بيتك وتعمل على وقف النار التى بدأت تشب من شرارة أصابت أوراقك في حجرة عملك ، وان لديك عقلا وانك لتنتفع به فيما تريد ولا سبيل الى انكار ذلك . فالاشياء تقع بأسبابها ومنها الارادة الانسانية ، فهى بعض الأسباب العاملة في سير الحوادث في هذا الوجود ، ثم نقول يوجد اعمال كبيرة لكبار الرجال فمن الذى يستطيع أن يقول انهم لافعل لهم في احداثها أو ليس لهم تدخل فيها ، وبمبارة أخرى ليسوا من أسبابها ، أو هم أعظم أسبابها من حيث كونهم رجالا دوى عزيمة صادقة وارادة قوية وافكار حرة لامن حيث كونهم الآت مسخرة لاتستحق حمدا ولا شكرا ، ولا تستطيع أى سفسطة أن تزيل منا ذلك الاعتقاد الذى يملك كل نفس وكل عقل حتى نفوس الاطفال وعقول الجهال فان كل واحد منا يعتقد اعتقادا لايدافع أن له أثرا أو تسببا في كثير من الاشياء فنحن نعمل وذاقتنا أننا فاعون لا منفعلون ونعتقد أننا بنى بأيدينا صرح المستقبل في الدنيا والآخرة ، وان كان ذلك على حد محدود وعلى قدر ما وهبنا الله تعالى فكيف يصح أن يقال أننا كمية مهملة في الوجود مع أننا أكبر عوامله التى تعطيه الرواء والبهاء ؟ ؟

والنتيجة لهذا كله أن للانسان تأثيرا في وجود الاشياء فانه حلقة كبيرة من حلقات سلسلة الوجود بل هو أهم حلقاتها ، ولكنه غير مستقل استقلال تاما في المسألة فيجب أن يكون عليه من المسؤولية بقدر ماله من الاثر في ذلك الفعل

والتدخل فيه حتى اذا صار مكرها أو ملجأ كان غير مسئول بالمرء ، فليس العبد مجبرا ولا آله صماء كما يحس بذلك احساسا لا يعارض عند ما يعرض له أمر خطير بل عند ما يسعى لرزقه وجاهه ووظيفته وشهادته .

ومن العجب أنه في أموره الدنيوية يكون معتزليا متطرفا . وفي أموره الدينية يكون جبريا متطرفا . اتباعا لما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ، ومع كوننا نقول انه غير مجبر نقول أيضا انه لاغنى له عن الله تعالى ، فان علمه قاصر وقدرته قاصرة ولا سلطان له على الأمور الخارجية ولا على تميم الموجبات لما يريد . ولا منع الموانع عما يريد فن الموانع التي يجوز أن تحدث ما لا يدخل تحت علمه وقدرته وانت تعرف انك حر ههنا ولكن كونك حرا لا يقتضى أن تكون غير مقيد بالقوانين ولا خاضع للذساتير الى آخر ما تعلم ولا تجهل فالاشراف ، يجب أن توضع في مراكزها ولا تتعدى حدودها فان الاستقلال التام يستتبع القدرة القاهرة والعلم المحيط وذلك ليس الا لله تعالى .

لسنا ننكر أن هناك أسبابا خارجية تؤثر في مجرى الحوادث ولكن أنت من الأسباب أيضا ولك علك الخاص في دائرتك الخاصة عندما يجرى دورك وقد رأيت بعضهم يشبه الانسان في هذه الحياة براكب في سفينة قصى عليه أن يركبها وأن يسير فيها فليس مختارا في ركوبها ولا في السير فيها ولا هو طليق يذهب حيث شاء ويسير حيث أراد ، ولكن له مع ذلك حرية تامة فيما يفعله في تلك الدائرة المحدودة فيتصرف في شئونه الخاصة كما يشاء يذهب ويحى فيها كما يريد بشرط ألا يتعدى مقدم السفينة ولعل هذا معنى قول سلفنا الصالح (لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين) . ثم أننا نرى أن الأفعال كلها قد اسندت الى العباد في كتاب الله تعالى ولذلك كلّفوا وما كان الله ليكلفهم ما هو خارج عن استطاعتهم ومتناول قدرتهم (لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) فقد منحك الله القدرة والارادة فجملك قادرا مريدا ولو شاء لجملك عاجزا مقهورا ثم وكل اليك تصرف تلك الارادة بمحض اختيارك الى أحد الجانبين من الفعل والترك ، والترجيح شأن من شئون الارادة الذاتية ، والتصرف أمر

اعتباري يرجع اليك الفصل فيه حتى انك قد ترجع المرجوح تقديماً للشهوة على النظر العقلي أو تنمنا بلذة الحرية التي تجدها من نفسك ومع ذلك ما لنا والتعمق والتحديد بعد ما أريناك أن تحديد الأشياء على ماهي عليه يختص بالله تعالى والا تساوي علمك وعلمه ، وأين العبد من المعبود ، وأين المحدود من غير المحدود ، وهذا جار في كل شيء لافي خصوص أفعال العباد ويعجني قول بعضهم اننا نعرف أننا أحرار في حركاتنا وسكناتنا وذلك محسوس لدينا لا يمكن أن نشك فيه كما نعلم بانبرهان العقلي أن الأمور راجعة الى الله تعالى وهو مالك زمامها وصاحب التصرف فيها على ما تقتضيه الالهية «وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ» وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلتؤمن بهاتين الحلفتين الأولى والأخيرة ولتدع ما بينهما من الحلقات .

هذا : وقد علمت أنه شاء أن يعطيك الإرادة والاختيار ، ولتقف عند هذا الحد من الكلام على أفعال العباد ولتتكلم على القضاء والقدر الذي يظن كثير من الناس أنه ملزم ومجبر فنقول :

القضاء والقدر

هما راجعان الى علمه تعالى وقدرته فالتقضاء في رأى حكماء الاسلام - وليس بلازم أن نوزع قلبك بين شعاب الخلاف ونسلك بك مسالك الاعتساف - هو عبارة عن وجود الأشياء على الوجه الاكمل في علمه تعالى على وجه كلى والقدر إيجاد تلك الاشياء في عالم الظهور على وجه تفصيلي يوافق القضاء السابق، وهما شبة صمب حلما على كثير من الناس : قالوا ان ماسبق في العلم الالهي لا بد منه ويستحيل نقيضه فاذن الاشياء مرسومة مقررة قبل أن يوجد الانسان فهو اذا مقهور لا مختار ومن الغريب أن الامام فخر الدين الرازي (وهو هو) كثيرا ما يذكر ذلك في الزام المعتزلة بالجبر واسقاط الاختيار مع أن ذلك غلط واضح لا أدري كيف وقع فيه الامام الرازي وغيره من الأعلام ذلك أن العلم لاعلاقة له بالجبر والاختيار فاني اذا علمت بأى وسيلة من وسائل العلم انك تسافر غدا وكان ذلك علما حقا لم يكن له تدخل في

سفرك الذي سيقع بمحض ارادتك واختيارك ، والعلم ليس من صفات التأثير ،
وتخلف المعلوم أو عدم تخلفه ليس مبنيًا على كون العلم مؤثرًا بل على كونه صحيحًا
أو غير صحيح وهذا من أظهر الظاهر وأوضح الواضح فإن من الجلي أن العلم لا أثر
له في المعلوم وأن المعلوم يوجد بأسبابه وسلسلة علله لا يعلم العالم أو جهل الجاهل .
والخلاصة أن الله تعالى قبل أن يخلقك يعلم أنك ستكون مريدًا مختارًا لأنك
إنسان لا جاد (بل الحيوان الاعجم له ارادة واختيار أيضا) ويعلم بالضرورة ما تختاره
بمحض ارادتك وما ستصرف اليه عزمك من خير أو شر ، وقد اقتضت حكمته أن
يهبك تلك الارادة الحرة التي تصرفها كما تشاء كي يحقق لك الحرية التي اقتضت
حكمته أن يمنحك إياها ثم يجازيك بعد ذلك على ما كان منك في يوم عاصيب تؤدي
فيه الحساب عن كل ما كسبت يداك ولولا ذلك لم يكن هناك معنى للحرية والاختيار
ولا للتكليف والثواب والعقاب ، ولنا ننكر أنه لو شاء لسلبك تلك الارادة ولو
أراد لملك آله صماء لا ارادة لك ولا تكليف عليك ولكنه لم يفعل لأنه يريد أن
يجعلك إنسانا فأى جبر يقتضيه القضاء بعد ذلك ؟ وإن كان لابد من حصول ماسبق
به القضاء ولا يتأتى تخلفه ولكن ذلك مبني على صحة العلم لاعلى تأثيره كما قلنا وقد
سأل الامام عليا كرم الله وجهه شيخ بعد انصرافه من صفين فقال : اخبرني عن
مسيرنا الى الشام أكان بقضاء الله وقدره فقال (والذي خلق الحبة وبرأ النملة ماوطنا
موطنا ولا هبطنا واديا ولا علونا تلمة الا بقضاء الله وقدره) فقال الشيخ : عند الله
احتسب عنائي ما أرى لي من الامر شيئا فقال له (مه أيها الشيخ عظم الله أجركم في
مسيركم وأنتم سائررون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من
حالائكم مكرهين ولا اليها مضطرين) فقال الشيخ : فكيف ساقنا القضاء والقدر ؟
قال (ويحك لملك ظننت قضاء مجبرا وفدرا قاسرا لو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب
والوعد والوعيد والامر والنهي ولم تأت لائمة من الله للذنوب ولا بمحمدة لمحسن ولم يكن
المحسن أولى بالمدح من المسيء ولا المسيء أولى بالذم من المحسن تلك مقالة عبدة الأوثان
وجنود الشياطين وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها،

ان الله أمر تخييرا ونهى تحذيرا ، وكلف يسرا ، لم يعص مغلوبا ، ولم يطع مستكرها ، ولم يرسل الرسل الى خلقه عبثا ، ولم يخلق السموات والارض . وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، وقال الامام الرضا : ان الله هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم فان اثمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادرا وان اثمروا بمعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل وان لم يحل وفعلوا فليس هو الذى أدخلهم فيه .

والخلاصة أن هنا غلطين الاولى أن علم الله بالأشياء يوجبها بطريق الجبر لا بطريق الاختيار ولا أدري كيف يفهمون ذلك مع أن العلم لم يتعلق بملك الا على وجه الاختيار منك فهو اذن يؤكد الاختيار ولا يعارضه
والثانية اخراج الارادة الانسانية من سلسلة الأسباب وجعلها لغوا في الين وقد اختصرنا لك الطريق واهدينا اليك باب التحقيق ،

هذا : وهنا شيء آخر لابد أن ننبه عليه تنميا للمقام واردة لما عسى أن يكون من شبه الأوهام ، ذلك أن بعض الناس قد يعطى من المواهب مالا يعطاه غيره ويجد من المعونة الالهية مالا يجده سواء فلماذا ؟؟

لنا عن ذلك جوابان الأول ان ذلك يرجع الى سر القضاء والقدر أو نقول الى الحكمة الكبرى التى دبرت العالم ووضعت نظام الوجود ولا نستطيع أن نصل اليها تماما مهما بلغ علمنا واتسعت مداركنا ، وفي قضية موسى مع العبد الصالح التى قصها الله علينا في سورة الكهف أكبر شاهد بان كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد .

الجواب الثانى . ان ذلك من باب الفضل ، والاعتراض لا يكون على ترك الفضل وانما يكون على ترك العدل وذلك غير موجود بل هو محال في حق الله تعالى ، وقد أعطى كلا من عباده ما يمكنهم من القيام بما كلفهم به حتى اذا عجزوا رفع عنهم التكليف فتح كل انسان من المواهب ما يستطيع أن يفعل به ما طلب منه ، فهذا القدر مشترك بين الجميع ، واما تفضيل بعضهم على بعض فذلك راجع الى فضله الذى يعطيه من يشاء ويمتنعه من يريد ولا اعتراض عليه في ذلك (ما على المحسنين من سبيل)

ولو فتحنا هذا الباب لوجب الا توجد هذه المخلوقات ولا تظهر تلك المبدعات ،
فقد كان الجاهل بناء على هذا أن يقول لم جعلتني جاهلا ؟ وللتناقص في أى شئ أن
يقول لم خفقتني ناقصا ؟ بل كان للحمار مثلا أن يقول لم لم تخلفني حصانا ؟ وللحصان أن
يقول لم لم تخلفني انسانا ؟ والانسان أن يقول لم لم تخلفني ملكا ؟ بل والارض بلسان
حائها أن تقول لم لم تخلفني سماء ؟ وللسماء أن تقول لم لم تخلفني عرشا ؟ الخ الخ فانت
ترى أن فتح هذا الباب يوجب أن ينسد باب الخلق بالكلية (ولو اتبع الحق أهواءهم
لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) ولعل للمقام متمات ولعلنا نأق عليها في
فرصة أخرى انشاء الله وبمد هذا فلا يسعنا الا أن نقول ما قال الله تعالى (وَمَا أُوتِيتُمْ
مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) أوما قال جار الله الزعزعي رحمه الله

المعلم للرحمن جل جلاله وسواء في جهلته يتقنم^(١)
مالتراب والمعلوم وانما يسمى ليعلم أنه لا يعلم

بوصف الرجوى
من هيئة كبار العلماء بالأزهر

الطرف والملح

انشد ابو بكر الاسماعيلي .

واذا جلستَ وكان مثلك قائما فمن المروءة أن تقوم وإن أبى
واذا انكأْتَ وكان مثلك جالسا فمن المروءة أن تُزيلَ المتكأ
واذا ركبتَ وكان مثلك ماشيا فمن المروءة أن مشيتَ كما مشى
وقال حكيم لابنه : يا بُنَيَّ اياك والمِزاج ، فانه يذهبُ بيهاء الوحه ويحطُ من
المروءة .

(١) يقال تقنم اذا ذهب في الله ونمر به حتى عرق

مثال من عناية الألمان بتربية أولادهم

— ٢ —

تجارب وأفكار فيها فضل استقصاء

الأب الشغل وواجبه في التربية

« بقلم « روبرت اشتاين » بمدينة ليبرج . من حديث له مع أب »

لصاحب التوقيع

قال لي الأب : — الا ترى ياسيدى الاستاذ أنى لا أستطيع الاهتمام بشؤون طفلى وأعماله المدرسية لأنى أقضى عامة يومى منهمكا في أعمالى ولا يسنى ألا أن أعترف أسفا بأن زوجتى مفرطة في الرحمة بالولد فلا غرابة اذا كان قد قصر مرات كثيرة في عمل واجباته على الوجه المطلوب . ثم انى لا أحب أيضا اذا رجعت مساء الى بيتى مبهورا من التمتع أن لا يكون لى عمل سوى الانذار بالعقاب والضرب . فقلت : — كلا — اياك أن تفعل هذا فانه لا يجديك ولكن ألا تتشاور مع زوجتك في أمر الاطفال ؟

فقال لى : بالضرورة — وقد قلت لها كثيرا انه ينبغي أن تكون في معاملتهم أشد مما هى عليه . فأما معاملة بنتنا جرتروود ، بالرحمة فهى في عملها وأما الفلام فهو في حاجة الى يد قوية . فقلت له . وكيف اذن تساعد زوجتك ؟ فقال لى : وماذا تعنى بمساعدتى لها ؟ فقلت : أعنى بذلك أنك من حيث أنت والد لا بد لك أيضا من تحمل قسطك من عناء التربية .

فقال لى . قد قلت لك أننا اننى أكون في المصنع من الصباح الباكر حتى آخر النهار واننى لمت زوجتى على تهاونها .

فقلت له : حقا قلت لى ياسيدى «بندر» ولكن بما أنك سألتنى رأى أريد أيضا أن أصارحك به مصارحة بيئة فأقول :

ان انتقادك على الأم تهاونها لا يبنى قليلا بل يجب عليك أن تتدخل بنفسك في الأمر فان الطفل اذا لاحظ أنك لم تدع كل ما يتعلق به لأمه وأن أباه يهيمن عليه بنفسه—ولا حاجة لذلك كل يوم—أصبح تهاون الأم غير خطر وربما شددت بذلك أزد زوجتك . ولا شك في أن هذا يصلح من حال ولدك فانه ليس سىء الخلق مطلقا وانما فيه نزق . ثم ان لى كلمة أخرى أقولها لك وهى انك من الآن فصاعدا اذا أحضرت ولدك أمامك أحيانا فتغل ما أستطعت عن كدرك الناشئ من عمك ودعه خارج الباب . وإياك والهيج ان لم تواف رغبتك حال الطفل من أول وهلة فانك باهتمامك المنبسط عن الطمأنينة والسكون ومثابرتك وعطفك — ولا حاجة الى الاكثار من نصحك فانه ولدك وبضعة منك—بكل أولئك تصل قطعا الى نتيجة . وادا وصلت اليها فلها على تفاهتها شئ من القيمة وربما صرت بذلك أشد تساعما في تهاون زوجتك وأحسست بأن الوالد الشغل يبنى له أيضا أن يصرف شيئا من وقته للعناية بولده .

لا اجد وقتا

بقلم « أدلايد كلوزه » بمدينة جودسبرج على الراين

ما اكثر ما يسمع أولادنا هذه الكلمة وما أكثر ما يضطرون أن ينتظروا من أهمهم قضاء مطالبهم لانها لا تجد وقتا لقضائها !
ولست أتكم هنا عن الأمهات اللاتي لسن في الواقع أمهات مطلقا واللاتي لا يجدن وقتا لمجرد أن باحات التجميل ودور الغناء والمقاهى والنوادى أحب اليهن وأعظم شأننا من فذل اكبادهن ، لا أقصد أولئك بل ايا كن أعنى أيتها الأمهات الصالحات اللاتي لا تفكرن عامة يومكن في شئ سوى أن تجعلن المبيتة راضية هنيئة لأزواجهن وأولادكن فأنتن تطهين وتخبزن وتمسحن البلاط وتجلون الآنية فتصيرن كل جزء منها أبيض لامعا والطعام الذى تقدمنه على المائدة للأسرة تصنعهن بكثير من طيبة النفس والعناية والتدبير، على أنكن تفسين أهم الأمور وأعظمها شأننا!

ذلك أننا لم نوجد في الدنيا من أجل القوت اليومي وإنما وجدنا من أجل اصلاح النفوس البشرية، فإذا جاء أحد أولاد كني الى والدته يرجوها قائلاً هيا نلعب قالب ماذا تقول ان طعام المساء لم يهيئ، بعد أوفال لها اقرئي لي شيئاً أجابته أن على رفي الجوارب ما أكثر ما أرى عبوساً يفشى وجوه الأطفال كأن حياتهم ليست شيئاً سوى الهم وأسمهم يرددون بروية مبتسرة ما يسمع كثيراً وهو . نعم ان أمنا لا تجد وقتاً لأننا لاخادمة لنا فهي دائماً مشغولة . نعم ان من الحق أن ليس الأمر في خدمة البيوت يسراً على الامهات في هذه الأيام غير أن هذا يذكرني دائماً عهد طفولتي فقد كنا نسكن بيتاً برمته وكانت حالتي الصحية تقتضى ألا أختلف الى المدرسة ولكي يوجد لي عمل مناسب لهذه الحالة ، سرحت والدتي الخادمة وكنا نستأجر امرأة لتنظيف البيت في كل أسبوع مرة ولم تكن مساعدتي في الخدمة بالضرورة ذات بال فكانت والدتي تطهى الطعام وتنظف وتخيظ كل مامن شأنه أن يفسل لي ولاأخى الصغير وتعلمني بعض الدروس ورغماً من ذلك كله كان لايموزها وقت فكانت تلعب بالكرة معنا في الحديقة وكانت مستحضرة لكل تافه وحثير من أجل ألعابنا وانى لا أزال اليوم أجد أمهات كأمي ولكنهن أصبحن نادرات .

أتى ووجدت العزيمة ووجدت الوسيلة ومعنى هذه الوسيلة أن الاقتصاد في عمل البيت خير من الضن على الأولاد بشئ من الوقت .

أقول ذلك وأنا أرى سمات الخوف بادية على وجوه صواحب البيوت ولكن أى الشيتين أفضل لديكن ؟ أطفالكن أم بيوتكن وأى التبارين أسوأ منبة الفبار الذى يصيب الفرفة أم الفبار الذى يصيب نفوس الأولاد

نحن لم نخلق لمجرد العناية بشؤون البيوت وأهمال تربية الأطفال وما هذه الحياة الا مجلبة بلا كدار والمهموم، وأما السرور وانشراح الصدر فلايحصلان الا بالسمى وما هو بسمية يصيب اقتحامها فانك تستطيعين آيتها الأم أن تارتقك الفتوق في ثياب أطفالك أن تحكى لهم حكايات أو تركبي معهم في قطار السكة الحديدية المتفخر الذى صنعوه لأنفسهم من الكراسى ممثلة لهم حال جدتهم، اذا ركبت معهم فهو هين عليك جدا

وليس عليك في مثل هذه الحالة الا وضع عمارتك^(١) على رأسك ومنظارك على عينيك وطرحك على كتفيك فتسرين الاولاد باللعب معهم . واذا لزمك أعداد طعام المساء في نفس الوقت الذي أراذك أولادك فيه على مشاركتهم في اللعب فانظري الى الساعة وأحسبي الزمن اللازم لاعداده ثم قولي لهم نعم يا أولادى اذا أنتم ساعدتموني في اعداد الطعام فأنى أستطيع أن أشارككم في اللعب أيضا عشر دقائق فبذلك يدخل الأولاد فيما ترضين عليهم فرحين متحمسين ويخرجون منه وقد ربحوا أمرين أولهما لعبهم مع والديهم الذى هو أشهى لهم من اللعب مع غيرها بكثير . وثانيهما أن ملابتهم أمور التدبير المنزلى فيها خير كثير للبنين والبنات أنا أعلم أنه ليس من الأمور الهينة وجود الوقت وأنه يقتضى كثيرا من الصبر وبذل النفس وقوة الجنان ولا بد أن يفهم كيف يقسم وقته وعمله ولا بد أيضا أن تكون ضروب ممارسة العمل مفهومة من نفسها للأطفال .

على أنى لا أستطيع مهما أهتمت بدعوة الامهات والنساء دعوة تبلغ الأعماق من قلوبهن أن أبلغ الغاية التى أرتضيها اذا قلب لمن أوجدن الوقت وأجعلن قول ، لا نجد وقتا ، قليل الخروج من شفاهكن فما أكثر ما رأيت من انقصاص العرى البيتية من جراء الافراط في الشغل ، أو ليس أقدس شئ للنساء والامهات أن يخصصن وجودهن للنناية بشؤون العزيزين عليهن .

(لا تميز بين الأطفال في المعاملة)

من الفضائل الخطيرة الأخرى التى ينبغى أن يتحلى بها الوالدان العدل بين أولادهما في المعاملة ، فلا يصح تفضيل أحدهم على الآخر ، فما أبلغ الجرح الذى يمكن أن يصيب نفس المفضل من جراء ذلك ! خذ لذلك مثلا واحدا .

كانت أمنا تربيانا تربية مناسبة في الشدة وكنا خمس أخوات غير أنها كانت تختص صغراتنا بفضل محبة ، وكان أبى قد مات لما بلغت السادسة من عمرى وكان

عمر الصغرى اذ ذاك سنتين ولا أزال أذكر ذكرا قويا كيف كنا نجلس كثيرا مع
أما مستأنسين بها ليلا عند طلوع القمر وظهور نوره من الشباك وكيف كانت تأخذ
صفرانا في حجرها وتحكي لنا سيرة أينا وتقول انه يشرف علينا من خلال القمر
وكنت حينئذ في غاية الخضوع والاستسلام لأمي على أن عدم احتضانها لي حتى
ولا مرة واحدة في مثل هذه الساعات ملام صدرى حنقا على أختي الصغرى ولكنى
كنت من فرط عزة نفسى بحيث أنفت أن أسألها ذلك وقد صار الأمر فيما بعد أسوأ
من هذا فقد كنا ملزمات أن ندع للصغرى كل لقمة شهية من الطعام ولو كنا
مختارات فيه لفلنأه جيمنا طيبة به نفوسنا ولكن اليسير من الاكراه الذى كان فيه
كان يفضينا وقد صرت أنا في ذاتى من السوء بحيث أن أختي لما توفيت فيما بعد وهى
في الثامنة من عمرها وكنت أنا في الثانية عشرة قلت لأمي وأنا في غاية الاغتياب
عسى أن أصير الآن يأماه أحب بناتك اليك .

وكان من شأن هذه الكلمة أن تحدث في نفسها ندما بليتنا كما أخبرتنا بذلك من
بعد وقد تداركت أيضا كل خطئها بالأصلاح . عبد العزيز محمد

الطرف والملح

قال نصر الله بن محلى وكان من الثقة وأهل السنة : رأيت على بن أبى طالب رضى
الله عنه فى المنام . فقلت له : يا أمير المؤمنين ، تفتحون مكة فتقولون : من دخل دار أبى
سيفان فهو آمن . ثم يتم على ولدك الحسين ما نتم . فقال لى : أما سمعت آيات ابن
الصيغى فى هذا ؟ فقلت لا . فقال : اسمعها منه . ثم انتهت فبادرت الى حيفى يئص .
فذكرت له الرؤيا . فشقق وبكى وحلف بالله لم يخرج من فيه ولا خطه الى أحد . وما
نظمها الا فى ليته . ثم أنشدنى قوله .

مَلَكْنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مَنَا سَجِيَّةً	فَلَمَّا مَلَكَتُمْ سَالٍ بِالْهَمِ أَبْطَحَ
وَحَلَلْتُمْ قَتْلَ الْإِسَارَى وَطَلَمْنَا	عَدُوَّنَا عَلَى الْإِسْرَى فَتَعَفَوْا وَنَصَحَ
وَحَسْبُكُمْ هَذَا التَّفَاوُتُ يَبْنَا	وَكَلُّهُ إِنَاءٌ بِالْهَى فِيهِ يَنْصَحُ

المسلمون

في

يوغوسلافية^(١)

صدر أخيراً في يوغوسلافية قانون يحدد التنظيم الدينية التي يخضع لها مسلمو تلك البلاد تأتي فيما يلي على أهم قواعده :

« يكون جميع مسلمي يوغوسلافية طبقاً لهذا القانون — طائفة دينية مستقلة لها رئيس ديني أعلى يطلق عليه لقب « رئيس العلماء » ولهذه الطائفة الحق في اعلان معتقداتها واقامة شعائر دينها علناً وفي ادارة وتنظيم جميع شئونها الدينية والعلمية التي لها مساس بالدين وكذا المسائل الخاصة بالاقواق

ويمثل هذه الطائفة الدينية الاسلامية الهيئات الالية :

أولاً — مجلس الجمعية Djemiat ورأسه امام الجمعية

ثانياً — لجان ادارة الاوقاف والمعارف وعلى رأسها القاضي الشرعي

ثالثاً — مكاتب الافتاء

رابعاً — مجلسا العلماء في اسكوبيل وساراييفو

خامساً — مجلسا الاوقاف والمعارف في ساراييفو واسكوبيل

سادساً — الادارة الدينية العليا وعلى رأسها رئيس العلماء .

هذا ويحدد القانون الاساسي لهذه الطائفة الدينية الاسلامية طريقة تأليف تلك

الهيئات وكذلك بين بالتفصيل دائرة اعمالها وحدود اختصاصاتها

أما الطريقة الخاصة بانتخاب رئيس العلماء واعضاء مجلسي العلماء وانتخاب رجال

الافتاء فتحدد بقانون خاص .

(١) عن مجلة رسائل الشرق : CORRESPONDANCE D'ORIENT التي تصدر في باريس عدد مايو سنة ١٩٣٠

وأما رئيس العلماء وأعضاء مجلس العلماء ورجال الافتاء فيعينون بمقتضى مراسيم ملكية طبقا لما يقرره وزير الحفانية وبموافقة رئيس مجلس الوزراء .

ويتلقى رئيس العلماء الاذن المنشور بتأدية وظيفته الدينية من مجلس يعقد خصيصا لهذا الغرض في بلنراد . ويتكون هذا المجلس من جميع أعضاء مجلس العلماء ومن ثلاثة مندوبين من كلا مجلسى الاوقاف والمعارف ومن جميع أعضاء المحكمتين الشرعيتين العاليتين .

وتقوم الطائفة الدينية الاسلامية بإدارة جميع املاكها الدينية وأوقافها مستقلة في ذلك تمام الاستقلال من أية سلطة أخرى وتتصرف فيها كيفما تشاء في حدود هذا القانون وفي دائرة قانونها الاساسى وتحت اشراف الحكومة .

وللسلطات الدينية الاسلامية المختصة أن تقرر مع تمام الاستقلال قبول الأعيان التى توقف لأغراض دينية . وأن الهيئة الدينية الاسلامية هى التى تقوم بواسطة ممثليها المختصين بالاشراف على وارداتها ونفقاتها طبقا للوائح التى تقرر بمرسوم وأن هذه الطائفة الدينية الاسلامية بجميع هيئاتها التى نص عليها قانونها الاساسى هى عبارة عن أشخاص معنويين يشتمون بجميع الحقوق التى يخولها القانون للأشخاص المعنويين .

وأما التعليم الدينى الاسلامى في مدارس الحكومة وفي المدارس الخصوصية فانه يؤدى بالاتفاق مع السلطات الدينية الاسلامية المختصة - ويقرر برنامج التعليم وزير المعارف العمومية الذى يحل محل الاعتبار الاقتراحات التى يقدمها في هذا الموضوع مجلس العلماء الذى له أن يبدى رأيه في قيمة الكتب المدرسية ولا يحضر التلاميذ المسلمون الحفلات الدينية البحتة التى تقام فيها شعائر الديانات الأخرى سواء أكان ذلك في داخل المدرسة أم خارجها

وجميع المدارس الدينية الاسلامية التى لها ادارات مستقلة توضع تحت اشراف السلطات الدينية الاسلامية وهى التى تقرر انشاءها وتضع برنامج التعليم لها بعد تصديق وزير المعارف العمومية

هذا وعند انشاء كلية للشرعة أو كلية دينية اسلامية أو أية مدرسة عليا من هذا القبيل لها درجة كليات الجامعات تقوم الادارة الاسلامية العليا بالانصراف على الدروس التي تلقى فيها وتحرص على أن تكون طبقا لتعاليم الدين الاسلامي وان مجلس العلماء هو الذي يبت في كفاية ومقدرة المدرسين الذين يعينون في تلك المدارس.

الطرف والملح

تابع لصفحة ٣١١

واسم الحِصْنِ يَيْصُ . سعدُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو الفوارس التميمي . شاعر مشهور . ويعرف بابن الصبغى ويُلقب بالحِصْنِ يَيْصُ . لأنه رأى الناس يوما في حركة مزعجة وأمر شديد . فقال : ما للناس في حِصْنِ يَيْصُ ؟ فبقي عليه هذا اللقب — ومعنى هاتين الكلمتين الشدة والاختلاط — وتفقه على مذهب الإمام الشافعي .

وغلب عليه الأدب ونظم الشعر . وكان مُحيدا فيه وكان اذا سئل عن عمره يقول : انا عيش في الدنيا مجازفة : لانه كان لا يحفظ مولده — وتوفي سنة اربع وسبعين وخمسة مائة هـ .

ومن شعره

أَنْفَقْتُ وَلَا تَحْشُ أَقْلَالًا فَقَدْ قُسِمَتْ عَلَى الْعِبَادِ مِنَ الرَّحْمَنِ ارْزَاقُ
لَا يَنْفَعُ الْبَحْلُ مَعَ دُنْيَا مَوْلِيَةٍ وَلَا يَضُرُّ مَعَ الْإِقْبَالِ انْفَاقُ

وقال سعيد بن العاص لولده : يَا بُنَيَّ اقْتَصِدْ فِي مَزْحِكَ فَإِنَّ الْإِفْرَاطَ فِيهِ يُذْهِبُ الْبَهَاءَ وَيُجَرِّئُ السَّعْيَاءَ ، ويقال المزاح اوله فَرَحٌ وآخره تَرَحُّ .

تحية

الازهر ونور الاسلام

في تاج هذا العالم الاسلامي	(الازهر) المعمور أغلى درة
ماحي الضلال مبدد الاغلام	المعهد الأسنى المبارك في الوري
قطر يقدسه ذوو الأحلام	في الهند والصين القصبة ذكره
ماغاض من طلائه الأعلام	نسلت قرون وهو بحر زاهر
زمرأ وأهل الفضل والاقلام	وأئمة الاسلام منه تخرجوا
فهي الدواء لملة الاثلام	(ومجلة) أضحت منار هداية
أعظم به من مطمح عظام	في عهد مولانا المليك (وشيخه)

محمد سكري

رئيس ادارة البحيرة سابقا

فليهن مرتآة الصلاح سروره	هذا هو الاسلام أشرق نوره
فارتاح للعمل الحكيم ضميره	نهض الهداة لنشر هدى محمد
فشدا بالحنان الفلاح بشيره	ولعالم الاسلام تمت رغبة
فاصت بآيات الرشاد سطوره	هذى (المجلة) نقحة من مصحف
لم يُلَفَ بين المصلحين نظيره	سطع الهدى فيها بكل محقق
لجميعهم علم البيان أميره	بهر الكرام الكتّابون عقولنا
كلآء فدين الله تم ظهوره	أتخاف بعد اليوم نزغة ملحد؟

مصطفى أبو علي

العلوم والآداب

نشأة الحروف الأبجدية^(١)

قد عاد البحات من جديد إلى اقتفاء أثر الحروف الأبجدية للوصول إلى المكان الذى نشأت فيه وكلنا يعلم أن هذا الأثر اتخذ طريقه إلى رومة من زمن بعيد ومن هناك عرج — كما يظهر جلياً — إلى شواطئ البلاد الاعريقية وولاياتها القديمة ، ومن الثابت أن بعض العلماء قد تتبعوا هذا الأثر إلى فينيقية بلاد تلك الجماعات المتفرقة التى ملأت البحر الأبيض المتوسط بسفنها التجارية ، وهناك فى فينيقية انقطع ذلك الأثر ، ويقول الاغريقون إن الفضل فى انشاء تلك الحروف يرجع إلى كادمس الحكيم الفينيقى الذى ذكرته الأساطير ولا ينكر علماء الآثار القديمة الحديثون صحة هذا القول فقد أجهدوا أنفسهم فى اكتناه الحروف الهيروغليفية المصرية وأجهدوا أذهانهم فى تفهم أسرار النقوش التى عثروا عليها فى كريت ولم يتمكنوا بمذكل ذلك من أن يأتوا بتفسير مقبول كالذى قال به الاغريق من النى سنة ، غير أن هناك ثغرة صغيرة أو حلقة مفقودة بين الكتابة التصويرية المصرية والرموز الصوتية الفينيقية . وقد عاد ذلك الأثر للظهور فى الوقت الحديث فى فيافى سيناء البعيدة حيث اكتشفت بعثة جامعة هارفارد الأمريكية الموقع الجغرافى الذى التفت به كتابة المصريين (الليكتوجرافية) التصويرية وكتابة الشعوب السامية التى كانت الفينيقيون شعباً فيها بلا جدال حيث عثروا على رموز مصرية منقوشة على جدران معبد متهدم أقيم «لمعبودتهم» هاتور ووجدوا فى الآكام والكهوف الصخرية على مقربة من ذلك قطعاً من الصخور عليها نقوش لا شك فى أنها سامية وقد ثبت أن تلك الكتابة على الجدران وعلى قطع الصخور ترجع إلى عصر واحد حوالى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد . ويظهر أن السيرفندرز يرى عالم الآثار القديمة المشهور عثر على نفس هذه الصخور المنقوشة التى كشفت عنها البعثة الأمريكية حيث صور ضمن النقوش الهيروغليفية التى صورها

(١) مترجمة عن مقال للكونت مراروف بمجلة العلم والاختراع الأمريكية

في ذلك الوقت رموزاً تشبه الهيروغليفية ولكنها لا تقبل الترجمة إلى اللغة المصرية القديمة. واتقضت عدة أعوام أذاع بعدها عالمان انجليزيان أن هذه الرموز لاتملك طلائعها بطريقة الكتابة (البكتوجرافية) أو التصويرية بل بطريقة الكتابة الصوتية. وقد اتخذ عالم ألماني ذلك التفسير أساساً لبحثه وترجم جل هذه النقوش وبين العلاقة بينها وبين الحروف الأبجدية السامية التي عرفت بعد ذلك . وبإعادة الفحص والتحصيل في هذه النقوش ظهر أن مصدر الاشكال الأولى للرموز الأبجدية التي نستعملها اليوم هو الهيروغليفية القديمة . ولكن ليس ذلك كل ما في الأمر فالسؤال الهام في الموضوع لا يزال قيد البحث وهو كيف نسنى للساميين أن يهتدوا إلى طريقة الرموز التي تقوم مقام الأصوات الأصلية في لغتهم كما ينطقونها بالذات وهي الطريقة التي سهلت الكتابة تسهيلاً كبيراً وجعلتها أكثر دقة ومرونة في الاستعمال من أى طريقة تصويرية أو اصطلاحية أخرى يمكن اختراعها . فقد جاء المصريون بالرموز أو ببعضها ولكن ذلك العمل مع أدله شأنه من الوجهة التاريخية ليست له قيمة كعمل فكري خطير حيث أن أى رموز أخرى كان يمكن أن تؤدي مهمة التعبير ولكن الطفرة الكبيرة من الرموز التصويرية إلى الرموز الصوتية تلك هي بحق ضرب من التفتن لا يكفي لتفسيره مجرد القول بتطور كل شيء بطبيعته كما يقول البعض . فالرموز ليست لها قيمة تذكر ولكن الفكرة هي الكل في الكل . وقد طفر الساميون تلك الطفرة وبقي المصريون يرسمون في قيود كتابتهم التصويرية القيمة التي ينقصها الكثير من الصقل والتهذيب .

هذه إذن هي الحقيقة الجوهرية في الموضوع . أما الدافع الأصلي في انتجاع المصريين والساميين ذلك المكان الذي وجدت به تلك الآثار فهو وجود الفيروزج به وقد أقامت كل من الأمتين المعابد الدينية على مقربة منه ويمكن التفرقة بسهولة بين آثار كل منهما على حدة . وهنا قد ينسأل الألسان لماذا لم ينتغم المصريون الفرصة التي سنحت لهم لاتباع طريقة الساميين السهلة في حين أن الساميين اقتبسوا الرموز منهم .

إننا نجد الجواب على ذلك في نظم الأمتين السياسية والاقتصادية فقد كانت طريقة الكتابة التصويرية تلائم بلا شك نظام الاقتصاد القطاعي السائد بمصر في ذلك الوقت

ولكن قبائل الساميين الرحل وجدوا من ضرورات الحياة البدوية ما شعروا معه بحاجتهم إلى طريقة دقيقة مرنة للتعبير عن أفكارهم وهكذا نشأت الطريقة الصوتية بضرورة الظروف القاهرة.

ويظهر أن الفينيقيين وجدوا هذه الطريقة مما تدعوا اليه أعمالهم التجارية الواسعة النطاق فمن المعقول إذن أن هذا الشعب الجريء هو المنشئ الحقيقي للحروف الأبجدية الصوتية حيث لم يكن هناك شعب آخر في ذلك الوقت في حاجة ماسة إلى واسطة دقيقة للتفاهم أو شعب يسمى وراء الرزق بطريق يشهد البصيرة والقرينة أو توفرت له أسباب الحث في العمل المنتج كالفينيقيين .

ومما هو جدير بالملاحظة أن الإغريقين الذين أخذوا الحروف الأبجدية عن الفينيقيين كانوا كالفينيقيين شعب يشتغل بالملاحة والتجارة والقرصة وقد واجهوا نفس الصعاب التي واجهها الفينيقيون مما جعلهم يستينون فوائد تلك الطريقة .

الطرف والملح

وقال ابو التاهية

مَنْ سَأَلَ النَّاسَ سَلِمَ	مَنْ شَتَمَ النَّاسَ شَتِمَ
مَنْ ظَلَمَ النَّاسَ أَسَا	مَنْ رَجِمَ النَّاسَ رُجِمَ
مَنْ طَلَبَ الْفَضْلَ إِلَى	غَيْرِ ذَوِي الْفَضْلِ حُرِمَ
مَنْ حَفِظَ الْعَهْدَ وَفَى	مَنْ أَحْسَنَ السَّمْعَ فَهِمَ
مَنْ صَدَّقَ اللَّهَ عَمِلَا	مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ عِلِمَ
مَنْ خَالَفَ الرَّشِدَ غَوَى	مَنْ تَبَعَ الْغَى نَدِمَ
مَنْ لَزِمَ الصَّمْتَ نَجَا	مَنْ قَالَ بِالْخَيْرِ غَنِمَ
مَنْ عَفَا وَاکْتَفَى رَحِمَا	مَنْ جَعَدَ الْحَقَّ أَثِمَ
مَنْ مَسَّهُ الْفَرُّ شَكَا	مَنْ عَضَّ الدَّهْرُ أَلَمَ
لَمْ يَمُدَّ حَيًّا رِزْقُهُ	رِزْقُ امْرِئٍ حَيْثُ قِيمَ

نقد

ورد ادارة المجلة من فضيلة الاستاذ صاحب التوقيع خطابا ذكر فيه أنه عثر في الجزء الثالث من المجلة على خطأ في ثلاثة مواضع فقال : ولقد حررت على العدد الثالث من المجلة . ولما أقرأه قراءة انعام وتدقيق فلفت نظري هذه العبارة التي وردت في الصفحة (٢٤٠) وهي :

وهرب الحجاج في بعض حروبه من غزاة فعيه عمران بن قحطان السدوسي بقوله
أسد على وفي الحروب نصامة فتخاء تنفر من صغير الصاور
هلا كرت الى عراله في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر
وفي هذه العبارة خطأ في ثلاثة مواضع منها (الأول) كلمة (قحطان) وصوابها
(حطان) بكسر الحاء وتشديد الطاء وأصله التيس فسمي به والد عمران (وانظر الأغاني .
والقاموس وشرحه في مادة - ح ط ط -) (الموضع الثاني) كلمة (السدوسي) وليس عمران
سدوسيا ولكنه ذهلي من ذهلي بن ثعلبة ثم من بكر ، وهو عمران بن حطان بن طليان
أحد شعراء الشراة ودعاتهم (الموضع الثالث) في رواية البيتين وأنا أرويهما مع بيت
ثالث لهما وهي

أسد على وفي الحروب نصامة ربداء تجفل من صغير الصاور
هلا برزت الى غزاه في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزاة قلبه بفوارس تركت مدابره كأمس الدابر

محمد محي الدين

مدرس بالقسم الثانوي بالأزهر

٢٣ ربيع الاول سنة ١٣٤٩ هـ

تصحيح

اطلع فضيلة الأستاذ الشيخ حسن منصور على هذا النقد الموجه الى بعض مختاراته من الطرف والملح فكتب ما يأتي .

أما كلمة قحطان فاني كنت كتبت الى ادارة المجلة بعد ظهور العدد الثالث بتاريخ ٢٢ ربيع الأول أن كلمة (قحطان) كتبت خطأ وصوابها (حطان) بكسر الحاء وتشديد الطاء وطلبت الى الادارة نشر ذلك التصحيح في العدد الرابع .

وأما كلمة (السدوسي) فهي صحيحة مثل كلمة (الذهلي) فان عمران بن حطان . هو عمران بن حطان بن ظبيان بن لوزان بن عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن دهل الى آخر نسبه . هذا الذي ذكره صاحب الاغانى في الصفحة ١٤٩ من الجزء ١٦ طبع الساسي ، وذكره المبردي الكامل ونسبه الى سدوس (انظر الصفحة ٣٥٤ من الجزء الأول طبع أوربة) وفي نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي قال في الصفحة ٢٣٥ : وسدوس يفتح السين بطن من دهل بن شيبان من المدناية وم بنو سدوس بن دهل بن شيبان اهـ

فمن هذا تعلم أن نسبة عمران بن حطان الى سدوس صحيحة كنسبته الى دهل .
وأما كلمة (فتحاء) فانها جاءت هكذا في رواية كمال الدين الدميري في ترجمة العزالة وكذلك في كتب البيان قال الفهرى في حواشيه على المطول (الفتحاء المسترخية الجباحين والمراد من قوله تنفر من صغير الصافر أنها تنزعج من مجرد الصوت) انظر الحاشية المروفة بالتجريد عني شرح المختصر للسعد في بحث الشبيه (وفي رواية ثانية لصاحب الأغانى في أخبار عمران بن حطان هكذا (ربداء تجفل من صغير الصافر - هلا برزت الخ) وفي رواية ثالثة ذكرها صاحب (مروج الذهب) هكذا (فزعا تنزعج من صغير الصافر - هلا برزت الخ) راجع الصفحة ٩٠ من التاريخ المذكور طبع الحلبي .

ومن هذا تعلم أيضا ان ماجاء في مجلة نور الاسلام هو احدى الروايات المذكورة . وقد اقتصرنا على احدها لأن المقام لا يقتضى أكثر منها وكل صحيح مروي

حسن منصور

وكيل دار العلوم العليا سابقا



قد جاءكم كتابكم فورا وكان منكم بهدوء في اقدارنا مع رؤسنا في كل انشغال
ونحن نتمنى ان يكون هذا في انوارنا في كل يوم ونتمنى ان يكون منكم بهدوء

بفكر الاستاذ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكيمية

تصديقها ميسر لا زهر الشرف

اول كل شهر عربي

المستشار محكمة الاستئناف سابقا
ومن أعضاء مجلس الازهر الأعلى

عبد المحسن كمال

مدير ادارة المجلة :

السيد محمد الحضر حنين من علماء الازهر

رئيس التحرير :

مكتب المجلة بالادارة العامة للمعاهد الدينية بشارع فهمي رقم ١٩

د تليفون : ٣٥٠٧

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

١ داخل القطر المصري ٤٠

٢ / للعلماء غير المدرسين وطلبة المعاهد والمدارس

٥٠ خارج القطر المصري

٣٠ لطلبة المعاهد والمدارس

فيمثل الاشتراك السنوي



يعامل أنه الساجد والمأذونون ومعهم المدارس الأولية معاملة الطلاب

وتمن الحزب الواحد ٣ صاع داخل القطر و ٤ خارجه

« تقييده »

وقع سهوا تحريف في عزو بعض المقالات بالمهرست و لصواب هكذا

فصلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي	٣٤٤	الاسلام دين العطرة
» » » يوسف الفجوى	٣٥٣	حكم شرب الدخان في محالس القرآن
رئيس التحرير	٣٥٥	البابية أو البهائية
فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي	٣٧٠	أجوبة عن أسئلة شرعية
حصرة الأستاذ علي الجندي	٣٧٥	خلاعة النساء تعودنا الى الهاوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أصول سعادة الأمة

سعادة الأمة أن تستنير عقولها وتسو أخلاقها ، وتقتبط بالنظم التى تناسبها ، وترضى عن طرق تطبيقها وترتاح الى تنفيذها ، وتأمين أن تمتد يد غريبة الى حق من حقوقها .

اما استنارة عقولها فبقامة معاهد كافية للتعليم ، فان الأمة التى تتألف من متعلمين وغير متعلمين يصعب على قادتها متى أرادوا توجيهها نحو الحياة الصالحة أن يجدوها لينة القياد خفيفة الخطاء ، والتعليم الصحيح ما يؤخذ فيه بأرق النظم وأحكم الأساليب ، وتلقى العلوم بأساليب غير مهذبة هو العلة فى تباطؤ النهضة العلمية وعدم انتظام طرق البحث والتفكير .

ولا سبيل الى أن يقتبط الشعب بنهضته العلمية حتى ينربى نشؤه على أن يطلبوا العلم بداعى اجتلاء الحقائق والحرص على اسمى الفضائل ، وما يقعد بهم عن مرتبة النبوغ والابتكار فى العلوم ان يجعلوا لطلب العلم غاية مادية حتى اذا أدركوها انقطعوا .

والتعليم الذى تؤمن عاقبته وتزكوا ثمرته ما اهتدى فيه الطلاب الى طريقة نقد الاراء وتمحيها حتى لا يقبلوا رأيا الا أن يستبينوا رجحانه بدليل ، وقد رأينا رأى العين ان طائفة من ابنائنا قد انحرفوا عن طريق الرشده ، ولو كانوا ممن رد الاراء الى قوانين البحث المعقولة لاستقاموا على هدى الله وما كانوا من المفتونين .

وأما سمو أخلاقها فلتستقيم أعمالها وتنظم المعاملات بينها ، والأعمال الخطيرة انما تقوم على نحو الصبر والعزم والكرم والاقدام ، والمعاملات الراجحة لا يندوم فى قاسك وصفاء الا ان تكون مخفوفة بنحو الصدق والامانة والحلم وسماحة النفس ورقة الماطفة .

وهذا الوجه من وجوه السعادة ملق في عهده من يتولى أمر التربية كالامهات والاباء ورجال التعليم ، ولا يكون في الامهات والاباء والمعلمين كفاية لان يخرج الطفل أو الفتى من بين أيديهم طاهر السريرة مستقيم السيرة حتى يكون التعليم الدينى ضاربا بأشعثه في جميع مدارسنا أولية كانت أو عليا ، وإذا وصلت التربية الدينية الى النفوس من طريقها الصحيح فلا ترى منها الاحياء وعفاقا وصدقا وأمانة واستصنارا للمعظائم وغيره على الحقائق والمصالح ، وما شئت بعد من عزة النفس وكبر الهمة ، تلك خصال لا تثبت أصولها وتعلم فروعها الا أن يتفيا عليها ظلال الهداية ذات اليمين وذات الشمال .

وأما بوافر وسائل الثروة فلتكون مرافق الحياة بين يديها ، والعيش ميسورا لكل فرد من أفرادها وما أبعد الامة عن سعادة الحياة اذا كثرت فيها أولئك الذين يتكفنون الناس في أيديهم ، وأولئك الذين يترددون على المقاهى والنوادى في الصباح كما يترددون عليها في المساء .

من حقوق الامة أن يهيئ لها ولالة أمورها الوسائل للاعمال العامة وينظروا في ترقية الصناعة والزراعة والتجارة وتوسيع دائرتها ، يعمنون بها من الوجهة العلمية بفتح مدارس لتلقى ماله اختصاص بهذه الاصول الاقتصادية من علوم وفنون ، ويعمنون بها من الوجهة العملية بإنشاء مصانع وتشجيع الزراعة وتدبير الوسائل لرواج البضائع الوطنية ما استطاعوا ، وبمثل هذه المساعي تجدد الايدى العاطلة مجالا للعمل ، ولا تخرج ائمان ملابسنا وامتعة منازلنا وسائر مرافق حياتنا عن حدود أوطاننا .

وليس تبعة الحالة الاقتصادية ملقاة على عاتق أولى الامر وحدهم ، بل على المورسين حظ من هذه التبعة عظيم ، اذ في ميسورهم تأليف شركات تراعى في نظمها أصول الدين الحنيف فتفيض بربح مبارك غزير ، ويميش من العمل بها خلق كثير

أقيمت في عاصمة المانية وبعض مدنها وقراها زمنا غير قصير ، فلم أر قط سائلا سلم البنية ، بل لم أر في تلك المدة متكففا غير نفر قليل هم ما بين رجل مقطوع اليد

أو الرجل ، أو عجوز بلغت من الكبر ما فب في عضدها ، لم أر سليم البدن يتكفب
اذ لا يعدم سليم البدن أن يجد هنالك عملا حيوا اذا شاء والتعليم وهو هنالك الزام
يقبح لصاحبه أن يقف موقف الاستجداء .

و كثير من أمراء الاسلام كانوا ينظرون الى الامة برأفة ويجهدون في أن يخففوا
عنها متاع الحياة ماقدروا ، وهذا طاهر بن الحسين يقول في كتابه الذى بعث به
الى ابنه عبد الله حين ولاه السأمون مصر والرقه وما بينهما «وتعاهد ذوى البأساء
ويتاماهم وأراملهم ، واجعل لهم أذواقا من بيت المال ، وانصب لمرضى المسلمين
دورا تأويهم ، وقرا ما يرفقون بهم ، واطباء يعالجون أسقامهم ، واسعفهم بشهوانهم
مالم يؤد ذلك الى سرف في بيت المال»

وفي فتح طرق العمل للمستطيعين ، واقامة مستشفيات وملاجىء للعرضى
والعاجزين ، انقاذ للامة من أن تقود الحاجة طائفة من ابنائها الى نواد أو مستشفيات
يفتحها من يقصد الى افساد عقائدها الدينية ، أو اطفاء غيرتها الوطنية .

واما الاغتباط بالنظم المدنية فذلك ما يدعوها الى أن تحترمها من صميم افئدتها
فتراعبها في السر كما تتعيا في العلانية ، فيكتفى الناس في اكثر الحصومات بعرفة
الحق من طريق الاستفتاء . وأولو الامر هم الذين يقررون النظم المدنية ويقومون
على تطبيقها فاولو الامر على اختلاف طبقاتهم وتفاوت مقاماتهم طائفة من الامة
تولوا النظر في شؤونها العامة ، فيجب أن يتجلى فيهم روح النيابة عنها ولا يتجلى هذا
الروح الا أن يعملوا على ما يكفل مصالحها ، ومقتضى هذا أن ناس بنظم تراها
أحكم وضعا وأرعى للمصالح ، والامة الاسلامية انما تشهد للنظم بالحكمة ورعايه
المصالح متى وافقت أصول شريعتها ولم ينتهك بها شيء من حرمانها .

واما الرضا عن حال التطبيق فلان صحة النظم انما يظهر أثرها على أيدي من
يوكل اليهم أمر تطبيقها ، وما مزية القانون العادل اذا وكل العمل به الى من لم
تحس المدرسة أدبه ؟ فخطيق القوانين على الحوادث يرجع الى أدب الحاكم ومبلغه

من العلم والفهم ، فن حق الامة أن لا يتولى الحكم فيما شجر بينها الا ذو ثقافة يجيد بها عمل التطبيق ، واستقامة يقف أمامها القوى والضعيف على سواء ، وهذا ما يدور عليه فضيلة العدل المأمور به في قوله تعالى (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) وقوله تعالى (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

واما الارتياح لطرق التنفيذ فيعود الى السلطة الاجرائية كادارة الشرط ، وحق الشعب على هؤلاء أن تأخذهم به الرحمة ويشعروا بأنه جسدٌ هم بعض أعضائه ، أقمت في بعض البلاد الشرقية فكننت أرى بين بعض رجال القوة المسلحة وسائر الوطنيين جفاء يتطير شرره لادنى مخاطبة تدور بينهما ، ثم رحلت الى عاصمة أوربية وطلعت في بعض المدن والقرى ، فكننت أرى تماطقا واتلافا بين الجند والشرط وبقية الشعب ، ولا يكاد الناظر يفرق بينهما الا بما يحمله الاولون من هيئة رسمية أو سلاح ، كنت أشاهد سائق العجلة يجادل الشرطى مدة غير قصيرة واصواتهما في الارتفاع متساوية ، ولا يكون بعد هذا الا أن يقنع أحدهما الآخر ويفترقا .

نحن نعلم ان انتشار التعليم في الشعب يساعد رجال الامن وغيرهم على تنفيذ النظم العامة بكلمة ينهون بها من يروم مخالفتها ، ولكن المحروم من التعليم هو في حاجة الى أن يُنظر اليه بشفقة ويمالج بشيء من الرفق الا أن يخرق النظام متمردا ، قال معاوية بن أبي سفيان : لا أضع سيفا حيث يكفينى سوطى ، ولا أضع سوطى حيث يكفينى لساني .

وتطبيق النظم على الوقائع وتنفيذها بعدل حق من حقوق الامة على ولاية أمورها ، واذا توقف على شيء يرجع الخطاب فيه الى بعض أفراد الامة كاداء الشهادة على وجهها كانت نبعته على أولئك الذين يستطيعون أن يشهدوا بحق ويكتُمون الشهادة وهم يعلمون .

واما أمن الامة من أن تسطو يد غريبة على حق من حقوقها فلتطمئن على

عزتها وكرامتها ، ولتشعر بان من تلدهم سيميشون كما تعيش الامم ذات الشوكة
احرادا ، ولا تأمن بأس خصومها ولا تنظر الى مستقبل أبنائها فتراه أغر محبلا الا
أن يكون ما بينها وبين رعاتها عامرا بالنصح من ناحية وبحسن الطاعة من الناحية
الاخري ، فبالنصح ترق معاهد التعليم فتستغنى بعلم أبنائها وكفايتهم للعمل عن أن
تستمد وسائل الدفاع والمنعة من وطن غير وطنها ، وبحسن الطاعة ينتظم أمر الجند
وتبلغ القوة المالية غايتها .

وقد عني الاسلام فيما عني بهاتين الحصلتين العظيمتين : اخلاص ولالة الامور
للأمة ، وطاعة الامة لولاة أمورها ، فواجب على الولاة أن يقيموا سياستهم على
رعاية الحقوق والمصالح ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يسترعيه
الله رعية فلم يحطها بنصحه الا لم يجد ربح الجنة ^(١) » ثم التفت الى الرعية فأمرهم بحسن
الطاعة ، ومن شواهد هذا قوله عليه الصلاة والسلام « السمع والطاعة على المرء
المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ^(٢) »

فالخلق أن سعادة الامة في أيدي رؤسائها فاذا استقاموا على الطريقة وساسوها
برفق وحرص على مصالحها وكرامتها ، سادت بجانبهم مستقيمة فلا تلبث أن تنجح
في سيرتها وتظفر ببغيتها (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

محمد الحضر محسن

(١) صحيح البخاري

(٢) صحيح البخاري

النفس

تفسير قصة سيدنا شعيب عليه السلام

— ٤ —

قد قدمنا لك القول مفصلاً في تفسير دعوة سيدنا شعيب عليه السلام لقومه أهل مدين ، ونحس الآن نُجملُها لك في دعوتين .

« أولاهما » دعوتهم الى اصلاح دينهم بأن يعبدوا الله الذي لا اله الا هو فيتركوا ما ورثوه عن آباءهم وأسلافهم من عبادة ما لا يسمع ولا يُبصر ولا يُفني عنهم شيئاً .
« ثابتهما » دعوتهم الى اصلاح ديارهم بأن ينتهوا عن نقص المكيال والميزان وأن يُوفواهما بالقسط وأن يكفؤوا عن بحس الناس أشياءهم وعن العثيان في الأرض مفسدين مع تبشيرهم بحسن العاقبة اذا تابوا وآمنوا وانذارهم بسوء المآل ان عاندوا واستكبروا .
هذا ما دعاه اليه عليه السلام ، ولكنهم أساءوا اليه كما أساءوا الى أنفسهم وبخسوا أشياءهم كما بخسوا الناس أشياءهم فلم يقابلوه دعاهه بما كان يجب عليهم أن يقابلوه به من التروى والبحث والتدبر .

وذلك أن العقل السليم يوجب في كل أمر جديد لم تعهده النفوس من قبل - خصوصاً اذا كان مخالفاً لما ألفتته من المعتقدات ولا سيما أمر الدين - أنها تُنصت له وتستمع اليه ، ثم تجول فيه جولة المُتَقَبِّ في ارجائه ، الباحث في ثناياه ومناحيه ، الناظر في أدلته ، الناقد لمقدماته ونتائجه ، حتى اذا تبين لها أن الحق في جانبهِ والرشد في أتباعهِ قَبِلَتْهُ عن رصا ودانت له عن ينسنة ورفضت ما ورثته عن أسلافها الأولين وسذت ما كانت عاكفة عليه من التقاليد والضلالات ظهرياً

أما ان بادرت الى الرقص وسارعت الى التكذيب والانكار من قبل أن تبصر في أمر ذلك الداعي وفيما دعاها اليه ، بل تجاهلت أو جهلت خلاله الكريمة وفضائله الكاملة

ودعها حرصها على ضلال أسلافها ، وعزَّ عليها هجر ما أنست به من ضروب النقي والقسوق فصمتت آذانها عن الاستماع له وتعميت أبصارها أن تنظر ماذا في السموات والأرض من الآيات المصدقة له وكسفت شمس فطرتها فلم يبق فيها بصيص من نور الاهتداء .

اذ أصيبت نفوس الأمم بذلك فانها لا تقابل دعاء المصلحين الصادقين الا بالتكذيب بل بالجحود^(١) بلدى . بلدى ، لا تُصْنِي اليهم ولا تقيم لحائهم وزنا ، معرضة عما أتوا به من الأدلة الصحيحة والآيات البينات ، كما حكى الله عز وجل عنهم اذ يقول (وَلَوْ أَنَّمَا تَزَلَّنا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) وقال (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَنْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) .

هذا هو شأن الحق اذا أتى الأمم مخالف لما هم عليه مقيمون ، وهذه هي معاملتهم لرسول ربهم حينما يلقونهم عنه سبحانه دينه ويهدونهم الى صراطه المستقيم ، فلم تنج أمة من الأمم الخالية الا وفد وسوس اليها شياطينها فأعرضت عما ذكرَّت به من شرائع الله واتخذت آياته ورسله هزوا .

وذلك كما أخبرنا الله صدق خبره بذلك فى كتابه العزيز اذ قال فى شأن الذين كذبوا رسوله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ) .

هكذا أخبر الله تعالى ولكنه سبحانه قد أوضح لنا السبب الذى لأجله قابلت كل أمة رسولها بما قابلته به من الكفر والتكذيب ، فذكر أن منشأ ذلك هو الطغيان وهو تجاوز الحد فى العصيان حتى يؤدَّى ذلك بالطغين الى أنهم يكذبون بمقوبة طغيانهم .

ولما كان هذا المرض الويلُّ وهو الطغيان قد أصاب كل الأمم الخالية . كانوا جميعا سواسية متماثلين فى الاصابة به كأنهم قد أجمعوا عليه وأوصى به بعضهم بعضا وذلك هو

(١) هو الكذب مع بقى الحقيقة كما فى الآية (واعدوا لها وسيقنها أممهم)

قوله سبحانه (أَتَوَاصُوا بِهِ بَلِّغْهُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ) وقوله (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ يَبَيِّنُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُؤْفِكُونَ)

في هذا الطريق الموجَّ سار أهلُ مدين ففرقتُ بهم سُبُلُ الفَوَاقِرِ والضلالِ عن سبيلِ الله المستقيم الذي دعاهم اليه رسولُ الله سيدنا شعيب عليه السلام فكانوا في عنادهم واستكبارهم عما جاءهم به مثلُ أشياعهم الذين قال الله فيهم (جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْيَمِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيدِينَ) .

يمثل هذا الرد والتكذيب الشنيع قائلُ أهلِ مدين دعوةَ رسولِ الله شعيب عليه السلام ، وهو ما قصه الله تعالى عنهم في قوله (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يُعْبُدُ آبَاؤُنَا) الآية .

قد تضمنت هذه الآية الكريمة ثلاثَ مقالاتٍ لهم كلٌّ منها كافٍ كلَّ الكفاية في الدلالة على أن أهلَ مدين قد مُسِخَتْ نفوسُهُم ونَمِيتَ بَصَارُهُمْ وَكَمِيتَ أَبْصَارُهُمْ ، ففكروا الحقَّ وسَخِرُوا مِنْ جَاهِهِمْ به فضلوا بذلك صلالاً بعيداً .
المقالة الأولى قولهم (أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يُعْبُدُ آبَاؤُنَا ؟) الثانية قولهم (أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) الثالثة قولهم (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) .

فأما المقالة الأولى فإنها قد اشتملت على عدَّةٍ من شناعاتهم وخروجهم عن حدود آداب المعاملة مع أصناف الخلق ولا سيما رسل الله المصطفين الأخيار .

فإنها هذا الاستفهام الصَّوْرِيُّ الذي قصدوا به التَّهْكُمَ والاستحفافَ برسولهم الكريم وهو أرجحُهم عقلاً وأزكاهم نفساً وأعمَّهُم بالحقِّ وأغرَقَهُم ربههم وأخشاهم له وأعظمَهُم إخلاصاً ونصحاً لهم وأذرعهم بمصالحهم الدينية والدنيوية .

ومنها أنهم جعلوا صلاته التي يعتقدون بطلانها لأنها لم يرد آلهتهم هي التي تأمره أن يدعوهم إلى ما دعاهم إليه ، فيكون ما دعاهم إليه باطلاً لكونه إنما صدر عن صلاته الباطلة في

زعمهم لا عن وحي من الله تعالى كما يدّعي ولا عن عقل سليم . بل إما كان ذلك منه اتباعاً لما سئلت له به نفسه (حاشى الله) .

جعلوا هذه المقالة المأحشة أحابة عن أمره عليه السلام لهم بعبادة الله تعالى وحده وترك ما ورثوه عن آبائهم من أنواع الضلال والشرك بالله فاطر السموات والأرض بدعوى ليفتر لهم من ذنوبهم ويؤخرهم الى أجل مسمى (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبُّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

حسن منصور — وكيل دار العلوم سابقاً

ينبع

تربية اللؤلؤ في اليابان

مترجمة عن الألمانية من مجلة Woche

يشتهر خليج آجو في المياه اليابانية بوفرة اللؤلؤ لوقوعه في ناحية مسترة آمنة تكفل غور المحار لهدوء مياهها . ولا يبعد هذا الخليج عن معبد أيزو الا بنحو ٢٠ كيلو متر جنوباً .

ولتربية اللؤلؤ في مثل هذه النواحي التي تكثر بها ديدان المحار تلقى قطع من الاحجار الصغيرة في الماء خلال شهرى يوليى واغسطس ، فلا يلبث أن يعلق بها بورصات المحار . ولقلة غور هذه الجهات تنقل الاحجار بما علق بها الى مياه أكثر عمقا خوفاً على المحار من العدم والهلاك لو تركت في المياه الضحلة ابان فصل الشتاء . فتوضع في أعماق بعيدة داخل مهاد أعدت لهذا الغرض ولا ينتزع المحار منها الا في السنة الثالثة حيث يعالج بطرق خاصة لتكوين اللؤلؤ في باطنه ، ويستعان على ذلك بادخال لآلى صغيرة واطنة القية أو حبيبات مستديرة من الصدف تصلح لأن تكون نواة للؤلؤ . ثم يلقى المحار في البحر ثانية حيث يستقر في جوفه أربع سنين على الأقل . وعند استخراجها توجد اللآلى بباطنه .

ولو أن هذه الطريقة في تناول كل انسان لما شق على غير اليابانيين ممارستها .

اصْبُوا الدِّينَ

الدين ضرورى للعمران

— الفرق بين المؤمن وغيره —

قلنا فى مقالنا السابق ان الانسان مركب من جزء علوى سماوى وجزء مادى ارضى وانه لا بد له بمقتضى هذا الجزء أن يتنقل فى المحوسسات ويوغل فى وادى اللذائذ الحثايات ولاشئ عليه فى هذا بل بذلك تحصل سعاده وتتم راحته ، وقد اعتنت الشريعة بذلك أتم اعتناء ولكن رسمت له قواعد وحددت له حدودا .

غير أن المؤمن لا يتفانى فى تلك المطالب البدنية ولا يتهالك عليها بل يراعى حدود الله فيها وبذلك يصفو عيشه وتتم راحته .

وأما غير المؤمن فيعدو وراء الأوهام وينخدع بأصفاة الأحلام ويمر بهام السراب فيحسبه من لذيذ الشراب فيشقى شقاء لا سعادة فيه ويكد كدا لا راحة معه . قد عظم فيه الشره . فهو يطلب أن يستأثر بكل شئ . فتراه يئب وثوب الوحوش على أخوانه وبني نوعه يفتريهم اقتراس الذئب الضارى نائية الغنم ويستلب منهم ما استطاع اليه سبيلا حتى يكون له من رعمة الحياة ووفرة المال وضروب اللذات ما ليس لأحد سواه فى بلده أو قطره أو الدنيا كلها على حسب ما تسمح به درجته وتوصله اليه قدرته ، وهو الذى فى نفسه من التكالب الحيوانى على جمع المال والحرص على قتل غيره لينفرد بالحياة وما ركب فيه من ذلك الشره الذى لا ينهائى حتى لا يساويه أحد ولا يذنيه انسان فيكون وحيد دهره وفريد عصره على ما يرعمه شيطانه (ولو أنصف لمرف أنه وحش أخوانه ومفترس أقرابه) كل ذلك الذى يدور بنفسه ويطلبه على موجب شرهه وجهاله هو بعينه فى نفس كل واحد من بني نوعه بمقتضى الفريضة البشرية فلا يلبث أن يقوم فى وجهه قومة الأسد فى وجهه من يريد أشباله فلا يرالان يتصارعان حتى يصرع أحدهما

الأخر بفضل غلبة الأهواء وعدم معرفة حقيقة السعادة والشقاء ، وأذن تنحلّ الروابط الإنسانية بل علاقات القرابة الأبوية كما شاهدنا وشاهد فتفتكك أجزاء الأمة ويكاد ينهار بناء المجتمع الإنساني لولا لطف الله تعالى به ووجود الكاملين فيه ، ولا غرو فالإنسان يجول على محبة الدنيا وعلى الإفراط فيها كما قال تعالى « وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا » وقال « كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ » وقوة المحبة غير المعتدلة ينشأ عنها التحاقد والتحاسد والتدابير والتنازع والتقاتل « نتائج طبيعية يستلزم بعضها بعضا » وهذه حقيقة ملموسة تراها بين الدول والأفراد وناهيك بالحرب الكبرى وما تقعله دول الاستعمار وما تراه من عمل المرايين ومحبي الأثرة في كل أمة ودولة ، ولذا كان غرس مكارم الأخلاق التي تقف النفوس عند حدها وترسم لها طريق السعادة الحقيقية وتنفع فيها روح الإنسانية ويرشد إليها الدين ويعلموها عن الصفات البهيمية من أول الضروريات التي يتوقف عليها صلاح الكون وبقاء النوع الإنساني حتى لا يذهب فريسة الشره وضيعة الأطماع . لا فرق بين الأفراد وبين الأمم في ذلك

المؤمن يطلب الدنيا ليتوصل بها إلى سعادته الباقية وليسير على راحتها إلى محل قراره فهي في نظره لا تتجاوز رتبة الوسائل التي تراد لغيرها ولا ترتفع إلى درجة المقاصد التي تراد لذاتها وإن كان لا بد منها ، وقد اتمر هذا النظر للمؤمنين أن يتمموا بقلوبهم وتعام حريتهم إذ لم تستعبد الدنيا بمحتتها كما استعبدت أبناءها المتعشقين لها المتهالكين عليها ولم تأخذ من قلوبهم إلا كما تأخذ الوسيلة من قلوب ذوي العقول السليمة ، ومن أجل ذلك قلّ فيهم الخصام وتم بينهم الوثام ، ولا تظن — أيديك الله — أننا نرى أن المؤمن لا يتوسع في الدنيا ولا يكون بعيد النظر فيها فانه هو العاقل الحكيم بحكمة دينه وتعليم سيده الذي جعل له العزة وأوجب أن تكون أمته خير الأمم . وقد بسطنا ذلك في مقال آخر

والمؤمن من أرفع الناس همّة وعلى قدر همّة الرجل تكثر واجباته وتكبر مروءته فتعظم أثقاله وهو الذي لا يزال لسان حاله يقول :

أريد بسطة كف أستعين بها على قضاء حقوق الملا قبل

ولكنه يعمل كل ما يعمله فيها لله على سنن الاعتدال غير غافل عن مقصده الذي يريد به فيتوسل بكل شيء فيها الى فعل الخير واكتساب الأجر .

المؤمن يتعاطى الأسباب المشروعة ولكن لا يذل لها ذل العاشق لمعشوقته ولا يخضع لها خضوع العابد لمعبوده . لأن قلبه مع مسبب الأسباب لا مع الأسباب فهو دائماً يستمد منه الرشد والمعونة فيما يريد علماً منه أن بيده مقاليد الأمور فإن شاء أضله في السير وأوجد له من العقبات ما يحول بينه وبين مطلوبه ، وإن شاء هداه السبيل ويسر له من الأسباب ما يعلم وما لا يعلم ولديه تعالى من الأسباب الخفية ما لا يصل اليه علمك وتديرك وإن علمته فلا تصل اليه قدرتك وليس لتصرفه تعالى حد يقف عنده أو قانون لا يخرج عنه بل ما لا تعلمه من الأسباب الخفية أكثر مما تعلمه ولست تدبر الا على حسب علمك وقد ينقلب ما دبرت ولا يكون ما قدرت ، وكثيراً ما كانت المقتضيات موانع والمضار منافع ، وإذا لم تكن قد اهتديت الى ذلك بما وصلت اليه من العلم فلعلمك اهتديت له بما حصل لك من الحوادث .

المؤمن لا يموت أسفاً ولا ينتحر غيظاً إذا فاته شيء من الدنيا مهما كان لأنها ليست كل المقصود عنده ولا تمام السعادة في نظره ولأنه يعلم أن الله على كل شيء قدير فإن شاء أعطاه أصناف ما ضاع منه وإن لم يعلم له سبباً ولم يعرف اليه طريقاً فليست الأسباب منهصرة فيما علم ولا الطرق مقصورة على ما عرف ولأنه كثيراً ما وجد الخير فيما كان يظنه شراً وكثيراً ما وجد الشر فيما كان يظنه خيراً ، وطالما استتبعتم الأفراح الأتراح والسرور السرور فصب عليه الركون لله عز وجل والثقة به والتوكل عليه وتقليد كتابه العزيز فيما قال « وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » فمزمع هذا الخطاب فهان عليه المصائب فتلج منه الصدر وخف عليه الأمر .

أما الموارنة بين المؤمنين وغيره من حيث نعيم النفوس وصفاتها وبهجة القلوب وشقاؤها فهي أعظم وأهول ، ذلك أن المؤمن تراه دائماً فرحاً مسروراً مبتهجا مجبوراً حتى أنه في أخرج ظروف البلاء والمناء يكون في غاية الصبر ونهاية الرضى ، لأنه يعتقد

أنه ما يشاك بشوكة فافوقها الا كان له بها أجر ، وقد نقل عن اويس القرنى أنه كان يبكى مسرورا إذا اشتد به الحُل ويَقول ان هذه منزلة المقرين المحبوبين ولست منهم فبأى شيء نلت هذه المنزلة عند ربى ، بل كانوا يفرحون بالموت فضلا عما دونه ثقة بما يلاقون بعده عالمين بأن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة هي الدار الحيوان وان كان أكثر الناس لا يعمون وقد تبسم بلال رضى الله عنه عند ما شارف الموت فسئل عن ذلك فقال غدا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه ، وكان على يقول لا أبالي اسقط على الموت أم سقطت عليه ولقد صدق القائل

لا تهتدى نوب الزمان اليهم ولهم على الخطب الشديد لجام
وقد قال الله تعالى لليهود « قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنكُمْ أُولِيَاءَ لِلَّهِ
مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوُتْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ » فأفاد أن هناك فريقا من الناس
يفرح بالموت حتى أنه يتمتع ولهم بعد ذلك من اللذة الروحانية والبهجة النفسية ما لا
يعلمه الا الله تعالى وقد قال قائلهم :

أيا صاحي كف بي مع الحق وقفة أموت بها وجدا وأحيا بها وجدا
وقل للملوك الأرض تجهد جهدها فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى
ولعل في قراء المحلة من المؤمنين الكاملين من ذاق شيئا من تلك اللذة الروحية التي لا
يمثلها لذة أخرى ، وقد قال برهم بن آدم نحن في لفة لو علمها الملوك لقاتلونا عليها
بالسيوف . وقال غيره عجبت لمن يخرج من الدنيا وما ذاق لذتها ، فيها وقد قالوا ان هذه
الذائد المحسوسة تشاركك فيها البهائم ولا قيمة لشيء تكون أنت والبهائم فيه سواء .
ولقد بلغت تلك اللذة الروحانية من بعض ذويها أن قال فرحا وتبجعا .

أتية فلا أدري من التيه من أنا سوى ما يقول الناس في وفي جنسى
أتية على جن البلاد والسها فأن لم أجسد شخصا تيه على نفسى
فقارن بين هذا وبين من أحاطت به الظلمات من جميع جهاته ، فهو يتخبط فيها ليله
ونهاره لا يدري كيف السبيل الى انقاذه من حيرته وحلاصه من شدته ولبس لديه من
العقيدة ما يخفف من بلائه أو يهون من لأوائه ، فهو يعالج أهوال الموت في كل حين

وحاله على ما وصف الله كظلمات في بحر لجي يشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها وقد صرح بعضهم بتلك الحقيقة عند ما امتلأت نفسه بها ففاضت منه قهرا عنه يقول

ظلمة فوق ظلمة أنا فيها أبدا مصبح كما أنا ممسي

فهذا رجل مسكين فقد الور والسرور غشيت الظلمة وأحاطت به الخبرة وقد قال الله تعالى في مثله «وَمَنْ يَرُدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ مُنِيقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ» حتى أنه اذا لم يكن له بلاء ظاهر ولا شفاء حاضر أملت عليه غيخته المظلمة ما هو كفيف بإزعاجه وعدم طمأنينته وكفى بذلك شقاء وبلاء، وانظر الى قوله في هذه القصيدة :

تعتري جسي هزة كلما فكـسرت أنى يوما سأفقد حسي

يخاف الموت ذلك الخوف البالغ وحدير به أن يخاف لانه ذاهب الى فناء أو شقاء ، أما المؤمن فلا يترعج من الموت كما سمعت لانه يمتقد أنه انتقل من دار الشرور الى دار السرور ومن موطن الفناء الى محل البقاء حتى قال بعضهم وهل الخير كله الا بعد الموت ولكن ذلك الذي لا يؤمن بالآخرة لا حياة عنده الا هذه الحياة ولذلك يحبها حبا جما كما يقول في القصيدة نفسها :

لم أزل بالحياة صبا وأن نؤت نـستين من سنى وخمس

الى أن يقول :

أعما الدنيا جنة سعيد وحميم لذى شقاء وبؤس

لك فيها الحياة ما طلت عبثا كل شيء فلا تبعها ييـحس

الى أن يقول :

قيل لى احمد على الشدائد والأو صاب ربا يهدى الورى ويُدسى

قلت هذا ما لست أفعل شيئا منه حتى أردى فدعنى وتسمى

والرجل منصف يمتدح بنفسه وتكسه ، لا بل هي الحقيقة تظهر بقوة سلطاتها على لسان صاحبها وان حرص على كتابتها .

ومن هذا القبيل قول من يقول مناجيا لنفسه أو مناجيه له : —

قالت : سئمت من الحياة و مفرق كالكليل حالك

فأجبتها انى كذلك

قالت : وأملت السعادة فأنشيت بنير ذلك

فأجبتها انى كذلك

قالت : ويرهبني الفناء يـ و مـ باك وضاحك

فأجبتها انى كذلك

قالت : وأجزع حين أذكر أننى احدى الموالك

فأجبتها انى كذلك

انى كذلك مثل غيرة حائر انى كذلك

ولا تعجب من ذلك الذى سمعت من حديث الظلمات التى بمضاهوق بعض وتلك الحيرة التى أحاطت بذلك الملحد الذى لا يدرك من أين جاء ولا الى أين يذهب مع ما نسو من من لذة الأنوار وبهجة الأسرار فـ « الله ولى الذين آمنوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ » والخلاصة أن الترية على غير مبادئ الدين ترمى بالإنسان فى هوة لا يستطيع منها مفرا ولا يجد فيها مستقرا فان سنع له من تنوء تلك الهوة ما يضع عليه احدى رجليه زلقت به الأخرى فهوى أبعد مما كان واذا تنسم بعض النسيم الذى يصل اليه أحيانا لم يلبث أن يزول ذلك عنه ثم يحتنق بهوائها العاسد ولا يزال كذلك يمانى صنوف العذاب (يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت) حتى يذهب حيث شاء الله أو يعمد الى الانتحار تخلصا من ذلك الشقاء كي يصل الى مركز يستقر فيه وما هو بواصل اليه (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا) لا يجد من نور اليقين ما يتسع به صدره فيهون عليه أمره وتستقر روحه فى مركزها الذى تحن اليه من عالمها الأعلى تنزل عليها السكينه وتحفها الطمانينة فتعيش هادية مهدية وراضية مرضية بل

أخذته الدنيا فلم تدع منه شيئاً حتى مات أسيراً في يديها وهو متلف عليها فهو معها (كبأسط كفيه الى الماء ليلغ فيه وما هو يالغ) وهي معه (كسراب ببيعة يحسبه الظان ماء حتى اذا جاءه لم يجد شيئاً فضاغ منه نصيب قلبه وبدنه جميعاً وناهيك قول الله تعالى « وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى » ويقول في مقابلهم « وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » ويقول « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَحْمَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَنَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ »

وأما تربية الدين فهي التربية التي يعيش بها الانسان هادئاً مطمئناً يتبادل المودة والمهانة هو واخوانه المؤمنون قد اتحدت مبادئهم فلم تختلف أهواؤهم (كحالنا اليوم) فصلاً عما له من السعادة الروحية التي هي أصفى وأرفع من السعادة البدنية .

وأما غيره فليس له من تلك اللذة شيء . لأنه مشغول عنها منكس القلب نحو العالم الأدنى — وليتك تصدق أن المؤمن يجد من لذة الأكل والشرب وهبوب النسيم وازهار الرياض ونفحات الطيور ما لا يجد غيره لأن له نصيباً روحانياً لا يعرفه غير أهله .

ولملك بكلامنا هذا يهيج منك حالص الايمان ويتحرك لديك صادق الوجدان فتفهم ما يشير اليه قوله تعالى « وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ » وان كنت لاتذكر تلك اللذة الروحانية التي كانت لك زمن الصحة وسلامة الفطرة عند ما يهب نسيم الأصيل أو ينفوح شذى الأزهار أو يشرق نور الصباح وما كنت تجده اذ ذاك مما يكاد يسكرك بخمرة ذلك الجمال حتى يحملك مبهوتا مستغرق القلب لا على النحو الذي تعرفه الآن مما يحملك تتحرك وتفكر . بل مما ياتي عليك سباتاً لذيقاً يملأ القلب نوراً ويفيض الدمع سروراً وهذه هي اللذة الحقيقية والخلقة الروحية التي قال فيها بعض ذاقينا :

على نفسه فليكن من صاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم
يوسف الرمزي — من هيئة كبار العلماء

السُّنَنُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
النَّفَاقُ وَعَلَامَاتُهُ وَمَضَارُّهُ

الحديث

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آيةُ المنافقِ ثلاثٌ ، إذا حَدَّثَ كَذَبَ ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وإذا أُوْتِمِنَ خَانَ .^(١)

الشرح

الآية هي العلامة والامارة ، المنافق هو الذي يُظْهِرُ شَيْئًا وَيُخْفِي فِي نَفْسِهِ ضَدَّهُ . الفضائل النفسية محمودة عند الله تعالى وعند العقول الراجحة الزكية ، وقد أثنى الله عز وجل عليها ووَعَدَ المتخلفين بها وعدا حسنا ، فمن تلك الفضائل مطابقة ظاهر الانسان لما في باطنه وموافقة أقواله وأفعاله لما يُكِنُّه في نفسه ، وعلامة هذه الفضيلة فيه أنه إذا حَدَّثَ صَدَقَ ، وإذا وَعَدَ وَفَى ، وإذا أُوْتِمِنَ أَدَّى الأمانة .

هذه الفضيلة المحمودة تُقابِلُها رذيلة مذمومة ، وهي النفاق ، وهو أن يُظْهِرَ الشخصُ للناس شيئا وَيُخْفِي في صدره ما يخالفه وتُفَدِّعُهُ نَفْسُهُ فيظنُّ أن الناسَ يَخْفَى عليهم ما أبطنه وأنهم لا يقفون على حقيقة ما أضمره .

ولكن الأمر بخلاف ما رَعِمَ ، ولهذا أرشدنا الرسول صلى الله عليه وسلم الى بعض من الملامات التي نَبِيْتُ بها نفاق المنافقين

العلامة الأولى : أنه إذا حَدَّثَ غَيْرَهُ حَدِيثًا كَذَبَ فيه غير مُكْتَرِهٍ بما يترتب على الكذب من المذام والمفاسد .

ألم يعلم هذا الكاذب أنه يجزأته على الكذب قد امتنن نفسه واحتقرها به كما أنه أيضا امتنن من يحدّثهم واستخفّ بهم ، فانه لو أكرم نفسه وأنفسهم وقدر لهم قدرهم لاستحيا أن يدنس نفسه بهذه الرذيلة وأن يقدر لسانه بهذه الفاحشة وأن يضع نفسه وغيره موضع المقت والصغار وازدراء العقلاء به .

ألم يعلم أيضا أن كذبه هذا قد يؤدّي الى ضرر عظيم وشرّ مستطير كتلف نفوس أو صياع أموال أو تقطيع أرحام أو حراب ديار الى غير ذلك من المفسد والمضار الخاصة والعامة .

العلامة الثانية : انه اذا وعد غيره وعدا أخلفه ولم يف به . وهذه أيضا رذيلة محققة تدل على أن صاحبها لا قدر له ولا مروءة ، ذلك أن اخلاف الوعد بغير عذر صحيح دليل على أن ذلك المخلف لا يقيم لنفسه ولا لغيره وزنا ولا يجعل لذلك العهد الذي أوجبه على نفسه قيمة ولا يبالي بما يموّد على من ارتبط معه بالوعد من الضرر وفوات المنافع وصياع الفرصة والوقت بدون فائدة

العلامة الثالثة . أنه اذا ائتمنه أحد على أمانة خانها ولم يرع حقها ، ثم ان الأمانة هي كل شيء له قدر . يجعل في عهده آخر ليقوم عليه بما يجب له من الحفظ والرعاية . وذلك يشمل عدة أنواع من الأمانة ، فمنها الأمانة الالهية . وهي شريعتة السمعة المطهرة التي رسل بها رسوله الأكرم صلى الله عليه وسلم ، لحفظها ورعايتها يكونان بالعمل بما جاء فيها من العقائد الصحيحة وفعل المأمورات وترك المنهيات وخيائها تكون بنبيذها والاستحفاف بها وترك الواجبات والوموع في المنهيات وعدم الاكتراث بما أوعده الله تعالى به من شديد العقاب . ومنها الأمانة الخاصة بالانسان نفسه وهي حياته وعرضه وماله ونسبه وعقله وصحته ، لحفظها يكون بالحرص عليها ووقايتها من كل ما يضرها أو يشينها أو يضيئها وحياتها تكون بالتفريط في شيء من ذلك

ومنها الأمانة العامة . وهي الحقوق التي يضيئها أصحابها عند غيرهم ليحفظوها لهم

وَيَرْغَبُوا هَاجِمًا يُوْذُوها اليهم اذا طلبوا رَدَّها ، وذلك كمن يَأْتَمِنُ غَيْرَه على ماله أو عرضه أو سرِّه من أسرارِه أو غيرِ ذلك ، يحفظُ ما ذكر ورعايَته يكونان بما قدَّمناه لك في الأمانة الخاصة ، وخيائته بضد ذلك

وملخص ما سبق . أن كل واحد من هؤلاء الثلاثة المذكورين في هذا الحديث الشريف منافق ، لأن الكاذب في حديثه قد أَوْثَمَ الناس أن حديثه بلسانه موافق لما في قلبه ، ولكن ظهور كذبه كان علامة على أنه أظهر تقيضاً ما أخفاه ، فكان لهذا منافقاً خالصاً ، ونظيره في ذلك الخدع لوعده والخاص في أمانته فإن عدم وفائهما بقطعاه على أنفسهما من انجاز الوعد وحفظ الأمانة أمانة صادقة على أنهما كانا يصبران خلافاً ما أظهراه من إيفاء الوعد ورعاية الأمانة وذلك هو النفاق الذميم وفيمن اتَّصَفُوا به يقول الله شديد العقاب : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ قَطَرًا) .

من منصور

وكيل دار العلوم سابقاً

النظر في الملح

كل ما نشر وما ينشر تحت هذا العنوان فهو من مختارات

فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور

قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : ما انتفعتُ بكلام أحدٍ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتفعتُ بكلام بعثه الىَّ علىَّ بن أبي طالب رضي الله عنه . كتب لي : أما بعد ، فإن المرء يسرُّه ادراك ما لم يكن ليفوته ، ويسوءه فوت ما لم يكن ليديره ، فليكن سرورُك بما نلتَ من أمرٍ آخرتك ، وليكن أسفُك على ما فات منها وما نلتَ من أمر دنياك فلا تكن به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تأسَ عليه جزعاً ، وليكن همك ما بعد الموت .

حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

شيخ الجامع الازهر

بمناسبة مسألة مسلمى البربر في المغرب الأقصى

أذاعت الصحف مسألة تدخل دولة فرنسة في شؤون البربر الدينية، ووردت رسائل من نواح متعددة تطلب من مشيخة الأزهر بما لها من حق الدفاع عن حقوق المسلمين الدينية أن تقول كلمة في هذه المسألة

فأخذ حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأ كبر يستكشف حقيقة أمرها من مصادر يطمئن إليها، ثم أبدى رأيه في حديث تلقاه عنه مندوب صحيفة المقطم في الاسكندرية ونشر في عددها الصادر في ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٣٤٩هـ (١٦ سبتمبر سنة ١٩٣٠) وهذا نصه: « لقد ارتحمت الى ما تضمنه بيان المفوضية « الفرنسية » من أن فرنسة واقفة في المسائل الدينية على الحياد .

وان البربر مسلمون وسيبقون مسلمين، وأنه بتشجيعها رمت مساجد كثيرة في بلاد المغرب الأقصى ولكنني لم أرفيه ما يكشف الحقيقة من جميع وجوها ولا ما يرد على كل تلك التفاصيل التي وردت بها الانباء وكانت سبباً في هياج الرأي العام الاسلامي، فهو لم يتعرض لما قيل من ارسال نحو الف راهب الى تلك النواحي لتشجيع التبشير المسيحي ولا ما قيل من الغاء المكاتب القرآنية والمحاكم الشرعية، ولم يبين ما هو نظام الارث الذي أفر الآن لأمة البربر ولا ما هي الاحكام الشخصية التي أقرت اليهم الآن ايضا مع أنهم ما داموا مسلمين لا يجوز شرعاً أن يكون لهم نظام ارث غير نظام الارث الشرعي ولا نظام أحوال شخصية غير النظام الاسلامي وتلك هي النتيجة المنطقية لأنهم مسلمون وسيبقون مسلمين .

وان المسلمين فيما يوجهونه من الاحتجاجات موقفهم دفاعي محض ولا يقصدون أكثر من بقاء الأمور على ما كانت عليه قبل حماية فرنسة، ولا يرضيهم جعل العادات القديمة لبعض القبائل نظاماً مشروعاً مادام في ذلك مساس بالمسائل والشعائر الدينية .

وفي أفريقية عادات متبعة منذ القدم وهي استرقاق الأحرار والاتجار بهم ، ولم يقل أحد ان مثل هذا الاسترقاق ينبغي أن يكون مشروعاً مادام موجوداً وإن المعروف عن فرنسة وغيرها من جماعة الأمم أنها تعمل على توطيد دعائم السلم وإبعاد دواعي الاضطرابات. فالأموال منها بقاء على ذلك أن تستأصل الداء من مكانه الخفية ، فلا تساعد ولا تفر المبشرين على أعمالهم في البلاد الاسلامية فإن ذلك ممكن عظيم من مكان الخطر ، وعليها أن تفصل بين نشر الثقافة والتبشير .

وانى بصفتى الدينية التى أعمال بها على توطيد دعائم السلم ومعاملة الأجانب من أى دين أو جنس بالحسنى وبالتسامح آمل من القائمين بالامر ان لا يساعدوا على ما يشير حفاظ النفوس وأن يعملوا على إعادة الاطمئنان الى تلك البلاد الاسلامية »

« نور الاسلام »

لمشيخة الأزهر اسمى منزلة دينية بين العالم الاسلامى ، ومن حقها أن تنصح للدول التى ترفع رايها على شعوب اسلامية وتدعوهم الى أن يحترموا محكمهم الشرعية ولا يتدخلوا في شؤونهم الدينية ، وحادثة تدخل فرنسة في شئون البربر من الحوادث التى اهتز لها العالم الاسلامى بالاستياء والانكار وقد اطلعنا على بلاغ المفوضية الفرنسية بالقاهرة وعلى ما يبعث به مراسلو بعض الصحف من باريس فلم نر فيها ما يدفع عن فرنسة بئمة هذا التدخل بعد أن اعترفت بالظهير السلطانى الذى اتخذته وسيلة الى التصرف في شئونهم الدينية ، واعترفت بأنها ستقيم بينهم محاكم غير اسلامية ونود من صميم قلوبنا أن تتلقى الدولة الفرنسية نصيحة مشيخة الأزهر الحليّة بالاصفاء وحسن القبول ، فتدع البربر بالمغرب الأقصى يتمتعون بواجباتهم الدينية ويتقاضون حقوقهم بمحاكم شرعية اسلامية ، فذلك ادعى لسكينتهم وانتشار الامن بين ربوعهم

اصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم
الاسلام دين الفطرة

— ٥ —

(لايسأم الانسان من دعاء الخير) وما كان له أن يسأم من أن يهدى اليه الخير، وهل وراء هذا الهدى الذى يصل بك الى سعادة الدارين الدنيا والآخرة من خير. لقد سقنا لك جملة صالحة في الجزء الماضى في بيان بعض من أسرار العبادات وحكم التشريع ووعدنا أن نزيدك في هذا الجزء مايفتح الله به من أبواب الخير والحكم البالغة في احكام المعاملات وفي الاخلاق الاسلامية الكريمة التى بعث صلى الله عليه وسلم لتنميم مكارمها.

المعاملات : تنقسم روابط الانسان باخيه الانسان الى ثلاثة أقسام .
(الاولى) الرابطة المتزلية و(الثانية) الرابطة المدنية و(الثالثة) الرابطة الانسانية العامة ، وقد جاءت الشريعة الاسلامية النراء حافظة لهذه الروابط أتم حفظ وأكمل ، فابدعت نظمها واكملت أحكامها وحسنت وجوها .

أما الرابطة المتزلية فقد سنت لها من أحكام النكاح والاحتياط في تنبيته على وجه يكفل له الدوام ويصونه من الانقسام مايمحطه سببا لسعادة الحياة وهناءة المعيشة ، فتلوه ضمان بقاء النسل وعماد الكون على الوجه النافع الكفيل بقيام المصالح على وجهها الأكمل ، فشرعت فيه تقديم الخطبة مثلا لتكون فرصة يتها فيها تقرب القلوب وغرس الالفة والمودة رويدا رويدا حتى تؤتي ثمرها حين اللقاء ، وابتاحت فيها النظر المجرد بمقدار مايعرف كلا الزوجين سن الآخر الى أظهر أجزائه

وما يقع عليه النظر غالباً ، وذلك هو الوجه والكفان ، ثم حظرت ماوراء ذلك من خططة ضررها اكبر من نفعها حذرا من جريان الشيطان بينهما بما يدفعهما للتعجل في أمرهما بما يفسد عليهما حياتهما المستقبلية ، وتكون عاقبة أمرهما خسرا ، والهوى دائما يقظان والعقل كثيرا ما تلحقه الغفلة وتثيمه الشهوة ، فجعلت الشرعة الامر في ذلك وسطا بقدر ، فلم تحل بين معرفتهما ولم تلق لهما الحبل على الغارب ليخطر بينهما الشيطان خطراته المفسدة ، ثم ناطته بعقد موثق بحضرة شهوده المدول ، وفي ذلك من التنويه بأمره واحترام مقصده ما يبعده عن أن يكون العوبة وقتية يظلم بها حيناً ثم تنصرف النفس عنه نزقا وطيشا فيجنى ورده ولا يصبر على شوكه فلا يقوم عليه نظام التكوين وبناء الاسر ، وهو مقصد الشارع منه ، ثم شرعت فيه تقديم المهور من أقوى الطرفين لضعفهما ، وواجبت النفقة كذلك ليكون كل منهما لصاحبه سكنا يأوى اليه ويوطن له ولتكمّل المودة والرحمة بينهما على ما من الله به على عباده في قوله جل جلاله (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) فان عطف أقوى المتماشرين على أضعفهما بنفحه (أولا) ما يطيب له خاطره وتمهده (ثانيا) بإيائه كل ما يحتاجه وتطلبه نفسه ضمان قوى لاخلاص الطرف الضعيف في محبته وتقانيه في جلب السرور والسعادة لنفسه وما يوفر المنفعة في مميشته ، ثم كرر التوصية بان تكون المشرة بالمعروف والاحسان ولو على كره ما قال تعالى (فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْمَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) وذلك لكي تدوم هذه الرابطة فتؤتي ثمرها المقصود منها وهو بقاء عمار الكون على الوجه الأكمل ، وحاط هذه الرابطة العظيمة . بحياطة الحراسة الكاملة ، فتمهد ماعساه يحصل بين الطرفين من نزاع لا مفر منه بالاحكام التي تزيله من تأديب الرجل الذي هو اكمل عقلا وابعد نظرا وأوسع صدرا لامراته التي هي في الغالب فريسة الانفعالات النفسية والتهيجات المصيبة حتى تسكن حديثها وتخضع لما

فيه مصلحتها ، وجعل ذلك التأديب بحد معتدل لا يتجاوزه ورتبه بحسب ماتدعو اليه الحالة ، فبدأ بالوعظ ثم ثنى بالاعراض وهو مؤلم لما فاذا لم يجد ذلك أباح له أن يضرب ضربا لاتبريح فيه ولا غلو وقد قال الفقهاء يضربها بنحو اليد لابعصا وسوط حيث ظن الفائدة في ذلك والا فلا فاذا ماتقادى النزاع بينهما فقد شرع أن يدخل بينهما من أهلها من ينظر في شأنهما ويحكم بالعدل والحق بينهما ، وان عشرة بنيت على مصلحة متبادلة لا بد أن يشر أحد هذه الامور ثمة فيها ، فان تفاقم الشر واشتد الامر وتعدد الصبر واصبح اجتماعهما عقيا وتبدل نعيمهما ججيا فقد رفع الحرج عنهما في أن يفرقا بمعروف كما تعاشرنا بمعروف ، ولم ينس للضيف حقه الذي يموضه مافاه من عشرة كرس لها حياته وعلق عليها سعادته ففرض لها عليه النفقة الى أجل ، بل لم ينسهما التشريع من التدارك الذي تتطلع اليه نفوسهما بعد أن يسكن غضبهما ويمادوا الفكرة في سابق أمرهما ، فاباح لها العودة مرة وثانية فاذا جاءت الثالثة حظر عليهما أن يعودا حتى لاتتخذ تلك الرابطة المقدسة الموبة يزقائها كلما هاجاورتقائنها كلما أرادا فيختل نظامها ويزول احرامها اللهم اذا بدلت عشيرا آخر بزواج صحيح مقصوده العشرة الصحيحة ، فعرفت به شأن الرجال معرفة أوسع وانكسرت حدة زوجها الاول ونمرته الكاذبة ، ثم خلت من ذلك الذي تبدلته فقد اباح الشارع لها أن يعودا بمقد جديد ، فهل بعد هذا النظام المحكم والحطة المثلى طريق هو أقرب لسعادة الحياة واضمن لهناة المعيشة واكفل بتوثيق هذه الرابطة وصيانتها وحراستها والعمل على ادامتها من هذا الطريق الذى سنته الشريعة الاسلامية لاقدس رابطة انسانية هي أصل ماورامها من الروابط ؟

قارن بريك بين هذه النظم وبين ماتراه في اضدادها ثم احكم بوجودك غير متأثر بفكر غيرك هل ترى الامر سواء ؟ بل هل يستوى الظلمات والنور ؟ قد ترى اقواما يبيحون للخطيئين أن يتجاوزوا الحدود فيتعاشران ويتسامران ويخرجان للتنزه في الخلوات والجلوات بحجة أن كلا منهما يصح أن يتصرف طابع الآخر واخلاقه ، نقول لهم فليكن ثم ماذا ؟ هل يجب على كل أن يعصى في طريقه ولو عرف مالا يجب

ولا يوافقها فما الفائدة اذن ؟ ام هل له أن ينكص على عقبيه أو يعرض عنها بعد أن كانت بين يديه على طريق التجربة والاخبار ، وادن فما ظنك بالضرر اللاحق بها وما هو ذلك الشر المستطير بينهما والعداء المستحكم بين اسرتيهما ، ثم مامقدار هذه التجربة التي يفذيها الهوى ، ويستغلها الشباب ويسترها التصنع الطبى في هذه الحال : أيصح أن تكون مقياسا لمشرة تقاسى فيها هموم الحياة ويتجرع فيها غصص المعيشة وهل صحة تجربة الحطبة المبنية على اللهو واللعب حجة على صحة تجربة الحياة المبنية على التعب والتعب ؟ اللهم لانحصى ثناء عبيك تأمر بالرشد فيتركه الناس الى النى ، ثم لايقفون عند هذا يل يزيئون باطلهم الضار بهم على الحق النافع لهم .

وقد ترى أقواما يعيرون على الشريعة السمحة إباحة الطلاق المختص من الحرج بعد ماشرحناه من تلك الرابطة المقدسة وبعد ماورد في الحديث الشرف (ابغض الحلال الى الله الطلاق) يعيرون على الشريعة انقاد الاسرة من حرج مستحكم وعشرة جهنمية ويحتمون على عشرين دب الشقاء بينهما حتى فسدت قلوبهما أن يتعاشرا رغم أنوفهما على هذه الحالة التي قد يتلبان بها ولا يستطيعان التخلص منها وطبيعة الحياة قد تفضى الى ذلك حتما ، فهل في شيء من المصلحة العامة أو الخاصة أن يحكم عليها بتكد الدنيا الذي قال فيه ابو الطيب

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له مامن صداقته بد

حكما مؤيدا لانهاية له الا بنهاية الحياة دون أن يقترفا جرما أو يجنيا ذنبا عن سبق أصرار وانما هي ظروف أدت بهما الى هذا المركز الحرج ، اللهم ان الحق أباح ولكن بعض الناس لايبصرون .

يميب أناس على الشريعة الثراء سماحها بتعدد الزوجات الى حد محدود في أحوال مخصوصة ، ويزعمون أنهم بذلك رحاء بالمرأة ، وليت شعري لماذا أدركتهم الرحمة بامرأة تزوجت وشملتهم القسوة على أرملة في شبابها أو عانس خانها الحظ ولم تجد من يوافقها ؟ !! فهل الرحمة بالمرأة أن تقذف الخير كله على فرد وتترك البقية ؟؟

أم أن الرحمة بالمجموع أفضل من الرحمة بالفرد ؟ ! ويزعمون أن في التعدد افسادا
لرابطة بين الاخوة لما يجرى من التحاسد والتحاقد ، وتقول لهم ماجاء التحاسد
والتحاقد من أجل التعدد ، وانما يجيىء مايجيىء منه من اهمال مايطالبه الشارع الحكيم
في ذلك من العدل بينهما وعدم تفضيل احدهما عن الاخرى في الحقوق والواجبات ،
فابحثوا عن علة الداء فمرفوا حقيقة الدواء .

ولو انك نظرت الى أن تكوين الرجل يدعو الى أنه هو الذى يخوض غمار
الحروب ويشق عذاب المهالك ويقارع خطوب الزمان وينال أهوال المحدثان، فتارة
ينجو وتارة يعطب وهو بذلك عرضة للانتقاص في العدد ، والى انه هو القائم بأعباء
الزوجية المكلف بتفقاتها الحامل لكل المطالب بتنظيمها والقيام عليها بما يصلح أمرها
وكل ذلك متاعب ومتاعب تحول بينه وبين الاكثار منها الحاجة تدعو الى ذلك ، فيكلف
حينئذ بان يكون بين الزوجين عادلا ، ثم في نعهد الابناء بصحيح التربية ، وفي خضوع
المرأة لحكم ربها العادل المتضمن مصلحتها ومصلحة غيرها وعلمها أن الرجل لم
يستعمل الا حقه الممنوح له من ربه مايمنع تلك المضار الموهومة ، وان في ذلك الرحمة
كل الرحمة بجنس المرأة ، فاذا نقص بعض من الاولى فقد شاركتها واحدة من
بنات جنسها ممن ينشدون الرحمة لهم ، فزال عنها الحرمان الكلى .

اذا نظرت الى ذلك كله تبينت ما في هذه الاحكام من إجحام ، وما في هذا
النظام من اتقان وكلها عامدة الى حراسة تلك الرابطة المقدسة وصيانتها مما يمترض
طريقها من حوادث الحياة .

وان تعجب فموجب أمر أولئك الثرائين الذين يعميون تعدد الزوجات تعددا
مشروعا بينما هم يقرون ويستطيعون انتهاك حرمان الاعراض بلا حذر وذلك في
الزواج غير الشرعى الذى أصبح مستفيضا بلا نكر بينهم .

وقد تمهدت الشريعة للنراء سائر أفراد الاسرة بما يضمن لها الحفظ والمصلحة ،
فناطت بالآباء نفقة الابناء حتى يقتدروا على أن يعملوا أنفسهم ، واوجبت عليهم

تربيتهم بما يؤهلهم للرقى في دنياهم والسعادة في اخراهم ، واوجبت على الابناء القادرين البر بالانفاق على الآباء الفقراء الماجزين والبر بهم واحترامهم ، ونهتهم أن يهينوهم أو يسيثوا اليهم ، وكذلك حثت على القادر من باقى الاسرة أن يقوم بشأن العاجز حتى يكمل بينهم التساند والتساعد وحتى تتأسس الاسر على روابط متينة ، والاسرة من الامة بمنزلة اللبنة من البناء ولا يقوى بناء تكون لبناته رخوة مفككة ، ثم اوجبت للماجزين حقا على القادرين اما فى مجموع مال الامة أو على الاقرب فالاقرب أو على جماعة المسلمين وهكذا تأسست قاعدة (التاجى يأخذ بيد أخيه) ، كل أولئك ليكمل بنيان الاواصر بين الناس ليكون بعضهم لبعض ظهيرا أو يكونوا كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحى .

وأما الرابطة الثانية وهى الرابطة المدنية فقد تكفلت الشريعة الفراء بحفظها على أكمل الوجوه وأوفرها قسطا من العدالة والرحمة معا ، نظر الشارع الحكيم الى أنه لابد للانسان من أخيه الانسان وأن الانسان مدنى بطبعه لا يستطيع أن يعيش وحده لانه لا ينهض بأعباء حاجاته كلها لتنوعها وشعبها من مأكل وملبس ومسكن وتعلم وعلاج وترفيه وترقية وهلم جرا، بينما يستطيع الفرد منه أن يقوم باحد هذه الشؤون وحده اذا اتجه له ويستفيدا أكثر مما يحتاج اليه ويكون ذلك أسهل له وأهون عليه من أن يوزع نفسه بين جميع حاجاته كان لابد له من أن يتبادل المنافع بينه وبين بقى جنسه فيقوم كل فريق بتحصيل حاجة من حاجات المجموع تكفى نفسه وتعود على غيره حينما يقوم فريق آخر بحاجة أخرى على هذا الوجه فينفذى كل فريق صاحبه من جهة وينفذى منه من جهة أخرى ويجبى، هنا قول الشاعر

الناس للناس من بدو ومن حضر بعض لبعض وأن لم يشعروا خدم

وهذا التبادل فى المنافع الذى قضت به طبيعة الانسان وكيفية تكوينه لا يجوز أن يترك فوضى بلا نظام يضبطه ولا قانون يقيم المدل فيه والا وقع التواكل والتناهب فالفوضى فالفناء

ولقد جاءت الشريعة الإسلامية في هذا الباب بالمعجب العجيب مما يكفل سعادة الفرد والمجموع فشرعت أصل المعاملات التي لا بد منها من بيع و إجارة و ضمان و رهن وغير ذلك واشترطت لكل باب من ذلك ما يضمن سيره على وجه العدل والصواب والحق ، فصانت للضعيف حقه وفتحت للقوى أبواب المنفعة على وجه لا يرهق غيره ، فنفت الجهالة في المعاملات حتى تكون على طريق نير و نبت الفرر حتى لا تعقب الشحنة والبنفشاء وينقلب مآشرع للهانة الى موجب للشقاء ، واشترطت التراضي الصريح حتى تبقى النفوس هادئة مطمئنة متساعدة متساندة ، ومع ذلك جاء في أشياء تمس الحاجة اليها فاعتقر سير الفرر تجنباً لكثير الحرج ، فأباح السلم مثلاً ولا يخلو عن نوع جهالة وغرر تيسيراً للمعاملات بأوسع ما يمكن مع حفظ روح العدالة وكثيراً ما يفتقر الشيء اليسير اذا كان لا بد منه للخير الكثير ، وكذلك حظر على الناس ما يغلب شره خيره أو ما يستفيد منه القوى فائدة عظيمة بطريق ارهاق الضعيف واستنزاف دمه وجهوده وحياته وذلك مثل الربا فانك مهما نظرت الى دواع قد تقتضيه في ظروف خاصة فاعلم أن اباحته تفتح على الناس من أبواب الشر ما به يأكل قلوبهم ضعيفهم فلا يكاد المرء يقرض الا وهو عاجز عن وفاء حاجاته واذا عجز اليوم عن أصل ما يحتاج اليه فمن له غدا بالقيام به وبأرباحه وبحاجات الغد أليس الشأن أنه لا يسلخ فيه الا وهو مخدوع بالأمانى والأحلام التي ان صدقت مرة فانها تكذبه مائة مرة ، فلا يزال في تدهور وتأخر حتى يقلب على أمره فيفنى مادة وصورة ولعل في الإبقاء عليه رحمة بذلك المورس الذي ترتبط مصلحته بمصلحته فلا يكاد المنفرد باليسار بين قوم معدمين يستمتع بنعمته أو يجد باباً لتنميتها ، وقد قرر علماء الاقتصاد أن من الخطأ أن يعمل أرباب الأموال على تنمية أموالهم بوجه يقفل أبواب غيرهم ففي ذلك جناية على أنفسهم يفقد من يتبادل معهم الأعمال والأموال فوق الجناية على غيرهم ، ولا يكاد التاجر يضمن الثبات لتجاره الا بين موسرين يبادلونه ويقايضونه ، فمن صالح المورس أن يكون بين موسرين لا أن يجلس في وسط الموسرين ، ففي الربا المستنزف

(وكله مستنزف) جناية على المظلي نفسه فوق مافيه من جناية على غيره .

وقد يقول قائل ان من المشروعات مالا يستطيع واحد أن يقوم به وحده اما لقصور ماله أو لئتمه بالكفاية العملية مع فقد المال وقد يكون ذلك المشروع مفيدا ونافعا لصاحبه ولغيره فلو اشترطنا تمسكنا بالقرض بلا فائدة للمقرض فن يضمن لنا أنه يوجد بماله على من يستخدمه في عمل يعود عليه وحده بالفائدة ، واستنهاض المظف والرحمة لا يقوى على القيام بالمشروعات الخطيرة التي تعود على النوع الانساني بأكبر الفوائد فضلا عما تجره على ذوى الهمم العالية من الربح الوفير ، واذن لا بد من إباحة القرض بفائدة حتى يفتح أمام الهمم العليا باب النفع العام لنوع الانسان وحتى لا تتوقف الشؤون الحيوية الكبرى على حساب المحسين .

وجواب ذلك واضح جلي فقد صنفت الشريعة الفراء لهذا الباب أن يفتح على الطريق الصحيح ومنهج الصواب فباحث القرض ، المضاربة ، وهو أن يتعاون العمل والمال على القيام بالأعمال على وجه يفرض فيه المتعاقدان لكل من العمل والمال حصة من الربح والخسارة ، ولهما الحرية التامة في التقسيم ، فلو جعلنا للمال ١ / . واحدا في المائة وللعمل ٩٩ / . تسعة وتسعين في المائة فلا حرج ولو عكسا فلا عليهما ولو سويا فلهما فيزيدان وينقصان حسبما يبدو لهما ، واذن يكون التعاون بين العمل ورأس المال تعاون الشريكين الكافلين لكل حصته من النعم وعليه نصيبه من الغرم ان قليلا وان كثيرا لا تظلمون ولا تُظلمون ، فقل بربك أى الطريقين أهدي سيلا ؟ أهذا النهج الواضح المعتدل الذى جعل الركنين القائم عليهما المشروع وهما العمل والمال متساويين متعادلين في النجاح والفشل أم ذلك الطريق المتوى الذى ضمن لواحد شيئا مينا قد يكون حظه أكبر منه أو أصغر في نظر العدل وترك الثانى يعاني ما يعاني ؟

تألفه ماضرنا الا استقاء أحكامنا من تفكير غيرنا وولوعنا بالجديد وشغفنا بالتقليد فنسينا جواهرنا الكريمة وقتنا بنخرز براق وزجاج لامع وذلك من قصر النظر وفقد احترام الذات والقومية ، قل ان الهدى هدى الله .

ربى ان الهدى هداك وآيا تك تهدى بها من تشاء
ولكلام بقية تجلى بها نور الاسلام فيما شرع من الأحكام والله المستعان .

ابراهيم الجبالي
مدرس بجم النعشم بالارهر

الطرف والملح

وقال ابن مقلة :

واذا رأيتُ فتى بأعلى قِمةٍ فى شامخ من عِزة المترفع
قالت لى النفسُ العُروفُ بفضلها ما كان أولانى بهذا الموضع !
قال بعض الحكماء : من تمام ما يجب للأبناء على الآباء . تعليمهم الكتابة والحساب
والسباحة .

وقال الحجاج بن يوسف لمعلم ولده : علّم وَلَدِي السَّباحةَ قبل تعليم الكتابة .
فإنهم ^(١) يجدون من يكتبُ عنهم . ولا يجدون من يسبحُ عنهم .
قال سُفيانُ الثوريُّ . لأن أُرْمِيَ عدوى بسهمى خيرُ له من أن أُرْمِيَ بلسانى لأن
رَمَى السَّابرَ لا يُخطئُ . ورَمَى السَّهمَ . يصيب ويخطئ .
وقال الشاعر :

ورُبَّ كلامٍ قد جرى من مُمازِح فساق اليه سهمَ حَتَف مُمَجِّل
وقال ابن مسعود : لسانك سيف قاطع يبدأ بك . وكلامك سهم نافذ يرجع عليك .
فاتنصيرُ فى المقال . وإياك وما يؤغرُ صدورَ الرجال .

خطب أمير بالبصرة فقال اتقوا الله فإنه من يتقى الله فلا هَوارَةَ عليه . فلم يدروا ما
قال الأمير . فسألوا أبا سعيد يحيى بن يَمَرَ العدناني فقال . الهَوارَةُ الضياعُ كأنه قال :
من اتقى الله فلا ضياعُ عليه وَحَدَّثَ الاصمعيُّ بهذا الحديث فقال : ان الغريب لو اسع
لم أسمع بهذا قط .

الفتاوى والأحكام

حكم شرب الدخان في مجالس القرآن

جاءنا من حضرة صاحب التوقيع السؤال الآتي :

..... نرجو أن تفتونا في حكم شرب الدخان في مجالس القرآن على صفحات نور الاسلام. ولكم منا الشكر ومن الله جزيل الثواب .

محمد عبد الرحمن

مسلم من بلنهور

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله واصحابه أما بعد فقد سأل عن حكم الدخان في مجالس القرآن ، ولذكّر قبل ذلك حكم الدخان في نفسه ثم تبعه بما سألت عنه فتقول : إن الدخان من الأشياء المستحدثة التي لم تكن معروفة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عهد السلف الصالح والمتقدمين من الأئمة المجتهدين واتباعهم ، وإنما ظهر في آخر القرن العاشر الهجري كما نص عليه اللقاني في رساله وضعها فيه ، لهذا لم يكن لتناوله حكم منصوص في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو الشأن في كثير من الوفائع المعروفة في عهد الوحي والنزول ، ولم يستنبط الأئمة المجتهدون ولا المتقدمون من أصحابهم حكمه من الكتاب والسنة كما هو شأنهم في تعرف أحكام الجزئيات التي عرضت بما لم ينص عليه لعدم وجوده اذ ذاك .

وقد وقع للمتأخرين خلاف في حكم تناوله، فمنهم من قال بحله، ومنهم من قال بحرمته والحق في ذلك أنه لا ينبغي إطلاق القول بالحل والحرمه فان الحكم باحد الامرين

على الاطلاق لا يخلو عن افراط أو تفريط ، فاذن يجب النظر لحال شاربہ وما يترتب على شربه ، فن كان يضره شرب الدخان ويؤثر في صحته حرم عليه شربه للاجماع على تحريم كل ما يؤذي البدن ، فان حفظ البدن من الكليات التي أجمعت الشرائع كلها على وجوبه ، ومن لا يضره شربه ولكن يحتاج لثمنه في ضرورياته الميشيه سواء أكان ذلك لنفسه أم لمن يجب عليه نفقته كزوجته وذوى قرابته حرم عليه شربه أيضا ، وار لم يكن هناك ضرر بدني أو مالى فلا وجه للحرمة ويمكن الرجوع في نعرف الضرر البدني الى الاطباء ، واما الضرر المالى فأمر يعرفه الانسان من نفسه .

ومن الناس من يزعم أن شرب الدخان حرام على الاطلاق مستندا في ذلك الى كونه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، وهو في ذلك غلط ، فان البدعة المعى عنها شرعا هي الامر المحدث الذى لم يشهد بجوازه أصل من كتاب أو سنه أو اجماع أو قياس الى آخر ماقرره العلماء ، وكيف يسوغ القول بان كل محدث محرم وكثير من الملابس والازياء وغيرها لم يكن معروفا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الصحابة والتابعين ، ولا يصح الحكم عليه بالتحريم لمجرد كونه محدثا .

هذا حكم الدخان في ذاته .

أما شربه في مجالس القرآن فهو حرام ، فان المطلوب شرعا من حاضرى مجلس القرآن الاصفاء اليه والتدبر لمعانيه قال تعالى (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) وقال (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) ومعلوم أن زيادة الايمان بسماع ما يتلى من القرآن انما يكون بالاصفاء اليه والتدبر لمعانيه ولا يتم هذا مع التلهى بشرب الدخان على انك تعرف ما في شربه من الاخلال بالتوقير والاجلال وهو لا يشرب في حضرة الأمراء والعظماء لاجلالهم فكتاب الله أحق بالاجلال والتوقير ، مع ما في شربه من الايذاء لغير من يشربه من الحاضرين فإن له رائحة كريهة يتضرر بها من لم يتعود شربه نظير ماقلوه في حرمة حضور المجمع والمجالس لمن

أكل ثوماً أو بصلاً ولم يجد ما يزيل به رائحته حتى أباحوا له التخلف عن الجمعة نظراً لما يترتب على ذلك من تأذى الناس وضررهم فضلاً عن تأذى الملائكة الذين يحضرون مجالس الخير التي من أفضلها مجالس القرآن .

والخلاصة أن شرب الدخان في مجلس القرآن محرم للإيذاء ومتاف للأدب المطلوب من الحاضرين والتدبير لسامع الذكر الحكيم .

وأما شربه في غير ذلك فقد يكون محرماً وقد لا يكون إلا أنه لا يصل إلى الإباحة الصرفة على ما يقول بعضهم ، فتركه حينئذ من الورع وقد قال صلى الله عليه وسلم « دمع ما يريك إلى ما لا يريك . »

يوسف الدهموي

من هيئة كبار العلماء

البابية أو البهائية

وحاءنا من حضرة صاحب التوقيع السؤال الآتي :

ما البهائية ؟ وما اعتقاد مؤسسها وأتباعهم ؟ وهل يعتقدون في الحشر والجنة والنار ؟ وهل يعتقد البهائيون بنبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ؟ وإذا كانوا يمتدحون نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فكيف يعتقدون بنبى بعده ودين غير دينه ؟ وما الواجب عمله لأجباط مساعبيهم حتى لا يقع أحد في شراكهم ؟

مصطفى محمد عبد الفتاح

بور سعيد

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله « أما بعد » فقد احتوى هذا الخطاب مسائل متعددة ، ونحن نورد كل سؤال ونقضى على أثره « الجواب عنه مستدين فيما نكتب إلى المؤلفات ^(١) للبهائيين أنفسهم ، وكتب ^(٢) ألفها بعض من اطلع على كتبهم المؤلفة باللغة

(١) كتب كتاب الدرر البهية وكتاب عبد البهاء والعصر الجديد .

(٢) كتب كتاب مفتاح باب الابواب

الفارسية والعربية بقصد بيان أمرهم نصيحة للأسلام والمسلمين .

س ما البهائية ؟

ج البهائية نسبة الى بهاء الله لقب يدعى به ميرزا حسين علي وهو الزعيم الثاني للمذهب الذي تتولاه الطائفة المسماة بالبهائية ، وتسمى هذه الطائفة البابية نسبة الى « الباب » وهو لقب ميرزا علي محمد ذلك الذي ابتدع هذه الحجة واليك ملخص القول في نشأتها .

أصل نشأة هذه الحجة أن ميرزا علي محمد الملقب بالباب نشأ في شيراز بجنوب ايران وأخذ شيئاً من مبادئ العلوم ثم اشتغل بالتجارة ، ولما بلغ من العمر الخامسة والعشرين ادعى أنه المهدي المنتظر . وكان إعلان هذه الدعوة سنة ١٢٦٠ هـ ، ذوق هذه الدعوة فأحدها بالتسليم طائفة من الخاهلين ، وأرسل بعض هؤلاء الى نواح مختلفة من ايران للاعلام بظهوره وبث شيء من مزاعمه ، وتبى العلماء لهذه الدعاية فقاموا في وجهها ، وعقد بعض الولاة بينهم وبين ميرزا علي هذا المجالس المناظرة فرأى بعضهم ما في أقواله من غواية وخروج عن الدين فأفتى بكفره ، ورأى آخرون ما فيها من لغو وسخافة فنسبوه الى الحنور واختلال الفكر

واعتقل في شيراز ثم باصفهان ، وسافته الحكومة الايرانية في عهد الملك ناصر الدين شاه لي تبرير واثرت بين أشياعه وبين المسلمين قتل وحروب سفكت فيها الدماء ، وكانت عاقبته أن أعدته الحكومة في تبريز عام ١٢٦٥ هـ

وقعت بعد قتله فترة كان أتباعه فيها على خلاف في شأن من ييؤب عنه الى أن دبوا اغتيال الملك ناصر الدين انتقاماً لزعيمهم ، فهاجم عليه اثنان منهم فخاب سعيهم وأخذت الحكومة تتقصى أثر البابين وتسوق رعماءهم الى مجلس التحقيق . وكان الميرزا حسين علي الذي لقبوه بمدد (بهاء الله) من شيعة الباب ودعاة لحجته ، فقص عليه وسجن بظهران بضعة أشهر ثم أبعده الى بغداد سنة ١٢٦٦ هـ .

لما أدركت الحكومة الايرانية خطر هذه الفئة وما يبيتونه من قتل جعلت ترقبهم بحذر واحترس ، فالتحق طوائف منهم ببغداد ، واجتمعوا حول ميرزا حسين الملقب

بهاء الله ، ثم حدث بينهم وبين لشعبة ينداد شقاق كاد يفضى الى قتال ، فقررت الحكومة العثمانية وقتئذ انعاد البايين من العراق فقتلهم الى الاستانة وفتحهم الى ادرنة . قام المسمى (بهاء الله) لهذا المهد يدعو الى نفسه ويزعم أنه هو الموعود به الذي أخبر عنه الباب ^(١) ، وقبل دعوته أكثر البايين وتسموا حينئذ بالبهايين ، ومن رفض دعوته أخوه ميرزا يحيى الملقب (صبح ازل)

ثم ان الحكومة العثمانية أمرت بإبعاد المارقين من ادرنة ففت الميرزا يحيى واتباعه ^(٢) الى قبرص ، وفت الهاء واتباعه الى « عكة » بفلسطين ، وبقى البهاء بعكة الى أن هلك عام ١٣٠٩ هـ فتولى رئاسة الطائفة ابنه عباس الذي لقبوه بـ (عبد البهاء) فأخذ يدعو الى هذا المذهب ويتصرف فيه كما يشاء ، ولم يرض عن صنيعة هذا أصحاب البهاء فاشقوا عه والتفوا حول أخيه الميرزا على وألفوا كتبا بالفارسية والعربية وطبعوها في الهند يطعنون بها في سيرة عباس ويصفونه بالمروق من دين البهاء .

س - ما اعتقاد مؤسسيها واتباعهم ؟

ج - ليست البهائية بالحلة المحدثه التي لم يتقدم لها في النحل المارقة من الاسلام ما يشابهها أو تتخذها أصلا تبنى عليه مزاعمها ، وأما هي وليدة من ولائد الباطنية ، تفذت من ديانات وآراء فلسفية وزعات سياسية ، ثم اخترعت لنفسها صورا من الباطل وخرجت تزعم انها وحى سماوى ، ولولا أن في الناس طوائف يتلقون بدليل كل ناعق ما وجدت داعيا ولا محيا لندائها ، وما نحن أولاء نسوق اليك كلمة في مذهب الباطنية ونحدثك عن الباطنية أو البهائية حتى نعلم أنها سلالة من ذلك المذهب الاثيم

تقوم دعوة الباطنية على ابطال الشريعة الاسلامية ، وأصل نشأة هذه الدعوة « ان طائفة ^(٣) من المجوس راموا عند شوكة الاسلام تأويل الشرائع على وجوه تمود الى

(١) يزعم البهائية أن الباب كان يشير الى شخص يظهر بعده وكانوا يسمون عه بلطف (من يظهره الله)

(٢) يدعى هؤلاء الباطنية (الارثية) اد يرمون أن يحيى هذا هو مهدى ما أشار اليه الباب في كتاب « البيان »

٧ سم - من يظهره الله - وهؤلاء يكفرون بالبهاء ويتأولونه وانعه بالنس في السر والعلانية ، ويحيى هذا كتاب أراد أن يحاكي به القرآن الكريم في ترتيب الآيات والصور ، وحاول أن يمدى به أسلوبه الحكيم فأتضح أمره وظهر سببه (والله لا يهدي كيد الخائنين)

(٣) كتاب اللواتف ومرجه للسيد الجرجاني

قواعد أسلافهم . وذلك انهم اجتمعوا فتذاكروا ما كان عليه أسلافهم من الملك ، وقالوا :
لا سبيل لنا الى دفع المسلمين بالسيف لقلبهم واستيلائهم على الممالك ، لكننا نحتاج بتأويل
شرائعهم الى ما يعود الى قواعدنا ويستدرج به الضعفاء منهم فان ذلك يوجب اختلافهم
واضطراب كلهم .

وقد رسموا لهذا المذهب خطة دبروها نوع من المكر ، وهو انهم حملوا الدعوة مراتب .
(١) قرس حال المدعو أقابل هو للدعوة أم لا؟؟ (٢) استهوا كل احد بما يميل اليه من
رهد او خلاعة (٣) التشكيك في اصول الدين (٤) اخذ الميثاق على الشخص بان لا يشي
لهم سرا (٥) دعوى موافقة اكابر رجال الدين والدنيا لهم ليزداد الاقبال على مذهبهم
(٦) تمهيد مقدمات يراعون فيها حال المدعو لتقع لديه موقع القبول (٧) الطمأنينة الى
اسقاط الاعمال البدنية (٨) سلخ المدعو من العقائد الاسلامية ثم يأخذون بعدهم الى
تأويل الشريعة على ما تشاء اهوؤم .

اتخذ هذه الخطة وسيلة الى محاربة الدين الاسلامي طوائف كانوا يتظاهرون بانهم
من شيعة آل البيت ، وهم لا يؤمنون بنبي من الانبياء ولا بشيء من الكتب المنزلة ،
ولا بيوم الجزاء ، ولا ان للمالم خالقا ، وتراهم يستدلون بالقرآن والحديث ، ولكن يحرفونهما
عما اراد الله ورسوله منهما .

ومن الباطنية المتظاهرين بالتشيع لآل البيت من ادعى النبوة لبعض آل البيت
كفرقة الاسماعيلية قالوا بنبوة محمد بن اسماعيل بن جعفر ، بل زعمت هذه الفرقة انه
لا يخلو زمان من نبوة نبي الى يوم القيامة ولم يقفوا عند دعوى النبوة بل تحاوروها الى
القول بالالهية جماعة من آل البيت وغيرهم فقالوا بالالهية على عليه السلام والهيبة كثير من
اولاده واحفاده .

وكم احدث هؤلاء الدين يدعون المهدي او النبوة او الالهية من قنن وكم جروا على
العالم الاسلامي من بلاء ، وكان اهل العلم يقاومون باطلهم ، ويبتكون استارهم ، ومن
تصدى للرد عليهم ابو حامد الغزالي فآلف كتابه المسمى « حجة الحق »^(١) وكتابه المسمى

« فضائح الباطنية »^(١) وذكر في مقدمة هذا الكتاب انه طالع الكتب المصنفة فيهم فوجدها مشحونة بفنن : فن في تواريخ اخبارهم واحوالهم من بدأ امرهم الى ظهور ضلالهم وتسمية كل واحد من دعائهم في كل قطر من الاقطار وبيان قائلهم فيما انقرض من الاعصار، وفن في ابطال تفاصيل مذاهبهم وعقائد تلقوها من الثبوة والفلاسفة وحرفوها عن أوصعها وغيروا الفاظها قصدا للتغطية والتليس ، ثم بين أنه قصد في كتابه الى الاعراب عن خصائص مذهبهم ، والتنبية على مدارج حيلهم ، والكشف عن بطلان شبههم.

ولابى بكر بن العربي مع بعض زعمائهم مناظرات ذكرها في كتاب « القواصم والمواصم » وتناول الشيخ ابن تيمية مذهب الباطنية ورد على بعض فرقهم في بعض مؤلفاته. عرفنا تاريخ الباطنية وقرأنا بعض كتب الباية والبهائية فوجدنا روح الباطنية حلت في جسم ميرزا عبي وميرزا حسين على ، فخرجت باسم الباية والبهائية .

الباطنية يستدلون بكلام النبوة ومحر فون كلم القرآن والحديث عن مواضع كما فسروا حج البيت العتيق بزيارة شيوخهم، والباية أو البهائية يستدلون بالقرآن والحديث ويذهبون في تأويلهما الى مثل هذا الهذيان نفسه، ولميرزا على المسمى د (الباب) تفسير لسورة يوسف مشى فيه على هذا النمط فقال في قوله تعالى (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَيِّهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ حَدَّ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) المراد من يوسف حسين بن عبي والمراد بالشمس فاطمة ، والقمر محمد ، وبالنجوم اثثة الحق فهم الذين سيكون على يوسف سجدا .

وهذا أحد دعائهم المسمى ابا الفضل الجرهاد قاني قد اورد في كتابه المسمى « الدرر البهية » قوله تعالى (اِنَّ كَذَّبُوا بِآلِهِمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ وَهُمْ لَا يُخِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ دُونِ اللَّهِ) وقوله تعالى (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) وقال « ليس المراد من تأويل آيات القرآن معانيها الظاهرية ومعانيها اللغوية ، بل المراد المعاني الخفية التي اطلق عليها اللفاظ على سبيل الاستمارة والتشبيه

(١) ألفه هاشم الميرزا وطبع في لندن وفي ادارة هذه المجلة نسخة منه

والسكاية « ثم قال بعد هذا « قرأ الله تبارك وتعالى تلك الآيات على ألسنة الأنبياء ، وبيان معانيها وكشف الستار عن مقاصدها الى روح الله حينما ينزل من السماء » وقال « انما بعثوا عليهم السلام لسوق الخلق الى النقطة المقصودة ، واكتفوا منهم بالايمان الاجمالى حتى يبلغ الكتاب اجله وينتهى سير الافتدة الى رتبة البلوغ فيظهر روح الله الموعود ويكشف لهم الحقائق المكنونة في اليوم المشهود » وقال « وفي نفس الكتب السماوية تصريحات بان تأويل آياتها الى معانيها الاصلية المقصودة لا تظهر الا في اليوم الآخر ، يعنى يوم القيامة وعيسى مظهر أمر الله ، واشراق أفق الارض بيباء وجه الله » ثم قال « ولذلك جاءت تفاسير العلماء من لدن نزول التوراة الى نزول البيان ^(١) نافية باردة عقيمة جامدة ، بل مضلة مبعدة بحرفة مفسدة »

كنا نود أن نصرف القلم عن ثقل مثل هذا السخف ونصون صحف المجلة عن أن تحمل لقرائها شيئا من الزيف والاحاد في آيات الله والاعتداء على علماء الاسلام الذين رفعوا منار الحق واذقوا بحججهم اعداء الانسانية عذابا أليما ، ولكن دعاة هذا المذهب قد استهوا فريقا من أبناء المسلمين ، واصبحوا يدعون الى مذهبهم في النوادي ، ويتحدثون عنه في الصحف ، والعوا كتباً تقع في أيدي بعض الشباب فذلك ما اضطرنا الى أن نبسط القول في بيان نحلتههم وسرد افوالهم حتى يكون المسمون على بينة من أمرهم .

لهج الباية البهائية مقتفين أثر اخوانهم الباطنية بهذا النوع من التأويل ليدخلوا منه الى العتب في تفسير القرآن والحديث وصرحوا عن ما يراد بهما من حكمة وهداية (إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

انزل الله تعالى القرآن بلسان عربي مبين ، ودلنا على ان الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم يقوم ببيان ما خفي على الناس عنه فقال تعالى (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) وما زال السلف من الصحابة والراشدين في العلم من بعدهم يفسرون القرآن بما يروونه عن الرسول عليه الصلاة والسلام وبما يفهمونه منه على مقتضى

(١) هو الكتاب الذي وضعه ميرزا علي محمد للقلب بالباب

استعمال لغتهم وأساليب بلاغتهم لجأوا لعم كثير وأدب غزير ، وتركوها حكما رائعة وشريعة صحيحة ماهرة وقوانين اجتماع طاهرة ، حتى قام جماعة من أوشاب الناس يزعمون ان هذا القرآن الذى أنزله الله بلسان العرب لم يוכל يئانه الى من كان يقرؤه على الناس بكثرة وعشياً ولم يفهم المراد منه اولئك الذين يتعبدون به فى الاسحار سجدا لله وبكيا ، وانما وكل يئانه الى أمثال ميرزا على محمد وميرزا حسين وعباس وابى الفضل الجرفادقاني ليخوضوا فيه بلفظ من القول ويمشوا فى تأويله مفسدين .

قال ابو بكر بن العربى فى كتاب (القوصم والعواصم) يرد على اخوانهم الباطنية قولهم : ان خليفة الله هو الذى يبلغ عنه ، « الخليفة هو النبى الذى بين ثم استأثر الله به ولا معصوم بعده » .

وفى كتاب « فضايح الباطنية » بسطة فى رد ما يدعونه من ظهور الامام المعصوم وحصر مدارك الحق فى أقواله ، وقد عرفت ان الامام المعصوم الذى يدعيه الباطنية هو ما يسميه البائية والبهائية بـ (من يظهره الله) يزعمون انه هو الذى يعرف تأويل ما جاء به الرسل عليهم السلام ، ويصرح هذا الايراني فى كتابه هذا بان قصص القرآن غير واقعة وقال (لا يمكن للتورخ ان يستمد فى معارفه التاريخية من آيات القرآن) وقال (ان الانبياء عليهم السلام تساهلوا مع الامم فى معارفهم التاريخية واقاصيصهم القومية ومبادئهم العلمية فتكلموا بما عندهم ، وستروا الحقائق تحت ستار الاشارات ، وسدلوا عليها ستائر بليغ الاستعارات) .

دعوى ان فى القرآن قصصا غيرو قمة زعم انها رمز الى معان خفية ، ليس لها من داع سوى ما يضره اصحابها من الكيد للقرآن الكريم وادخال الريب فى أنه تنزيل من لدن حكيم عليم

لم يبق حتى الآن دليل تاريخى او نظرى يطمئن فى صحة قصة سابقا القرآن الحكيم ، ونحن نستند فى صحتها الى الآيات الدالة على ان المبعوث به لا ينطق عن الهوى ، فالمؤرخ المسلم ومعلم التاريخ لابناء المسلمين يستمد فى معارفه التاريخية من آيات الذكر الحكيم ،

وهي عندنا صدق قیلا وأقوى سنداً مما يقصه المؤرخ من حوادث تقع في عصره أو قريب منه ، وهذه الثقة بالطبيعة لا تحصل لمن ينكر أو يرتاب في أن القرآن حجة الله على العالمين ، فلا نطالب المجوس أو البهائي بأن يدخلوا في مؤلفاتهم التاريخية ما جاء في القرآن من أنباء الأولين وهم لم يطمئنا إلى أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول صادق أمين .

يزعم هذا الإيراني أن الرسول ينطق ببعض المبادئ العلمية بجملة لقومه وهي في الواقع غير صحيحة ، وهذه جهالة غبي وجراءة غوي ، والرسول عليه الصلاة والسلام وإن لم يبعث لتقرير المسائل العلمية التي تتركها عقول البشر بسهولة وبعد جهد كالطبيعيات والرياضيات لا يتحدث عن شيء منها حديث من يصدق بها إلا أن تكون صواباً ، ودعوى أن لها رموزاً إنما اخترعها الإيراني وأمثلة ليستروا بها وجه جحودهم ، والبرقع الشفاف لا يحجب ما وراءه .

ولم يكن تأويل البهائية وأسلافهم الباطنية لنصوص الشريعة على هذا الوجه الناقص لاصولها بشيء ، ابتدعوه من أنفسهم ابتداعاً ، وإنما هو صنع عملوا فيه على شكلة طائفة من فلاسفة اليهود من قبل ، فإنا نقرأ في ترجمة « فيلون » الفيلسوف اليهودي المولود ما بين عشرين وثلاثين قبل ميلاد المسيح أنه ألف كتاباً في تأويل التوراة ذهب إلى أن كثيراً مما فيها رموز إلى أشياء غير ظاهرة ، ويقول الكتاتيون في تاريخ الفلسفة أن هذا التأويل الرمزي كان موجوداً معروفاً عند أدياء اليهود بالاسكندرية قبل زمن (فيلون) ويذكرون أمثلة تأويلهم أنهم فسروا آدم بالعقل ، والجنة برياسة النفس ، وإبراهيم بالفضيلة الناتجة من العلم ، وإسحاق عندهم هو الفضيلة الفرزية ، ويعتقوب الفضيلة الحاصلة من التمرين ، إلى أمثال هذا من التأويل الذي لا يحوم عليه إلا الخادون المراءون ، ولا يقبله منهم الا قوم من عن مواقع الحكمة ودلائل الحق غافلون ، وأبو الفضل هذا من ابتداء البهائية في الهديان شأواً ، واشدهم لمساء الاسلام صفيه وإذا أخذ في شتمهم لا يشفي غليله إلا أن يصب كل الجمل التي يعرفها في المعنى الذي راد شتمهم به ، انظروا إلى قوله في صفحة ١٤٧ من ذلك الكتاب المسمى بالدرر

البهية (قتلوا في غيهم ، وأصروا على باطلهم ، وتاهوا في صلاتهم ومردوا في جهالاتهم وعموا في سكرتهم وانهمكوا في غوايتهم) فالرجل حفظ جملا التقطها من بعض الصحف السائرة او من الكتب الغابرة وصار يلقيها فيما يكتب من غيروزن ، حاسبا ان هذا الصنيع من تزويق القول ينقل الناس من الجد الى الهزل ومن الحق الى الضلال

في الباطنية من يدعى انه نبي او يستقذ في آخراته نبي يوحى اليه ، ويميز على الملقب (بالباب) يدعى انه رسول من الله ووصع كتابا ادعى انما فيه شريعة منزلة وسماه (البيان) وقال في رسالة بعث بها الى الشيخ محمود الالوسي صاحب التفسير المشهور المسمى (روح المعاني) يدعوه فيها الى مذهبه (انني اتابع الله قد بعثني الله بالهدى من عنده) وسمى في هذه الرسالة مذهبه دين الله فقال (ومن لم يدخل في دين الله مثله كمثل الذين لم يدخلوا في الاسلام)

وكذلك يدعى زعيمهم المسمى (بهاء الله) في كتاب بهاء الله والمصر الجديد (وقرر بهاء الله ان رسالته هي لتأسيس السلام على الارض) . وقال صاحب هذا الكتاب يتحدث عن الباب والبهاء (من المستحيل ايجاد اى تغيير لعظمهما الا بالاعتراف بانهما انما صلا بوحى من الله)

يدعى الباب الرسالة ويزعم أن شريعته ناسخة للشريعة الاسلامية فابتدع لاتباعه احكاما خالف بها احكام الاسلام وقواعده ، فجعل الصوم تسعة عشر يوما من شروق الشمس الى غروبها ، وعين لهذه الايام وقت الاعتدال الربيعي بحيث يكون عيد الفطر عندهم هو يوم التيروز على الدوام ، وفي كتابه البيان (ايام معدودات وقد جعلنا التيروز عيدا لكم بعد اكمالها) وجعل ميرزا حسين الملقب بهاء الله الصلاة تسع ركعات في اليوم واليلة ، وكان عبد الله ابن الخراب الكندى الذى اعتقد الاهيته كثير من أشباه الناس قد جعلها تسع عشرة صلاة في اليوم واليلة وقبلة البهائيين في صلاتهم التوجه اين يكون ميرزا حسين المسمى بهاء الله فانه يقول لهم « اذا أردتم الصلاة فولوا وجوهكم شطرى الاقدس » وقال ابنه عباس

ويزمنا التوجه الى مركز معلوم وهو مظهر الله، ومظهر الله في زعمهم هو هذا المسمى بهاء الله .

أما الحج فقد أبطله البهاء وأوصى بهدم بيت الله الحرام عند ظهور رجل مقتدر من أشياعه .

ومن الباطنية من منع العوام من مدارس العلوم والخواص من النظر في الكتب المتقدمة حتى يبقوا في عمية وهو الحسن ابن محمد الصباح ونجد ميرزا علي المسمى اباب فد حرم في كتابه «البيان» التعلم وقراءة كتب غير كتبه ، فكان كل من يؤمن بالباب يحرق القرآن الكريم وما وقع في يده من كتب العلم ، ولكن الميرزا حسين المسمى بهاء الله ادرك ما في هذا التحجير من خطأ مكشوف وانه بما يصرف عنهم ذوى العقول النابهة فأتى في كتابه الذى سماه «الافدس» بما ينسخه فقال «قد عفا الله عنكم ما نزل في البيان من نحو الكتب واذا ناكم بان تقرأوا من العلوم ما ينفعكم»

وفي اباطنية من يدعى حلول الآله في بعض الاشخاص كما قال القرامطة بالاهية محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وهذه الدعوى أعنى دعوى الحلول تظهر في بعض مقالات البهائية

قال عباس الملقب بـ (عبد البهاء) : « وقد اخبرنا بهاء الله بان محمىء رب الجنود والاب الازلى ومخلص العالم الذى لا بد منه في آخر الزمان كما انذر جميع الانبياء عبادة عن تجليه في الهيكل البشرى كما تجلى في هيكل عيسى الناصرى الا أن تجليه في هذه المرة أتم وأكمل وأبهى ، فعيسى وعيره من الانبياء هياؤا الافئدة والقلوب لاستعداد هذا التجلى الاعظم . »

يريد بهذا ان الله تجلى فيه باعظم من تجليه في أجسام الانبياء على ما يزعم ، وقال مهذارهم أبو الفضل الايرانى «فكل ما توصف به ذات الله ويضاف ويستند الى الله من المزة والمظمة والقنطرة والعلم والحكمة والارادة والمشيئة وغيرها من الاوصاف والنعوت انما يرجع بالحقيقة الى مظاهر أمره ومطالع نوره ومهابط وحيه ومواقع ظهوره»
ويظهر هذا من اللوح الذى كتبه المسمى (بهاء الله) في التنويه بشأن ابنه

عباس فانه قال « ان لسان القدم ^(١) يبشر أهل العالم بظهور الاسم الأعظم ^(٢) الذي أخذ عهده بين الاسم أنه نفسى ومطلع دأى ومشرق أمرى من توجه اليه فقد توجه الى وجهى واستضاء من أنوار جمالى واعترف بوحدانيتى واقر بفردانيتى . . . الخ ، وقلد البهائية الفلاسفة فيما يدعونه من قدم العالم ، فى كتاب بهاء الله والمصير الجديد . علم بهاء الله أن الكون بلا مبدأ زمنى فهو صادر أبدي من العلة الاولى ، وكان الخلق دائما مع خالقه وهو دائما معهم ، وقد نصدى أهل العلم الراسخ لتزييف ماتسق به هؤلاء فى الاستدلال على هذا الرأى ، وحققوا ان المعلول لا بد أن يتأخر عن العلة فى الوجود ، اذ معنى العلة ما افاض على الشئ الوجود ، والمعلول ما قبل منه هذا الوجود ، ولا معنى لافاضة الوجود على الممكن الاخر اذ اجه الى الوجود بعد كان فى عدم ، وذلك معنى الحدوث . »

ومن عجيب أمر هذه الطائفة انهم يدعون النبوة والرسالة وما فوق الرسالة وينكرون المعجزات بدعوى انها غير معقولة ، تجدون هذا الانكار فى كتاب داعيتهم المسى ابا الفضل فقد ذكر انفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر لموسى عليه السلام ، وبراء عيسى عليه السلام للاكمة والابرص وحيائه الموقى باذن الله ، ونبع الماء من بين أصابع محمد صلى الله عليه وسلم وقال : وكثير من أهل الفضل وفرسان مضمار العلم اعتقدوا بان جميع ماورد فى الكتب والاخبار من هذا القيل وكلامها استعارات عن الامور المعقولة والحقائق الممكنة مما يحوزه العقل المستقيم ، ثم أخذ يؤول ماورد فى تلك المعجزات من قرآن وحديث ويحمله على معان لا يقبلها منه الا من فقد عقله قبل أن يفقد ايمانه ، وانكارهم للمعجزات ينبشكم أن القوم يمشون مكبين على وجوههم وراء الفلسفة التى لا تؤمن بان لهذا العالم خالقا فعلا لما يريد .

وملخص القول فى البابية والبهائية أنه مذهب مصنوع من ديانات ونحل وأراء فلسفية ، قال صاحب كتاب مفتاح باب الابواب بصف البابيين ملهم دين خاص

مزيج من أحلاط الديانات البوذية^(١) ، والرهمية الوثنية^(٢) ، والزرادشتية^(٣) ،
واليهودية والمسيحية والاسلامية ، ومن اعتقادات الصوفية والباطنية .

وما زالت البهائية مذهباً قائماً على اطلال الباطنية يحمل في سريره القصد الى
هدم الاسلام بمول التأويل ودعوى الرسالة والوحى بشريعة ناسخة لاحكامه ، حتى
جاء عباس عبد البهاء الى هذا المذهب المصنوع واراد أن يكسوه ثوباً جديداً فخلطه باراء
التقطها مما يتحدث به بعض الناس على انها من مقتضيات المدنية أو مما كشفه العلم
حديثاً ، نحو التساوى بين الرجال والنساء في التعليم ونزع السلاح ، واتفاق الامم
على لغة واحدة تدرس في العالم كله ، وتأسيس محكمة عمومية تحل مشاكل الامم
وان الانسان تدرج بالارتقاء من أبسط الانواع حتى وصل الى شكله الحالى (نظرية
دروين) ولهجوا بعد هذا بكلمة نشر السلام العام ، ونبذ التعصبات الدينية .

وقد تخيل عباس أنه بإدخال مثل هذه الآراء في مذهب البهائية يستندرج
المولعين بالجديد من النابتة الحديثة ، ولهذا الطمع تزوونه يقول : تحتوى تعاليم بهاء الله
على جميع آمال ورغائب فرق العالم سواء كانت دينية أو سياسية أو أخلاقية وسواء
كانت من الفرق القديمة أو الحديثة فالجميع يجدون فيها ديناً عمومياً في غاية الموافقة
للعصر الحاضر^(٤) واعظم سياسة للعالم الانساني، وصرح في مقال آخر بأنه يريد أن يوحد
بين المسلمين والنصارى واليهود ويجمعهم على أصول نواميس موسى عليه السلام
الذين يؤمنون به جميعاً^(٥) .

ولا أحسب عبد البهاء عباساً يقصد من هذا الحديث الا التزلف لليهود والتظاهر
بجولاتهم لجعلهم من أشياعه ، والا فكيف يقع في خاطر من عرف القرآن أن يعمل
على صرف الناس عن شريعة الاسلام ويرجع بهم الى شفا حفرة من النار بعد أن
أنقذهم الله منها .

(١) دين الصليين والباباس (٢) أصل ديانة المهود (٣) ديانة قديمة تنسب الى ابراهيم ورامشت الابرائي
ولا يزال لابعها طائفة بالبلاد الهندية وأخرى بالبلاد الابرايه
(٤) كتاب عبد البهاء والبهائية ص ٨٧
(٥) د د د د د ٩٣ د

يذكر الشيخ ابن تيمية أن الباطنية «هم دائماً مع كل عدو للمسلمين» وقال «إن التتار مداخلوا بلاد الاسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك الاسلام الابعاضونهم» وكذا نجد في الباطنية تحيزاً الى أعداء المسلمين ، وانظروا الى عباس عبد البهاء كيف يتحيز الى اليهود ويشر بان فلسطين ستصير وطناً لهم فقال «سيجتمع بنو اسرائيل في الارض المقدسة وتكون أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة» وقال «تأتي طوائف اليهود الى الارض المقدسة ويزدادون تدريجاً الى أن تصير جميعاً وطناً لهم» .

فالباطنية شأنهم شأن الباطنية في بغض الاسلام وموالاة خصومه ، ولنا الامل الوثيق في أن العرب وسائر المسلمين من ورانهم سيقفون في وجه الاستعمار الصهيوني والدعاية البهائية التي نفاها وتسمدها حتى تبقى فلسطين وطناً عربياً اسلامياً على الرغم من عبد البهاء والبهائيين .

س - هل يعتقدون في الحشر والجنة والنار ؟

ج - لا يؤمن البهائيون بالبعث ولا بالجنة والنار ويفسرون يوم الجزاء ويوم القيامة مجيئاً . مرزا حسين الملقب بهاء الله قال في كتاب بهاء الله والمصر الجديد «وطبقاً للتفسير البهائية يكون مجيئاً كل مظهر الهى عبارة عن يوم الجزاء الا أن مجيئاً المظهر الأعظم بهاء الله هو يوم الجزاء الأعظم للدورة الدنيوية التي نعيش فيها» وقال «ليس يوم القيامة أحد الأيام العادية بل هو يوم يتبدى بظهور المظهر ويبقى ببقاء الدورة العالمية» .

هذا ما يفسرون به يوم الجزاء ويوم القيامة ، ويفسرون الجنة بالحياة الروحانية والنار بالموت الروحاني قال في هذا الكتاب «إن الجنة والنار في الكتب المقدسة حقائق مرموزة فعندهما (أى البهاء وإبنة عباس) الجنة هي حالة الكمال والنار حالة النقص ، فالجنة هي الحياة الروحانية والنار هي الموت الروحاني» .

هذا ما يقوله البهائية ، وكذلك ينقل لنا أبو حامد الغزالي ان الباطنية يقولون «كلما ورد من الظواهر في التكاليف والحشر والأمور الالهية فكلها أمثلة ورموز الى

بواطن، وساق بعد هذا أمثلة من تأويلهم الفاسق عن قانون اللغة والعقل، وقال: هذا من هذيانهم في التأويلات حكيناها ليضحك منها ، ونموذ بالله من صرعة المافل وكبوة الجاهل.

وقد قلدوا في انكار البعث طائفة الدهريين وأخذتهم شبههم التي لا يستطيع أن تنهض أمام أدلة القرآن الحكيم قال تعالى « أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ حَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ »

س - هل يعتقد البهائيون بنبوّة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟

ج - مخالفة البهائيين لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من معتقدات وأحكام وتهجمهم على تأويل القرآن والحديث بثل ما نقلناه عن رعمائهم شاهد على أن قلوبهم جاحدة لرسائله ، وإذا تحدثوا عنه في بعض كتبهم متظاهرين بتصديق نبوته فهاهم الا كسائر الأفراد أو الطوائف الذين يعملون لهدم الاسلام تحت ستار ، ومن خيال زعيمهم الأول دعواه في تفسيره لسورة يوسف أنه أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعطل هذا الكلام بما لا يفهمه الا من يفهم لغة المبرسمين اذ قال «لأن مقامه الباب» هو مقام النقطة ومقام النبي صلى الله عليه وسلم مقام الالام، وقال : كما أن محمدا أفضل من عيسى فكتابه البيان، أفضل من القرآن، وقال «ان أمر الله في حق أعجب من أمر محمد رسول الله من قبل لو أنتم فيه تتفكرون، ولستنا في حاجة الى الرد عليه في دعوى أنه أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في دعوى أن كتابه البيان أفضل من القرآن ، فعامة المسلمين كخاصتهم يعلمون أن هذه الدعوى من صنف الدعاوى التي تتادى على نفسها بالزور والهذيان وألو العقول من غير المسلمين يعرفون عظمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وما بثه في العالم من اصلاح فمن يدعى أنه مثل محمد أو أنه أتى بكتاب يحاكي القرآن كان في حاجة الى علاج يعيد عليه شيئا من رشده ويحمله على بصيرة من نفسه .

س اذا كانوا يعرفون نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فكيف يعتقدون
بنبي بعده ودين غير دينه ؟

ج — البهائيون لايعترفون بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا سهل
على زعمائهم أن يدعوا النبوة من بعده قال تعالى « مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَتَى أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ
وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » ومعنى الآية الذي لا يذهب اليه المذهب بل خلافه انه
النبي الذي انقطع به وصف النبوة فلا يتحقق في أحد من الخليفة بعده .

وورد هذا مبينا في صريح السنة الصحيحة ففي صحيح الامام البخاري وصحيح مسلم
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثني ومثل الأنبياء من صلى كمثل رجل بنى درابنا ،
فأحسنه وأجمله الاموضع لبنة من زاوية فعمل الناس يطوفون به ويتمججون له ويقولون
هلا وصعت هذه اللبنة . فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين » وقد انعقد اجماع المسلمين على هذا
حيلا بعد جيل وأصبح معلوما من الدين بالضرورة فمن أنكره وادعى لنفسه أو لغيره
النبوة بعد رسول الله فقد انسلخ من الإسلام وكان من النافرين . وإذا شهد لسانه بنبوة
محمد صلى الله عليه وسلم فهو من أولئك الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، قالبايون
لا يدخلون في المعترفون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حال .

وفد ذكرهم العلامة الالوسي في تفسير قوله تعالى « وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ
النَّبِيِّينَ » فقال « وقد طهر في هذا المصراع عصاة من علاة الشيعة لقوا أعينهم بالباية
لهم في هذا الباب فصول يحكم بكفر معتقدها كل من انتظم في سلك ذوى العقول ،
وقد كاد عرفهم يتمكن في العراق لولا همة واليه النجيب الذي وقع على همته وديانته
الاتفاق حيث خذلهم نصره الله تعالى وشنت شملهم وغضب عليهم رضى الله عنه ،
وأفسد عملهم فجراه الله تعالى عن الاسلام خيرا ، ودفع عنه في الدارين ضيما وضيرا .
س — ماهو الواجب عمله لاجباط مساعيه حتى لا يقع أحد في شراكمهم ؟

ج — لو كان التعليم الديني في الشعوب الاسلامية الزاميا ومقررا في جميع
بور الاسلام — م ٢

مدارسها ، لم يجد اشباه الباطنية الى ازاغة قلب الفنى المسلم طريقا ، وترك كثير من
أبنائنا لا يعرفون من الاسلام الا أسماء أو لا يلقنون الا مبادئ مقطوعة عن حججها
العقلية او النقلية ، قد يتر لامثال البهائية أن ينصبوا حباثلهم بين المسلمين ويصطادوا
من النفوس الجاهلة قليلا أو كثيرا .

ولا ننسى أن الذى ساعد البهائية على أن تستهوى فريقا من المسلمين تظاهرها
بانها فرقة اسلامية ، واحتجاجها بالقرآن والحديث وكتبتها بعض معتقداتها المنكرة
على البدهاة ، وعدم انتشار كتبها ، فكثير من أهل العلم لم تصل اليهم كتب هذه
الطائفة حتى يستبينوا منها حقيقة نخطهم ويحذروا الناس من الوقوع في شراكهم .
أما اليوم فقد أخذهم الغرور وصاروا يذيعون شيئا من أسرار نخطهم على المنابر
وعلى صفحات الجرائد ويتحدثون عنها في مؤتمرات تطبع وتعرض على الناس في المكاتب ،
فهى بما تحملها من مقالات ملفقة ودعاوى غير معقولة قد بحثت عن حنفها بظلفها ،
فلا نخشى على من له نباهة أو فطرة سليمة أن يعتقد بنوبة ميرزا حسين أو عباس عبد
البهاء ولا نخشى على من وصل الى نفسه أثر من هداية الاسلام أن يتبدل بها مزاعم
أبى الفضل الايراني ، واذا جاز أن يكون فى طبقة العامة أو أشباههم من لا يتنبه لما فى
البهائية من كيد للاسلام وانغواء عن شريعته الثراء ، فان العلماء والوعاظ اينما كانوا
سيكشفون للناس عن بطانة هذا المذهب ليحترسوا من دعائه ويحذروا أن يمسهم
شىء من نزغاته .

وقد علم طائفة من دعاة الاباحية والخروج على الدين ما ينطوى عليه هذا المذهب
من متاواة للدين الحق فقاموا بظاهروته في النوادي والصحف وزيرونه في أعين الناس
فلما منهم أن علماء الاسلام مازالوا عن سريرة هذا المذهب غافلين .

مجدل الحضرة حسين

وورد من حضرة الشيخ عبدالحفيظ ابراهيم اللاذقي أسئلة ستة نذكرها مع أجوبتها
(١) س— هل يجوز للمرأة أن تظهر صوتها ووجهها وبدنها وغيرها أمام الرجال
الاجانب والاطباء .

(١) ج— قد نهى عن كل ما أدى الى الفتنة يقينا أو ظنا درءا للمفاسد وتجنباً للشبهات وقد قال صلى الله عليه وسلم (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لمرضه ودينه ومن وقع في الشبهات كراعى برعى حول الحمى يوشك أن يواقعها الا ان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب)

وسد الذرائع ودرء المفاسد أصل محكم في الدين ينبغي أن يصير المرء اليه في كل ما شبه عليه وان افترق وان افترق .

اما اذا أمنت الفتنة فصوت المرأة ليس بعورة واما جسمها فكله عورة على الرجل الاجنبى يحرم نظره اليها بلا حاجة داعية فاذا مست الحاجة للنظر كخطبتها أو معاملتها من بيع وشراء أو تحمل شهادة عليها أو نحو ذلك حل نظر الوجه والكفين بقدر تلك الحاجة لا أن يطيل النظر ويتبع النظرة النظرة فقد ينزلق الى الوقوع في المعصية وهو لا يشعر .

أما الطبيب العدل الموثوق به فيجوز أن تظهر له وان يرى مائس اليه حاجة العلاج ولو العورة المغلظة وفقاً بالمرضى ومراعاة لصحة الابدان . والله عليم حكيم رؤف رحيم ، فمن مقتضى حكمته ومظاهر رحمته أن حاط الاعراض وصان الشرف بسياج منيع وحمى واسع يقدر ماله من عظيم الخطر في شأن الأسر ، وان ما نراه اليوم ونسمع به مما تذوب القلوب حسرة له وبسبيل عرق الحجل حياء من التحدث به وتنفطر قلوب من ابتلوا بشيء منه فتتكسر نفوسهم وتدهور بين الناس منزلتهم لهوائراً لتساهل الناس في هذا الامر العظيم الذى احتجى به الشارع فجعل من ورائه سورا وسورا وسورا فنتى الناس هدى ربهم واتبعوا مقلدين غي غيرهم فاذا بهم بصايون ولا يشعرون فيحيط بهم الندم ولات ساعة مندم والله أعلم

(٢) س— هل يجوز للرجل أن ينظر الى جميع بدن محارمه من النساء ومعانقتهن

وضمهن وتقبيلهن ولمسهن بلا حائل .

(٢) ج أولاً أمن الفتنة فاعده محكمة باضطراد فتى خشيب الفتنة في شيء من ذلك بان علم أو ظن أن شيئاً من هذا يؤدي الى الوقوع في المحرم حرم ذلك الشيء فان الامتناع عن المحرم واجب والمقدمة لها حكم ماتؤدي اليه حتماً فاذا أمنت الفتنة فلرجل أن ينظر من محرمه ما عدا ما بين السرة واركبة واما اللبس فهو تابع للنظر فما حرم نظره حرم لمسه وما حل نظره حل لمسه حيث أمنت الفتنة كما سبق واما التقييل فلشهوة محرم ومثله العناق والضم واما تقييل الشفقة فلا بأس به وعلى العموم فكل ما افضى الى محرم فهو محرم واستفت قلبك وان افتوك وان افتوك (والحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن نسي الشهات فقد استبرأ لمرضه ودينه ومن وقع في الشبهات كراعى رعى حول الحمى يوشك أن يواقعها الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب)

(٣) س - هل يجوز للرجال والنساء تحسين الثياب والهندام ولبس جميع الالوان والازياء كالبرنيطة والطربوش والمعطف والسترة والبنتلون وغيرها والحرير والساعات والسلاسل والخواتم وغيرها أم لا .

(٣) ج - اما النساء فلبسن ما شئن ويرين كما أردن لاحمر عليهن في لون ولازى ولا حرير ولا ذهب مادام لا يراها الا من يحل له رؤيتها من زوج ومحرم وامرأة مسلمة وان كان يحرم عليها لبس ما اختص بلبسه الكافرون كشد زنار ونحوه أما أن تعرض لرؤية من لا يحل له رؤيتها وان تزين في الطرقات فليس لها ذلك ويحرم عليها بتاتا كما يحرم عليها أن تعرض لما يوجب الفتنة ولو مع أحد محارمها فلها من تحسين زيتها وهندامها واختيار الازياء التى تعجبها والالوان التى تروقها ما لا حد له متى لزم حدود الله في عدم التعرض لرؤية الاجانب .

واما الرجال فيحرم عليهم لبس الحرير والتختم بالذهب والتحلل به في سلسلة أو ساعة أو مائثل ذلك واجاز بعض الفقهاء حمل الساعة من ذهب أو فضة مالم توصل بشو به بنحو سلسلة واما الالوان فلهم ما يشاؤون منها الا أنه نهى عن المصفر وهو ذو اللون الاصفر الذى يشبه لون المصفر لما فيه من شدة التبرج واما أشكال

التياب فقد كرهوا منها ما يحدد العودة وباقي الاشكال لاجراج فيه من معطف وسترة
ونظلون غير محدد وطربوش وغيرها ما لم يتشبه بالكفار في زي قاصر عليهم معروف بهم
(٤) س - هل تقبل توبة التائب اذا تاب من جميع الذنوب الصغيرة والكبيرة
كالقتل والزنا واللواط وشرب الخمر والديون والسرقة والخيانة والكذب والنفس
والظلم وغيره ولا يمتد في القبر ولا في الآخرة

(٤) ج - الله هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويمحو عن السيئات ولا فرق في
التوبة عن الذنب بين الصغيرة والكبيرة بل الاسلام بعد الكفر وبعد الردة من قبيل
التوبة عنهم ويحب ما قبله ولكن للتوبة شروط لا تتحقق الا بحصولها ومنها رد المظالم
لاصحابها فلا توبة مع الاصرار على الذنب والبقاء على اغتيال الحقوق فمن غصب أو
نهب أو سرق مال أخيه فذلك المال حق لصاحبه على ذلك الأخذ فهما تاب وهو
مغزونه عن صاحبه فلا معنى لتوبته والتائب وهو مصر على ذنبه كالمستهزئ بربه

وحقوق العباد مينة على المشاحة لا براء ذمة المرء منها الا برضا صاحب الحق
رضاء صحيحا فتي كان في امكانه رد الحق لصاحبه فلا توبة له قبل رده فان عجز وتمذر
رده وسامحه صاحب الحق فيه مسامحة حقة قبلت توبته فان كان الحق مما يترتب على
افشائه وطلب المسامحة فيه ضرر اكبر وتقوم عليه فتنة أشد منه وعلم ذلك فربما يكون
الاستمحاء المجل مع الاكثار من الاستغفار لصاحب الحق والدعاء له بينه وبين ربه
وكثرة الندم والافلاع الصحيح من صميم القلب ربما يكون ذلك مما يرجى منه أن
يقبله الله تعالى يوم القيامة بترغيب صاحب الحق في مشورة تسهل عليه المسامحة في حقه
وذلك كله في مثل القتل والسرقة والنفس والظلم وامثالها .

أما حقوق الله كشرط الخمر والكذب الذي لا يفوت مصلحة على أحد فتي
ندم ندما حقيقيا على ما فرط منه وعزم على الا يعود واستغفر ربه من قلبه فذلك جدير
أن يقبل الله منه ومتى قبلت التوبة فلا عذاب عليها لافي القبر ولا في الآخرة .

(٥) س - هل يجوز التشاؤم أو الوهم من الاعداد والسنين والشهور والايام
والاوقات وغيرها ولبس ثوب أو دخول بيت أو قراءة سورة أو آية أو ورد أو

فائدة أو غيرها بأن فاعل ذلك يصاب بضرر كمرض أو موت أو غيره

(٥) ج — قال صلى الله عليه وسلم لاعدوى ولا هامة ولا طيرة ولا صفر ،
المدوى معروفة والهامة كاذب العرب تزعم أن من قتل يحيى طائر يصيح على قبره
استقوني استقوني حتى يؤخذ بثارده ، والطيرة أن يعمد المسافر أو ذو الحاجة الى الطيور
في أوكارها أو على شجرة فيشربها فان أخذت يمينا تقاتل أو شمالا تشأم وتطير ، وصفر
كان العرب يتشأمون من حلوله لانه يتلو الاشهر الحرم المتواليه ذا القعدة وذا الحجة
والحرم فيتمطشون للقتل والقتال على ما فطروا عليه فتكثر فيه الحروب والقتلى ففسبوا
الشؤم له

ولقد تمكنت الحرافات من نفوس كثير من الناس لضعف نفوسهم ونسبتهم ما يصيبهم
الى أسباب خفية لا يعرفونها فتذهب أو هامهم كل مذهب في تكييفها ولو عقلوا لعلموا
أن الكل من الله رب العالمين وفدسن للكون نظاما عجبا وقانونا محكما وربط كل شيء
بسيبه الذي دلت عليه المشاهدة والتجارب المتكرره وعقلت الصلة بينه وبينه فاما
هذه الاشياء التي لاصلة لها بما يتفق حصوله بعدها كمعدد احد عشر أو شهر صفر أو
السنة الفلانية أو وقت كذا من يوم كذا فكلها أو هام لا أصل لها ولا يجوز شرعا
التعويل عليها ولا الالتفات اليها ومثل ذلك بل أولى منه قراءة سورة أو آية أو ورد
أو مثلها ، أما ما يصادف حصوله في بعض الاحيان في دار أو دابة أو ما ياتل ذلك
فهى مصادفات تقوى بالثقات الناس اليها واعطائها ما ليس لها نقوة هلع وجزع
أصاب أصحابها وما من أحد في الدنيا الا هو عرضة للمصائب من مرض وموت
وغيرهما ولا يحصل ذلك الا في يوم من الايام لافرق بين يوم ويوم ولا يحدث
الا في مكان من الامكنة لافرق بين دار ودار فالتناس يموتون لاجلهم وفي دورهم
وكل يوم يحصل ذلك ولكل أجل كتاب (قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يُوْصِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ
كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ)

ابراهيم الجبلى

مدرس بقسم التخصص بالازهر

الأخلاق والعادات

(خلاعة النساء تقودنا الى الهاوية)

« ماتركت بعدى فتنة هي أضر على الرجال من النساء »

حديث شريف

لست أعجب لشيء من شئون حياتنا عجبي لهذا الداء الذوى الذى غشى كل دار ، وغزا كل أسرة ، وسرى فى بيتنا المصرية سريان النار فى الهشيم ، ووقف إزاه المصلحون حيارى مشدوهين ، لا يدرون ماذا يصنعون ، وأعنى به تلك الخلعة الفاضحة ، وذلك التبرج المشين الذى هتك الحِجال عن المصونات . وأرر من الخُذور المخبّات ، وسوى بين الحرة والأمة ، وأقام من النساء فى الشوارع والميادين سوقا حافلة تنتهك فيها الحرمات جهارا ، وتباع لأعراض بيع السّماح ، إنك فى أى مكان من تلك المدينة التى هى حاضرة الشرق العربى ، وأنغم مدن الإسلام ، ومقر أكبر معهد للتحقيق البيضاء ، لا ترى إلا ما يُقذى العين ، وبصدع الفؤاد من مظاهر للاستفور والاستهتار ، لا تبرا منها لطفلة اللاعبة ، والفتاة الفاتنة ، والمرأة النصف ، والمعجوز الشمطاء ، كأن ذلك مما أوجبه الشرائع السماوية ، وفرضه القوانين الوصية ، وأكّده العرف العام حتى يعدّ لخروج عليه ممرّة تندى لها الجباه ، وتكسّ الرؤوس . لقد دالت دولة الشياب السابعة السائرة لأطراف السيدات ، واختفى على أثرها اللثام الكثيف ، وحل محله نقاب كثوب الرياء يشفّ عما تحته ، فلا يكس هو السفور بعينه فهو أشد منه فتنة ، ولم يقف النساء عند هذا الحد فقد نزع السواد الأعظم منهن الحِمار ، وخمس المذار ، وبرزن للناس شبه عاريات أما التأطر فى المشى ، والتجاع فى الحركات ، وغشيان الملاهى والمراقص ، والاختلاط بالرجال ، فشيء يطول وصفه ، ويستفيض حديثه . فإلك فتنة سافرة كصاحباتها تهدد بالشر المستطير ، وتندر بالويل والثبور .

وبما كان صعباً على إبالة أن فسدت المشاعر ، وماتت الضمائر ، وسقمت العقول ، فأصبح الفتى وقد كان حريصاً أن يتحدث بنعمة الله عليه (وإن تمدوا نعمة الله لاحتصوها) يفاخر بالسوق ويجاهر بالمعصيان ، ويمد من التمدين أن يصاب بالزهرى والسيلان هذا بعص ما تعانيه القضيلة في هذه الأيام القاتمة التي غاض خيرها وفاض شرها فسمى الخليع ظريفاً والماجن لطيفاً والقانك متمديناً والتقى الورع متأخراً والناسك العفيف بليداً جامداً والعالم العامل وصيماً خاملاً فلا حول ولا قوة الا بالله . ولقد كان لذلك أثره السيء في شئون الأمة عامة : ففسدت الأمراض السرية ، وانحطت الأخلاق وصعفت النخوة والحمة وأضرِب الشبان عن الزواج لتيسر قضاء الإربة وعدم الثقة بطهر الفتيات ، وبدأ أصبحت الأمة مهددة بضياع الثروة وذبول الصحة وانحلال الأسرة وتصدع المجتمع وما بقاء أمة أصيبت في كل عناصر حياتها .

أما تأثير التخرج في شئوننا الاقتصادية فحدث عنه ولا حرج : فلقد حدا النساء إلى الإكثار من الأزياء ، والتفنن فيها إلى حد مدهش ، واستنزفت تبعاً لذلك الأموال المصرية ، لتعمر بها الجيوب الأجنبية ، ورئنا في كل يوم بل كل لحظة نموذجاً جديداً (مودة) تُتحفنا به (باريس) . وهكذا انصرف النساء عن القيام بتربية الأولاد ، وتندير المنازل إلى الحلاعة ومقتضياتها ، والهيام على وحوهن في كل واد ومن الفكاهة أن أقص عليك هذه الطرفة لتبين ما ينوء به الرجال من أعباء النفقات الكلية فقد ذكروا أن رجلاً اشترى لزوجته مِعْرَصاً (فستاناً) اقترحته عليه ، وما إن جاوز باب المحل حتى أخذ يمدو عدو الظليم مُيْتَمًا منزله ، فاستوقمه أحد أصدقائه (وقد أخذ العجب منه كل مأخذ) فقال له لا نمجب فأني اشتريت الساعة هذا (الفستان) وأخشى أن تظهر (مودة) جديدة قبل أن أصل إلى البيت . من هذه الحكاياه سواء أكانت حقيقة أم خيالية . تعرف مبلغ تعلق السيدات بفسفاس الأمور . وإرهاقهن للزواج عما لا طائل تحته . تلك حال شاذة تجب على الأمة إرالتها عما تملك من حول وطول ، لأنها مخالفة للشرع والعقل والنوق . وفي بقائها ضياع الأموال والأنفس والثمرات : أما الشرع فلا أنه يحرم على المرأة أن تبدى زينتها لغير من ذكرهم الله في كتابه ، والحكمة في ذلك جلية واضحة . وقد

وصى تعالى نساء نبيه وهن في الذروة العليا من الطهارة والصون بقوله عز من قائل (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) وقال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّسَاءُ قُل لِّأَزْوَاجِكُ وَبَنَاتِكُ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) وقال صلى الله عليه وسلم وهو من آيات رسالته (صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رموهن كأسمنة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يخرجذن ربحها وإن ربحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) .

وأما العقل فلأن العقول في أدنى الدرجات ، وأحط المركبات ، نستطيع أن نصير المرأة وهي في حوزة رجل خاص يرض بها الضن كله ، ويحرص عليها حرص الجبان على مهجته ، متاعاً مشاعاً ونهباً مقسماً بين النواظر والأبصار . فحسن أن تنزي المرأة لزوجها في خلوتها وجلوتها بما تشاء ، وتحلى بما تريد ، ولكنه قبيح ومُستبشع أن تهجر خدرها لتقيم من نفسها معرضاً منتقلاً يشهده العامة والخاصة ، ومن الغريب أنها في بيتها قد تكون غير آبهة للزينة ولا حافلة بالتجمل ، بل قد تكون مثالا لقذارة البدن والثياب ، حتى إذا همت بالخروج لم تدع شيئا من ألوان الأصباغ ، ولا ضربا من ضروب التطرية والتصنع إلا أفرغته عليها .

وأما الذوق فلأنه رُكز في الطباع السكرية والأذواق السليمة أن المرأة مكان الصيانة والحرز والمنعة ، وعلى هذا درج الشعراء قديما وحديثا في وصفها : فتشبهوها بالدر المصون . واللؤلؤ المكنون ، وقالوا بيضة الخدر ، وربة الصون وذكروا تجمعها بالحراس والرقباء والأسنة والقنا ، واحتجابها حتى عن النسيم والشمس والقمر ، فبذل النساء إلى درجة يرجمن الرجال فيها بالمناكب ، ويأخذن الطريق على الغادى والرائح من غير ضرورة إلا شهوة التبرج والسفور ، مما يمجج الذوق ويأباه الطبع وتنفر منه العذيلة . وقد خسرت المرأة بذلك أصعاف ما تظنه ربحته ، فقد مضى عهد كان فيه أصلب الناس وجها وأخشعهم طبعاً يرى المرأة فيخص طرفه إكراما للأثوثة الطاهرة وينقصد لسانه أن يطق بكلمة فحش أو بذاء ، حياء منها ومهابة لها ، فأصبح النساء الآن هدفاً للألفاظ الجارحة تسيل بها

ألسنة السفلة والأوغاد (والخزء من جس العمل) وأمسى الرجل بعد أن كان يحمل الأنثى فيفسح لها الطريق . دمرت ويخني لها مكانه إذا حلت ، لا يفتي بشأنها ، ولا يحفل بأمرها .

والحق أن هذا الأمر قد أهمَّ أرباب الشرف والكرامة ، لأنه نذير الإباحة وطليعة القوصى الخلقية التي تأتي على ما ورثناه من دين قيم وحلق كريم وعادات شرقية حميدة . وإذا كان هذا نصيبنا من معسدة المدينة العربية في تلك السنين القليلة التي تم فيها الاحتلاط فما الظن إذ توالى علينا الأحقاب ولأجيال ؟

على أننا لا تقلد الأجانب إلا في المساوىء والمثالب ، فأما حساساتهم فنحن عنها معروضون ثم لنسأل أنفسنا في عجب ودهشة أليس لتلك الدثي الإنسانية السادرة في غيها قيم أو كفيل من أب أو أخ أو زوج أو قريب ؟ ألا يحدث الرجل نفسه عما يراه في الطرقات من مخازير يربدها وجه الفضيلة فيحفره ذلك إلى أن يحمي حريمه ويمنع حماه ؟ ألا يجد فيما يشاهده صياح مساء وما يسمع به من سرار القصور وأبواب الدور مقنعا يحمله عيسك بعرضه أن يزج به في هذا المعتكك الصلك والمأرق المتلاحم ؟ ولا يطوفن بعقل القارئ الكريم أننا نريد للمرأة أن تقبع في بيتها كالسجين المصفد ، فلا تشم الهواء ولا ترى الخضرة والماء ، ولا تتمتع بما أبدعته يد القدرة والصناعة مما يُقر العين ويهيج الفؤاد ، فالمرأة مخلوق محترم بل هي نصف الإنسان وربة المنزل وأم الولد ووزير الرجل ولها حقوق على الزوج لو نالتها لماشت في عز سانب وسعادة وارفة الظلال ، فلتخرج المرأة للزيارة والتزء ولاستراحة ، ولكن ليكن معها حارس ذو محرم محرم منها ، يدرأ عنها النظرات الحادة والكلمات السافطة والمغارلات السمجة ويحميها من هجمات اللصوص لصوص الخمال لا الخمال وسراق الأعراض لا العروض وقنّاص الخود لا التقود أولئك الذين يقعدون كل مرصد لختل الصيد واقتاص المريسة ، فلا تكاد تحلو منهم بقعة حتى أما كن المادة ومرارات الأولياء فتبأهم وسحقا .

ومن نكد الأيام أن نشأت في هذا الجيل نابتة هم زمانة الأمة وداؤها المقام ، نبذوا فضائل الشرق وجهلوا آداب الغرب ، أخذوا يدعور جبهة إلى الإباحة ويبدرون بدرها

الحديث ، مظهرين المرأة بمظهر من فقد حرّيته وسُلب إرادته ، وما بهم (شهد الله) حب المرأة والمطعم عليها ، ولكنهم يغفون وراء ذلك ما يظنّ شهوتهم الثائرة ويشبع ذكورتهم الجائعة ولو كان في ذلك حراب البلاد وشقاء العباد . ولا تعدّم منهم فيلسوفاً سوفسطائياً يحتاجك بأن سفور المرأة واختلاط الجفسين يقتل الشهوة ويزرع العفة (وحب شيء إلى الإنسان مأموع) ومادري (أزال الله خياله ورد عليه عقله) أن هذا لا يطبق في كل الأحوال فكما أن رؤية الطعام الشهي والشراب العذب تُثير الرغبة فيها ، فكذلك النظر إلى وجوه الغريبت على الفتنة ويحث على الصباية . وشتان بين امرأة متحجبة لا يدومها ما يدل على حسن وجهها ، وبين أخرى سافرة عن محيا صبيح ووجه مُقسّم ، فأين يذهب بكم أيها الناس لقد كانت تلك المرأة البدوية أبعد منكم نظراً وأرجح عقلاً وأعرف بموطن الداء فإن الأصمى يحدثنا أنه ورد بعض مياه العرب ، فوجد فتياناً مجتمعين وإذا بشاب منهم قد لوح بيده قائلاً ها هي ذا قد أقبلت ، قال فنظرت حيث نظروا فإذا فتاة قد سُفرت عن بدر تمام على غصن بان ، فلما رأتهم يحدون النظر إليها أسدلت خمارها على وجهها ، فكأنما أسبلت الطلام على الضياء ، فتقدم منها شاب وقال لم تمنعنا النظر إلى هذا الوجه الحسن . فكان جوابها : —

وطرفك إن أرسلته لك رائداً لقلبك يوماً انعبتك الماظر
رأيت الذي لا كاله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

ولعل لك عرة فيما فعله (الفاتيكان) فإن البانا حرم على النساء دخول الكنائس باللباس الخليفة ، وسمعا عن جمعيات نسوية قامت في أوروبا (أوروبا المتهكّة) تدعوا السيدات إلى أطراح الأرياء المستهجنة والجنوح إلى سبيل القصد والحشمة .

هذا وإنى أدعو الرأي العام لمقاومة تلك البدع الضارة الهدامة . و رأي العام في كل عصر ومصر له صولة تهزم الجبايرة فلو أن الناس يستنكرون هذه الموبقات ، ويظهرون سخطهم على كل امرأة تخرق سياج الفضيلة وتنهك حرمة الآداب لا تحت تلك المادت السيئة من البيئة المصرية . والله لهادى إلى أقوم سبيل على الجندى

المدرس بمدرسة الناصرية الأميرية

العلوم والآداب

الاسلام في بلاد الانجليز

حاء بمقال لمراسل الصنداي بوست ^(١) بلندن أنه قام بأبحاث مستفيضة عن ازدياد عدد البريطانيين الذين يدخلون في دين الاسلام - وهم بمعدل واحد في اليوم - استطاع بها أن ينشر عدة حقائق ممتعة عن تقدم الإسلام في بريطانيا قال :

في أنحاء الجرائر البريطانية ما يقرب من الف مسلم بريطاني بينهم رجالان من ذوي الألقاب أحدهما اللورد هدى المعروف باللورد المسلم والآخر السير أرشيبالد هامتن الذي يمت بصلة القرابة إلى چامبس الثاني . ملك اسكتلدة . وهناك آخرون من رجال الأعمال المعروفين الذين اتخذوا الاسلام دينا في السنوات الأخيرة . كما أن هناك مسجدا في وكنج يؤدي به المسلمون الانجليز مع إخوانهم الشرقيين المقيمين بالبحلرا فرائض الصلاة ويستمعون إلى خطبة الإمام وهو شيخ المسجد .

أما فيما يختص بنظام الطبقات الاجتماعية في الاسلام فيعتبر الفنى طهيراً للفقير ويجلس بجانبه إلى مائدة الطعام كما يستوى كلاهما أمام الله . فليس هناك فارق شخصي في المجتمع الاسلامي بين غنى وفقير .

وشيوخ جامع وكنج هو المحترم الاستاذ نظير أحمد وقد دار بيني وبينه حديث فهمت منه أن الشيخ في الدين الاسلامي يسمح له بمزاولة مهنة مدنية أخرى وأنه هو نفسه كان مدرهاً ومهندساً (معمارياً) وأنه يتقاضى مرتباً اسمياً بصفته شيخ المسجد .

ويُحتفل بمقود الزواج في هذا المسجد ومن احتفل بمقد زواجهم به المستر چون بارلنجنون فيشر أو عثمان المهدي كما سمي نفسه حيث تزوج من الآسة مارجریت روس أو « رشيدة » على الشريعة الاسلامية وقد تلى إمام الجامع خطبة القران المعتادة وهي جديرة

بالاعتبار إذا قورنت بتلك التي تتلى في الكنيسة المسيحية الانجليزية . وقد أوصى الزوج فيها بقوله « أن لا تضرب زوجتك الكريمة ضربة واحدة الحقيرة وأن تقطعها إذا أطعمت نفسك وتكسوها إذا كسوت نفسك وأن تقص يدك عن صفعها على وجهها أو تسيء معاملتها أو تفترق عنها وقتاً طويلاً » . وخاطب العروس بقوله « يجب أن تكوني الزوجة الصالحة التي ترضى بعلها إذا نطع إليها وتطيعه إذا أرشدها وتحافظ على ما يملك إذا غاب عنها » وبعد انتهاء الخطبة استخرج الإمام وثيقتين وقع عليهما الزوجان وأعطى العروس واحدة والزوج أخرى .

وذكر لي اللورد هدلي في حديث دار بيننا أنه كان مسلماً بقلبه من عدة سنين ولكنه لم يعلن ذلك جهاراً حتى السنوات الأخيرة وهو الآن رجل متقدم في السن لم يرل قوياً تبدو عليه سماء المهانة والحلال . وقد تلقى علومه في كلية ترينتي بكامبردج حيث يوجد اليوم - كما يوجد بأكسفورد - كثير من الطلبة المسلمين .

وقد قام اللورد هدلي برحلات واسعة النطاق في الشرق واشتهر كمهندس (معماري) وكان لدخوله الاسلام - الذي درسه إبان إقامته في الشرق - شيء من إثارة الخواطر في بلاد الإنجليز وقد نسمي كما نسمي غيره من الإنجليز الذين اتخذوا الاسلام ديناً - باسم اسلامي هو الشيخ عبد الرحمن الفاروق

وحجج الى مكة من رمن غير بعيد وهي المدينة التي يقدها المسلمون والتي لها قدر النبي العظيم^(١)

وقد أولت زيارته للشرق في تلك المرة تأويلاً خاطئاً في بعض الدوائر حيث قيل انه أرسل في مهمة سياسية . وذكر لي اللورد هدلي أن دخوله في الاسلام كان نتيجة أعوام طويلة من البحث والتفكير وقال أشن أنني أول بريطاني مسلم حجج إلى مكة وقد قمت بذلك علانية على أنني أعلم أن البعض قد حججوا إليها متكررين في زى رعاة الابل وأخبرني محدث آخر أن كثيراً من الغربيين قد ضحوا بصحيات مالية واجتماعية كبيرة حين حججوا على كمائتهم ودخلوا في دين محمد « عليه السلام » والمسلمون هم

(١) قبر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة لا بمكة

أكثر من أى طائفة دينية أخرى عدداً فى العالم . واستطرد محدثى القول بأنه يعرف واقعة حال جرت لضابط كان يؤدى الخدمة فى الشرق فى غضون الحرب الكبرى وقد درس الاسلام دراسة عميقة ثم اتخذه ديناً وما علم رؤساؤه بالأمر حتى استدعى فى الحال وأقيل من الخدمة . وهناك وقائع أخرى اضطر فيها الكثيرون لترك أعمالهم على أثر دخولهم فى الاسلام .

وليس فى الإسلام فارق جسمى (قومى) فقد يكون بين الجمع المختشد بالمسجد صينيون وروسيون وزنوج وهنود .

وهناك أسباب مختلفة يذكرها البريطانيون لدخولهم فى هذا الدين فبعضهم يقول انهم سئموا موقف الجلود والتعصب الذى تقمه الكنيسة المسيحية والبعض الآخر يشمر " فى الاسلام عاطفة انسانية تدخل فى حياتهم اليومية وتنتزع بها الفاسدون فى أنحاء العالم يتجهون كل يوم خمس مرات نحو مدينة الاسلام المقدسة ^(١) و يقيمون الصلاة لله . ويجب على كل مسلم يملك مقدار « نصاب » من مال أن يتصدق باثنين ونصف فى المائة منه للفقراء .

هذا : وشرب الخمر ولعب الميسر وأكل الخنزير محرم فى الاسلام . أما السير أرشبالد هاملتس الذى يقيم فى صكس العريية فقد قال فى براد أسباب اتحاد الاسلام ديناً « يظهر لى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يلائم جميع أجناس البشر فهو يمتزج بالديانات الأخرى ولا ينكر فصل مؤسسيها العظيم ، ومن مما أنكره على المسيحيين ما أراه من أهمهم يقيمون شعائر دينهم يوماً واحداً من الأسبوع وينسون كل ما يتعلق به نية أيامه » ويأمل السير أرشبالد أن يحجج إلى مكة قريباً .

وقد علمت بعد تحريات أخرى أنه إذا استمرت زيادة المسلمين فى اسكتلنده على ما كانت عليه فى السنة الماضية فتمت أمل كبير فى بناء مسجد بها فى وقت قريب .

(١) مكة المكرمة التى بها البيت الحرام للقدس وهو قبلة المسلمين فى صلاتهم

أخلاق محمد

(صلى الله عليه وسلم)

من مخطاب « حياة محمد » للسير وليام ميور

(ديانة الاخلاق)

ومن صفاته الجديرة بالتنويه الرقة والاحترام اللتان كان يعامل بهما أتباعه حتى أفلهم شأنًا . فالتواضع والرأفة والأناة وانكار الذات والسماحة والسخاء تغلف في نفسه ووثقت به محبة كل من حوله .

وكان يكره أن يقول لا هان لم يمكنه أن يجيب الطالب لسؤله فصل السكوت عن الجواب وقد قالت عنه عائشة أنه كان أشد حياء من المدرء في خدرها وكان اذا اساءه شيء تبتناه في أساور وجهه أكثر من كلامه ولم يس أحدًا بالضرر الا في سبيل الله . ويؤثر عنه أنه كان لا يمتنع عن اجابة دعوة الى بيت مهما كان حقيرا أو يرفض هبة مهداة اليه مهما كانت صغيرة واذا جلس الى صاحبه لم يرفع نحوه ركبته تشاخص منه وكبرا وكانت له تلك الخفة البادرة التي يجعل بها كل فرد من صحابته يظن أنه المفضل المختار . وكان يرى كثيرا للشكى والمنكوبين كما كان سهلا لين العريكة مع الأطفال لا يأنف اذ مر بطائفة منهم يلعبون ان يقرئهم تحية الاسلام . وكان يشرك غيره في طعامه حتى في أوقات العسر والاملاق ويهتم جهد الطاقة بتوفير أسباب الراحة لأتصاره ونابغيه . وكان صدقا وفيا أحب أبا بكر محبة الشقيق الودود وعلياً محبة الأب الرؤوف ومما يذكر أن زيدا الذي كان عبد خديجة كان متعلقا بالنبي تعلقا شديدا لعطفه عليه حتى أنه أتر البقاء بمكة على أن يعود للده مع أبيه وتعلق بأهداب النبي فأثلا لسب تاركك وقد كنت لي أبا بارا عطوفا وقد بقيت صداقة محمد هذه الى ما بعد موت زيد حيث عامل أسامه انه معامله بمتازة اكراما لأبيه .

كذلك كانت علاقته بثمان وعمر مشبعة بروح المودة والولاء . وكان محمد عليه

الصلاة والسلام، في استعماله الحكم المطلق عادلا مقتصدا فلم يكن يعوزه الرفق بأعدائه إذا مادانوا له بالطاعة وقد كان دفاع مكة العتيد الطويل المدى ضد دعوته مما كان يحمله عند فتحها على أن يمر عن سخطه بآثار لا تمحى من دم ونار ولكنه أصدر عفوا عاما ملقيا بذكريات الماضي بما فيها من سخرية واهانة واضطهاد في زوايا النسيان وعامل حتى ألد أعدائه بكل كرم وسخاء ولم تكن الساحة التي أبداهها لعبدا لله^(١) وأهل مكة الخارجين عليه بأقل من ذلك ظهورا وهم هم الذين ناصبوه العداوة سنين وامتنعوا عن الدخول في طاعته . كما ظهر حله وصفحه حتى في ساعة الظفر والانتصار وقد دانت لطاعته القبائل التي كانت من قبل أكثر مناجزة له وأشد عدا .

الطرف والملح

أدخل على المنصور رحل^١ أراد أن يوليّه قضاء ناحية من العراق قد جعل السجود بين عينيه كركبة الجمل . فقال له المنصور : ان كنت أردت الله بهذا فإينبئ لنا أن تشفلك عنه ، وان كنت أردتنا فإيسئ لنا أن نتخذ لك ، ولم يؤلّ شيئا قال شاعر حكيم :

إذا أعجبتك خلال امرئ فكنته تكرر مثل من يُحبك

وليس على الهد والمكرّمات إذا جثتها حاحب يحبك

قال قدامة : حسبكم دلالة على فضيلة العدل أن الحرّ الذي هو ضده لا يقوم إلا به ، وذلك أن اللصوص إذا أخذوا الأموال واقتسموها بينهم احتجوا إلى استعمال العدل في اقتسامهم والا أضّر ذلك بهم .

قال سيدنا عمر بن العاص رضي الله عنه : ما استودعت رجلا سرا فأفشاه فلمته . لا إني كنت أصيق صدرا حين استودعته منه حين أفشاه .

استرشاد الانسان بالملكـة النباتية والحيوانية

في مخترعاته

مترجمة عن مجلة Woche الألمانية

قليل من الناس من يدرك أن في مثل شجرة أو شجيرة أو ورقة من الخيش أعجوبة من أعاجيب التكوين في الصناعة والكيمياء وأن كل مانسجته يد الانسان يتضائل أمام كمالها ويظهر بميدا عن الاتقان . فمن حامض الكربونيك والماء أى من مواد يمكن الانسان الحصول عليها بكميات وافرة تقوم في المملكة النباتية صناعة المواد النشوية التى تعد أساسا للتغذية . ويستفيد النبات من حرارة الشمس وضوئها منذالاف السنين للقيام بهذه العملية ولم تقوالصناعة الحديثة على الاستفادة منها الا في أمور صغيرة والى حد محدود . وتعد هذه الكفاءة في النباتات أعلى مما وصل اليه العلم والصناعات الحديثة حيث ان الانسان لم يوفق بعد الى أن يجعل من حامض الكربونيك والماء ونشاء صناعيا وهو الذى عليه تقوم الحياة فهو لذلك أهم التراكيب الكيميائية ولا بد أن يكون أول ماصنعتـه المملكة النباتية منذ بدأ نشأتها .

وقد يضطر الانسان لكسب عيشه الى قتل النبات أو سلبه ثمرة فيسخر نفسه في فلاحته بمرق جيئه ولا ينمك بستمطر السماء ماء ويرجو من الشمس حرارة وشمعا وانما يفعل ذلك لجهله وفصر يده وعجزه أمام علم استاذـه التقدير النبات .

وليسـت المملكة النباتية بالاستاذ المتـمكن الذى لايشق له غبار في أصول الكيمياء فحسب بل انها في عالم التراكيب الآلية والفنية مثالا حسنا وغودجا بديما أتقن صنعه ودق تركيبه

نظرة واحدة الى جميع المخترعات التى أدهش العقول زمنا طويلا تكفى لتبيان مصدر اشتقاقها من النماذج الطبيعية في الملكتين النباتية والحيوانية .

أليس آلة التصوير صورة بسيطة من عين الانسان والمسة تحاكي الأذن ؟ وألا

تشبه المباني الحديدية المرتفعة في قوامها وقواعد نصبها تركيب العظام في الانسان والساق في القمح وما شاكله من النبات ؟ أفلا يرتد أمام هذا المهندس والمعماري باستكانة وانضاع لحقارة وغلاظة ما اصطنمناه من مستحدثات ومبتكرات المقدمة لما صنعت يد الاله عز وجل ؟ وأفلا يتبين لهما أن صناعتها لازالت مفتقرة الى الصقل والتهذيب بعيدة عن الاتقان والكمال . ؟

نرى أن كل ما أعد للجر والسحب صوراً على شكل شريط وما أعد للارتكاز لا بد له من عمود لارتكازه وكل ناقب لا بد من صنعه لوليا ، جذوع كأنها عمد تحمل الشجرة فلا تنوء تحت ثقل غصونها وتستند السنبلة على الساق كما يتكأ الشيخ الهرم على عصاه أو كما يرتكز السقم على الأعمدة ، تتدفع الجرثومة في قطرة الماء تشق طريقها لوليا فما أشبهها بياخرة حديثة الطرار تسير بمساعدة المحرك اللولبي الى جانبها وما أشبه الداسر ^(١) اللولبي في الطائرة بورق شجر الاسفندان ^(٢) .

لم يكن الانسان بالمخترع لسير الدولاب الآلى أو أعمدة الارتكاز أو الداسر اللولبي . وإنما هي أعضاء المملكة النباتية التى كشفت لنا خبايا النظريات وأصول القواعد .

تبين المهندسون والفنانون أن الحركة في اتجاه دائرى انما تنقلب على المقاومة بأقل جهد عن الحركة في اتجاه مستقيم فبنوا تصميماتهم وجملوا قواعدهم مصطنعين بذلك قانون المقاومة البسيطة والاقتصاد في المجهود ، ولكن ألم تكن المملكة النباتية هى صاحبة الاولوية في الابتكار والىها رجع الانسان حينما بدأ عمله وفهـ ، يظهر لنا من ذلك وغيره أنه ليس من مبتكر أو مستحدث الا وقد أوجدت المملكة النباتية أو الحيوانية قواعده ورسمت أصوله وأحكمت قوانينه وأظهرت النماذج الدقيقة فيه . ولتأمل قليلا من هذه الوجهة دقة صنع ومهارة تركيب بعض أعضاء المملكة النباتية ولتأخذ اعشاب البحر الصخرية مثلاً فترى أنها عبارة عن مراكب دقيقة . لا يزيد طول أحدها عن ١٠ سنتيمتر وعرضها عن ٣٠٠ من المليمتر تنتشر على قاع الغدير كل

(٢) شجريت في بلاد الفروج

(١) الداسر النح

ربيع كبساط من القطيفة نعلوه قشرة ذهبية أو تلاء الطبقات العليا من مياه البحار فتجعل أديمها أخضر ولكن ليس هذا أو ذلك بمقرها الطبيعي بل يغلب وجودها بطبقات الأرض الطينية بين الشقوق المائية الضيقة فإذا ماجف أديم الأرض درء عنها خطر المصير والتحطيم سياج منيع من بلورات صخرية به تجمعات تزيد حصانة لمقاومة الضغط ، فلها بمباراة أخرى في أشكالها السطحية جميع ما أخذه الإنسان نقلا عنها في تراكيبه وبنائاته الممرضة لتحمل الضغط الشديد . وقد تطفو هذه الأعشاب المائية في أحد أطوار حياتها على سطح المياه ولذا تركت تجمعاتها خاوية ، ليس بهيكلها الخارجى سوى مراكز المقاومة لتحمل الضغط . ألم ينح نحوها وينسج على منوالها أساتذة فن المعمار في المباني القوطية بقبابها وقلة مسطحاتها وتحولها الى أشكال منقطة من أساطين وقباب ؟ أليست التراكيب الحديدية الحديثة في مناعتها ومقاومتها كثيرة الشبه بأعشاب البحر الصخرية وان تعددت أشكالها واختلفت صورها لازالت نموذجاً هندسياً فائقاً لمقاومة الضغط مع الاقتصاد في المادة . أمام هذا كله لا يتكاف المهندس أو الفنان عناء البحث والاستنباط فله في القواعد الطبيعية الثابتة الصحيحة كل معين ومرشد .

وبين الاحياء المائية ذات الحلية الواحدة ما يسمى «فلاجلات» وهى سوطيه الشكل قد زودها الله عز وجل بأشكال تساعد على السباحة فكانت خير نموذج لاستنباط حل لمسألة الاجسام الطافية ، فذنبها الدائرى أكبر معين لها على الحركة السريعة التى اذا نسبت الى سرعة البواخر العظيمة لفاقتها ببضعة آلاف المرات . فى هذه الأعجوبة الفنية التى لا يزيد حجمها عن ذرة من الرمال نجد نموذجاً ألياً لم يستطع الانسان بعد أن يجاريه . ألم يك فى هذا كله ما يكفي لاستنساخ الانسان ودفعه لدراسة أصول علم الحياة وفنونه حتى يسترشد بما كنه من قواعد ونظريات في مخترعاته ومبتكراته على شكل أوفى ونظام أكمل مما قد أتبع له الى الآن .

فكل ورقة من أوراق النبات تنسج لدراسة فن كامل على أصوله الصحيحة فهى تحوى منشآت صناعية على أحدث منوال ، آلات لاستغلال القوى الضوئية

تلتقط فيها المادة الملونة الكوروفيل بطرق عدسية دقيقة ضوء الشمس اذا ما واجهته. وتندفع المياه والحوامص الكربونية في طبقات التهوية داخل أنابيب كما تجري في ثنائياها المواد الأولية والمصارات . وتقوم جهازاات الرفع المائية في المملكة النباتية بعملها بطريقة محكمة دقيقة فتحمل مواد التغذية وتدفمها الى منتهى الفروع العليا والفصول الدقيقة والعروق الشعرية . ولاداة الرفع المائي في المملكة النباتية أهمية عظيمة تستوجب اعجاب الفنان . ففي الأوراق الخضراء وبين شقوقها المائية نجد فراغا كبيرا يوصله عروق شعرية غاية في الدقة بالانبوبة المائية الرئيسية ويتضاعف فيه بذلك كل ضغط ينشأ في الجذع الى عوارب ومثاق أمثاله وينتج عن ذلك أن تعلق السوائل على قشرة الأشجار الخارجية وهو ما يطلق عليه ادماء الشجر — وبه تصمد العصارات في الكروم كل ربيع ، وقد عجزت بالرغم من هذه الظواهر جميعها ابطال الزمن الغابر عن استنباط المضخات المائية الرافعة ولا زالت مجهولة حتى قبيل الجيل الحاضر ، ومنها اشتق المطاري والمضاغط والروافع المائية على اختلاف أنواعها .

فاذا خطونا في هذا المضمار خطوه أبعد نجد أن النبات هو المثل الأعلى في احتمال الضغوط الجوية على سطوحه . فبيما لا تقاوم أحدث المراحل أكثر من ٢٠ الى ١٠٠ ضغط اذا لم يقل سمك جدارها عن ٢١ من قطرها نجد أن في بعض النباتات ما تقاوم خلاياها ما هو أزيد من ذلك بكثير . فقد يزيد الضغط داخل خلية البنجر عن ٢٠ ضغط جوى مع رقة غشائها الذى يبلغ $\frac{1}{3}$ من المليمتر (أى لا يكاد يبلغ ١.٠ من قطرها) . وقد أثبت العالم الألماني بفهر استاذ علم الحياة أن خلايا الطحلب تقاوم الى ١٦٠ ضغطا جويا . أليست هذه الأرقام وحدها كافية لأن تحملنا على النظر بشك الى ما يدعونه المصر الذهبي للآلات . ألم يحسن بمد الوقت الذى يتمكن فيه عقل الانسان من السيطرة على جميع القواعد والقوانين التى ضمنها المخلوقات لاستخدامها في عمران وحضارنه الصناعية .

فاذا ما قامت حجة عند بعض المكابرين بأن العقل البشرى لم يك يوما مقيدا

بالقوانين الطبيعية بل انه ابتكر من الاشياء ما ليس له شبيه بأى الممكنين النباتية أو الحيوانية مثل بركام الكهرباء أو الدراجة أو الآلة الكاتبة . فلا ينبغي أن يغيب عن ذهن هؤلاء المكابرين من أن السباحة في الماء وفي الهواء أوفق حلاً لمشكلة الحركة من المحرك البخارى أو الكهربائى اللذين لن يستطيعا أن يسيطرا على القوة أو النشاط الكامن في الفحم الا بقدر جزئى بسيط وأن البراعة وعيش الغراب المنير وأسماك الصبقات السفلى في البحار تولد صوء بدون حرارة وأن الآلة الكاتبة أو الدراجة ليستا الا تحويراً لقواعد الروافع في جهازات الحركة في الحيوان .

الطرف والملح

قال بعض الشعراء :

وَلَمَّا أَتَيْتُ عَيْنَايَ أَنْ تَكْتُمَا الْبِكَاءَ وَنَ تَحْبِسَا سَحَّ الدَّمْعِ السَّوَائِبِ
تَثَابَتُ كَيْ لَا يُشْكِرَ الدَّمْعَ مُشْكِرٌ وَلَكِنْ قَلِيلًا مَّا بَقَاءُ التَّائِبِ
أَعْرَضْتُمَانِي ^(١) لِلْهَوَى وَتَمَتَّتَا عَنِّي لِبُئْسَ الصَّاحِبَانِ لِصَاحِبِ

روى القالى أن هند بنت عتبة قالت وهى تُرَفِّصُ ابْنَهَا مُعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

أَنْ تَنْتِ مُعْرِقٌ ^(٢) كَرِيمٍ مُحَبَّبٌ فِي أَهْلِهِ حَلِيمٍ
لَيْسَ بِفَحَّاشٍ وَلَا لَثِيمٍ وَلَا بِطَحْرُورٍ ^(٣) وَلَا سَثُومٍ
صَحْرَ بَنِي فِهْرٍ بِهِ زَعِيمٍ لَا يُخْلِفُ الطَّنَّ وَلَا يُخِيمُ ^(٤)

قال بعض الشعراء

كَمْ مِنْ هَمِي تَحْتَدُّ أَخْلَاقُهُ وَتَسْكُنُ الْعَافُونَ ^(٥) فِي دَمَتِهِ
قَدْ كَثُرَ الْحَاجِبُ أَعْدَاءَهُ وَأَحْقَقَ الدَّاسَ عَنِ نَعْمَتِهِ

(١) خطبت لبعده (٢) ضل في الطرف (٣) الطحورور الذى لا حاد بعده ولا ثبات (٤) لا يحس

(٥) العافون المستطرون

مثال من عناية الألمان بتربية أولادهم

ترجمة صاحب التوقيع

العدل في معاملة الأطفال



ان لم يكن للمرء الا طفل واحد كان العدل في حقه عبارة عن معاملته دائما معاملة متناسبة على أصول واحدة والوالدان الصالحان يتوقيان ما يحول دون ذلك من الأغلاط الجسام ولكن هذه المسألة قد تتعلق في بعض الأحيان أيضا بأمور دقيقة رفيقة وقد كتب أب مرة في هذا الموضوع مايلي :

كم تجرى دموع الأطفال من جراء عدم العدل في معاملتهم أحيانا والأمور التي يبكون من أجلها تكون عادة من التوافه لا تغيرها نحن الكبار في العادة أدنى اهتمام على أن ماليس بشيء في نظرنا قد يكون في نظر الطفل شيئا عظيما فاذا أردنا أن نكون عادلين في حقه وجب علينا قبل كل شيء أن نحاول النظر الى الأمور بعينه والحكم عليها بقلبه فالعدل في التربية لا يكون من قبيل العدل المطلق دائما وإنما هو عدل نسبي ولا يمكن أن يسمى عدلا فيها الا ما يشعر الطفل في كل حاله على حيالها بأنه عدل .

يبين لك ما أعنيه بذلك حادثة وقعت لي مع بنتي الصغيرة وهي طفلة ذكية حسنة الخلق بنفطرتها ومطبعة على الجملة غير أنها سليمة القلب الى درجة غير مأنوفة وقد تزيد في قوة احساسها شيئا قليلا عما أحبه وانها ماضيت قطء وإنما في السنتين الأوليين الى الثالثة مستها لطبات كان لابد منها وما سمعت منا أبدا كلاما عنيفا الى أن حصلت الحادثة التي أريد أن أقصها عليك لأنني جريت معها على مبدأ ألا ألومها ولا أنذرهما دائما الا بهدوء وسكينة وأن أقنعها بالأسباب والمجبع وأصلح حالها فنجحت في ذلك نجاحا مطردا — ففي مساء ذات يوم مذ كانت في نحو السادسة من

عمرها كانت في غاية الافراط في السرور والابتهاج حتى ساعة الانصراف الى النوم فكانت من لعبها في حالة تشبه الجنون بعد أن أخذت الى سريرها فنصحتها أن تلزم السكنينة غير أنها ما لبثت بعد أن تركت غرفتها أن عادت الى لعبها الجنوني وصحبها فحاولت نسكيتها مرة أخرى فذهبت محاولتي عبثاً أيضاً ولما اضطرت الى الذهاب الى غرفة نومها للمرة الثالثة زائلتى صبرى فوبختها توبيخاً شديداً مؤلماً فاندفعت الصغيرة تبكي بكاءً مهيجاً للقلب حتى صار جسمها الضئيل يرتجف منه ارتجافاً . ولم يسبق لها قط أن يكت بهذه الشدة فسألتها وأنا في غاية الدهش عن سبب بكائها فكان جوابها بعد تردد طويل منها وهي تتنحب أن قالت لانتك عنفتى هذا التعنيف الشديد ووضح لى من جوابها أن العقاب الذى أصابها لم يكن بينه وبين الذنب في نظرها أى تناسب وأنها لذلك أحست بأنه غير عادل لأنها لم تكن الا مسرورة مبتهجة ومن أجل ذلك ما كانت تستحق في رأيها مثل هذا العقاب .

ومن ذلك الحين أجنبى—وقد مضى على ذلك أكثر من أربع سنين— ارتكاب مثل هذا الجرم ولا أستطيع أن أذكر أن أبنتى عادت من ذلك العهد الى مثل هذا البكاء الذى وقع منها تلك الليلة .

تخالف الاخوة والأخوات في الأخلاق والصفات

— مع اتحادهم في التربية —

من المسائل التى جاء دور الكلام عنها في محاضرتى ضمن مسائل أخرى التخالف الكثير الذى يوجد بين الاخوة والأخوات والذى يتضح سببه من امكان تركيب عوامل التوارث امكاناً لاحد له . فما أكبر الفروق التى تكون في كثير من الأحيان بين الاخوة والأخوات . خذ لذلك مثلاً -

فن ناحية قابلية نفوسهم وارادتهم للتأثر توجد بينهم فروق ذاتية ذات شأن كبير ، وهأنذا أسوق لك مثلاً مبيتاً لهذا في المقارنة بين ولدين من أولادنا .

ذلك أن ابننا «غونتر» ربما كان أقوى أخوته من حيث قابلية نفسه للتأثر فاستعداده
للتحمس عند لقائه لكل حسن خصوصا محاسن الطبيعة لم يبلغ أقصى درجته في الحدة فقط
بل كان فيه أيضا ثبات نادر بالنسبة لسنه الصغير ولكن قابليته للتأثر كانت تكون
أقوى من ذلك أيضا اذا صادفته أمور مهيبة تنبؤ عنها نفسه ، فمن ذلك أن كل سفر لنا
الى برلين لزيارة أقاربنا كان يحدث دائما في نفسه هزة مؤلمة فالوجوه الغريبة التي
كان يراها في هذا السفر والأحوال المتغيرة والسرير الذي لا عهد له به وغياب لعبه
عنه كل أولئك كان يخرج به عن توازنه النفسى فكان يبكي كثيرا ويفعل قبل نومه من
الأفعال التي لا تليق ما يدهش — وصار يميل الى المصيان أكثر من ذى قبل وكانت
قابليته للتأثر هذه تظهر أيضا لأسباب منفردة وكان يبدو منه فوق ذلك عناد واستبداد
ولكن كان يتلوها من الندم والمطف المبتئين من أعناق قلبه ما هو أبلغ مما كان
يصدر من غيره من الأطفال وقد أدى رد الفعل الشديد في نوبة من نوب تأثره
الى صدمه كان لها عاقبة باقية طويلة . ذلك أننا كنا في مصيفنا وفي ذات ليلة تركت
الأولاد مربيتهم غير الوفية وحدهم بعد أن أغلقت عليهم باب الغرفة فشهد «غونتر»
تلك الليلة سهدا ما كان متوقعا وكان عمره اذ ذاك سنتين وأربعة أشهر وطلب المربية
ولما لم يجدها تأثر تأثرا شديدا فسمنا صراخه ولكننا لم نستطع اسعافه فورا لأن الباب
كان موصدا عليه فأضطرت الى كسر لوح من زجاج الشباك واقترعاه اليه وكان
كل ذلك في الظلام وكانت هذه الحادثة سببا في احتلال توازن القوى النفسية للغلام
زمنًا طويلا حتى لقد صار مجرد الفكر في الذهاب الى النوم سواء أكان نهارا أم ليلا
من بواعث الخوف عنده فإذا اضطجع في سريره انتابته حالات الصراخ الشديد فلا
تزياله الا اذا بقيت أمه عنده حتى يفشاه النعاس وقد جربت معه الشدة مرة واحدة
فسامت حالته ولم تتحسن الا بنقل سريره الى جانب سرير وادته وبقائه بجوارها
وقد حصلت هذه الحادثة بتمامها «للحدة» أخته وهي أكبر منه بستين ونصف ولكنها
لم تبد أثناء وقوعها خوفا ولا تخلف لها بعده عاقبة سيئة وليس هذا بالتأكيد راجعا
الى أنها أكبر منه سنا فقط بل هو راجع أيضا الى قلة قابليتها للتأثر النفسى وأما «حوا»

فانها من طرز آخر بالكية فكانت قابيتها للتأثر بالأشياء في درجة منخفضة
انخفاضاً مدهشاً وليس معنى هذا أن فيها من عدم الاحساس العام لأنها من الناحية
المبهجة للعالم فيها احساس بالسرور والفرح فزاجها صاف رائق فهي تضحك وتفرح
لأدنى سبب كما هو مسطور في دفتر يوميتها من عهد أن كان عمرها سنتين ونصفاً
وكان يتكرر في الدفتر دائماً ذكر ملاحظات شبيهة بهذه فيما بعد وكنا اذا سافرنا
الى برلين لزيادة أقاربنا نسمع على العكس من « غونتر » أنها في بيتها وقد صبرها
مزاجها المحبوب السنى حبيب لجميع الأقارب وكان كل اليأس مفتوناً بها ولم تبك مرة
واحدة تقريباً أثناء الاسابيع الأربعة التي قضيناها في برلين.

هذه البنت المرحّة الشبيهة في مرحها بالفراشة البيضاء كانت تستهين أيضاً بكل
ما قد يسبب لغيرها من الأطفال ألماً شديداً فمن ذلك مثلاً الزيارات المتكررة التي
كانت تذهب فيها الى طبيب الأسنان فانها كانت في انتظار هذا الطبيب تكون في
أتم السرور والابتهاج وكان عمرها اذ ذاك أربع سنين ونصفاً وكانت تجعل الزيارة
لنفسها في أعلى درجة من اللذة فكانت تجلس على كرسي العلاج ضاحكة وتبث فينا
جميعاً أشعة بهجتها وتفتح فمها الصغير لتدع العدة تدخل فيه كأنها قطعة من الحلوى
البنية اللون (الشكولاته) وتسمح للطبيب بحشو عدة من أسنانها دون أن يهتز لها
هدب. فاما اذا شرع أبواها في استصحاب أخويها الأكبرين للتفرغ أو زيارة المتحف
فانها لاتلبث أن تتكدر بل ربما بكّت أيضاً ولكن ما هي الا اشارة منها لها بأنها
لاتزال صغيرة جداً ودعوتها لها الى نوع من اللعب لذيد حتى ترضى بقسمتها غلام
الرضى وأما « غونتر » فكان يشعر دائماً في مثل هذه الأحوال بأنه في غاية من تكدر الحظ.
هذا الاستخفاف من الأطفال بالأشياء في الحالات المذكورة وان كان سارا
فقد يتأق في أحوال أخرى أن يكون ناشئاً من عدم التأثر فقد رأى الأطفال ذات
مرة وهم في المصيف دودة من دود الفراش كان وضع فيها زنبور بيضه ثم أبصروا
الديدان الصغيرة تخرج منها بالئات وهي لاتزال على قيد الحياة فكان هذا المشهد

بالنسبة لنا نحن الكبار كما كان في نظر «هلدة» التي كانت في منتصف الحادية عشرة من عمرها مؤثرا تأثيرا يقشر منه البدن ووجده «غونتر» أيضا رائعا على أنه قد غلبه حب الاستطلاع فأخذ يرقب الحادثة بمظاهرة المكبر وأما «حواء» (وكان عمرها اذ ذاك خمس سنين وثلاثة أرباع سنة) فقد بقيت في منزل عنها غير أبهة لها وانما كانت تنظر اليها تقليدا لغيرها بل كانت تتكلم معهم أيضا بشأنها قائلة أنها رائدة ولكننا لم نكن نشعر مطلقا بأنها كانت تشاركنا في التأثير بهذه الحادثة *

أكاذيب الأطفال

ليس كل قول للطفل مخالف للواقع يعتبر كذبا بل لا يمكن أن يعتبر كذبا الا ما كان مقربا بعلم مخالفته للواقع وبقصد غش الغير — فاذا استعمل هذا المقياس في تقدير أقوال الأطفال نتج منه أن كثيرا من أقوالهم المخالفة للواقع التي تسبب في كثير من الأحيان لوالديهم شغلا شاغلا ليست على البجلة من قبيل الكذب مطلقا لخلوها من خاصيته وهما العلم بعدم صحة القول والقصد الى الغش فيه . كيف يتأني أن يصدر من الأطفال مثل هذه الأقوال المخالفة للواقع بلا قصد ؟ لابد أن تعد من هذه الأقوال أولا الطائفة الكبرى من أوهام الذاكرة التي يعتبرها الوالدون غير المجريين — ويؤسفنا أنهم لا يزالون مفرطين في كثرتهم — أكاذيب حقيقية ويماملونها على مقتضى هذا الاعتبار .

كثير من أوهام الذاكرة خصوصا عند الأطفال مبنى على نقص العلم بزمن الحوادث فان الطفل في السنين الأولى من حياته لا يكون قد بلغ بعد أهليه ارجاع أية حادثة وقعت بالفعل الى وقت وقوعها من الماضي بالضبط فان الأطفال في هذه السنين لا يزالون يعوزهم ادراك أى معنى للوقت فهم لا يستطيعون بعد اذا وقع لهم

أمر من الأمور أن يميزوا ان كان وقع أمس أو كان قد وقع قبل ذلك بأسابيع أما إذا بدا النظام والوضوح في ذاكرة الطفل فقد يكون ذلك أمارة على نضوج عقله فيه وينشأ من عدم العلم بالوقت هذا بالضرورة أقوال مخالفة للواقع لاحتصر لها .
وليست أوهام الذاكرة في الأطفال مبنية على نقص العلم بالوقت فقط بل تنشأ أيضا من أن كثيرا من الحوادث لا تنطبع في نفوسهم الا انطباعا ناقصا ويرجع معظم هذا الى نقص الملاحظة في الطفل .

فن لو ازم الأطفال أن يكون فيهم الى ما يقارب السنة العاشرة من عمرهم نوع من الخفة والطيش فما تلقاه نفوسهم في مثل هذا الطور غير المطنن من حياتهم لا يرسخ فيها بالضرورة ولا يعقب أية صورة مستبينة له ما لم تكن الحادثة والد كرى المتعلقة بها سارتين سرورا واضحا على وجه خاص ، غير أن معظم آثار الحوادث التي تكون من نوع لا يؤثبه له لا تعقب في نفس الطفل أثارا بليغة ومن ذلك يصدر كثير من الأقوال المخالفة للواقع عن غير قصد سيء حتى ممن صاروا كبارا من الأطفال وتتوارد أمثلة وافرة العدد لمثل هذه الأقوال المخالفة للواقع بلا قصد في حياة الأطفال المدرسية حتى الكبار منهم فمن ذلك ما حكاه مرة الاستاذ « والتر كلوج » الحائز للقب مستشار المعلم باحدى المدارس المركزية في محاضرة له قال : ان غلاما في الثامنة من عمره من تلاميذ فصله أخبره يوما أثناء الدرس وهو متأثر جدا أن مقلته سُرقت وأنها كانت لا تزال موجودة عنده الى ما قبل الدرس حتى لقد أخذ منها قلم رصاص وزعم ستة من الاولاد الجالسين على مقربة منه زعما مؤكدا قويا أن هذا الأمر قد حصل ، فأرسل الغلام الى بيته ليبحث فيه أولا فريما كان قد نسي المقلنة هناك فصاح الظن ووجدت في البيت بسلام فوق خزانة المطبخ، وقد يوجد مثل أوهام الذاكرة الظاهرة هذه أيضا حتى عند البالغين الرابعة عشرة من عمرهم فقد ورد في مجلة المعلمين اللابزيجية، في مجموعتها السابعة عشرة بالصحيفة ٣٧١ ذكر للحالة التالية وهي . أنه قد استقر النظام في مدرستنا على أن يسلم جزء من أدوات التعليم لبعض فتيات موثوق بهن من الفصل الأول ففي هذه الأيام أشتكت إحدى التلميذات

(وهي الثانية عشرة من سبع وأربعين) أنها فقدت محفظة كتبها في الصباح من مخزن الأدوات ولما سألتها هل هي متيقنة من احضارها معها كان جوابها بالإنجاب مؤكدة مصرة على قولها بل قالت أيضا لو أن أمها كانت رأت المحفظة في البيت لكانت بلا شك أحضرتها الى المدرسة وعلى ذلك سألت البنات الباقيات هل في استطاعتهم أن يؤكدن أن التلميذة المذكورة كانت أحضرت معها المحفظة فبرزت لي اثنتان منهن فسألتها هل رأيتا يقينا المحفظة في بكرة اليوم مع هذه التلميذة فقالتا نعم فقلت لهما أننا نعلم أن الشهود يجب عليهم أحيانا أن يخفوا أمام المحكمة فهل نستطيعان تأدية اليمين على أن المحفظة كانت معها لما قابلتها صباح اليوم فترددت أحدهما وقالت الأخرى في ثبات وكانت أذكي منها نعم وبعد انقضاء فترة الاستراحة قيل لي إن أولادا آخرين رأوا المحفظة أيضا في يد التلميذة . ولما كان اليوم التالي جاءت الفتاة تحمل محفظة كتبها كمادتها وقالت أنها كانت نسيبتها في البيت .

فمعظم أوهام الذاكرة هذه تتعلق كما قلنا أننا ننقص الملاحظة الناشئة من نقص التعلم والتجربة وإنما الذي يصير كسبا لنفس الإنسان حقيقة ويكون من عملها الخاص هو الذي تتلقاه عن بيئة وفي حالة تجمع الفكر فهذا هو الذي يرسخ في الذاكرة رسوخا قويا جليا وفي هذه الحالة وحدها يصح له أن يقول أقوالا غير أنه قلما يكون في الكبار أنفسهم من يستطيعون ملاحظة الأمور ملاحظة صحيحة بفكر مجتمع ولا يقولون إلا ما يكونون على يقين تام بصحته فكم يكون الأطفال أهل منهم في ذلك. كثير من الناس لا يعرفون مطلقا كيف أننا معاشر الآدميين نخطئ في ملاحظتنا للأمور وندعي حصولها بلا روية خصوصا إذا حملنا على ذلك بتوجيه أسئلة موضوعة وضما خاصا وهي المسألة بالاسئلة المشمرة بالجواب وقد أجريت تجارب متكررة في ذلك العهد الحديث من علماء أحوال النفس على الأطفال والبالغين فأفضى معظمها الى حوادث مدهشة . خذ لك منها على الأقل مثلا واحدا :- كتب المعلم البرسلوى «قوزوق» في مقال له طويل في الصدق والكذب عند أولاد المدرسة نشر في مجلة المدرسة الألمانية سنة ١٩٠٧ من صحيفة ٦٥ الى صحيفة ٧٨ ضمن موضوعات أخرى

تكلم فيه عن التجربة الأولى التي دبرها مرة في فصله فقال : وضعت يوما قبل البدء في الدرس ثلاثة أشياء هي قلم ومبراة وقطعة من الطباشير على حافة مكتب المعلم بدرجة من القرب يستطيع فيها جميع التلاميذ أن يروها رؤية مستينة وبعد أن خرجوا الى فناء المدرسة في فترة الاستراحة نحت هذه الاشياء عن مواضعها لاسألم قبل البدء في الدرس الثاني عما عسى أن يكونوا رأوه فوق المكتب أثناء الدرس الأول فمع أنهم لم يكونوا مشغولين في هذا الدرس لابقراءة ولا بكتابة بل كانت أبصارهم دائما متجهة الى المكتب قد غابت هذه الاشياء عن ملاحظتهم غايبا تاما غير أن اثنين منهم دون غيرهما وهما من أضعفهم فطنة قالوا انهما كانا لاحظا وجود المبراة وفي اليوم التالي جربت تأثير الاشعار بالجواب في السؤال بأن جعلت المكتب أثناء الدرس الأول خاليا من كل شيء واقفيت عند بدء الدرس الثاني على التلاميذ نفس السؤال الذي القيته في اليوم الماضي فأجاب عنه ٢٦ ./ منهم بأنهم رأوا المبراة و٥٧ ./ . بأنهم رأوا الطباشير و٦٣ ./ . بأنهم رأوا القلم فليتصور ماعسى أن ينبجم من الضرر للغير ممن تنقصهم الملاحظة الى هذا الحد فيتكلمون كلاما غير مطابق للواقع بهذا القدر (بدون أى قصد سيئ منهم) اذا اقتضى الحال استشهادهم أمام المحكمة وسألتهم شهودا في قضية مهمة .

فالتربية على الصدق في الملاحظة والصدق في القول هي من الأمور التي كان ينبغي حتى على معظم الكبار أن يعموا بها فيجب علينا قبل كل شيء أن نرشد أولادنا الى أن يأخذوا أنفسهم بالمران عليهما فالتجارب التي من قبيل التجربة السالف ذكرها من شأنها مثلا اقتناع الطفل بضرورة مثل هذا المران وادا كان في المربي شيء من الخدق فلا يبعد عليه أن يبرزه في صورة من صور اللعب .

وتمت يقبوع آخر لكثير من أغاليط الذاكرة وهو عالم الأحلام فقد يحصل عند الكبار أنفسهم أحيانا أن حوادث شديدة الجلاء والظهور لم تكن حصلت لهم الا حلا وتكون قد أنطبعت صورها في ذاكرتهم أنطباعا شديدا يعتبرونها فيما بعد حوادث واقعية حتى أنهم في مثل هذه الأوقات لو أرادوا أن يحكموا عليها حكما يقينيا هل

هى صورة ناشئة من أمر واقع أو أنها لم تنشأ الا في حلم لما استطاعوا أحيانا الى ذلك سيلا . فقد حكى لى أحد معارفى مرة الحادثة التالية التى وقعت لزوجه قال . حلمت زوجتى أنى أعطيتها ٢٥٠ ماركا وأنها وضعتها في المحفظة التى كان من عاداتها أن تحفظ النقود فيها وفي اليوم التالى زارها ضيوف ففى أثناء حديثها معهم رأت المحفظة المذكورة موضوعة على الميزف (البانكو) فقالت في نفسها ياله من طيش عسى أن تكون النقود باقية فيها الى الآن وخطت خلسة الى الميزف وفتحت المحفظة فلم تجد فيها (طبعاً) المائتين والخمسين ماركا المتحدث عنها فاتتابها من جراء ذلك أشد الرعب ولم يتجمل لها الا امر الا روبدا فذكرت أن قصة النقود لم تكن الا حلما .

فقل هذه الأحوال التى تكون فيها الحدود بين الحلم والواقع غير مستبينة تكون عند الأطفال بالضرورة أكثر من ذلك بكثير وتولد (بغير ارادة منهم مطلقا) من أقاصيص الكذب مالا يصدر الا عن جنون ودونك مثلا لذلك مؤثرا بوجه خاص روته لى مرة أم من بنتها التى فى الرابعة من عمرها قالت : فى بكرة يوم عانقتى طفلى ودموعها قيل على خديها وكانت لاتزال فى درع نومها وأبتدئى بهذا الاعتراف قائلة : أماء انى كسرت طستك الكبير المزخرف بالجدائل الوردية كسرتة كله بالاختصار فضحكك وقلت لها حسبك أيتها المرائية الصغيرة لآنى فى هذا الوقت نفسه اغتسلت فى هذا الطيب ولكنها رغما من ذلك أصرت على زعمها وهى تنحعب من ألم الندامة ، عندئذ انطلقت بها الى غرفة النوم وأريتها الطيب سليما فلم تكن نتيجة ذلك الا بلوغ تأثرها غاية واستمرارها فى الانتخاب وقولها انى مع ذلك كسرتة وبعد قليل قصت على أيضا قصة كلها مصطادة من الهواء وكان ذلك فى بكرة اليوم أيضا فعاقبتها هذه المرة على كذبتها بعدم الاذن لها فى التنزه معى فلما سمعت المذئاب حدثت فى بعينين عنيدتين وقالت ولكن مع ذلك قولى صحيح ولم تجد الأم حلا مطمئنا لهذا اللغز الا فيما بعد اذ أصيبت البنت بحمى خفيفة وكانت تتكلم فى حلمها كما يتكلم اليقظان .

فإذا ينبغي على الربى أن يعمل في مثل هذه الأحوال يجب عليه قبل كل شيء أن يتحاشى عقاب الأولاد بل عليه أن يعينهم على أن يعرفوا رويدا كيف يميزون بين الحلم والواقع .
عبد العزيز محمد

الجرائم تنكس منى لا ترى

يقول الدكتور فليب هادلى بمدرسة الطب بجامعة متشيجان ان تحليل الجرائم قد أصبح أكثر صعوبة الآن عما كان عليه من قبل فالجرثومة العادية صغيرة جدا اذا بلغت تمام نموها حتى أنه يمكن للألف منها أن تقب على رأس دبوس بدون أن تمرض واحدة طريق الأخرى . وقد أثبت الدكتور هادلى أن الجرائم في بعض أدوار حياتها تكون متناهية في الصغر حتى أنه يتمذر بينها بأقوى مجهر وقد تمكن من تحويل بعض الجرائم الى أجسام دقيقة جدا لا ترى بلغ من دقتها أنها تستطيع أن تهضم نفسها في مسام شمعة المرشح الخزفي وبعد أدوار خاصة تعود الى حجمها الطبيعى .
وتقول الدوائر العلمية أن هذه الاستكشافات سيكون لها شأن خطير في عالم الطب فادا كان من الممكن للجرائم أن تنتقل خفية في نصف حجمها الطبيعى حتى لا يمكن تبينها بالمجهر فليس هناك وسيلة من وسائل الكشف الطبى الحالية لكشفها في سائل أو جسم مصاب . كذلك ليس هناك سبيل لمعرفة ما اذا كانت هذه الجرائم تتراعى في صورة الميتة أو هي ميتة حقا وإن مثل هذا الإبهام مما يحمل التشخيص الطبى الدقيق من الصعوبة بمكان كبير

نقل

ورد من حضرة الامتداد صاحب التوقيع ما يأتي :-

عُثِرَ على جملة بها كلمة محرفة عند قرائتي في الجزء الرابع من المجلة ، وهذه الكلمة توجد تحت عنوان الطرف والملح ص ٢٦٧ وهما هي الكلمة في العبارة الآتية .

« فقالت الأرنب يا أبا حنبل قال سيما دعوت قالت أتيتك لنختم اليك قال عادلا حكما » ها وقفت على كلمة حكما وتأملت « معناها جيدا فوجدته لا يتفق والامثل المضروبة فخرمت تحريفها ثم عدت إلى صحيفة صواب الخطأ فلم أجدها بها ففكرت مليا ولما تيقنت بتحريفها مره ثانية علمت بانها سهوة من الكاتب وتحريف مطبعي صحته هذا . . .
« قال عادلا حكمتما » أليس كذلك ؟

وأیضا توجد في صفحة ٢٧٤ من هذا الجزء نفسه توحيد هذه العبارة (فيمن شكر معروفه) وصحتها (فيمن شكر معروفك)

محمد كيلاني سالم
مدرس بطنطا

أرجو الافادة في الجزء الخامس والله الموفق

الجواب

جاءت العبارة (عادلا حكما) في الجزء الرابع تحت عنوان (الطرف والملح) فكتب حضرة العاقل الى ادارة المجلة يحرم بانها محرفة وصوابها (عادلا حكمتما) بنشديد الكاف .

ومح نرى ان الأنسب والأكثر في رواية هذه العبارة هو كلمة (حكمتما) بالكاف المشددة ولكن لا نستطيع الجزم بتحريف العبارة التي وردت في المجلة وهي التي رأيتها للكمال الديميري في ترجمة الأرنب .

أما العبارة الثانية الواردة في ص ٢٧٤ من الجزء الرابع نفسه وهي (فيمن شكر معروفه) فلورجم حضرة الفاضل الى سياق الحديث لحرم بصحتها كما وردت دون توقف والتوفيق بيد الله .
حسن منصور - وكيل دار العلوم

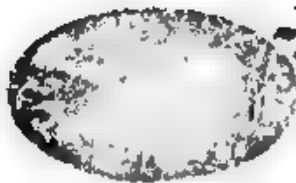
مَدِينَةُ كَرَمَ قَدْ نُورُ وَكَانَتْ مَبْنًى بِهَ أَفْهَمَ نَافِعَ رَضَوَانَهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَعْرَضَهُ بِرَأْفَتِهِ إِلَى سَوَادِ نَفْسِهِ وَنَهَى عَنْهُ بِأَلَى صِرَافِهِ فَتَقَبَّلُوهُ

بَقَاءُ الْأَسْئَلَةِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكيمية

تصديرها ميسخرا لأزهر الشريف

أول كل شهر عري



المستشرق محكمة الاستئناف
ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى

عبد الحليم

مدير إدارة مجلة :

السيد محمد الخضر حسين من علماء الأزهر

رئيس التحرير

مكتب المجلة بالمديرية العامة للمعاهد الدينية بشارع الدواوين رقم ٤٧

« تليفون : ٣٥٠٧ »

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

داخل القطر للمصري ٤٠

٢٠ / علماء غير المصريين وطلة للمعاهد والمدارس

٥٠ / خريج القطر المصري

٣٠ / طلة المعاهد والمدارس

تجيز المشترك المصري

سجل ثمة المسجل والمدونين ومعلمو المدارس الأوتة معاه لطلاب

ومن لجزء الواحد ٣ صاع داخل القطر و ٤ خارجه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صدق العزيمة - أو قوة الإرادة

يخطر في النفس أمر فتشك بأنه حق أو نافع ، فتحرص على حصوله ، فإذا أصافت إلى هذا الحرص النظر في وسيلة بلوغها إياه ، وبدا لها أنه في حدود استطاعتها ، فسرعان ماتقبل عليه وتبذل سعيها للوصول إليه ، وذلك مانسب إليه بالعزم أو الإرادة .

فما يخطر في النفس مما تعتقد حقيقته أو نفعه ، وتود أن يكون حاصلًا لديها ثم لاتسمى له سعيه ، ولا تضع لبلوغه خطة ، فأنما هو التمني الذي لايفرق بين المحال والمستطاع ، والذي يخطر في نفوس القاعدين كما يخطر في نفوس المجاهدين ، وما مثله الا كمثل الشرر الذي يلمع حول النار ثم يتصاعد هباء .

وإذا تحدثنا في هذا المقال عن قوة الإرادة وذهبنا في حديثها مذهب خصال الحمد ، فأننا نعني الإرادة المتوجهة إلى ما هو خير ، ومن أفضل ما يمدح به الرجل أن يتوجه بعزمه القاطع إلى اظهار حق أو اقامة مصلحة .

تنشأ قوة الإرادة من التجارب ، فمن تعلق همه بأمر كان قد عرف بطريق التجربة أنه ميسور وأن عاقبته سلامة ونجاح ، انقلب همه في الحال عزمًا صادقًا ، أما من لم تسبق له تجربة فقد يتخيل الأمر بمكان لاتتاله يده ، أو يخشى من أن يلاقى وراء السعي إليه خيبة ، فيقف في تردد واحجام ، فذو العمر الطويل من أولى الالباب قد يكون أسرع إلى بعض الأمور وأشد عزمًا عليها من حديث السن ، لما تقيده التجارب من امكانها ونجاح السعي لها .

وتنشأ قوة الإرادة من درس التاريخ ، فالذي يخطر في باله أمر قرأ في سيره شخص أنه كان قد هم بمثله وعمل لحصوله فنجح عمله وصلحت عاقبته ، شأنه أن

يعزم على ذلك الحاطر ويحمله بعد العزم عملاً نافذاً ، فمن يخطر في باله ان يدعو الحاكم الجائر بالموعظة الحسنة ، وقد قرأ سير العلماء الذين كانوا يأمرون بعض الجبارين بالمعروف ويأثمرون ، او يكظمون في الأقل غيظهم ولا يبطشون ، يكون أقوى عزماً على الدعوة ممن لم يقرأ في هذا الشأن خبراً ، لما عرفه من أن للحق الذي يخرج في أسلوبه الحكيم سطوة على النفوس وان كانت طاغية ، فيقدم على وعظه في دفع وحسن خطاب ، فان لم يهده سبيل الرشد فصى حق النصيحة له ، وما على الذين أوتوا الحكمة الا البلاغ .

وتنشأ قوة الارادة من أدله خاصة تجعل الرجل على يقين من نجاح العمل وحسن العاقبة ، واعتبروا في هذا بتصميم أبي بكر الصديق رضي الله عنه على قتال أهل الردة ومائتي الزكاة ، فانه كان عالماً بأنه على حق من قتالهم ، وكان على ثقة من أنه سينتصر بنفسه القليلة على جموعهم الكبيرة . ومما دله على أنه الظاهر وأن المرتدين عر الدين لا يملحون قوله تعالى (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) ولو قاعد أبو بكر عن جهاد تلك القبائل وخلي الردة تمتدح في جزيرة العرب وباء فاتكالا نقصت عرى الوحدة العربية الاسلامية ولم يستقم أمر تلك الفروع التي كانت عاقبتها ظهور دين الحق على سائر الأديان .

وتنشأ قوة الارادة من كمال بعض السجایا الاخرى وبلوغها غاية قصوى ، كسجية ابناء الضيم تهز الضمير وتثير في نفسه العزم على أن يدافع القوى عن حقوقه ما استطاع دفاعه ، وكذلك خلق الشجاعة يجعل الرجل أمضى عزماً وأسبق الى الحروب من الجبان الذي يمثل له الموت في كل سبيل .

ومما يساعد الرجل على صدق العزيمة خلق التعفف وشرف الهمة ، فلتجدن أنزه القوم نفساً وأبعدم عن الطمع وجهة ، أشد عزمًا على أن يقول حقاً أو يعمل صالحاً وان لم يرض عن قوله الحق او عمله الصالح ذو مال او سلطان .

تفاوتت الارادة في القوة ، وتفاوتتها على قدر قوة شعور الرجل بما للشيء من حقبة أو نفع ، وعلى قدر ثقته من تيسره وامكان حصوله ، فالذي أتقن علما فأحاط بأصوله وغاص على أسرارده يكون عزمه في الدعاية الى الأعمال المرتبطة به أقوى من عزم ذلك الذي وقف في دراسته عند حد لا يجعله من أعلامه . والرئيس العادل يكون أقوى عزمًا على حرب أعدائه من الرئيس الجائر ، لأن العادل يثق من قومه بحسن الطاعة أكثر مما يثق الجائر ، ومن ظفر من قومه بحسن الطاعة فقد ظفر بأكبر أسباب الفوز والانتصار .

نقرأ في التاريخ أن المنصور بن أبي عامر الذي جذب عنان الملك من يد هشام ابن الحكم في فرطبة قد غزا ستا وخمسين غزوة دون أن تتكسر له راية أو يتخاذل له جيش ، أو يصاب له بمقتل ، أو تهلك له سرية ، ومن درس سيرته لم يعجب لهذا الانتصار المطرد ، اذ يجد فيها عدلا ومساواة يأخذان النفوس الى أن تلقى اليه بالموءدة والامتنال ، ومن الأخبار الشاهدة بما وصفنا أن رجلا من العامة وقف بمجلسه وقال له : ان لي مظلمة عند ذلك الوصيف الذي على رأسك ، وأشار الى الفتى صاحب الدرقم^(١) وكان الفتى فضل محل عنده ، فقال المنصور : ما أعظم يليتنا بهذه الحاشية ، ثم نظر الى الفتى وقال له : ادفع الدرقم الى فلان وانزل صاغرا وساو خصمك في مقامه حتى يرفعك الحق أو يضعك ، ثم قال لصاحب شرطته الخاص به : خذ بيد هذا الفاسق الظالم وقدمه مع خصمه الى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه باغلاظ ما يوجه الحق من سجن أو غيره ، وبعد أن جازاه القضاء بما يستحق أبعد المنصور عن خدمته ، وصاحب مثل هذه السيرة حقيق بأن يكون له متى هم بالحرب عزم لا يخلج بردد من وضع أمامه غاية شريفة ورام من قومه العمل لها بعزم لا يخالطه فتور ، ما عليه الا أن يريهم بالاسلوب السائق والدليل المقنع وجه شرف تلك الغاية ، ثم يصف لهم طريقها الناجح ، فلا يكون منهم الا أن يتسابقوا اليها ويقتحموا كل عقبة تلاقيهم في سبيلها .

فاذا رأيت قوما يذكرون في صباحهم ومساءهم شيئاً من معالي الأمور ولم ترهم يسمعون له سعيه ولا يتقدمون اليه بخطوة فاعلم أن العزم لم يأخذ من قلوبهم مأخذه ، فهم إما أن يكونوا عن حقيقته وشرف غايته غائبين وإما أنهم ضلوا طريقه وما كانوا مهتدين .

واذا ذكرنا العزم النافذ في خصال الشرف فافقا نريد الاقدام على الأمر بعد استبانة عاقبته ولو على وجه الظن الغالب ، وذلك ما عينه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله « ولكن الحرب لا يصلحها الا الرجل المكث » والمكث من لا يخفف الى الهجوم الا بعد روية وتدير .

ولا يبعد في قلة العزم أن يستين الرجل الحق أو المصلحة ويقف دون عزمه مانع ، كأن يعلم أن عقول الجمهور لا تتسع لقبوله ويخشى الفتنة فيرجئها ريثما يمهدها بما يجعله مقبولا سائفا ، قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر يا أبت مالك لا تنفذ الأمور ؟ فوالله لا أبالي في الحق لو غلبت بي وبك القدور ، فقال له عمر : لاتعجل يا بني ان الله تعالى ذم الحر مرتين وحرهما في الثالثة ، واني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه وتكون فتنة .

ولا يبعد في قلة العزم أن يرى الرجل رأيا ويمقد النية على انفاذه ثم يبدوا له على طريق الحجة أنه غير صالح فينصرف عنه ، وقوى العزيمة هو الذي تكون ارادته تحت سلطان عقله ، فيقبل بها على ما يراه صوابا ، ويدبر بها عما يراه فسادا .
واذا قال الشاعر مادحا .

إذا همم التي بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

فانما يريد الهمم الناشئ عن رجاحة رأى ، وقوى العزم متى بصر بالامر ووثق بأنه سداد قطع نظره عن العواقب ونهض له في قوة ، أما ضعيف العزم فانه يترك نفسه مجالا للخواطر وذكر العواقب ، هذه تغريه على العمل ، وهذه تصده عنه حتى تقوت الفرصة وينذهب وقت العمل ضائعا .

ومن صرامة العزم أن تفرغ فؤادك من كل داعية شأنها أن تلتحق بعزمك وهنا أو تصرف وجهك عنه صفحا ، وتمثل هذه الصرامة في عبد الرحمن الداخل (صقر قريش^(١)) إذ خرج من البحر أول قدومه على الأندلس وأهدب له جارية بارعة الجمال ، فنظر إليها وقال : ان هذه من القلب والعين بكان ، وإن أنا شغب عنها بما أهم به ظلمتها ، وإن أنا اشتغلت بها عما أهم به ظلمت همتي ، فلا حاجة لي بها الآن ، ورددها على صاحبها .

وكثيرا مايحجب التردد في الامر من ناحية الشهوات والمواطف ، كالذي يشق بما في طلب العلم من خير وشرف ويقعده عنه حب الراحة وإثارة ما تنزع اليه النفس من اللذات الحاضرة ، والذي يقول

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة فان فساد الرأى أن يترددا
إنما ينبه على التردد الناشئ عن نحو الشهوات والمواطف ، فذلك هو التردد المفسد للرأى والموقع في خسر .

لقوة الإرادة أثر في انقلاب حال الافراد والجماعات عظيم ، فكم من فني يساويه في نباهة الذهن وسائر وسائل السؤدد فتيان كثيرون ، ولكنه يجد من قوة الارادة مالا يجدون ، فيكون له شأن غير شأنهم ، ويبلغ في المحامد شأوا أبعد من شأوهم ، ولو نظرت الى كثير ممن ظهوروا أكثر مما ظهر غيرهم ، وأقمت موازنة بينهم وبين كثير من لداتهم لم تجد في اولئك الظاهرين مزية يرجع بها وزنهم غير أنهم يهيمون بالامر فيعملون .

وإذا جمعت تتقصى أثر دولة الموحدين التي وضعت قدمها في فاس وبسطت اجنحتها على الأندلس والجزائر وتونس ، وجدت أقصى هذه الدولة همة طففت بها نفس محمد بن تومرت بعد انصرافه عن مجالس أبي حامد الغزالي وأبي بكر الطرطوشي وغيرهما عائدا الى بلده بالمغرب الأقصى .

(١) قال أبو جعفر النصور لاصحابه يوما : اخبروني عن صقر قريش ، ودكروا له طائفة من الخلفاء وهو يقول (لا) فقال : من يا أمير المؤمنين فقال : عبد الرحمن بن معاوية الذي عبر البحر ونطح القفر ودخل بلد أعجيبا مرردا فصر الأعمصار وهدد الأحقاد ودون الدواوين وأقام ملكا مد قطاعه ، غس تدبيره وشدة شبكه .

وكم من أمة أو دولة لم يقضها من يتنى بها سوء سوى قوة الإرادة ، وقد يكون فيما صنع هرون الرشيد بالبرامكة غلو في الانتقام وسرف في القتل ، ولكن تنقية مناصب الدولة منهم لم تكن إلا بنت اليقظة والإرادة التي لا يأخذها التردد في قطع المكر السيء من جذوره ، وإذا صح ما يصفهم به بعض أهل ^(١) العلم من أنهم كانوا يكيدون للإسلام كيد الباطنية ، كان لهرون الرشيد موقف خير من موقف المنتقم للملكه أو ملك أسرته من بعده .

فإذا كان صدق العزيم من أفضل خصال الشرف وأجلها في الإصلاح أثرا ، فحجدر بإساليب التربية أن يعطوه من عنايتهم نصيبا وافرا ، وحقيق بالرجال القوامين على الشؤون العامة أن يأخذوا به أنفسهم ، ويقيموا شاهدا على كفايتهم ، فإن ما بيننا وبين المدنية الفاضلة والحياة الآمنة مسافة طويلة المدى ، صبة المرتقى ، إذا لم نقطعها بالعزم الصارم والعمل المتواصل ظلمنا أنفسنا ، ولم نقض حق الأجيال بعدنا ، فمن واجبه علينا أن نبني لهم صروحا من العز شائخة ، فإن لم نستطع هيتنا لهم أسسا ليرفعوا عليها قواعد الشرف والمنعة ، فإذا هم أحرار في أوطانهم حقا ، مكرمون لنزلائهم طوعا .

وب اقترن العزم الصحيح بأدب التوكل على من بيده ملكوت كل شيء إلا كانت عاقبته نجاحا ورشدا (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) .

محمد بن خضر حسين

(١) هذا ما فردة القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب القواصم والعواصم

النفس

تفسير قصة شعيب عليه السلام

٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد عرفت مما قدمناه في المدد الخامس أن قول أهل مدين رسولهم عليه السلام (يَا شُعَيْبُ أَصْلَافُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَنْبَغُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) قد تضمن ثلاث مقالات شنيعة ، فالمقالة الأولى قولهم (أَصْلَافُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَنْبَغُ ءَابَاؤُنَا) والمقالة الثانية قولهم (أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) والمقالة الثالثة قولهم (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) .

فأما المقالة الأولى فقد مضى الكلام فيها مفصلاً ، وأما المقالة الثانية فإنها جواب سوءه عن أمره عليه السلام لهم بإيفاء الحقوق ونهيهم عن النقص والبخس ، وهي كسابقتها قد دلت على ركاكة عقولهم وفساد متأصل في نفوسهم ، فأنهم كما فرطوا في حق الله تعالى عليهم بأشراكهم غيره معه في العبادة كذلك فرطوا في حقوق الخلق واستهانوا بها واستحلوا أكلها بالباطل وسوّغوا لأنفسهم تطييف المكيال والميزان وبخس الناس أشياءهم .

أمرهم عليه السلام أمراً تلقاه عن وحى الله عز وجل مؤيداً له بالبرهان القاطع ، فكان من عنادهم وعتوهم أن اتهموه عليه السلام بأن صلاته التي يمتدحون بطلانها هي التي تأمره بذلك وترتبه له ، يريدون أنه ليس صادراً عن الله تعالى وليس من وحيه سبحانه في شيء .

هذا هو مرادهم بقولهم (أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) . أى أصلاً تلك العائدة التي تنقرب بها الى غير آلهتنا تُخَيِّلُ اليك وتوسوس لك أن تترك فعلنا في أموالنا وأن تعدل عن تصرفنا فيها على حسب مشيئتنا وعلى طبق اختيارنا وأن نهجر ذلك الى ما تأمرك به صلاتك ؟ تريد بذلك الحرج علينا فيما نملك والتصديق علينا فيما لنا فيه السعة والحرية المطلقة ، لكننا لن نستجيب لك ، بل إن رأينا مصلحتنا في الإيفاء أوفينا وإن رأيناها في غيره عطينا لها ، ففاننا مصلحتنا التي نراها ، وهي تبرر الوسيلة ايّا كانت وإن زينت لك صلاتك ما زينت .

هكذا زعم أهل مدين ، وقد جهلوا أو تجاهلوا ما يترتب على سوء أفعالهم هذه من أنواع الضرر وصنوف الفساد وانتشار الفوضى والارتباك في المعاملات وزوال الأمانة واستحكام الخيانة وصياع الحقوق الى غير ذلك من ضروب الفساد واختلال نظام هذه الحياة .

لقد اخطأ أهل مدين اذ رمحوا أن مملك المال يُخَوَّلُ لما لكة أن يتصرف فيه كيفما شاء ، بل إن الملك انما يسوغ التصرف في المال على وجه المصلحة التي يُجيزها العقل والشرع الالهي وعلى طبق السنن الذي يُحفظ به نظام المجتمع الانساني ويؤدي الى المنفعة الخاصة والعامة معا .

بهذا قضت العقول السليمة التي لم تـدنس بـرجس الطمع المقوت ، ثم جاءت الشرائع الالهية الحكيمة على وفق حكم تلك العقول موصحة للناس الصراط السوي الذي يجب عليهم أن يسلكوه في التصرف في أموالهم واضعة لهم الحدود التي يقفون عندها في معاوضاتهم ومبادلاتهم زاجرة من مخالفتها ويحيد عنها ومنذرة له بسوء المآل . شاكراً ممن وقف عندها وحرص على العمل بها ومبشرة له بالجزاء الاوفى في الدنيا والآخرة .

كل ذلك رحمة من الله تعالى بعباده حتى اذا استقاموا على شرائعه وعملوا بتعاليمه حفظوا أموالهم من الضياع ووصلوا بحسن التصرف فيها الى نيل منافعهم ومطالبهم وكان تصرفهم فيها كما أيرؤا قرباً الى الله عز وجل ليُدبّرهما عليهم ويريدم منها ويشكرهم

عليها ، واذا ذاك يقدر الناس نعمة الله تعالى عليهم بالأموال حقَّ قدرها ويعلمون أنه انما جعلها قياما لهم وأساسا متينا تقوم عليه مصالحهم وتنظم به معاشهم اذا التزموا العمل بما شرعه لهم فيها .

ثم انظر بعد ذلك الى عظم رحمة الله تعالى بالمباد وعنايته سبحانه بهم فيما يتعلق بأموالهم أنه جعل أموال الواحد منهم كأنها ملكٌ لهم جميعاً نظرا الى أن الانتفاع بها قدّر مشتركٌ بينهم ، ولهذا أصاف سبحانه الأموال اليهم في الآية الآتية ، ولهذا ايضا نهاهم عن أن يدفعوا أموال السفهاء اليهم ما داموا سفهاء لا يؤمنون على حيازتها ولا يحسنون التصرف فيها وذلك قوله عزّت أسماؤه (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا) وقوله في شأن اليتامى (فَإِنْ أَسْمَئْتُمْ مِنْهُمْ رُّشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ) . وأما المقالة الثالثة فهي خاتمة سبائهم في ردّهم على رسول الله شعيب عليه السلام بدّوا ردّهم على رسولهم بتكذيبهم وكفرهم بما بلّغهم عن ربهم من أحكام دينه القويم التي هي قوام سماعتهم وصالحهم . ولكهم لم يقيموا على ما ارتصوه لأنفسهم ديناً من الشرك والاخلال بحقوق المباد دليلا من عقل أو قتل ، وكفى بذلك برهانا على عجزهم وفساد عقولهم وبطلان دينهم .

ثم ختموا ردّهم هذا ببسط السننهم بالشوء في حق رسولهم سيدنا شعيب عليه السلام فلمزّوه بما عصمه الله تعالى منه ووصفوه بما يعلمون أنهم فيه كاذبون .

وصفوه عليه السلام بوصفين هما الحلم والرشد ، فأما الحلم فهو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب ، وهو فضيلة ممدوحة لا ينالها الا من كان كاملاً العقل راجحه كسيدنا شعيب عليه السلام ، ويقال له الحق وضعف العقل ، وأما الرشد فهو الهداية الى ما هو خير وصلاح ومنفعة وضده النقي والضلال .

ان أراد القوم بوصفهم له عليه السلام بهذين الوصفين أنه موصوف بهما حقيقة حينما بلّغهم دينهم لزمهم أن يكونوا مؤمنين به عملا بأقارم هذا ، ولا شك أن ذلك مناقص لما أصرّوا عليه من الكفر والتكذيب وأنه غير صادق فيما بلّغهم وأنه انما أمّرم ونهام انقيادا لما سولته له نفسه ، فلي هذا يكون مرادهم أنه عليه السلام ليس موصوفا بشيء

من هذين الوصفين حقيقة وقت التبليغ وأنهم إنما قصدوا التهمك والاستهزاء به ورمية بما يضادها شرفه الله تعالى .

وان أرادوا أنه عليه السلام كان موصوفاً بهذين الوصفين قبل أن يبلغهم ، فما بلغهم صار غير حليم ولا رشيد فقد كذبوا وجاءوا أمراً إذاً ، وكان مثلهم في ذلك مثل عمودٍ اذ قالوا الرسول لم صالح عليه السلام لما جاءهم (يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا) . كيف يصفونه بضد ذلك وقد أمرهم عما يركى أنفسهم ويصلح شؤونهم كما أنه نهىهم عما تفسد به حياتهم الدنيا ونسوه له حياتهم الأخرى (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ . إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) .

فكما سبق إن أهل مدين قوم قد مسخت نفوسهم وفسدت طباعهم ، وهذا قول الحق لا مراء فيه ، ألا ترى أن رسولهم الكريم قد دعاهم الى ما يجمع لهم أنواع الخير والصلاح دينا ودنيا وأثبت لهم صحة ذلك بما لم يبق معه شبهة لمشتبه ، وكل ذلك مع مزيد التلطف بهم والتودد اليهم والعطف الصادق عليهم في قول هو الأدب الجم الذي لا يصدر الا عن تولى الله تعالى تأديبه واصطفاه لرسالته ؟

هذه المعاملة الحسنة هي سنة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الله تعالى بها نهم كلهم أن يبلغوا عباده شرائعهم وأن يدعوهم الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة وان جادلهم في المجادلة الحسنة ، فان ذلك أرخص أن يتكبح من رجاح الجامعين وأن يرد من إباق الآبقين وأن يتكبر من شكيمة التمتعين المماندين

فن تأديبه سبحانه قوله لسيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم (اذْعُرْنِي سَبِيلَ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وقوله (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) ومن تأديبه لموسى وهارون عليهما السلام قوله لهما حينما أرسلهما الى فرعون (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) .

بهذا الأدب الألهي الأفضل عامل سيدنا شعيب عليه السلام يومه ، فانظر اذا هم عاملوه وبأى مقابلة قابلوا دعوته الصادقة ونصيحته الخالصة ؟ كذبوه وجحدوا بآيات

رَبِّهِمْ وَعَصُوا رَسُولَهُ وَاتَّبَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ وَتَتَوَّعَتْ أَنْفُسُهُمْ إِلَى أَنْ يَكْتُمَهُمْ فِيهَا أَوْلِيَاؤُهُمْ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ، فَلَقَدْ جَاءُوا شَيْثًا فَرِيًّا ، وَ (إِيَّاهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا) .
هذا التأديب الذي أدب الله تعالى به رسله المصلحين لدعين إلى الحق وأمرهم أن يعاملوا به أمتهم حينما يلقون رسالته إليهم ويدعونهم إلى الدخول في دينه له حكمتان الهيئتان جليلتان .

فأما الحكمة الأولى فهي أن الدعوة على هذا السنن القويم أقرب إلى استماعها وأدعى إلى قبولها كما قدمناه لك ، وهذا هو قول الله الحكيم لرسول صلى الله عليه وسلم (أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَادِثُهُمْ بِأَنِّي هِيَ أَحْسَنُ) وقوله : (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِأَنِّي هِيَ أَحْسَنُ) وقوله لموسى وهارون عليها السلام (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَنَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) وقوله لموسى عليه السلام (فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَى . وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى) .

وأما الحكمة الثانية فهي أن يقتدى الداعون إلى الحق القاطنون بالأصلاح مؤتسرين بالرسول الكرام سالكين سبيلهم في هداية الخلق وتعليمهم وإرشادهم إلى صلاح أحوالهم واستقامة أمورهم ، وهذا هو قول الله عز شأنه لرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن قص عليه من الرسل من قصص : (أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّاهُمْ أَقْتَدْ) وقوله سبحانه تعليمنا (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ) وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) .

إذا كان هذا هو التأديب الإلهي الذي أدب الله عز وجل به رسله الكرام وأمرنا أن نجعلهم أئمة لنا فيما تأتي ونذُرُ وجب على الهداة المتصددين لهداية الخلق الميئين لهم الرشد من النقي والحق من الباطل أن يسلكوا سُلَّ هؤُلاءِ الهداة من المرسلين والذين اتبعوهم باحسان من السلف ولتألف الصالحين .

ان الذين تصدّوا الهداية الناس وتعليمهم أصنافٌ عِدَّةٌ ، فمنهم خطباء المساجد والمجامع وكتّابُ المَجَلَّاتِ والصحفِ والمؤلفون والمستدرِّكون على هؤلاء ، ما فاتهم في خطبهم وكتاباتهم والمتقدون عليهم ما قالوا وما كتبوا .

كل هؤلاء يتحتم عليهم تحملاً لا هَوَادَةً فيه ، أن يقتفوا أثر المرسلين والصالحين في الهداية والارشاد والتعليم وأن يتجنبوا الإغلاطَ في القول وأن يتجافوا عن تلمس الخطأ وأن يظهروا السننهم من السوء من القول وأن يترهوا أقلامهم عن الهجر من الكلام والقشير بالقائلين أو الكاتبين .

انهم ان لم يفعلوا ذلك فقد لبسوا الثوبَ منكوساً وتقصوا غزَلهم من بعد قوة أنكاثاً ، ولربما كان ذلك مدعاةً للمخطيء أن يُصرَّ على خطئه . وللمصيب الذي ظلمه المنتقد أن يدفعه غضبه الى الانتقام ومقابلة السيئة بالسيئة . فيحتدم الجدل ويحصى وليس النزاع وتحقُّ الأقلام في تسويد السباب ، وما لا يحبه الله من الهجر بالسوء من القول صدقاً أو كذباً .

(وَجَزَاؤُهُ سِدْقَةٌ مِمَّنْهَا مَسْرُوعٌ وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . وَلَمَنْ آتَمَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) .

من منصرف

يتبع

وكيل دار العلوم العليا سابقاً

اصْوَافُ الدِّينِ

نبوته صلى الله عليه وسلم

- ٢ -

نريد أن نتكلم اليوم في براهين عقلية ودلائل وجدانية وستتكملم بعد في معجزاته الحسية فنقول

ان من نظر بعقله السليم ورجع الى وجدانه الصحيح ، علم أن رفع الأمة العربية من حضيض الجهل الى أوج العلم ومن دركات الذل الذي كانت فيه الى أعلى درجات العز وتربيتهم بأحسن التعاليم وأخذهم الى مكارم الأخلاق من كل باب حتى صار الواحد منهم أمة وحده بعد أن كانوا أشبه شيء بالوحوش الضارية ، يأكل قويمهم ضعيفهم ويشدون بتاتهم الى غير ذلك من الفضائل التي لاتقطعا الحيوانات ^(١) ثم يصيرون بعد ذلك علماء حكماء من اكبر الساسة وأعظم القادة في أقل قليل من الزمن ، ثم ينشر ذلك النور في كل أنحاء المعمورة ، ذلك كله لدى الوجدان الصحيح والفطر الطاهرة أكبر دليل على أن مصدره هو مثال الخير وشخص الكمال ، والفضائل لاتفيض من الانسان على غيره الا على قدر رسوخه فيها وتوافرها لديه .

ان مرمى الاديان الالهية كلها انما هو تخليص أفراد النوع الانساني من مغالب الشرور التي أحاطت بهم ، وغرس مكارم الأخلاق في أعماق نفوسهم ومراقبة الله تعالى في سرهم وعلايتهم ، فان ذلك جماع الخير وأساس السعادة ، ونبينا صلى الله عليه وسلم أعظم الانبياء في ذلك كله ، وهو برهان ساطع على نبوته لدى من يطلب البراهين العقلية الوجدانية من ذوى الفطر السليمة والقرائح النيرة ، وأما غيرهم فتحيلهم على البراهين الحسية والحوادق الكونية ، اذ لا يعرفون مقدار الحقائق المنوية التي يدور عليها فلك السعادة من ارتفاع الانسان الى الأفق الملكي وترقية مقام

(١) لا يهونك ما أشهر من مع جمع دميون وأمثاله بالألف والياء ضد صرح الشهاب في شرح الشعاع لمحاوره في كل ما لا يقل ما لم يكسر .

البشر الى أعلى عليين ومعرفة الله تعالى والكشف عن حقائق الأشياء ورفعة الاحساسات وتنعيم الأرواح بما يشرب اليه من العالم الأعلى حتى تتم للانسان المدنية الارضية والمدنية السماوية، فلا برهان عند ذوي البصائر أكبر من أعمال مدعى النبوة وصماته النفسانية وكلماته الخفية وأثاره الخارجية التي ترقى للأمم وتسعد الشعوب وتجعلهم ملوكا في الارض ملوكا في السماء ، كما كان ذلك في الأمة الاسلامية حين تمسكها بدينها وشريعته ، ولا شك أن هذه الآثار الجليلة يستحيل أن تكون عن غير قوة سماوية ، وقد رأينا تاريخ الفلاسفة وغيرهم من أرباب القوة البشرية ، فلم يجد فيه ما يماثل هذا أوقاربه، فضلا عن كون النبي صلى الله عليه وسلم قد نشأ بين قبائل العرب المتوحشة وطوائفها الجاهلة مما يكتفى دليلا وحده على أن الأمر ليس عاديا ولا بشريا .

كفالك بالعلم في الأمي معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتيم
انه لا يتأتى الكذب من مثل تلك النفس الكاملة التي فاض منها الكمال حتى عم
العالم شرقا وغربا ، وقد بعث صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الأخلاق .

وان مثل هذه النفس التي فاض منها الخير حتى عم العالم بأثره يستحيل أن تكون معدا للشر أو محلا للكذب على الله تعالى ، والكذب كما يعلم أشد الأخلاق افسادا للنفوس ودلالة على سقوطها ونقصها ، ومن المقرر أن فاقد الشيء لا يعطيه ، وأن الطباع لا بد أن تظهر مقتضياتها طوعا أو كرها ، وأن نفس كل انسان تتجلى للبصائر في أفعاله وأقواله وحركاته وسكناته ، كما تتجلى الألوان للأبصار على صفحات الوجوه ، وقد قال بعض العرب عند ما رأى آثار ذلك الكمال الذي امتلأ به باطنه ففاض على ظاهره (والله ما هذا الوجه بوجه كذاب) ثم آمن به على مقتضى ذلك ، وكان بودي لولا ضيق المقام أن أسهب في أنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم قبل نبوته الى حيث سمته قريش بالأمين (وما كان ليدع الكذب على الناس ثم يكذب على الله كما قال هرقل قيصر الرومان) وأن أقيم الدليل على انه لم يعرف في السنن الالهية أن الله يؤيد الكاذبين في دعوى النبوة ، بل يستحيل على عدالة الله تعالى وحكمته أن ينصر المبطلين في ذلك لما يترتب عليه من الضرر العظيم ،

وقد قال عيسى عليه السلام : سيظهر بعدى أنبياء كذبة ، فقليل فثا علامتهم . فقال علامتهم أن الله لا يؤيدهم وقال تعالى (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقْوَابِ لَا خَافُنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) وقد علمت أنه تعالى نصر نبياً عليه السلام بما لم يكن مثله لأحد من المرسلين ، فإن الانقلاب الذي حدث من بعثته صلى الله عليه وسلم لا يعرف له مثل في تاريخ الانبياء السابقين ، فمن ظن أن الله نصره وأيده مع كونه مبطلا كادبا فقد جهل ما يليق بصفات الله تعالى وسنته في خلقه وأسائه الظن بعدائه وحكمته أساءة كبرى ان الفاش الكاذب لا يستطيع أن يخفى حاله جميع حياته على كل الناس حتى على أحص أصحابه ، وأنه يستحيل أن لا يزول الستار عن ذلك المش وتلك المراءاة ، وللصدق خاصة لا تكون للرياء أبداً ، فإن الرياء طلاء كاذب لا يلبث أن يذهب بغير ان حوادث الأيام ، ولا سيما من له أعداء أشداء وحصاء، الذا ، مثل النبي صلى الله عليه وسلم ، على أن تاريخ أصحابه مثل أبي بكر وعمر وغيرهما من أساطين الأمة أدل دليل على رفعة حاله وعظم كماله ، فإن النفوس لا تنفق الا على قدر ما ينهها من التناسب ، وأن الطبايع تسرق من الطبايع ، لا سيما التابع من المتبوع وخصوصاً مع المحبة الكاملة ، هذا : مع ماله من الخوارق الحسية التي نقلت إلينا بالأسانيد الصحيحة بل بالتواتر . وسنخوض فيها بعد انشاء الله .

ولو أنصف المبشرون الماهلون المتعتون لعلموا صدق القرآن الذي يكرر في الآيات العديدة قوله (الَّذِينَ اتَّيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ) ويقول مخبراً عنهم (يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ) ويقول مخاطباً لهم (تَسْأَلُونَا نَذْخُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْشِرُ^(١) فَتَجْعَلُ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) ثم لم ينبسوا بمنت شفه (وما أقوى الصادق وأضعف الكاذب) وكان ذلك من البراهين عند منصفهم فآمن كثير من أكابرهم وأحبارهم ، مثل عبد الله بن سلام وأصراه ، وليس يعقل أن يعتقد مثل بن سلام وهو من

(١) الابهال هو التصريح وقد روى أن أحلام قالوا لهم تعلمون سوته وأنه ما بهل قوم نيا ألا هكروا فوادعوا

الرجل وانصرفوا فقلوا ذلك وجعوا له الجزية

علماء التوراة كذب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ثم يؤمن به أو يعتقد نصارى نجران كذبه ثم لا يجيئوه الى المباحلة ، بل ليس من المعقول كما قلنا في مقالنا السابق أن يقيم صلى الله عليه وسلم برهانا على كذبه فيخاطبهم - والتوراة بين أيديهم - بمثل ذلك الخطاب ، ثم يوبخهم ويقرعهم ويشافهم بأنهم يجدونه فيها وأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ولا من المتصور أن يجترى على ذلك وهو يعلم كذب نفسه عما ينفرهم منه غاية التفير ويضعفه لديهم ويهون شأنه عليهم « والكاذب ضعيف حتى عند نفسه » وهو إذا لم يكن نبيا في زعمهم فهو أكبر سياسي باعترافهم ، ولو فعل ذلك من غير أن يكون له حقيقة لكان أول السفهاء وأكبر الجهلاء ، ولطمعت فيه أعداؤه وما أسرع ما كان ينتقض بناؤه .

وقد ذكرنا في العدد الأول من هذه المجلة من آيات الاخبار بالغيب ما لا يدع ريبا لمرتاب مثل قوله تعالى (غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ) اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) ولفتنا نظرك الى ما في هذه الآية من الحزم الذي يستحيل أن يكون من كاذب ، والى تقليل المدة وتحديدها في قوله « فِي بَضْعِ سِنِينَ » والى تأكيد ذلك في قوله (وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ) وكذا قوله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بَنَصْرِ اللَّهِ) مما يستحيل أن يكون من عند نفسه أو بنات حدسه ، ولا يتصور أن تصدر هذه المبالغة وصاحبها ليس على يقين من أمره ولا مستند فيه الى وحى من ربه لا من احق الحق الذي لا يستطيع أن يسوس نفسه فضلا عن أن يسوس أمة دهش لها التاريخ وقد راهى أبوبكر رضى الله عنه أني بن خلف على مائة قلوص ^(١) وأخذ القلائص من ورثته عند ما نصرت الروم على فارس .

وبعد فننظر في أحواله صلى الله عليه وسلم وجده غريقا في بحر التوحيد ناظرا

الى الله تعالى في كل شئ . قد امتزج خوفه من الله ومراقبته اياه بلحمه ودمه مما يستحيل أن يكون من رجل تلعب به الشهوات أو تحبب به الظلمات ، فإذا صادفك الرشد وبجئت في أحواله عليه السلام وجدته رجاءا الى الله في كل شئ . (شأن الانبياء والمرسلين) فكان يقول اذا جاءه أمر يحبه الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات : واذا جاءه أمر يكرهه قال : الحمد لله على كل حال : وان أراد أمرا قال : اللهم خزلى واخترلى ، وان أراد سفرا الى قوم قال اللهم بك أصول وبك أجول . وان أراد نوما قال اللهم باسمك وضعت جنبى وباسمك أرفعه . وان استيقظ قال الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور . وان لبس ثوبا جديدا قال الحمد لله الذى رزقنى ما أتجمل به في حياتى . وان أكل قال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين . وان شرب قال الحمد لله الذى جعل الماء عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا . واذا أفطر قال الحمد لله الذى أعاننى فصمت ورزقنى فأفطرت . واذا انقلب من الليل في فراشه قال لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار . واذا هب من نومه ليلا قال رب اغفر وارحم واهد للسبيل الأتوم . واذا خاف قوما قال اللهم انا نجملك في في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم . واذا خرج من بيته قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله . اللهم انى أعوذ بك أن أضل أو اضل أو اذل أو اذل أو أضل أو اظلم أو أجهل أو يجهل على . واذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد . آمنم بالذى خلقك . واذا رفع بصره الى السماء قال يا مصرف القلوب ثبت قلمي على طاعتك . واذا حلف قال والذى نفس محمد بيده . واذا عصفت الريح قال اللهم انى أسألك خيها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به . وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به . وهكذا في شأنه كله كان غريقا في النظر الى الله والاستعداد من الله والاتجاه الى الله . لا يرى لنفسه ولا لغيره حولا ولا قوة . ولذلك كان يقول اذا أصابه هم . حسبي الخالق من المخلوقين . حسبي الرازق من المرزوقين . حسبي الذى هو حسبي . حسبي الله ونعم الوكيل .

ولتغتم هذه الكلمة بكلام جليل في هذا الموضوع لتكون هنرى دى كستري

الفرنسي وهو يشتمل على أحد عشر وجهاً يشهد بها الذوق السليم والطبع المستقيم قال «١» لستنا نحتاج في إثبات صدق النبي محمد إلى أكثر من إثبات أنه كان موقناً في نفسه بصدق رسالته وما الغرض من رسالته إلا إقامة عبادة الله واحد مقام عبادة الأوثان التي كانت عليها قبيلته في ابتداء ظهوره ٢٠. لما كانت نفس ذلك النبي مفضولة على التشبع بالدين تكيف هذا المذهب في وجدانه حتى صار عقيدة لم فصل إليها نفس قبله وهو ذلك الاعتقاد المتين الذي أحدث انقلاباً كلياً في النوع البشري .

٣٠. كان محمد عليه الصلاة والسلام لا يقرأ ولا يكتب بل كان كما وصف نفسه مراراً نبياً أمياً وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه . فلم يقرأ كتاباً ولم يسترشد في دينه بمُرشد متقدم عليه . ٤٠. لقد نعلم أنه مرت به متاعب كثيرة وقاسى آلاماً نفسية كبرى لأن الله خلقه ذا نفس تتحضر للدين من أجل ذلك احتاج للفرقة عن الناس لكي يهرب من الأوثان ومن مذهب تعدد الآلهة وكان هذان المذهبان أشبه بآبرة في جبهته (صلوات الله عليه) ولكي ينفرد بما أنزل عليه من توحيد الله اعتكف في غار حراء . ٥٠. العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات (القرآن) عن رجل أمي وهي آيات يمجز فكر بني الإنسان عن الاتيان بمثلها لفظاً ومعنى ، آيات لما سمعها عتبة بن ربيعة حار في جهالها وفاضت عيون نجاشي الحبشة بالدموع لما تلا عليه جعفر بن أبي طالب سورة (مريم) وما جاء في (يحيى) فما كان اليوم الثاني أشار عليه بتلاوة ما في القرآن عن المسيح ففعل . وأستغرب الملك لما سمع أن المسيح عبد الله ورسوله وروح منه ، ثم تناول قضيباً دقيقاً كان أمامه وقال لجعفر : ان الفرق بين ماسمعتنا به منك الآن وبين ما نقوله ديانتنا عنه لا يزيد عن سمك هذا القضيب ، وأقول قد قوى ذلك القضيب فتمنع الحبشة من الاسلام وجعلها مسيحية إلى الآن . ٦٠. من الصعب أن يظن الإنسان أن الفصاحة الانسانية تؤثر ذلك التأثير ، كيف وهي فصاحة تصدر بنير ضئيف أبداً وتتجدد رفعة معجزة يقصر دون تثليلها رجال الأرض وملائكة السماء فهي الهية ٧٠. أتى محمد بالقرآن دليلاً على صدق رسالته وهذا القرآن لا يزال إلى يومنا هذا سرا من الاسرار التي لا يقدر أحد على

فك تلاسمها ولن يسبر سرها المكنون الا من صدق بأنه منزل من عند الله سواء
 نوصلنا الى معرفة الوحي وحقيقته أم لا . ٨٠ . لا ينكر أحد أن مظهر محمد كان مظهر
 نبوة بالفعل لأن النبوة من حيث هي عبادة عن قيام رجل من الناس بأمر ربه وأن
 يعتقد أن مايقوله من عند ربه حق فمحمد صلى الله عليه وسلم يعتقد أن روحا من
 الله استولت على لبه فلم يعد يعتقد أن له فكرا خاصا بل أنه أوتي من عند ربه ،
 واحتفت في نظره ذاتيته ومن الصعب أن تقف على معرفة سماعه للصوت الالهي هل
 كان في الحلم أو في عيته عن عالم التصورات والصدق حاصل على كل حال - ٩٠ .
 كانت الانفعالات تظهر على وجهه بادية فظن بعض الوثنيين أن به جنة وهو ظن
 باطل لأنه بدأ رسالته بعد الأربعين ولم يشاهد عليه قبل ذلك أى اختلال في الجسم
 ولا أدنى ضعف في القوة المادية وليس في الناس من عرف الناس جميع أحواله في
 حياته كلها مثل النبي محمد صلى الله عليه وسلم . فقد وصل المحدثون عنه الى أنهم
 كانوا يعدون الشعر الأبيض في لحيته ولو أنه كان مريضا لما خفي مرضه (ولا أمكن
 أن تكون له تلك الآثار الباهرة) فليست حالة محمد في انفعالاته وتأثيراته حالة ذى
 جنة . أدن ليس محمد من المبتدعين ولا من المتشبهين للكتاب . نعم نرى تشابها بين
 القرآن والتوراة في بعض مواضع الا أن سيبه ميسور المعرفة اذ لا عجب اذا تشابهت
 تلك الكتب في بعض المواضع خصوصا اذا لاحظنا أن القرآن جاء متما كما جاء النبي
 خاتما لاسيما ونفس محمد كانت متأثرة بما تأثرت به نفوس الانبياء من بنى اسرائيل
 وكان يعبد الله الذي يعبدونه فلا عجب اذا تشابهت ألفاظ التصرفات وتجانست
 أصوات الدعاة . ١٠٠ . ما كان محمد يميل الى الزخارف ولم يكن مستكبرا ولا شحيحا
 بل كان يستدر الثمن من تعاجبه بنفسه ويجلس على التراب وكان قنوعا خرج
 من هذه الدار ولم يشبع من خبز السمير مرة في عمره ولم تكن له حاشية ولم
 يتخذ وزيرا ولا حثما ، قد احتقر المال وقد بلغ من السلطان متناه ولم يكن له
 من علامة الملك سوى قضيب . ١١٠ . أتى محمد صلى الله عليه وسلم فهدم الوثنية
 بعزم واحد طول الحياة ولم يتردد لحظة واحدة بينها وبين عبادة الواحد الأحد

وإيمانه كان حقا ثابتا على الدوام لم يفر هيته فقد انتهى كما بدأ . لم يرغب طول حياته في المال بل كان كلما جمع اليه شيء منه أنفقه في الصدقات ولقد أعطى عائشة زوجته مالا يسيرا لتحفظه ، فلما حضره المرض أمر بإنفاقه على المعوزين لساعته ، فلما وزع عليهم قال الآن اسراح قلبي لأنني كنت أخشى أن ألقى ربي وأنا أملك هذا المال ولقد خطب في أمته قائلا أيها الذين يسمعون قولي ان كنت ضربت أحداكم على ظهره فدوه ظهرى ، وان كنت أسأت سمعة أحد فليتقم من سمعتي وان كنت سلبت أحدا ماله فدوه مالى وهو في حل من غصصى فان النمل بعيد عن قلبي .

انتهى كلام هذا المتصف الكبير ولتقتصر اليوم على هذا ولنا اليه عودة ان شاء الله.

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

غاز مرطب لمنازل المناطق الحارة

كثير من الفارات التى تستعمل فى صناديق التبريد من نوع سام أو على الأقل من نوع حريف يهيج الغلياشيم اذا انبثق من الأنابيب المتلوية التى تحتوى عليها

وقد اكتشفوا غازا جديدا قيل عنه فى الجمعية الكيميائية الأمريكية انه غير سام وأظهرت التجارب أنه يمكن نفس كميات كبيرة منه بلا أدنى ضرر هذا فضلا عن أنه غير قابل للالتهاب وقد توصلوا الى هذه الخواص من التركيب الخاص لهذا الغاز الكيميائى فهو مزيج من ثلاثة عناصر معروفة هى الكربون (غاز الفحم) والكلورين (غاز الكلور) والفلورين (غاز الفلور) واسمه العلمى فلورد - كلورد - ميثين .

ويستعمل هذا الغاز علاوة على استعماله المنزل فى ترطيب غرف النوم بمنازل المناطق الحارة ومهاوى المناجم العميقة التى تشتد بأعماقها الحرارة وفى الغواصات وغيرها من المنشآت التى تحتاج الى جو بارد رطب

السُّنَّةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إيتاكم والجلوس على الطُّرُقَات، قالوا: يا رسول الله مالنا بُدُّ من مجالسنا نتحدث فيها قال: فأما إذا أُيِّتتم فأعطُوا الطريقَ حقَّه قالوا: وما حقُّه؟ قال: غَضُّ البَصْرِ، وكَفُّ الْأَذَى، وردُّ السَّلامِ، والأمرُ بالمعروفِ، والنهي عن المنكر. (١)

الشرح

نحن نعلم أن الطُّرُقَ إنما جعلت لِمَسْلَكِهَا النَّاسُ فِي ذَهَابِهِمْ وَإِيَابِهِمْ وَتَرْدُّدِهِمْ لِقَضَاءِ مَعَالِهِمْ وَسَائِرِ أَعْمَالِهِمْ، فلم تكن الغاية منها أن تكون مجالسَ يجلس فيها الناس للحديث أو غيره، وحينئذ يكون اتخاذها لغير السير والمروء فيها استمالة لها في غير المنافع الأصية المقصودة من إشاعتها، بل قد يجرُّ اتخاذها مجالس إلى أضرار ومفاسد كثيرة.

لهذا أرشد النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين إلى عدم اتخاذها مجالس لهم بعد هذا اعتذر المؤمنون إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه، فيدَّعوا أنه لم يقصدوا مجلسهم في الطُّرُقَات شراً ولا أمراً مُسْكراً، بل أنهم قد اضطروا إلى ذلك لعدم وجود مجالس أخرى يجتمعون فيها للحديث في شؤونهم ومهامهم، فلهذا لم يكن لهم غنى عن هذه المجالس.

علم عليه الصلاة والسلام صحة هذا المذَرِّ وقبيله منهم، ولكنه لم يتركهم يجلسون دون أن يرشدهم إلى ما يفعلونه وما يتقونه أثناء جلوسهم، فينبغي لهم أن لا يطريق حقوقاً

يؤدونها وليس من شأن المؤمنين الأحلالُ بها ولا التفريط فيها .

علمهم من حقوق الطريق خمسة حقوق الأول عَضُّ البصر وصرفه عن النظر الى ما لا يحل النظرُ اليه من كل ما يترتب عليه الفتنة وفساد الأخلاق وانتهاك الحرمات والآداب .

الثاني كَفُّ الأذى ومنع الضرر عن المارين في الطريق سواء أكان ذلك بالقول كأن يعتابهم أو يسبهم أو يحتقرهم بكلام يحطُّ من أقدارهم أم بالفعل كأن يصربهم أو يقذفهم بشئ . أو يشير اليهم إشارةً امتهانٍ وسخرية .

الثالث رَدُّ السلام على المار الذي سلم على الجالس في الطريق ، فإن من آداب السلام أن يسلم المار على الجالس ، فالسلام من المار تحيةٌ وتوقيرٌ وتأمينٌ منه للجالس ، والردُّ من الجالس إجابةٌ منه لمارٍّ ومعاملةٌ له بمنزلة ما عمل ، وحينئذ تتوثق بين المار والجالس صلةُ الأخوة الدينية وتقوى بينهما الرابطةُ الإسلامية .

الرابع الأمر بالمعروف ، أي أن يطلب الجالس الى المار في الطريق أن يفعل الفعل المأمورُ به الذي يرصاه الله تعالى ويمرِّفه الفضلاء ذور المروءات والتقوى ويحمدونه ، أما الأمرُ المنكرُ الدميم فانهم يحملونه لأنه مردول ممقوت وهم عنه مُبْهَمُونَ مثلاً ، اذا مرت به فأدرك أهلك من طلاب العلم أترك أن تبالغ في طاعة والديك اللذين يُرِيانك وفي طاعة رؤسائك ومعلميك وأن تتأخر على الجدِّ والاقبال على علومك ففسى أن الله تعالى يحملُ لك من كل ذلك ما ينفعك وينعمُ أمتك الإسلامية ان شاء الله تعالى

الخامس العي عن المنكر ، وهو أن يطلب الى السائر في الطريق أن يكف عن الأمر المستقبح الذي ارتكبه ميثاقاً له ما يعودُ عليه وعلى غيره من الضرر والأذى سواء أكان ذلك الضرر عاجلاً في الدنيا أم آجلاً في الآخرة .

من منصوص

وكيل دهر العلوم العليا سابقا

اصول الدين

الاسلام دين الفطرة

٦

قال تعالى (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) أجل والحمد لله ولا نعبد الاياه
لقد كنا خشيناً أن نكون وقتنا في إطالة أوجبت سامة وملالة ، ولكننا والله الحمد
رئينا في الاقبال على تتبع ما يقال في هذا الموضوع ما شرح صدرنا لزيادة الشرح وقوى
عزمنا على نوع من التبسط في الايضاح غير مسرفين ولا باخيلين .

لقد كان كلامنا في بيان أسرار الشريعة العراء وحكمها البالغة في تنظيم علاقة الانسان
بأخيه الانسان ، وكان كلامنا في العلاقات المدنية وذكرنا مثالا بم نبا فيه وم الناس عن
حكمة الشرع ودرجوا على خلاف حكمه ، وذلك أمر الربا وينا أن ضرره أكبر من
نفعه وأن ضرره للضعيف المحتاج غالبا يقصم الظهر ويحلى اليد ويوهن العظم فيملاً القلوب
حقداً والنفوس غلا ، ولا تلت البغضاء في نفس المغلوب أن تتجج مثلها في نفس الغالب ،
فالغلوب كالمرأى المتذبذبة يعمكس في كل منها ما انطع في الآخر فيعيش الناس متباغضين
متحافدين متدبرين ، ونفعه للقوى الفنى غالبا وهو الذى ركن الى الدعة واطمأنت نفسه
للسعة فلم يناصر في المتاجر التى تحتاج للكسب والجد وإعمال الفكر فيما يعود على المجتمع
بالنعم ، بل قعد يستثمر ماله فيزرف دم الحياة من رمت اليه الحاجة وما كان المال الا وسيلة
لتبادل الحاجات بين الناس ، فهو مقصود لتحصيل المنافع وليس هو في ذاته منفعة حقيقية
ونفع المجتمع نفعا صحيحا هو في تقريب المنافع الحقيقية اليه ليسهل نيلها على من يحتاجها ،
وإن كنت في شك من أن المال ليس في ذاته منفعة حقيقية وانما هو وسيلة لاحتراز
لما يخطر الى ما قاله علماء الاقتصاد من تقسيم الثروة الى قسمين ثروة حقيقية وهى ثروة
الأعيان كالمرار والمعادن وثروة اسمية وهى ثروة الأموال وقولهم إن الأمة الفنية هى

التي تتسع ثروتها الحقيقية لا التي تتسع ثروتها الاسمية ولو أنك تنبعت حال الأمم التي ملكت ناصية المال لو وجدت قيمته لديها ضئيلة وآثار انتفاعها به قليلة فلا يكاد المرء منهم يبال القليل من حاجاته الا يبذل الكثير جدا من المال فعادت عليه الكثرة في الكم بالقلة في النعم ، وهذا مما يشرح أثر كونه وسيلة للمنافع لا منفعة حقيقية ونفع المجتمع حقا هو جلب المسافع الحقيقية لا الوهمية وكذلك لو حست ذا المال الكثير أياما أو يوما واحدا مع ماله ما أعنى عنه شيئا ولقد يفضل وهو في آخر رمق حرة من الماء على كل هذا المال . فهذا الذي قد لجرد استثمار ماله دون أن يكلف نفسه مشقة المتاجرة الصحيحة يجلب حاجات الناس الحقيقية مما يدعو للسكد وإعمال الفكر في حسن الاختيار ومراقبة الاسعار وتجنبهم الأسفار ، انما قد لينزف أموال الناس باغتنام فرص احتياجهم بل ليمتص دم حياتهم فكان حربا على العالمين ، فلا غرو ان آدنه الله محرب وإن من حارب الله لخذول .

ولقد يننا كذلك أن الله الحكيم العليم الذي حرّم الربا لم يترك أمر الناس سدى ، بل تداركهم برحمته فشرع لهم من الأحكام ما يغنيهم عن اللجأ الى الحرام وذلك باب القرض الحسن فيما ادا لم يحضر النفوس الشح وباب القراض والمضاربة وهو أن يجعل لعمال حصة فيما يستخدم فيه من كبريات الأعمال وعظائم المشروعات ، وذلك في المال الكثير الذي لا تسمح النفس فيه عادة بالاقراض بلا مقابل ، وذلك كالمتبع في بعض شركات المساهمة . أبنا بعض ذلك في الكلمة المنشورة في العدد السابق ولا ضرر في إعادة الكلام عليه مرة ثانية فقد تنفل في قوس بعض المفكرين حتى ظنوه من ضروريات المعاملة بين الناس .

ونزيد في هذا المقال ذكر مثالين مما احتلفت فيه أنظار الناس ودرجوا على غير هدى الشارع الحكيم وهما « ١ » بعض أنواع البيوع الفاسدة المستغيضة في دار التجارة العامة (البورصة) . و « ٢ » شركات التأمين - السيكورناه - وأما الأحكام التي اتفقت فيها آراء الناس وما جاءت به الشريعة السمحة من صحيح البيع والاجارة والضمان والرهن وأمثالها فحسبك في حسن اجتماع العالم على تقريرها وألا غنى لهم عنها ، فهي رحمة من

الله شرعها على لسان نبيه داخلة في مضمون قوله جل شأنه (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)

أما البيوع الفاسدة في نظر الشرع وقد أولع الناس تصاطبها فكثيرة تجترى منها بمثلين « ١ » البيع على المكشوف « ٢ » والبيع على الوجه أما الأول فيشبه السلم وليس منه فقد اشترط في السلم أن يكون المسلم فيه مما يوجد غالباً وقت التسليم ، واشترط فيه ألا يباع قبل قبضه فلما تجاوز الناس هذين الشرطين أدى بهم الحال إلى ما نسمع به كل يوم من خسائر فادحة ينجمها قفال محل تجارية كبرى مما يؤدي إلى اتجار رجال عظام أو موتهم كداه ، ويتبع ذلك تدهور أسر وغرقها في لجج المذلة بمد أن رتعت حيناً في بحبوحة العز ورعد العيش ، تعود بالله من الحرمان بمد العطاء ومن الفقر بعد العى ومن الدل بعد العز

هذا : إلى فتح باب العبث بأموال الناس وعقولهم والتلاعب بالأسعار الموجب للدمار مما نسمع به من ضجيج الشكوى من آن لآن ، ومما اضطر المفكرين إلى البحث فيما ينتقد الناس وثوراتهم من هذه الممارسات والمقاصرات

والثاني البيع على الوجه ، وهو عقد البيع بدون معرفة الثمن وتسليم المبيع في مقابلة تمجيل حصّة من الثمن مع انتظار الأسعار في المستقبل ليدور عليها ثمن المبيع ، ولقد شوهد من ضرر هذه الحال بالنسبة للبائع ما حقه أن يكون رادعاً ، فإن التاجر إذا يدفعه إلى زيادة السعر حرصه على احراز المبيع ، ومتى وصل إلى ما يريد فما الذي يدفعه إلى زيادة الأسعار ، فالأسعار مع كونها بيد الله تجدها تالعة لقانون العرض والطلب ، ولكها الحاجة إلى تمجيل حصّة من الثمن تدفع البائع إلى تسليم ما في يده فيتمحل بالقليل ويتمل بالأمانى والأمانى رأس مال المفلسين .

وما شركات التأمين على الأموال والأرواح فقد تنفلت الميل إليها في فوس الكثير من الناس خصوصاً من المستنيرين إلى حد يصعب معه اقتلاعه من عقولهم ، وأقوى حجة لهم في تبريرها أن يقول لك أحدهم : إنى أدفع القليل ليضمن قلبى على الكثير فأنا راجح الطمأنينة حال السلامة والموض إذا ما طرأ ما أخشاه ، والشركة رابحة المال الذى تأخذه منى

ومن سواى فكلما الطرفين مستفيد . ونقول له : اليس أترك دائرا بين أن تدفع بلا مقابل وذلك إذا قدرت لك سلامة المال أو تأخذ ما لا حق لك فيه وترزأ غيرك ممن دفع وهو لم يمن عليك فيما إذا عطب مالك ؟ أو ليس الامر على كلا التقديرين أن هناك دفعا وعرضا من أحد الجانبين بدون مقابل من الجانب الآخر ؟ فانه لا قيمة لما دفعه المؤمن بالنسبة لما يأخذه على فرض عطبه ، كما أن طمأينة قلبه التي رعى أنه استفادها في حالة سلامة ماله لا تدخل لشركة التأمين فيها اذ لم تكن حارسه عليه ، ولا تستطيع أن تقف في وجه المقادير وتصاريف الزمان .

وأما التأمين على الحياة فهو أبعد عن العقل السليم وأوجب للدهشة والاستغراب ، فما كانت الشركة لتطيل له عمرا ، وما كانت لتدعنه قدرا ، ولكنها التعلمات بالأمانى . وما أشبهها بشؤون الدجالين والشموذني ، سيقول لك قائلم نفس المقالة الأولى أو قريبا منها ، سيقول إنى متى دفعت ولو قسطا واحدا فأحاطنى المنية استحق ورثتى ما أمنت به على حياتى ، فكان لهم بذلك عزاء وسلوة عن فقدى ، وإذا بقيت المدة المضروبة لى استرجعت كل ما دفعت بأراحه ، فاما مستفيد على كلتا الحالتين وللشركة فائدتها أيضا وهى انصرف فى تلك الأموال مما يجتمع لها منى ومن غيرى ، فيتكون لها رأس مال عظيم تستغله فيما ترى من المشروعات التجارية ، ومفاجآت العطب قليلة فقرمها بادر لا يؤثر فيها لأن كل امرئ حريص على حياته وماله محافظ عليها جهد استطاعته فكل واحد يعمل لمصلحتها من حيث يعمل لمصلحة نفسه فكلما الطرفين مستفيد ، ونقول له ليكن كل ما تقول فاستخرجت عن أنها معاملة فيها غرم أحد الطرفين حتما بلا مقابل ، وما كانت المدالة الا فى المعاوضة وأن يكون من كل طرف عوض يعادل ما استفاده ، وأن يكون بين العوضين مناسبة تحقق المدالة ولو التقريبية حتى تستقيم روح المدالة ، فأما وأحد الطرفين غارم حتما بلا غرم أو فاتهم حتما بلا غرم فلا عدالة بل هى المقامرة والميسر ، غير أنه ليس ثوبا بالماع وجاء عن قوم أولينا هم ثقتنا المياد وأخذنا عنهم كل ما قالوه بالتقليد الأعمى ، وما منشأ ذلك الا أن جماعة منهم بهروا الناس بقوة استخدامهم للمادة واستنباطهم لقوى الطبيعة مما لا نعلمهم حقهم فيه ، فكان لجموعهم فى النفوس عزة الغلبة فأسلم الناس القياد لهم شأن كل غالب مع

كل مغلوب، والا فتى ورنى تلك التصرفات عيزان العقل السليم والنقد النزيه وجدت ضررها أكبر من نفعها وهكذا شأن أغلب المضار المنهى عنها لمصلحة المجتمع تضررها أكبر من نفعها فلا تكاد ترى شيئاً تمحض للضرر بدون وجه نفع ولا تمحض للنفع بدون وجه ضرر حتى أن الحمر والميسر وهما ما هما في الضرر لم يخلوا عن نفع ما ولكنه ضئيل إذا قيس بكبير ضررها كما قال جل شأنه (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحُمُرِ وَالْمَيْسَرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْ تَأْفَعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) وشأن التشريع الصحيح أن يعتمد على الموازنة بين النفع والضرر فما غلب نفعه أحله وما غلب ضرره حرّمه والله عليم حكيم.

الحدود : ومما اختلف نظر جمهور الناس عن نظر الشارع لحكيم في شأنه من العلاقات المدنية أمر الحدود، فقد زعم بعض الناس أن في الحدود الشرعية نوعاً من القسوة لا يحتل ولا مبرر له، فإن في قطع يد السارق تشويهاً دائماً بدوام حياته وتشهيراً مستمراً ملازماً له، وفي ذلك القسوة كلها عليه وسد باب الرحمة عنه بخلاف سجنه أو تشغيله ردحاً من الزمن فيه مع تأديبه رحمة به، وتقول لهم : أما الرحمة فحسة جيلة ولكن نحن بين رحمتين متعارضتين رحمة بالجمهور البرى، ورحمة بالفرد المجرم فأى الرحمتين أحق بالاتباع ؟ هل تدركنا الرحمة بواحد مجرم فنشفق عليه من الأذى والتشويه والتشهير الدائمين ولا تدركنا الرحمة بمجموعة الأمة فلا نحجبها من تعذيب ذلك المجرم عليها ولا نزجره أكبر زجر وأبلمه، على أن سن تلك العقوبة التي تلزمه الخرى طول حياته أكبر زاجر لمن حدثته نفسه أن يكون على شاكلته أو يسير في طريقته وهذا الزجر من أكبر مظاهر الرحمة للنفوس التي فيها استعداد ما للشر كما قال القائل :

فقسا ليزدجروا ومن يك حارماً فليقس أحياناً على من يرحم

وهل هالك رحمة لمن تراه ستردى في هاوية أعظم من أن تدفعه في صدره ولو القيته على ظهره ويكفيه منك أنه نجا لعمره ؟ وهل للنفوس الجامحة للشر زاجر أبلغ من أن يلزم أحدها الخرى فتتوب هوس نظرتها إلى رشدها وتبتعد عن غيها ؟ وأين هذا مما نراه الآن من استئصال المجرمين حين خروجهم من السجون بمظاهر التفريح بل مظاهر

التبجيل التي ينفخ بها الشيطان في أنف أحدهم فتحدثه نفسه بأنه غامر مغامرة الرجال ، بل جارف مجازفة الإبطال فاستحق هذا التكريم والاجلال ،

إن هذا هو واقع الحال لا املاء الخيال ومن جال في بلاد الرف جولة رأى ما للسجين بعد خروجه من هيئة وصوله فيندفع لمعاودة الاحرام فمعاودة السجون فيكون من معسادي الاجرام ، أفلبست رحمتكم بهم نقمة كبرى عليهم ، ومن شاء فليرجع الى سجل أرباب السوابق ليرى معاودتهم للاجرام حتى اصبح عادة متأصلة في نفوسهم ولم يردعهم زيادة العقوبة حتى سن قانون معتادي الاجرام فكان من أثره أن يمكت المجرم في السجن أطول مدة ، وقد يستغرق عمره في السجون ما لم يؤذن له بالخروج ، أفلا يكون ردعه من أول الأمر بالتشهير رحمة به ؟ والله يفعل ما يشاء ، لا ممقب لحكمه ولا راد لقضائه

أغرب من هذا وأبعد عن مقتضيات الفطر السليمة والكرامة الانسانية اهدار حدود الزنا دفعة واحدة وعدم التمرض للرانية والزاني متى كان ذلك باختيارهما بل هاتيهما حتى مما يؤذيها أو يمس شأنهما ماذا تقول في هذا ؟ لقد بحثت أصوات الميورين وتمرصوا لهز الحامزين ولمر اللامزين بل لسبب وشتم السفهاء وغير السفهاء ، استغفر الله ، فأي سب من يجاز بوجوب الاصلاح الا السفهاء وإن رعموا أنهم عقلاء أو رعماء ، تقول بحث الأصوات وسالت العبرات على أعراض تبثدل وحرمانات تهتك وكان جواب اولئك الأقوام . . . لم نفهم لهم جوابا ، ولو فهمناه لقررناه قالوا إن اناحة الزنا طريق سلامة الجماهير من ضرره بحصره في دائرة معلومة محدودة ، وما علمنا يوما أن وضع بكرة فاسدة في أرض منبثة طريق للقضاء على نباتها وسلامة الناس من آفاتھا ، اللهم إنها لا نعلمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور .

هذه مثل مشورة في أبواب مبعثرة مما يختلف فيه نظر الناس وزاغت فيه نصائرم حتى صلتوا في طلماتها ولم يهتدوا الى نور الشريعة الفراء التي حاءت شعها ، لأدواء الأمم ودواء لأمراضها الفتاكة بالجماعات ولكن

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وتنكر الفم طعم الماء من سقم

وانما عرصنا لهذا المثل لنبين لك محاسن الشريعة الفراء فيما حاد عنه الناس واستغفروا خلافه ، فكيف بما أقبلوا عليه وتمسكوا به من أنواع المعاملات التي لم تستطع الشياطين أن تصرفهم عنها ، ولو استطاعوا لما ونوا لحظة ، فقد يكفي في صرف بعض القوم عن الحكم أن الشرع أمر به فيقول لك القائل مالنا وللشرع والتقيده ؟ اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون .

هذا شيء من محاسن أحكام الشريعة في المعاملات المدنية ونريد بالمعاملة المدنية معاملة المسلم لأخيه المسلم مهما اختلفت بهم الأوطان والأقاليم فالمسلم أخو المسلم في مشارق الأرض ومعاربها (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) وكذلك معاملة من دخل في ذمته من أهل الكتاب اصحاب الأديان الأخرى ، فلهم مالنا وعليهم ما علينا نحميهم بما نحى منه أنفسنا وكذلك معاملة من دخل دار المسلمين مستأمنًا وعاشرهم مطمئنًا فالأحكام في المعاملات واحدة في الجميع غالبًا .

ما حكم الشريعة الفراء في شأن الروابط الاساية العامة ، وهي التي تتجاوز ما بين المسلمين بعضهم وبعض أو من يحق بهم ويحرى عليه حكمهم من ذمي ومستأمن فتتلخص في أمر بسيط ونهيج واضح نيره هو الرحمة كل الرحمة والحكمة كل الحكمة فوجب المسلم مع من يخالفه في دينه ولم يرتص أحكامه أن يمرض عليه هدى ربه وأن يرشده بالحسنى ليدخل في دينه ، وحسبه رحمة وعطفا أنه يختار له ما اختاره لنفسه فان أجاب فقد سعد كلاهما سعد المستجيب بالعود الأبدى والسعادة العظمى وسعد الداعي بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَحْلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ «حَمْرِ النَّعَمِ» فان لم يستجب له وغلبت عليه شقوته ونكص عما بينه له من آية واضحة وحجة بالغة فلا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) ومن الاهتداء أن تقوم بهداية غيرك ما استطعت وترشده الى الطريق المستقيم ما قدرت في حدود قوله تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) ولعلك تقول

(١) كانت الأبل الجراء أغص أموال العرب يضرب لهم المثل بما كانوا .

واذن فكيف جاء الجهاد في الاسلام؟ ما جاء الجهاد لحل الناس على الايمان كرها وقهرا فانه يقول (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) ويقول (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) ويقول (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) وانما جاء الجهاد لدفع من يتصدى للمسلمين ويتعدى عليهم فيمنعهم من أن يدعوا أخوانهم في الانسانية الى هدى ربهم لدى اطلأوا اليه ورسوه لأنفسهم ديناً وعلموا أنه السعادة الحقة لكل العالمين ، فالمسلم مدفوع بدافع الرحمة لأخيه في الانسانية أن يدعو الى اعتقاد الحق الذي اعتقد وسلوك الصراط المستقيم الذي سلك ، ومن حق كل انسان أن يمطف على أخيه الانسان يدعو الى الخير الذي اهتدى اليه ، فمن تصدى له وتعدى عليه ومعه من أن يدعو بالحكمة وبيّن المحجة بواصح الحجة فقد معه حقه بلا وجه حق ، فاداً جاهد لتكون كلمة الله هي العليا أي الدعوة الى الله آخذة طريقها لا يصدها صاد ولا يردّها راد فاعا جاهد في طريق اىصال الخير الى الغير وهل بعد هذا من نبل في القصد وشرف في الغاية؟

فان هذا الحق الصريح والرحمة بالانسانية العامة مما يزعمه الطغمان الجاهلون من ان الاسلام بنى على الجهاد وقام على السيف، وان تعجب فعجب أن تروج هذه التهم وتلك الترهات على قوم بين أيديهم كتاب الله وفيه هذه الآيات التي تلونها عليك آثفا وقوله حل ذكره (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَطَهَّرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ولعلك بهذا استجلبت نمودجا من محاسن الشريعة الفراء في المعاملات بأنواعها الثلاثة وهي (١) ما ينظم العلاقات المنزلية (أحكام الأسرة) و (٢) ما ينظم العلاقات المدنية (أحكام المعاملات بين المسلمين ومن لهم حكمهم) و (٣) ما ينظم العلاقات الانسانية العامة (أحكام المجتمع الانساني العام) وتكون قد تبينت عما تلونها عليك أنها دين الفطرة السليمة وأن صاحبها رسول الرحمة ففهمت قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)

وستتلو عليك في مقال آت ان شاء الله محاسنها في باب الأخلاق التي بعث عليه
الصلاة والسلام ليتم مكارمها والله المستعان

ابراهيم الجبالي
مدرس بقسم التخصص

الحصول على الصوف بطريقة صناعية

تقول جمعية الابحاث البريطانية انه سيصبح من الممكن الحصول على الصوف
بطريقة صناعية خاصة وتتخصص هذه الطريقة في أن يقطع جلد الأغنام شرائح ويوضع
في أحواض بها محلول كيميائي خاص تتفدى منه هذه القطع وتؤتى محصولها من الصوف
عاما بعد عام .

هذا ما تقول به الجمعية بعد اجراء عدة تجارب قامت بها الإنماء وبر الحيوانات ويؤكد
كيميائيو الجمعية أن ليس هناك ما يمنع من إنماء جلد البقر بمثل هذه الطريقة .

الجراثيم ومزروعات المزارع

مما يسهل على الجراثيم علاوة على نشرها الأمراض جراثيم الاحراق فقد انضح أن
لجراثيم الكثيره التي تشب في المزارع وتنشأ مما يسمونه « الاحتراق الذاتي » - أي
أنها تشب من تلقاء نفسها - قد تنشأ من تفاعل الجراثيم ، وتقول بهذا الرأي مصلحة
الزراعة بالولايات المتحدة التي تقوم الآن بأبحاث في هذا الموضوع وقد أنشأت مزرعة
لإجراء التجارب في بلدة بلنتفيل حيث يمكن تهيئة الظروف والأسباب الخاصة التي
تؤدي إلى شوب هذه الجراثيم .

وتشب الجراثيم في يابس النبات والعف والمخضبات والأسمدة بلا سبب معروف
ولكن انضح أن الجراثيم التي تكثر في مثل هذه المحاصيل قد تولد حرارة تعمل أحيانا
على إحداث حريق عظيم وقد يكون التماس الكيماوي الذي تحدثه سببا في شوب
الحريق .

« كلمة تثير محبة الله في القلوب المستعدة »

يقول الله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) ويقول (قُلْ إِن كُنَّ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ رَضُوا بِهَا أَلْهَبَ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)^(١) ويقول فيما روى عنه « حبوا الله الى عباده يحبكم الله » ويقول بعض من تخلص من الأوهام ورسخ في هذا المقام :

بادر لدرك الذي قد فات من عمرك ولتتحذ زادك التوحيد في سمرك
 فيامليك الوري يامنهي أمل ما أشوق الوله المضنى الى خبرك
 ما ظل لي أمل في غير مشهدكم ولا قرأت كتابا ليس في سيرك
 اذا كنت تحب أحدا لما يبهرك من عامه وسعة نظره من علماء الأمم فأحب الله
 تعالى الذي أثنى هذه المواقم كلها وأودع فيها من الأسرار ما أدهش فلاسفة أوربا إشراق
 شعاع من نور شمس ، وقد ذكرنا في بعض ما كتبناه أن سبنسر الانجليزى كان يقول
 « ليس الغرض من علم الطبيعة معرفة تلك الظواهر الطبيعية وإنما الغرض الأسمى أن
 يشرف الانسان على ذلك السر الباهر ويستطلع تلك العظمة الالهية من وراء تلك الحدود
 التى ينتهى اليها علم الطبيعة » ويكفيك ما اشتمل عليه الانسان من الأسرار المدهشة
 التى تكفل بها علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء مما بهر علماء الفسيولوجيا (علم وظائف
 الأعضاء) فطاطنوا له الرؤوس وعشوا أمامه كما يعشوا الخفاش أمام الشمس

(١) ويقول صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه
 ما سواه وأأن يحب الله والرسول » وأما بكرة أن يعود الى الكفر كما تكبره أنه قدف في النار »

وأن كنت تحب أحداً لمزيد شجاعته وعظيم قدرته وحسن تديره من القادة
والساسة فأحب أحكم الحاكمين وأقدر القادريين وقيوم السموات والأرضين ورب العالمين
ومدبر الخلق أجمعين ، من أمره بين الكاف والنور ، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له
كن فيكون

وأن كنت تحب أحداً لاحصائه ومريد العامه وعظيم تميزه في باب الفضائل والمكارم
فأحب منبع النعم ومعدن الكرم ، وأين كل ما تتخيله إذا فسته بقطرة من بحار فضله ،
وماذا تعدد لك من نعمه أو نسرده عليك من آثار كرمه بمد ما علمت أنه المفيض لكل نعمة
في الوجود وأنه رب الكرم والجود . (وَمَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا تُمْسِكْ لَهَا
وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مَرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ولعمري الانصاف إن هذا المقام
يجب أن تتكسرفيه الأقلام وتحرس فيه الألسن فمن تطيق شرح نعمة من نعمه وانظر
إن شئت لنعمة الهواء التي يتوقف عليها وجود كل حي إلى آخر ما يتفرع منها وينشعب
عنها وإن شئت فأنظر إلى نعمة الضياء أو الماء وما أودعه في الأشياء من الكهرباء بياهر
حكته وعظيم تديره (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) . « وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا
إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفَاحِلٌ كَفَّارٌ » وقد أحس بتلك العظمة المدهشة وذلك الانعام الفائض على
كل من في لوجود ذلك الرجل العظيم صاحب النفس المطلقة من القيود الفيلسوف لينة
لفسيولوجي المرسى الذي كان يدعو وجدانه فيجيبه ويناجيه شعوره الحي فلا يتناقل
عنه قال (إن الله الأزلى الكبير العالم بكل شئ ، قد تجلى لي ببدیع صنائمه حتى صرت
مدهوشاً مبهوراً فأى قدرة وأى حكمة وأى ابداع أودعه مصنوعات يده سواء اكان في
أصغر الأشياء أم أكبرها ان المافع التي نستمددها من هذه الكائنات تشهد بعظيم رحمة
الله الذي سخرها لنا كما أن جمالها وتناسقها ينيء بوسع حكته وكذلك حفظها عن التلاشي
وتجديدها ينطق بجلاله وعظمته) ولنرجع إلى أصل الموضوع فنقول

إذا كنت تحب نفسك وكما لها فأحب من أوحدها في أحسن تقويم وشق سمعها
ولصرها وأسبغ عليها نعمه ظاهرة وباطنة ولم يقتصر كرمه على إقامته الضروريات

والحاجيات ، بل أعطاك من الكليات ما تنوع به لذاتك وتم به بهجتك فلبس من الوفاء
أن تعرض عنه وقد غمرتك نماؤه وأشرق عليك صياؤه وعذب ماؤه ولطف هواؤه
وأعشتك بدائع أكوانه من رياض غناء وصحارى فيحاء وأثمار شهية ونعمات شجية ومناظر
نظير بالقلوب الى حضرة علام الغيوب من شمس وأقمار وأطياف وزهار وليل ونهار .
أما يجب أن تقول عند رؤية تلك الآيات المدهشات والدلائل الباطقات والنعم الفائضات
ما قال ذلك البدوى الذى لم تشغله المدنية وزخرفها عن أن يرجع إلى قلبه ويسمع من
حديث لبه حيث يقول

هاج للقلب من هواه أذكرك وليال حلالا لمن نهار
وجبال شوامخ راسيات وعيون مياهن غرار
ونجوم تلوح فى جنح ليل مشرقا فى كل يوم تدار
وشمس مضيئة للبرايا فى نهار وفى الدجا أقمار
ورياح تهب من كل فج وروق وراءها أمطار
ان شأن الاله شأن كبير جل ربا وجلت الآثار
والدى قد ذكرت دل على الله نفوسا لها هدى واعتبار

أو تقول كما قال غيره مخاطبا نفسه مستحثا لها على العبادة وإطالة الفكره حيث
يقول فى تخميس أبي نواس (بتصرف وزيادة)

تبصر حيث كان لك التبصر وفى ذات الاله دع التفكير
وأن ترد الميس حين تذكر تأمل فى نبات الأرض وانظر
الى آثار ما صنع المليك

فأنوار المهيم ساطعات وأفكار الخلاق حازرات
ولكن الأدلة واضحة أصول من لحين زاهرات
على أغصانها ذهب سبيك

شموس في البرية مشرقات نجوم في الدياحي لامعات
 بطول الدهر دوماً ساجحات الى ما لست أدري طائرات
 يطير بها له الجرم السميك
 رياض موتقات منعشات وألوان لعينك مدهشات
 وأزهار تروفتك مهجات على قضب الزبرجد شاهدات
 بأن الله ليس له شريك

أو يقول كما قال ذلك القائل

يقولون أين الله أين عجائبه وذا الكون سفر واضح وهو كاتبه
 يشكرون والأيمان ملء قلوبهم ويسدون ما تلك القلوب تكذبه
 فأى أمرى في الجور يرسل طرفه اذا ما بدت أقاربه وكواكبه
 وليس يقول الله في عرش مجده وهذى حواشيه وهذى مواكبه
 وأى أمرى ما سبغ الله مرة اذا راقب الأزهار وهى تراقبه
 عجائب ربي في الأنام كثيرة ولكن جهل المرء لاشك غالبه
 أو يقول وقد امتلأت نفسه بأنوار وجود الحق الذي ظهر في جميع الأشياء وتجلي
 نوره في عوالم الأرض والسماء وان غاب عن الأبصار وجل أن يدرك بالانظار .
 طهر الوجود الحق في الأشياء متجلياً جهرًا بغير خفاء
 ان الوجود عن البصائر غائب من حيث ما هو طاهر للرأى
 وأناى يكشف أن تمت شاخصا متحكما فيه بغير مرأى
 فرأيت من حيث لم تعلم به وعلمته في رتبة الأسماء
 والشمس لا تستطيع رؤية ذاتها لتألق فيها وفرط صياء
 أو يقول مقال ذلك الرجل الذي رآه ظاهراً في آثاره ظهور الشمس وان تعالى
 بحقيقته عن العقول :

حسن ترائى في المرأى وبه تحيّر كل رأتى
 والكون هرس زينت ذى الأرض فيه مع السماء

مكواكب ومراكب والنجم خفاق اللـواء
وصدى جميع الكائنات أختي من أشهى الفضاء
هو باطن هو ظاهر فاحذره من وجه الخفاء
واطلبه من وجه الظهور تجده في كل المراء
شمس وكل الخلق في أولها مثل الهاء
يا قوم كيف عقولنا لا تفضحل من الهاء
أو يقول عند ما يرى الأشجار تنهذى في حلق الأوراق والأزهار معجبا برؤيتها
متعجبا من قدرة خالقها

يا صاحبي تعجبا للملابس فدحاكها من لم يمد لها يدا
فقل لي بميشك هل من الحياء (والحياء خالق كل كريم) أن تتمتع بما خلق الله لك
من الأضواء والاصباح والامساء وما أوجد لك من بديع الأشياء وسخر لك من الأرض
والسماء وكان الأمر على ما يقول عز وجل (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة)
ثم لا تؤدي شكره ولا تعرف قدره

اني لا أعجب ممن قد رأى طرفا من فرط لطفك ربي كيف ينسك
فان كان لا يؤثر في نفسك فأنص إمامه ومزيد إحسانه ولا ما هو عليه من قدرة يتجبر
فيها الناظرون وعظمة لا يصفها الوصفون ، وعلم لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض
ولا في السماء وحكمة أتقن بها جميع الأشياء ولا ما هو متصف به عز وجل من نفوت
الجمال وصفات الكمال وكان لا يستولى على نفسك إلا سلطان الحس الذي تشاهده
بعينك أو تمسه بيدك ، فاعلم أن كل جمال يقع عليه حسك أو يتصل به لمسك فانما هو
حل من ظلال ذلك الجمال المطلق الذي يحل عن الحدود ويتعالى عن القيود وليس يطيق
أى مظهر من مظاهره إلا بعض سريره ولا تمثل لك أى مرآة من مراياه إلا بعض مزاياه
وأنت يسع المحدود من لا يقبل التحديد وكيف لا يصيق المقيد بمن لا يدخل في سجن التقييد ،
فطوبى لمن شم عرف شذاه أو شام برق سناه وهنيئا لمن شرب قليلا من مدامه ولو مزحا
فاذا لم يدبر ما هو نائق اليه ومتلهف عليه قال :

شيء به فتى لورى وهو الذى يدعى الجمال ولست أدرى ما هو
وفد قال بعض الحكماء لتلاميذه ان الناس كلهم يشفقون الى الله أتدرون لماذا
لأنهم يتوقون الى صلاح لا يتساهى وكمال لا يتأهى وجمال لا يتناهى وليس ذلك إلا
لله تعالى

فارجع الى سلامه بطربك وحدق بصر بصيرتك وطالع ذلك الجمال الالهى لى
نجلى على صفحات الموجودات وأقرأه بين سطور تلك المبدعات ثم انظر رعاك الله الى
أى حد انتهيت ولا أظنك ان كنت رفيق الوجدان لطيف الشعور قوى الاحساس بالجمال
الا وقد وصلت الى معنى يصغر بجانبه اسم الحس اذ تجددك أحسست بجمال لا يكيف
وعرفت فى بحر من الجلال لا يحد ولا يأتى عليه التعبير

فطورا فى الجلال على التداد وطورا فى التذاذ بالجمال
وعند ذلك ينطق لسان حالك منشداً

عجبت لعاقل فى الناس أصحى يرى هذا الجمال ولا يهيم
ويهرم بلبى روحك مفرداً

امرك كل الحسن من بعض حسنه وماحسن كل الحسن الا جماله
فأستجمل هذا الحسن رعاك الله فى كل شيء تراه من العلويات والسعليات
إن شئت فى فلك أو شئت فى ملك أو شئت فى مدر أو شئت فى حجر
فالكل ينطق أن الله خالقهم وهو المليك ورب النفع والضرر

وهل الشمس وهى أظهر ما علمت وأمر ما رأيت وأجل ما وقع عليه البصر وأبهى
ما وصل اليه النظر الا أثر من آثاره ونور من أنواره وقد كتبت عليها سطور البهاء
والجمال والعزة والجلال ، فنحن نقرأ فيها قدرة نخر لها ساجدين وحكمة تقف أمامها
مبهوتين وحالا يدوقه الوجدان وان كان لا يكيفه وتمتلى به النفوس وأن كانت لا تعرفه
ونطالع فيها رحمة تجمعنا قائلين بلسان الشاكرين تبارك الله أحسن الخالقين ، وحقه وما
أكبر حقه لو تفرغت من الشواغل التى أخذتك ولم تدع منك شيئاً لعشقت فذقت
فنطقت فقلت :

تراه . ن غاب عني كل جارحة في كل معنى لطيف رائق بهج
وفي مسافط أنداء السماء على بساط نور من الأزهار منتجع
وفي مسارح عزلان الخائل في رد الأصائل والأصباح في البلج
وفي مساحب أذبال النسيم إذ أهدى إلى سحيراً أطيب الأرج

عظم والله البرهان وأمتلاً الوجدان ووصل لأمر إلى حد العيان وليس بعد العيان
بيان، ولكن قويت الأنوار فعميت الأبصار فهي آيات أعيتت مشاهدتها وتكررت
رؤيتها وسقط عن القلب وقعها وإن عظم نفعها ولكن الهمة أن تكون من المستبصرين
لا ممن أخذ إلى الأرض من النافلين الجامدين .

خليلي قد طال المقام على القذا وحال على ذا الحال يا قوم أحوال
فاطلب رعاك الله مرافقة سكان الملكوت وعشاق الجبروت ، فإن كنت تحب
أحدنا لما بينك وبينه من التشاكل والتناسب فأحب الملا لأعلى سكان ملكوت الله تعالى
فإن فيك ما يشاكلهم عام المشاكلة (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) وليس
غذاً هذا الجوهر النفيس إلا العلوم والمعارف ولا مطلبه إلا السرور والحبور ولا أمنيته إلا
الاطلاق من جميع القييدات والاطلاع على جميع المنهيات وهو من عالم التقديس والتطهير
واكتنك نسيت عالمك الأول منذ فارقت وأشتغلت بمطالب هذا الميكمل الجسماني الذي
لا بد له من الفناء فأنت بالظلمات وتغرنت على احتمال الآفات

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح ميت إسلام
ولذلك يصف القرآن من هذا حاله بالموت لأنه أمان أفضل غريزه فيه بل أمان
خاصته التي هو بها إنسان على الحقيقة فيقول (أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ
نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَثَلِهِ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِيجٍ مِنْهَا) وقد استولت عليك
هذه المطالب الجسمانية حتى أنستك عالم البهجة والبهاء فصرت لا تعرفه ولا تحس به
وإنه لموطن روحك ومحل أنسك وليست الروح تحب هذه الملاد الجسمانية إلا لأجل بدنها
لا لأجل ذاتها وأما مطلبها الذاتي وغذاؤها الأصلي فهو الأسرار والأنوار ولما طال بها

لعهد وهي في سجن لطلمات ومحل الآفات بسيت ماهي مستعدة له ومخلوقة لأجله
وهو في الحقيقة بيان لمصير (لَوْ أَنَّ اللَّهَ فَاتَّسَاهُ أَنْفُسُهُمْ) فكان لم يكن لها عهد
بالصفاء ولا علاقة بعالم الجمال

كان لم يكن بين الحجون إلى الصف أبس ولم يسر بمكة سامر
سأل الله أن يميد لأرواحنا صحتها الأولى ويخلصها من أمراضها التي أضعفت منها
تلك الحاسة العليا التي هي مناط لذتها الكبرى وشرفها الأعلى وخاصتها الأولى ويررقتا بحبة
الله وبحبة الانبياء الذين هم أطباء الأرواح وأساتذة النفوس عنه وكرمه

يوسف الدجوي
من هيئة كبار العلماء

شباك طبيعية لعهد السمك

يوجد في غابات غينا الجديدة نوع غريب من المنكبوت لا يزيد حجمه عن البندقة
الصغيرة بحيث نسيجه بين غصون الأشجار . وتستعمل أهالي هذه البلاد هذا النسيج
لمتانتة ومناعته ضد البلل في صيد الأسماك . وتبلغ مساحة هذه الشبكة حوالي أربعة أمتار
مربعة وتتسع حلقاتها عند محيطها إلى ٨ سم^(١) ثم تأخذ في الضيق نحو الوسط حيث لا
تزيد عن السنتيمتر المربع الواحد . وكثيراً ما تقيم الأهالي سيقان الغاب في النواحي التي
تكثر فيها هذه العناكب لتنسج عليها شباكها ثم تترعها من يدها بسهولة .

(١) خلا من بحيرة العلم القائم الأمريكية

قضية البربر بالمغرب الأقصى

كانت الصحف قد نشرت أن الفرنسيين بالمغرب يمدخلون في شؤون البربر الدينية ، ويعملون لإخراجهم من الاسلام الى النصرانية ، وقام لهذه الحادثة العالم الاسلامي بالانكار والاحتجاج ، وكان الرب يخسب بعض الناس في هذا التبا لاعتقادهم أن ليس في أولى القوه اليوم من تحدثه نفسه بالتعرض لعقائد القوم وحرمانهم من التمتع بحقوقهم الدينية، وقد قامت لدينا شواهد كثيرة تدل على صحة ذلك التبا وتثبت أن الفرنسيين بالمغرب قد وجهوا فصدتهم في غير موارد الى فصل البربر عن بقية احوالهم المسلمين وتحويلهم الى الديانة المسيحية .

ومن هذه الشواهد الظهير الذى صدر من سلطان مراکش في اليوم السابع عشر من ذى الحجة سنة ١٣٤٨ — ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ ونشرته الجريدة الرسمية للدولة المغربية، في ٨ المحرم سنة ١٣٤٩ — ٦ يونيو سنة ١٩٣٠ .

ومقتضى هذا الظهير تنازل سلطان المغرب عن حقوقه الدينية في البربر لعزلة وتخويلها النظر في شؤونهم المدنية والجناية واحوالهم الشخصية ، ومن فصول هذا الظهير المختص بشؤون البربر ما يأتى :

«مع مراعاة القواعد المتعلقة باختصاصات المحاكم الفرنسية بايالتنا الشريفة فان الدعاوى المدنية أو التجارية والدعاوى المختصة بالعقارات أو المتقولات تنظر فيها محاكم خصوصية تعرف (بالمحاكم العرفية) ابتدائية أو نهائية كما تنظر المحاكم المعروفة في جميع القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية أو بأمور الارث وتطبق في كل الأحوال العوائد المحلية،

ان المحاكم الفرنسية التى تحكم في الأمور الجنائية حسب القواعد الخاصة بها ، لها النظر في الزجر عن الحنات التى يقع ارتكابها في النواحي البربرية مهما كانت حال مرتكبها،

صدر هذا الظهير فاصطرب له المغرب الأقصى وفاموا بظواهره في المساحد
وبعض الشوارع فاخذت الحكومة تسوي المظاهرين الى السجون ، ولم تمنعهم هذه
الشدة أن يقدموا الى السلطان خطابا مصحوبا باللائحة^(١) طالبوه فيها بالنظر في أمر
هذه الفتنة الرائعة، ولدينا نسخة من هذا الخطاب وأخرى من هذه اللائحة مأخوذتان
بالآلة المصورة وعليها توقيعات جمع عظيم من أعيان المغاربة، وما يقولون في الخطاب
« وكان الأمير الجليل يوسف بن تاشفين وهو من صميم البربر ينشر دعوة الاسلام
ومعالمه ويستصحب لكافة القبائل أجلة العلماء استرشادا لهم في اجراء الشرائع الاسلامية
دون توان أو فتور أو تراخ أو قصور، واقتفى أثره في ذلك ملوك البربر كالموحدين وبني
مرين حيناً بعد حين ، واستمر لواء الشريعة على عهدهم منشورا ، وجند الحنفية
السمعة مؤيدا منصورا في جميع أنحاء المغرب : مدنه وقراه ، عربيه وبربره ،
اما اللائحة فتحتوي ثلاثة عشر مطلباً وهي :

- (١) احترام نفوذ جلاله السلطان بالملكة وتثبيت سلطته الدينية والدنيوية .
- (٢) اصدار ظهير يحمل سائر الحواضر والبوادي خاضعين لحكم الشريعة
الاسلامية .
- (٣) تنظيم المحاكم الشرعية واصلاحها وتعميمها في جميع القطر المغربي .
- (٤) توحيد برامج التعليم في سائر المدارس التي تؤسس لتعليم الأهالي سواء في المدن
أم في القبائل وتعميم اللغة العربية التي هي لغة القرآن وتعميم تعليم الدين
الاسلامي .
- (٥) احترام اللغة العربية لغة البلاد الدينية والرسمية في الادارات كلها .
- (٦) ايقاف حركة المبشرين على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم ومنعهم من التجول
بالقبائل ونشر أى شيء يمس كرامة الاسلام وكرامة النبي صلى الله عليه وسلم .
- (٧) عدم منح أى اعانة من ميزانية الدولة أو ملك من أملاكها للجمعيات التبشيرية
وللساعين في تشييد الكنائس ومنتديات التبشير في أطراف البلاد المغربية .

(٨) عدم السماح للمبشرين باحداث ملاحجى ، لانتقام واللعناء ومدارس صناعة أو علمة للبنين أو البنات ، ولانفاق على ذلك من المال المعد للمصالح العامة وأموال جماعة المسلمين كما هو مقرر في الشريعة الاسلامية ، أما ما سبق تأسيسه فاما أن تقوم به الحكومة واما أن تفعل ، وعلى أى حال لا يبقى تحب نصرف المبشرين .

(٩) لا يمتلأ رهان والمبشرون في مدارس الحكومة للتدريس أو المديرية بها .
(١٠) عدم التعرض لفقهاء المكاتب والشراطين^(١) بالقبائل واعطاء الحرية للوعاظ والعلماء وشيوخ الطرق للتجول بالانحاء المغربية بقصد تعليم الناس أحكام دينهم وحثهم على شحاته .

(١١) اسقاط جواز التنقل بداحل الايالة المغربية التى يحصل بها تعدد الخضر عن البدوء ، ويتعذر بسببها التفقه في الدين .

(١٢) اعتبار جميع السكان الموجودين بالبلاد المغربية ماعدا الاجانب تحب رعايه مولانا السلطان وسلطته خاضعين للمحاكم الشرعية والمخزنية التى تؤسس باسمه الشريف ، وكذلك اعتبار جميع المغاربة مما عدا اليهود مسلمين بمعنى أنه لا توجد ملة ثالثة للمغاربة الوطنيين .

(١٣) منح العفو العام عن جميع المسجونين والمنفيين في سبيل هذه القضية وعدم التعرض لكل من خاض فيها .

نأخذ من هذه المطالب صحة أمور يمزوها المراسلون والواردون من بلاد المغرب الى الفرنسيين هنالك فان قولهم في المطلب السادس ، ايقاف حركة المبشرين ، يدل على صحة ما يلفنا من طرق شتى ان لرجال الكنيسة حركة تبشير يقومون بها في المغرب عامة وفي القبائل البربرية خاصة والفرنسيون يساعدونهم بما يستطيعون من قوة ، وقولهم في المطلب السابع بعدم منح أى اعانة من ميزانية الدولة أو ملك من

(١) الذين يكثرون الفروط ويشهدون على الناس على مقتضى الفقه الاسلامى

أملأها للجمعيات التبشيرية، ناطق بصحة ماذاع في الشرق من أن القوة المحتلة تقطع من مال الدولة المغربية أموالا بصرفها لرجال الدعوة الكاثوليكية مساعدة لهم على نشر النصرانية بين المسلمين ، وما كان ينبغي لها أن تأخذ جانباً من أموال المسلمين وتتفقه في مناوأة دينهم الحنيف والقضاء على شريعتهم الفراء ، وقولهم في المطلب العاشر . عدم التعرض لفقهاء المكاتب واشتراطين وإعطاء الحرية للوعاظ وشيوخ الطرق الصوفية للتجول بالأندلس المغربية الخ ، ، يصدق ماوردت به الرسائل من أن فرسة سدت في وجه هؤلاء طريق التجول في بلاد البربر ، وهي لاسد في وجوه هؤلاء طريق التجول الا حين تريد أن تقطع عنهم الدعوة الاسلامية ، وقولهم في المطلب الحادى عشر . اسقاط جواز التنقل بداخل الايالة المغربية، يحقق لنا أنها تريد أن تقطع الصلة بين قبائل البربر وبقية المدن فقررت لهذا الغرض الا يتنقل أحد من بلد الى بلد الا بتصريح حتى لا تأذن لاسد في دخول بلاد البربر الا أن يكون من أوليائها أو لا تخشى منه أن يقوم بدعاية خلاف دعايتها . وقولهم في المطلب الثالث عشر . منح العفو العام . عن جميع المسجونين والمنفيين الخ، يؤيد ماتابعت عليه الرسائل من أنها كانت تسوم كل من يظهر منه انكار عقاب النفى أو السجى

قصية تنصير القبائل البربرية اندفع اليها الفرنسيون في صراحة بعد أن كتب فيها كتابهم وحشهم عليها بعض قسمهم ، والا ن بين أيدينا مقالات متعددة ببعض كتابهم يرسمون فيها خطة قطع البربر عن تعاليم الاسلام وتحويلهم الى مسيحيين فرنسيين ، منها مقال بقلم المسيو كيو محرر جريدة الصليب بباريز نشرته مجله الماروك كاثوليك، (المغرب الكاثوليكي) في عددها الصادر في نوفمبر سنة ١٩٧٣ وقالت : انه بحث في هذا المقال بحثاً دقيقاً في المنصرين (العرب والبربر) المتناقضين التناقض الكلى .

ذكر صاحب هذا المقال شتاً من تاريخ البربر وأورد وجوه التناقض في زعمه بينهم وبين السكان من العرب وقال . ولذلك فهم المشبر^(١) ليوتى أن ذلك التناقض

(١) المتمدن الفرنسي بالمغرب الانصى في ذلك العهد

البميد بين العنصرين كفيل بجلب المصالح لدولة فرنسة ، مدفوعا الى تلك الحقيقة بما له من سرعة الذكاء الذى يريه رأى العين جانب المنفعة التى يستغلها من الرجال والاشياء ، ولما شاهد من الاشياء التى تصدر من سكان الأطلس تحقق أن تلك المقاومات البربرية ليست تتجه نحو فرنسة ولكن نحو السلطان ، واستخلص من ذلك أن تلك القبائل تطيع بسهولة حكومتنا أكثر مما تخضع لسلطة السلطان، وذكر أن ليوتى هذا «أنعم على البربر بشه استقلال داخلى وسمح لهم باتفاق مع السلطان بعدم ذكر السلطان نفسه في صلواتهم وعدم أداء الضرائب، وقال «ان البربر أميل الى الخضوع لنفوذنا أكثر مما يميلون الى الخضوع لسطوة السلطان الملمم من المشابهات الكثيرة بفلاحى فرنسة الا مشبهات تقربهم من العرب الرحالة ، ولذلك فاندماجهم فينا (في الفرنسيين) يكون سهلا كثيرا . ونقل صاحب هذا المقال عن الجنرال مانجار أنه قال عن أهل المغرب «ان تشبههم بعقائد الدين يفوق تشبههم بشعائره فاذا لم نصادمهم في العقيدة تمكنا من هدم بناء القرآن ومعانيهم محمد، ثم قال صاحب المقال «وهذه هى حالة البرابرة نفسها، وقال «فان طريق استئلائنا على ابلاد العربية صارت ممهدة ، وسيكون ذلك الاستيلاء باسم فرنسة لا باسم السلطان ، ويكون ذلك الاستيلاء بوسيلة المدرسة ومعنى المدرسة التبشيرية لا المدرسة المدنية المألحة ، ومما لاشت فيه هو اتخاذ احتياطات لان التبشير علينا ينبج عنه اقاط تعصب المسلمين ، ولكن لنا اليقين بان الاستيلاء مع طول المدة سيم أمره .

وقال «فاذا كان المغاربة يعثون بابتائهم الى مدارس اليسوعيين بيروت وغيرها من مدارس الكاثوليك فلماذا لا يبعث البربر بابتائهم لمدارس النصرانية التى تؤسس في نفس بلادهم ، ويكون ذلك مثلما هو واقع بالقبائل في الجزائر المسكونة ببرابر لافرو ييهم وبين برابرة المغرب، وقال «ان عزم المسيو ليوتى على تأسيس كنيسة جامعة بالرباط على رأسها أسقف كاثوليكي فرنسي يعينه رهبان من طريقته في عمله وتنشيطه لمدارس الرهبان ، كل ذلك يشعر بأنه بقدر نفوذ هؤلاء الرهبان العظيم

حق قدره ، ذلك التعوذ الذي سيظهر أثره في المسلمين ،

فقد رأيت هذا المقال كيف يلهم بدعاية الفرنسيين الى تنصير البربر ، ويصرح بأن المشير ليوتي قد ابتدأ في تنفيذ هذه الخطة اذ اعطى للبربر استقلالهم الداخلي وأمرهم بإسقاط السلطان من خطبة الجمعة ، واذا قال الكاتب : فعل ذلك باتفاق مع السلطان : فانا نعلم ما معنى اتفاق السلطان مع فرنسة وهي باسطة على رأسه سلطانها وأما اعطاؤه للبربر استقلالهم الداخلي فلا نفهم له معنى غير أنه انتزع زمام أمرهم من يد السلطان وابقاه في يده ليدبره على ما يوافق ما رب الاحتلال .

ويقول المسيوليوتي في منشور أرسله الى رؤساء الاستعلامات . لاحاجه لنا في تعليم العربية للمستغنين عنها (يعني البربر) والعربية رائدة الاسلام ، ومصحة لنا أمرنا بأن نمدن البربر خارج طور الاسلام ، وقد تابع رجال السياسة الفرنسية بالمغرب على قصد تجريد التعليم البربري مما له صلة بالاسلام ، وهذا الميوسمارقي المستشار بوزارقي المدلية والصدارة الآن يقول في كتابه (مغرب الفد) يصف سياستهم في البربر ، فالمدسة الفرنسية البربرية هي فرنسية باعتبار ما يقرأ فيها ، وبربرية باعتبار تلاميذها ، ولا حاجة لنا الى وسيلة أجنبية حيث أن التعليم العربي وتدحل الفقهاء وكل المظاهر الاسلامية ستبعد عنها قطعا ، واننا سنجذب اليها بوسيلة هذا التعليم الصبيان البرابرة ، وبذلك تبعدهم جبرا عن كل ما يطلق عليه لفظ اسلام .

هذا قليل مما تحت أيدنا من مقالات مغربة من مجلاتهم ومؤلفاتهم وجميعها يحقق أن مائشرته الصحف وجامت به الرسائل وتحدث به القادمون من المغرب هو واقع لامرية فيه .

ولم يبق بعد هذا الا أن يعرف رجال فرنسة ماثيره هذا العمل من فتنه زيادة على أنه خارج عن قانون العدل ، فخذوا على ابدى القائمين به ويتركوا البربر وسائر بلاد المغرب يقومون بشعائرهم الدينية وستمعون بحقوقهم الاسلامية

محمد الخضر حُسين

الفتاوى والأحكام

ورد إدارة المجلة السؤال الآتي :

يهمني أن تتكرموا بعرض المسألة الآتية على قلم التحرر لتمحيصها وبحسبها على مقتضى مذهبي الامامين الشافعي والحنفي لكثرة الجدل حولها وعدم الوقوف على حقيقتها ، وهي :

هل يسوغ لشافعي أو حنفي الاقتداء بالكني تحقق لهما أنه توساً بما مستعمل ؟
ثم هل يصح للشافعي أو الحنفي أن يقلد المالك في الوضوء بالماء المذكور المستعمل ، ويصليا على مذهبه أم لا . شبراريس إبراهيم محمد راشد

الجواب

اقتداء تابع أحد المذاهب في الصلاة بخالف له في المذهب من المسائل التي جرى فيها الخلاف بين أهل العلم من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة ، واليك البيان .
مذهب الحنفية - : الأصح في مذهب الحنفية أن الحنفي اذا تحقق من الشافعي مثلاً أنه أدخل بشيء مما يراه الحنفي شرطاً أو ركناً في الصلاة لم يصح اقتداؤه به ، قال الشيخ الشرنبلای في حواشيه على الدرر ، وأما الاقتداء بالخالف فان كان مراعي للشرط والاركان عندنا فالأقتداء به صحيح على الأصح ، وبكره والا فلا يصح أصلاً فالحنفي اذا رأى من الشافعي ما يفسد الصلاة في مذهبه لم يصح اقتداؤه به .
وذهب أبو بكر الرازي من الحنفية الى جواز الاقتداء بالخالف في الفروع باطلاق فقال يجوز للحنفي الاقتداء بمن يخالف مذهبنا من المجتهدين وتقيدهم وان رأى فيه ما يبطل الصلاة على رأيه ومذهبه ، ونقل ابن الممام عن شيخه سراج الدين الشهير بقارى الهداية . أنه كان يعتقد قول الرازي حتى أنكر مرة أن يكون فساد الصلاة بذلك مروياً عن المتقدمين . وللشيخ محمد عبد العظيم بن فروخ رسالة اعتمد فيها قول الرازي وبني رسالته عليه حيث قال ، هذا (يعنى قول الرازي) هو المنصور دراية وان اعتمدوا خلافه رواية وهو الذى أميل اليه ، وعليه تمسئ مذهبنا اليه في هذه الورقات

فاذا تحقق حنفى من مالكى أنه توضاً بقاء مستعمل لم يصح الاقتداء به في المشهور من مذهب الحنفية وساغ له الاقتداء به في قول أبى بكر الرازى .

مذهب الشافعية : الأصح في مذهب الشافعية - كما في المجموع للإمام النووي- أن المأموم اذا تحقق ترك الامام لشيء هو في اعتقاد المأموم معتبر في صحة الصلاة لم يصح اقتداؤه به ، وان تحقق اثباته به أو شك في ذلك صح الاقتداء .

وذهب أبو بكر محمد بن على القفال من أكابر علماء الشافعية الى ان العبرة باعتقاد الامام فيصح اقتداء الشافعى بالحنفى أو المالكى اذا أتى بالصلاة على الوجه الصحيح في مذهبه وان لم تكن صحيحة على مذهب المأموم وتحقق المأموم ذلك ، فلو مس حنفى امرأة أو ترك الطمأنينة في الصلاة مثلاً لم يصح اقتداء الشافعى به على ما هو الأصح في المذهب، وصح الاقتداء على قول أبى بكر القفال، فاقته الشافعى بمالكى تحقق له أنه توضاً بقاء مستعمل ينعمه جمهور الشافعية ويميزه القفال .

مذهب المالكية - : المقرر في مذهب المالكية : أن الاقتداء بالمخالف في المذهب صحيح ولو لم تكن صلته صحيحة على مذهبيهم كأن يترك الدلك أو مسح الرأس في الوضوء ، قال الشيخ خليل في مختصره ، وجاز اقتداء بمخالف في الفروع الظنية ولو اتى بمتناف لصحة الصلاة كمسح بعض رأسه ،

مذهب الحنابلة - : يحرز الحنابلة الاقتداء بالمخالف في الفروع كالمالكية قال الشيخ ابن تيمية في فتاويه ، وكان أحمد بن حنبل يرى الوضوء من الحجابة والرعاف ، فقل له فان كان الامام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ ، أفنصلى خلفه ؟ فقال كيف لأصلى خلف سعيد بن المسيب ومالك ؟ .

ومعنى هذا الجواب أنه يصح للحنبل أن يصلى وراء المخالف في المذهب وان لبس بما يتنافى الصلاة في مذهب الامام احمد بن حنبل ، فان سعيد بن المسيب ومالك ابن انس لا يريان الوضوء من خروج الدم وقد أنكر احمد بن حنبل على من تردد في الاقتداء بمن يرى رأيهما وقد خرج منه الدم ولم يتوضأ

وجه صحة الاقتداء - : قد عرفت ان المالكية والحنابلة وأبا بكر الرازى من الحنفية وأبا بكر القفال من الشافعية يجيزون الاقتداء بالمخالف في الفروع الظنية على الإطلاق ،

ووجه هذا المذهب أن الأصل صحة اقتداء المسلمين بعضهم ببعض ، ومن ذهب الى عدم الصحة فعليه اقامة الدليل ، ولم نر للقائلين بعدم الصحة الا دليلا هو اعتقاد المأموم أن امامه على خطأ ، وهذا غير كاف في الاستدلال ، لأن المأموم يعتقد مع ذلك أن عمل الامام صحيح عند الله اذ كل مجتهد مطالب بان يعمل على مقتضى اجتهاده ومن قلده انما يعمل على مقتضى هذا الاجتهاد ، واذا كان عمل المجتهد أو من يقلده صحيحا عند الله فما المانع من الاقتداء به ؟

ثم ان السلف من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين كانوا يختلفون في العروع ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه تخرج من الاقتداء بمن يخالفه في اجتهاده .
تقليد الشافعى أو الحنفى للمالكى :-

يجوز لأحد اتباع الأئمة المجتهدين تقليد مذهب امام آخر اذا لم يقصد التلاعب ، وهذا ماكان في عهد الصحابة رضى الله عنهم ، فانه لم يرد انهم انكروا على العامة تقليد أحدهم في بعض المسائل وآخر في غيرها ، والمدار على أن يكون قاصد الانتقال من مذهبه على بيته من صحة الحكم في المذهب المنتقل اليه ، كان يتلقاه من عالم أمين ، وصحة الوضوء بالماء المستعمل ثابتة في مذهب مالك ، فاذا توضأ الشافعى أو الحنفى بالماء المستعمل مقلدا مذهب الامام مالك فصلاته صحيحة .

هذا مايقوله المحققون من علماء الاصول غير أن منهم من يذكر الانتقال شروطا وأهم هذه الشروط ان لا يحصل بالانتقال صورة يقع الاجماع على بطلانها كأن يتزوج بغير صداق ولا ولى ولا شهود ، وان لا يكون شأنه التقاط رخص المذاهب أينما وجدها .

وهذا الحكم واضح فيما اذا لم يعمل في الحادثة بمذهب امامه قبل الانتقال الى مذهب غيره ، اما الانتقال في حادثة سبق له العمل فيها بمذهب التزم تقليده فقد حكى فيه ابن الحاجب والامدى الاتفاق على المنع ، وأنكر ابو عبد الله الزركشى في كتابه البحر المحیط ، هذا الاتفاق وذكر أن الخلاف جار في الانتقال بعد العمل أيضا أى أن من أهل العلم من يميز للعامى ان ينتقل في الحادثة الى مذهب آخر ولو سبق له العمل فيها بمذهب امامه
محمد الخضر حسين

العلوم والآداب

المسلمون في الروسية^(١)

١ - حالتهم من الوجهة الداخلية

٢ - أول المهاجرين من المسلمين

دعاة الانفصال - الأعاديون - « اليس »^(٢)

ان فكرة الانفصال لا ترجع فقط الى عهد اعتلاء البلشفية منصة الحكم كما يتوهم البعض في فرنسا ، ولا يجب ان يتسرب الى الذهن أنها وليدة ذلك الانقلاب المريع وحده الذي لم يكن الا احد عواملها وسببها من الاسباب التي نشأت عنها لأن تلك الفكرة فكرة الانفصال ليست بحديثة العهد بل دعى اليها قبل أن يعرف الناس شيئاً عن الشيوعية. تلك ظاهرة اجتماعية لها مثل من الظواهر الطبيعية اذ نرى ان القوى الدافعة تظهر طلائعها قبل أن تلمح المركز الذي تنبعث منه ، مثال ذلك النداء الذي رفعه مسلمو روسية الى رئيس الولايات المتحدة الامريكية عند انعقاد مؤتمر الجنسيات بلوزان (سويسرا) في شهر مايو عام ١٩١٦ من الميلاد حيث جاء به ما يأتي :

« نحن مسلمي روسية من تاتار وبشكير وسارت وطاجيك وتركمان من شعوب القوقاز الجبلية البالغين خمسة وعشرين مليون نفس نحتاج بشدة على اضطهاد حكومة روسية لنا بممانته فينا شعور التضامن والتعاون ذلك الشعور الذي لم نكن نعرفه من قبل ان تلك الحكومة تحول بيننا وبين اقامة شمائر ديننا الذي هو اقدس تراث لنا وقد حاول الروس عام ١٨٩٢ من الميلاد أن يدخلوا في القرآن بعض التحريف والتعديل واستهانوا بحقوقنا السياسية المعترف بها قانوناً ولم يقيموا لها وزناً أو يحترموا لها شأناً هذا الى ما قاموه من العقبات ونصبوه من المراقيل في سبيل تقدمنا المادي والفكري فضلاً عن أنهم قيدوا توظيفنا في الجيش والادارة والمحاكم وضيقوا علينا

(١) مترجم عن الفرنسية من كتاب التنصير والاسلام لجورج كاستنيد

(٢) « اليس » هم الروسيون المعارضون للحكم الشيوعي كما أنه يطلق على الشيوعيين اسم « اليم »

سبل الاحتراف بالمهن الحرة واغتصبوا اراضيها واعطوها غنيمة باردة لكبار المقربين منهم ، ومنذ أن أقامت الحرب لم يبقوا للعذل ظلا ولا للعدالة أثرا وأخذوا يسوموننا سوء العذاب ويذيقوننا أشد العقاب بدون تحقيق وبلا دفاع.

وختم النداء بهذه العبارة

«فهللوا الى اغائتنا وتعالوا الى نجاتنا من الهلاك والدمار !!» .

ووقع عليه بالنيابة عن المسلمين اصحاب الامضاءات الآتية

قازى عبد الرشيد ابراهيم - اغا اوغلى احمد بك - اختشورا اوغلى يوسف - حسين زاده

ليس المجال هنا مجال بحث تلك المطالب ونمحيصها بل كل مانرى اليه من سردها هو أن نبين أن العناصر المعارضة للحكم الروسى والداعية لفكرة الانفصال ليس بجدثة العهد أو أنها وليدة الانقلاب الروسى الاخير ، ولا تخلو الاشارة اليها من فائدة من الوجهة التاريخية

اما المهاجرون المسلمون انصار فكرة الاتحاد فيمثلهم حزب يدعى «مورك عدى ومركيت فرقة زه» ويرى الى انشاء دولة روسية متحدة تؤسس على مبادئ جديدة ولنبحث الآن مبادئ ذلك الحزب حسب ما جاء برنامجه الذى نشره بمدينة اليراقبول في ابريل سنة ١٩١٧ اعين اعضاء هذا الحزب في برنامجهم أن يكون شكل الحكومه جمهوريا اتحاديا (لامركزيا) وارادوا بذلك أن يمنح الاستقلال الذاتى للمقاطعات التى يسود فيها العنصر التترى وأن تمنح الجزر الواقعة بسدا عن الروسة وفيها اقلية من التتر استقلالاً ذاتيا اهليا .

فأما المقاطعات ذات الاستقلال الذاتى المحلى فبكون لها السلطة التشريعية والتنفيذية وتؤلف منها الولايات المكونة لدولة الروسية الاتحادية وتشترك معها في نظام الجيش وخطط الدفاع عن كيان الدولة وفي السياسة الخارجية وسك النقود ونظام الضرائب المقررة على البضائع (الضرائب الجركة) وتكون تلك المقاطعات مستقلة في كل المسائل المتعلقة بسياستها الداخلية .

واما الطوائف التي تسمع باستقلال ذاتي أهلي والموجود خارج روسيه فانها تتحد تحت ادارة عامة وترتبط برابطه مليه ووطنية وبوضع لها نظام يحدد فيما بعد
واما المسألة الدينية فانها تحل بطريقة يكون أساسها حسن التفاهم والتسامح المتبادلين بصرف النظر عن الخلاف القائم بين السنين والشمعيين

من ذلك يرى أن هذا البرنامج برنامج شعبي ونقلب عليه روح الافكار الحديث وانه وان لم يكن برنامجا اشتراكيا الا أن الحزب الاتحادي قد قرر في ختامه انه يعتمد لتحقيقه على هيئات العمال .

ويلاحظ عند درس هذه الوثيقة السياسية التي وصفت في العهد الاول من الثورة أن واضعها لم ينتحوا كثيرا عن المبادئ التي اعلنها منذ زمن بعيد أول الداعين لفكرة الحكم الشعبي (الديموقراطي) في الروسية وكان يمثلهم حرب، ازراغ الاشتراكيين، الذي كان يدعو دائما الى مبدأ الحكم الاتحادي (اللامركزي) والى تأسيس ولايات روسية ذات استقلال ذاتي

الا انه لم يتبع هذا البرنامج الحزب الدستوري الشعبي (الديموقراطي) الذي تأسس وتسمى باسم مختصر دعاه «الشاب» وكان مكونا من أصحاب الاموال والجاه وقويا بنفوذه الفكري والادبي وذلك بفضل الصفات البارزة التي كان يتحلى بها اعضاؤه المنتخبون من صفوة رجال العلم والأدب وقد كان هذا الحزب بطبيعة تكوينه ذا ميول ظاهرة لتأييد مبدأ الحكم المركزي ولا يرى اعضاؤه تطبيق مبدأ الحكم الذاتي على بولونيا وفنلندا .

قد تخيل لنا ان تلك الافكار قد أكل عليها الدهر وشرب واصبحت عتيقة لايعمل بها الآن ولا تستحق الدرس والبحث ولكن لكي يتسنى درس هذا الموضوع من الوجهة التاريخية لم نر بدا من أن نأتي بموجز عن تاريخ الحركة الوطنية الاسلامية قبل الحكم الشيوعي وعن اوجه الشبه ونقط الخلاف التي بينها وبين الآراء التي قامت عليها حكومتا الشعبية (الديموقراطية) .

ان مجال هذا الموضوع لا يتسع لسرد تاريخ الحركة التي قام بها «البيض» الا أنه يجب ألا ننسى أن اهم ادوار ذلك العراك الذي دارت رحاه بين «البيض» و«الحر» كانت ميادينه في كثير من الاحيان المقاطعات الالهة بأغلبية من التتر الذين كانوا بطبيعة مركزهم مضطرين الى الاشتراك فيه اشتراكا فعليا اما بصفة ضحايا معتدى عليهم واما بصفة فاعلين أصليين معتدين .

اما الاشتراكيون الثوريون (الزراع الاشتراكيون) اعضاء الجمعية التأسيسية المنحلة فقد اشتركوا في صيف سنة ١٩١٨ مع بعض العناصر الشعبية (الديموقراطية) في تنظيم حركة ضد البلاشفة واتخذوا ميدانا لها فيما وراء الفولجا ، وكونوا لهم لجنة ادارية دعوها «اوقا» وكان التتر يشدون ازرهم في هذه الحركة وجعلوا قازان أهم هدف وجهوا اليه جهودهم كما كان يسمى اليها في نفس الوقت الجيش التشيكوسلوفاكي وكان الأتaman دوتوف قائد قوزاق اورنبرج من اهم مساعدي امير البحر (الاميرال) فولتشاك الذي قام بحركة في بلاد البشكير .

واذا انتقلنا الى جهة جيوش «البيض» في الجنوب لألفينا أول نواة للمقاومة حيث تأسست في عام ١ٹ١٨ حكومة شعبية من تتر بلاد القرم تحت رئاسة القائد سولكيفيتش احد تتر ليتوانيا وبجانبه الميسو فيناور احد زعماء الحزب الدستوري الشعبي (الشاب) وكان وزيرا للخارجية والميسو نابو كوف من اعضاء الحزب المذكور وتقلد وزارة الحقانية ، وكان القائد دينكين يعتمد على قوقاز الشمال ، وقد التف حول الراية الثلاثية الالوان كثير من المسلمين الذين يقطنون الجبال .

وفي مايو سنة ١٩١٩ اقيمت حكومة اسلامية في الداغستان تحت رئاسة القائد خليلوف حليف دينكين الا أنها لم تدم طويلا بسبب ملاقته من مقاومة الانجليز . واما الحكومة المعارضة للبشفية فكانت حكومة شعبية باوسع معاني الكلمة ومكونة من رجال السكك الحديدية في اسخايات وكان التركمان أهم قوة حربية تعتمد عليها وتقلد اوراز سردار وزارة حربيها .

ان تلك الملاحظات الوجيزة تتيح لنا بأن نقرر ما يشهد بالعمى لمواطنينا المسلمين^(١) الذين لم يقفوا ازاء الحركة الاستقلالية التى قام بها مسلمو الروسية موقف الجياد بل لعبوا فيها دورا مهما واشتركوا اشتراكا فعليا فى النضال الذى قام به اخوانهم فى الدين ببلاد الروسية، نعم ربما يكونون قد اخطأوا فى اشتراكهم ولكن ليس هذامهما وانما المهم انهم شاركوهم فى البأساء والضراء . هذا ولا يمكن ان ننسى الدور المشرف الذى لعبه المسلمون فى الحركة التى قام بها البيض فى دورها الأول واتخذت شكلا شعبيا حماسيا

موجز

تاريخ مصر والاسلام

وضع الاستاذان الفاضلان الشيخ محمود ابو العيون مفتش العلوم العربية والدينية ، ومحمد الحسينى ائندى رخوا مفتش الاداب بالمعاهد الدينية، كتابا فى تاريخ مصر والاسلام ، يتألف من أربعة أجزاء ، وقد ظهر منها الآن جزآن : الأول يشتمل على السيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين ، وبه خريطة لبلاد العرب وبعض ما فتح الاسلام من البلاد ، وصور فوتوغرافية لجبل عرفات ومكة والكعبة والمدينة وجبل حراء والحجر الاسود وغير ذلك من المشاهد العربية الاسلامية .

والجزء الثانى يشتمل على تاريخ قدماء المصريين وفتح مصر والدولتين الأموية والعباسية وبه كثير من الخرائط والصور الخاصة بالاثار المصرية . طبع الجزءان بمطبعة المعارف طبعا متقنا للغاية ، وثمن الجزء ٩ قروش وسيظهر باقى الأجزاء فى الشهر المقبل ان شاء الله تعالى .

وموضوعات هذا الكتاب محدودة بعبارات سلسلة ، مع شرح المفردات وضبط اسما الأعلام . فنحث أهل العلم والأدب على اقتنائه .

وتطلب الأجزاء من المؤلفين بإدارة المعاهد الدينية بشارع الدواوين بالقاهرة

رقم ٤٧

القسر والحرية في التربية

للاستاذ الدكتور جرارد بوده

مترجمة عن الألمانية

سجل

احتلظت الآراء في الوقت الحاضر اختلافاً بيناً في وسائل التربية لاعداد بشي .
قوى الأخلاق وأفراد حرة الرأي قوية الآداب، وينتازع في ذلك مذهبان متضادان
المذهب الأول هو المذهب القسري الذي يرى أن لا وسيلة الى التربية الخلقية
القوية الا بالضبط الشديد . والمذهب الثاني هو المذهب الاختياري الذي يرى أن
الحرية المطلقة هي أعظم كفيل لتربية نفوس مستقلة كثيرة الاعتماد على نفسها .

ويرجع المذهب الأول الى ما كان متبعاً في القرن الماضي في المدارس من انضام
المسكري الاجباري ويرى أن في تقييد الحرية الطريقة المثلى لتهيئة رعايا مطيعين
وساعد على انتشار هذا المذهب في التربية وقتئذ انتصار هيجل^(١) له وتبريره اباه
في كتابه «التسلط الاستبدادي على العقول في المانية» الذي قال فيه : (ان الطفل
بفطرته لا يعرف الخير ولا الشر فمن الحماقة أن نعتبر هذا الجهل البريء مثلاً أعلى
تطلع اليه فلا قيمة له ولا بقاء ، اد سرعان ما تظهر بوادر العناد والشر في الطفل
ولا سبيل الى تبديد العناد ودفع الشر الا بالتربية القسرية)

ويرى هذا المذهب الى غرس روح الخضوع والاستسلام المطلق في الناشئين
ثلاً نسود بينهم الوقاحة والسلطة ويتحكم فيهم القردور .

تنبه علماء التربية الى ما في ذلك المذهب من خطر على تكوين اخلاق البشي ،
فان الاشراف الكلي عليهم ومضايقتهم بوضع حدود للمباحات والمحظورات والارتياب
في السماح لهم بالحرية الكافية لتدريبهم على الشعور بالمسئولية الشخصية يكون عقبة في

(١) هو « جورج فلهلم فريدريش هيجل » (١٧٧٠ - ١٨٣١ م) أحد كبار فلاسفة الالمان

سبيل تكوين نفوس حرة تعتمد على نفسها
ولقد صرح البارون فون شتين ^(١) ، في حديث له بأن الثقة بالمرء وعلى من قدره
كما أن الرقابة الشديدة تعوقه عن بلوغ كماله .

هذا الى أن التربية القسرية تفرى النشء بالاحتيال على التخلص من قيودها
المرهقة ما استطاعوا الى ذلك سبيلا معتقدين أن الفرص يبرر الوسيلة . فلا ينتظر
لهذه الطريقة الخطرة على التربية الحلقية من النتائج الا الخضوع وعدم الشرف
ولطالما ارتفعت شكوى أصحاب الرأي السديد في القرن المنصرم من نقص
الأخلاق الناتج عن مثل هذه القيود التي كثر ادخالها في المدارس العالية
ولذا فإن إعادة مثل هذا النظام الاستبدادي في التربية في الوقت الحاضر يعد
عملا عقيما اخرق .

ولما طهر فساد هذا الرأي في التربية القسرية رأى الفريق الآخر من علماء
التربية أن الحرية المطلقة وبذ الانقياد والطاعة أعظم كفيل لتكوين نشء متين
الأخلاق كثير الاعتماد على النفس .

وهكذا يذهب كل من الرأيين مذاهبا متطرفا وينظر الى التربية من جهة واحدة
فالأول يقتضى الطاعة المطلقة ويقتضيها في كل أمر على حين أن الآخر يرى أنها
عقبة كؤود في سبيل النشوء الطبيعي .

وقد انتصرت للمبدأ الأخير المربية «بركنز ستون» في كتابها «تربية الأطفال»
اذ قالت ان في الخضوع والانقياد تلف للأخلاق فيه يعود الناشئ على عدم الثبات
على رأيه والاستسلام الى تضحية ارادته، وأيدتها في ذلك الكاتبة المعروفة «ألن كاي» ^(٢) «
فوضعت على هذا المنوال منهجا في التربية في كتابها المشهور «جيل الطفل» الذي
اشارت فيه الى «جوتيه» ^(٣) الذي أوضح في مؤلفه «فرتر» أن قوة الارادة في

(١) هو «البارون هيرش فريدريش كارل فون شتين» (١٧٥٧ - ١٨٣١ م) أحد كبار رجالات السياسة الالمان

(٢) «ألن كاي» (١٨٤٩ - ١٩٢٩) كاتبة سويدية مشهورة

(٣) هو يوهان فريدريش مون جوتيه (١٧٤٩ - ١٨٣٢ م) أكبر شعراء الالمان

الرجل إنما هي وليده العناد في الطفولة وأن جميع مساوي هذا العهد تعد حواص مميزة للأطفال لا يجب انقضاء عليها لما تحويه من بذور خير وإنما ينبغي تعهدها بتحويل وتنويع مستمر حتى تصبح عذبة الضرر ، فيجدر بالمرء أن يجتهد في تحويل عناد الطفل الى متانة في أخلاقه وقوة في إرادته ومكره الى نباهة وافتتانه بحب الظهور الى لطاف في المعاشرة وفقه وتأثره الى نشاط وحب في العمل .

يجب أن يغمض المرء عينه عن غلطات الطفل في غالب الأحيان كما يجب عليه أن يحذر أن يتدخل فيها مباشرة تجنباً للزلل ، وإنما المهادة في التربية الطبيعية هي في استرعاء يقظه انطلق الى من نشأ وترعرع بينهم .

وبذلك لا غير يتأتى للطفل أن يصل الى ادراك معنى الاعتماد على النفس والاستقلال في الرأي .

ونرى ، أن كأي ، أن النظام القديم القسري يفرضه على الطفل الطاعة المطلقة والانقياد الكلي إنما يقضى عليه بفناء ذاته في ذل واستكانة بخلاف النظام الجديد الاستقلال القائم على الحرية فإنه ينهض بالنشئ ، ويقومه فلا يكون على المرء إلا أن يعينه حتى لا يدب اليه الاضمحلال بسبب ما في نفسه من ضروب الضعف .

أن معارضة زعماء التربية الاستقلالية لمذهب غلاة التربية الاستبدادية القسرية التي تقتضي الانقياد والطاعة العمياء مما ينبغي أن تتلقى بالقبول والاستحسان ، ولكن التربية المطلقة من كل قيد المراد ادخالها هي أشد خطراً على تكوين أخلاق النشئ . من مجرد تقييده ، فإن التطور الذاتي المطلق البعيد عن الطاعة يقود النشئ الى الانقياد لأهوائه المتقبه ونزعاته الجامحة وذلك أضر أنواع العبودية ولا يمكن معه وجود معيشة مشتركة بين الناس نسود فيها الآداب المرعية وفضلاً عن ذلك لا ينشأ عنه اشخاص أقوياء الأخلاق إذ أن مثل هؤلاء الاشخاص لا يتكونون إلا اذا كبحت جماع الشهوات والملاذ الشخصية فيهم وهذا مصداق لحكمة «جوتيه» القائلة (مت لتجيا) يتضح من هذا كله أن الحرية المطلقة كأنضط المطلق كلاهما ضار بالتربية ولا يجب أن ننصح باتباع أحدهما بل ينبغي أن نجتمع بين الاثنين . فلا يقال القسراً والحرية

بل التمسر والحرية . فلا نستغنى التربية عن الضبط كما لا يجب أن يتعد عن الحرية في بعض الأحيان ، فيجب على المربي أن يضبط على الطفل كما ينبغي عليه أن يترك له الحرية اللازمة .

ولكن كيف السبيل الى ذلك ؟

هذا هو ما أجاب عنه الدكتور برينفر مفتش التعليم في المانية بكتابه " كيف نربي أولادنا .

يجب إرغام الطفل على الطاعة عند ما تمرد أثرته على الآداب العامة المرمية والناموس الطبيعي وتركه في حرية عند انقياده لها مختاراً لا بد أن يدرك الطفل معنى الآداب العامة والناموس الطبيعي السائر على جميع البشر كما وأنه لا بد أن تترك له الحرية حيث تقوده خبرته المستنبطة دون الإضرار بحقوق رفاقه ، كما يجب تركه مستقلاً في حياته الوجدانية فلا ينبغي أن نسمي في حله على حب أي إنسان أو بنفسه فإن الميل والتفوق نحو الناس أو الأشياء لا يمكن التأثير فيهما بل ينشأ من تلقاء نفسها وليكتف المربي مؤونة ذلك ، وذلك على الأخص في الأمور الظاهرة التي لا قيمة لها ، فلا يجب مطالبة الطفل بالطاعة الجازمة حيث لا داعي لها وأن لا يصير المربي على أمره بشيء إذا كان عدم تنفيذه لا يسبب ضرراً جسيماً أو نفسياً .

وأما حيث يقتضي إجبار الطفل على أمر فينبغي على المربي أن يجتهد ما استطاع في تنبيه شموه الى أن هذا الأمر لا يمكن مخالفته وأنه مقصود به المصلحة وبذلك يتمكن من إيجاد الثقة في الشيء وبدونها لا يمكن تربية سلطان حقيقى بالوسائل الظاهرة الكاذبة التي يدعو اليها أصحاب مذهب التربية القسرية .

فالطاعة التي لا بد منها في التربية الصحيحة يجب أن تصبح تدريجياً طاعة اختيارية ولا سبيل الى ذلك الا بتجنب طلبها في صيغة الأمر المجرد . وانما يجب حمل الشيء باطنا على مراعاة الطاعة وشروطها بطريق المجاملة بواسطة الثقة ، وبذا لا يشعر الشيء بأن التربية عبء ثقيل بل يقوم بتنفيذ قواعدها طيبة بها نفسه .

وهكذا محل عمل اطاعه الظاهرة طاعة أخرى باطنه يتلائم فيها الصمط مع الحرية
وعلى هذا الاساس السليم تتكون التربية الخلقية القويمة
وتنطبق على الطاعة الباطنة قول مجوته. (بالطاعة أشمر في عصى بأكرم معاني
الحرية)

انقضاء عصر المنظار

(مترجمة عن مجلة « Die Umschau » الألمانية)

حرم الدكتور هينيه الاستاد في أمراض العيون بجامعة كيل في ألمانية رجاءه
جديدا يلتصق بسطح العين تحت الجفن وفام معامل زيس الألمانية بأعداد المقاييس
المختلفة من هذا الزجاج الذي يبنىء بانقضاء عهد المنظار العادى .
ولقد استغرقت المباحث الطبيعية في عيادة طب العيون بالجامعة الألمانية بمديته
كيل سنين طويلة لتحقيق من مزايا هذا النوع من الزجاج المثبت على المنظار العادى
المستعمل الآن ، فانه علاوة على منظره الجميل حيث يكاد لا يرى فان الاسار
يستطيع الاستعاضة به في قصر النظر الى ٢٠ وحدة من مقياس النظر « Dioptrie »
وفي كل أنواع طول النظر كما يمكن بواسطته ضبط احدى العينين للنظر الى مسافات
طويلة ، والاخرى الى مسافات قصيرة وبحركة مثل هذه الزجاج المثبتة حسب
حركات العين تنسج بها دائرة الرؤية بخلاف المنظار العادى الذى يحدد مثل هذه
المناطق، هذا فضلا عن حفظ النوع الجديد من الزجاج لدرجه الحرارة ومقدار الرطوبة
ولا تملوه الفشاوة .

أما مبراته في الالعاب الرياضية وقيادة السيارات والاستحمام والعموم فلا شكر
ثم هو بالرغم من وضعه الداخلى يفضل المنظار العادى اذا ما أصيب بمطرب أو كسر ،
فان العين تسلم من قذى الشظايا كما دلت على ذلك التجارب العديدة المختلفة وقلما
تسلم عند كسر المنظار العادى .

مبادئ عامة

في الاقتصاد السياسي^(١)

الحياة الاقتصادية (١)

« النشاط الاقتصادي »

الحاجيات يشعر المرء بحاجيات كثيرة ويسمى جهده سدها ، فتنها ماهو خاص بكيانه الجشعاني وقوام وجوده وهي من المساس بحياته بحيث لا يستطيع أن يعيش بدون سدها كالحاجة للأكل والشرب والنوم .

اما الحاجيات الأخرى وهي ما نسمى احيانا بحاجيات المدينه أو بالكماليات فانها لا تبلغ من شدة لزومها لنا مبلغ الحاجيات الأولى الضرورية ، ولا يقصد من سد الحاجيات الكمالية سوى زياده هناء بني الانسان ووفره راحتهم وتنمية اجسامهم وتوسيع مداركهم وتحسين أخلاقهم فقد الامكار

الخدمات . نسمى الناس سد حاجياتهم بواسطة الخدمات التي يمكن أن يؤديها هم بعض الاشياء ، او الى عموم لهم بادائها لبعض الاشخاص . فالدار مثلا تؤدي ساكنها خدمة بأن تقيه البرد والحر والمطر ، والأغذية والملابس تؤدي لنا خدمة لاغنى لنا عنها ، وكذلك نحن في حاحه لخدمات الأطباء والمحامين والمدرسين والعمال والفنيين ولفئات كثيرة من الناس لاعد ولا حصر لها . وانا نرى طبقة الاغناء يشكو من أنها لا تحصل على خدمات الخدم الا بكل صعوبة .

الأموال ان نفظ الأموال. في لغة الاقتصاد نطلق على الاشياء الماديه الى من شأنها او التي نعتقد أن من شأنها ان تد حاجيات الانسان اما مباشرة

(١) مترجم عن الفرنسية من كتاب « موجه في الاقتصاد السياسي » للاستاذ ب ريبود (P REBOUD)

كالماء الذى يطفىء الظمأ أو غير مباشرة كالجارى الذى تجلب الماء ، ويطلق كذلك على تلك الأشياء في كثير من الأحيان اسم «ثروات» فيقال مثلا: يدرس الاقتصاديون طرق انتاج الثروات ووسائل تبادلها ونشرها وتوزيعها واستهلاكها. ولكن لا يؤدى أحد اللفظين (الأموال أو الثروات) تماما المعنى المراد التعبير عنه لفكرة المقصودة لأنه لم يجر العرف بأن يطلق على القارورة لفظ «مال» أو على المحيط (الابرة) لفظ «ثروة» الا أن الاقتصاديين قد قنعوا بهاتين الكلمتين لعدم وجود ما هو خير منهما لكننا نفضل استعمال لفظ «أموال» على كلمة «ثروات» التى لامراء في أنها تؤدى معنى الرخاء والثراء .

هذا ويجب علينا أن نفرق بين نوعين من الاموال : أموال لأملاك لها كالمساكن والنور والشمس ، واموال لها مالك خاص وهذا هو الحال في جل الأموال الموجودة بالدول الحديثة الفاصلة بالكان كبلادنا (فرنسة) وتسمى باسم (أموال اقتصادية) وهى التى يعنى بها رجال الاقتصاد ، فمعد الكلام في هذا الموضوع عن لفظ «أموال» يجب أن يفهم منه «الاموال الاقتصادية».

هذا وان الناس بدافع حاجياتهم يسمون للحصول على خدمات يزعمون - بحق أو بغير حق - أنها تسد تلك الحاجيات ، فاذا كانوا يتوقعون الحصول على تلك الخدمات من أشياء مادية فانهم يبذلون جهدهم لجنيها أو لصنعها بأنفسهم أو لشرائها أو لاستعارتها أو لاكثرائها ، ولو كانت الخدمات يقوم بها غيرهم من الناس فانهم يدفعون ثمنها كالخدمات التى يقوم بها الخدم والعمال والأطباء والمحامون وأصحاب المصارف وكل من يمكنهم أن يؤدوا لهم خدمات ما وهم يدفعون ثمنها اما نقدا واما بوعا بأن يقوموا لهم في نظير تلك الخدمات بخدمات أخرى أو أن يعطوهم أموالا غيرها في مقابلها .

النشاط الاقتصادى : النشاط الاقتصادى هو شكل من أشكال النشاط الانسانى الذى بواسطته يحصل المرء على الخدمات التى تؤدبها الاشياء أو التى يقوم

بها الأشخاص وينتظر منها أن تسد حاجيات الإنسان وبهذا النشاط تتجلى مظاهر الحياة الاقتصادية، لفرد من الافراد أو لجماعة من الجماعات ، وهذه الحياة تلخص كلها في ثلاثة الفاظ: «حاجيات» (ومنها تتولد الرغبات) «وجهود» (للاصول على الشيء المرغوب) «وسد الحاجة» (الناسي عن تحقيق الرغبة)

الاقتصاد . ان مجموع الأعمال الاقتصادية والشروط التي تؤدي فيها تلك الأعمال والنتائج التي تنجم عنها كل ذلك يكون النظام الاقتصادي لفرد من الأفراد أو لجماعة من الجماعات هذا اذا اعتبرنا أن الناس يعيشون في هيئات اجتماعية وان كل ظاهرة معدودة جزء من أجزاء الاقتصاد هي ظاهرة اقتصادية .

فاذا كان الناس يعيشون في عزلة عن بعضهم كما عاش سلكيرك (SELKIRK) في جزيرته غير الالهة بالسكان لما وجدت سوى ضروب فردية من الاقتصاد حيث يمكن فقط أن يروى تاريخ كل فرد منهم على حدته وتكتب سيرهم الشخصية ولما وجد علم الاقتصاد ، واذا كانوا يعيشون جماعات مجتمعة في بلاد واحدة لكنهم مستقلون بعضهم عن بعض تمام الاستقلال وقام كل فرد منهم بسد حاجياته بمفرده لما وجد كذلك الا أنواع فردية من الاقتصاد يمكن أن تكون موضوعا لدراسة سير شخصية أو لدراسة احصائية ولما وجد اقتصاد سياسي .

افتقار الناس بعضهم لبعض . ان أمثال روبنسون (Robinson) شواد لا يقاس عليهم لأن الناس ينتمون لهيئات اجتماعية مرتبطة ببعضها وذات نظم مختلفة اختلافًا كبيرًا أو قليلًا وتتكون منهم تلك الهيئات . هذا وليس الناس متدينين في تلك الجماعات مجرد اندماج لا تربطهم أية رابطة بل هم على العكس متضامنون تضامنا وثيقا ومفتقر بعضهم لبعض .

ففي بعض الهيئات الاجتماعية التي بلغت درجة ما من الرق والتقدم يرى أن حاجيات كل فرد فيها أصبحت من الكثرة والتشعب بحيث تعجز عن القيام بها

وحده . فالزادع يأكل حنطه ويكتفى بشروبه ولكنه لا يصنع ملابسه ولا آلات حصده وزرعه ولا عجالات نقله ولا معدات ركابته .

فلكى نستطيع الحصول على الاموال التى نحن فى حاجة اليها والخدمات الشخصية التى لاغنى لنا عنها يجب على كل فرد منا أن يطلبها الى من يستطيعون اداها ويدفع ثمنها إما من أمواله الخاصة وإما أن يؤدي فى مقابلها خدمات لفرد فحاجات الفرد يمكن اذن أن تسد إما بواسطة أموال أو بخدمات الآخرين .

من ذلك تتكون علاقات اقتصادية عديدة بين أعضاء كل هيئة اجتماعية كالعلاقات التى بين البائع والمشتري أو بين صاحب المصنع والصانع أو بين المير والمستير وكذا علاقات بين المنتجين وبعضهم وبين المستهلكين وبعضهم وبين العمال وبعضهم وغير ذلك من العلاقات العديدة التى لاعداد لها

(ينفع)

النظر في الملح .

سمع يونس بن حبيب رجلاً يَتَشَدُّ .

إِسْتَوْدَعَ الْعِلْمَ قِرطاساً فَضَيَّعَهُ وَيونسُ مَسْتَوْدِعُ الْعِلْمِ الْقِرطاسِ

فقال يونس :

قَاتَلَهُ اللَّهُ . مَا أَشَدُّ صَيَانَتَهُ لِلْعِلْمِ وَصَيَانَتَهُ لِلْحِفْظِ ؟ أَنْ عَلِمْتُ مِنْ رَوْحِكَ . وَأَنْ مَالَكَ مِنْ بَدَنِكَ فَصُنْ عِلْمَكَ صَيَانَتَكَ وَرَوْحَكَ وَصُنْ مَالَكَ صَيَانَتَكَ وَبَدَنَكَ

قال شاعر حكيم :

إِذَا مَا الْحَيُّ مَاتَ بِذِكْرِ مَيْتَةٍ فَذَلِكَ الْمَيْتُ حَيٌّ وَهُوَ مَيْتٌ

وَمَنْ يَكُ يَيْتُهُ يَتَارِفُ مَا وَهَذِهِ فَلَيْسَ لِذَاكَ يَيْتٌ

اللاسلكى وكيف يصل الى الأسماع

جاء بمجلة العلم الشائع الأمريكية (Popular science) في وصف كيفية وصول اللاسلكى الى الأسماع أن مقدارا وافرا من الآلات الكهربائية المتقدمة التركيب تعمل بلا انقطاع لتنتج غشاء مكبر الصوت الذى لا يزيد وزنه على أوقية أو أقل . فإذا علمت أن ملايين من مكبرات الصوت تعمل كلها بنظام واتساق في وقت واحد وأن الاداعة اللاسلكية لا يكون نصيبها النجاح الا اذا بلغت أقصى مراتب الدقة الفنية اتضح لك أنه يستحق مايدل فيه من الوقت والمال والمجهود الآلى العظيم وقيا على وصف لكيفية وصول الصوت اليك بالمنزل .

ان التيارات الكهربائية الضعيفة التى تسرى في متلق الصوت بالمكان الذى تمزق به الموسيقى أو يخاطب به الخطيب تصل الى لوح يجتمع فيه الأصوات بطلق عليه اسم مجمع الأصوات حيث تتألف وتنسجم وقد تستعمل عدة مثليات للصوت لتلقى أصوات جوقة واحدة ويقوم مراقب مجمع الأصوات بضبط درجة الصوت الصادر من كل متلق من حيث الارتفاع والانخفاض ويجعل منها كلها وحدة كاملة الانسجام . ويرسل الاهتزازات الكهربائية الناتجة بعد مضاعفتها وتكبيرها الى غرفة الارسال الرئيسية حيث تنقسم قسمين يرسل الى محطة الارسال الى تقوم باذاعة البرنامج والقسم الآخر يسرى في اسلاك الى محطات أخرى . وفي كل مائة وخمسين ميلا محطة تقوم بتكرار البرنامج وتضاعف قوة الاهتزازات ، ومن ثم ترسلها الى المحطة التى تليها وهكذا دواليك .

وكلما وصلت الاهتزازات الى محطة من محطات الاذاعة تلقىها جهازا الارسال واندفعت منها الى القارئ الهوائى ^(١) فتنتشر في الجو بقوة هائلة وبلتقطها موصل الجهاز اللاسلكى الذى يكون بالمنزل ، ويقوم جهاز الاستقبال بتكبيرها وتحويلها الى موجات صوتية تصل الى سمعك بواسطة مكبر الصوت .

(١) صفة موصل للأوج الكهربائية .

أسرار البيضة

مترجمة عن مجلة Woche الألمانية

ليضة الطيور استدارة خاصة فلا تديرها الأمهات وقت الحضانة الا حول محورها الطولى . ولا يتكون فيها الجنين الا وظهره الى أعلى وبطنه الى أسفل مهما تغير وضع البيضة على هذا المتوال وقت الحضانة .

وذلك يرجع الى تركيب مخصوص بداخلها كثير الشبه بالمصباح المعلق في السفن . وهذا التركيب عبارة عن خيوط لولبية من الرلال الكشف مثبتة في نهايتى القشرة المتبجعة ومعلق بها الصفار من نقطتين فوق محور ثقله وبذلك لا يتغير وضعه مهما دارت البيضة حول نفسها في المحور الطولى ، وبما أن تكوين الجنين بداخل البيضة يبدأ من نقطة على سطح الصفار العلوى وظهره الى أعلا يبقى كذلك مهما اختلف وضع البيضة وقب الحضانة والقفص .

ولهذا الترتيب فضل في تكوين الفرخ تكوينا صحيحا سالما ، فقد لوحظ أنه لو وضعت البيضة رأسيا مثلا داخل صندوق التفريخ الصناعى وأفسد بذلك عمل الجهاز السابق لأفرخت فرخا مشوها لم يكمل فيه تكوين حائط البطن وانكشفت امعاؤه ، ومن ذلك يتضح أن هذه الخيوط الزلالية اللولبية انما وضعت لوقايه أجزاء الفرخ من هذا التأثير السيئ الناشئ من الضغط ، فان أعضائه المكونة من خلايا رقيقة جدا لاتتحمل ضغط أحدها على الآخر بل لابد من صيانة وضعها في الوضع الطبيعى أو بعبارة أخرى لابد من تكوين الجنين وظهره الى أعلى وبطنه الى أسفل . ويتنفس الجنين داخل البيضة كما يتنفس كل حيوان فيستنشق الاكسجين ويطرد الغاز الفحمى فلو صقلت القشرة بدهان يسد مسامها وفتحاتها — وما هى الا فسيفاء من قطع الجير لاختنق الجنين بداخلها وهو في بدء نشوئه .

يبدأ الجنين باستنشاق الهواء الموجود داخل فراغ الطرف المنبطح ثم لايلبث أن يتمم الاكسجين خلال مسام القشرة اذا ما نفذت كمية الهواء بداخلها .

وتوجد لهذه الاسباب أدوات لجلب الهواء داخل صناديق انمرنخ الصاعى وبدونها
يفسد الهواء بداخلها ويحل محله ثانى اكسيد الكربون ، أما عضو التنفس في الجين
فهو الامعاء وبها عدد كبير من الاوعية الدموية وتلتصق بالسطح الداخلى للقشرة.

الطرف والملح

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا مشعر القراء . استبقوا الخيرات وابتغوا
من فضل الله . ولا تكونوا عيالا على الناس .
وقال الشاعر الواعظ :

افصل من ركنى قوت ونيل حظ من السكوت
ومن رجال بنوا حصونا تصونهم داخل البيوت
غدو عيد الى مئس يرجع منه بفضل قوت

قال الامام الحافظ يوسف بن عبد البر : وهذا مما لا خلاف فيه بين علماء المسلمين
قدسيا وحديثا .

قال شاعر

وقد تغدُر الدنيا فيُضحى غنيها فقيرا ويبقى بعد بؤس فقيرها
ولا تقرب الامر الحرم فانه حلاوته تفنى ويبقى مريرها
فكم قد رأيت من تكدر عيشة وأخرى صفا بعد كدرا غديرها
كتب بعض الشعراء الى أخيه يعرب بن علي ابن له يقال له محمد :

إصبر لكل مصيبة وتجلد واعلم بان المرء غير مُخلد
وذا دكرت محمدا ومصابه فاذكر مُصائبك بالنبي محمد

قال شاعر حكيم :

ليس الكريم بمن يُدنس عرصه ويرى مروءته تكون عن مضى
حتى يشيد بناءهم بينائه ويزين صالح ما أتوه بما أتى

الوراثية^(١)

من المسلم به اجمالا أن الوراثة البشرية ثابتة لا يمتريها التغير والتبديل وأن الخواص الجديدة لا تتكون الا بطريق المصادفة أو بالرياضة أو بمضى آلاف السنين . وقد بحث الاستاذ أروين باور بألمانية امكان تعديل الطبايع باستعمال مقويات كيميائية وعضوية .

وأظهرت الأبحاث التي أجريت في الحشرات والنبات أنه من الممكن احداث ضروب من التغير فيها بتعديل خاص في الجزء الملون من الخلية (الكروموزوم) وتوصل البعاث الا مريكيون الى أن المادة المشعة (الراديوم) تحدث تغييرا في نواة الخلية - كما نجح الاستاذ باور في تغيير النبات - ليس بتعديل تركيب نواته فقط بل بتعديل المادة الأولية بالخلية (البروتوبلازم) أيضا .

وقد لوحظ أن النبات استمر على غوه وازدهاره بعد غمره في محاليل ساخنة أو باردة أو بعد تعريضه لفعل المخدرات كالأثير أو الكحول ولم يطرأ على أعقابه أى تغير . الا أن عوارض القصر والانحلال واثناء الوريقات والزهور بدأت تظهر عليه في العقب الثالث ويتضح من ذلك أن العوامل التي تؤثر في الخلية البشرية لا يمتد تأثيرها الى الجيل الثالث فحسب بل انها تبدأ فعلا من هذا الجيل . وقد صرح الاستاذ أرنست رودن أمام جمعية تقدم العلوم الألمانية أن كثيرا من أبناء المصابين بمرض الحوريا^(٢) الوراثية قد أصيبوا بهذا المرض في دور الطفولة وأن ٣٣ في المائة من أبناء المصابين بنوبات انقباض النفس الجنونية يتناهبهم هذا الضرب من الحبال و ١٠ في المائة من أبناء المصابين بالصرع يصرعون به . و ١٣ في المائة من أبناء المصابين بالتشنج العصبي (المستريا) يمرضون بهذا التوتر في الأعصاب .

فن الواضح أن حالة الطفل العقلية هي صورة جلية من حاله التي كان عليها والداه ، وان النتائج التي وصلوا اليها لتعديل خواص الحيوان والنبات قد تؤدي يوما الى تخفيف وطأة الوراثة في الانسان .

(١) مرض عصبي من عوارضه تقلص عضلات لحم

(٢) مزحة على علة العلم الأمريكي

تفسير لبعض الألفاظ العلمية

المصطلح عليها في الكهرباء

مترجمة عن مجلة Gruene Post الألمانية

كثيرا ماتخبط على الانسان معانى المصطلحات العلمية في الكهرباء وهى لشيوعها في العالم جميعه رأينا ضرورة ايضاحها تذكيرا للصعوبة ومنعا للالتباس :

القلت « Volt » - ان التيار الكهربائى في سريانه كثير الشبه بالمياه داخل الانابيب . فكما يجب ضغط المياه لرفعها وجريانها يستلزم سريان التيار الكهربائى الضغط أيضا ، ويسمى هذا الضغط بالطاقة أو الجهد في التيار ووحدة قياسه هى (القلت) . فيدل بذلك عدد القلت على مقدار الضغط الذى يدفع التيار الكهربائى في الاسلاك الموصلة .

الأمير « Amper » - ينتج عن الضغط على أى مادة اندفاعها ، فقياس كمية المياه مثلا التى تنبثق بتأثير ضغط مخصوص بالثورات وتزداد هذه الكمية بازدياد الضغط ، وأما وحدة القياس في الكهرباء فهى (الكولومب) . و (الأمير) هو عبارة عن كولومب واحد في الثانية الواحدة ويدل بذلك على قوة التيار الكهربائى .

الأوم « Ohm » - تتوقف كمية المياه المنبثقة بتأثير ضغط مخصوص على نوع وشكل الانبوبة التى تجرى فيها المياه ، فكلما كانت الانبوبة خشنة وضيقة عادت سريان المياه فيها ، كذلك يصادف التيار الكهربائى مقاومة في الأسلاك الموصلة وتتوقف مقدار هذه المقاومة على نوع وشكل الأسلاك ، ووحدة قياس هذه المقاومة هى (الأوم) وهو عبارة عن المقاومة التى تسمح بمرور تيار قوة أمير واحد اذا كان الضغط قلنا واحدا أيضا .

الوات « Watt » - لا يمكن الانتفاع عمليا بالتيار الكهربائى مهما عظمت طاقته (أى الضغط المسبب سريانه) اذا لم تكن له قوة كما لايمكن الانتفاع به

ايضا مهما زادت قوته اذا قلت طاقته ، فلا بد للتيار الكهربائي من هذين العاملين حتى ينتفع به في الأغراض العملية وتقاس كفاءة التيار وقدرته العملية بالوحدة المماثلة (وات) وهى عبارة عن الكفاءة العملية لتيار قوة امبير واحد تحت ضغط قلت واحد ايضا .

كيلو وات في الساعة — وهو عبارة عن شغل ١٠٠٠ وات في ساعة زمنية .
وبعددها تعدد مصاريف استخدام التيار الكهربائي .

قوة الحصان هى القوة اللازمة لرفع ٧٥ كيلو جرام الى ارتفاع متر واحد في ثانية زمنية واحدة ، وقوة الحصان الآلية تقابل الكيلو وات في الكهربائي الا أنها تقل عنها بقدر الربع تقريبا

الشعلة : لاتستعمل في الكهرباء الآن ، ولما تقدر قوة اضاءة المصابيح الكهربائية بالوات ، ولكن مازال بعض علماء الطبيعة يستعمل الشعلة كوحدة للقياس . وقوة اضاءتها تعادل على وجه التقريب ثلث قوة اضاءة الشعلة الدهنية العادية . ويمبر بالشعلة المترية عن الاضاءة التى ترسلها الشعلة الى مسافة متر .

كيلو هرتر « Kilo Hertz » — وهو اصطلاح فى الآلات اللاسلكية (الراديو) ويدل على ١٠٠٠ ذبذبة فى الثانية الواحدة .

الطرف والملح

قال الشاعر:

كُنْ حَيًّا إِذَا خَلَوْتَ بِذَنْبٍ	واحذر السخطَ من علىَّ مَجِيدٍ
وَيْلَكَ مَرَرْتَ مِنْ يَرَاكَ عُثْوًا	وتواريت عن عيون المبيدِ
وَبِحَلْمِ الْأَلْهِ عُدْتُ إِلَى الدِّ	بِ وَلَمْ تَخْشِ غَيْبَ يَوْمِ الْوَعِيدِ
أَقْرَأْتَ الْقُرْآنَ مَ لَسْتَ تَدْرِي	أَنْ دَا الْعَرْشَ دُونَ جِبِلِّ الْوَرِيدِ

الاجسام المتحجرة^(١)

كانت المركبات الحجرية التي على صور حيوانات سببا في انتشار الخرافات والحزعلات في الأجيال الفائرة ، وكان الاعتقاد السائد حتى القرون الوسطى أنها اما مصادفات طبيعية لاعلاقة لها بالحيوان أو النبات واما أنها نتيجة صنع الشيطان في سعيه لمحاكاة صنع الخالق جل شأنه مع عجزه أن يبعث فيها الحياة .

ولم يتنبه الى حقيقة أمرها وكنه أصلها الا نفر قليل من العلماء البحاثين أمثال «ليوناردو دافينسى»^(٢) كما فطن لها فلاسفة وعلماء الأغريق من قبل واعترفوا لها بأنها بقايا حيوانات ونباتات شهدت يوما الحياة ثم ماتت وتركتها شاهدة على سابق وجودها وتحجرت بتأثير عوامل خاصة في أزمان سحيقة .

أصبحت هذه المركبات الحجرية — أو بعبارة أصح الأجسام المتحجرة — الان بفضل تقدم العلوم واستيعاب الابحاث معروفة الا لغير قليل من جهة العامة ماراوا يعدونها سرا من الاسرار ويتوهمون فيها رموزا للتفاؤل أو التشاؤم .

وقد يسهل على الانسان أن يتخيل أشكال الاجسام المتحجرة مثل الأصداق والقواقع أو الآثار النباتية في الفحم وخلافه من الأحجار الا أنه يمسر عليه ادراك كيفية تحجر هذه الأحياء . ولم يهتم العلم بهذه الابحاث اهتماما جديا الا منذ زمن قريب فسهل البحث والاستقصاء الطريق للاهتمام الى غالب الظواهر والأدوار التي اجتازتها هذه الكائنات الى أن أخذت في النهاية الشكل الحجري والتي يرجع اليها الفصل في حفظ هذه الأجسام ووقايتها من الاندثار مدى هذه الأزمان السحيقة والتي مازالت تعمل عملها لحفظ ووقاية أجزاء الكائنات النباتية والحيوانية للأجيال القادمة .

وبما أن النبات والحيوان يختلفان في تكوينهما من حيث المادة فبدهى أن

(١) للاستاذ الدكتور سنن . مترجمة من مجلة « Kosmos » الألمانية

(٢) هو ليوناردو دافينسى (١٤٥٢ — ١٥١٩ م) العالم الإيطالي المشهور

الأدوار التي مرت بكل منهما مختلف باختلاف مواد تكوينهما ، ولذا يحسن بنا أن نأتى على تفصيلها بالنسبة لكل منهما على حدة .

(تحجر الملكة النباتية)

قد يبدو لأول وهلة التباين الواسع بين النبات والأحجار إلا أن حيوطها خفية تصلهما في الدورة المادية الدائمة ، فيستمد النبات غذاءه من الأحجار وقد يكون مصيره اليها بعد المات ، كما أن كثيرا من أعضاء الملكة النباتية يحتوى في تكوينه على بعض المواد المعدنية فإذا ما بليت المواد العضوية بها بقيت هذه محفوظة على مدى السنين .

وقد يترك إنبات أثرا ظاهرا في الطبقات الحجرية الفحشية أو الاربدوازية وذلك بتحويله تدريجيا الى فحم بتأثير احتجاب الهواء عنه اذا دفن في الطبقات الطينية فتبقى المادة الفحشية في حين أن الطين يتصلب الى أن يصير حجرا فيترك به النبات علامات وأثارا فحميه واضحة ، وما هذه الا آثار في الحقيقة الا النبات ذاته في صورة فحم وقد مهد له مرفدا في الحجر قبل يفسه وقد يتمكن الانسان من رؤية مميزات ودقائق تكوين النبات في هذه الآثار ظاهرة .

وقد يبلى لب الشجرة قبل الانحلال قشرتها الخارجية فيمتلا جوفها بالطين والرمل عند سقوطها في باطن الأرض ويزداد هذا المزيج صلابة مع مرور السنين وتأخذ قشرة الشجرة الخارجية في الانحلال أو تتحول الى فحم فيظهر الجذع كأنه سبيكة من الحجر تعلوها آثار مطبوعة من السطح الداخلى لقشرة الشجرة .

وكثيرا ما تبقى النباتات الحفرية ^(١) محفوظة بسبب ما يعلوها من المواد المعدنية في باطن الأرض التي تقيها من عوامل الانحلال ، ولا يوضح هذه الظاهرة عمليا يؤخذ محلول مشبع بالملح ويدلى به خيط ثم ركز المحلول باضافة كمية من الجبس اليه فتعلق بلورات الملح بالخيط ^(٢) . ويقابل هذا المحلول المركز الرواسب الحجرية

(١) الحفرية هي الاجسام الباتية أو الحيوانية المدفونة باطن الارض وهي صد الحديثة في تاريخ الكرة لارضيه .
فالاجسام الحاضرة تسمى الحديثة والمتركة يطلق عليها الحفرية

(٢) تعرف هذه العملية بتجيرة « جوتان »

في الطبقات الطينية أو الرملية الموجودة في المياه العذبة أو المالحة لما تحويه من مواد مذابة وهي التي تطلق ببقايا النبات أو ماشاكلة من الاجسام الغريبة كما تعلق بلورات الملح بالحيط ، ويطلق بالاجسام النباتية عادة الجير والدولوميت^(١) والتراكيب الحديدية فتحمل بها ، وأوضح مثال لذلك وجود ما يسمى بالاعشاب الدولوميتية في طبقات الفحم الحجري ونظير فيها أنسجة الأجزاء النباتية بكل وضوح كما يمكن فحصها ميكروسكوبيا مع أن الدولوميت لا يوجد في الواقع بطبقات الفحم الحجري . وقد تتسرب مثل هذه المواد الى داخل جسم النبات فتعلا فراغ خلياته وذلك عند وجوده في الأحواض الرملية ونسعى هذه الظاهرة بالتعجر الحقيقي وتعلب في بحجر جذوع الاشجار والاعشاب الأخرى وتعرف عندئذ باسم الغابات المتعجرة . ويرجع السبب في نشوئها الى كثرة وجود البلورات الصخرية في الرمال التي تعلق بسطح النبات وتتسرب الى باطنه كما تحمل محل أجرائه البالية المتحللة .

وقد يكون أهم أدوار بحجر المملكة النباتية تحولها بانذات الى أحجار وهو المعروف بظاهرة تكوين الفحم ، وما رآه هذه الظاهرة لعمل عملها بأكثر معانيه أمام أعيننا في الوقت الحاضر ، فما تراكم المواد النباتية في الأراضي الملق والمستنقعات التي ترو على مليون كيلو متر مربع في وقتنا هذا الا بداية في تكوين الاحجار الفحمية وأول طور في تحويل النبات الى أحجار .

فهنا يأخذ النبات في الانحلال تحت تأثير عامل التأكسد البطيء مع احتجاب الهواء فتزداد مواد الكربونية وتقل جزيئاته الأخرى - خصوصا الأكسجين - وبذلك يفقد شكله الخارجى وتتغير أنسجته شيئا فشيئا وتقل كتلته وتزداد صلابته ويأخذ لونه في التفتيح وبذلك تتحول الاعشاب النباتية تدريجيا الى فحم حجري و ترسيبت^(٢) خصوصا اذا ساعدت على ازيد سرعة هذا التحويل عوامل أخرى

(١) الدولوميت كربونات الجير المشبعة بالنيسيوم

(٢) الفحم الاسمر هو أول طور في تكوّن الفحم عذبة عديم في باطن الأرض . والفحم الحجري هو أندر أنواع الفحم عذبة . وأما الانتراسيت فهو نوع خاص من الفحم الحجري اللامع بخرق يطره بدون لب ولا رائحة ولا دسب ويترب أن يكون من الكربون الخالص

مثل ضغط الطبقات الصخرية أو حراره باطن الأرض .
يفقد النبات مميزاته مع قسـم عهده في باطن الأرض كما أسفنا . الا
أنه ليس من الصعب الاستدلال على قرابة الطبقات الفحمية للاراضى الملق حتى
ليسر على الانسان في بعض الأحيان التمييز بين طبقات الفحم الأبيض — وهى
أحدث طبقات الفحم عهدا — والاراضى الملق . ويمكن تتبع أوجه الشبه هذه في
جميع أطوار انتقال الفحم المختلفة كما يمكن الاستدلال عليها مباشرة دون الاحتياج الى
اقتفاء أثر حلقات أوجه الشبه وذلك بوجود طبقات من الطين المتفنن أو من الرمل
أو الطفل على صورة ألواح اردوازية أو أحجار رملية بين مناطق الفحم الحجرى
كالتى نصادفها في الاراضى الملق الحالية .

وتتسع الاراضى الملق والمستنقعات الحاضرة بما عليها من أعشاب ونباتات لدراسه
أكبر ظاهرة في تحويل النباتات الى أحجار كما تكشف لنا عن أسرار تكوين المناطق
الفحمية في العصور الغابرة . « يتبع »

الطرف والملح

قال يحيى بن طالب :

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ نَظَرًا	إِلَى قَرْقَرَى يَوْمًا وَأَعْلَامِيهَا الْخَضِرُ
إِذَا ارْتَحَلْتُ نَحْوَ الْبَهَامَةِ رُقَّةً	دَعَاكَ الْهَوَى وَاهْتَاكَ قَلْبُكَ لِلذِّكْرِ
كَأَنَّ فَوَادَى كُلِّهَا مَرَّ رَاكِبٍ	جَنَاحُ غَرَابٍ رَامَ نَهْضًا إِلَى وَكْرِ
فِيَا حَزَنًا مَاذَا أَجْنُ مِنْ الْهَوَى	وَمِنْ مُضْمَرِ الشُّوقِ الدُّخِيلِ إِلَى حَجَرٍ ^(١)
تَمَزَّتْ عَنْهَا كَارَهَا فَتَرَكْتُهَا	وَكَانَ فَرَاقِيهَا أَمْرًا مِنَ الصَّبْرِ
أَقُولُ لِمُوسَى وَالنَّمُوعِ كَأَنَّهَا	جَدَاوِلُ مَاءٍ فِي مَسَارِيهَا تَجْرَى
أَلَا هَلْ لَشَيْخٍ وَابْنِ سَتِينَ حِجَّةٌ	بِكَي طَرَبًا نَحْوَ الْبَهَامَةِ مِنْ عَسْفَرٍ

مقتولة من كتاب الأستاذ ف. سترن. لمعون. « الحالة النفسية للطفولة في عهدها
الأول » المطبوع في ليبرج سنة ١٩١٤ مطبعة كروبله وماير — انظر صحتي
٢٨٣ - ٢٨٤ .

الترتيب الصامتة

تابع مقال

(مثال من عناية الالمان بتربية أولادهم)

المشور بالعدد الخامس ص ٣٩٠

كنا أربع أخوات وقد عودنا من صغرنا أن نرتب ثيابنا بأنفسنا وكنا نتعاون
في ذلك فكانت الكبرى منا ترشد الصغرى ففي يوم من أيام الاحاد وقبل أن يحين
وقت الخروج للتنزه المعتاد عصرا أمرنا أبونا أن نأخذ أهبتنا له وحضنا على الاسراع
لأنه مع نعويده لنا الترتيب كان يستمسك أيضا بالمحافظة على رعاية المواقيت فبادرنا
فورا الى ارتداء أكيستنا وكانت آخرتنا في اللبس أختنا التي كانت في نحو الخامس
عشر من عمرها ولكن واندم . . . فان رداءها الأسود كان مفتوق الحياطة في كفيه
وأحد جانبيه فقط فاحشا فحاط لما أبى الفتى الخارجى غرزا صغيرة متقاربة بخيط أبيض
خياطة غريبة جدا فأضطرت أختي في هذه الحالة لا الى أن تفك الحياطة المصنوعة
باهمال فقط بل الى تحمل الثمب في فك الفرز المخيطة بالخيط الأبيض أيضا وأن
تتنازل عن تنزهها معنا (وهي الآن تدير مشغل خياطة كبير خاصا بها ذا شهرة
عظيمة بمهارة وحذق)

ولا أظن أن واحدة منا نحن الأخوات ليست من ذلك العهد قطعة من ثيابها
مفتوقة الحياطة لأن هذه القاعدة الى تلقيناها في التربية من غير كلام كانت من قوة
الايضاح في نفوسنا بحيث أن هذه الحادثة وقد مضى عليها الآن نحو ثلاثين سنة
مازالت تتمثل أمام عيني تشيلا جليا في أكثر الأحيان خصوصا اذا رأيت خياطة
مفتوقة .

مثال من عناية الالمان بتربية أبنائهم

ترجمة صاحب التوقيع

(٢)

السيدة الى تكلمت عنها انما انتهت من هذا الى أنها لما كان أحد اولادها فيها بعد يتدىء في حكاية مخرعه كهذه كانت تقول له وهى ضاحكة واهها للقمر القديم الوفي فقد حكى لك في النوم حكاية مضحكة فأفادهم ذلك أن تعلموا الالتفات لأنفسهم وتدرجوا وحدهم في التمييز بين الحلم والواقع حتى أن أصغرهم وكان قد بلغ الثالثة من عمره يقط من نومه يوما ضاحكا وهويناديهما بقوله : أماد ايوم عرفت لأول مرة أنى حلمت حقا انه لمضحك

قد انتقلت بنا الأقوال المخالفة للواقع الناشئة من عالم الحلم الى طائفه أخرى تالفة من هذه الأقوال الصادرة عن غير قصد يقال لها أكاديب الخيال فان الأطفال الى أن يبلغوا الثانية عشرة من عمرهم يعيشون معيشة خيالية تخالف معيشة الكبار مخالفة تامة فتحشد في نفوسهم صورة مبينة لا يعرفون ابته معرفه واضحة ان كانوا انتزعوها من الواقع أو أنها ليست الا نتائج لأفكارهم ورغائبهم ومشتياتهم ، فن ذلك أن رجلا من معارفى ذا مركز سام حكى لى ذات يوم أنه لا يزال يذكر ذكرا جليا كيف أنه وهو في العاشرة من عمره بعد العطلة المدرسية الكبرى التى كان يقضيها في إقليم تورنجين قريبا من قصر لأحد الأمراء كان معدا لاقامة صاحبه كان يحكى لرفاقه عند عودته الى موطنه أنه كان أثناء هذه العطلة يمارس مع صفار الأمراء ألعاب الفروسية في فناء القصر وكانوا يلبسون الدروع الفضية من مستودع السلاح التابع لهذا القصر (وهذا المستودع العام بأنواع الأسلحة وآلات الحرب كان قد أذن للبلاد أن يتفرج فيه أثناء اقامته الصيفية فأحدث في نفسه أثرا قويا) وأن الأفراس المخصصة لتلك الألعاب أخرجت من اصطبل الأمير وغير ذلك وكان هذا الرجل

يؤكد لي تأكيداً صريحاً أنه لا يزال يذكر ذكراً واصحاً المكان الذي كان يحكى فيه رفاهه كل هذا وأنه لم يكن في نفسه أدنى شعور بأنه كان يكذبهم بل كان هو نفسه يعتقد صدق حكايته الطريفة ولم يغم في نفوس رفاهه أدنى شك في صحة روايته .

والطائفة التالية الكبرى للأكاذيب هي أكاذيب الدفاع وأكاذيب الخوف وأكاذيب الضرورة .

لم يكن في أنواع الأكاذيب التي وصفناها الى الآن شيء يتعلق مباشرة بتغيير الطفل وضيقه فأمّا التي سنتكلم عنها الآن فهي من قبيل أخرفكل الأكاذيب الناشئة عن الدفاع أو الخوف أو الضرورة هي كما صرح به ويليام استرن ذات مرة أقوال غائفة للواقع مبنية على المصلحة فإن العلم بعدم صحة القول موجود فيها فهي لذلك أكاذيب بالمعنى الحقيقي للكلمة وهي أيضاً من مخالفتها للأكاذيب السابق بيانها بحيث انها تكاد تكون كلها سالبة ففيها شيء من ارادة الدفاع والانكار على حين أن الأنواع التي تكلمنا عنها الى الآن هي على العكس من ذلك فمعظم موضوعاتها موجب-وجمل أكاذيب الخوف والضرورة ينشأ من معاملة المربين للأولاد .

قد يكون جميع المربين في حكمهم على أكاذيب الضرورة أرحم نوعاً ما منهم في حكمهم على الأكاذيب المخترعة المدبرة من زمن بعيد المدركة عاقبتها وكذب الضرورة يصدر غالباً بلا روية ولا تأمل في حالة انفعال نفسي وليس له منشأ في المادة الا الخوف فليس هو نتيجة لدناءة في الخلق ولا رداءة في النفس .

وفي هذا المقام لا بد أن تعرض هذه المسألة وهي هل ينبغي دائماً اعطاء الاطفال من العقاب اذا اعترفوا بالحق في جريمة الكذب وبعبارة أخرى مالذي ينبغي أن يمس له الآباء ازالة صراحة أولادهم أينبغي لهم أن يعاقبهم على الذنب المعترف به أو يخلوهم من العقاب ؟ جُل الآباء يفضلون الرأي الثاني ويقولون ان طفلنا سيقول لنا الحق دائماً اذا عرف أننا لاتصنع به شيئاً . هذا حق ولا وجه للشك فيه ولكن ألا يصح أن يقع عكس ما قصدوا أي أنه اذا وثق من عدم العقاب بسبب اعترافه الصريح

يستطيع ارتكاب كل شيء ، فقد وقع لي أن سمعت هذه الكلمات الجريئة من فناء فيها شيء من اعتاد وهي في السابعة من عمرها عند ما نصحتها بالترام الأدب إذ قالت أنا أستطيع أن أفعل ما أريد إذا اعترفت لوالدي بما أفعل فإنه لا يفعل بي شيئا .

وهنا مسألة يقف المربي فيها أمام حكم صعب بوجه خاص ذلك أن الثقة المطلقة بالطفل والصراحة التي لاحد لها بينه وبين والديه مهما كان مرغوبا فيهما ومهما كان فيهما من الحسن فهما لا يكفيان في التربية ، فإن ارادته الصغيرة في حاجة الى موانع تقف دونها فإذا أريد تنشئته على الخير فلا يصح أن تطلق له العنان فيما يأتيه من العمل فما دامت تعوره الفضة الراقية كانت العقوبات هي الزواجر الوحيدة وهي من أجل ذلك لا بد منها له فلا يمكن المربي أن يستغنى عنها بالكلية ولا يسوغ له رعاية لمصلحة الطفل أن يهرب منها حتى ولو كانت صراحة المجرم الصغير أسوأ شيء لديه لأن صراحة الطفل نفسها قد يعمل لها الطفل حسابا وقد أصاب المربي القديم الذكي الرقيق الشعور جان بول حينما قال ذات مرة في كتابه المعنون « لقاما » بالصحيفة ٣٣ منه كلما زادت التربية اطلاقا ازداد الطفل صدقا ولما لا يجوز مع ذلك أن يترك العقاب ولا سيما حال تكرار الذنب فإن عدم العقاب بالكلية باعتباره جراءة على صراحة الطفل ومكافأة له لا يصبره صالحا ولا صادقا . أما أنه لا يصير صالحا فلا أنه لا يساعده على تذليل ارادته وضعها وأما أنه لا يصير صادقا فلا أنه لا يعطيه اصدق الا بقيد أن لا يحصل له شيء بسببه وهذه المعاملة قد تكون صالحة مفيدة الى درجة ما في الأطفال الصغار جدا وأما الأطفال المتقدمون في السن الأذكيا فينبني على العكس من ذلك أن تكون في حقهم محدودة وأن لا تستعمل الا بتبصر .

غير أن الأكاذيب التي يدفع الطفل عليها الحظ والمنفعة لا تقتصر على أكاذيب الضرورة فقط بل تشمل أيضا الأكاذيب الحقيقية الصادرة عن ادراك وعلم ومنها الأكاذيب التي يحاول الأطفال بها أن يعدشوا عن علم والديهم ومربيهم فإذا يكون عملنا إزاءها ؟ أحسن وسيلة في هذا أن تقابل أكاذيب الطفل من أول الأمر بمبلغ

من الحرم والسلطان يزبل منه الاعدام على استئناف الكذب نعم ان هذا انما يكون ممكنا في أول عهد الطفولة وعند أول محاولة للكذب ومبغ ما يمكن أن ينتج من الأثر من سلوك الوالدين هذا المنهج في معاملة أطفالهم يستنتج من التجربة التالية في التربية فقد حكى والدان ما يأتي :

قالا تيقظنا فجأة ذات ليلة على صراخ بنتنا التي كانت اذ ذاك في نحو الخامسة من عمرها فدهشنا كثيرا من هذا القلق لأنها كانت من قبل تنام نوما متواصلا فقامت أمها فوراً وأضاءت النور وأسرع الى الغرفة المجاورة ففرقتنا حيث كانت البنت في سريرها الصغير فوجدتها في عاية التأثر وقالت لها البنت انها رأت في مناسها الطائر الخفيف الذي يأكل الدود .

عندئذ بدكرنا أننا قبل ذلك ببضعة أسابيع قرأنا لالا طعال قصة النحلة ماباء وحوادثها من كتب «والدمار بونيسنس» وأنه مذكور فيها أن الطائر أكل الدود الذي يستطيع منعه أن يتدخل في كل شيء كان يتلمس جدارين قشور الأشجار من تحت هذه القشور وبأكلها وكانت بنتنا عند سماعها هذه القصة ترقى للجدارين المسكينة جدالرتاء وكانت تحكى لوالدها وهي على المائدة تفصيل ماوقع لهذه الجدارين الجديرة بالرتاء والرحمة وأكلها عطف عليها غير أنه من ذلك الوقت لم يجر ذكر لهذا الطائر الشرير بل ان الطغلة كانت في هذه الأثناء قد سافرت لزيارته جديها ولبثت عندهما ثمانية أيام . على أنه كان من المستغرب أن تلتقها هذه القصة في نومها الصبحي بعد زمن طويل من قراءتها . ولكن بما أن البنت في الواقع كانت متأثرة تأثرا شديدا أخذتها أمها معها الى سريرها لتسكن روعها فرقدت بجوار والدتها في غاية السكون على خلاف عاداتها السابقة وقبضت عليها بعدها قبضة المتشجع الى أن عاد اليها النوم بعد زمن طويل .

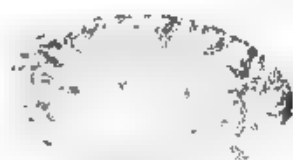
وفي الليلة التالية طلب منا قبل الانصراف للنوم أن نعدّها بأن تتعهدّا أمها أن عاودها الخوف ليلا فوعدناها بذلك غير أننا أكدنا لها مع ذلك أن لن يحصل لها

في هذه الليلة في منامها مايعزعها وسواء أكان تأكيدنا هذا قد أثر في نفسها من طريق الوهم أم أنها بقطع النظر عنه لم تحلم بشيء مفرع فقد نامت على كل حال طول ليالها نوما هادئا ولم يعد في اليوم التالي ذكر لأكال الدود الخفيف .

وما كان أشد نعيمنا لما حصل في نحو الساعة اربعة من بكرة الليلة التالية من استصراخ الصغيره والدتها فجأة فقامت وذهبت اليها ولما سألتها عن سبب استغاثتها كان جوابها أنها كانت خائفة فطلب اليها أن تأخذها معها الى سريرها فأجيب طلبها غير أن البس في هذه الدفعة لم ترقد هادئة في سرير أمها كما فعلت في الدفعة الأولى ولم تقبض على يدها بل كان سلوكها كله يدل على أن فيها بمص الطيش فاستنحتنا من كل هذا أن ينشأ في هذه المرة لم تكن قد خافت وانما اتخذت دعوى الخوف وسيلة للمجيء الى سرير أمها ورغما من ذلك لم نكملها كلمة في هذا الموضوع

وفي الليلة التالية تكررت اللعبة نفسها غير أنها جعلتها قبل ساقطتها بنحو ساعه فقد نادى البس أمها في نحو الساعة الثالثة صباحا وقد نبتنا من هيئة صوتها أنها لم تستصرخ أمها خوفا ولا لتأثر ولذلك أجابها أبوها بصوت فيه شيء من الجفاء أن عليها أن تبقى في سريرها فزعمت حينئذ أنها خائفة خوفا شديدا ولما رأت أن هذا لم يجدها أنشأت نصرخ فصاح بها بشدة قائلا ليس هذا الذي نعطيه الا حيلة منك للمجيء في سرير أمك فحولت الصغيرة الحبيطة الى الاستجداء محتجة بوحدها وعبرها ولكن هذا كله لم يجدها شيئا فقد بقيتا ثابتين على رأينا ، ولما لم ترد أن تكف عن صراخها قامت أمها وأضاءت المصباح وذهبت اليها وأخذت معها قضيبا واقتربت من سريرها وهددتها بالضرب ان لم تسكت في الحال فأخذت تتضرع اليها وتقول لا تضربيني يأماء الرحيمة ولا أرجو منك الا أن تسمحي لي بالكلام فأجابتها أمها اذن قولي . « يتبع »

عبد العزيز محمد



صدقه كذا من عند رواد كذا من يدعى به الله من مع وصوالة شلل السلام
وغيره من خدمات في حوزة دعة كذا من يدعى به الله من مع وصوالة شلل السلام

نفاذ الاستاذ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية علمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

أول كل شهر عربي



للتنازل بمحكمة الاستئناف
ومن أعضاء مجلس الأهرام الأعلى

عبد الحليم

مدير دائرة المحاسبة

السيد محمد الخضر حسين من علماء الأهرام

رئيس التحرير :

مكتب المحطة بالإدارة العامة للمعاهد الدينية بشارع الدواوين رقم ٤٧

« تليقون : بستان ٣٥٠٧ »

إرسائل نكود باسم مدير المحطة

٤٠

داخل القطر المصري

٢٠

للمعاهد غير المدرسين وطلبة المعاهد والمدارس

٥٠

خارج القطر المصري

٣٠

لطلبة المعاهد والمدارس

فيما لا يتجاوز السنوي

يعامل أئمة المساجد والمأذونون ومعلمو المدارس الأولية معاملة الطلاب

رغم طرأ لواء ٣ مع داخل القطر و ٤ خارجه

الفقرة على الحقائق والمصالح

بسم الله الرحمن الرحيم

متى نظر الانسان أو مدير أمرا ووثق بأنه حقيقة أو مصلحة وجد في نفسه ارياحا عند ما يلاقي شخصا يشاركه في الشعور به ، ويكون ارياحه أشد حيث يراه يعمل على مقتضى هذا الشعور ، كما أنه يتألم حينما يشاهد أمرا ينكر تلك الحقيقة أو المصلحة ، ويكون تألمه أشد حيث يراه مجدا في متاوتاتها سالكا غير سبيلها ، وهذا التألم الذي يشتد فيدفعك الى أن تسب في انضاح وجه الحقيقة أو المصلحة ، أو تعمل على أن تكف يد من ينفي عليها ما أمكنتك هو مانعته بالفرد .

فإذا حدثك الرجل في أمر وأراك أنه مصمم الى أنه حتى ثم لا تلبث أن تراه متجبرا الى من بكده ويدعو الى من تنقصه ، فاعلم أنه خالي القلب من الاطمئنان اليه ، وانما أراك ظاهرا يخالف ما يمكنه صدره ونضض اليه نفسه ، والعقل السليم لا يستطيع أن يفهم كيف يجمع الايمان بالحق مع موالاته من يحاربه في السر أو العلانية ، فالفترة على الحق من مقتضيات الايمان به تقوى بقوه ، وتضعف بضعفه ، وتفقد حيث لا يكون القلب مؤمنا .

وي الناس من يلهج بكلمة التسامح ، علما بها فقه حتى لا تنكر عليه حين تراه قد اتخذ من المصن أو المفسد في الأرض أوصيا نصيل التردد على أعتابهم وينفس لسانه أينما جلس في احوائهم ويحسد نفسه في عونه باطلهم ، والتسامح المقبول أن لا تؤذي من خالفك في العقيدة فتنسب اليه رورا ، أو تنفي عنه مكرمة ، أو تهضم له حقا أو تنكث له عهدا أو تخلف له وعدا ، ومن التسامح المقبول أن نبره ونقسط اليه ونقد اليه يد التعاون على المصالح المشتركة ، وقد حرم الشرع الاسلام الاساءة الى المخالفين الدين لم يخرجونا من ديارنا ولم نطمئنا في ديننا ولم يوفدوا نارا لحربنا ، ووردت أحاديث تنهى عن من الناس شئ من الادي ، فحمل العقهاء النهي فيها على وجه نعم المخالفين المقيمين في ظل الاسلام . كما قالوا في حديث لا يبيع بمضكم

على بيع أخيه، ان انتهى شامل لبيع المسلم على بيع غير المسلم لما ينشأ عن صرف المشتري عنه من تقاطع وشحنه، وأذنت في أن يبرم ونقسط إليهم قال تعالى (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)

وهو علما رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ندارى من ينتمون الى الاسلام ونماشرهم بالمعروف وان عرفنا في لحن أقوالهم أو غيره من الدلائل الخفية أنهم من طائفة المتأففين

أما الرجل بملك قلما أو لسانا أو حساما أو حايها فيصرفه في نقض أساس ماهو دين حق أو شريعة صالحة، فذلك مالا يتولاه الا غبي لا فرق بين الأعمى والبصير . أو زانغ عن سبيل الرشده مثله من نور . وقد أسكر الله على من يرفل لاشباع الغي فقال (أَيْتَفُونْ عِنْدَهُمُ الْمَرْءَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) وفي الآية شاهد صدق على أن العزة لله يحلهم على من يغار على الحقائق غير مكتبة عن ساوئوسه، وإن كانوا أولى حاه أو سلطان

من العزرة على الحق أن تقاوم المبطلين أو المفسدين فاطما النظر عن كل صلة وعاطفه ، ومن السماح المقبول أن تدفعهم بالتي هي أحسن حتى كأنك لا تعرف شيئا من شؤونهم غير ما تصيب لناقشتهم فيه ، وذلك ما يستعين به الناس أنك لا تقصد الا أن تكف بأنهم ويحمي النفوس من وباء دعائهم .

تفاضل الحقائق والمصالح من ناحية ما متصل بها من خير ، فوجود الخالق أو صدق محمد صلى الله عليه وسلم في رسالته مثلا يقوم على الايمان به من سعادة الأفراد والأقوام أكثر مما يقوم على الايمان بمدل أبي بكر وعمر بن الخطاب ، واقامة الصلاة واثاء الزكاة ترب عليها من الفلاح فوق ما ترتب على زيارة أخ أو عيادة مريض .

وكذلك الغيرة على الحقائق والمصالح تكون على قدر تفاضلها فيما يترتب عليها

من المواقب ، فالغيرة الصادقة أن تألم الرجل من الجهل على مقام الإلهية أو الرسالة العظمى أشد مما يتألم للظلم في نفسه أو في أخ له أو صديق ، ويتألم لهدم مسجد أو إلغاء مدرسة أشد مما يتألم لهدم بيت أو إهمال حديقة .

يعيد من الغيرة عن الحقائق ذلك الذي يسمع سوء القول في الله أو في رسوله فلا يجد في نفسه لسماع هذا السفه أثراً . وإذا مُسَّ جانب من يصل به نسباً أو يمد له من متاع هذه الحياة سبباً ، هاج غضبه وارتعدت فرائضه .

يعيد من الغيرة على المصالح ذلك الذي يكون يحب يده مال فيدخل به على بناء مدرسة يستتير فيها الناشئون ، أو إقامة ملجأ يأوي إليه البائسون ، ويسقط به يده في إنشاء مرفق أو ملهى يتخذ فيه الفتيان واقتنيات أنصافاً يسفكون عليها دم الفصيلة

سمعت الغيرة على الحق أو فقدتها نفيسه تنزل بصاحبها إلى الخسيف ، وكذلك ينبذ للإنسان أن يملك الغيرة عند ثورتها فلا يخرج في معاملة المنتهك حرمة الحق عن حدود العدل ، فالذي يغار على أمر جعل الشارع لمتنجه حداً مفروضاً لا يحل له أن يتجاوز ماحده الشارع أسيراً مع طغيانها ، فإن كان الجزاء موكولاً لاجتهاد القاضي اجتراً للقاضي بالتقدير الذي يكفي للردع ، وليس من الغيرة المحمودة أن يتمدى في جزاء السيئة ما يكفي للزجر عن إمرائها ، والغيرة الصادقة هي التي تنهض لصاحبها إلى مكافحته المبطل أو المصد ونقويم عوجه في تثب وحزم .

الغيرة تبعث الرجل على الجهاد في الحق بأي وسيلة استطاعها ، فالرئيس الميور يذود عن الحق بما في يده من قود متى كان المهاجم عليه في غشاة غتمه من أن يفقه الحجة . والعالم النور لا يبتأ يذنب عن الحق بطساته أو قلمه ، ولا يسوفه طمع أو رهبة إلى الخمول أو الصمم ، وما خمول العالم وصمه سوى هلة الثقة بما وعده الله به أنصار الحق من فوز وحياة طيبة ، والموسر الفور تنفق في سبيل الإصلاح بالبين واليسار ، ومن كان صافي البصره رباح ظهور الحق ومقام المصلحة العامة ، أكثر مما يرتاح لأن ينكز ذهباً أو تكون له قصور فيحاء وحدائق غناء .

وإذا أردت أن يمر فاعد الغيره على المصالح ممن يعارون عليها فهو الذي يجري وراء مناصبه الخاصة إما رأها أو يحيلها ، يراها بجانب مصلحة عامة فيظهر في رى الداعى الى هذه المصلحة ويملاً الجو نداء للتعاون عليها حتى اذا برام له منفعة لا يصل اليها الا أن يقضى على ماينفع الناس جميعا داسه بكتنا قدميه ، وذهب الى منفعته نوا لايلوى على شيء .

قد يسلك الرجل طريق العدل محافظة على المنصب أو رغبة في حسن الأحداث . ولكن الغيره على الحق هي التي تجعل الحاكم عادلا في كل قضية ، فالغيرة على الحق هي التي تقف بالقاضى في حدود الانصاف حين نرفع اليه خصومه بين دى سلطان واشمت أغبر ذى طمرين فلا يسالى أن ينصف ذا الطمرين ^(١) ويقضى على ذى السلطان وكذلك يفعل القضاء العادنون ، دعى العلامة محمد بن بشير الى قضاء قرطبة فاستشار صديقا له في قبول الولاية فقال له . كيف حبك لمدهح الناس لك وثنائهم عليك ؟ وكيف حبك للولاية وكراهيتك للعزل ؟ قال . واققه ما أبالى من مدحى أو ذمى ، وما أسر للولاية ولا استوحش للعزل ، فقال : اقبل الولاية ولا بأس عليك . وفي سيرة ابن بشير هذا مايشهد بصديق غيرهه على الحق ويحقق ماوصف به نفسه من أنه لايسر للولاية ولا يستوحش من العزل .

ومن الخطر على الحقوق والمصالح أن يتولى أمرها محروم من الغيره عليها ، وك من حق أهمل ومصلحه أسيب والسبب في اهمال ذلك واماته هذه أن ألقى أمرهما الى من لم يذق للغيرة عليهما طعما ، ماذا يكون العمل في قضية الاعتداء على هتك عرض الفتاة اذا استندت الى من قلب في بيته لاتعرف للعفاف سيلا ؟ وما ذا يكون العمل في قضية الاعتداء على الدين اذا وصم بين يدي من لايرى له حرمة ولايرعى للأمة التي تعتصم به ذمة ؟ وكف ندار مدرسة ترجع نظم التعليم فيها الى من يؤثر اللهو على الجسد ويفتنه زخرف الحياة عن طرق الرشده التي تخرج رجالا يعملون صالحا ويحكرون عظما ، ونحن نرى في الشعوب من حيل بينها وبين واجبات دينها

وأكرهه على التعامل بفبر ماأذن به شريعته ، واستبد عليها في طريقه تعليم أبنائها ، ذلك لأنها وقعت تحت ذى قوة استضعفها ، ولم يكن له نصيب من الفيرة على شريعته ان أمة لها دين فيم وشرع حكيم ومجد لم يصف التاريخ له من نظير ، لا يستقيم أمرها الا لمن يعار على شرعها أو يتودد لها باحرامه والمحافظة على أصوله .

وإذا حكى لنا التاريخ أن داسلطان أدى أمة اسلاميه في دينها أو مهرها بالسيف أو بوسيله التعم على أن تسلم من هداية ربها ، فلأنه انما وضع سلطانه على رؤوس جماعات متفرقة غافلة ، أما الأمم المتيقظة التي تصدر الحق فدره فليس من السهل على دى القوة أن يؤذيها في دينها ، ويستخف بالحقوق التي مورها شرعها الا أن يكون جهولا بالعواقب ، أو غير راغب في أن يكون سلطانه ثابت القواعد .

الفيرة على الحق تمثل فيمن ينظر الى الدليل ويصدق بما أراه الله وان كره السائلون .

حضر لدى ابن هبيرة الحسن البصرى فاستفتاه ابن هبيرة في كتب بأنه من عند يزيد ابن عبد الملك وفيها من الأمر بما لم يأذن به الله ، وقال : ان أنفذها وافق سخط الله وان لم أنفذها خشيت على دمي . فقال الحسن : يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله ، يا ابن هبيرة ان الله مانعك من يريد ، وان يزيد لا يمنعك من الله ، يا ابن هبيرة لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فانظر ما كتب اليك فيه يزيد فاعرضه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله تعالى فأنفذه وما خالف كتاب الله فلا تنفذه ، فان الله أولى بك من يزيد وكتاب الله أولى بك من كتابه . فضرب ابن هبيرة على كتف الحسن ، وقال : هذا الشيخ صدقني ورب الكعبة .

وتمثل الفيرة على الحق فيمن يفسح له بعض الوجهاء في الاكرام مكانه ولا يمنعه ذلك من أن ينظر الى ما أكرمه الله به من عقل ورفعه به من علم فلا يسكت لذلك الوجه عما أتى من منكر وبذهب في تقويمه كل مذهب ممكن ، واضرب المثل لهذا بابرهم بن محمد بن طلحة إذ قره الحاج وعظم منزلته وقدم به على عبد الملك بن مروان

وقال له قدمت عليك برجل الحجاز لم ادع له بها نظرا في الفضل والأدب والمروءة وهو ابراهيم بن محمد بن طلحة ، ولكن ابراهيم بن طلحة قال لعبد الملك : عندي نصيحة لا أجد بدا من ذكرها ولا أقدر على ذلك الا وأنا خال ، فصرف عبد الملك الحجاج من المجلس وقال لابن طلحة هل نصحتك . فقال : نالقه يا أمير المؤمنين نقد عمدت الى الحجاج في نفطسه ونمجره وبمده عن الحق وهربه من الباطل فوليته الحرميين وهما مائهما ، وبهما من بهما من المهاجرين والانصار والموالي والأخير ، يسومهم الخسف ويحكم فيهم بغير السنه بعد الدى كان من سفك دمائهم وما انتهك من حرمهم ، ولم يختر عبد الملك الحجاج بما قال ابن طلحة ولكنه عزه عن الحرميين وولاه العرافين واعتذر لابن طلحة عن توليته اعرافين بان فيها من الامور مالا يدحضها الا مثله .

وفصل القول في هذا أن العبرة على الحق والمصلحة ما عتب على نفوس الأئمة الا استقامت سيرتها . وعبت في الأمم سمعتها ، وحسنت في كلتا الحيات عاقبتها ، ولاحق أجلى مما يدعو اليه الخلاق العليم ، ولا مصلحة أعظم مما تهدي اليه أصول شرعه الحكيم ، فاذا لم ترسم في نفوس نشأتنا العبرة على حقائق الدين وما أرشد اليه من مصالح وما سته من آداب صوا عن أسس الحقائق وأضاعوا أكبر المصالح ، وتجردوا من أسس الآداب ، وهل غير هذه العاقبة من خسران مبين . فن أهم واجباتنا أن نرى نشأتنا على الشعور بعظمه الله ثم لا نفتؤ نذكر لهم آيات نبوه محمد صلى الله عليه وسلم حتى نصمتوا الى صحتها ، ولا ندع أن نقرر لهم أصول الشريعة على وجه يحملهم على بصيرة من حكمتها ، وهذا ما يربى فيهم الفيرة المهذبة ويمدهم لان يكونوا للحقائق والمصالح أنصارا .

محمد الخضر حسين

النفسية

تفسير قصة سيدنا شعيب عليه السلام

٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد نص الله تعالى شأنه فيما سبق ما كان من أهل مدين في رد على رسولهم سيدنا شعيب عليه السلام وإفراغهم جهنم في محاولتهم إحقاق ما هم عليه من عبادة غير الله، وهو رب كل شيء، ومن أكل أموال الناس بالباطل والسعي في الأرض بالفساد ومن زعمهم أن ما جاءهم به رسولهم عليه السلام ليس وحياً منزلاً من عند الله سبحانه وأنه إنما هو مما سولته له نفسه وخيله إليه وهمه، ومن دعواهم أيضاً أن لهم الحرية المطلقة في أموالهم يتصرفون فيها كما يشاؤون متى رأوا في ذلك مصلحتهم وإن كانت لغيرهم ضرراً بليغاً، ومن جرائتهم كذلك على رسولهم، شرفه الله، حتى استخفوا عقداره العظيم واستهزؤا متهمين به ساخرين منه ما قدرُوا أن يتكفروا ويسحروا (يَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ)

احترح القوم هذه السيئات فخاربو الله ورسوله وسعوا في الأرض فساداً وامتنهوا الحق والعقل والآداب وظنوا في طغيانهم يعمهون .

لم يقابلهم رسولهم الحليم الرشيد بما قابلوه ولم يكافئهم بما كافئوه مثلاً بمثل ونظيراً . بل سار على ما أدبه الله الذي اصطفاه للرسالة وسلك بهم طريق الهداية إلى الله تعالى كما بيناه لك فيما سلف . فشرع يقرّب من بعدهم عنه ويضعف من هورم منه ويردّ من إياهم من دعوته ويُبصّرهم بحقيقة رسالته مع الاعراض عن تكذيبهم له والحلم عن سفاهاتهم والصفح عن فسح جهالاتهم وحيائاتهم ، وذلك كما قصه الله تعالى عنه في قوله (قَالَ مَا قَوْمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَمِينٍ مِنْ رَبِّي) الآية .

عاد عليه السلام مرة ثالثة الى تذكيرهم بما بينته وبينهم من صلة القرابة وعاطفة الارحام فاقها اقرب الى الاخلاص وأدعى الى الاعراض في الصبح وارادة الخير وابتعد عن النش والتدليس وتبييت المكر السيء ، كل ذلك منه عليه السلام ليحفظ من غلواتهم ويُطْفِئ من جذوة عداوتهم له وللاحق الذي يدعوم اليه . وذلك قوله عليه السلام لهم (يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ) الآية .

يقول لهم عليه السلام إن كنتُم^(١) على بينة من ربي ألغ فأخبروني : هل يصح مع انصاف بهذه الأوصاف ان تقولوا في شأني ما قلتم وتكذبوا ما لم تكنم عن وحي ربكم وتصموني بما انا منه برآء وممصوم ؟

ثم اعم ان الرؤية كما تكون بالصر تكون بالبصرة ، فهي وسيلة صادقة من وسائل العلم الصحيح . ومن الواضح ان من علم عما صححنا كنسبه من وسائل صحيحة كالرؤية فانه يستطيع ان يخبر بذلك العلم اذا استخبره عنه مستخبر ، مثال ذلك قول المعلم لتلميذه : هل علمت الدرس الماضي ؟ فان التلميذ يفهم من هذا الاستفهام ان معامه يستخبره عن ذلك الدرس ، فكأنه قال له : اخبرني ان كنت قد علمت .

وعلى هذا يكون معنى قوله عليه السلام : (يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ) هل علمتم عما صادقاً مُسْتَمِداً من رؤية صحيحة بصرية او قلبية حتى تستطيعوا ان تخبروني اذا استخبرتكم ؟ فاذا كنتم قد علمتم هذا العلم فأخبروني : هل ينبغي لكم بعد هذا الميل ان تكذبوا بآيات ربكم وتتخذوا دينه ورسوله هزوا ؟

ومن هذا يتضح لك ان النرض من هذا الاستفهام هو توخيهم وتبكيهم والاسكار عليهم فيما رموه به من الأوصاف التي عصم الله تعالى منها رسله الكرام ، ويكون الاستفهام في الظاهر استفهاما عن الرؤية ولكنه في الباطن متصل ومُنْصَبٌ على ما قالوه في حقه عليه السلام من المفتريات التي ترهه الله تعالى عنها .

ثم انه عليه السلام أرشدهم الى عدة أمور اذا رأوها حق رؤيتها وعُتُوا بالتدبر

(١) إشارة الى أن (أَرَأَيْتُمْ) بمعنى اخبروني . وجواب ان محذوف بدل عنه قوله أَرَأَيْتُمْ بمعنى اخبروني . ومعمول رأيت محذوف هو جملة هل يصح الخ ، وغيل خبر ذلك

فيها حتى عموها عبد اليقين فافهم حينئذ يتبين لهم الرشيد من النقي ويعلمون أنه عليه السلام قد صدقهم القول فيما نطقهم عن ربهم وأنه عاودهم الى الله الحق المبين وانهم كانوا فيما اتهموه به عطفين وعن صراط الحق السوي ما كبر ، ارشدهم رسولهم الحليم الرشيد عليه السلام الى أنهم اذا حكموا وجب عليهم ان يكون حكمهم صحيحاً مبنيّاً على اسباب صادقة ومقدمات سليمة تدركها ابصارهم وتعتقلها بصارهم ويسلموها لهائسليها ، اما ما عدا ذلك فاما احكام باطلة زينتها لهم الأوهام والوساوس وأوحى لها رغبات النفوس والهواجس . وقد حذر الله عز شأنه عباده ذلك واوجب عليهم الأخذ بالبرهان الناطق والدليل القاطع ونهى على اولئك الذين استعبدوا الخيال ورضوا لانفسهم ان يكونوا للأوهام وهوى النفوس أتباعاً .

وفي القرآن العظيم كثير من الآيات السكرية في ذلك . فنها قوله تعالى ذكره (قُلْ اَنظُرُواْ الَّذِيْنَ هُمْ فِيْ غَمْرَةٍ سَاهَوْْنَ) وقوله (اِنْ يَتَّبِعُوْنَ اِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوٰى اِلَآنَفْسُ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ مِنْ رَّبِّهِمْ الْهُدٰى) وقوله (اِنْ يَتَّبِعُوْنَ اِلَّا الظَّنَّ وَاِنْ الظَّنُّ لَا يَنْفِيْ مِنْ الْحَقِّ شَيْئًا) وقوله (قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوْهُ لَنَا اِنْ تَتَّبِعُوْنَ اِلَّا الظَّنَّ وَاِنْ اَنْتُمْ اِلَّا تَخْرُصُوْنَ قُلْ قَلَّهٗ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ)

ثم شرع عليه السلام يبين لهم الأشياء التي يجب عليهم ان يرووها ليصلوا بعد رؤيتها والتدبر فيها الى العلم الصحيح . وحينئذ تتجلى لهم حقيقة رسولهم الكريم ورسالته الصادقة الالهية ويعلمون أنهم قد ارتكبوا عازموا اثماً ميبثاً .

الأمر الأول : البيئة . من ربه سبحانه ، والبيئة هي ما يدل على الشيء ، دلالة واضحة من نطق أو كتابة أو اشارة او ميرة عقلية كانت الدلالة او غير عقلية

والبيئة التي خص الله عز وجل بها رسله الكرام هي ما اوحاه اليهم من شرائع واحكامه وما أيدم به من المعجزات القالة بالطقه بصدقهم فيما بلغوه عن ربهم سبحانه وما اذنبهم به من فضائل النفوس ومكارم الأخلاق والاحسان في معاملة الامم والصبر على ما يلاقونه منهم من التكذيب والمشاقة وانواع الأذى وما علمهم من طرق التعليم

وساليب التبليغ وتربية النفوس وإرشاد الجاهل وتنبه العافيين وغير ذلك مما أفادته عليهم من الحجج والبراهين والقول الفصل والاحلاص في القول والعمل ومن أنواع العلوم والهدايات التي هي أساس صلاح الدين والدنيا .

كل ذلك داخل في البيئة التي كان حاصلها عليها رسول الله سيدنا شبيب قائماً عليها بالقسط في اتباعها وفي دعوة قومه إلى الإيمان والعمل بما أوحاه الله إليه .

لأربب أن رسول الله شبيباً عليه السلام كان على هذه البيئة من ربه جل ذكره ، وكذلك لأربب أن قومه كانوا يزوها بأعينهم ويدركونها بمعقولهم ، فلو كانت رؤيتهم لها رؤية إيمان صادق وتدبر نافذ لاستمتموا لما يقول ولاستجابوا إلى ما يدعوهم إليه ولكانوا جميعاً كاخوانهم الذين آمنوا به وكانوا معه من الناجين ، ولكن الاستكبار عن الحق أتى صدورهم ليستخفوا منه ولوى وجوههم أن يقيموا لدين الله بفضاً فيه ، ولقد تمكنت في نفوسهم الذنوب وطاعة الهوى والشراسة على الديار بالفساد فيها وكل أموال الناس بالباطل وتناصت فيهم حتى ربن على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، فلم يجد نور رسالة سيدنا شبيب عليه السلام إلى قلوبهم سبيلاً

هذا هو شأن أهل مدين بأزاء البيئة الإلهية التي كان عليها رسولهم شبيب عليه السلام ، وهكذا كان ويكون شأن كل أمة تراءى بينة رسولها الذي أرسل إليها ، فما من أمة الا وقد أصيبت عما أصيبت به أمة شبيب عليه السلام فمنهم من آمن ومنهم من كفر ومنهم من أطاع ومنهم من عصى ومنهم من أنصرت ومنهم من عصى (فتقطعوا أمرهم بينهم زُبراً كل حزب بما لديهم فرحون)

ومن السهو البسيم أن يظن أحداً أننا قد سلمنا مما أصاب غيرنا من الامم الخالية التي عمت عن يداها رسالتها ولم تقدرها قدرها وأن العقوبات الديوية والأخروية التي قضى الله الحكم العدل بها عليها حزاء لها على إهمالها وتفریطها فيها إنما هي خاصة بها دوننا .

لن من كان يظن ذلك فانه يكون ممن جعل لإسلام جهلاً لا يقبل منه عذر ويكون قد اخطأ في فهم دينه خطأ ميئناً .

لو أنصفوا أنفسهم لرحموا ولم يؤثروها مؤثري الجبل والشقاء ولو عصوا أهواءهم ونزغات طواعيتهم لأشتبأن لهم صدق رسولهم سيده محمد صلى الله عليه وسلم وأنه قد جاءهم على لسانه موعظة من ربهم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين .

انهم قوم قد استحووا العمى على الهدى والاماطيل والشكوك على الحق واليقين فاستكبروا ان ينظروا ويتدبروا مادعاهم الى الايمان به ولم يروا الايات البينات التي هو عليها من ربه سبحانه حتى يعموا العلم اليقيني بانه رسول الله حقا أرسله اليهم مؤيذاً بحجج الله البالغة رحمة للمالين بشيراً ونذيراً .

بهذه الطريقة السوءى التي رصوها لأنفسهم عادوا رسولهم سيدهنا محمداً صوات الله وسلامه عليه وأوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا واخذوا يعطسون في الرسول عليه الصلاة والسلام ويفترون عليه الكذب زورا وهتاناً لا يخشون الله عقاباً ولا العقلاء تأنيباً ولا عتاباً ولا لأنفسهم خزاناً ولا ملاماً عافلين أو متعافلين أن يتدبروا قول الله حل ثناؤه شهادة مه وهو خير الشاهدين بصدق هذا الرسول الأكرم وتوحيها بحلال قدره العظيم (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تلك في مزية منه . إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون .)

ما أخذ هؤلاء الطاعنين من أدياء هذه الأمة في رسالة سيده رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أحقهم أن يقال لهم كما قيل لاهل مدين (يا قوم ارايتم ان كان رسول الله سيدهنا محمداً صلى الله عليه وسلم على بينة من ربه سبحانه في قوله وفعله وسيرته واخلاقه ومعاملته للخلق وتبليغه رسالة ربه ورجاحة عقله وصدق عزمته وتقابه فكره وحسن صبره واخلاصه في دعوته وارشاده الى غير ذلك من نعمته وشمائله الخلية ان كان صلى الله عليه وسلم كذلك فأخبرونا كيف سوغتم لأنفسكم مع انصافه بهذه الصفات الفاضلة ان تطعموا هذا الطمن وأن تهتموا هذا الرسول الكريم ع .

اتهتموه به مع اسكم لم تنعموا في ذلك الا الظن الباطل (وإن الظن لا يُغنى عن الحق شيئا) ؟ (قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُدِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بما كانوا يَكْفُرُونَ)

وإننا سنختم الكلام في هذا الأمر الأول بذكر دُوب من الآداب النبوية التي أَدَّبَ اللَّهُ تعالى بها نبيه سيدنا شعيبا ، ولا سيما وقت المحاضرة والمحاورة ، كما أَدَّبَ بذلك أخوانه المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم ، ذلك أنه عليه السلام يقول لقومه (إن كُنْتُ عَلَى يَتَقَةٍ مِنْ رَبِّي) دون أن يقول اد كنت على ينة من ربى ، والعربى يأتى بأن حينما يكون شاكا في مضمون الكلام ، أما اذا كان حارما به فانه يأتى ماذا لا يان ، ومن المعلوم أن سيدنا شعيبا عليه السلام كان حازما موقنا بأنه على ينة من ربه سبحانه ، فالحكمة البلاعية التي هي من آدابه عليه السلام أنه جارى قومه المتعتين وأزغى لهم عنان عنادهم استزالا لهم عن كبرياتهم وكبحا لمجاههم ونفورهم ومراعاة لحسن المحاورة مع الخصم اللدود عسى أن ينصتوا له ويستمعوا (وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبُهِّ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا)

على أن هذا الأسلوب الحكيم البلاغى لا يراى يجرى على ألسنتنا الى اليوم ، انك تكون على علم بما تقول ، ولكن آدابك مع من تخاطبه تحملك على أن تجامله في الخطاب والتلطع معه في بيان الصواب وردة عن خطئه ، فتقول له أص أن الأمر كذا أو لعل الأمر كذا

فلنا ن الله عز اسمه كما علم رسوله شعيبا آداب التعاطل مع أمته خصوصا المخالدين المعادين منهم ، كذلك علم سائر أخوانه المرسلين عليهم الصلاة والسلام . ففى ذلك قول سيدنا نوح عليه السلام لقومه (يَا قَوْمِ ارْأَيْتُمْ أَنْ كُنْتُ عَلَى يَتَقَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ) الآية وقول سيدنا صالح عليه السلام لقومه (يَا قَوْمِ ارْأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَتَقَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً) الآية وقول رسولنا صلى الله عليه وسلم كما أمره سبحانه (قُلْ ارْأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَصْلُ ثَمَنٍ هُوَ فِي شِقَاقِ

بَعِيدٍ) وقوله كذلك (قُلْ رَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ).

قد يقول لنا قائل . لا غريبة اذا علمتم ان رسل الله ساداتنا محمدًا وصالحًا وشعبيًا عليهم صلوات الله وسلامه عدلوا وقت حاجتهم لانهم عن لفظ ادا الى لفظ ان للحكمة التي ذكرتموها لان هذين اللفظين عربيان وهم عليهم الصلاة والسلام عرب بلغاء . اما سيدنا موسى عليه السلام فانه ليس يبرق والكلمتان المذكورتان ليستا في لفته حتى يفضل احدهما على الأخرى لتلك الحكمة التي شرحتموها فكيف يتم ما ذكرتموه بالنسبة اليه عليه السلام نقول: يسمى الا يكون السؤال مقصورا على هاتين الكلمتين بل ينبغي ان يكون عنهما وعن سائر ما حكاه الله تعالى عه عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم من المكالمات بينه وبين ابنه وقومه . بل ينبغي ان يكون عن جميع ما قصه الله عز وجل عن الرسل عربا وغيرهم . وكذلك عن الملائكة والأنبياء الذين جاء ذكر محاوراتهم في القرآن العظيم في الدنيا مع رسالهم وفي الآخرة حين العث ونعمه

والجواب ان ما رده الرسول او الملك او غيرهما عن عه كل منهم بما استطاعته قوة المخلوق من الكلمات وال عبارات في لفته . ثم ان الله القادر الذي احاط علمه بما قالوا وما ارادوا فص علينا قصصهم في قرآنه العظيم كاملا لم يهرط فيه من شيء مما ارادوه بكلمات و عبارات عربية مجيدة من عنده تعالى . فصرت دون رتبتها فصاحة الفصحاء في نظم فصيح بديع فائق من لده واسلوب رائع معجز حرت له جباه البغاء من العرب ساجدين وافرت بعلومه وتوقيفه السنة المتكررين وعجزت الأنس والجن عن ان يأتوا به صوره منه وصلت اعاقفهم له خاصين (قُلْ أَنِّي احْتَمَمْتُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِشَرِّ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِنَعَصِ طَهْرًا)

والملاحظة ان أي قصة في القرآن الكريم خصوصا اذا كانت عن غير عربي فان كلماتها وحملها وآياتها وأسلوبها كل ذلك من كلام الله تعالى ومن عنده (وَلَوْ كَانَتْ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)

اصْبُوا الدِّينَ

نبوة صلى الله عليه وسلم

معجزاته الحسية

٣

نريد أن نتكلم في مقالنا هذا عن المعجزات الحسية التي هي طريق من طرق اثبات النبوة على ما ذكرنا في مقالنا المنشور في العدد الأول وأب حصومنا اليوم فريقان ، فريق الماديين الذين وقفوا عند الظواهر ولم يصلوا الى رتبة التحقيق في الأشياء حتى في علم الطبيعة نفسه الذي يدعون أنهم علماءه ويسدّم لواؤه . والفريق الثاني هو شرذمة تنتمي لعلماء الدين وما هم منهم في كثير ولا قليل ، يريدون أن يُعرفوا بالتجديد وعدم اجحود على ما يرمون فيتظاهرون بأنهم عرفوا ما يقول المصريون فترام يلهجون بذكر ما يلوكة الماديون على غير علم ولا بصيرة من ذكر النواميس وأنه لا يمكن خرقها ويريدون على ذلك ما لم يحسنوا فهمه من نصوص القرآن الشريف مثل قوله تعالى « وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ » فذكر أنها عند الله ولم يقل أنه جاء بها « وستعلم الجواب عن ذلك » وقد فلدوا في هذا جهلة المبشرين الذين يرددون ذلك في جميع كتبهم التي يابسون بها على صعاء العامة ، فهم في هذه النزعة وهذا الاستدلال مقلدون للمبشرين من حيث يشعرون أولا يشعرون . كما كانوا في تلك مقلدين لجهة الطيميين كما في الظهور وطلبا للشهرة فهم عريقون في التقليد لشر الطوائف من حيث يظنون أنهم مجتهدون أو مجدّدون وهكذا الحركات كلها عدنا في الشرق مكسوة عكسا سار بها إلى الاصمحلل الذي حملنا في أخريات الأمر أو على حافة العدم

« الفريق الأول »

أما الفريق الأول وهو فريق الماديين الذين جردوا على القشور وظنوا أنهم عرفوا كل شيء، ووصلوا إلى كل شيء، فقد أنكروا المعجزات الخسية لأنها تناقض النواميس الطبيعية المقدسة التي لا يحوز خرقها وهي أرلية أبدية على ما يزعمون، دعاوى خيالية لم يعضدها الحس ولا قام عليها الرهان ولكنها زعات نفوس حمقاء، وخيالات رموس طائشة لم تستمد من الوجود ولا استندت إلى الرهان، وإنما استمدت من عقول أربابها المنحرفة وسندت إلى ما يخيله استعداد النافس، لأنهم لا يأخذون معلوماتهم إلا مما شاهدوه وألفوه، وإذا تخيلوا كان خيالهم مرتكرا على تلك المعلومات التي انتزعوها من الحس، ويمجبن قول بعضهم، « إن الخنفساء لو تخيلت خالقها لتخيلته خنفساء كبيرة » وأنا نقول لهم « ولا هل أحطتم بكل النواميس علما ؟ أليس من الجائز بل الواقع أن يكون هناك ناموس أو نواميس لم تحملوا بها ؟

ألم يكن من قبلكم من علماء القرن السابع عشر والثامن عشر يتبعجون تبجحكم ويدعون دعاويكم غير حاسبين للمكتشفات التي اكتشفت بدمهم وما أكثرها حسابا، بل نقول ألم يكن الأقدمون يزعمون أن العناصر أربعة وأن الأجسام مركبة من الجواهر الفردة وكانوا يحلون بذلك كل شيء في الوجود وما كان يدور بخلدكم أن العناصر تصل إلى السبعين أو الثمانين، ومن يدري ما يجيء به المستقبل فلعلها تصل بعد إلى أكثر من ذلك بكثير وما كانوا يظنون أن نظرية الجواهر الفردة ستكون موضع الهزؤ والسخرية في القرن العشرين وأن ستحل محلها نظرية الاكترونات الجديدة، وعلى كل حال فن ذى استطيع أن يدعى أنه أحاط علما بكل نواميس الكون وما فيه، ولو كان كذلك لبطل الاكتشاف والبحث ووقف تقدم العلم الذي لا آخر له ولماذا لا يقولون ما يقول « نيوتن » مكتشف الجاذبية وأحد أساطين العلم في الفلك « لسنا إلا كالأطفال في جزيرة على شاطئ بحر العلم نلتقط ما يقذفه البحر من الصدف والقواقع على حين أن الجواهر العبسة في قعر ذلك البحر » أو ما يقول غيره ممن عرفوا قدر العلم « الفرق ينساوين آثانا أنهم كانوا يعتقدون

أنهم علماء، أما نحن « فنعتقد أننا جهلاء » إلى آخر ما اعترف به المنصفون من اكابر علماء الطبيعة المخلصين الذين ليسوا فيه زعانف ولا مقلدين ولا يريدون أن يفسحوا أنفسهم أو يفسحوا الناس وربما أفردنا لذلك مقالا خاصا ان شاء الله

ثم نقول لهم من أين لكم أن النواميس هي المؤثرة في هذا العالم وما شاهدتم الاحداث بمحض الأشياء عقيب بعض ، أفيدل ذلك على التأثير والفاعلية ؟ أم هذه مقارنة او معاقبة لاغير ؟ أما العلة الصحيحة والفاعل الحقيقي فشيء وراء ذلك كله وما تلك النواميس ، لا قوانين قد وضعها الخالق في مخلوقاته لتسير عليها حتى يتم ما أرادها منها ، ولا يعقل تقدمها على الأشياء حتى توحيدها ولا قيامها بنفسها حتى تكون فاعلة فيها وقد يحسون بذلك فيعبرون بكلمة السن بدل النواميس وستسمع كلام أكابرهم بمد في مقال آخر ، في الذي يدرهم أن قوة الفاعل المختار تقف عند ذلك الحد ولا تتمدها مع أنهم يعتقدون أن في الطبيعة قوى لا تحد ولا تمتد ويحسن في هذا المقام أن نورد لك تلك الحادثة التي لو ذكرها أحد الشرقيين لقالوا إنها خرافة وهالك ماجاء بدائرة المعارف البريطانية

كريستيان هينريش هينزيكن

طفل عجيب ولد في ٦ فبراير سنة ١٧٢١ بمدينة لوره ^(١) استطاع الكلام في سن عشرة أشهر ولما بلغ من العمر عاما واحدا حفظ قصص البنتاتوش ^(٢) عن ظهر قلب ، وفي سن سنتين اتقن التاريخ المقدس ، وفي سن ثلاث سنين أجاد معرفة التاريخ والجغرافيا القديم منها والحديث ولدين والديوي فضلا عن تكلم الفرنسية واللاتينية ، وفي سن الرابعة أخذ في دراسة الدين والتاريخ الكسبي ، وقد هرع لناس أفواجا إلى لوره لرؤية هذا الطفل المحيى الذي يباحث في مختلف العلوم التي درسها ولكنه مات في ٢٢ يويه سنة ١٧٢٥ في سن الرابعة من عمره ^(٣) فعلى أى شيء ينكرون المعجزات ^(٤) وهب

(١) مدنه لوره بهما ألمانية مقاطعة لوره الناحية الجنوبية

(٢) البنتاتوش اسم للاجزاء الخمسة الأولى من التوراة

(٣) ويحيى هذا مادكر في حرائر مصر منذ سنتين تمرت من أن علامى تركى طلب أن يخرج وبعد خمس لاصاء سمح له بذلك على خلاف القاموس التركى وما وجدوه في ذلك الغلام خارقا للعادة أن نفسه كان في اشبه النبي وكده كاتب ملحمة اليسرى مما حجب الاضاء هناك

انهم عرفوا شيئاً مما شاهدوه في تلك الأرض التي هي من اصغر العوالم ، ألم يبق مما لم يعرفوه الشيء الكثير ، والذي لا نهاية له ؟ فان العوالم لا يدرون لها نهاية (باعترافهم) وقد ذكروا في سير النور وسرعته - وأنه مع تلك السرعة المدهشة لا يصل البناء من بمصر الكواكب الا بعد مئات السنين أو الوف السنين - ما يوجب الدهش الكلى والقبوع التام في احدى زاويا تلك الأرض الصغيرة التي هي أقل من حجران الحشرات والديدان بالنسبة لهذا العالم الذي لا يعلمه غير خالقه ، أفلا يجوز بل يجب أن يكون قد فاتهم من العلم ما يناسب حقارتهم المتناهية وعظمة ذلك الكون غير المتناهي على ما يقولون هم انفسهم على أن علماء الأرواح بأوربة اليوم أصبحوا لا يعبأون بتلك الطنطنة الكاذبة ويثبتون من حوارق العادات ما يقلل من غلوئهم ويقضى على كبريائهم ، وفي أهل الهند من وصلوا بالرياضة الى حوارق العادات والتفتن في أنواع المدهشات لأن الأرواح الانسانية كلها مخلوقة من عالم آخر له حكم آخر ولا تشبه أحكامه أحكام هذا العالم المادى وان كان بين الأرواح الكاملة والأرواح الناقصة أبعد مما بين السماء والأرض وبين المعجزات وتلك الحوارق فروق من وجوه عديدة وإنما نريد بهذا عند ما نتكلم مع الماديين الذين لا يقولون الا بالمادة ونواميسها أن نضل من سلاحهم ونسفه من احلامهم حتى ينتقض بناؤهم من أساسه بقول من يحلونهم ولا يخرجون عليهم .

وتكتف من الكلام مع هذا الفريق اليوم بهذا ، ولك اليه عودة ثم عودة ان شاء الله

« الكلام مع الفريق الثانى »

أما الفريق الثانى وهو فريق المجتهدين من اخواننا المجددين المصريين المشبهين بالماديين الذين يتذبذبون بين علماء القرن السابع والقرن العشرين وبين نصوص الدين وترعات الماديين ، فلا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء . فلنا معهم في الرد طريق آخر يريد على ماردتنا به على الماديين فنقول لهم وهم ممن يؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ان كنتم ترون أن النواميس مقدمة لا يجوز حرقها رضاء بما قال الطبيعيون أو تقليداً لهم فالقرآن الذى تؤمنون به يرد عليكم في مثل تلك الايات « فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ

يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » « وَقُلْنَا اضْرِبْ بِصَاحِكَ الْحَجَرِ
فَأَنفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا » « وَقَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِلُكَ بِهِ
قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ » فَأَتَتْهُ حَصَاةُ فَإِذَا هِيَ شُجَاءٌ مُبِينٌ » « وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا
فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ الْخَالِدَةُ » « وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ
وَرَوْاحُهَا شَهْرٌ » ويقول لعيسى عليه السلام « وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي
فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى
بِإِذْنِي » الى غير ذلك مما هو معلوم لحضراتكم فان أنكرتموه فقد أنكرتم صريح القرآن،
وان اعترقتم به وقلتم ان ذلك جائز في نفسه ولكن لم يقع علينا صلى الله عليه وسلم وفرقم
بينه وبين الأنبياء وهو أكبرهم وأعظمهم على غير معنى معقول ولا نص مقول . قلنا لكم
ان معجزاته صلى الله عليه وسلم ثابتة بالتواتر الحقيقي أو المصوى في مجموعها بل في كثير من
آحادها ولا معنى لأن تساموا ذلك في حق الأنبياء ثم توقفوا فيه بالنسبة لنا صلى الله عليه
وسلم وإذا ردديتم ما في صحاح كتب السنة من ذلك بعد اعترافكم بجواز الوقوع وبحصوله
للأنبياء السابقين على ما ينطق به القرآن وهو فرق لا يملكه فلما لكم أن تلك النزعة توجب
عدم الثقة بما رواه أولئك الأكابر وذلك يفتح باب فساد كبير وشر مستطير بل يوجب الخروج
من الشريعة جماء وإبطال كل ما جاء عن الرسول من الأوامر والنواهي وهو انفلات من
الدين كماه فاننا اذا طعننا في البخاري مثلاً ولم تثق بروايته وهو أصح الكتب لزم ألا تثق بمن
هو أقل منه وما وصلتنا الشريعة الا على يد هؤلاء حتى عدد الركعات وكيفية الصلوات فيكون
الدين كله غير موثوق به وهي نزعة من شر النزعات وجناية من أكبر الجنايات التي فتح
بابها المبشرون ونحشى أن يتسبها المجددون المتهمدون المصريون وأي فرق بين هؤلاء وبين
الباطنية الذين أرادوا أن يخرجوا الناس من دين الله تأويلاتهم وتشكيكاتهم فكلها رد
الشريعة أولئك في معناها وهؤلاء في نصوصها على أننا لا نأبى طريق سلفنا الصالح من
عماء الحديث في النقد والتحصيل والتعديل والتجريح ولكن الذي نخفته هو تلك النزعة
الحلقاء وذلك الميزان المقلوب الذي لا يحرکه سوى النزعات الضالة ولا يرجح احدى

كفنيه غير الأهواء الفاسدة التي يحارف أربابها على غير علم صحيح ولا بصيرة بيرة ، على أن القرآن نفسه أثبت تلك الخوارق له صلى الله عليه وسلم في مثل قوله « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى » وقوله « إِنْ قَرَرْتَ السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ » وقوله « وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى » وقوله « وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتْنَى » الخ الخ فم يبق الا الاحتمالات السوفسطائية وستسمع فيها ما يمكن المنصف ويحجل المتعسف فكيف يتسنى بعد ذلك إنكار الخوارق له صلى الله عليه وسلم والقول بأنه ليس له فيها غير القرآن تمسكاً بما تمسك به المبشرون تلبيساً وتضليلاً من مثل قوله تعالى « وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ » مما ورد في الآيات المقترحة التي جرت سنة الله في خلقه أن يهلك من اقترحوها إذا لم يؤمنوا بها ، والله لا يريد ذلك بالأمة المحمدية . على أن أولئك المقترحين لو أرادوا الأيمان لوجدوا عليه دلائل نيرة وآيات باهرة ولكنهم متمتتون في كفرهم فلا ينفع معهم شيء ، وقد قال الله تعالى في حقهم « وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ » فمثل هؤلاء لا تنفعهم الآيات المقترحات وإنما توجب استئصالهم وهلاكهم والله لا يريد ذلك فمسي أن يؤمنوا أو تؤمن ذريتهم فلم يبق بعد ذلك الا المكارة المقنونة أو الاحتمالات الفارغة التي تقسد كل معقول ومنقول ، وقد مبنا اليوم من يسدى من الاحتمالات ما يعقل وما لا يعقل دفاعاً عن نزاعه الخاصة واهوائه المتغلبة وكثيراً ما رأينا أرباب تلك النزاعات عند ما تقام الحجة لا يصفون اليها ولا يعرضونها على العقل والمنطق واعا يفكرون فيما يقاومون به تلك الحجة ويدحضون به ذلك الرهان بمثل تلك الاحتمالات السخيفة فهذه وجهتهم التي يتوجهون اليها لامرقة الحق ولا الاذعان له (ومن لا يقصمه إلا أن لا يقتنع فلا سبيل لأن يقتنع)

ولنقل كلمة عن تلك الاحتمالات الزائفة التي راج سوقها وعز سلطانها بفضل غلبة

الاهواء وكثرة الجهلاء فنقول

« الاحتمالات وأثرها الممقوت »

اتنا لو استرسلنا في الاحتمالات التعصبية لما أمكن أن نصدق بخبر ملك من الملوك ولا نبي من الانبياء ولا حديث واقعة من الوقائع ولبطل التاريخ واختلت المصالح والنظم بناء على تلك الاحتمالات على أن مسألة المعجزات متواترة تواترا يستحيل معه الاجتماع على الكذب من تلك الألوف المؤلفة شرقاً وغرباً ممن لا يعقل وتواطؤهم على الكذب مع تباين أممهم وبلادهم ولو فرصنا أن كل واحد منهم ذكر خارقة من الخوارق فهناك أمر مشترك وقع عليه الاجماع من تلك الطوائف كلها وهو أنه طهر على يديه عليه السلام خوارق على الجملة بقطع النظر عن أعيانها مع ملاحظة أن كثير من المعجزات قد رواها العدول الثقات عن العدول الثقات المجمع على حفظهم وصبطهم وأمانتهم بما لو انفرد بروايته طريق واحد من تلك لطرق الصحيحة لوجب قبوله فكيف وقد تعاضدت وتضافرت كلها على شيء واحد حتى بلغت مبلغ التواتر الذي لا يمكن رده ولا الشك فيه كما بينته كتب الصحيح في دلائل النبوة « ومن يتبع الاحتمالات ويسترسل فيها مع الشك ففما يصل الى ايمان أو يظفر بايقان » وقد أسكر الملحدون وجود الله تعالى بناء على تلك الاحتمالات وهو جل وعز أصل كل شيء وأظهر من كل شيء ولا يعقل بدونه وجود شيء ، وفي الناس فريق يطمئن في المحسوسات وهي هي ويقول إنها لا تفيد العلم بناء على أن الحس كثيراً ما يغلط ، فانك اذا كنت في الباحة رأيت الشاطئ جارياً وتري حبة العنب في الماء كبيرة . إلى امثال ذلك من غلط الحس ، وفي الناس فريق آخر نكر وجود كل شيء ، وقال ان الاشياء لاحقيقة لها بل هي خيالات وقد تعرض علماءنا للرد عليهم في كتب الكلام ، ومنهم من اختلط عليه الأمر وكثر عليه الاحتمالات فقال في كل شيء لا أدري ويسمون عندنا باللاأدرية ولو أتيح لك أن تطلع على كتب المذاهب والآراء لرأيت أنه قد احتدم الجدل وعظم النزاع في حقيقة العلم وهو المعلوم بذاته الذي يعلم به ما سواه ، ولست كما دخلته الاحتمالات ولعبت الوساوس بنفوس الناطرين فيه كثر القيل والقال حتى أصبح الناس فيه على طرق نقیض

فقال يقول هو يدعى لا يحتاج الى تعريف وقائل يقول لا يمكن تعريفه لصعوبته
وبعد حقيقته ، وفريق يقول أنه هو المعلوم بمينه فالعلم بالنار هو عين النار ، والعلم
بالماء هو عين الماء ، ولكن اذا حلت في الذهن كان لها أحكام أخرى ، وكذلك
التخلاف في الوجود والموجود الى غير ذلك مما منى به هذا النوع الانساني بناء على هذه
الاحتمالات التي أوجبها الاسترسال مع الشكوك والأوهام مما يضحك الشكلى ويبيكى
الحليم بل مما يسلب العقل الانساني خاصته والعطرة البشرية صفاءها وقد قال بعض
الحكماء (ان من الناس من تفسد اسانيته فيصبح غير انسان) وإذا لا تكون له فطرة
سليمة يرجع لها ولا وجدان صحيح يتحاكم اليه وإني أناشدك الله ، وأرجوا الأتسأم ،
لو قال لك قائل أنا لاثق بخبر من الأخبار لأنه يجوز أن يكون المخبر كاذبا ويجوز
أن يكون قد اعتقد خلاف الواقع ويجوز أن يكون قد سها فقال غير ما يريد ويجوز
أن يكون قد تجوز فأراد غير الحقيقة الى غير ذلك ولا وثوق مع وجود تلك الاحتمالات
التي يجوزها العقل ، بل لو قال أنا لاثق بشيء من تلك القواعد المعينة مثل عدم النجوى
والنفة والصرف وأمثالها لأن ثقلها عن واصيها رجال معدودون يجوز عليهم الكذب
والخطأ والنسيان ، وهكذا سبة كل قول الى قائله وكل رأى الى مرتبه ، فإذا يكون
خطابك اياه ؟ وماذا يكون جوابك له ؟ وهل ترجو لمثل هذا فلاحا أو تنتظر له
صلاحا ؟ وماذا يكون الحال إذا أجرينا تلك الاحتمالات في الأمور الحرية والمسائل
التجارية والأحوال الادارية والانظمة الاجتماعية ؟ بل أسألك — ولا أحسبك الا عجا
لتحقيق الحق — لو كنت في حال يقطتك وعلى غاية ما يكون من صحتك وكانت الشمس
على أتم ما يكون من صيائها وبهاثها وأنت تراها تعين رأسك ولا تستطيع أن تحدد
النظر فيها لعظيم ما يبهرك منها فجاءك سوفسطاى فقال لك . هل تستطيع أن تقيم
دليلا على صحة ما تدعيه من طلوع الشمس ووجود النهار فأخذت نصيح أنى أراها وأنت
تراها وكل الناس ينظرون اليها وهى أظهر من كل دليل يقام عليها ، فأخذ يقول لك
يحتمل أنك نائم وان تلك الرؤبة منامية وان اجتماعى بك ومجادلتى اياك وكل ما يحيط
نا من شجر وحجر وماء وضيء كله حلم فى حلم وخيال فى خيال ، محتجا عليك بأن النائم

مد يرى في مقامه أكثر من هـد وهو لا يشك في بومه أنه حق لا مريه فيه حتى أنه يرى أنه قد رأى مناماً ثم تيقظ ثم قصه على بعض المعبرين إلى غير ذلك مما يراه النائمون ولا يشكون في نومهم أنهم متيقظون^(١) فلعل حالك هو حال هذا النائم واعتقاده واعتقاده وأنت في مقام لا يقظة ، يقول لك ذلك كله بغير تهيب ولا خجل فقل لي « رعاك الله » ماذا يكون حالك مع هذا السوفسطائي صاحب الترهات وحليف الاحتمالات ، ألا يصعب عليك جداً إقناعه مع كونك قاطعاً بفساد ما يديه من هذه الاحتمالات ، ولئن كان العقل يقول يجوزها فالوجدان قاطع بعدمها ، ولو اعتمد الناس على التجويرات العقلية في أمورهم لاختل نظامهم وفسد حالهم ، وكان الحيوان اذ ذاك أقرب إلى الرشد من الانسان وقد أشار الله إلى قوم هذا شأنهم بقوله « (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَنْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) » فبين أنهم كانوا يدفعون تلك الآية الكبرى التي شاهدوها باحتمال أنه حصل حلال في أبصارهم أو سحر في عقولهم . وإنه ليقع في قلبي أن الله خلق أقواما ليس فيهم استعداد لليقين ولا خلقت فيهم حاسته عموماً أو خصوصاً فلا يمكنك أن توصلهم اليه مهما بذلت من الوسع وأفرغت من الجهد وكنت كمن يكلف فاقد السمع سماع أصوات المدافع الضخمة أو فاقد البصر رؤية الأصواء المتألقة ولذلك سجل الله عليهم بقاء الشك وعدم الايقان بقوله « وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الدُّوَى وَخَضَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلُّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا » ويقول « وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا . وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْفِي يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا » الى آخر ما ورد في حقهم والله في خلقه شئون ، ولعلنا نتكلم في بعض المعجزات على التفصيل بعد ان شاء الله .

يوسف النجوى

من هيئة كبار العلماء

بالأزهر

(١) اذكر هذه anecdote من بعض أصحابي أنه رأى في منامه أن بعض الاعراء عليه بدعات غرناه فقصده غرناه معلماً .. شيع قلبي فلم اجد لزامي * غير دمع مزجه بدمائي

الشيعة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف^(١) النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال « يا غلام ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، جفت^(٢) الأقلام وطويت الصحف^(٣) »

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال « يا غلام أو يا غليم ، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ قلت : بلى ، قال : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، قد جف^(٤) القلم بما هو كائن ، فلو أن الخلق جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله تعالى لم يقدرُوا عليه ، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدرُوا عليه ، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الشدة ، وأن مع العسر يسراً^(٥) »

شرح الحديث الشريف الأول

هذا الحديث الشريف كأمثاله يدل المسلمين الذين آمنوا بالله وبرسوله ويرشدهم إلى ما كان صلى الله عليه وسلم قائماً به من دعوة الأمة إلى الله تعالى وبيانه لهم ما جاءهم به من

(١) راك حمله . وهو معنى قوله في رواية الإمام أحمد الآتية : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم (٢) سيأتي تفسيره في رواية الإمام أحمد (٣) رواه الترمذي وقال : حسن صحيح (٤) متعلق بجفت أي جف مداد القلم بسبب مراعاة من كتابة ما هو كائن في علم الله ، وكل ما لم يكن في علم الله أنه لن يكون فإنه يستحيل أن يكتب القلم ما هو كائن . (٥) رواه الإمام أحمد بإسناد حسن .

العقائد الصحيحة وأعمال الدين والدنيا وإرشادهم إلى ما يزيك نفوسهم من الفضائل ومكارم الأخلاق .

كان صلى الله عليه وسلم يعلمهم كل ذلك في مجالس يقدّمها لهم في المسجد وغيره وفي مجامع أخر في الحضر أو السفر رجالاً أو رُكباناً ذُكراً أو إناثاً أو صبياناً فما كان من وقت يمضي عليه صلى الله عليه وسلم الا وهو مشتغل فيه بأمر ديني محض أو دنيوي يقصد به وجه الله تعالى ويصلح به أمور الأمة أو يقصد الأمرين جميعاً تقرباً إلى الله عز وجل باصلاح الدين والدنيا معاً وهذا كما قال الله عز اسمه في ذلك (إِنَّا سَنُلْقِيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً ^(١)) إِن نَّاشِئَةَ اللَّيْلِ ^(٢) هِيَ أَشَدُّ وَطْأً ^(٣) وَأَقْوَمُ قِيلاً ^(٤) . إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ^(٥) . وَاذْكُرْ أَنتُمْ رَبَّكَ وَتَبْتَغِ إِلَيْهِ تَتَبِلاً ^(٦)) وَقُلْ (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ)

دلنا هذا الحديث الشريف على ما كان من عناية النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ رسالة ربه سبحانه وعنايته التامة بتربية الأطفال ونفذية نفوسهم بالعقائد الاسلامية وغرس الأعمال الصالحة في نفوسهم لينشأوا نشأة حسنة علماء بدينهم عاملين بتعاليمه حريصين على حسن أدائها حتى اذا كبروا كانوا مرجعاً لغيرهم يفرعون اليهم في تعلم ما أورثوه عن الرسول صلى الله عليه وسلم كما كان شأن سيدنا عبد الله بن عباس وغيره من الصحابة الأجلاء الذين كانوا نعم الموثل والمثلج للمسلمين بعد النبي صلى الله عليه وسلم . نشأ ابن عباس وغيره من غلمان المسلمين كمبد الله بن عمر وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم على هذه النشأة الحسنة ، ثم كبروا وانضموا إلى رحالات الصحابة الاجلاء الصدور في العلم الاسلامي والتزام حدوده وحسن الحظ على الحرص عليه وعلى العمل

(١) سنوحي اليك (٢) القرآن العظيم النطوى على تكاليف شامه على المكتفين وضوما النبي صلى الله عليه وسلم فانه مأمور بتعليمها وتحميلها للأمة (٣) القاء في الليل للمادة بعد النوم (٤) أي هي خامة أشد ثباتا للقدس حين الصلاة بخلاف الصلاة قبل النوم (٥) أقوى قولاً وأعدله وأثبت قراءة لحضور القلب وهو الاصوات بعد النوم . (٦) تدلنا وتصرفا واقتضالا بشواذك فلا تستطيع أن تفرح للمادة مملكت بها في الليل (٧) أي تقطع اليه بجميع الهمة واستغراق القرعة في مراقبته .

به من غير تواكل ولا هَوَادَةٍ ، فكانوا جميعا بمد الرسول صلى الله عليه وسلم مَشْرِقًا
بَرَّغَتْ منه شمسُ الدين المحمدي وانْبَعَثَ منه نور الاسلام الخفيف فاضا المشرق والمغرب
وشرح الله صدور أهلها للدخول في دين الله أفواجا وتحولت أقطار الأرض من جهلها
ووثنيها الى أنظار موحدة تدِين بالدين المحمدي الخفيف وبالعَمَل الصحيح وبسائر الاعمال
التي شرعها الله لصلاح شؤون عباده الدنيوية والأخروية ، فأصبح المسلمون لذلك العهد
سادة أهل الأرض بما نَشَرُوا من الدين والعلم النافع وما أقاموا من العدل والقسطاس
المستقيم وفتحوا الافطار وتمرَّوا البلدان ومَصَّرُوا الأمصار وكانوا من المصلحين ، ولا
تزال نحن المسلمين نتقلب في تَرْزُ قليل من ثمرات أعمالهم الطيبة التي ورثناها عنهم بعد
ان أضعنا جُل ما تركوه لنا ، فسبحان من يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

هذه بعض ثمرات تَفْشِيَةِ اطفالنا نحن المسلمين التدشئة الدينية الاسلامية ، وهذه
بعض تربيتنا لهم التربية التي رآى النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس وغيره من اطفال
المسلمين كسيدنا علي وعبدالله بن عمر والحسين والحسين رضوان الله عليهم اجمعين
والمسلمون منا ومن قبلنا يرفعون حق المعرفة مَنْ هُمُ ساداتنا على الحسَن والحسين
وغيرهم ممن ذكرناهم ومن لم نذكرهم ويقدرونهم حق قدرهم في الدين والعلم والعمل .

ان العلم الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وبلغه الناس عن ربهم جلت حكمته علم
يصلح النفوس ويهذبها ، وكذلك يصلح الابدان ويقيها امراضها وادواها ، فكان هذا
الدين الاسلامي المحمدي لهذا مثقفا للنفوس شافيا لها من العقائد الفاسدة وقبائح
الجهالات والنقوية ودواء ناجما من سينات الاعمال وشور عواقبها ، وكان لذلك شفاء
وعلاجا نافعا ايما تقع للأرواح والاشباح ، من لدن حكيم حبير ، كما قال جل ثناؤه
(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِعَارٌ لِتَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى
وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) وقال (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ
اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) وقال (فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) .

إن الناظر في هذا الدين الاسلامي النظرة الصحيحة البريئة من التعصب الدميم وتأس المعايير الكاذبة يعلم العلم اليقيني أنه دين الفطرة الانسانية التي كرمها الله تعالى، ويعلم أنه (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مَنْ حَكِيمٌ حَمِيدٌ) وأنه (مَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) وأنه كما جاء مصلحا للناس أرواحهم وعقولهم يبين العقائد والعبادات والفضائل النفسية، كذلك جاء مصلحا للأحكام والاعمال الدنيوية لم يفرط من ذلك في شيء، كما قال الله الحكيم العليم (وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)

نتقل من تربية الطفل في الصدر الأول والاسلام غصن قد خالطت بشاشته القلوب فكان أصله ثابتا في النفوس وروعته في السماء بُنيت للمسلمين كل حين بآثار حسنة وبهم بأذن ربهم كل أن درية طيبة يكونون خلقا صالحا لصف صالحين، ثم نتقل من هذه التربية الى التربية في زماننا هذا انتقالا من القبيض الى القبيض (وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ يَمُنُّ بِمَعْدٍ) فنقول :

إن للطفل مدرستين يتربى فيهما في بدء حياته «أولاهما» داخلية وهي بيت والديه «وثانيتهما» خارجية وهي المدرسة التي أعدها الحكومة أو غيرها للتربية فأما المدرسة الأولى، وهي مدرسة بيت الوالدين فإن الطفل لا يسمع ولا يبصر فيها للدين أرام عقائده ولا أعماله ولا فضائله ولا آدابه ولا أوامره ولا نواهيه (الامن عصم الله) وقليل ما هم، فلا طهارة ولا صلاة ولا زكاة ولا صيام ولا آداب ولا اتقاء لما حرم الله من غيبة أو عيمة أو تناول ما بهى الله تعالى عنه من مأكل أو مشروب أو مبسر أو غير ذلك مما أمر الله به أو نهى عنه، لا يرى الطفل شيئا من ذلك يصدر عن الوالدين، فهل يطمع طامع بمد ذلك أن يرى طفل هذين الوالدين المستهزين المفرطين في دينهما ولدين منزلة من قاب ولدهما أو ولولده وازع من نفسه يهناه أن يرتكب الموبقات التي ارتكها والدها ونشأ على رؤيتها مهما تكررت مشاهدتها لها حتى مررت عليها وأنس منها وانكر اضدادها من أوامر الدين ونواهيه وعد ما خالف ما نشأ عليه والدها أمرا عجيبا

وأما المدرسة الثانية فإنها قد قررت على الأطفال موضوعات في الدين لكل طلبة في سنة من سني الدراسة طائفة من هذه الموضوعات يتلقونها ، وكان ذلك مقصورا فيما سبق على طلبة المدارس الابتدائية ، وكانت الموضوعات المقررة هي الاعمال البديية من الوضوء والصلاة ونحوهما ، وكانت تلك الدروس موزعة على أوقات لا يحيزه عقل ولا دين ، فمن ذلك أنه يختار لها دائما آخر النهار ، وهو الوقت الذي كانت تهتر فيه هم المدرسين والطلبة وتضمحل فيه قوام وتخدأ أذهانهم ، فلا يستطيع المدرسون أن يفيدوا ولا الطلبة أن يستفيدوا .

ومن ذلك أيضا أنهم جعلوا دروس الدين اختبارية لا يحاسب المدرس على أن يهملها بنوع من أنواع الإهمال ، فإن شاء أن يدرسها كيفما شاء غير متبع في ذلك نظاما من نظم التدريس فهم الطلبة عنه ما قال أم لم يفهموا ، وإن شاء بدّل مدرّس الدين به غيره من فن آخر كالنحو والمطالعة مثلا .

وكما أن المدرس لا تبعه عليه في إهمال دروس الدين كذلك الطالب سواء بسواء . لا مؤاخذه على جهله بها ، وإن فرض امتحانه فيها وإن لم يحب بشيء ، أو أجاب اجابة خطأ أو بما لا قيمة له فإنه لا يكون شيء من ذلك سببا في عقابه أو عتابه أو رسوبه في ذلك الامتحان ولا عقبة تحول بينه وبين تقدمه على غيره في الترتيب ولا في حرمانه من مجانية متمتع بها ولا من الانتقال من سنته التي هو فيها الى سنة أرقى مما هو فيها .

فلنا إن موضوعات علم الدين كانت فيما سبق مقررة على طلبة المدارس الابتدائية ، ولكن قد أحسست وزارة المعارف قريبا فقررت علم الدين على طلبة السنتين الأولى والثانية من السنين الثانوية فنعم ما فعلت أتم الله توفيقها ، لكنها مع إحسانها فيما فعلت تركت الحبل للمدرسين وللطلبة على انقارب ولم تجعل للدور من يحرسها ولا للدواء الناجع طبيبا يقوم على العلاج به ، وذلك أنها استهانت به كما استهانت في التعليم الابتدائي فجعلت وقته هو وقته وتدرسه هو تدرسه وإهماله واستغفاله وتناجح امتحانه هي نسيها كما شرحنا في التعليم الابتدائي ، فهل لهذا الاستحقاق بالدين وتعليمه ونشئة أولادنا نحن المسلمين على تعليمه من آخر ينتهي اليه إهمالنا وتفریطنا (فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ

عِنْدِهِ فَيُصِصُّوْا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ) و (لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا).
لو كان الاستهتار بأمر الدين الاسلامي والتفريط في تعليمه معه بعض عناية تشابه العناية
بفن الرسم والألعاب الرياضية كالجري والقفز وغيرهما لهذا الأمر والمطلب بعض
المهون ولتعتري الدين وأهله بعض التعزية . ولكن الأمر قد تعدى طوره وأمسى
الدين وأهله على خطر عظيم والقوا بأيديهم الى تهلكة عظيمة لا نجاة لهم منها الا
اذا خرجوا مما دخلوا فيه من هذه التهلكة ولكن ما داموا على ما نراهم فانهم ليسوا
منها بمخرجين .

تلك الطامة الكبرى هي قذف المسلمين باطفالهم الى مدارس غير المسلمين ،
وبعضهم قد يكون من الطائفة الداخلية وبعضهم من الخارجية ، ونحن نعلم علم اليقين
كما يعلم آباء أولئك الأطفال ما تفرسه تلك المدارس على طلابها المسلمين وغيرهم من
اداء العبادات التي يحرمها الدين الاسلامي ويحكم حكما لا تأويل فيه ولا شبهة بأن فاعلها
يخرج بها من الاسلام ومثله كل راض عنها أو متسبب فيها .

ولقد شكنا بعض هؤلاء الآباء حينما رأى ابنته وهو في البيت يقول ويفعل ما لقيه
معلمو تلك المدارس من أقوال وأفعال غير المسلمين ، وقد أعيتته الحيل في رجوعه عنها فلم
يرجع ، فقيل له ولم لم تخرجه من هذه المدرسة بعد أن تحققت ضررها ، وهل أعددت
الجواب حينما يسألك ربك عما فعلته بابك هذا في يوم (لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا
وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) ؟ فقال أخشى أن
أخرجه فيحترم من التعلم ، فقيل له : وهل حرّم غيرك من الآباء أبناءهم الذين لم يدخلوهم
في هذه المدارس التي هي في الحقيقة معابد لغير المسلمين ؟ فلم يجروا با فقيل له : اتق الله
في نفسك وفي ولدك وتذكر قول الله المنتقم الجبار اذ يقول : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا
أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ) في يوم (لَا يَنْفَعُ الدِّينَ ظَلَمُوا
مَعَذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ)

ثم إن هؤلاء الشبان الذين لم يتربوا التربية الدينية ولم تنفّ بها عقولهم ولم تتدوّنوا

نفسهم كثيراً ما يرسلون إلى أوربة ليتموا دراستهم ويتخصصو ببعض العلوم كما يقولون ثم يعودون وقد تبدلت أحوالهم وتميرت أوضاعهم . والتوت أسنتهم في دينهم وأخلاقهم وسيرتهم وعاداتهم و (لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا كثيراً) حتى على آباءهم الذين لهم يستجدون واليهم محتاجون وبأموالهم يرحون ولا شيء من ذلك بمجهول ولا بخاف علينا . ولقد سمعنا شيئاً كثيراً ممن ثقت به منهم وقد حفظ الله تعالى عليهم دينهم وفصلهم (وقيل تمام) حدثونا بمباحثات وأسئلة كثيرة كانت تنال من الطلبة الأوربيين يوجهونها إلى الطلبة المسلمين طائين أهم على شيء من دينهم فكانوا تلقاء هذه أفساما متباينة ، فهم من يعيب الاسلام إجماعاً ، يريد بذلك نشر جهله يدينه زاعماً أن ذلك يكبره ويقربه زلفى إلى السائلي غير المسلمين .

ومنهم من تحمله الغيرة أو يخشى ظهور جهله فيجيب وهو جاهل على غير ينة مما يجيب ، وهؤلاء كثيراً ما يخطئون ، وإن فرصت أصابهم فاتها تكون أندر ما يكون لأنها رمية من غير رام . وأما خطاه فانه الأغلب الأكثر وهو مسجل عليه وعلى الدين الخفيف وهو منه براء . ولقد صدق من قال (عدو عاقل خير من صديق جاهل)

ومنهم من سافر إلى تلك البلاد وهو مؤمن حقاً وقلبه مطمئن بالإيمان حريص كل الحرص على فرائضه وسننه وسائر تعاليم دينه حتى أكره رئيس المدرسة ومدرسوها وطلبتها وصار مساراً صالحاً وعنواناً محموداً صادقاً على دين الاسلام ، فلقد طالما أراح كثيراً من الأباطيل والأكاذيب التي كان قد أسقها بالاسلام بعض أعدائه الجهلين الفسدين . هذه هي مدارس المسلمين ومدارس غيرهم ، وهذا هو شأنها في معاملة الدين الاسلامي ، وغاية أمرها أن التلاميذ يخرجون منها بعد اتمام دراستهم وأفتدثهم هوائه وصُدورهم جوفاء من كل شيء يتصل بالاسلام من عقائد الهمة وسوية وعبادات بدنية وأحكام دينوية وأخلاق وآداب دينية وعادات ومواضعات حسنة دينوية

ولكن اعلم أن هناك دوراً بل قصوراً أنشأها غير المسلمين وراء ستار من زخرف لا يبيح عائب ولا يمانع فيه ممانع ، ذلك الستار هو دعوى أن هذا القصر قد انشئ للاستشمام ووقاية النوع الانساني أن تفتك به الأمراض . فاذا دخله المريض عولج فيه

علاجاً جسيماً لا تعرض له لأننا لسنا بصدد، ولكن الذي تعرض له هو معالجتهم له
علاجاً روحياً ديبياً، وذلك أن المريض ينما يكون في حال يقاسى فيها ما يقاسى من
الأوجاع والآلام وهو يناجى ربه القادر على شفائه الذي (ليس كمثل شئ) وهو السميع
الصير) إذ فاجأه مفاجئ، يلقي عليه درساً يذكر له فيه ما يخالف عقائده ويهدم قواعده
ويجهد ما استطاع في تشكيكه وزحزحته عن ديه الذي دخل به ذلك المستشفى ليخرج
مه وقد ترك دينه فيه كما أنه يخرج وقد ترك فيه مرضه الذي دخله به ألبس الأمر
كذلك أيها المسلمون^١ على

وحملة القول. أن عاقبة المدارس على ما هي عليه هي تربية الطفل تربية خالية من
كل ماله مساس بدينه وعاقبة المستشفيات التي أسسها غير المسلمين هي تشكيكهم
وزحزحتهم عما يعتقدونه من دينهم، وما مثلنا ومثلهم الا كمثلي أهل الكهف الذين
آمنوا بربهم اذ قال بعضهم لبعض في شأنهم مع قومهم الذين لم يؤمنوا (إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا
عَلَيْكُمْ رَجَعُوا كَمَا أَوْفَعِدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا)
قد يكون لمرض المسلمين عذرٌ ما إذا دخلوا هذه المستشفيات لأن المسلمين على
كثرتهم وغنائم ووفرة ما عندهم من الثروة لم يعملوا مثل ما عمل سواهم، بل لم يشكروا
في شئ من ذلك الا قليلاً لم يكن شيئاً مدكوراً.

حسن منصور
وكيل دار السلام سابقاً

يتبع

الطرف والملح

أنشد ثعلب رحمه الله.

الجليل بعد الأربعين قبيح	فزع ^(١) الفؤاد وإن ثناه حُموح
وبع السفاهة بلوقار ومالهي	ثمن لَمَرَّكَ إِنْ عَقَلْتَ ربيع
فلقد حدا بك حد نال الى البلى	ودعاك داع للرحيل فصيح

اصول الدين

سوانح ومقتبسات

رحو من حضرات القراء أن يطلبوا من هذه السوانح الفوائد لا المناسبات (١) لانتعز على علماء انطيمه فيما يرون وما يقولون فان حريه الرأى أساس تقدم العلم فاذا ضفطنا على حريه الرأى فقد وقفنا عقبة في سبيل تقدمه كما كان يفعله الفسوس في القرون اوسطى ولكن نحب منهم أن يخلصوا للعلم أيضا ولا يوهمونا أن الظنى قطعى والتخمينى يقينى ، نحب منهم دائما أن يضعوا نصب أعينهم ان العلم متغير متبدل وان عقل الانسان قاصر والسكون كبير واسرار الوجود لانهاية لها ، فاذا لم يخلطوا التخمين باليقين ولم تلب عليهم الأثرة والتبجح بما اكتشفوا ووقفوا عند حد العلم الصحيح ولم يصادموا كل شئ بمقتضى ذلك الاكتشاف اتواص الذى أكسوه من رعايتهم وأهوائهم وأوهامهم وخيائهم لو فعلوا ذلك لرحنا به كل الترحيب ولزال كثير مما بيننا وبينهم ، ولكن النفوس الانسانية مجبولة على التبجح وهى في عملها بمنزلة الشهير الذى يكبر الأشياء الى أكثر من ألف ضعف من حجمها الحقيقى .

(٢) اننا نجلهم كل الاجلال على بحوثهم واكتشافاتهم ولكن نحب منهم أن يعرفوا ان هذه البحوث ليست الا مرفه سلسله الموجودات وترتب بعضها على بعض ، أو نقول حدوث بعضها عقب بعض ، أو هل أنت نشوء بعضها من بعض ، ولكن نمجدهم كفى لا يتلثثون عجبا ودهشا من ذلك النظام الذى لا يعرفون له سرا غير أنهم شاهدوه فكان المعقول أن يتلثثوا بعظمة ذلك الفاعل المستتر الذى حيرت آثاره المعقول والأفكار ، وانا نجلهم أن يشبههم بالأطفال الذين يرون الأشياء في هذا الكون فيعملونها تعاليل لا توافق الحقيقة غير مفرين بين مقارنة الشئ للشئ ،

وسببية الشيء للشيء، أو نقول بين السببية والفاعلية ، أو نقول بين الفاعلية والقابلية، ولعلمهم يفتقرون من سكرة الطفر بهذه المكتشفات فرحمون الى العمل والمنطق (٣) انهم عرفوا عناصر الأشياء ومقاديرها فهل يمكنهم أن يصنعوا لنا تفاحه أو رمانة أو نحو ذلك بناء ما عرفوا في كيميائهم من قوانين المزج والاتحاد ؟ فضلا عن انسان حي أو حيوان حي .

(٤) انه يمكنهم أن يحلوا الحلية ولكن لا يمكنهم بعد تحليلها أن يعيدوها حية كما كاتب ، أليس ذلك وحده دليلا على أن الأمر يس راجعا الى الة العناصر ولا مقاديرها ؟ بل الى سر يحفظونه غام الجهل حي في اصغر الأشياء .

(٥) ان المادى المتحد لا يتنظر منه غير الاتحاد والقول بالمادة فانه لم يقرأ الا كتبها ولم يطرق سمعه في تربيته الخاصة وادوار حياته الطويلة الا التنويه بها والحديث عنها ، فنفسه ممتلئة بها فارعه من كل ماسواها ، فهو سكر بمجتها مخور باثارها ، وما ذا تريد من السكران الذى انحصر في موضوع واحد حتى يخلل ذلك الموضوع اجزا نفسه ؟ وماذا تنتظر من الذى حصر نظره في اتجاه واحد ؟ هل يمكنه أن يعرف غيره وهو لم يتجه اليه ؟ والانسان محصور فيما وضع نفسه فيه والعالم كبير جدا والعلم لا آخر له، فتكفى ناحية ضئيلة من نواحي العلم أن تأخذ الانسان كله حتى لاتدع منه شيئا لغيرها ، والانسان ليس موجودا الا في جزء صغير من العالم وهو ماوجه نفسه اليه وقصر بصره عليه وان كان يظن أنه موجود في العالم كله .

(٦) لننظر أى الفريقين أهدى سبيلا ؟ فريق المؤمنين الذى أرجع الحياة الى أصل حي والارادة الى أصل مريد والعلم الى أصل عالم ، والنظام المحكم الى منظم حكيم ، أم فريق الماديين الذين خالفوا في ذلك كله بدائه العقول وصرائح الراهين ؟ فبنفوا من الأوهام حسدا لم يبلغه العلاسفة الأقدمون الذين يرمونهم بالخيالات والخرافات ويفتخرون عليهم كبرا وبججا بأنهم خلصوا من الوهم وبرئوا من الخيال غير شاعرين أنهم وقعوا فيما هو أظلم منه .

(٧) وصل التخرص في حقيقه المادة والتظن فيها الى حد أن قالوا انها مؤلفة من مجموعات كثيرة كالمجموعات الشمسية وانما الذى يرينا أنها جامدة وصلبة هو سرعة سيرها فلا نحس بحركتها مثل الأرض التى تسير بنا سيرا حثيثا ولا نحس بسرعتها ، ألا نقول لهم ان ذلك مصادم للحس والبدية (والحس مقدس عندهم والبدية مقدسة عند جميع العقلاء) ولكن نقول لهم ما الدليل على ما زعمهم ، أليس من الجائز لو واقع أنها لا تصير كذلك الا اذا وصلت الى حد الغازية أو التكهرب ؟ وذلك لا يكون الا بعد تحليلها ودخولها في أدوار كثيرة مما الذى جعلكم تحكمون أنها متحركة بتلك الحركات الزويعية السريعة غاية السرعة في حال جودها وصلابتها ، أليس كل دور من الادوار له حكم من الأحكام ؟ ومن الغلط أن نعطي الجامدات أحكام السائلات أو السائلات أحكام الغازات الى آخر ما تعرفون ولا تجهلون ، ولكنهم اعتادوا أن يتجهجوا على الأحكام بخروا وجراة ناسين ما جعلوه قاعدتهم من ابعاد العلم عن التخرص والتخمين وطالما سلقوا السابقين الأولين بالسنة حداد لتورطهم في التخرص وفرض الفروض من غير أن يقوم عليها ادليل الحسي ، فهذا آخر رأى لهم في المادة بعد ما تخلص العقل البشرى من الخرافات والالوهام وبنى العلم على أساس صحيح من الحس والمشاهدة على ما يقولون ، وأغرب من هذا وذلك القول بان أصل المادة الحركة أو انقواء كأن العرض يقوم بنفسه ولا يحتاج الى جوهر يقوم به ، قال بعض الفضلاء ، الواقع ان القوة انى لهجوا بها ماهى الا كلمة تقال للدلالة على آثار تقع في العالم المادى لا يمكن فهمها الا بها فاذا نارت عاصفة قيل تحرك الهواء بقوة ، واذا سقط حجر على الأرض قيل انجذب اليها بقوة ولكن ماهى انقواء مجردة عن هواء وحجر ؟ لا تدرى ولا أحد في العالم بدرى فكلمة القوة التى جعلها العلماء المعاصرون لنا مبدا ومعادا لجميع الكائنات المحسوسة لاتساوى اكثر من كلمة «الجوهر الفرد» وستحول تلك ماخوات هذه من السلطان المطلق ثم يسيرونها السقوط الى الحضيض فتخففها كلمة أخرى أصلح منها مسامرة للعلم في الدرجة التى يكون عليها

اذ ذاك ثم لا تكون تلك هي الكلمة النهائية ، بل لا يفتك الاسار ينشل من مدركات ومصطلحات حتى يبلغ الغاية مما أعد لبلوغه من العلم ، ولا ندرى ان كان يتم له هذا العلم المطلق في عالمه هذا بجواسه القاصد هذه أم في عالم آخر حيث تنطلق روحه من القيود المسادية ، فيجب على طالب الحقيقة المطلقة أن يحرس من الكلمات الفسارغة وان سائرت أهواءه ابراهنه قرب اتخذاع بنظرية لا أساس لها يقف بصاحبه عشرات السنين في دائرة معنة من الخيال وقف بأهم برمتها عشرات القرون في حالة محدودة من الضلال ، وقد كان الطيعيون الى ما قبل مائة وخمسين عاما يفكرون جميع المعميات الوجودية بالانصار الاربعة، الماء والهواء والنار، والتراب وقد اتضح اليوم بالتجربة أنها مركبة وماذا يدريهم أن العناصر التي زعموها بسيطة وأوصلوها الى نحو الثمانين مركبة ؟ وان قصور آلاتهم عن تحليلها هو الذي جعلها بسيطة في نظرهم والا فالبسيط على الاطلاق انما هو الاثير الذي اثبتوه وقالوا ان كل شيء يرجع اليه ، وقد كانوا يحللون بالجوهر الفرد الذي لا يقبل الانقسام ولا التلاني كل المضلات الطبيعية وقد ثبت بالعلم أنه قابل الانحلال والفاء ، ولا يصح والأمر على ما سمعت أن يعول الباحث عن الحق الصراح في الطبيعيات الا على ما يحس به وعكته منه بحبرته بوسائنه الذاتية ، فأحسن موقف بقفونه أمام مسألة المادة هو أن يعترفوا بأن أصلها مجهول وان كل ما يقال فيه لا يخرج عن دائرة الطنون والآراء . ويحسن بنا هنا أن ننبثك أن الرأي الذائع في معاهد التسم من أن المادة لا تنفى قد أدحضه العلامة جورج بوهن، والعلامة الكبير «جستاف لوبون» (٨) يحاول الانسان أن يعمل كل شيء وهو لا يستطيع أن يعمل الا برده الى المل التي يعرفها وهو لم يعرف الا قليلا جدا من هذا الوجود على أنه لا يستطيع أن يعمل شيئا فعليا حقيقيا ولكنه كما قال بعض فلاسفة أوربة، نشاهد بعض الاشياء مشاهدة متكررة فيظن أنها مفهومه ومعقوله وان غيرها نيس مفهومها ولا معقولا لكونه لم يشاهده أو شاهده على سبيل الندره ، والحقيقة أنه لا يعرف عه هذا ولا ذاك ،

قال الدكتور هارز : ليس لأى عقل مهما كانت دوحه انسانيه ان يضع حدودا للممكن وغير الممكن لان الممكن لا ينتهى الى حد كالمكان والزمان ، ونحن وان كنا قد حددناه في نظرياتنا فهو يتعداها كل لحظة ويسخر من ضيق عقلنا ، ألم تعلمنا التجربة أن ما يظهر لنا مستحيلا اليوم قد يكون بديهيا غدا ؟ هكذا كان الحال حيال اكتشاف أمريكا ، وبارود المدافع ودوره الدم والكهرباء الجوانية والبوصلة وآلة الطباعة ومائة الصواعق والطائرات والتلقيح والعلاجات المقطرة الخ الخ . أما ما يقوله لنا العقل فهو أنه لا يوجد خطأ محض الا في الامرين المتناقضين ولاحق محض الا فيما هو بديهي ، وعلى ذلك يمكن الانسان أن يقول انه من المستحيل أن يرى مثلثا بغير ثلاثة أضلاع لأن ذلك تناقض ولكنه لا يستطيع أن يقول يستحيل أن رجلا يمكنه أن يقرأ من قفاه وأن آخر يسمع من فم معدنه (كما يقول علماء الأرواح) وثالثا يرى عن بعد مائة الف فرسخ ، ورابعا ينبي عن الغيب كما يقولون ، وخامسا لا يشعر بالآلم ، وسادسا يشخص داءه وادواء سواه ، وسابعا يلهم بوصف العلاجات ، لا يستطيع أحد أن يقول بدون أن يحيط من كرامة العقل بأن هذه الحوادث بديهية الاستحالة لأنه ليس لأحد الحق ولا اقدرة على أن يقول للممكن ، أنك لن تصل الى هذا المدى ، وفي الواقع ان هذه الظواهر الخارقة للعادة جدا ليست اكثر ادهاشا ولا عجبا ولا استقصاء على التعليل من الظواهر التي يشاهدها كل يوم . أليس كل شيء في الطبيعة غامضا وعجيبا ، ولكن يوجد عجائب تجري في الطرقات وأخرى قليلة الشيوع فيخيل للانسان أنه قد فهم الأولى دون الثانية لأنه لا يراها الا نادرا ومع ذلك فهو لا يستطيع أن يطل هذه ولا تلك فهو يشاهدها وكفى .

(٩) يقول الماديون انهم لا يؤمنون الا بالمحسوس ولا يقولون الا بالمشاهد فهل عرفوا أن الناس كانوا غير متدينين فلما خافوا من أفاعيل الطبيعة حرها وبردها وظلمتها وعودها وعواصنها وسحبها وبرقها وامطارها اخترعوا ماوراء الطبيعة وقالوا بالقوة الغيبية واخترعوا الجن والشياطين والارواح الى غير ذلك ؟ فهل هذا هو شأن

الأمانة في العلم أو شرف الثبات على المبدأ يا حضرات الشجعان ؟

(١٠) لا بد من تكرار افوائد في عبارات مختلفة والاسباب المتنوعة ثم لا بد من مذاكرتك ذلك كله المرة بعد المرة حتى تنتفع به وتصل الى لبابه ويدخل في شفاف قلبك فان الانسان يحول على الغفلة والنسيان فعلمنا يصل الى لبالحقائق فيما يقرؤه الا اذا عاوده مرارا كثيرة فعلمنا ينتفع به الا اذا امتزج بنفسه وكاد يكون علما حضوريا لديه ، ولذلك تكرر القصص والامثال كثيرا في اقرآن لتلك الحكمة وقد كتبنا في موضوعات كثيرة ثم كنا نراها غريبة لدينا عند ما نقرأ علما بعد رده من الزمان وسبب ذلك الغفلة والنسيان وهما غريزان في نوع الانسان .

(١١) نريد من الطبيعيين أن يقولوا فيما وصلوا اليه من القطعيات انه قطعي وفيما هو في محل البحث والافتراض انه فرضي وفيما جهلوه رأسا انهم جاهلون به لم يصلوا الى حقيقته ولا سره ؟ وبهذا يكونون قد اخلصوا للعلم ولا أنفسهم وللناس جميعا .

(١٢) انهم يقولون ان المادة قوة أو هي راجعة في آخر أمرها اليها وقد رجعوا عن الرأي القديم فيها أفلا يرى القارى الكريم أنهم قالوا بالمجردات من حيث لا يشعرون ؟ بل زادوا علينا بان كل شئ من الماديات هو في حقيقة أمره قوة تقمص هذه الصور وتلك الأشكال فما فرارهم بعد ذلك من اقول بما وراء المادة ، وهذا كثروا الدوران ثم رجعوا اليه .

(١٣) العلم ومباحثه البرهانية لا يصبر عليه الا من ارباض بضاعة المنطق وابرهان ، ومن النفوس نفوس هينة رقيقة لا يمكنها الصبر على ذلك فلا يغنيها أو لا يدخل جوفها ولا يروق عينها الا الروايات والافكاهات ، فليت شعري من أى قيل أنت وبماذا كنت تشتغل و سائب أوفانك وأيام تربيتك الأولى ؟

(١٤) من ضعف الانسان أن الشبهات التافهة تنحرف به عن الصواب ومتى انحرف عن الحق ولو قيد شعرة وقع في اباطل وقد يكون هناك فروق دقيقة يصل في تنباها كثير من الناظرين ولا يهتدى اليها الا الراسخون المبرزون .

(١٥) ان الملدين كثيرا ما يحملون مذاهب متبوعهم مالم يقولوا به لافرق بين اهل الدين وغيرهم وهذا . بنجر وشيل شيل . يسبان المادية والديهرية وانكار الألوهية لمذهب «دارون» استنباط واجتهادا والمذهب يرى من ذلك «ودارون» نفسه معترف بالألوهية، لان المذهب مقصور على البحث في نشوء بعض العضويات من بعض بعيد عن ابحاث في الأصل الذي تستمد منه حياتها ووجودها

(١٦) الماديون فروا من تأليه الاله الحكيم الذي ليس كمثلته شيء . وهو اسميع البصر . الى بايه الماده التي لاسمع ولا بصر ولا نفى عنهم شيئا ، وهم يعيبون المتدينين بالجود ولو انصفوا لعرفوا أنهم هم الجامدون المتحجرون الذين خلعت عليهم الماده كسافتها وجودها .

(١٧) اننا في عصر توره فكره وانتقابات خطيره وفي الثورات يخطط الخابل بالنابل والحق بالباطل ويرتفع الجاهل فوق العالم والخاص فوق النابه والصغير فوق الكبير والحقير فوق الخطير ، ولا تكاد يسلم من ذلك الا شذاذ من الناس كانوا من ارقعة وكبر النفوس بحيث لا تؤثر فيهم تلك الضوضاء ولا تطفى عليهم هاتيك القوعاء فهذه ظاهرة تلزم كل انقلاب والقوز المؤقت في الانقلابات للأصغر لا للكبير وللجاهل لا للفاضل وللخامل الذي ليس به من وسائل الظهور الا تلك الوسيله اشاذه . ولا من الفرص والظروف الا تلك الفرصة التي هما تسح له وذلك اضرف الذي لا يحسن العمل في غيره (ولكن الباطل كان زهوقا)

(١٨) تأثير الشهوات بطفى العقل فان الانسان متى كان متأثرا كان مقهورا مغلوبا تحب سلطان المؤثر فيه لانه اذ ذلك منفعل لا فاعل .

ولنتقصر اليوم على هذا حرصا على نشاطك واستجماما لنفسك فلعل ذلك أشهى اليك وأسهل عليك .

يوسف الدحوي
من هيئة كبار العلماء بالأزهر

اصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسلام دين الفطرة

محاسن الاخلاق في الشريعة الاسلامية

قال صلى الله عليه وسلم (انما بعثت لاتمم مكارم اخلاق)

فدعنا في المقالات السابقة شرح محاسن الشريعة الاسلامية في عقائدها وفي عباداتها ومعاملاتها ، ولا يستطيع امرؤ منا معها اوتي من المقدرة الكلامية وغزارة العلم أن يزعم انه استقصى ما في الشريعة الفراء من مصالح وحكم ، واعا هي المامات تجتني بها ثمرات يلتقطها المتبصر المتأمل في رياض هذا الدين الحنيف بقدر ما تسمح به قوة بصيرته ولو أنه أعاد النظر فيه لظفر باضعاف ما تجبى له فما أحذره بقول القائل

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا

بل مامن باب من أبوابه المتمددة إلا وهو أهل لأن يستخلص منه من مصالح البشر ما لا يقف به الحصر ، وحسبك أنه النور الالهي والرحمة المهداة من رب المالمين لارشاد العباد الى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة .

ومقالنا اليوم تجتلي به شيئا من محاسنها في باب الاخلاق التي بثت في ثناياها والتي بعث صلى الله عليه وسلم لتتميم مكارمها ، ونبين فيه أسلوبها الحكيم في غرس الاخلاق التي تدعو اليها في النفوس وتمكينها منها وتربيتها على الاخذ بها .

ولابأس أن نعهد لذلك بذكر مقدمة وجيزة قررنا علماء الاخلاق يقرب بها حصر الاخلاق المتكاثرة في أنواع مضبوطة ليسهل النظر في كل نوع وكيفية تربية النفوس عليه في أسلوب الشريع الحكيم .

ذكر الباحثون في الاخلاق أن أصولها ترجع الى ثلاث صفات ، الحكمة ، والعفة ،

والشجاعة، وعللوا ذلك بأن النفس الانسانية أوتيت ثلاث قوى، وهى قوة التمييز، وقوة جلب النافع، وقوة دفع الضار، وبعبارة اخرى العلم، والشهوة، والنفس، وكل واحدة منها عرضة للضعف والنقص وللإفراط ومجاوزه الحد وقابلة للتوسط والاعتدال، ولا تكون واحدة منها فضيلة الا إذا لزم حد الاعتدال فلم يمتزها النقص والضعف والتفريط ولم يتجاوز الحد الى جانب الزيادة والإفراط، ففى لزم حد الاعتدال كانت حميدة الأثر جميلة العقبي، وقد جعلوا لها اسما بحسب حالاتها فسموا قوة التمييز عند اعتدالها حكمة، وإذا ضعفت وقصرت كانت غباوة وجهالة، وان تجاوزت حد الاعتدال كانت خبثا ومكرا وحرزة، وسموا قوة الشهوة عند اعتدالها عفة فان قصرت وضعفت كانت جودا وبلادة فان تجاوزت الحد كانت شرها، وكذلك قوة النفس تمتدل فتكون الشجاعة فان نقصت كانت جبنا واذا زادت كانت تهورا.

والفصيلة فى كل واحدة هو الاعتدال والتوسط حتى سموا حالة اجتماع تلك الفضائل الثلاث بالعدالة، وما أحسن قول بعضهم

ولا تغل فى شئ، من الأمر واقتصد كلا طرفى قصد الأمور ذمى
والى هذا المعنى يشير قوله عليه الصلاة والسلام « إن هذا الدين متين فأوغل فيه
برفق، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » وقوله عليه الصلاة والسلام « قم ونم
وصم وافطر فان لبدنك عليك حقا وان تزوجك عليك حقا »

هذا : وليس من غرضنا الآد أن نتوغل فى إبحاثهم وخلافهم فى أن كل قوة من
الثلاث اذا رادت كانت رذيلة أو أن هذا فى غير قوة التمييز، وأما هى ففما زادت فهى
فصيلة، ولا أن تعرض الى رد فروع الاخلاق الكثيرة الى هذه لأصول الثلاثة، فكل
من هدين المحنين وما على شا كلتهما بهم الناظر فيها نظرا استقصائيا فلسفيا، ونحن
إنما نريد تقريب الضبط تمهيدا لشرح أسلوب الشريعة فى تربية النفس على الأخلاق
وترغيبها فيها ترغيباً مشمراً.

فلنضرب لك أمثلة لما جرت عليه الشريعة النراء فى كل باب من الابواب الثلاثة
تترب بها هذا الأسلوب البديع الحكيم وانطباعه على ما يليق بالفطر المعتدلة السليمة

(١) تربية افقري العفري

يقول الله تبارك وتعالى في تربية قوة التمييز والعلم ومنعها أن تتخطى حدودها وتتجاوز في أحكامها ما قامت عليه الأمارات الصحيحة « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا » فتأمل في هذه الآية الكريمة كيف تربي في النفس قوة التفكير وتضبط العقل عن أن يحرق وراء الاوهام بعبارة تشعر بالاشفاق على من يسمعها والرافة به كيلا يضيع جهده عبثا، فتهته عن أن يقفوا أى يتبع ويستترسل وراء أمر لم يقينه حق التبين ولم يحيط به علما حتى لا يذهب سعيه سدى ولا يضيع ثعبه عبثا، فلا هو بالذى وصل الى ما يريد ولا هو بالذى وفر على نفسه راحتها وكسب لها هدوءها وفي ذلك الرافة كل الرافة، ثم يردف ذلك بتوجيه عقله الى ما أهدي له من مصايح الهدى والاسترشاد ووسائل العلم الصحيح التي سنرت له ليحسن استعمالها فيقول (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا » فقد أشارت الى أهم أسباب العلم التي هي الحواس السليمة والخبر الصادق والعقل وجعل كل واحد منها مناسبا للسؤال . حثا على حسن الاستعمال وارشادا الى حق الاعتدال وقطعا للتعلل بالحال وزائف الاقوال ، فبالسمع تستفيد ما عند غيرك من معلومات اكتسبها وبالبصر تدرك ما يحيط بك من عوالم متفرقة وبالفؤاد والعقل تميز النش من الثمين والحق من الباطل وتفرق بين النافع والضار وبه تكون ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وتجد الاستنباط وتصحيح الاحكام فيما يناله بصرك ويدركه حاك .

أفلا ترى في هذا ارشادا كاملا لما ينبغي اتباعه في التفكير من ضبط النفس عن التخطى في الأحكام وبيان أن في ذلك مصلحتها ، فهذا من كف النفس ومنعها من أن تتطوح في حكمها وتقفز في استنباطها على غير هدى وبينه وعلى هذا النسق أمثال قوله تعالى (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) وأما ما فيه الحث على التفكير والنظر فأكثر من أن يحصر ، فقد أمر بالنظر وحث على التفكير والتبصر ونهى على من عطل موهبة العقل وخلد الى التقليد في أعظم الأمور وأخطرها ، وكما ترى في

القرآن العزيز من آيات في هذا الباب (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا) (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا) (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا) ومن النمل على المقلدين أمثال قوله جل شأنه (قَالُوا بَلْ وَحَدَّثَنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَمْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ) وأما ما فيه الارشاد الى آداب المناظرة مع الغير للوصول الى نتيجة حقة يتفق عليها الطرفان فكثير أيضا مثل قوله تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَادِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) وتأمل في قوله جل شأنه (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حُظٍّ عَظِيمٍ)

فقد بدأت الآية الكريمة يسطر المقالة الحسنى ، وهي تعتبر في البحث كالدعوى وجعلت عمادها الدعوة الى الله تعالى لتجيده وعبادته إذ كان هو الخالق البارئ المصور ، وهو المهيمن على عباده والمسيطر وهو واهب القوى والقدر ، وهو المنعم الذي ترجى نعمته والمتقم الذي تحشى سطوته فمن أحسن قولاً لمن يدعو الى سبيل هدايته والطريق المقربة اليه والرفق لديه ، ثم قرنها بالعمل الصالح الذي يفرق بين الصدق في الدعوة والمواربة فيها والمراعاة ، فان العمل على وفاق الدعوة دليل على صدورها عن قلبه وعقيدته لا عن مدهاته وتفاق ، ثم أردفها بما يريدتها تقريراً وشرحاً وذلك قوله (إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) أى ممن أسلم وجهه وذاته وقواشوقه (إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْمَالِكِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ) هذا هو قوله (إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) لا مجرد أن يمد نفسه في طائفة تسمى باسم المسلمين ، ولما كان مثل هذا المقام لا يكاد يسلم لصاحبه بدون أن تمرضه الفتى وتقوم في وجهه العقبات والمعارضة كما قال جل شأنه (أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتِرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ) ذكر جل شأنه ما يحمل بصاحب هذه الدعوة التزمية أن يتحلى به عند ما تمرضه العقبات فقارنت الآية بين الخطتين المتقابلتين الحسنة والسيئة ولملت النفس

الى ما تمتدده فيها بفطرتها واسما لا تستويان لا في ذاتهما فكفى أن هذه حسنة وتلك سيئة ولا في أثرهما فاحداهما مؤلفة والأخرى منفرة وواحدة منتجة للخير مبعدة عن الشرور والأخرى عقيمة في الخير ولود للشر، فهما قلبت نظرك فيها لا تجدهما متساويتين، بل كرر النظر تجد أفرادهما لا تستوى فيهما فلعل درجات ودركات فنها الحسن والاحسن والسي، والاسوأ وتفاوتها لا ينتهي فآثارها لا تتشابه ، واذ كنت أيها الداعي اعا تدعو لاشرف مطلب وأعظم مقصد فما أحقك أن تقر به باجل خصلة تستند اليها في دعائتك وتعينك على احراز مطلبك فادفع بالتى هي أحسن فستصادف نجاح السعى وتزيد رجحا بأن تكسب قلب عدوك فاذا به قد مال اليك وناصرك كأنه ولى حميم وما أجل ما عقب به على هذه الجملة مما يحث على اعداد النفس لها والاحتراز عن الحيات عنها لتوافر العوامل المانعة لها شأن كل فضيلة كبرى فاما يقوم في وجهها موانع على قدر خطرهما كما قلل القائل

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والاقدام قتال

فقال جل شأنه (وَمَا يُنْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) فبين أنه ليس حسن الأثر وحده ولا تفاوت الصفات معه كافي في انصاف النفوس بها بسهولة بل لا بد أن تروى نفسك على احتمال ما تكره وتضبط نفسك عند مقابلة ما يهيجك فوطنها على الصبر واصببطها عن الزلل فهذه مرة جهاد عظمى لا يظفر بها الا الذين صبروا وأصبح الصبر ديدنهم وعادتهم وكانوا بذلك من دوى الحظ العظيم في باب الفضائل . فهل ترى مع هذا الايجاز البديع أحكم وأوفى من هذا الاسلوب في الارشاد والى ما يجب أن يكون عليه الداعي الى ربه المرشد أعناه الى سبيل سعادته المتجمل بالرأفة على بني جنسه المقتنع بالحق والصواب ويريد أن يفرسه في نفس أخيه ؟ هذا أسلوب لا يستطيعه البشر ولا يقدر عليه الا واهب القوى والقدر ، اللهم لانحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك

ولعله مما ينخرط في هذا النظام بوجه ما ويمتد كالمرى لقوة التكبير ما يحىء في بعض آيات الاحكام من استيفاء فضائل الشئ ومعاييه ثم الموازنة بينها لاستخلاص حكم

بنى على الاستيفاء واستقصاء النظر مثل قوله تعالى في طريق النهى عن الخمر والميسر
(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ
نَفْعِهِمَا) لا اقول ان الآية الكريمة واردة في تربية القوة الفكرية ، وانما نقول انها في
طريق اثبات صحتها للمعنى عنها قد الت بما فيها من محاسن ومقايح فاستوفت كل مالهها وما
عليها ووازنت بينهما فجاء الحكم نتيجة استقصاء في البحث ، فلك أن تحتذى هذا
الاسلوب في تفكيرك فلا تنظر الى الشيء من ناحية واحدة بل استقص كل أحواله وقارن
بينها ثم اصدر حكمتك على يئنة ، ألا تعتبر هذا مثالا تحتذيهِ وصنعا بديما تقفيه وان
كانت الآية مسوقة لغيره ؟ فهي كالشمس تعطيك مع الضوء دفأ ومع بعث الحياة في
الكائنات ابتهاجا والثمار داية القطوف لم يحتذى وافرة العائدة لمن يستفيد .

(٢) تربية القوة الشرعية :

يقول جل من قائل في تربية ملكة الاعتدال في الرغائب وصبطها في احراز مشتهياتها
(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) فقد
حددت الآية قانون الاقتصاد في غير ما سرف ولا تقتير ودعت اليه بما من شأنه أن يحل
في النفوس الرشيدة أمكن محل فصورته التقتير بأشع صورة اذ جعلته من باب غل اليد
الى العنق وتقيدها به تقييدا يشل حركتها ويحطل منفعتها ويحجمها كلما حركتها الرغبة
منعها القيد ، وناهيك باستبشاع جعل اليد مربوطة بالعنق وما فيه من المضايقة الكبرى
ثم عادت للدلف الآخر وهو أن يبسطها كل البسط فتطيش حركتها وتمتد الى اتلاف
مرتزقا وتضيع ثمرته ثم رتبت على ذلك النتيجة الملائمة وهي أن يقعد المرء ملوما متحسرا
ولا يجد مشفقا ولا ناصرا فهو ملوم على حرمان نفسه مما رزقه الله ومكنه منه بالتقتير
متحسر على تضييعه في غير محله بالاسراف بل ملوم متحسر في الحالين فيلام على أن يرزقه
الله الخير فيحرم نفسه من منفعة ويتحسر على فوات هذه المنفعة عليه وهو قادر عليها
وكلاهما في التقتير ويلام على الاسراف اذ كان يضيقا فيما لا ينبغي ويتحسر حين يرى
نفسه قد أصاع تلك النعمة وها هو ذا قد احتاج اليها .

وان الغرس الصحيح للمكة الاخلاق هو ما يرى نباته باقناع النفوس بالاثار المترتبة وشرح نتائجها الملازمة ،

ويقول في آية أخرى فيما يقصه علينا من نصيح المهتدين الراشدين للفاويز الضالين (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) وهي واردة فيما وحه الى قارون من قوم موسى ، فمدا تستطيع أن تصح به من أحييت من أهل النعم ويكون أنجح أثرا وأكثر اعتدالا وانصافا مما اشتملت عليه هذه الآية ؟ فقد نهته لى أن ما هو فيه من نعم انما هو أمر آناه الله إياه ليتنعم به فى الحياة ، وأعظم وجوه النفع هو أدومها وأبقاها وان ذلك هو ما فى الدار الآخرة دار الخلود والنعم المقيم ، ثم أمانت الاعتدال فى ذلك بانه لا ينسى نصيبه من الدنيا مما أحله الله له بل اذا راعى فى انتفاعه به رضاربه فقد كسب لآخرته نصيبه من الدنيا الذى مكنه الله منه بهذه النعمة فترى الآية تفيدك أمرين الأول لا تنسى نصيبك من الدنيا ومتما حسبما حدد الله لك وهذا معنى مفابر للاول ، والثانى ألا تنسى النصيب الاوفر الذى تستعده من دنياك لآخرتك وهذا كتنهيت للوصية الأولى وأنه لا ينبى لك أن تضع على نفسك أن تستفيد الفائدة الصحيحة من دنياك التى وهبت لك ، والنتيجتان صحيحتان عظيمتان يجب أن تحرص عليهما النفوس الرشيدة ، ثم قال (وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) تذكيرا له بان مقابلة الاحسان بالاحسان هو ما يجدر بالانسان الكامل ، وهل يخفى على أحد قيمة النفس التى تقابل الاحسان بالإساءة ؟ ثم صارت مخالفة هذه الطريقة المثلى بانها فساد فى الأرض ، أجل : فهي فساد كبير فان النفوس مجبولة على المماساة فحين يرى الفقير ما فيه لتنى من حظ كبير بنفس عليه ولا شك ولا يطفى غله الا أن يراه قد تجمل بالاحسان والمطف والمواساة فاما اذا رآه قد منع خيره وحرمه نصيبه الذى جمعه الله له فى ماله فان نفسه تتحرك عيظا وغضبا فتلمس الفرص للنكاية والتكيل متى قدرت ، ويشعر الفنى بهذه السورة لنفسية فيقابلها بعثلها ويتسلى الشر بينهما حتى يسمو ويعظم فيصبح بمصها حربا على بعض وحينئذ يعم الفساد فى الأرض والله لا يحب المفسدين ، وما الذى يوقف توالد

هذه المكروبات الفتاة بالاحلاق ويقضى على جرائم الشر حتى لا تودى بالفوس؛ لا شيء سوى أن يقتصد الغنى في أمره فيبتنى الآخرة في نعمة الله عليه ويقابل احسانه اليه باحسانه الى خلقه فتحسم مادة لفساد وتألف نفوس العباد

ويقول جل شأنه في مخاطبة الفقير الذي لم يجد ما يرى فيه القناعة والعفة بابلغ معانيها «وَلَا تَمْدَنْ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى» فقد بدأت بالنهي عن مد العيني الى ما وهب للغير فكيف بتعليق القلوب به ، وعبرت عنه بانه تمتع وفيه اشارة الى انه محدود المدة ودكرت انه لازواج وأصناف منهم ليس شاملا لجميع الناس ماعدك فقد ترى من شاركك في الحرمان معه أكثر عدد ممن شاركهم في التمتع به وكفى بالكثرة سوء ، ثم عبرت عنه بانه زهرة وما اسرع ذبولها وأنه لهذه الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى وأنه امتحان وفتنة لا مجرد احسان وحظوة فمن يدري حالهم بعد ذلك فرعا كان منهم من قامت عليه الحجة وأهمل شكر النعمة فانقلبت عليه نعمة وورعا كان منهم من نحس في امتحانه وسلم من فتنته فكان بذلك سعيداً حقاً ، فالسعادة الحقيقية هي في ادراك النعيم المقيم وهو لا ينحصر في الغنى ولا الفقير فكل يستطيع حرازه بالتقوى وهو الجدير بان يقصد ورق ربك خير وأبقى وهو ما تحرره في الآخرة من عظيم الثواب ، بل اذا رحمت الى ما وهبك في الدنيا من نعمة الصحة والعافية والطمأنينة وهدوء النفس لوجدت نفسك متمتعاً بحفظ من هذه قد يحرمه من تحسده ، بل من ورقك أن يريك ويكمل وجودك ويهدب نفسك حتى تسعد في ديارك وآخرتك ، هذا كان لخطاب الحضرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ماهيت هذا الخير العظيم والرزق الجسيم والفصل العميم وهو ورق البوة والأصطفاء فكلمنا قببت النظر في الآية تحلى لك من نورها ما فيه تبصرة عملا نفسك ايماناً واقتناعاً وهذه هي طريقة التربية الحقة ، ولنسق لك نسقا اخر في تربية هذه القوة على الاصول الصحيحة ، يقول تعالى في رشاد الصاد الى كيفية تحصيل أرزاقهم (وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ نَعْصَكُمْ عَلَى نَفْسٍ إِلَّا رَجُلٌ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ مُكَلِّمًا شَيْءٌ عَلِيمًا) فانظر الى هدا القادرون العظيم والارشاد الالهى الحكيم فلماذا ترى ؟ لاتتعجل

في الفهم فتحسب أن الآلة بسبيل كف النفس عن الطيب والدأب وانها لقمع النزعات واضاف الهمم وتربية لرضا بالدون والقعود عن السعى والعمل ، لا لا ، ما كانت الآلة لشيء من هذا وانما هي مفيدة لتربية الهمة واث روح العزيمة والهي عن التعلق بالاماني والآمال والقعود عن جلائل الأعمال ، أي لا يكثر شأنكم التمني لما فضل الله به بعصم على بعض بل جدوا واعملوا تستفيدوا وتكسوا فكل من الرجال والنساء نصيب مما جديفه واكتسب لافرق بين رجل وامرأة محدوا واكتسبوا تحرروا ما تريدون فمن جد وجد ومن ررع حصد ولن يضع على عامل عمله ولا يستوى القاعدون والعاملون ومن يرد حرث الدنيا أوتي منها ومن يرد حرث الآخرة أوتي منها والله لا يصيب أجر من أحسن عملا ، لافرق بين عمل الدنيا وعمل الآخرة فلكل عمل ثمرته وأثره ، ولكن مع هذا لا ينبغي أن تجعلوا عملكم هو كل شيء حتى تنسوا من يده مقاليد كل شيء ، بل يجب أن ترجعوا الى الفاعل الأكبر ومن يده الخير كله ومن لو شاء لجعل ما تحرثونه خطا ، وركاما ولو شاء لجعله يا زنا مشرا ، فاسألوا الله من فضله أن يبارك لكم عملكم ويمنع الجوائح عنكم ويوفقكم الى طرق النجاح في متمصكم ان الله كان بكل شيء عليما ، فهو أعلم بمن يستحق المعونة ممن يستحق الخذلان فليكن للجأ اليه فيما لاتعمونه ولا تقدرور عليه وما أعظم نفع هذا القانون في التربية قانون تقبيح الاماني مع القعود عن الاعمال ، فللاماني عند القاعدين مضار كثيرة منها ضعف الهمة وقوة البصاء ، والحقد وتقيص النعمة وتغذية التحاسد وجفوة القلوب بين الناس ، واما الحث على العمل وترغيب فيه فهو مدار العمران ويرقي بنفس المرء الى منزلة العزة والاباء والشرف ويرقي بمصالح الناس الى الاتقان والكمال فيتنافس العالم تنافسا مشرا ويسعد الجميع بعمل الجميع والله ولي التوفيق في كل شأنهم على هذا الأسلوب الحكيم تسير التربية في القرآن الكريم والشرع الحكيم

(٣) تربية القوة الفعّية

يقول جل شأنه في تهذيب قوة الفضب المودعة في النفس وتربيتها على أعدل مثال حتى تكون فضيلة (وَجَرَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا فَسْرٌ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا لِسَبِيلٍ عَلَى

الَّذِينَ يَظْلِمُونَ لِنَاسٍ وَيَخْفَوْنَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) فانظر الى هذا الاسلوب الحكيم كيف هذب هذه القوة وصطب على ما يوفق فطر النفوس وصالح المجتمع ، فانه لم يجمع لمقاصد بتاتا ولم يسلك فيها مسلك التعطيل لها مع تشرب النفوس لها وتشبعها باحققتها ، فلم يجر على سنن ما اشتهر عند بعض الناس أنه المثل الأعلى في العفو والصفح وهو كلمة « من ضربك على خدك الايمن فأدر له خدك الايسر » فانك ترى في تعطيل المجازاة كلية قهرا للنفوس المتعدى عليها وحرمانا لها مما تراه حقا لارما لها ، فاذا امتثلت النفوس ذلك فاما لا تخلو من التامل ، ثم لا يكون هناك ما يحتث جرثومة التعدييات وأما هذا الاسلوب فقد قرر المجازاة لتي فطرت النفوس على التطمع لها ولكن رغب في الصفع والعفو بدرجة كبيرة ، فقد سميت الجزاء سبئة لبشا كل أصل العدوان حيث كان كل منهما فيه الايداء والايلام ووصفه ، به مثل التعدي يتضمن المنع من الزيادة ويشير الى أنه حقه أن يتعد عنه اذ كان مشا كلا للتعدي في الاضرار والايلام وهو ما يدعى أن تكف عنه النفوس الكريمة تفضلا منها لا قهرا وقسرا . ثم صرح بالترغيب في العفو بقوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله . وذكر الاصلاح بعد العفو كذكر الثمرة بعد الفرس وتعظيم الأجر بانه على الله تعظيم لا مزيد عليه ، ثم عاد الى المعنى يقرره بوجه آخر ليعرره في نظر النفوس الكريمة تبريرا ما وكأنه يشير الى أن النفس من شأنها دالم تكن متهيجة بالعصب أن تنفر منه فمر عنه بانه تنصير بعد الظلم فلماذا تستقبحه وتوجه اليه طريق المؤاخذة ؟ غما حق المؤاخذة أن توجه الى من ظلم الناس ونفى عليهم بغير حق فبث روح الفساد في الأرض هذا هو الذي تحق عليه المؤاخذة . وأما هذا فلا مؤاخذة عليه فتجده حتى في مقام تبريره قد وضعه موضع ما حقه التفرقة والاعتراض وعاية أمره أن يلتبس له من لا عذر ما يحمله مقبولا ، ولكن هل بذلك يصير فضيلة يرغب فيها ؟ كلا بل الفضيلة كل الفضيلة في الصبر والمغفرة والصفح والتفضل فذلك هو الذي ينبغي أن ترغب فيه النفوس وتوجه اليه العزيمة شار الفضائل كلها ، فقال (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) فالتعبير عنه بالعبر وأنه مغفرة وحمله من عزم الأمور العظيمة ذات الخطر

التي ينبغي أن يوجه اليها القصد وتحفز لها العرائم ثم أكد ذلك القسم وغيره من المؤكدات في قوله ولمصر وغفر الى آخر الآية ، فهل بعد هذا من تهذيب وصدق في الدعوة الى الفضيلة وضمان لنجاح الداعي فيما يدعو اليه ، انك قد تحاول اطفاء سورة هائلة فتبدأ باعطاء صاحبها الحق في أن يفض ويتره أنه لو تمسك بالانتقام لم يكن عليه ملام ، ولكن الافضل أن ينزل من تقاء نفسه عن هذا الحق فصلا وتكرما فتجد نفسك قد ملكت عليه رمامه وصار أقرب لطاعتك مما لو بدأته بسلبه الحق في الغضب وأنه يجب عليه أن يقلع ثم لا يخفى ما يترتب على هذا التفصل من اختلاف القلوب المتنافرة واجتذاب النفوس المتعادية وبذلك يبدو لك حسن موقع قوله واصلاح بعد قوله عفا فأين هذا من قهر النفوس على ترك المقاصة ؟ وماذا يردع النفوس عن غيها اذا ؟ وكيف يكون العفو محبة للالفة ؟ وهو لم يعمل مختارا وانما فعله فسرا ، ثم قارن مرة أخرى بين هذا التشريع الحكيم وبين ايجاب المقاصة وعدم السماح لدى الحق أن ينزل عن حقه فأيهما أوفق بمصلحة المجتمع وربط القلوب .

أما بعد . فهذا خير ما تناس به الأفراد والجماعات ويهذب النفوس ويصلح حال الأمم وهو ما ثبتت قواعد العمران ويقيم صرح العدالة ويربط الأمة بعضها ببعض حتى تكون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى وعلى هذا النسق قوله تعالى (فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) فقد صمى المجازاة اعتداء مشاكلة للبدء بالتمدى اشعارا بأنه على شاكلة في الايذاء وقيد بالثلثية كما في الآية السابقة وأردفه بالأمر بالتقوى حتى لا يتجاوز حده ووعده للمتقين بأن الله معهم يؤيدهم وينصرهم وينبئهم على ما اتقوا ، وكذا قوله تعالى (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا عِثْلَ مَا عَوَّبْتُمْ بِهِ وَلَنْ صَبِرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) فقول له ان عاقبتهم بمثابة قولك لمن تخاطبه ان كان لا بد أن تفعل فليكن كيت وكيت تلح له بأن الأولى به خلاف هذا ، وقوله

(وَلَمَّا صَبَرْتُمْ لَكُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ) مرعبة في العفو مريد ترغيب بتسميته صبرا وهو فضيله وتمقيب الخير عليه بل جعله حير وتأكيد ذلك بالقسم الضمى ، ثم أردف ذلك بالأمر بالصبر وبيان أنه يستعان عليه بالله وأنت التوفيق له منه جل شأنه ثم نهى عن الحزن والأسف على ما صنع من خير وجهيل بل نهى عن أن يضيق صدره به وصيق الصدر منزله قل من الحزن - وقوله بعد ذلك (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) فيه من التشويق ما لا يخفى .

وهكذا تجد في هذا الباب من المرغبات العجب المحاب وخلاصته اعطاء الحق لمن تمسك به وذلك جبر له على ما وصل اليه من الاذى وتخويف لمن يريد التعدى أن يلحقه مثل ما صنع وعون على الصفح لأن النفس تسمح بعد أن تلك وهي مرتاحة بخلاف قهرها عليه فانه يبق فيها حسرة ثم يان ما فيه من خير لمظلوم بأنه صاحب فضل وللطالم ان كان حرا بأن يقطع عن ظمه حياء كما يقول القائل

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا
ولمجتبع بربط القلوب وتأليف النفوس وتمكين الوحدة بين أفراد الأمة وشيوع
الفضل فيها مع عدم الاحلال بقواعد العدالة بينها . هذا هو هدى الله فأروني ما ذا صنع
المحولون اطفاء نوره

رب ان لهدى هداك وآيا تلك نور تهدي بها من تشاء
نذكر هذه الآيات تمثيلا لأسلوب القرآن الكريم في تربية الاحلاق وغرسها
في النفوس واما استقصاء الفضائل الواردة فيه وفي السنة ففياه بعيدة المال فقد بث
فيها نصا وإشارة ما لا يدخل تحت الحصر وقد صدق صلى الله عليه وسلم في قوله (تركت
فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي)

فان مثلا في سورة الاسراء قوله تعالى (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَٰهًا وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا) الى قوله (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
الْحِطَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) وفي سورة لقمان قوله جل شأنه

(وَيْذُ قَالَ لِقَمَّانَ لَأَنْتَ وَهُوَ يَعْطُهُ يَا بَنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) إلى قوله (وَأَفْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتُ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) وغيرها فانك ان تلوت ذلك حق التلاوة وتأملت في نظمه ستظفر بما لا مزيد عليه نسأل الله أن يعيننا على احتلاء أنوارها و لا هتداء بضوئها ومن يهد الله فانه من يضل الله فانه من هاد فاللهم ياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المنغضوب عليهم ولا الضالين آمين م

ابراهيم الجبالي

مدرس قسم التخصص للارهر الشريف

﴿ موجز تاريخ مصر والاسلام ﴾

سبق في الجزء الخامس من هذه المجلة أن قرظنا هذا الكتاب القيم الذي هو تأليف حصرتي الاستاذين الفاضلين الشيخ محمود أبي العيون مفتش العلوم الدينية والعربية ومحمد الحسيني رخا افندي مفتش التربية والآداب بالمعاهد الدينية ، وأعلمنا بصدور الجزء : الأول والثاني منه ؛ وقد ظهر الآن الجزء الرابع من هذا الكتاب وأجل صدور الجزء الثالث إلى الصيف المقبل ، صدر هذا الجزء ، كسابقيه جيد العبارة متقن الطبع حسن الترتيب مسهباً في تاريخ مصر الحديث من أول الحملة الفرنسية الى عهد حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم أحمد فؤاد الأول وفي وصف ارتقاؤها وهضتها في عهده السعيد ادام الله ملكه

يصلب هذا الجزء من حضرات مؤلفيه وتمته ٦ قروش ماعد أجرة البريد ، فنرجو له الرواج والاقبال .

اصُولُ الْفِقَةِ

الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان

مراعاة العرف

للعادات أثر كبير في شرع النظم والقوانين ، فلا غنى للمشرع عن مراعاتها قليلاً أو كثيراً ، ولها قسط وافر من عناية واضعي القوانين في القديم والحديث ، فأساس القانون الروماني عادات كانت تجرى في مدينة رومة ، وأساس القانون الانكليزي عادات السكسون والنورمان الذين فتحوا بلاد انكلترة .

وكذلك الشريعة الإسلامية لم تقطع النظر عن العرف ، وجعلت رعايته أصلاً من أصولها العامة على شروط تذكرها فيما بعد ، ومن القواعد التي تدور عليها أحكامها السمحة « العادة محكمة »

والعرف والمادة ما يقبل على الناس من قول أو فعل أو ترك ومثال العرف القولي من باب الوقف قول الفقهاء في حبس يقول صاحبه « هو حبس على ولدي » انه يدخل فيه البنات إذا كان لفظ الولد يطبق على الذكر والأنثى في عرف بلد الوقف ولم يكن هناك عرف ، أما إذا كان عرفهم إطلاقه على الذكر فقط فانه يختص بالذكر ولا يدخل فيه الإناث وإن كان معنى الولد لفة بعم الصميم ويراعى العرف القولي وإن لم يوافق لغة العرب أو ما جاء في لسان الشارع ، وعلى هذا ينبغي قول بعض أهل العلم فيمن حلف لا يأكل لحماً فأكل سمكة : إنه لا يحنث حيث إن السمك لا يسمى في العرف لحماً وإن سمي به في قوله تعالى (وَمَنْ كَفَرَ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا) كما أن من حلف لا يجلس على بساط لا يحنث يجلسه على الأرض لأنها لا تسمى في العرف بساطاً وإن كان لفظ البساط يتناولها بمقتضى معناه في لسان العرب كما قال تعالى (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا)

يعتمد بالعرف القولى متى كان عاما لبلد أو قوم ، وتحمل عليه ألقاط المتكلمين من أهل تلك البلد بإطلاق سواء فى ذلك العقود والالتزامات والإيمان والنذور ، أما إذا كان العرف القولى خاصا بالمتكلم دون قومه أو أهل بلده حمل لفظه عند الملكية على عرفه الخاص فى الإيمان والنذور والطلاق . أما العقود فاعما يرجع فيها الى العرف العام أو الوضع اللغوى إن لم يكن هناك عرف عام .

ومثال العرف الفعلى . الزوجان يختلفان فى المهر بعد البناء فيدعى الزوج أنه دفعه لها ، وتنكر الزوجة ذلك ، فقد قال لامام مالك : إن القول للروح لأن العرف بالمدينة كان جاريا بدفع المهر قبل الدخول ، وتطرد هذه الفتوى فى كل بلد تجرى فيه العادة بدفع المهر قبل البناء ، ومن هذا القليل مسألة الحيازة عند الملكية . فمن حاز عقارا عشر سنين ثم قام شخص يدعى استحقاق ذلك العقار ، ولم يقم عدرا عن سكوتة تلك المدة ، ينحو غيخته عن البلد ، أو عدم علمه بحيازة المدعى عليه للعقار ، فانه لا ينتفع بالبيئنة التى تثبت له أصل الملك ، ذلك لأن العرف جار على أن الرجل لا يشاهد غيره يتصرف فى ملكه هذه المدة الطويلة ويسكت عنه . وكذلك أتى الامام المازرى فيما إذا جرت عادة قوم بقدر الصداق وعرفها المتعاقدان أن هذه المادة بمنزلة التسمية ويحكم بذلك القدر المتعارف ، ولا يكون النكاح من قبيل نكاح التمويض

هذا هو الشأن فى العرف الفعلى العام لقوم أو أهل بلد . أما العرف الفعلى الخاص ففرد فقد حكى شهاب الدين القرافى الاجماع على عدم الاعتداد به فلا تخصص به العمومات ولا تقيد به المطلقات ، وأنكر عليه بعض الفقهاء الملكية حكاية الاجماع وأوردوا مسائل فى المذهب تدل على التخصيص بالعوائد الفعلية وإن كانت خاصة ومما ساقه بعضهم مثالا لهذا الضرب من العرف مسألة الرجل يوكل آخر على شراء ثوب فيشتري له مالا يناسب عادته أو عادة خدمه ، فقد أفتوا بأن ما اشترى غير لارم للموكل بل هو لارم للوكيل

ومثال العرف الجارى بالترك تسامح الناس فى ثمر الفصن الخارج عن حدود البساتين ، فمن وجد شيئا منه واقفا على الطريق مثالا . ساغ له الاتعاع به دون توقف

على الأدل الصريح من صاحبه لأن أصحاب البساتين يتسامحون في مثله ولا يتعرضون لمن يلتقطه .

والعرف ثلاثة أقسام :

(أحدها) ما يقوم الدليل الخاص على اعتباره كمرعاة الكفاة في النكاح ، (وثانيها) ما يقوم الدليل على نفيه كعادة الجاهلية في التبرج وطوفهم بالبيت عراة ومناصرة الاخ وإن كان ضالما (ثالثها) ما لم يقم الدليل الخاص على اعتباره أو نفيه ، وهذا موضع نظر المجتهدين . فيذهب كثير منهم الى مراعاته ويحملونه أصلا من أصول الشريعة يبنون عليه فتاوى وأحكام ، وأكثر ما تجد هذه الفتاوى في كتب المالكية والحنفية والحنابلة وصلة العادة بالشريعة على وجهين (أحدهما) أن يغلب على الناس أمر فيقرر الشارع ويحمله حكما يقضى به عند الاختلاف . ومثال هذا من الشريعة الغراء وضع الدية على العاقلة ومراعاة الكفاة في النكاح ، والتحقيق أن الشريعة العادة لا تجمل نفس المادة قانوناً إلا أن تكون المادة معقولة صالحة .

(ثانيها) أن يغلب على الناس معنى فيراعيه في تفصيل حكم الواقعة حتى إذا تبدلوا بذلك المعنى عرفا آخر كان على المفتي إعادة النظر في الواقعة لتقرير حكم يراعى فيه العرف الطارىء ، وهكذا يتجدد النظر في الواقعة ما تجددت العادات ، ومثال هذا أن يجري العرف في بضاعة يدفع ثمنها نقداً ، فإذا اشترى أحد شيئا من هذه البضاعة ووقع في حيازته ثم قام البائع يدعى أنه لم يقبض ثمنها وادعى المشتري أنه سلم له الثمن حسب العادة الحارية ، فاصل مراعاة العرف يقضى بأن يكون القول للمشتري مع اليقين متى عجز البائع عن إقامة البينة . فالحكم الذي بني على العرف في هذا المثال هو جعل القول للمشتري حيث صدقه العرف حتى يكذبه البائع ببينه

ومن أمثلته أن العادة حارية في كثير من البلاد على أن الرجل يستودع زوجته المال فإذا سلم أحد الى آخر وديعة فوصفها عند زوجته فضاقت منه لا يكون صامنا لها نظراً الى هذا العرف ، وكأن صاحب المال لعله بالعرف في ايداع الرجل المال عند زوجته يعد

راضياً بإبداع المال عند لزوجة ، وإنما يضمن المودع إذا تصرف في الوديعة على وجه لا يرضى عنه صاحبها

هل يراعى العرف الفاسد ؟

إذا جرى عرف الناس ببعض العقود الفاسدة مثلاً ، فهل يراعى هذا العرف في بناء الأحكام أو إنما تبنى الأحكام على العرف الجاري على وجه صحيح ؟
ذهب كثير من فقهاءنا إلى عدم مراعاة العرف الفاسد ، وذهب آخرون إلى مراعاته ومما يبنى على هذا أن يجرى عرف قوم ببعض العقود الفاسدة شرعاً ، ويختلف المتعاملان ويدعى أحدهما أن العقد وقع على الوجه الفاسد ، يروم نقض البيع ، ويدعى الآخر أنه وقع على لوجه الصحيح فالقائلون بصحة مراعاة العرف الفاسد يرون العرف هنا شاهداً بصدق مدعى الفساد فينقض البيع إلا أن يقيم الآخر البينة على أن المعاملة جرت على وجهها الصحيح ، قال عبد المنعم بن العرس في كتاب أحكام القرآن « وإذا تنازعا في بيع أو اجارة وادعى أحدهما الصحة والآخر الفساد ، وكان الفساد الذي ادعاه جارياً بين الناس فالمشهور أن القول قول مدعى الصحة ، ومن أصحاب مالك من يقول القول لمدعى الفساد وتفسخ المعاملة »

والقائلون بمراعاة العرف الفاسد ينظرون إلى أن المعنى الذي اقتضى جعل القول لمدعى الصحة فيما إذا جرى العرف على الصحة حاصل في العرف الفاسد وهو غلبة معنى على الناس يقتضى غلبة الظن بصدق من اقترن هذا المعنى بدعواه .

ومراعاة العرف في كثير من الأحكام صح أن تختلف أحكام بعض الوقائع باختلاف المكان والزمان لأن المادة قد تجري في موطن دون آخر وتطرا في عصر وتنقطع في عصر ولا يبعد اختلاف الأحكام باختلاف الماديات اختلافها في أصل خطاب الشارع ، بل معنى هذا الاختلاف أن الماديات إذا اختلفت اقتضت كل عادة حكماً يلائمها ، فالواقعة إذا صحبها عادة ، اقتضت حكماً غير الحكم الذي تقتضيه عندما اقترن بغيرها من الماديات ، فإذا جرت عادة قوم باستقباح كشف الرأس في جماعة كان للقاضي أن يعزر من استحق التعزير الخفيف بكشف رأسه في ملأ من الناس ، فعمل من استحق التعزير قد اقترن بعادة استقباح

كشف لرأس فكان التعزير بكشف الرأس محزناً ، وإذا لم يكن كشف الرأس في عادة قوم مستقبجا ، امتنع أن يكون طريقا كافيا للتعزير ، ولا بد للقاضي من اتخاذ طريق آخر يكون له وقع الألم في نفس المستحق للتعزير ، فخطاب الشارع الذي تعلق بالواقعة المقتضية للتعزير حال صحبتها لمادة استقباح كشف الرأس غير الخطاب الذي يتعلق بواقعة مثلها فصاحب عادة عدم استقباح ذلك .

ولاختلاف الأحكام باختلاف العرف ترى فقهاء المذاهب لا يأخذون بفتاوى أئمتهم القائمة على رعاية العرف متى تحققوا أن العرف قد تغير ون الواقعة أصبحت تستحق حكما آخر غير ما قرره الأئمة من قبل ، فلفقهاء المالكية كأبي عبد الله بن عتاب والقاضي أبي بكر بن العربي وأبي الوليد بن رشد وأبي الأصبع بن سهل والقاضي بن زرب فتاوى عدلوا فيها عن المشهور في المذهب وبنوها على رعاية العرف وحرى باختيارهم عمل أهل القضاء والفتوى من بعدهم ، قال شهاب الدين القرافي في قواعد : إذا جاءك رجل من غير أهل اقليمك يستفتيك لا تجره على عرف بلدك والمقرر في كتبك ، فهذا هو الحق الواضح ، والجلود على المنقولات أية كانت إضلال في الدين وجهل بمقاصد المسلمين والسلف الماضين .

وكذلك ترى فقهاء الحنفية يخالفون ما نص عليه أبو حيفة في مسائل بناها على عرف كان جاريا في زمنه ، وقالوا في وجه هذه المخالفة : إن أبا حيفة لو كان في زمنهم لما وسعه إلا أن يقتضي عما أفتوا به ، ولم يعدوا التصرف في الأحكام القائمة على العرف خروجاً عن المذهب وإنما هو الأخذ بأصل امامهم الذي يقتضي الرجوع الى العرف في الاحكام .

يراعى العرف في القضاء والفتوى وليس للفقهاء أن يقتضي بما جرى به العرف المخالف لأصل من أصول الشريعة إلا أن تدعو الى ما جرى به العرف ضرورة فيكون الحكم منيياً على مراعاة الضرورة ويدخل في قبيل الرخصة التي يقررها الفقيه على سبيل الاجتهاد .

فشأن الفقيه أن ينظر في المعاملات المخالفة لأصل من أصول الشريعة فإن وجدها

ناشئة عن ضرورة كان له أن يستثنيها من أصل المع ويحمل الضرورة علة استثنائها من ذلك الأصل ، فإن كانت ناشئة عن جهالة أو هوى غالب فاله الا أن يفتى بفسادها ويعلم الناس وجه المعاملة الصحيحة ، ولا يصح جعل ما يحرى به العرف الفاسد أمراً مشروعاً ويفتى بصحته دون أن تدعو اليه ضرورة يحسن العارف بمقاصد الشريعة تقديرها ، قال العلامة أبو عبد الله بن شبيب أحد علماء تونس في القرن الثامن « وغلبة الفساد انما هي من افعال حملة الشريعة ، ولو أنهم تقضوا عقود الفساد لم يستمر الناس على الفساد » وقال الاستاذ الشيخ ابراهيم الرياحي التونسي في إحدى فتاويه « والعرف المعتبر هو ما يخصص العام ويقيد المطلق ، وأما عرف يبطل الواجب ويبيح الحرام فلا يقول به أحد من أهل الاسلام »

فاذا أفتى بعض الفقهاء بصحة عقد مخالف لأصل شرعي وطهر من عبارته أنه استند في إفتائه الى جريان العرف بهذا العقد فاعلم أن العبارة لم تفرغ في قالب التحقيق أو أنه لم يزل الفتوى بمسطاس الشرع المستقيم .

وقد يذكر بعض الفقهاء العرف في سياق الاستدلال على جواز أمر ويريدون ما كان جارياً في عهد النبوة أو بين أهل العلم ، وليس الدليل في الحقيقة نفس العرف وانما هو أقرار النبي صلى الله عليه وسلم أو الاجماع الذي لا ينعقد الا على دليل ، ومثال هذا أن امام مالكا خص قوله تعالى « وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ » بنسب ذوات الأقدار والشرف ، وقال لا يجب على الشريفة ارضاع ولدها لأن العادة جارية بذلك ولا يريد الامام أن مجرد جريان العرف يسوع هذا التحصيص وانما أراد جريان العرف مع عدم انكار أهل العلم من السلف فيرجع الى الاستدلال بالاجماع وقال بعض أهل العلم عدم ارضاع الشريفة لولدها عادة عربية واستمر الأمر فيها بعد الاسلام الى زمن مالك رضى الله عنه ، ومن هذا القبيل اكتفاءهم في صحة البيع بالمعاطاة مستقدين الى العادة ، وقالوا : ان استمرار هذه العادة يشهد بصحة نقلها خلفاً عن سلف ويقلب على الظن أنها كانت جارية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) . وقد نه ابن السبكي على ما قلنا من أن العادة لا تخصص العام بنفسه

فقال في جمع الجوامع « والأصح أن العادة ترك بعض الأمور تخصيصاً أن أقرها النبي صلى الله عليه وسلم أو الإجماع »

هذا أصل من الأصول التي يستند إليها المفتي أو القاضي في تفصيل أحكام الحوادث فتجيبه مصلحة عادلة وبمثل هذا لأصل يعلم أن الشريعة الإسلامية ملائمة لكل زمان ومكان ، وليست كما يزعم خالي الذهن من تعاليمها أنها ضيقة المجال فلا تنق بأحكام الحوادث ، أو أنها قديمة العهد فلا تحفظ مصلح ما تجدد من الأزمان

محمد الحضر حنين

« يتبع »

﴿ مدارك المرام في مسالك الصيام ﴾

تأليف الحافظ المحدث قطب الدين القسطلاني في فضائل الصيام وثمراته وآدابه وأحكامه والمفاضلة بينه وبين الصلاة . طبع بالمطبعة المصرية بالأزهر طبعاً متقناً على ورق جيد وعني بضبطه والتعليق عليه حضرة الأديب الفاضل الشيخ رضوان محمد رضوان فشكره ونحت أهل العلم على اقتنائه

﴿ المعاهدات والمحالفات ﴾

مؤلف نفيس لحضرة الفاضل الأديب الشيخ حسن خطاب الوكيل جمع فيه مؤلفه المعاهدات والمحالفات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اعتنى به وأخرجه في طبعة متقنة فشكر حضرة على هذا العمل النافع . وهو يطبع من المطبعة المصرية بالأزهر .

الفتاوى والأحكام

خيالات الضريح المنسوب إلى عبد الله بن سلام

ورد إدارة المجلة ما يأتي :

ما رأيكم فيما يظهر من الخيالات عند ما يطلب الولي أو النبي أو الصحابي في حجرة مجاورة للضريح المنسوب إلى الأمير عبد الله بن سلام الصحابي الجليل بكفر الأمير من أعمال مركز السبلاوين؟ وهذه الظاهرة خاصة بيوم الجمعة وكان يظن البعض أن هذا ناشئ من مرور بعض الأشخاص خارج الحجرة في الشمس ولكن سرعان ما ذهب هذا الرأي في عداد الأوهام إذ تحددت الاحتياطات خارج الحجرة فكان الأمر كذلك واستمرت تلبية الأولياء للطالبيين .

فأرأيكم في هذا الموضوع وهل هذه تعد كرامة لصاحب المقام أم خصوصية للمكان الجواب : لقد سمعنا هذا من أفواه الكثيرين ممن زاروا هذا المكان — ولنعلم أولاً أن سيدي عبد الله بن سلام الصحابي الجليل توفي بالمدينة سنة ثلاث وأربعين للهجرة ولم يدفن بمصر — وكان الناس في هذا الأمر ما بين جازم بحصوله وأنه كرامة وجازم مختار في تعمله ومتردد في قبوله وشمس ذلك بعض الخواص الذين يعتمد رأيهم وقد جمعنا المصادفة بأحد أفاضل العلماء الذين يفتون بحيث ما يشاهدون ولا يقنعون بتلقف ما يسمعون من الناس كيما اتفق فشرح لنا ما رأه شرحاً يرسل كل لبس ويرد الأمر إلى المألوف ويحمل الغرابة في رسوم هذه الفكرة في أذهان الناس أكثر مما في هذه الظاهرة البسيطة

يقول الأستاذ : زرت هذا المكان مراراً وعمدت إلى تحري الأمر فيه واستقصائه لأقتنع وأستطيع الاقتناع فوصلت إلى أنها خيالات حسمتها الأوهام وروجها خدام ذلك المقام والأمر بسيط فإن تلك الحجرة موضوعة على شكل إذا توافر في ثية حجره حصلت تلك الظاهرة ذلك أنها لها في جانبها الغربي كوة طولها أقل من متر وعرضها نصف طولها

تقريبا قسمت الى نصفين أعلى وأسفل بخشبة معرضة في وسطها أفقيا وقسم النصف الأسفل الى قسمين متجاورين بخشبة رأسية تحت الخشبة الأولى ويقابلها الحائط الشرقي لهذه الحجرة وفي طرفه من الجنوب باب وفي الحائط الجنوبي باب آخر للمزار وسقفها معقود ناء ومظلية بالحير الأبيض وبجوار تلك الكوة شارع ممتد من الشمال للجنوب وفي مقابلتها شارع آت من الغرب عمودي على الشارع الأول ، فلما كان ضوء تلك الحجرة ناشئا من ضوء تلك الكوة الواقع على الحائط المقابل ومنبعثا بطريق انتشار الضوء لفرعى الى باقى جواربها كان ظل من يمشى في أحد الشارعين الخارجيين يظهر ولا بد بطريق الخيال على الحائط المقابل لها ويتحرك بحركته على ذلك الحائط وربما انعكس خياله أيضا على الحوائط الأخرى المستمدة ضوءها منه وهما شارعين يكثر المرور فيهما يوم الجمعة لسكثرة المترددين على ذلك المكان ولولوع النعوس بالعرائب وترويحها وحرص خدمة المسجد واهله على تأييدها والمبالغة في تهصيلها لذلك شاعت هذه الفكرة وأخذت هذه الشهرة ولقد عمل الأستاذ عدة تجارب إذ وقف أحد أتباعه أمام الكوة ليخبره بمن يراه في الشارع فكان كلما رأى شخصا أتيا أخبره بأنه رجل أو امرأة فيكون مطابقا لما يظهر من الخيالات في الحجرة، ومما أصحكنى في هذه التجارب أن مرويا كان مقبلا من الشارع الغربى المقابل للكوة وقد حمل برسيا - ذلك النبات المعروف لعلف الماشية حمل على عربة وركب فوقها واتفق أن نادى أحد من بالحجرة السيد الدوى وإذا بهذا قادم فصاحوا السيد حضر على عربة فساله الأستاذ ماذا عندك فقال (رجل يحمل برسيا على عربة وراكب فوقه) ثم عمد الى تجربة أخرى فأوقف رجلا بمن معه على أفواه الطرق يمنون المارة وكان لأستاذ مسموع الكلمة لمزله ولمن كانوا معه من الوجوه، فما امتنع المرور قال لهم اطلبوا من شتم فصاروا يطلون فاقطعت الاحابة ومكثوا كذلك رهة صبح فيها خدام المسجد وأخذوا يقولون هذا الشيخ ممن يسكرون كرمات الأولياء، يقول الأستاذ فبعد أن وضح الأمر ولم يبق لس مضيا لسبيلنا مقتنعين بالحقيقة قادرين على اقتناع من يصدقنا فيما نرويه مما شاهدناه .

أما مسألة لكرامة فلا ننكرها ولكن لا نرى هذا منبى في شيء فالكرامة أمر

خارق للعادة يظهر على يد من أطاع الله حق طاعته يكرمه الله به وماذا من وجوه الأكرام في تلك الخيالات التي لا طائل تحتها؟ وما قيمة هذا الأكرام الذي يجعل الأنبياء والأولياء والصحابة مسحورين لعبث الناس مستعدين لتلبية طلباتهم ان احصروا للشهيدكم وتفرج عليكم بدون أن تستفيد منكم ولا من سيرتكم ثم لا تكون الكرامة مسخرة للتشبهات المبتذلة التي لا طائل تحتها هذا وان توسع العامة في هذا واستتباع ذلك تأثر عقول بعض الخواص قد يصلح عذرا لقيام فريق من المصلحين يحاربون هذا الباب ليسدوه بتأنا صونا لعقائد الناس من لوثية ولعقولهم من الخرافات ولكن الكرامة ثابتة والضرر من التوسع فيها الى درجة لاحتفاف والعبث والله الهادي الى سواء السبيل

ابراهيم الجبالي

الحديث المتواتر

وحكم ما رواه الأمامان البخاري ومسلم

وورد ادارة المجلة ما يأتي :

أرجو أن تتمضوا وتجيئوني على مثلتي الآتية ولكم مزيد الفصل والثوبة .

(١) ماهي الاحاديث التي حارت درجة التواتر بالاجماع أو ماهو أقرب الى الاجماع ؟

(٢) هل يكفر المسلم إذا أنكر حديث صحيحاً أو متواتراً ؟

(٣) هل يمكن القول ان كل ما في الصحيحين : البخاري ومسلم — من الأحاديث الشريفة

هي على وجه القطع واليقين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

عزت المرادي

بيروت

ونحن نورد كل سؤال من هذه الاسئلة وننبه عما يتيسر من الجواب عنه ومن

الله التوفيق .

س (١) - ماهي الاحاديث التي حارت درجة التواتر بالاجماع أو ماهو أقرب الى الاجماع ؟

ج - الحديث المتواتر ما يرويه جمع يحيل العقل نظرا الى العادة تواطؤهم على الكذب

ولا بد من تحقيق هذا الشرط في كل طبقة من ابتداء الرواية الى من أخبروا بقول النبي صلى الله عليه وسلم أو فعله أو حال من أحواله ، وإذا كان ما يرويه كل واحد من الجمع هو ما يرويه الآخرون بعينه مسمى تواتر لفظيا ، وإذا اختلف ما يرويه الجماعة في اللفظ ولكن أخبارهم تتوارد على معنى مشترك بينها فهو التواتر المعنوي .

وقد نفى بعض أهل العلم أن يكون في السنة حديث متواتر تواترا لفظيا ، وقال ابن الصلاح : إنه عزيز الوجود وذكر حديث (من كذب على متعمد فليتبوأ عقمه من النار) وقال : نراه مثالا للتواتر اللفظي فانه نقله من الصحابة العدد الجم وهو في الصحيحين مروى عن جماعة منهم .^(١)

ولم يرتص بعض الحفاظ ما قاله ابن الصلاح وأورد للتواتر اللفظي أحاديث كثيرة ، منها حديث (نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها) وحديث (نزل القرآن على سبعة أحرف) وحديث الشفاعة وحديث الحوض وحديث رؤية الله في الآخرة .

ومما أوردوه مثالا للتواتر المعنوي حديث رفع اليدين في الدعاء ، فقد روى فيه نحو مائة حديث ولكنها في وقائع مختلفة فكل واحدة منها لم تتواتر إلا أن القدر المشترك فيها وهو الرفع متواتر بالنظر الى مجموع الروايات .

ولا يضر أن لا تتكرر في الشريعة الأحاديث المتواترة تواترا لفظيا لأن التواتر المعنوي يكفي في الاحتجاج على ما يرجع الى العلم والاعتقاد ، وخبر الأحاد يكفي في الاستدلال على ما يرجع الى الأحكام العملية .

س (٢) - هل يكفر المسلم اذا أنكر حديثا صحيحا أو متواترا ؟

ج - لا يكفر منكر حديث الأحاد ولو كان صحيحا ، ومتى كان إنكاره للحديث الصحيح عن هوى في النفس أو تعصب لرأى فهو فاسق آثم ، وأما الحديث المتواتر فإن جرى الخلاف في تواتره فلا يكون منكرا خارجا عن حوزة الدين ، وهو فاسق كمسك حبر الأحاد لهوى في نفسه أو تعصب لرأيه ، وإذا وجد حديث العقد الإجماع على تواتره وأصبح حكمه في جملة المعروف بين خاصة المسلمين وعامةهم كان إنكاره كفر ، وهكذا

(١) كنى التروى في شرح مسلم انه ورد عن عائشة ومحمد بن عبد الله

الحكم في انكار كل ما أجمع المسلمون على إسناده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو هيئة وتناقلوه حياء بعد حين كعدد الصلوات الخمس وركعاتها وماسك الحج من نحو الطواف والوقوف بعرفة .

س (٣) - هل يمكن القول إن كل ما في الصحيحين - البخاري ومسلم - من الأحاديث الشريفة هي على وجه القطع واليقين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

ج - ذهب بن الصلاح إلى أن ما رواه الشيخان : البخاري ومسلم ، بأسناد متصل ورواه أحدهما كذلك ، مقطوع بصحته لاتفاق الأمة على تلقيها بالقبول ، والأمة لاتتفق على خطأ ، وأما ما يروى فيها معلقا وهو ما حذف من مبتدأ إسناده واحد فأكثر فلا يبلغ مرتبة القطع عنده ، كما استثنى من المقطوع بصحته ما تكلم فيه من أحاديثها ، وهي مائتان وعشرون حديث . وقد أفرد الحافظ العراقي هذه الأحاديث بكتاب تصدى فيه للجواب عنها ، وتعرض الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري لما طعن فيه من أحاديث الجامع الصحيح للإمام البخاري ودفع ما وجه إليها من مأخذ بتفصيل .

ونازع الإمام النووي ابن الصلاح في دعوى أن ما رواه الشيخان إلا ما استثنى مقطوع بصحته وقال إن المحققين والأكثرين يذهبون إلى أن صحة ما رواه مظنونة لأن يكون متواترا ، وإنما تنق الأمة لهما بالقبول فلأن ما رواه يفيد ظنا ، والظن كاف في تقرير الأحكام العملية وقوة تعالى (إِنَّ الظَّنَّ لَا يَأْتِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) محمول على ما يرجع إلى أصول الدين لأنه يقصد منها العلم واليقين ، أما الأحكام العملية فانما تراد للعمل فيكفي فيها لاستناد أي ما يفيد الظن . عني أن الشارع إذا جعل ظن الحكم علامة على تقديره كان الحكم عند وجود الظن معلوما قطعيا وكان العامل على هذا الحكم ممثلا للأمر بلا شبهة

ومزبه الصحيحين على هذا المذهب في أن ما روى فيهما صحيح لا يحتاج إلى النظر والبحث بخلاف ما يروى في غيرهما من كتب الحديث فانما يعتمد في الاستدلال بعد النظر في سنده ومعرفة رتبته .

والحق أن في الأحاديث التي لاتبلغ مبلغ التواتر ما يأخذ حكم التواتر في إفاده العلم

وهو ما يكون رواه من الصدق والضبط في مرتبة يطمئن بها السامع الى روايتهم اطمئنانا لا يخالجه تردد ، فاعلم يحصل من كثرة رواية الخبر تارة ، ويحصل من تحقق أماتهم وصبطهم تارة اخرى . وجمهور ما في البخارى ومسلم من هذا القليل ، وهذا ما يسميه بعض الحفاظ متواترا خاصا نظرا الى أن أهل الحديث قد يحصل لهم العلم برواية رجلين عرفا بالاستقامة والضبط ما يحصل لغيرهم من رواية جمع كثير يستحيل توافؤهم على الكذب ويمتبر في هذا بقول الامام مالك رضى الله عنه « اذا سمعت الخبر من نافع لا بأى أن لا أسمعه من غيره » ونحن نعلم أن من أئمة الحديث من يأخذون في الرواية بما هو الأحوط فلا يكتفون بصدق الراوى وتقواه وورعه حتى يعرف بالضبط لما يحفظ والاتقان لما يروى قال الامام مالك : أدركت بالمدينة أقواما لو استسقى بهم القطر لسقوا ، قد سمعوا الحديث كثيرا وما حدثت عن واحد منهم شيئا لأنهم كانوا ألزموا أنفسهم الزهد ، وهذا الشأن (يعنى الحديث) يحتاج الى رحل معه تقي وورع وإتقان وعلم وفهم ، فأما رجل بلا إتقان ولا معرفة فلا ينتفع به ولا هو حجة .

وملخص القول أن مارواه الشيخان متصل الاستاد من طريقين فأكثر وتنقاه نقاد الحديث بالقبول بعيد العلم بصحة سببه إلى النبي صلى الله عليه وسلم كخبر الأحاد الذى تحذف به فرائض الصدق فلا تبقى لم تلقيه شيئا من التردد في صحته

محمد الخضر حسين

(استكشاف أثرى جديد)

جاء مجلة « Kosmos » الألمانية أن بعثة لأبحاث الألمانية تحت رئاسة الأستاذ الدكتور يوليوس يوردن عثرت حديثا في العراق على فسيفساء يرجع عهدها الى ٦٠٠٠ سنة ، كما وجدت في نفس المنطقة جذران من حجر الجير يرجع عهدها الى نفس هذا التاريخ ، ويبلغ ممكها أكثر من مترين وتدل دلالة واضحة على البراعة الممتارة في فن البناء وقتئذ

العلوم والآداب

الطيارات وكيف تطير^(١)

كانت تجارب الطيران الأولى قاصرة على طيران نماذج صغيرة ومبينة على محاكاة
اجنحة الطير

ففي سنة ١٧٠٦ أنشأ السير هورج كيلي طيارة صغيرة ذات محرك أفقي تعتمد في طيرانها
على اجنحة مصنوعة من ريش المورس وفي أوائل سنة ١٨٣٠ أنشأ يينود غودجين
حصل على القوة المحركة في لأول من لوب يدور بين حل من المطاط وعمل في الآخر
على محاكاة اجنحة الطير. وفي سنة ١٨٤٢ أنشأ سترنجهاو نموذجاً حصل على قوة الارتكار
فيه من الأجنحة وعلى القوة المحركة من محرك لولبي ومن ذلك الوقت أصبحت قواعد
الطيران الأساسية معترف بها أكثر من قبل.

كيف تطير الطيارة: لأجنحة الطير وطيفتان هي تمسك الطير في الهواء وتدفعه
إلى الأمام بقوة الامساك هذه مستمدة من الخواص^(٢) وقوة الدفع مستمدة من
القوادم^(٣) السريعة الحركة.

فإذا تصورنا سطحاً مستوياً ذ شكل مستطيل جابهاه الطويلان أفقيان وسطحه
مائل إلى أسفل وجعلنا هذا السطح ينحرك إلى الأمام في اتجاه أفقي على رابطة قائمة من
طوله كان ضغط الهواء على السطح الأسفل أكثر من الضغط على السطح الأعلى وتعرض
هذا المستوى لقوتين تتنازعانه قوة تدفعه إلى أعلى وأخرى تسحبه إلى الوراء تسمى الأولى
« قوة الدفع » التي تدفعه إلى أعلى في اتجاه مضاد لثقل المستوى والثانية « قوة السحب »
التي تسحبه إلى الوراء وتؤدي إلى وقف حركته.

فإن وضعت في هذا المستوى آلة تدير محركاً لولبياً يتحرك بسرعة كافية ردت قوة
الدفع على ثقل المستوى والآلة وأرتفع المستوى في الهواء.

(١) عن دائرة المعارف البريطانية (٢) آخره الاجنحة القريبة من جسم الطير (٣) أطراف الاجنحة

على هذه القواعد أنشأ سترنجفيلد نموذجاً عرصه في القصر البلوري^(١) بلندن سنة ١٨٦٨ وبال عليه جائزة قدرها مائة جنيه وقد تبين من تجربته أنه من الممكن زيادة القوة الدافعة بصنع سطوح الارتكاز بشكل خاص هو اتخاذها شكلاً محدوداً من الأعلى ومقعرأ من الأسفل .

كذلك تبين أن نجاح الطيران يتوقف على الاحاطة بأحوال الاتزان في الهواء وقد تبين درس شيء كثير منها باستعمال الزلاقات الهوائية التي تعتمد على تيارات الهواء الطبيعية في طيرانها .

ففي سنة ١٩٠٠ بدأ ويدبر ورايت فاتحة عصر جديد بتجربتهما الزلاقات الهوائية فأدخلها عليها اصلاحين كبيرين الأول وضع الدفة الأفقية التي تسيّر الطائرة في مستوى أفقي والآخر ثني الطرف الخلفي للجناتين ليتيسر تغيير قوة الدفع على أحدهما أو كليهما وبذلك يمكن للطائرة المحافظة على اتزانها في الهواء .

ومن ذلك الوقت أخذ الطيران يتقدم تقدماً كبيراً فنجد الآن بدلاً من نماذج سترنجفيلد الصغيرة طائرات ترز عشرة أطنان تبلغ بسطة جناحها من ٧٠ إلى ٨٠ قدماً وتصل سرعتها إلى مائة ميل في الساعة وأخرى كذلك التي أحرزت كأس شنيدر^(٢) في سنة ١٩٢٧ تدار بآتين أو ثلاث وتبلغ قوتها من ٩٠٠ إلى ١٠٠٠ حصان ولنبحث الآن القوى التي تؤثر على الطائرات في طيرانها :

من الحلى أنه لا بد لطيران جسم أثقل من الهواء من قوة تدفعه من أسفل إلى أعلا أو قوة رافعة ويجب أن تكون هذه القوة كافية موازنة الثقل في حالة تحرك الجسم في اتجاه أفقي . غير أن هناك عدة عوامل تقاوم حركة الجسم إلى الأمام أهمها «قوة السحب» التي تسحبه إلى الوراء فإن لم تكن هناك قوة تتغلب على هذه المقاومة وقف الجسم ولم يتحرك . لهذا يجب أن يهيأ للطائرة قوة دافعة تتغلب على قوة السحب ولقد رأيت كيف يتعرض السطح المستوي المائل على اتجاه حركته لقوتين قوه المقاومة وهي «قوة السحب» وقوة أخرى هي «قوة الدفع» وسيتضح لك فيما يلي عمل هاتين القوتين .

(١) قصر من الزجاج خارج لندن تمام فيه المعارض والاصناف

(٢) كأس تبرع بها شنيدر تطلق للفائز في مباريات السرعة للطائرات

عمل المحرك :

لايضاح عمل المحرك عدة نظريات أولها النظرية المعروفة « بنظرية الدفع » التي تعتبر المحرك قرصاً يستمد منه الهواء الذي يدور فيه قوة دافعة ، ففي حالةوقوف الطائرة يكون الهواء حولها ساكناً ولكن إذا بدأ المحرك في الدوران أخذ الهواء الذي حوله يتحرك بسرعة زائدة تكسبه تلك القوة الدافعة .

وأحدث هذه النظريات هي النظرية التي تعتبر المحرك كجناح للطيارة يدور بسرعة كبيرة في أحد طرفيها ، فإذا تحركت الطائرة إلى الامام على حط مستقيم وبرأوية قاعة على طولها تمرصت لقوة دافعة رأسية على اتجاها حركتها وقوة ساجبة مضادة لهذا الاتجاه وبإزدياد سرعة دوران المحرك تنقلب القوة الدافعة على القوة الساجبة وترفع الطائرة في الهواء .

اتزان الطائرة في الهواء :

إذا اختلف توازن الطائرة لسبب من الاسباب ثم عادت إلى اتزانها عقب روال هذا السبب قيل انها « تامة الاتزان » ويمكن بلوغ هذه لعية إذا كانت اجزاء الطائرة متناسبة تناسباً صحيحاً ، ولتفهم نظرية الاتزان نورد لك فيما يلي مثلين تعرف بهما ماهيته « الأول » « الذئب »^(١) وهو كالسكرة المعقفة من خيط و « الثاني » العصا المتزنة رأسياً على الاصبع تظل كل منهما متزنة اتزاناً رأسياً إذا لم يطرأ ما يحر كهما . فإذا طرأ عليهما ما يحر كهما اختلف أثر الطاريء في المثلين :

فإذا تحرك الذئب جال حول مركز اتزانه وقتاً قصيراً إلى أن يسكن كما كان قبلاً . وإذا تحركت العصا وقعت على لأرض إلا إذا حركها الأصبع بمهارة وأعادها إلى اتزانها السابق فالذئب يمثل حالة الاتزان الثابت والعصا حالة الاتزان غير الثابت وتنطبق هذه الاعتبارات على الجسم المتحرك حركته منتظمة فالطيارة مثلاً تتحرك أفقياً بسرعة ثابتة فإذا طرأ على هذه الحركة ما يغيرها تغيراً اتفها لسبب من الاسباب كلفحة فجائية من الريح متجهة إلى اسفل مثلاً فإن مقدم الطائرة يتجه هذا الاتجاه أيضاً ، فلو فرض أن قائد الطائرة لم يفعل شيئاً لمقاومة هذه الحركة فقد يقع أحد شيتين :

(١) الذئب يطلق على كل شيء يتذبذب

الأول : أن مقدم الطيارة قد يرتفع ثانية من تلقاء نفسه وبعد بضع دبنات لأعلى وأسفل تعود الطيارة سيرتها الأولى في اتجاه أفقي . فالطيارة كما ترى منتظمة كالذبذب في حركتها ويمكن أن تطير بدون أن تسيطر عليها ، أداه القيادة ، ذلك إذ كان الطارىء عاديا أما إذا كان شديدا فلا مناص وقد اك من استعمال الأداة . ويتبين من ذلك أن الطيارة تستمر على الطيران من تلقاء نفسها مادامت الآلة التي تسيّرهما تولد من القوة ما يكفي لطيرانها أفقيا بسرعة معينة .

والشيء الثاني : أن الطارىء قد يزداد في شدته فيستمر مقدم الصيارة على الانخفاض وتصبح الطيارة غير منتظمة في حركتها كالعصا المتزنة على الأصبع كما مربك وفي هذه الحالة يترك للقائد إعادتها إلى سيرتها الأولى أو إلى الطيران الأفقي المنتظم .
هبوط الطيارة :

تبين لك مما أسفنا كيف ترتفع الطيارة بقوة الرفع التي يكسبها إياها سرعة دوران المحرك فإذا أريد الهبوط أنقصت تلك السرعة رويداً رويداً فتتقص القوة الرافعة تبعا لذلك

وتهبط الصيارة إلى الأرض حتى إذا مستها درجت عليها إلى أن تقف ٤

سموم الأفاعى ضد الأفاعى السامة (١)

يوجد في مدينة سان باولو بالبرازيل بناء نغم أقيم لعمل الأبحاث واستخراج المصل لعلاج المصابين بسمة الثعابين السامة ، وذلك لكثرة هذا النوع من الأفاعى في هذه البلاد حتى أصبحت خطرا عاما على السكان . وقد دلت التجارب والأبحاث على أن المصل المستخرج من سموم الأفاعى إذا حقن به الإنسان عقب الإصابة مباشرة يظل عملها السام .

وتتهم حكومة البرازيل الآن يجمع الثعابين السامة لتربيتها في هذا المعهد وأحد سمومها لاستخراج الأمصال وتوزيعها على الأهالى

(١) الاجسام المتحجرة

- ٢ -

تحجر المملكة الحيوانية

(سنق لنا لتكلم عن محجر المملكة النباتية في العدد لادس من هذه المجلة)

توجد حفريات الحيوانات «اللافقية»^(٢) بكثرة عديمة النظير من حيث العدد أو النوع بين الحيوانات المتحجرة على المعمور بالرغم من رخاوتها وعدم تماسكها ، وربما كان السبب في ذلك هو اشتغالها على أجرا ، صلبه كالأصداف والقشور الخارجية وبعض أعضاء الارتكاز الداخلية كما أن كثيرا من هذه الحيوانات تعمل ابان حياتها على تكوين المركبات الحجرية العظيمة .

وقد يكون المرجان في مقدمة هذه الأحياء التي مع صغر حجمها تتراكم بكميات وافرة جدا وتكون مركبات جييرية ضخمة في البحار الدافئة وتنشأ بذلك أجزاء دائمة في القشرة الأرضية ، كما توجد آثارها في تركيب مناطق حلية عديدة في أنحاء المعمورة ، الا أن هذه الصخور العتيقة التكوين قد فقدت كثيرا من الميزات والخواص الحيوانية .

ومثل المرجان حيوانات «لافقية» أخرى عديدة كثير منها من ذات الخلية الواحدة^(٣) تتراكم بمصها فوق بعض مكوونا بذلك أحجاما كبيرة ومساحات واسعة تنتشر في أعماق سحيقة من البحار ، كما أن صدفاتها تكون طبقات صخرية عظيمة وتوجد بكثرة في

(١) نقلا عن مقال للأستاذ الدكتور « سفن » مجلة « Kosmos » الإلانية

(٢) تنقسم لميوانات ال فقية وهي ما اشتمت على الممود الفدى ولا فقه وهي التي تكون سدنه

(٣) « أوليه وهي ذات الخلية الواحدة وحيوانات هليا وهي عديدة الخلايا

جبال البرانس والألب وفي آسيا الصغرى وبحال هيمالايا وفي الهند وحاوة وجرر الفيليين وأفريقية الشمالية ومنها تتكون أحجار الأهرام .

ولست الحيوانات العديدة الخلايا بأقل أثراً في تكوين الكتل الصخرية من الحيوانات لأولية ذات الخلية الواحدة ، ويتضح لك معمولها في تكوين الأحجار من راسب الأصداف ولحار بالشواطىء البحرية ومن الجثث الحيوانية الوافرة في المياه الضحلة ومن قشور القواقع الجيرية وطبقات الطين الخرفى ، فينبأ تبلى الأجزاء الرخوة تبقى الأجزاء الصلبة يياطن الطبقات الرملية أو الطينية أو الجيرية ^(١) وهكذا تحفظ من تأثير العوامل الخارجية ، وقد تكون البقايا الحيوانية أكثر تمصاً للفناء والاندثار إذا طُمرت في الرمال فإن هذه الطبقات تتحول الى أحجار رملية ذات ثقوب ومسام عديدة تتسرب خلالها الرطوبة والمياه التي يياطن الأرض فتفصل عن هذه الأجسام أجزائها الجيرية وتحملها معها فلا يبقى منها بطبقات الأحجار الرملية سوى ما تسرب الى جوف الاصداف من الرمال على شكل نواة حجرية يعاوها طابع الصدفة ، وقد توحد هذه النوى المتحجرة في حجر الأردوار أو الأحجار الجيرية لأن الطبقات الطينية والجيرية ليست دائماً بالحصن الميع الذى يحول دون جميع عوامل الفناء الا أن وجود الأجزاء الصلبة من البقايا الحيوانية وفرة في هاتين البصفتين يحملنا على الاعتقاد بأنها هنا أبعد عن هذه العوامل منها في الطبقة الرملية .

وبالجملة فإن الحيوانات « اللاقيرية » توجد محفوظة يياطن الأحجار كما توجد متحجرة بذاتها كما أسلفنا .

ومن الجلى أن الأجزاء الصلبة في الحيوانات « اللاقيرية » هي بلا شك أقدر أجزائها على مقاومة العوامل الخارجية خصوصاً اذا كانت تحتوى في تكوينها على مواد معدنية ، فلا تتأثر بما يرتطم بالشواطىء من الأمواج ولا تفتت بفعل التغيرات الجوية ولا تذهب فضاء للحيوانات الأخرى ، الا أنه قد تتوفر ظروف طبيعية أخرى تحول دون اندثار تلك الأعضاء الرخوة حتى أرقها وأصفها ، ولا تتوفر هذه الظروف الا في الطبقات

(١) تتحول الطبقات الرملية والطينية والجيرية بعد تحجرها الى أحجار رملية وأردوارية وحيطة على النوى

الطينية في الخلعان الهائلة حيث تغطي أجسام الحيوانات الرخوة تدريجياً بصوف الأشجار البالية والأعشاب الرقيقة أو الطين المتعفن وما شاكله على أن ترسب هذه الطبقات الطينية رويداً رويداً بدون أى اضطراب أو حركة حتى تنظم هذه الأجسام تماماً، ثم تأخذ هذه التلافات في التصيب بتأثير العوامل الخارجية على أن تعمل هذه عملها ببطيء وفي هدوء وسكون تامين دون أن تتعرض هذه النواحي للتقلصات الجبلية المفجائية أو ضغط الصخور الشديد، كما يجب أن تحل هذه المناطق تماماً من المحولات المتلفة مثل المياه الجيرية أو مركبات الكبريت أو أن يكون مفعولها - إذا وجدت - بطيئاً جداً غير مصحوب بتغيرات عنيفة أو سريعة، ولكن هذه الشروط مجتمعة لا تتوافر إلا فيما ندر من الظروف والأحوال وقد يكون ذلك في تكوين الكهرمان الأمر منه في المناطق المشبية والطبقات الطينية في المياه العذبة لكثرة ما بها من الحوامض الجارية فضلاً عن أن مصير هذه المناطق إلى أن تكون فخاً وتغر بأطوار عديدة تعرض الكثير من البقايا الحيوانية الرخوة إلى التلف، ولذا لا توجد هذه الأجزاء بالطبقات الفحمة بكثرة كما يندر وجودها جداً في الأحجار المائلة الأخرى مثل الأردواز وذلك لأن هذه الطبقات تمر بأدوار تعوق وقايتها، هذا إلى ضغط الصخور الجبلية والتقلصات العنيفة التي تعترى القشرة الأرضية.

وهناك ناحية من المعمورة قد توفرت فيها الأسباب السالفة الذكر فاستكنت في ماؤها أجسام الحيوانات الرخوة مثل بعض أنواع الأسماك الصغيرة ونجوم^(١) البحر، ولو أن الحفريات التي وجدت بهذه المنطقة - وهي منطقة الجورا^(٢) - قليلة من حيث العدد والنوع إلا أنها حفظت من التلف والاندثار حفظاً تاماً فيمكن رؤيتها حتى أدق أطرافها المتشعبة بكل وضوح وحلاء، كما يوجد في هذه المنطقة بجوار الحيوانات المائية الكثيرة نباتات برية وحشرات ورواحف ربما كانت قد زارت هذه الناحية في طور بدء تصلبها فعلقت بها ولم تقو على التخلص والفرار.

فقطرة واحدة إلى الألواح الحجرية الملساء في منطقة الجورا تكفي لأن يتحيل المرء

(١) نجم البحر - حيوان مائي على شكل نجمة (٢) هي منطقة الجورا العنيفة من ألبانيا

مجرى الحياة في هذه القاع التي مرت عليها قرون عديدة كما تتضح له الأسباب التي بفضلها بقيت هذه الشواهد محفوظة مدى هذه الأجيال الطويلة

وكما بقيت آثار الحيوانات « اللاقمية » محفوظة بباطن الأرض توحد أيضا بقايا الحيوانات الفقرية - وأغلبها من العظام والأسنان والقرون - متحجرة ، وقد تخللت مسامها كربونات الجير أو الحصى الكبريتية أو المركبات الحديدية أو الحوامص الرملية فزادتها تماسكا والتحاماً .

وفي المناطق ذات الحو الجاف لا يحتاج في أغلب الأحوال إلى عوامل خاصة لوقاية البقايا الحيوانية حيث أنها هنا بعيدة عن المياه المفتة ، كما أن الجراثيم الصغيرة التي تصيب عادة ما يدفن بباطن الأرض قليلة جدا في المناطق الجافة

أما في الأجواء الممطرة الرطبة فإن الأحوال قل ملائمة لحفظ ووقاية البقايا الحيوانية فيدب الفساد فيما يترك على سطح الأرض فيتلف بسرعة أما المدفون بباطنها فيبقى محفوظا بفضل وقاية الحوامص القاتلة للجراثيم ولا يزول عنه سوى أجزاء العظام القابلة للأنحلال والذوبان مثل الأملاح الجيرية ويبقى الهيكل الخارجى لا يمتريه تغيير جوهري كما هو الحال في المناخ الجاف ، إلا أن العظام في المناطق الحارة تزداد صلابة بتعرضها للهواء .

ما بقايا الحيوانات التي تحملها الحيوانات الأخرى التي على قيد الحياة أو التي تنقلها يد الإنسان فتدفن في طبقات التربة^(١) فإن نصيبها في الحفظ وعدم الأنحلال أو فر من غيرها حيث أنها في هذه الطبقات محتجب عن العوامل الجوية فلا يصلها الأكسجين أو تنفذ إليها الحوامص الكربونية ، وكثيرا ما يملق بها الجير المحملة به المياه الجيرية فيكسبها حصانة ويزيدها وقاية .

كما أن الطبقات الطينية في البحار والمحيطات قد تكون عاملا مساعدا في وقاية أجسام الحيوانات الفقرية وحفظها زمنا طويلا ، ونوضح دليل على ذلك العدد الوافر من الأسماك والحيوانات البحرية الأخرى التي توجد في الصخور الأردورية وما شاكلها

(١) هو التراب يحمله السيل فيبقى على ظهر الأرض رطبا أو يابساً

ومن أعجب الحفريات وأكبرها قيمة الطائر المنقرض المعروف باسم «أركيوبتريكس»
الذى لقي حتفه مع كثير من الطيور والزواحف المنقرضة فى طين البرك اللزج
فبقى شكله الخارجى وهيكله العظمى محفوظا حفظا تاما الى وقتنا هذا ، كما أنه ترك بهذه
الطبقات المتحجرة طبعا متقنا وصورة واضحة منه ، حتى أنه يسهل إعادة تركيب نموذج
مشابه له كل الشبه

وقد تكون الحيوانات المائية التى وجدت باطن بعض طبقات منطقة الجورا أعجب
الحفريات التى بقيت مصونة بعيدة على كل عوامل الفناء والاندثار ، فلا يصادف الانسان
مجهودا كبيرا فى استخراج هيكلا تاما ، كما يمكنه فصل الجلد عن هذه الهياكل
والتحقق من مواقع الأعضاء الداخلية فيها ، فان طبيعة تكوين الطبقات الطينية التى
حفظت بين حوائبها هذه الحيوانات تلائم هذه العملية كل الملائمة ، ويغلب على الظن
أن هذه الحيوانات ماتت فجأة وطمرت بالطين الطرى فى مرقدها الأخير ، كما أن وجود
المواد الكبريتية بكثرة فى هذه الطبقات الطينية مما يحملنا على الاعتقاد بأن هذه الحيوانات
قد اصطدمت بقرار البحار وهى مسرعة فى السباحة فتبثر الطين من حولها فلبقت
حتفها هناك بفعل الغازات السامة المتصاعدة وأن هذه المواد السامة التى لازالت توجد بقيمان
بعض البحار والمحيطات الى الآن ساعدت فى حفظ أجسام هذه الأسماك والحيوانات
المائية وعدم تفككها .

فى الأمثلة السابقة وحلافها توصل الانسان الى استنباط صورة واضحة عن شكل
وتركيب الحيوانات الفقيرة المنقرضة ، هذا الى أنه قد تتوافر أحيانا ظروف خاصة تتمكن
فيها العوامل الطبيعية من حفظ جسم الحيوان بجمع أو بأغلب أعضائه الداخلية وذلك
اذا ما طمرته المواد الواقية بمجرد موته مباشرة ، كما لو لقي حتفه فى بعض المستنقعات أو
دفن فى الطين الرملى كما هى الحال فى بعض أنواع السحالي التى طمرت فى المصوّر الغابرة
بالطين الرملى والموجودة الآن بالطبقات الخزفية بتلك المناطق

وربما كان الحليد أكثر المواد ملائمة وصلاحيه لحفظ ووقاية أجسام مثل هذه

الحيوانات من الاندثار ، فإن حيوانات « الماموث »^(١) التي اقيمت حتف بين الشقوق الجليدية في العصر الجليدي لارالت لحومها طرية تلتهمها لذئاب والكلاب في الوقت الحاضر .

ومثل « الماموث » كانت حال بعض فصائل الخربنت المنقرض الذي وجد حديثا في احدى نواحي مقاطعة غاليسيا . الا أنه يحذر بنا التفرقة بين هذه الأجسام وتلك التي يرجع عهدها الى العصر « الطاشيري » والتي حفظت لنا أشكال « الدينوسور » ، التي وحدها الإنسان بكثرة في طبقات الأحجار الزميه بالولايات المتحدة الامريكية ووجدت بها العظام الا أنها كانت متحجرة تماما ، أما الاعصاب والمضلات والجلد فالظاهر أنها جفت بتأثير الشمس قبل أن تدب اليها المعونة وتحل الرمال محلها

وأخيراً يحذر بنا التويه الى أن الحيوانات الفقرية تركت آثاراً من وقع أقدامها أوزحمها على كثير من الطبقات الارضية كما ارتسمت أشكال الحيوانات « اللاقيرية » على وجه البسيطة وقتئذ .

وكثيراً ما يعثر الإنسان على بقايا كانت بلا شك من متعلقات ولوزم الحياة في هذه العصور السحيقة ، وأن بعضاً من هذه الآثار الدالية كانت آلات أو مساكن ومواقد تركها الماضون من بني آدم ، وأن هذه الآثار كآثار باقى الأحياء تبنى وتبقى بتأثير العوامل السالفة

تأثير أشعة رنتجن على الجراثيم^(٢)

انا وان كنا نعرف تأثير أشعة رنتجن في الأحياء الرقية فلازك بحمل تأثيرها في الجراثيم الى عهد قريب ، ولقد اهتم البعثة الدكتور كلارك الأمريكى بالقيام بأبحاث وتجارب علمية للتحقق من تأثير أشعة رنتجن في الجراثيم ، فثبت له أن هذه الأشعة تعمل فيها عمل المطهرات ، ووجد أنها تموت إذا عُرِضت للأشعة ٩٠ دقيقة .

(١) الماموث هو نوع من الفيلة المنقرضة (٢) مترجمة من كلمة « Ksomas » اليونانية

تأسيس معهد أسبوط الدينى

وخطاب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

عن حضرة صاحب الجلالة ملكنا المعظم احمد فؤاد الأول - أيدته الله - بحمايه الدين الحنيف وإقامته على دعائم ثابته فكان من مقاصد رحلته الميمونة تأسيس معهد دينى بأسبوط .

شرف جلالاته أسبوط فى يوم السبت ٢٩ رجب سنة ١٣٤٩ هـ (٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٠ م) وبعد أن أسس رعاه الله دار الاسعاف الجديدة ودار المدرسة الابتدائية سار ركابه السامى نحو المكان المعد لإنشاء المعهد ، وعند ما جلس فى صدر السراى وانتظم الاحتفال رجال العلم والفضل والسياسة ألقى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى شيخ الجامع الأزهر خطابا فيه بما خللته من العناية بالاصلاح واعلاء شأن الاسلام ونصه :

مولاي يا صاحب الجلالة :

كان من نعمه الله على البلاد المصرية وعلى العالم الاسلامى تبوء جلالتكم عرش مصر فقد حققتم أمل البلاد وعلتم استقلالها وعيتم بها صفا فى كل شأن من شؤونها لتستعيد مجدها القديم

وحققتم أمل العالم الاسلامى فعيتتم بأمر الدين وهو قوام حياة الأمم يحول بينها وبين الفوضى ويوطد فيها أركان سلم والنظام ويحث على الفضيلة ومكارم الأخلاق واهتمتم بأمر معاهد الدين لاسيما الأزهر الشريف الذى هو ميزة مصر الكبرى ومركز التعاليم الاسلامية وفلة نظار المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يقصده اطلاب من سائر الأقطار ليتفقهوا فى الدين وليسندوا قومهم إذا رجعوا اليهم)

وقد شملت هذه العناية من جلالته كل ناحية من النواحي المتعلقة بذلك فقد تفضلتم في أول رحلة ملكية بالوجه القبلى وأمرتم بإنشاء القسم الثانوى بمعهد أسيوط الذى كان ابتدئاً ثم بإنشاء معهد الزقازيق فكان ذلك عطفاً كبيراً من جلالته على الوجهين القبلى والبحرى قبول من سكانهما برفع فروص الشكر والدعاء.

ورغبة من جلالته في رفع مستوى التعليم تفضلتم فأصدرتم قانوناً للتخصص في أنواع العلوم الدينية والمريية وفي طرق الوعظ والارشاد وفي القضاء الشرعى ثم تفضلتم فأدخلتم تعديلاً على قانون الأزهر يرمى الى ادخال العلوم التى لاعنى عنها فى اعداد رجال الدين للقيام بالواجب العظيم الملقى عليهم . والى التوسع فى العلوم الكونية المعينة على فهم أسرار الدين وتفسير آى الكتاب المبين المتعلقة بالكون وما فيه من آيات وعبر، وقد أسست لذلك بالمعاهد معامل الكيمياء وغيرها

وأصدرتم كذلك اردة سنية بطريقة انتخاب أرباب الكفايات للتدريس وبتعيين درجات المدرسين والموظفين وترتيب معاش لهم .

وعناية بالطلاب وصحتهم وتوفير أسباب راحتهم تفضلتم فأمرتم بإدخال النور الكهربائى فى الجامعات الأزهر وفرش أماكن الدراسة منه بالأسطى واعداد أماكن أخرى للدراسة فى مصر وباقي المعاهد مجهزة بكل ما تقتضيه فواعد التدريس ، كما أمرتم بإيجاد عيادات طبية يومية فى كل معهد

وتشجيعاً على النبوغ قد تفضلتم بتعيين جازئين ماليين من الحبيب الخاص للأول والثانى من ناجحي شهادة العالمية .

وقد قصت ردة جلالته الشروع فى تعميم الوعظ والارشاد فمبين حمسون واعظ يقومون الآن بوجههم فى مكلفه الشرور والدعوة إلى النصائل فى مختلف القرى والبلدان كما أنشئت لذلك مجلة « نور الاسلام » التى انتشرت فى أرجاء العالم

وقد فضى عطف جلالته وما أمرتم به من وجوه الإصلاح المختمة أن تدرج ميزانية المعاهد فى الرقى حتى بلغت فى السنة الحالية مايربو على ثمانية الف حسيه بعد ان كانت فى أول عهد جلالته سبعين الفا

ولم تقل عنايتكم بأبنية المعاهد عن العناية بغيرها من وجوه الإصلاح ، فقد تفضلتم في أول عهد جلالتهكم الميمون بإكمال الطابق الثاني من معهد طنطا وتداركتم فشرقت حفلة افتتاحه فكانت فاتحة خير وبركة .

ثم أمرتم ببناء معهد لزقاريق قم بحمد الله وهو الآن موضع الإعجاب والتقدير وأمرتم بإصلاح أماكن الدراسة ومساكن الطلاب بمعهد الاسكندرية وإكمال الجامع الأموى بسيوط ليكون محلا للدراسة بصفة مؤقتة .

ثم أمرتم بإنشاء أبنية بجوار الأزهر الشريف لتكون أمكنة للكليات والتعليم الابتدائي والثانوي والمحاضرات الدينية والعلمية ، وقد أدرج للشروع في ذلك مائة ألف جنيه في ميزانية الدولة .

وهأنتم بأمولاي قد أمرتم ببناء معهد لاسيوط يليق بعاصمة الصعيد ينطق بها جلالتهكم من الأيادي البيضاء

وكان من علامات التفريق واليمين أن يكون تأسيس هذا المعهد عقب تلك النعمة الكبرى وهي إصدار جلالتهكم قانون إعادة تنظيم الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية الذي ينص على إنشاء كلية لأصول الدين وأخرى للشريعة الفراء وثالثة للغة العربية وأقسام للتخصص وعلى أن يكون خريجوه هذه الأقسام أهلا لمناصب القضاء الشرعي والتدريس في المعاهد ومدارس الحكومة وغيرها وتولى الوعظ والارشاد وينص على إنشاء أقسام عامة لمن يريد أن يتوسع في أحكام الدين أو اللغة العربية في كل من القاهرة وطنطا والمنيا وسوهاج وقنا ، وذلك كي يعود للأزهر الشريف مجده لئلا يقوم بالمهمة التي يطالبه العالم الإسلامي بها وكى يكون خريجوه أعضاء عاملين في هذه الحياة فيفيدون ويستفيدون وكى يعم العلم جميع الطبقات وجميع الجهات .

أتى بأمولاي لعاجز عن تعداد أياديكم البيضاء على مصر وعلى أهل الحيفية السمحة عاجز عن ذاء ما يجب لجلالتهكم من الشكر على هذا التفضل العظيم والخير العميم وكل ما أقدر عليه ويردده معي الجميع هو الإبهال الى الله سبحانه وتعالى ان يحفظ دامت جلالتهكم الكريمة ويقيكم ذخرا للبلاد والعباد .

والآن يا مولاي أرجو أن تفضلوا فتضعوا أيديكم الكريمة الحجر الأساس لهذا
المعهد السعيد ليكون ذلك بمننا وبركة الله تعالى يؤيدكم بروح من عنده ويكلاً بعين رعايته
حضرة صاحب السمو الملكي ولي عهد الدولة المصرية الأمير فاروق انه مميم محبيب ،
ثم تفضل بجلالته فأرسي الحجر الأول للمعهد وغادر مكان الاحتفال والألسنة تلهج
بشكر أياديه الفراء والدعاء لجلالته بالتأييد وطول الداء .

(ميل النبات شطر طبقات أرضية خاصة)

أصبح الآن مما لاشك فيه أن جذور النباتات تنجس نحو طبقات أرضية خاصة حيث
تجد غذاءها وذلك لاحتواء بعض الترب على معادن خاصة ، وكلما تعمق الإنسان في
دراسة هذا الموضوع الخاص بعلم النبات وطبقات الأرض ازدادت معلوماته عن
أنواع النبات التي تشير باتجاه جذورها إلى طبقات أرضية خاصة ، وقد عني المهر
فون لندستوف بجمع معلومات كثيرة عن هذه النباتات المعروفة حتى الآن في كتاب قيم
أصدرته مصلحة طبقات الأرض الألمانية ، ومما لاشك فيه أن دراسة هذا الموضوع
سيكون لها أثر عملي كبير في البحث عن المعادن بباطن الأرض ، وقد عرفت حتى الآن
أنواع النباتات التي تنجس جذورها نحو الطبقات الأرضية والمعادن الآتية : - الملح
والصود والبوتاسا ولرويديوم والليتيوم والحير والخرف والجبس والملح المروحيجر
الحية والزنك والنحاس والفضة والذهب والقصدير والمنغنيز والحديد والكبريت
والفسفور والزرنيخ والبروم والبود . (مترجمة عن مجلة Kosmos الألمانية)

قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ أَنْتُمْ تَشْعُرُونَ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَيُحْيِيكُمْ بِهِ الْفُلْكَانَ إِنَّ الْوَرْدَ إِذَا يَدْرُسُ يَهْدِيكُمْ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ مُتَقِينًا

بُحْرَانُ الْأَسْبَابِ الْأَمْرِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكيمية
تصدرها مئذنة الأزهر الشريف

أول كل شهر هجري

المستشار بمحكمة الاستئناف
ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى

عبد المحسن بن عبد الله

مدير إدارة المجلة

السيد محمد الحضر حسن من علماء الأزهر

رئيس التحرير :

إدارة المجلة شارع محمد مظلوم باشا رقم ١

تليفون : ٣٥٠٧ بستان

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

- ٤٠ داخل القطر المصري
- ٢٠ للعلماء غير المدرسين وطلبة المعاهد والمدارس
- ٥٠ خارج القطر المصري
- ٣٠ لطلبة المعاهد والمدارس

قيمة الاشتراك السنوي

يسلم أئمة المساجد والمأذنين ومعلمو المدارس الأولية معاملة الطلاب

وتنجز الجزء الواحد ٣ صاع داخل القطر و ٤ خارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كبر الهمة في العلم

الحديث عن فضل العلم وما يناله طالبه من مجد وكرامة حديث لا يكشف عن غامض ولا يطرق السمع بمجديد ، فاقصد الى شيء غير هذا هو لفت أنظار نشئنا الى ناحية تجعل المعارف لدينا غزيرة والمباحث محررة ، والآراء مبتكرة ، وهي الوسيلة التي صعدت بعلماؤنا الذين خدموا الدين والعلم والمدنية فكانت لهم المكانة التي يصفها التاريخ باجلال واعجاب ، ونعني بهذه الوسيلة كبر الهمة في العلم .

لكبر الهمة في العلم مظاهر هي أن تقضى الوقت في درس أو مطالعة أو تحرير ، وإن تقتحم في سبيل ذلك المصاعب وتدافع ما يعترضك من العوائق ، وأن تبسط النظر في كل مسألة تصديت لبحثها حتى تنفذ الى لبابها ، وإن تضع يدك في كل علم استطعت اليه طريقا ثم تحط رحلك في علم تكون فيه النجم الذي يهتدى به المدجلون ، والفيت الذي ينتج منه الظالمون ، وكبر همتك في العلم يأبى إلا أن يكون للعلم مظهر هو العمل به والسير على ما يرسمه من الخطط الصالحة في هذه الحياة .

أما صرف الوقت في ابتغاء العلم فإن للعمر أجلا إذا جاء لا يتأخر ، وللعلم بحرا طافحا ليس له من آخر ، فكل ساعة قابلة لأن تضع فيها حجرا يزاد به صرح مجدك ارتفاعا ، ويقطع به قومك في السعادة باعا أو ذراعا ، فإن كنت حريصا على أن يكون لك المجد الأسمى ، ولقومك السعادة العظمى ، فدع الراحة جانبا ، واجمل بينك وبين اللهو حاجبا ، وإذا رجعتا البصر في تاريخ التوابغ الذين دفعوا للحكمة لواء ، وجدناهم ييخون بأوقاتهم أن يصرفوا شيئا منها في غير درس أو بحث أو تحرير . قدم الحافظ ابن أبي حاتم صاحب كتاب « علل الحديث » القاهرة ليتلقى عن شيوخها ما لم يكن يعلم فقضى في مصر سبعة أشهر لم يجد هو وأصحابه من الوقت ما يهيئون فيه لطعامهم مرقا ، وكانوا بالنهار يطوفون على الشيوخ ، وبالليل ينسخون

ويقابلون . ونقرأ في حياة الفيلسوف أبي علي بن سينا أنه لم يتم مدة اشتغاله بالعلم ليلة كاملة ، ولم يشتغل في النهار بسوى المطالعة ، ونجد في التاريخ أن الفيلسوف ابن رشد لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل الا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله .

لم يقض حق العلم ، بل لم يدرك ما شرف العلم ذلك الذى يطلبه لينال به رزقا أو يتنافس فيه هرينا ، حتى اذا أدرك وظيفة أو آنس من نفسه القوز على القرين أمسك عنانه ثانيا ، وتنحى عن الطلب جانبا ، وانما ترفع الأوطان رأسها ، وتبرز في مظاهرها عزتها ، بهم أولئك الذين يقبلون على العلم بحمد وثبات ، ولا ينقطعون عنه الا أن ينقطعوا عن الحياة .

وأما احتحام المصاعب في الطلب فان معالى الأمور وعرة المسالك مخوفة بالمكاهة والعلم أرفع مقام قطع اليه الهمم ، وأشرف غاية تتسابق اليها الأمم ، فلا يخلص اليه الطالب دون أن يقاسى شدائد ويحتمل متاعب ، ولا يستهين بالشدائد الا كبير الهمة ماضى الزيمة . كان سعيد بن المسيب يسير الليالى في طلب الحديث الواحد ، ورحل أبو أيوب الانصارى من المدينة الى عقبة بن نافع وهو في مصر ليروى عنه حديثا ، فقدم مصر ونزل عن راحته ولم يحمل رحلها فسمع منه الحديث وركب راحته وقفل الى المدينة راجعا ، ولم ينتشر العلم في بلاد المغرب أو الاندلس الا برجال رحلوا الى الشرق ولاقوا في رحلاتهم عناء ونصبا ، مثل أسد بن القرات وأبى الوليد الباجى وأبى بكر بن العربى .

يتجرع كبير الهمة مرارة حين تنف بينه وبين جانب من العلم عقبة ، فاذا وجد مرعى العلم خصبا ، فنتأوه فيما يدعونه راحة ، وانقباضه فيما يسمونه لهوا ، وألمه في ساعة ينقطع فيها عن العلم يساوى ألم المستهتر في الشهوات حين يقضى يومه في غير شهوة . وقد يحسب من لم تصف بصيرته حتى يرى الحكمة في أسنى مظاهرها أن الذى يقول :

سهرى لتنتقيح العلوم ألدلى من وصل غانية وطيب عناق

انما هو شاعر لا يزال أن بفضل الشئ على ماهر أكمل في وجه الشبه وأقوى ،

ويسعد في نظره أن يبلغ ابتهاج النص عند تحقيق بحث علمي مبلغ ابتهاجها ببقاء الغايات ، ولكن الذي يقدر الحكمة يرى أن ناظم البيت لم يجد شيئا يحاكي به اللذة التي يجدها عند ما يطلق فكره وراء شوارد العلوم فيظفر بها ، فجاء الى هذا الذي اشتهر بين الناس أنه لذيق بالغ، ووصف لذة الحكمة بأنها فوق لذته، فصاحب البيت لم يتجاوز في تصور ارتياحه لتتقيح العلوم حد الحقيقة .

وأما نفوذ النظر في لباب المسائل فلأن وقوف طالب العلم عند ظواهرها واكتفائه بالمقدار الذي يقصر به عن حسن بيانها واجادة العمل بها ، لا يبعدان به عن منزلة خالي الذهن منها، فانما وضعت العلوم لتهدى الى العمل النافع، ولاشرف لها في نفسها ، وانما شرفها بما يترتب عليها من عمل صالح أو كلم طيب ، فمن يقضى زمنا في طلب علم ثم يفصل عنه وهو لا يستطيع أن يدفع عن أصوله شيئا ، أو يضرب له من العمل مثلاً ، ذهب وقته ضائعاً وبقي اسم الجهل عليه واقفا .

فالفقيه يحق من تعرض الواقعة لم يفصل لها الشارع حكماً ولم يتناولها السلف باجتهاد ، فيرجع الى الأصول الثابتة والقواعد المقررة ويتقنس لها حكماً موافقاً ولا تكفى ممن يدرس البلاغة أن يتصور قوانينها ، ويعرف امثلتها الا أن يبصر بها كيف تسرى في كتاب الله سريان الماء في الأزهار الناضرة ، وحتى يستطيع أن يخطب أو يكتب على وفق مدارس من مناهجها الواضحة واساليبها الساحرة ولا يحق لنا أن نفتخر بفتيان درسوا الطيعة والكيمياء ، الا أن يعودوا وفي قدرتهم أن يستقلوا بادارة مصانع للدفاع ، ومعامل لمرافق الحياة ، فاننا نريد أن نعود كما كنا اساتذة في العلوم عقلية أو عقلية ، نظرية أو مادية .

ومما رمى الافكار في خول ووقف بها حقبة عن الخوض في عباب العلوم الى أمد بعيد ، هذه المختصرات التي يقضى الطالب في فتح مغلقها وحل عقدها قطعة من حياته جديرة بأن تصرف في اكتساب مسائل هي من صميم العلم ، والملكات تقوى بالبحث في لباب العلم أكثر مما تقوى بالمناقشة في ألفاظ المؤلفين ، ومن ثم على أن

الاختصار عائق عن التحقيق في العلم أحد علماء القرن الثامن العلامة محمد المعروف^(١) بالأبلي اذ قال : كل أهل هذه المائة على حال من قبلهم من حفظ المختصرات ، فاقصروا على حفظ ما قل لفظه و زرع حظه و افنوا أعمارهم في حل لنوزه و فهم رموزه ، ولم يصلوا الى رد ما فيه الى أصوله بالتصحيح ، فضلا عن معرفة الضيف والصحيح ،

فمن أسباب الرسوخ في العلم وطموح المهتم الى التوسع في البحث وعدم الرضا بما دون الذروة قراءة الكتب التي تنسج على طريقة الاستدلال والفوس على أسرار المسائل ، وهي طريقة المتقدمين من علمائنا .

واما بسط النظر في علوم متعددة فلارتباط العلوم بعضها ببعض ، وكلما كان الاطلاع على العلوم أوسع ، كان البحث في المسائل أجود ، والخطأ في تقريرها أقل ، والاحتجاج عليها أسلم ، فلا يجيد دراسة التفسير أو الحديث من لم يكن ضليعا في العربية ، ولا يحكم الاستدلال على العقائد ويدفع ما يحوم عليها من شبه الا من كان عارفا بالتفسير والحديث والقوانين المنطقية والمذاهب والآراء الفلسفية ، ولا يقوم على دراسة الفقه أو أصوله من لم يعللأ يده من الحديث والتفسير والعلوم العربية واطلاع الرجل على علوم كثيرة يعرف موضوع بحثها ويقف على جانب عظيم من مبادئها ، لا يئمنه من الاقبال على علم يجعل له من الدرس والمطالعة ما يرفعه الى مرتبة آتته الذين يكتبون فيه فيحققون ، ويسألون عن أخفى مسائله فيجيبون والذي يضع يده في علوم شتى يمكنه أن يجارى طوائف العلماء في المباحث المختلفة ، وعلى قدر ما يكون للرجل من خبرة بالعلوم ، يبعد عن مواقع الذلة ويزداد في أعين الناس تجلته .

عكف أبو صالح أيوب بن سليمان على كتاب العروض حتى حفظه فسأله بعضهم عن اقباله على هذا العلم بعد الكبر فقال : حضرت قوما يتكلمون فيه فأخذني ذل في نفسي أن يكون باب من العلم لا أتكلم فيه

تتقضى الحياة الراقية أن يقوم بكل علم طائفة يكونون السند الذى يرجع اليه ، وكذلك كان علماؤنا فيما سلف يقبل كل طائفة منهم على علم يقومون عليه دراية ، ويقتنون به بحثا ، وبهذا اتسعت دائرة المعارف وظهرت المؤلفات الفائقة ، وتراهم قد عرفوا من قبل أن نجاح قصر الطالب على الرسوخ في علم يرجع الى ترك الطالب وما تميل اليه نفسه من العلوم ، ومما نقرأ في ترجمة أبى عبد الله محمد الشريف التلمسانى وكان راسخا في المنقول والمقول — أنه كان (يترك كل أحد من الطلبة وما يميل اليه من العلوم ، ويرى أن كل ذلك من أبواب السعادة)

ومن لطف مبدع الكون أن جعل النفوس تختلف في استمداها للعلوم والفنون والصنائع لينتظم شأن الحياة وتتوافر وسائل السعادة ، وربما نشأ أفراد في مهد واحد واختلف ميلهم الى العلوم فبرز كل في العلم الذى وافق رغبته ووجه اليه همته ، كأبناء الأثير الثلاثة على ^(١) الملقب بزم الدين امام في التاريخ ، ومحمد ^(٢) الملقب بمجد الدين نحرير في الحديث والأدب ، ونصر الله ^(٣) الملقب بضياء الدين بارع في الأدب وتحرير الرسائل . وكثير من علمائنا كانوا يدرسون علوما مختلفة يلبغون في بعضها الذروة ويكتفون في بعضها بالمقدرة على تدريسها أو تحقيق مباحثها عند الحاجة فهذا أبو اسحاق الشاطبى تقرأ له كتاب الموافقات فحس أنك تلقى الشريعة من امام أحكم أصولها خبرة ، وأشرب مقاصدها دراية ، ثم تقرأ شرحه على الخلاصة في النحو فتشعر بأنك بين يدي رجل هو من أغزر النحاة علما وأوسمهم نظرا وأقواهم في الاستدلال حجة ، والقاضى اسماعيل من فقهاء المالكية البالغين درجة الاجتهاد في الفقه قد سمت منزلته في العربية حتى تحاكم اليه علما من أعلامها في مسألة وهما المبرد وعلب .

وكبير الهمة في العلم يريد أن يكون النفع بعلومه أشمل ، ومما يدرك به هذا الغرض احترامه لأراء أهل العلم ، ولا نعتى باحترامها أخذها بالقبول والتسليم على

(١) صاحب كتاب الكامل المعروف بآراء ابن الأثير (٢) صاحب كتاب النهاية في غريب الحديث وجمع الأصول في أحاديث الرسول (٣) صاحب كتاب اللؤلؤ السائر

أى حال ، وانما نريد نقدها بثبت ، وعرضها على قانون البحث ، ثم الفصل فيها من غير تطاول عليها ولا انحراف عن سبيل الأدب في تنقيدها ، والفطر السليمة والنفوس الزاكية لا تجد من الاقبال على حديث من يستخفه الفرور بما عنده مثل ما تجد من الاقبال على حديث من أحسن الدرس أدبه وهذب الأدب منطقته .

واذا كان الاستاذ كمدرسة يتخرج في مجالس درسه خلق كثير فعقيق عليه أن يكون المثال الذى يشهد فيه الطلاب كيف تناقش آراء العلماء مع صيانة اللسان من هجر القول الذى هو أثر الاعجاب بالنفس ، والاعجاب بالنفس أثر ضئف لم تتناوله التربية تهذيب .

كبير الهمة يستبين خطأ في رأى عالم أو عبادة كاتب فيكتفى بعرض ما استبان من خطأ على طلاب العلم ليفقهوه ، ويأبى له أدبه أن ينزل الى سقط الكلام أو يخف الى التبجح بما عنده . وقد حدثنا التاريخ عن رجال كانوا أذكىاء ولكنهم ابتلوا بشئ من هذا الخلق المكروه فكان عوجا في سيرهم ولطخا في صحفهم ، ولو تحاموه لكان دكرهم أعلى ، ومقامهم في النفوس أسى ، ومنزلتهم عند الله أرق .

وخلاصة المقال تذكير النهاء من نشئنا بأن يقبلوا على العلم بهمهم كبيرة : صيانة الوقت من أن يتفق في غير فائدة ، وعزم يبلى الجديدان وهو صادم صقيل ، وحرص لا يشقى غليله الا أن يفترق من موارد العلوم باكواب طافحة ، وغوص في البحث لا تحول بينه وبين نفائس العلوم وعودة المسلك ولاطول مسافة الطريق ، وألسنة مهذبة لاتقع في لغو أو مهارة .

ذلك عنوان كبر الهمة في العلم ، وذلك مايحمل أوطاننا منبت عبقرية فائقة ومطلع حياة علمية رائدة ، وما نبتت المبقرية في وطن نباتا حنا ، الا كانت أرضه كرامة وسماؤه عزة وجوابه حصانة ومنعة .

محمد الخضر حسين

التفسير

تفسير قصة شعيب عليه السلام

- ٨ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حدثناك فيما سبق أن رسول الله شعيبا عليه السلام شرع يبين لقومه الأمور التي يجب عليهم أن يرووها ليصلوا بمد رؤيتها والتدبر فيها إلى العلم الصحيح واذك تلك تعجلى لهم حقيقة رسولهم الكريم ورسالة الالهية ويعلمون أنهم قد ارتكبوا بما زعموه انما عظيما .

كذلك ينالك أمراً من تلك الأمور التي لفتهم إليها ، وهو البيئة من ربه عز وجل ، وسنشرع الآن في بقيتها بتوفيق الله تعالى فقول :

الأمر الثاني : هو ما ذكره عليه السلام في قوله (وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا) الرزق هو النصيب الذي يناله الانسان من وسائل المعيشة في هذه الحياة وهو نوعان ، رزق قبيح وهو المحرم الذي يناله الانسان من طريق محرم غير مشروع ورزق حسن وهو الحلال الذي يناله من الطريق الحلال المأذون فيه .

ثم انه عليه السلام أعلمهم بقوله (وَرَزَقْنِي) أن الله تعالى قد تفضل عليه بالرزق كما أعلمهم أيضاً بقوله (مِنْهُ) أن هذا الرزق انما هو من الله تعالى وحده لم يجز على يد أحد من الخلق حتى يكون لغير ربه عز وجل فضل عليه أو مينة كما في عطايا الأمراء وهبات الأغنياء وأن هذا الرزق أيضاً رزق حسن حميد .

ثم أن اطلاق حسن هذا الرزق يتم حسنة في الكمية والمقدار فكان لذلك رزقا

كثيراً واسعاً ، كذلك يمُّ حُسْنُهُ في الكيفية والصفة حتى صار رزقاً لا قبح فيه ولا تَبَعَةٌ ولا شائبة شبيهة .

فقد ظهر لك أن قوله عليه السلام لقومه (وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا) قد تضمن عِدَّةَ نِعَمٍ عظمى هي أنه مرزوق لا محروم وأن الفضلَ والمِنَّةَ عليه في هذا الرزق انما هما لله لا لأحد من المباد وأن هذا الرزق جليل القدر جميل العاقبة لا تَبَعَةٌ فيه ولا عتابَ عليه . فهو عليه السلام قد أُسِفَتْ عليه هذه النعم الجزيلة مع أنه اذا كَال أو وزن أو فَنَى المكيالَ والميزانَ بالقسط ولم يَكْسِبْ إثمًا من الآثام التي كَسَبوها على أنفسهم شرارةً وطمعا وأكلا لأموال الناس بالباطل .

أفلم يكن من الواجب على أهل مدين حينئذ أن يَرَوْا ما عليه رسولهم في شأن رزقه هذا فيعلموا صدقه فيما دعاهم اليه وأنه انما بلغهم عن ربهم فيؤمنون به ويسلكون طريقته ويتبعون سنته ويتهمون عن التطفيف والبخس وسائر ما اجترحوه من السيئات في جنب الله تعالى وجنب عباده وحينئذ يرزقهم الله رزقا حسنا ويحييهم حياة طيبة مثل رسولهم ؟

اذا علمت أن رزقه عليه السلام كان رزقا حلالا رغدا محمودا علمت أيضا أن قوله (وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا) ينظر الى معنى قوله في آية أخرى (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَالِينَ) لأن الله تعالى قد تفضل عليه وكَمَلَ له رزقه وأجره الحسن كما تفضل بذلك أيضا على سائر رسله لِتَعَمَّ كل أمة ان رسولها لم يدعها الى مَادعائها اليه مُسْتَجِدًّا أو مُحْتَالًا أو مُتَكَسِّبًا بدعوى الرسالة .

ولما كان الحديث في شيء مذكرا بنظير ذلك الشيء، ساغ لنا أن تنبه المسلمين على أن كل من تَزَيَّنَا بِزِيِّ الصلاح وتردَّى برداء التقوى ثم جعل ذلك وسيلة يخدع بها الناس ويغرهم في دينهم وحالته يتصيد بها أموالهم ويسلب ما في أيديهم كل أولئك طوائف جهال قد اتخذوا دين الله هُزُوا وانحرفوا باتباعهم عن صراط الله المستقيم واستحلوا أكل أموال الناس بالباطل واحلوا أنفسهم واتباعهم دار البوار فضلوا وأضلوا (وَلَيَحْمِلُنَّ

أَتَقَالَهُمْ وَأَتَقَالَا مَعَ أَتَقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِمَّنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ . الْأَسَاءَ مَا يَرْثُونَ) .
 الأمر الثالث : هو قوله عليه السلام (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ) قد عرفت مما تقدم الأشياء التي نهام عنها فاما المخالفة الى الشيء فهي أن يقصد الإنسان الشيء ويتوجه اليه ليفعله هو بعد أن ينهى غيره ويصرفه عنه ليستقل هو بفعله ويستأثر وحده بمنفعته المزعومة . فهو عليه السلام يبين لهم بهذه المقالة أنه ما يريد بنهيهم عما نهام عنه أن ينصرف اليه وينفرد بفعله بعد أن يتركوه ليختص بمزاياه وفوائده التي توهموها ، والدليل على أنه ما يريد ذلك أن الله جل ثناؤه قد رزقه من لَّدُنْهُ رزقا حسنا لا يستطيعون الى إنكاره سبيلا ، فحاشاه بعد ذلك أن يخالفهم الى ما نهام عنه فانك لا تجد عافلا مافد رزقه الله رزقا حسنا حلالا طيبا كفافا ثم يبيد الى الاستزادة من طريق محرم ذميم . فلما كان ذلك لا يقع من عاقل مافا ظلك برسول كريم على ينة من ربه وقد رزقه من لَّدُنْهُ رزقا حسنا وهو رسول الله شبيب عليه السلام .

الأمر الرابع : هو قوله عليه السلام (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ) بعد أن نفي عليه السلام عن نفسه تلك الارادة القبيحة وهي مخالفتهم الى ما نهام عنه أثبت الارادة الحسنة وشرحها لهم شرحا اذا عقلوه علموا أنها ارادة صالحة وأن عمراتها الطيبة انما هي عائدة عليهم وهم المتفعون بها .

يقول لهم عليه السلام : ما أريد بنهي لكم عن السيئات ولا بأمرى لكم بالحسنات الا اصلاح احوالكم الدنيوية والأخروية وتقويم ما اعوج من شؤونكم في معاملة ربكم ومعاملة عباده ثم أعلمهم أن هذا الاصلاح الذي يريد لهم انما هو الاصلاح الكامل الشامل لجميع منافعهم لا الاصلاح في الجملة أيا كان وهذا هو قوله (مَا اسْتَطَعْتُ) أي ما دمت مستطيعا له فلا أضيع وقتا أمكن فيه من الاصلاح ولا آلو جهدا في بذل نصيحتي ووعظي اياكم .

لعلك قد فطنت الى أن هذه المقالة الرابعة وهي (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ)

استطعت) كما شرحت ما أراده من النهي كذلك شرحت ما أراده من الأمر فان
الاصلاح يترتب على أمره ونهيه معاً فالارادة هنا شاملة لها أما في المقالة الثالثة فهي خاصة
بارادة النهي بدليل قوله عليه السلام (إِلَى مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ)

الأمر الخامس : هو قوله عليه السلام (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ) توفيق الله جل
ثناؤه للعبد هو أنه يرشده الى طريق الحق والصواب ثم يمدّه بمعونه ويحوطه بحفظه
في أثناء سيره في ذلك الطريق الى أن يبلغ نهايته ونظيره أن ترشد غيرك الى طريق
السلامة ثم تسير معه فيه حتى يصل الى غايته .

أخبر عليه السلام قومه أنه ما يريد الا اصلاحهم جهد استطاعته ثم أخبرهم بمد هذا
أن توفيقه لما أراد وتسيديته للصواب في جميع شؤونهم التي منها اصلاحهم واصابته الحق
الذي يرضاه الله سبحانه انما هو بالله التقدير وبحسن تأييده ومعونه وحياطته فاذا ما وفقه
الله تعالى لذلك استطاع أن يصلحهم وقيمهم على الصراط السوي فهو عليه السلام يعلمهم
أن الأمور جميعها في جملتها وتفصيلها راجعة الى الله وحده لا شريك له فيها ولا مزاحم كما
قال عز سلطانه (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) .

أخبرهم بهذا يعلمهم أن العبد مقتر كل الافتقار الى ربه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا
الا بمعونه سبحانه وليبين لهم أن اصلاحهم مستند في الواقع وراجع الى الله الذي بيده
ملكوت كل شيء وما شيعب عليه السلام الا مظهر من مظاهر أفعال الله تعالى
ووسيلة من الوسائل التي قضت بها حكمته البالغة .

الأمر السادس : هو قوله عليه السلام (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) قد مضى لنا القول في

معنى التوكل في المدد الأول فارجع اليه اذا شئت

أخبرهم عليه السلام أنه يعلم أن توفيقه لما أراد انما هو فيض يفيضه الله تعالى عليه
ثم أخبرهم هنا بأنه عامل بذلك العلم ولهذا التجأ اليه سبحانه واتخذ وكيلاً فيما يأتي ويذر
ومن ذلك اصلاحه لهم بقدر استطاعته قاصراً توكله على ربه جلّت قدرته معرضاً عن
الاستظهار والاتصار بنيره من الخلق لأنهم (لَا يَمْلِكُونَ لِيَنْفِيسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا
يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً)

الأمر السابع : هو قوله عليه السلام (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) الابادة الى الله تعالى التي هي وصف المؤمنين الأخيار هي أن يَرْجِعَ العبد رجوعاً بالفعل لا باللسان في وقت أمْنِهِ وسلامَتِهِ مختاراً الى الله سبحانه يقول لهم : انني أَرْجِعُ بالفعل في كل شؤوني الى ربي جل ذكره مختاراً طائماً اذا كنتُ في نعمة وخير منه وفاء بحق فضله على وشكر آله على نعمته فأذْكُرُهُ وأعرفُهُ في وقت يُشْرِي ورَخائي . لِيَذْكُرَنِي ويَمُرَّ فني وقت عسري وبلائي . وفي هذا نَعْيٌ على أولئك السفهاء الكاذبين الذين اذا كانوا في نعمة ووسر وصحة وأمن نَسُوا الله وكانوا من الغافلين ، واذا نزلت بهم كارثة من فقر أو عسر أو مرض أو خوف تذكروا ربهم وجأروا ضارعين اليه ثم اذا كَشَفَ عنهم ضرُّهم مرُّوا كأنهم لم يَدْعُوا ربهم الى ضرِّهم .

وفي القرآن الكريم كثير من الآيات في شأن أولئك الغافلين عن ربهم الكافرين بنعمه عليهم فمنها قوله تعالى (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُبِينِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) ومنها (وَإِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ مُغْرَضًا وَنَسَا بِجَانِبِهِ . وَإِذَا مَسَّ الشَّرُّ فَذَوْ دُعَاءٍ عَرِيضٍ) .

واجمال ما سبق أنه عليه السلام شرح لهم ما أراد من نهيهم وأمرهم لهم وهو إصلاح شؤونهم وتقويم أمورهم وأنه ما يريد محالقتهم الى ما ناهىهم عنه ايشارة لنفسه عليهم كذلك شرح لهم بقوله (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ) الآية التوحيد الخالص الذي يجب على العباد جميعاً أن يَدِينُوا به لربهم الذي خلقهم ثم رزقهم ثم يُمِيتُهُمْ ثم يُحْيِيهِمْ ثم اليه يُرْجَعُونَ . هذا ولا يخفى عليك ما اشتمل عليه كلامه عليه السلام من محاسبة قومه ومجاملته لهم في محاوراته معهم ورفقه بهم في تليين قلوبهم واستئصالهم عما أُصْرُوا عليه من معاندته وجهودهم على بغيتهم وطفيتانهم مع الاخلاص وبذل الجهد الى غير ذلك مما لا يستطيع الاثيان بمثله الا رسول كريم عَلمَهُ الله من لدُنْهُ علماً وأذنبه تأديب النبیین والمرسلين . هكذا عاملهم عليه السلام ولسكنه ما آتس منهم الا تقورا منه واعراضا عنه وتكذيبا

له لهذا انتقل بهم سالك سبيل التخويف والتحذير فقال (وَبِأَقْوَمٍ لَا يُخْرِ مِنْكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصَيِّبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ) .

صدّر عليه السلام تحذيره تذكيرهم بما ينه ويمنهم من صلة القومية والقرابة التي توجب عليه الاخلاص في نصحتهم وبدل الطائفة في اصلاحهم ثم شرع يُقيم وجوههم ويُلَفِّتُ من نفوسهم الى ما جرى على الأمم الخالية عسى أن يزدجروا ويتمطّوا بهم فلا يُحَيِّقُ بهم مثلُ ما حاق بتلك الأمم من العذاب الذي امتأصلهم حتى جعلهم أثرا بعد عين وصاروا حصيدا كأن لم ينفوا بالأمس .

يقول عليه السلام : يا قوم لا يكن شقاقكم لي ومعاداتكم ابى سببا في أن يُخْرِ عليكم جرعة الكفر ويوقمكم في جريرة التكذيب بدينه وبرسوله فيصيبكم من العذاب والتنكيل بكم مثلُ ما أصاب قوم نوح عليه السلام من العرق وفيهم يقول الله تعالى (فَكَذَّبُوهُ ^(١) فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا . إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ^(٢)) .

أو مثل ما أصاب قوم هود عليه السلام من الريح الصرصر ^(٣) العاتية ^(٤) كما قال سبحانه (وَأَمَّا عَادُ فَاتَّبَعُوا رِيحَ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ^(٥) فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى ^(٦) كَأَنَّهُمْ أُغْمَرُوا ^(٧) نَحْلٍ خَاوِيَةٍ ^(٨) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ) .

أو مثل ما أصاب قوم صالح عليه السلام من الصيحة والرجفة ^(٩) كما حكاه تعالى في شأنهم (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِينَ ^(١٠) كَأَن لَّمْ يَنْفُوا ^(١١) فِيهَا إِلَّا أَنْ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا ^(١٢) لِمُودَ) (فَلَيْكَ يُؤْتِهِمْ خَاوِيَةً يَمَّا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) .

(١) ي صد، و صد عليه السلام (٢) عميان الحق (٣) شديدة الصوت (٤) الهوة الشديدة عليهم مع قومهم وشأنهم (٥) مسدات صوت (٦) مطروحين هالكي (٧) أمول (٨) ساقطة ذرعة (٩) رجحاج أرضهم ووزانها (١٠) هامدين خاضعين موتى لاجراكم بهم (١١) كأنهم لم يكونوا حقيقين فيها (١٢) هلاكاً وفناء

ثم انه بعد أن حذرهم ما أصاب تلك الأمم الثلاث ختم تحذيره بما أصاب قوم لوط عليه السلام فقال (وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ) أى إن لم تعتبروا يا قوم تلك الأمم الثلاث ولم تتعظوا بما صبه الله عز شأنه عليهم من أنواع العقاب والتدمير وزعمتم أن أعمالهم وزمانهم ومكانهم بعيدة منكم لا تكفيكم فى الاعتبار والاتعاظ بهم فاعتبروا بهذه الأمة قوم لوط عليه السلام فانهم شعب^(١) من الشعوب المهلكة وفريق قريب منكم ليس يبعد .

قَرُبَ مِنْكُمْ زَمَانُهُمْ فَلَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَدْعُوا نَسِيَانًا مَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ مَصَائِبَ كَفَرْتُمْ كَمَا قَرُبَتْ أَيْضًا مِنْكُمْ دِيَارُهُمْ فَسِيرُوا فِيهَا لَتَرَى أَبْصَارُكُمْ (إِذَا عَيَيْتَ بِصَافِرِكُمْ) جزاء المكذبين وكذلك قَرُبَتْ أَعْمَالُهُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَانْكُمُ وَيَايَمُ مَعًا قَدْ فَتَنَتْ^(٢) أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ^(٣) وَارْتَبْتُمْ^(٤) وَغَرَّتْكُمْ الْأُمَانُ^(٥) وَجَادَلْتُمْ بِالْبَاطِلِ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ وَحَارَبْتُمْ اللَّهَ رَبَّكُمْ بِارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَكَذِبْتُمْ الرُّسُلَ الصَّادِقِينَ فَكَا أَنْكُمْ جَمِيعًا سَوَاسِيَةً فِي هَذِهِ الْحَرَامِ وَالْخَافِزِ كَذَلِكَ تَكُونُونَ سَوَاسِيَةً فِي الْجَزَاءِ عَلَى شُرُورِ أَعْمَالِكُمْ بِالْأَهْلَاكِ وَالْإِسْحَاطِ مِنَ الْأَرْضِ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي الدُّنْيَا وَآمَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَأَشَدُّ وَأَتَقَى .

وجملة المني أن أعمالهم جميعاً قد اتحد جنسها وهو الكفر وارتكاب المآثم وأن تخالفت^(٦) فى بعض الأنواع .

من منظور

وكيل دار العلوم العليا سابقاً

(١) إشارة الى وجه افراد لفظ (شعب) دون أن يقول (بغير) (٢) حرقتموها من الإيمان (٣) تربيتهم للشر

للمؤمنين (٤) شككنم في دين الله وغيث حياء به (٥) ما يهبطوه من هزيمة الحق وانتصار الباطل

(٦) ولهذا التخالف في الأنواع عبر بما يبعد القرب للاتحاد بالسببة الى الاعمال .

اصْبُوا الدِّينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاسلام دين الفطرة

— ٨ —

(عود لبعض ما تقدم)

لقد عرضنا لموضوع جم المنافع موهور الشار غزير الفائدة لانكاد ننهي من طرف من أطرافه حتى يبدو لنا طرف آخر ولا يلحقنا توهم أننا ربما أسأنا بما كتبنا حتى نرى من جمهور القارئ وفيه الحمد من طلب المزيد ما يبعث فينا روح النشاط للزيادة من فوائده والاحاطة بما نستطيع من شوارده وما ظنك ببحر مدده الفيض الالهي وهدى أصله النور الرباني وهل نفترف الا من فيض الكتاب الحكيم الذي ما فرط الله فيه من شيء . (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ)

وموضوعنا اليوم تتميم لبعض ما سبق واستيفاء على قدر الطاقة لما فات ولنجعل ذلك في بابين «الاول» استدراك لبعض أحكام في المعاملات خوطبنا بشأن استيوائها وعلما بتطلع رغبات كثيرة لاستجلاء غوامضها والثاني» لتكميل موضوعات في الاخلاق غنت الشريعة الفراء أيا عناية بالتنويه بقدرها وشدت في الحث عليها وأوصت بالاستمساك بها .

فاما «الاول» فنعرض فيه شيء من جنس ما عرضنا له في باب المعاملات وهو تلك الانواع التي درج الناس على استحسانها وتوهموا فيها مصلحة تحتمها أو على الأقل تبررها وهل يعتبر الشارع تلك المصلحة فينبى عليها الحكم الذي يتناه الناس أو يهملها ولا يعتد بها فكون ذلك الحكم هدرًا أو ملغى لا يعتد به .

من ذلك أوراق الحظ و (ايانصيب) (الوتريه) وحاصل أمرها تعريض سلعة قيمة أو مقدار من المال يكون حصة واحدة أو حصصا متساوية أو متفاوتة . تعريض ذلك لصاحب الحظ الذي يصادفه ممن يتناع ورقة من أوراق كثيرة جدا يكون أخذوها قد خسروا مادفعوه فيها مهما قل ولم يصادفهم الحظ فياخذوا تلك الورقة السعيدة : يمرض بيت يساوى الف جنبه مثلا لياخذه صاحب الحظ الذي تتاح له تلك الورقة بجنبه وفي سبيلها يطبع عشرة آلاف ورقة يحدد لكل ورقة جنبه فيخسر تسعة آلاف وتسعمائة وتسعة وتسعون شخصا كل منهم يخسر جنبها ويستفيد صاحب البيت مضاعفة ثمن يته عشرة أضعاف ويستفيد صاحب الورقة السعيدة بجنبه ما قيمته الف جنبه وهو ما يبعث الطمع في قلوب الباقيين ، وهل في القمار غير هذا وهل خرب بيوت المقامرين غير ذلك الطمع الاشهي ؟ يدخل المقامر وهو ممتلئ الجيب مالا والنفس آمالا وربما كان ماله من الضروري لحياته وحياة ذويه أو من أمانات في عهده يفضى التصرف في دائق منها على مستقبله وشرفه وحرته ومركزه فتجىء تلك الآمال الواهية الواهنة فتلعب برأسه على ضعفها لعب القوى الجبارة . استغفر الله فليس شأن القوى اللعب بل أقوى اللعب لعب الضعفاء كلعب النساء والاطفال — فإهي الا عشية لم يلحقها ضحاها حتى يجد حبيبه فرغ من المال ورأسه فرع من العفل ونفسه فرغت من الامل . ولكن ما أسرع ما ينفذه الحرص على استعادة ما فقد فيتمناه غميا شديدا لا زال يقوى في نفسه حتى يخيل اليه أنه على حبل ذراعاه بل في تناول يده وليس يمه وبينه الآن يقف على المائدة الخضراء مائدة الجوع والعري فيمد يده لياخذ ما أخذه زميله منه بل أكثر بل أضعافه ولم لا وزيله لا يمتاز عنه بشيء من انتباه أو تيقظ فيقع ما وقع في المرة الاولى وهكذا دواليك حتى يحيط به اليأس ولا يجد المخلص للنفس الا بازهاق النفس .

ماننا ولهذا ان هذا الكلام في المقامرة والموضوع كان في أوراق النصيب ؟ على رسلك أيها القاري ، وهل أوراق النصيب غير المقامرة ؟ انها هي ، غاية الامر أنها مقامرة سنوات مكشوفة والمسر مقامرة ساعات غجوة فالفرق بينهما كالفرق بين

سم ساعة وسم سنة ، ان مشترى ورفه النصب يشتريها لانه سيكسب أضعاف قيمتها وان فشل في واحدة أو عشرة أو مائة فان واحدة ستعود عليه بالف لاحالة هكذا يظن أو هكذا يتخيل ثم يجعل مآخيله حقيقة واقعة ولا يزال هذا ديدنه يذهب ماله دراهم معدودات متتالية وتذهب نفسه حشرات متواليات حتى يأتيه أمر الله بالدمار أو بالممات والوافف أمام مائدة الميسر يسكب ماله دفعا غزيرة طامعا في أرباح وفيرة واذا به لاغزير الا دموعه ولا وفير الا همومه ، فهما من واد واحد وان اختلفت الاسماء والمظاهر . ويعجبنى تصوير مائدة الميسر بمائدة في وسطها خرق يتدحرج عليها المال بينة ويسرة وكلما تحرك سقط منه جزء في الحرق وهو ما يأخذه مدير نادى الميسر والحركة لاتنقطع وسقوط المال فيها لاينقطع الا باستيعاب الاجزاء الساقطة للعال الموضوع فلا فرق في الحسرة بين الغالب والمغلوب فكل غالب سيمود اليها بكل ماكسب فيعرض لذلك السقوط حتى يكون الكل قد ذهب .

ولعلك تقول اذا كان الامر على ماوصفت فلماذا أباحث القوانين الوضعية أمر ايانصيب في حين أنها حظرت الميسر ؟ . وأقول لك ليس من غرضى في هذا المقام التكلم عن القوانين الوضعية وانما انظر الى الاحكام الشرعية ومع ذلك فان القوانين لم تبجحها باطلاق وانما رحصت لبعض الجهات التى تراها خيرية أو لمشروعات نافعة تقوم ببعض مصالح عامة وتحتاج الى المساعدة ، رخصت لها أن ترتكب هذا الامر المحظور باصلا لتصل الى مساعدات من الجمهور الذى قصر عن ادراك قيم المصالح العامة ووجوب النهوض بها ومساعدتها ففى تكاد تشبه الانتقام من تلك النفوس الجامدة على الاموال بابتزازها منها بتصوير أنه اعطاء لها وكل من عرف مايدور بخلد المقبلين على مشترى تلك الاوراق لايتخالجه شك في أنهم انما يشترونها طمعا في مصادقة السادة من غير طريقها المأمون ونحن لانرى في هذه النية مهما كانت حسنة مايؤوغ الثفرير بالعدد العديد من البسطة المعوزين فياليت لا ولا ، وان الترخيب في صنع الجليل وفعل الخير وتصويره بصورته الحقيقية وبيان مايعود من نفعه على المجتمع الذى نحن منه وانه سينالنا من فوائده بطريق غير مباشر أضعاف مايندله في سبيله

ينفى عن سلوك هذه الطرق الموجه ويحمل فصل الخير وبين نية الخير فلا يقبه
الاسف ولا الحسرة على ما فات ولا يسوقه الطمع الكاذب ولا ينحصر في البله
البسطاء ولا ينتفع فرداً أو أفراد بلا حق على كاهل أفراد لا يحصون يصيبهم الضرر والحسرة
بلا ذنب جنوه سوى قصر عقولهم، أين انتفع الحاصل من هذه الطرق المتتوية الموجهة من النفع
الحاصل بغرس تلك البذرة المباركة المستفاد من الحديث الشريف «المؤمن للمؤمن كالبنيان
يشد بعضه بعضاً» أو «مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم كمثل الجسد الواحد
إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» تألقه ما حذر الدين على
الناس باباً من أبواب النفع الا وعوضهم ما هو خير منه مما لم يحتو على شروبه
واضراره ولكن الناس ينظرون الى كل حكم على حياله ويفعلون النظر الى الدين
في جنته ولقد صدق جل وعلا في خطابه نبيه الكريم بقوله (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَالَمِينَ)

ولقد يشبه هذا من بعض الوجوه أنواع من اللهو والحلاعات ترتكب علناً
وتسوغها القوانين الوضعية وتستر فبعضها بتسميتها بغير أسمائها كبعض أنواع
(الفنون الجليلة) نحن لانمادى الجمال ولا ننفر منه والدين لا ينفر من الجمال حياً
كان أو متوياً ولكن لانظم الجمال فتضعه برغمه لاشنع المساوىء والقبائح ونرى به
نفوساً ملكها الاستهتار حتى لا تستطيع منه الفرار فحبسها مراكب في أصل خلقتها
من تسلط حب الملاد الدنيئة عليها (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ) بل يجب تهذيبها بما
يعدل هذه الصمات الحيوانية فيها لا أن تلهب نارها ويذكر سبورها ، ليس من
الجمال في شيء ما يكون فيه انتهاك الحرمات وإبذال المروآت وهتك أعراض الفتيات
المصونات ، ستقول لى المصونات، واقول لك واى الفتيات لا يرضيك أن يكس
مصونات ؟ تذكر ماسبق من أن المؤمنين كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له
سائر الأعضاء بالسهر والحمى وإن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وتذكر
قوله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) وقل لى بربك واصدقنى في جوابك أيرضيك أن

أن أختك تقف أمام جمهور النظارة ذلك الموقف المخزى المنجل الذي تشاهده في
مظاهر العنود الجلية ؟ ستمتع منى في هذا السؤال اذ ذكرت كلمة الاخب مضافة
اليك مما يشير غضبك وانا اتحمل منك هذا الغضب الذي انتظره واشكر لك هذه
الماطفة عاطفة الفيرة الشريفة واحتج بها عليك بمقتضى قوله جل شأنه (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ
إِخْوَةٌ أَفْهَى أُخْتِكَ غَضِبْتَ أَوْ رَضِيتَ وَلَكِنَّكَ تَغْفُلُ عَنِ الرَّابِطَةِ الَّتِي تَرِبْتَ بِهَا
حَتَّى لَوْ لَمْ تَشَارِكْهَا فِي الدِّينِ لَكَانَ لَهَا بِكَ رَابِطَةٌ الْإِنْسَانِيَّةُ الَّتِي تَسْتَوْجِبُ شَفَقَتَكَ
عَلَيْهَا وَإِنَّكَ لَا تَرْضَى لَهَا إِلَّا مَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ وَإِلَّا فَانْكِ إِذَا زَيْنَتْ لَهَا مَا لَا تَرْضَاهُ
لِنَفْسِكَ كُنْتَ مَغْرُورًا غَاشَا خَدَاعًا وَلَا تَفَالُطُ نَفْسَكَ ، وَقُلْ لَهَا قَوْلًا صَرِيحًا إِلَى
أَخْذِكَ وَاعْبَثْ بِعَقْلِكَ وَازَيْنْ لَكَ مَا لَا أَرْضَاهُ لَأَمِي وَلَا لِأَخْتِي وَلَا لِبَنَتِي ، بَلْ إِنَّكَ
إِذَا ذَكَرْتَ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ أَوْ مَرَّتْ بِسَمْعِكَ شَعَرْتَ بِتَقَرُّزٍ وَتَحَرُّكَ نَحْوَتِكَ فَإِذَا
كَرَّرْتَ عَلَى سَمْعِكَ هَاجَ غَضَبُكَ وَثَارَتْ ثَائِرَتُكَ ، إِنَّكَ أَيُّهَا الدَّاعِيَةُ لِتَرْوِيجِ الْفَنُونِ
الْجَلِيلَةِ عَلَى ذَلِكَ النِّجْوِ الْمَقْوُوتِ الْمَرْغَبِ لِدَوْلِ الْعَقُولِ الْقَاصِرَةِ فِي خَوْضِ حَمَاتِهَا وَالْإِرْتِكَاسِ
فِي قِذَارَتِهَا بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَمَّا أَنْ تَقُولَ هُنَّ لَسْتَنَ مِنِّي وَلَسْتَ مِنْكُنَّ فَلَا أَغَارُ عَلَيْكُنَّ
وَلَا تَتَحَرَّكُنَّ نَحْوِي لَكُنَّ وَلَسْتَنَ إِخْوَاتِي وَلَسْتَ بِأَخٍ لَكُنَّ وَإِنَّمَا أَنْتَنَ فَرَأْسُ أَقْصَى
مِنْهَا لِبَانَاتِي عَلَى أَى وَجْهِ كَانَ ، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ صَادِقَ الْحَدِيثِ غَيْرَ مَسْمُوعِ النَّصِيحَةِ
فَلَيْسَتْ مِنْكَ نَصِيحَةٌ وَإِنَّمَا هِيَ دَعْوَةٌ لِلشَّرِّ وَالصَّرِّ وَإِنَّمَا أَنْ تَقُولَ لَا بِلَ نَحْنُ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ
مُرْتَبِطَةٌ بِأَمْنِ الرِّوَابِطِ وَإِنِّي أَغَارُ عَلَى الْفَرْدِ مِنْ أُمَّتِي كَمَا أَغَارُ عَلَى الْفَرْدِ مِنْ أَسْرَقِي
هَآ اْلأُمَّةُ إِلَّا أَسْرَةٌ كَبِيرَةٌ وَبِقَدْرِ شَعُورِهَا بِبَتَانَةِ رَابِطَتِهَا تَكُونُ قُوَّتُهَا وَمَتَانَةُ تَرْكِيبِهَا
وَعَلَى ذَلِكَ أَرْضَى لَكُنَّ مَا أَرْضَاهُ لِنَفْسِي ، فَاسْمَحْ لِي أَنْ أَقُولَ لَكَ إِنَّكَ مَا صَدَقْتَنَا
الْحَدِيثَ ، وَالْأَفْأَى عَظِيمٌ أَوْ حَقِيرٌ مِمَّنْ يَدْعُو إِلَى تَرْوِيجِ تِلْكَ الْمَخَازِي الْقَبِيحَةِ بِاسْمِ
الْفَنُونِ الْجَلِيلَةِ رَضَى أَوْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ مِنْ أَسْرَتِهِ بَلْ مِمَّنْ يَتَّصِلُ بِهِ وَلَوْ اتِّصَالًا
وَإِهْيَا مِنْ تَقِفِ ذَلِكَ الْمَوْقِفَ الْمَخْزَى الْمُنْجَلِ ، أَلَا فَلَنَعْلَمَ كَلَّنَا وَلَنَعْتَرِفُ أَنْ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْ أَوْلَئِكَ الدَّعَاةِ إِذَا عَرَضَتْ عَلَيْهِ خَادِمُ الْيَسْتَعْدِمِهَا فِي مَتَزَلِهِ وَيَخْلُطُهَا بِأَسْرَتِهِ

ثم نعى له عنها أنها شخصت في ساحة الملهى نفر من استخدامهما مهما كانت مهارتهما في الخدمة وامانتها في المال وكفايتها في العمل اللهم الا ان كان له غرض آخر يخضع له ويرضى بهذا توصلا لذلك ، وان الحجة له في الرفض كلمة حقيرة تجرى على لسانه ولو لم يفكر طويلا فيقول لك مانا ولهذا نخططها بنسائنا وبناتنا فتعدى أخلافهن بالعدوى الدمية هذا هو الجواب لا أكثر ولا أقل والمشاهدات شاهد صدق . فلا تقولوا لنا اننا نخدم الامة بترقية وجدانها وتهذيب عواطفها وترقيق احساسها ومداركها وهلم جرا من تلك الكلمات المموله فاهى الا غطاء رقيق من الشهد على مادة من السم الزعاف الا فاعلموا أن مثلنا في تلك الدعايه التى تذيب الاخلاق والكرامة رويدا رويدا كمثل من يشوى لحوم أبنائه وبناته على نار لينه ليتلذذ بالتهاهما ويشقى مابه من شره وقرم محقوت .

نقد أشرت في حلى حديثى الى التمثيل بفن التمثيل وذكرت كلمه الشخصوس في ساحة الملهى ولم أسمح لقلمى أن يفصل ماتحتويه هذه الكلمة مما يعرفه من شاهده أو سمع به ، ولكن ما القول في أمر بلغ من الشناعة والقبح مايمد هذا بجانبه مقبولا مبرورا ؟ هل سمعت أن في بلدك هذا مدارس تسمى باسم مدارس الفنون الجيلة يتخذ فيها للدراسة نماذج من فتيات عاريات تمام العرى لاشيء مطلقا يتر شيئا من جدهن مطلقا، شابات سويات، جيلات بمقدار مايرضى الفنون الجنية يقفن أو يجلسن عاريات مكشوفات على أوضاع مختلفة بمقدار مايرضى الفنون الجيلة تتلى بهن أنظار شبان في مستقبل الشباب في دور التربية والتهذيب يصورون أعضاءهن من ظهر لبطن وما خفى فهو أفحش بل ماخفى شيء ، اللهم ان هذا منكر لايرضيك . وانى أمسك القلم واطبق القم ولاأريد أنأزيد فاللهم ايك المشتكى فوعزتك وجلالك انى لاتخنى أن يكون ماأبلغته من هذا مبالغة تجاوزت الحقيقة والله عليم بما في الصدور . اعلم ان الجلال حقا هو مااستريح اليه النفوس الكريمة ولانفرد منه الطباع السليمة وان الاتم ماحاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه غيرك .

دعنا من هذا وخض بنا في حديث غيره وابعد بنا عنه قليلا لعل أعصابنا تهدأ وروح عن نفسنا يذكر شيء يسريح له فكفى كفى هذا الآن لما كنا نحسب أن كلمة الجمال تستعمل هذا الاستعمال وقد قيل إن الله جميل يحب الجمال .

لقد قلنا في صدر هذه الكلمة إن موضوعنا اليوم تشيم لبعض ماسبق واستيعابه على قدر الطاقة لما فات وانا نجمل ذلك في بايين الاول استدراك بعض أحكام في المعاملات والثاني لتكميل موضوعات في الاخلاق واذا اجتزأنا الآن بما سبق في باب المعاملات هنروح النفوس باجتلاء محاسن من الاخلاق الجميلة التي عنيت الشريعة الفراء بالتنويه بها وشددت في الحث عليها .

وليكن كلامنا في ثلاثة أخلاق منها ، الصبر ، والصدق ، والامانة ، وانما عتينا بهذه الثلاثة لما لها من عظيم الاثر وكبير الخطر في تربية الفرد والامة وفي شؤون الدنيا والدين ولقد نطعننا هذه الثلاثة في عقد واحد لما بينهما من متانة الاتصال وسدة الارتباط فالصدق في القول فرع من الامانة المطلقة ولا يستقيم كلاهما الا لنفس اعتصمت بالصبر على ماتكره من الآلام والصبر عما يفوته عليها الصدق من الذائد التي تجسمها الاوهام فالصبر لاخويه هذين كالاساس الذي يبنى عليه وكالشرط الذي لا بد منه

الصبر : لقد ذكر الصبر في القرآن الكريم بكثرة قلما اتفقت لغيره من الفضائل لما علمت من أنه أصل جللها ان لم يكن لكليهما وذكرنا مقتربا بأشرف الاعمال والحلال كالصلاة في قوله جل شأنه (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) وكالحق في قوله عز وجل (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) وبيان أنه موهبة من الله في قوله تعالى (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِنَايِهِ) وتأيد الله لصاحبه بالمعونة في قوله عز من قائل (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) وكذلك شأنه في السنة جمل قرين النصر في حديث « واعلم أن النصر مع الصبر » الى غير ذلك مما يفوت الحصر فما هو الصبر وما أقسامه وما منمياته في النفس

التي رزقت حظاً منه وما الذي يفرسه في نفس حرمت حفظها منه ثم ماهي آثاره في الدين والدنيا ؟ هذا هو ما نريد أن نتحدث اليك عنه في الجزء التالي ان شاء الله

ابراهيم الجبالي

مدرس قسم التخصص بالأهر

تأثير المضغ في الانتفاع بالاعذية

أُجريت ثلاث تجارب مختلفة في معهد الأبحاث الطبية الملحق بجامعة «هلسنغفورس» للتحقق من تأثير المضغ على الانتفاع بالأعذية ، فأخذ لذلك غذاء مركب من البطاطس والقمح والشعير والحم والقاصوليا والدهن ، وجُرب في مضغه ثلاث طرق للتثبت من مقدار ما يمتصه الجسم ويستفيد منه إذا مضغ قليلاً ثم إذا مضغ عازباً ثم إذا مضغ كثيراً ، فوجد أن المضغ المادى لا يختلف في التأثير للانتفاع بالغذاء اختلافاً كثيراً عن المضغ القليل أو الكثير ، ويرجع ذلك إلى أن الغذاء يجهز عادة على حالة يمكن معها للعصير الهضمي أن يؤثر فيه التأثير الكافي ، هذا فضلاً عن أن أجهزة الهضم الأخرى في جسم الإنسان يتم أحدها عمل الآخر ، فإذا لم يكمل الإنسان مضغ الغذاء على الوجه اللازم فتسوى أجهزة الهضم الأخرى هذا النقص ، على أن ذلك لا ينبغي أن يحرض على التساهل في عملية المضغ لأن هذه التجارب أجريت على أصحاء البنية ، وهناك حالات أخرى قد تسبب أمراضاً كثيرة إذا كان الهضم بواسطة الأمعاء محتلاً مثلاً .

(مترجمة عن مجلة Kosmos الألمانية)

الفتاوى والأحكام

دفع شبهة في حديث

ورد إدارة المجلة من حضرة الفاضل صاحب التوقيع ما يأتي بعد الديباجة :

س :- جاء في كتاب السيرة النبوية لمؤلفه السيد احمد زين المشهور « بدخلان » في باب معجزاته (صلى الله عليه وسلم) ان من معجزاته صلى الله عليه وسلم اجابة دعائه لمن دعا لهم أو عليهم إلى أن قال في صفحة ٢٣٠ وقد دعا على صبي قطع عليه صلاته أى مر بينه وبين سترة أن يقطع الله أثره فأقعد ، قال ابن مهران . رأيت مقعدا بثبوك يسمى يزيد بن بهران فسأله « أى عن سبب افصاده » فقال مررت بين يدي رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وهو يصلي فقال : اللهم اقطع أثره : فامشيت بعد ، انتهى . فكيف يتفق هذا ياسيدى مع قوله « صلى الله عليه وسلم » رفع القلم عن ثلاث وعدة منهم الصبي حتى يبلغ وكيف يليق هذا بمكارم أخلاقه عليه أفضل الصلاة والسلام ؟

محمد أحمد عبد المجيد

بنى مزار

ج :- الحديث ضعيف على ما صرح به الشهاب الخفاجي في شرح الشفاء بل مال الحافظ الذهبي الى أنه موضوع وإذا ينهار الاشكال من أساسه على أن العلماء أجابوا عنه على فرض صحته بأجوبة عديدة فقال البرهان الحلبي ، ان الأحكام كانت متعلقة بالصبيان في أول الأمر كما هي متعلقة بالبالغين فكان شرطها العقل والتمييز لا البلوغ ثم نسخ ذلك بعد أحد على ما قاله السبكي وبعد الهجرة على ما قاله غيره على أننا نرى أن الصبيان يؤدبون في بعض المسائل وقد جاء في الحديث (واضربوهم عليها « أى الصلاة » لعشر) وأجاب بعضهم أن ذلك من باب خطاب الوصع الذي لا يشترط فيه البلوغ كاتلاف الأموال الذي يوجب القيمة في مال الصبي فلعل هناك من التأديبات ما يشبهه ، وبعض آخر بان النبي صلى الله عليه وسلم أطلعه الله على ما في نفس الصبي من خبث وما في استعداده

من شر يؤذى به الناس فكان حيرا له وللناس أن يكون مقعدا كما أطلع الله الخضر على ما سيكون من الغلام الذي قتله لوطي وادكر أن السيوطي حقق أن الأنبياء قد يحكمون بالباطن الذي أطلعهم الله عليه ولا بدع في ذلك بعد معرفة القضاء السابق والأذن من الله تعالى وكثيرا ما يخالف الباطن الظاهر وإن كنا مقيدين بالطواهر لأنه لا يمكننا تحطيتها ولا معرفة ما وراءها فلا يجوز لنا فتح هذا الباب لئلا نضل فيه ضلالا بعيدا ونقول من وجه آخر إن عدم المؤاخذه الذي ورد في حديث رفع القلم عن الصبي إنما هو في الآخرة لا في الدنيا والعالم ههنا عالم أسباب ومسببات بحيث تجري أحكامه على كل من برز إلى هذا الوجود لا فرق بين صغير وكبير ولهذا نرى الآلام والبلايا تعترى الصبيان كما تعترى البالغين ، ويجوز أن يكون قد دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم في حال تأثره الشديد بقطع مناجاته تأديبا له على فعلته الشنعاء حتى إذا عرف ذلك كان زاجرا له أن يعود إلى مثلها وما كان من قصده صلى الله عليه وسلم قطع أثره حقيقة وإعماؤه جار على ماهو العادة من جمل الجزاء من جنس العمل والدعاء بذلك عند مقتضيه فوافق وقت إجابة سبق بها القضاء الإلهي ، ويصح أن لا يكون عالما تمام العلم أنه صبي أو لم يتنبه لذلك صلى الله عليه وسلم كما يجوز أن يكون ذلك المقعد قد أراد أن يستدر لنفسه عند السامع فيما فعل من قطع الصلاة فذكر أنه كان صبيا ولم له كان بالغاً أو يشبه البالغين ويصح أن يحجب عن الاشكال بأنه أريد بالصبي في الحديث ما يزد بالغلام والغلام كما في القاموس يطلق على الكبير وفي حديث المعراج أن موسى عليه السلام قال في حق النبي صلى الله عليه وسلم هذا غلام بمث بعدى يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمته وقد رأينا أن نقف السائل على ما قيل أو ما يمكن أن يقال وله الرأي فيما يرجح أو يضمف وفيما يقبل أو يرد فليس من غرضنا مناقشة الأجوبة ولا الموازنة بينها ولا داعي للاسترسال في ذلك بعد ما عرفت أن الحديث ضعيف أو موضوع .

حكم القراءة للأموات

وجاءنا من حضرة الفاضل صاحب التوقيع ما يأتي :

س : هل ينتفع الميت بقراءة الفاتحة وما حكم الصدقة والدعاء له
المقصود
ابراهيم أحمد علي

ج : — الصدقة يصل ثوابها إلى الميت قطعاً وكذلك الدعاء ولا نعلم في ذلك خلافاً لأن الأحاديث الصحيحة مصرحة بهما في مثل قوله صلى الله عليه وسلم (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) وقد ضم العلماء إلى هذه الثلاثة أشياء أخرى وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن رجلاً قال يا رسول الله أن أمتي توفيت أينفعها أن أتصدق عنها، قال نعم. قال إن لي غرافاً ما أشهدك أن قد تصدقت به عنها» أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي (الخرفاء الحديقة) وعن سعد بن عباد رضي الله عنه «قلت يا رسول الله إن أمتي ماتت فأى الصدقة أفضل؟ قال الماء: لحفر بئر أو قال هذه لام سعد» أخرجه أبو داود والنسائي. ولا يمتنع هنا إلا القراءة فنقول إن ثواب القراءة يصل إلى الميت على الصحيح الذي هو مذهب الجمهور وقال بعض العلماء أنها لا تصل تمسكاً بقوله تعالى «وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» وليس في ذلك متمسك لمن تمسك به فقد أجاب عنه العلماء بأن هذا في حق الكافر لا المؤمن وبأنه يان للعدل فيجوز أن يمطيه الله جزاء ما سعى وما لم يسع من باب الفضل والفضل لا حرج عليه ويدل على ذلك القرآن نفسه فقد قال تعالى «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» وقالت الملائكة في دعائهم للمؤمنين «رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ» وقد صرحنا السنة بوصول ثواب أعمال الخير للأموات فقد أخرج مسلم عن بريدة (أن امرأة قالت يا رسول الله إنه كان علي أمتي صوم أفيجزى أن أصوم عنها قال نعم قالت فإن أمتي لم تحج قط أفيجزى أن أحج عنها قال نعم) إلى غير

ذلك من الأحاديث الصحيحة وفي بعضها. «أرأيت لو كان على أمك دين، كنت تقضينه» قالت نعم قال «فدين الله أحق بالقضا» ففتح لنا صلى الله عليه وسلم باب القياس في المسألة بين عبادة وعادة وقد أفاض في ذلك العلامة ابن القيم في كتاب الروح، على أنه ورد في ذلك أحاديث تصرح بوصول القراءة إلى الأموات وقد عمل بها المسلمون خلفا عن سلف فكان إجماعا عمليا من الأمة التي لا تجتمع على ضلالة، فمن ذلك ما أخرجه أبو دواد من قوله صلى الله عليه وسلم «اقرأوا على موتاكم يس» على ما يتبادر منه ومن ذلك قوله عليه السلام «من دخل القبور فقرأ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» إحدى عشرة مرة ثم وهب أجرها للأموات أعطى من الأجر بمعد الأموات» أخرجه الدار قطني «وأخرج الطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إذا مات أحدكم فلا تحبوه وأسرعوا به إلى قبره وليقرأ عند رأسه فاتحة الكتاب» ولفظ البيهقي «فاتحة البقرة» «وعند رجليه بحاتمة سورة البقرة» إلى غير ذلك من الأحاديث التي يعمل بها في مثل هذا الموضوع، ولتعلم أن العلماء قد نصوا على أن الحديث الضعيف إذا تلقته الأمة بالقبول وجرى العمل عليه كان له حكم الصحيح على أن في أصل المسألة أحاديث صحيحة كما أسلفنا وقد استدلل بعض العلماء على انتفاع الميت بالقراءة عند القبر بحديث السيب الذي شقه النبي صلى الله عليه وسلم اثنتين ثم وضعه على القبرين وقال «لعله يخفف عنهما ما لم ييبس» فإذا خفف عنهما بتسبيح الجريد فكيف بقراءة المؤمن القرآن.

والخلاصة أن جمهور العلماء يقولون بالوصول وأما بعض العلماء فقد عرفت استدلالهم وما قيل فيه وقد تركنا أجوبة كثيرة عن الآية التي استدلووا بها ويكفي ما ذكرناه في الموضوع فلنقتصر عليه كي نتفرغ لغيره من الموضوعات فإن بقيت شبهة لدى السائل هدنا إليه مرة أخرى

حكم التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم

وورد على الإدارة من حضرة العاصل صاحب الامضاء ما يأتي بعد الديباجة :

س :- نرجو من فضيلتكم التكرم بإزاحة الستار عن موضوع اهتزت له الآراء وتطاحت من أجله الجماعات رغبة في تمكين عرى العقيدة التي افلقت بال الكثير وهذا الموضوع هو التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى فقد تكلم في هذا الموضوع الكثير وذهبوا فيه مذاهب شتى حتى أن بعضهم يقول انه اشراك ... الخ

المنزلة محمود على احمد

ج :- ان التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم جائز ونافع وكان ينبغي ألا يكون فيه شبهة وقد ورد ذلك في الاحاديث الصحيحة كما استقف عليه عندما نقيض القول فيه بعد ولكر « نفيت » أولئك الملهوفين « الذين توسلوا اليه » بكلمة موجزة تأتي على الموضوع اجمالاً ونرجى القول في التفصيل وبيان الأدلة إلى عدد آخر فنقول : ان تلك الطائفة ارتكبت شططا وكفرت المسلمين لأوهى الأسباب غلطا ، والتكفير أمر كبير لا يصح لمسلم يشفق على دينه أن يقدم عليه خصوصا للمستبدلين أو المتأولين واني لا أدري كيف يكفرون من يقول : ان الله خالق كل شيء ، ويده ملكوت كل شيء ، ، واليه يرجع الأمر كله ، والمتوسل ناطق بهذا في توسله فان المتوسل الى الله بأحد أصفائه قائل إنه لا فاعل إلا الله ولم ينسب الى من توسل به فعلا ولا خلقا ، وإنما أثبت له القرابة والمنزلة عند الله تعالى ، وهي ثابتة لا شك فيها وبها يشفع صلى الله عليه وسلم للخلائق يوم القيامة ، وبهذا الاعتقاد الراسخ الذي يكاد يكون فطريا في النفوس كلها ذهبت الخلائق يوم القيامة إلى الأنبياء والمرسلين ليشفعوا لهم عند الله تعالى ، على أن المؤمن قد خرج من تلك الوسواس بمقتضى إيمانه بأن الله ليس له شريك وأن لا اله الا هو حتى أنالو رأينا أسند شيئا لغير الله عز وجل علمنا بمقتضى إيمانه أنه من الاسناد المحازي لا الحقيقي وقد قررنا ذلك في نحو قوله « أثبت الربيع البقل » وفرقنا بين صدوره من المؤمن وصدوره

من الكافر فالمستغني لا يعتقد أن المستغاث به من الخلق مستقل في أمر من الأمور غير مستمد من الله تعالى أو راجع إليه ، وذلك شيء مفروق منه ، ولا فرق في ذلك بين الأحياء والأموات ، فإن الله خالق كل شيء ولا تأثير عند الشيء في شيء ، بنفسه ، فهذا هو ما عليه جماعة أهل الحق ، وقد قال تعالى « فاستأنثه الذي من شيعته على الذي من عدوه » وقال تعالى « وإن استنصروكم في الدين فمليكم النصر » وقال تعالى « فأرزقوهم منه » الخ ما في الكتاب والسنة ، وهو كثير في لسان الشرع ومعروف في بديهة الفطر ، وأعجب العجب أنهم لا يتعاشون الاسناد إلى الجادات ولا يمتعضون منه فيقولون أروا في الماء وأشبعني الخبز ونفني الدواء ، فإذا سمعوا مثل ذلك الاسناد إلى النبي صلى الله عليه وسلم قامت قيامتهم وتبعج سفهاؤهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وإنا نسألهم « وم أ كثر الناس تراميا على الناس » هل تعتقدون أن من تسألونه في قضاء حاجاتكم خالق مع الله مستقل فإذا اعتقدتم ذلك كنتم أولى بالاشراك ، وإن قلتم اننا نذهب إليه وسند له الفعل والاعطاء والمنع على سبيل المجاز والتسبب فإن الله جملة من الأسباب التي يجري عندها الخير ويخلقها قلنا لكم اننا كذلك فلا فرق بيننا وبينكم وإن فرقتم بين الأحياء والأموات قلنا لا فرق فإن الفاعل في كل ذلك هو الله تعالى لا الحى ولا الميت ، وإذا كان المتوصل في الحقيقة كما توسل بمنزلة المتوصل به عند الله تعالى والفاعل هو الله عز وجل لم يكن هناك معنى للفرقة بين الحى والميت فإن منزلته ميتا كمنزلته حيا ، على أن تلك الفرقة لا ينفي صدورهما من مؤمن فضلا عن عالم فإن الأرواح بعد موتها باقية مدركة فاهمة على نحو ما كانت عليه في حياتها أو أشد ، ولذلك يتساءلون عن الأحياء ويهرحون ويحزنون بما يكون منهم ويدعون لهم إلى آخر ما جاء في السنة ، وقد دعا آدم عليه السلام وغيره لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المراج ، وقد شرع لنا أن نحاطهم خطاب الحاضر المشاهد في قولنا « السلام عليكم دار قوم مؤمنين » ونحاطب النبي صلى الله عليه وسلم في كل صلاة بقولنا « السلام عليك أيها النبي » وتعرض أعمالنا عليه صلى الله عليه وسلم فإن وجد حيرا حمد الله وإن وجد شرا استغفر لنا ، بل تعرض أعمالنا على آثاننا وأهلينا كما جاء في السنة ، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم موسى عليه السلام يصلى في قبره ورآه في السماء السادسة وراجه صلى الله عليه وسلم في أمر الصلاة

وذكر له حال أمته وقد بلغنا صلى الله عليه وسلم السلام عن إبراهيم عليه السلام وقد اجتمعت الأنبياء في بيت المقدس ليلة المعراج وخطبوا وقالوا وفعلوا وسمع بعض الصحابة ذلك الميت الذي ضرب خبائه على قبره يقرأ سورة الملك الخ ما جاء في السنة الغراء وقد أثبت ابن تيمية وهو مرجعهم الوحيد ومؤسس مذهبهم كرامات الأولياء في كتبه وكذلك ابن القيم وهو من أئمتهم أثبت في كتاب الروح أن الروح القوية كروح نبي بكر رضى الله عنه ربما هزمت جيشاً إلى آخر ما قال وكذلك الشوكاني وهو من أئمتهم أيضاً أثبت جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم بل بغيره من الأولياء والعلماء ورد على من قال بقصر الجوار عليه صلى الله عليه وسلم « كالمر بن عبد السلام » فإن المدرك فيه واحد وهو مزلة المتوسل به وقربه ومنزلة عند الله تعالى وإن كان الشوكاني متافصاً وعالماً في التطبيق في أشياء كثيرة ، على أن الشوكاني عالم كبير لا يتخبط تخبط هؤلاء ، ولا يجهل جهلهم وقد أثبت التارك بالآثار في شرح « نيل الأوطار »

وعلى كل حال فلا يتم مذهبهم إلا إذا أثبتوا أن من نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو توسل به قد جمعه إلهام الله ، فإن قالوا إن ذلك من لوازم النداء والاستغاثة قلنا لهم انكم إذا أول المشركين وأكبر الضالين ، فانكم أكثر الناس استغاثة بالخلق ، وقد قلنا ذلك الزمنا ليعملوا الإيمان قرينة على ما يصدر من المؤمن وليس لهم مذهب أيضاً إلا إذا قالوا : إن الأرواح قد فبت بالموث وكذبوا الكتب والسنة التي أثبتت الحياة للأرواح كلها « حتى أرواح الكفار كما في حديث القليب وغيره ، أو قالوا : إنها باقية لكن ضاعت منزلتها عند الله تعالى ولا تستطيع أن تدعوا الله تعالى في أمر من الأمور ، أو سلبت منها قوتها وجميع مواهبها فلا يمكنها أن تعمل شيئاً وكذبوا بذلك صرائح ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح اتباعاً لساوسهم ، فإذا قالوا ذلك وخالفوا المعقول والمقول كانوا أجهل الجاهلين وأصل الضالين ، ولنا نطيل معهم القول في هذه المجالة ما أكثر من هذا وأنا والله نحب أن يكون المؤمنون إخوة كالبنين يشد بعضهم بعضاً قائلين « رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ » سأل الله أن يزيل الشحنة والبغضاء التي

تخلق الدين من قلوب المسلمين وأن يرشد اخواننا المخالفين إلى مافيه الخير والمهدى وألا يحملهم فئة للناس بمنه وكرمه .

حكم شرب الدخان في المساجد

وجاءنا من حضرة السائل مانعه :

س: افيدنا على صفحات مجلة نور الاسلام عن حكم شرب الدخان في المساجد رادكم الله علما والسلام عليكم ورحمة الله

العلاقه شرقية محمد حسن عمران

ج:- صرح علماء المالكية بأن أكل البصل والثوم ونحوهما في المسجد حرام وكذا دخول آكلهما حتى جعلوا من أسباب التخلف عن صلاة الجمعة أن يأكل شيئا من ذلك ولا يجدهما بزيله ، وسر ذلك عندهم هو تأذي الناس المحتشمين للجمعة ، وكذلك الملائكة الذين يحضرون مشاهد الخير مع المؤمنين فان ثبت أن للدخان رائحة كريهة يتضرر منها الناس والملائكة على نحو ما ذكرنا كاذب شربه في المسجد حراما كأكل البصل والثوم ، ونرى من الاخلاص للدين والعلم أن نقول : ان مثل هذه المسألة محل اجتهاد يصح أن تختلف فيها الأنظار وإذا رجعنا فيها شيئا فإنا نكتب عن رأينا وعن رأي فريق من علمائنا والخير كله في التوسط والاعتدال والشركه في الافراط والتفريط وكثيرا ما نلاحظ في المسائل ما يترتب عليها ، وما عسى أن تجر اليه ولنقتصر اليوم على هذا وموعدا في بقية المسائل العدد المقبل ان شاء الله

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

السُّنَنُ

بسم الله الرحمن الرحيم

- ٢ -

يُعيد^(١) هذا ذكر الحديث الشريف ليكون بمرأى من القارئ تذكرة له وتيسيراً عليه .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كُتِبَ حُطْفَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَقَالَ : يَا غُلَامُ ، إِحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، إِحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، جُمِعَ الْقَلَامُ وَطُوِيَ الصَّحْفُ .

الشرح

هذا حديث جليل القدر جمعُ الفوائد والمافع الدنيوية والأخروية ، قد عَلَّمَهُ السَّالِفُ مِنَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَفَقَّهُوا مَا فِيهِ مِنَ الْوَصَايَا وَالْتِمَالِيمِ وَعَمَلُوا بِهَا وَحَرَّصُوا عَلَى الْإِعْتِمَادِ بِهَا وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَى سَنَنِهَا حَتَّى صَلَحُوا أَنْ يَكُونُوا خُلَفَاءَ عَنْ صَاحِبِ هَذَا الْحَدِيثِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَصْلَحُوا بِذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ وَنَشَرُوا دِينَ اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَّمُوا النَّاسَ وَتَقَفُّوا عَقُولَهُمْ وَزَكَّوْا أَرْوَاحَهُمْ وَارْشَدُوا إِلَى مَا تَسْتَقِيمُ بِهِ أُمُورُهُمْ فِي الْحَيَاتَيْنِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَى هَكَذَا تَعَمَّلَ سَلَفُنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ فَأَلْهَعُوا وَسَادُوا وَعَلَتْ كُلُّهُمْ الصَّادِقَةُ . وَتَفَدَّتْ أَحْكَامُهُمُ الْمَادِلَةُ ثُمَّ خَافَ مَنْ بَعْدَهُمْ خَلْفُ الْأَخْرَفِ عَنْ سُنَنِ وَصَايَا هَذَا الْحَدِيثِ

(١) تمه شرح حديث ابن عباس المتقدم في العدد السابق .

فأحرفت بهم حياتهم وصغفوا بعد فوتهم واقتروا بعد ثروتهم وذلوا بعد عزتهم وآل
أمرهم إلى ما نرى ونسمع (لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا)

قد قدم لك الكلام فيما تضمنه هذا الحديث الشريف من وجوب تربية الأطفال
التربية الدينية الصالحة ومن تحم العاية تنشئتهم تنشئة الحسنة في دينهم ودنياهم وأقضا
لك في القول في المصادر التي تنتج باهمال هذه التربية وأن حياة التي فيها المسمون الآن
أصدق شاهد على صحة ما نقول والله عاقبة الأمور .

اشتمل هذا الحديث الشريف على سبع وصايا وتعاليم اسلامية
الوصية الأولى . قوله صلى الله عليه وسلم (احفظ الله يحفظك) مره صلى الله عليه
وسلم أن يحفظ الله تعالى شأنه . ومعنى أن العبد يحفظ الله سبحانه واصح بين لاصه فيه .
لا ترى أنه عليه الصلاة والسلام أمر ابن عباس به وهو غلام صغير فلم يخف عليه المعنى ،
بل فهم المراد من حفظه لله تعالى .

على أن ذلك المعنى المراد مع وصوحيه قد جاء مصرحاً به في القرآن الكريم في بيان
أوصاف المؤمنين الذين اشترى الله المعنى الخيد منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الحة اذ
قال (وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) فكانه قال له احفظ يا غلام حدود الله يحفظك كما قال
سبح . في آية أخرى (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ)

ثم إن حدود الله تعالى هي تكاليفه وأحكامه التي عرفها المسلمون وحادث مفصلة في
الشريعة السمحة . وهي نوعان « الأول » أحكام تتعلق بأعمال القلوب وحفظها ورعايتها ،
أعظم وأكدر من حفظ ورعاية الأعمال التي ليست بقلبية « الثاني » أحكام تتعلق بأعمال
الحوارج ولاعضاء الظاهرة وهي الأعمال التي عليها مصالح الدين وهي العبادات من الصلاة
وغيرها ومسالخ الدنيا أيضاً وهي المعاملات الخالية للمنافع والدافعة للمصار دينة كانت
تلك المنافع والمصار وديوية في الأفس والأعراض والأموال ثولا

مر النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس أن يحفظ حدود الله عز وجل ولكنه في
الحقيقة أمر للأمة بأمرها فانه ما من أحد الا وهو مأثور بهذا الحفظ لأنه حق وحسب
الله المعلى الكبر مقتضى الهيته على العبد مقتضى سوديته لله رب العالمين .

فهل يرى المسلمون الآن انهم حَفِظُوا حدودَ الله حتى يستحقوا أن يتفضل الله تعالى عليهم بالحفظ في الحياة الدنيا والآخرة؟ هل عملوا بها ورعوها حق رعايتها وصانوها عن الإهمال والضياع؟ هل دافعوا عنها وناصلوا من يسيئونها ويدبرون لها التدبير السيء، ويكيدون لها كيدا؟ هل شمرَ المسلمون أن أناسا ادَّعُوا الاسلامَ ونسَّروا به ثم أخذوا يطلعون في حدود الله العزيز الحكيم ويشوهونها ليُخرجوا المسلمين من نور دينهم الى ظلمات مفترياتهم وشكوكهم وأباطيلهم؟

اذ لم يكن المسلمون قد استيقظوا من سُباتهم ولم يُعَنُوا بما يكيدهم لهم أعداء دينهم وقالوا: (ان للدين رتبا تحميه دون أن تتجشم قولا أو فعلا نصداً به أولئك الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون) اذا قالوا ذلك فاهم يكونون كبنى اسرائيل اذا قالوا الرسولهم سيدنا موسى عليه السلام (اِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) . بل كانوا أجهلَ منهم وأسوأ حالاً ومآلاً .

ان الذين يظنون أن الله تعالى هو الذى يتولى وحده نصر الدين والدود عنه من غير أن يدافع عنه المؤمنون به ويُعِدُّوا لنُصْرَتِهِ وصد أعدائه عنه ما استطاعوا من قوة وبذل أرواح وأموال ويتفقهوا فيه ويعملوا به ليكونوا على بينة منه وقُدوةً حَسَنَةً يُؤْتَمَتَى بها . هؤلاء يكونون قد ظنوا ظن السوء وخطأوا خطأً ميئناً .

ألم يعلموا أن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه قد لاقوا من أعدائهم مالا قوا من الأذى بالقول والفعل وصد الناس عن سبيل الله ثم قام صلوات الله وسلامه عليه هو والذين آمنوا معه بالمناصرة عن دين الله القوى المتين مؤتمرين بما أمرهم الله به من إعداد المدة لإعزاز دينه ورد كيد أعدائه عنه مخلصين في ذلك واتقين بأجازه ما وعدهم الله سبحانه به من تأييده لهم بروح من عنده وتثبيت أقدامهم أمام أعدائهم وقد فعل ، كل ذلك منه عز وجل ليمظم لهم أحورهم وليمتحن بعضهم بعض وليبين المؤمنين حقاً من الذين قالوا آمنا بأموالهم ولم تؤمن قلوبهم كما قال حل ذكره (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) وكما قال : (وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَتْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنَّ لِيَأْخُذَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) .

هذا هو الذي فرسه الله تعالى على المؤمنين بدينه فرصاً لا هَوَادَّةَ فيه لا يقبل منهم بعده عنراً ولا يستطيعون معه صَرْخاً^(١) وَلَا نَصْراً^(٢) وهذا هو الذي قام به الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم باحسان حتى ثبتت قواعد الاسلام وعمَّ هُدْيُهُ أَقْطَارَ الأرض مشارقها ومغاربها ومزَّقَ الحقُّ الباطلَ وأشياعه كلُّ مُمَزَّقٍ . و (ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ) .

قال الله عز وجل في شأن الذين بصرُوا دينه واثقين بصدق وعده (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَانصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) وقال في شأن الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم المخاذيل للاسلام المخذلين عنه (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ^(٣) بِمَقْعَدِهِمْ^(٤) خِلَافَ^(٥) رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا^(٦) فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضَحَّكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكِوْا كَثِيرًا وَجَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .

فَدَمْنَا لك أن حدود الله تعالى تتعلق بأعمال القلوب كما تتعلق بأعمال الجوارح الظاهرة فنقول الآن :

لو حفظ المسلمون حدود الله تعالى في أعمال قلوبهم لظهرت أرواحهم وَلَرَكَّتْ نفوسهم ولشُعِيتْ صدورهم من المقائد الساطلة ولكان ذلك تنقيفا لما أعوجَّ من القول وتوسيعا لما ضاق من المدارك وتزَعُّا لما في الصدور من الغل والحقد ولكان مكرها اليهم الإلحاد والفوق والمصيان والفش والخيانة ونقض المهود والمواثيق ومُجِبًّا اليهم الأيمان الصادق ومُزَيِّجًا له في قلوبهم ومرغبا لهم في المسارعة الى الخير والتنافس في البرِّ ومُؤَسِّسًا المحتاجين والمُتَوَكِّلِينَ وفي المساقمة الى ما يرضاه الله ورسوله مع الاخلاص في كل ذلك ليتقربوا به الى الله زُلْفَى عسى أن يُصْلِحَ بهم ويدخلهم الجنة عَرَفَهَا لهم . ولو حفظوها كذلك في أعمال جوارحهم لكفُّوا لِسَنَّتِهِم عن الكذب وقول

(١) وما وردا للذئاب (٢) من أنفسهم ولا من غيرهم (٣) الذين تخلَّفوا عن الخروج الى غزوة تبوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) بمقعدهم (٥) بعد (٦) قال بعضهم لبعض (٧) لا تخرجوا للجهاد .

الزور والسباب والفيعة والهمة والنثر^(١) باللقاب وتمريق الأعراض وسائر أنواع الهجر
والفحش في القول ، ولأقلعوا عن السرقة ولزنى والقتل والتعدى وكيد المكائد وتدمير
السوء واتلاف بعضهم أموال بعض محرق الزروع وزعها من مزارعها وتسميم الماشية وغير
ذلك مما هو منتشر في البلاد وآل به أمرهم بعد ذلك الى التخاصم والتنازع حتى غصت
بهم المحاكم وسيئهم القضاء .

كذلك لحفظ أصحاب الأموال أموالهم من انهابها رثاء الناس في المباهة والمفاخرة
كما يفعلون في الأعراس والمآتم وولائم رمضان وغيره . ومن انهابها أيضاً في أصناف
الصوق والصور التي زعموها عنوان المدينة ولرقى والمرفة وعابوا من تركى عنها
ورمواً انه حامد صلب^٢ مرور بالقديم عدو لكل جديد . كانفاقهم أموالهم في ملاعب
الميسر وصيد الحمام ورهان السباق

وكذلك يكونون قد حفظوا عقولهم وأبدانهم وأوساسهم وأعراضهم وأقدار أسرهم^٣
فلم يضيعوا أموالهم بانهابها في الخمر وغيرها من هذه السموم المهلكة المفسدة للقول
الفائكات بالاجسام بل السائق الى القبور أو بانهابها في شهوات الحيوان بالتزوج عن
لا يليق مثله أن يتزوج بها لأعطط في قدرها أو لفساد في أخلاقها أو لتباين في العادات
والاصطلاحات حتى ادى ذلك الى الشقاق والقتل والخصام والترافع الى القضاء كما سمعنا
وشاهدنا ذلك كثير في التروح بالاجنبيات وغيرهن

كذلك كانوا يحفظون أسمائهم عن الفاحش من الكلام والا كاديب والمفريات
التي تُفترى على الناس وعلى الله وعلى شرائعه الآلهية ، ولحفظوا أبصارهم عن المحرمات
التي أنكرها دين الله تعالى والمقالة من الناس ، ومن ذلك ما يتهافت الناس رجالاً ونساءً
وشباناً على سماعه ورؤيته في المجامع المروفة التي يتفقون فيها أموالهم بسحاء حتى صارت
مقار يذنبون فيها أموالهم التي حباها الله لهم قياماً وحياتهم عماداً ، ولحفظوها أيضاً عن
سماع وقراءة ما يكتب في نهش الأعراض واتهام الأرياء وقذف الطيبين والطيبات وعن

(١) الفقه بالاسماء القبيحة . كالاعرج والنجي

قراءة ومجامع ما يكتب ويقال لتشكيك الناس في دينهم وأصايد أخلاقهم وداعة كل ذلك بين الناس . كبيرهم وصغيرهم ذكورهم وإناثهم .

لو حفظ المسلمون حدود الله تعالى لحفظهم ولوعادهم وعده الذي وعدهم في قوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) ولتكن لهم دينهم الذي رضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمما يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) .

ولكنهم لم يحفظوها كما أمروا فلم يحفظهم وسوا الله فنتسبهم ووكذبهم إلى أنفسهم فصاعوا وحق عليهم قوله سبحانه (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات) وقوله (وما أصابكم من مصيبة فَمَا كَسَبَتْ يَدَاكُمْ) (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسُ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ)

حسن مصور

وكيل دار العلوم العليا سابقاً

أنواع اللعاب

جاء بمجلة (Kosmos) لألمانية أن الأستاذ الدكتور «هوجويلر» قام بأبحاث وتجارب علمية أثبت بها أن ألعاب الإنسان يختلف حسب أجاس بني آدم المختلفة وتمكن من التحقق من وجود أربعة أنواع مختلفة ، إذا مزج أحدها بأحد أنواع الدم المعروفة ولم يكن بينها قرابة في الجنس الآدي فتكون أشكال كرية ، هذا فضلاً عن أن الأبحاث التي أجراها الأستاذ «لير» تحمل على الاعتقاد بأن المصارات الجثمانية الأخرى - أي ماعد الدم واللعباب - تختلف في تكوينها من حيث قرابتها وتبعيتها إلى جس حاص من بي آدم ، ولا زالت الأبحاث جارية للتحقق من ذلك وإثباته .

كتاب يا محمد في آيات الله

قرر الإسلام للمرأة حقوقاً رفعت شأنها وجعلتها عضواً عاملاً في دائرة الصيانة وعلى وجه يحفظ بينها وبين زوجها وأقاربها المودة الصادقة وال عاطفة الفياضة بكل خير ، وما زالت المرأة المسلمة تعيش مع الرجل القائم على آداب الإسلام مفتبطة هائلة ، شأنها النظر في تربية الولد وتسيير المنزل ، وشأن الرجل معاشرتها بالمعروف ، والقيام بحاجاتها ومسيرة رغباتها مادامت مخوفة بسياج الطهر والحياء ، وما زال المصلحون يدعون إلى رعاية حقوقها المنبى عليها بقوله تعالى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ) حتى ظهر نفر تخيلوا أن الرقي كله في مظهر المرأة الأوربية فقاموا ينادون لأن تتبع المرأة المسامة المرأة الأوربية شهراً بشراً وفزاعاً بفزاع .

نقول هذا بمناسبة الحديث عن كتاب ظهر في تونس منسوباً إلى بعض من لبست نفوسهم من التجاني عن الدين ما لبسته نفوس هؤلاء الذين يزعمون أنهم أنصار المرأة ويقولون - والجهل ضارب في أدمغتهم - إن الإسلام ظلم المرأة ، ويذكرون تعدد الزوجات ، وجعل الطلاق في يد الرجل ، وجعل نعيها من الأثر نصف نصيب الرجل ونحو هذه الأحكام مما قرره الإسلام وعرفت العقول السليمة حكمها وموافقها ، تقتضيه نظم الحياة الراقية ، باطل من القول لمط به نفر من غير المسلمين في الشرق فوقع في أذان أحداث في تونس ولم يجد لديهم من متانة العقيدة وقوة البصيرة ما يدفع عنهم خبثه ، فأسأغوه ورددوا صوته محاكاة لأوثك الفر ، والمحاكاة في الباطل أدل على قصر النظر من ابتكاره ، ولكن المستعدين للتقليد فيما تشقى به الأمة لا يفقهون

ظهر هذا الكتاب منسوباً لأحد من يحملون شهادة « التطوع »^(١) بجامع الزيتونة وقد سلك صاحبه طريقة مخادعة الغافلين من المسلمين بتأويل نصوص الشريعة وتحريف كلماتها عن مواضعها ، ولم يتعظ هذا الكاتب بمن ذهب في الكيد للدين هذا المذهب

(١) شهادة تأليف الطالب حدان يحيى والطالب محوسب سيب ، ولما ناسوا الشهادة الأصلية في الأهر الشريف ، وسببت (نطوما) لأنها تحول صاحبها إلى نفوس في الجامع مطعوماً

نخاب سعيه ولم يزد على ان كشف للناس سريرة مغفرة كانوا يظنونها تقية ، بل أحياسعورا دينيا كان في بعض النفوس خاملا ، إذ دل المسلمين على أن من وراء هذه الأفلام ضماير لا ترجو لله وقارا ، وأيديا تعمل لتقويض بناء الشريعة ليلا ونهارا

ظهر هذا الكتاب فقابلته الأمة التونسية بالانكار ، وقامت الصحف هائلت بواجبها فنقدته من الوجهتين : الدينية والاجتماعية ، وكتب بعض العلماء مقالات في بيان ما فيه من جهالة وغواية ، وألفت النظارة العلمية بجماع الزبوتة لجنة من العلماء الذين درسوا أصول الشريعة على بصيرة ، وعرفوا باستتارة الفكر وتمييز الجديد النافع مما هو جديد آثم ، فدرست اللجنة الكتاب ووصفت تقريراً فيما احتواه من منكرات وصلالات .

لحق الكتاب ما يستحق من التنفيذ وسمى النظارة العلمية لتجريد صاحبه من الشهادة التي يحملها ، ولكنه لم يعدم ان يجد أفرادا يجهلون باطله ويروجون زيفه ، فأقاموا لصاحبه حفلة تكريم وعجلوا الى بتدعاية له في مصر ولفقوا مقالات حملوا فيها على العلماء وأرباب الصحف الذين نقدوا الكتاب محفل وفضحوا ما فيه من تضليل ، ثم بعثوا تلك المقالات إلى صحف لاترعى للحقائق ذمة ، فشرتها لهم ولم يكن لها من الأثر سوى ارتياح غير المسلمين لأن يرمى الدين الحنيف من معهد أسس ليكون حصلا للدين مانما

وفي هذه المقالات اغتباط أولئك العرب بأن بعض الفرنسيين كانوا في جانب صاحب الكتاب يدافعون عنه وينقدون سلوك الصحافة التونسية في الرد عليه . ولم لا يكون الفرنسيون في جابه وهو يضرب الاسلام في الصميم ، ويأتي لخدمه من باب لا يستطيع الفرنسيون أن يأتوه وهم فرنسيون ؟؟

وفي هذه المقالة رمى المستبشرين كالمحاميين والاطباء في تونس أنهم خدعوا صاحب الكتاب لغايات شخصية ، ونحن نرى في مصر محامين وأطباء يؤمنون بالقرآن أنفع الايمان ويرون ان مامنته الاسلام المرأة من الحقوق هو عين الصواب ، وما عداه جهل بمواقب الامور ، ولم لا يكون المحامون والاطباء في تونس قد جمعو الى علم الحقوق والطب هداية وتوفيقا . ؟

وزعم كاتب تلك لمقالات ان النظارة العلمية عقدت لجنة من بعض أعضائها ومن

بعض المدرسين ، وقرروا - فيما بينهم - أن المدرك انشر بمي الذي يراه مؤلف الكتاب لا يتنافى الاسلام إلا أن المؤلف لم يبلغ رتبة الاجتهاد

وقد اطلعنا في الصحف التونسية على ما يخالف هذا الزعم، قالت جريدة « الزهرة » الفراء (لفتنا أن اللجنة التي ألقتها النظارة العمية للضر في كتاب « امرأتنا في الشريعة والمجتمع » قد أعت أعمالها وأهت تقريراً في ذلك للورارة الكبرى ، وكان جميع أعضاء اللجنة على وفاق تام بمجمعين على أن الكتاب المذكور يحوى في عدة نواح منه أوجها كثيرة من الضلال والتضليل ، وهذه الصفة يعتبر مروقاً من الدين وخروجاً على إجماع الأمة من علماء الاسلام ومحاربة لحضرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم)

ونقلت جريدة « الوزير » المراء محذرات في شأن الكتاب جرت بين رئيس تحريرها وفضيلة شيخ^(١) الاسلام بتونس الشيخ « احمد بيرة » وبعض أعضاء اللجنة ، ومما قاله شيخ الاسلام في حق الكتاب : إنه (يخالف الشريعة الاسلامية في كثير من المواقف كمسألة تعدد الزوجات ومسألة الميراث ومسألة الحجاب) وقال رئيس الافتاء المالكي الشيخ « محمد الطاهر بن عاشور » : إنه (يشتمل على محامات كثيرة لاحكام الشريعة الاسلامية تعدد صلاوات ، وقد بنت اللجنة رأيها الذي يحوم حول هذا) وقال المفتى المالكي الشيخ « أبو الحسن النجار » : إنه يخالف النصوص الشرعية لافروعها فقط بل في أصولها وما عدا من لدين بالضرورة) وقال المفتى المالكي الشيخ « عبد العزيز جعيط » (وفي رأبي الخاص أن كثيراً مما تضمنه الكتاب يوحى المروق من الدين)

هذه آراء شيخ الاسلام بتونس وبعض أعضاء اللجنة لمسكلمة محص الكتاب ، وهي صريحة في أنهم يرون أن في محتوياته ما هو صلالة ومروق من لدين ، وليس من المعقول أن يقول عالم مسلم في الحكم على مثل ذلك لكتاب : إن المدرك التشريعي الذي يراه مؤلفه لا يتنافى الاسلام ، فقد وصلت الى إدارة هذه المجلة نسخة من هذا الكتاب فقرأناه فإداهو بنفس طرق ملتوية ويرى بأقوال منكروة ويتشبت براء منبودة ، ولو قصر صاحبه البحث على تعليم المرأة وترتبتها و، سكار ما فعله بعض الرجال من الاستخفاف

بحقوقها والمبالغة في حجبها ، لقد كتب يدعو الى ناحية من نواحي حياتنا الاجتماعية وكل حظه منا شكر وتقريظا . ولو ذهب صاحبه في البحث مذهب من لا يعرف الشريعة فقرر آراءه الخاصة دون أن يتعرض للقرآن الكريم ، لقلنا نسي تعاليم الاسلام وكانت خطة لعلماء معه أن يذكره بأن آراءه في و د ، ولدين في واد ، وكان له الخيار بعد هذه التذكرة أن يقتبث بهذه الآراء المنحدرة من عقول داجية ، أو يرجع الى شريعة نزل بها الروح الأمين على حاتم النبيين لتكون هداية للعالمين ، ولكن هذا الكاتب لم يتعرف فيما كتب الطريقة الصالحة ولم يتق الله في شريعته القراء فأقبل على القرآن يحرف آياته عن مواضعها ، ويضهي الذين يساعدون الله في تأويلها ، ولا حاجة بنا الى تتبع حطيات الكاتب بعد أن تصدى طائفة من علماء تونس ونهبائها الى نقصه وبيان ما يحمله من أباطيل ، وحسبنا أن نسوق الى القراء أمثلة يعرفون بها كيف قام ذلك الكاتب يردد صوت هؤلاء المخالفين الذين يحاربون الاسلام في غير استحياء

قال ذلك الكاتب « يجب أن نعتبر الفرق الكبيرة ما أتى به الاسلام وجاء من أجله وبين ما وحده من الأحوال العارضة للبشرية والنفسيات الراسخة في جاهلية قبله دون أن تكون غرضا من أغراضه » وجعل الكاتب في القسم لأول عقيدة التوحيد ومكارم الأخلاق ، وجعل في القسم الثاني تعدد الزوجات ونحوه ، وقال عن هذا القسم « لا يمكن اعتباره حتى كجزء من الاسلام »

جاء الاسلام لبيان العقائد الصحيحة ومكارم الأخلاق ، وجاء لتقرير أحكام العبادات والمعاملات ، « جميع جاء من أجله الاسلام وإن اختلفت مراتب الأحكام شدة ورفقا وما يترتب عليها من المصلح قوه وضعفا ، وزعم أن الاسلام جاء من أجل العقائد والأخلاق وأن في أحكام المعاملات ما لم يأت الدين من أجله ولا يعد كجزء منه ، إنكار لجانب عظيم من الشريعة ، وطرح أحكام المعاملات وإباحة الحكم فيها بغير ما أنزل الله باعتقاد أنه أحفظ لمصلحة اصلاح من الدين بلا شبهة ، وتعدد الزوجات من قبيل ما أنزل الله حكمه ناحته قال تعالى (فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) فمن قضى منع قضاء عاما معتقدا أن المصلحة في هذا المنع فقد قضى بغير ما أنزل الله وأصبح مصداق

قوله تعالى (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)

اخترق الكاتب هذا الرأي ليبي عليه طرح كل حكم في الاسلام لا يوافق ذوقه أو هواه بزعم أن الاسلام لم يبحى من أجله وأنه لا يمد كجزء منه وإن جاء به نص صريح في الكتاب أو السنة المتواترة ، وهذا رأى لا يرتاح اليه إلا من يسره كثرة سواد المنسحقين من الدين ، إذ لا معول يفعل في هدم الشريعة فله لو أنه وجد في الناس غفلة وجهالة .

وقال الكاتب « إن الاسلام لم يقرر نزول ميراث المرأة عن الرجل كأصل من أصوله التي لا تتحطاها »

هذا مما بناء الكاتب على رعمه أن من أحكام الاسلام ما لم يبحى الاسلام من أجله ، يقول الله تعالى (يُؤْتِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرُ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ) الى قوله تعالى (وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا . وَذَلِكَ الْمَوْزِ الْمَظِيمُ . وَمَنْ يَمْنُصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)

فإنه تعالى يوصى بأن تعطى الاثنى نصف ما يعطى الذكر ويجعل هذه الوصية حداً من حدوده ويتوعد على تعديها بالنار والعذاب المهيّن ، وذلك الكاتب يريد من المسلمين أن يهملوا وصية ربهم ويتعدوا حدوده ويجعلوا ميراث الاثنى مساويا لميراث الذكر على الرغم من الحكم الواضحة فيما أوصى الله به من إعطاء الذكر مثل حظ الأنثيين ، وستقوم المجلة بنصيبها من بحث هذه الحكم إن شاء الله تعالى في غير هذا المقام .

وقال الكاتب « لقد حكم الاسلام في آيات القرآن بتمييز الرجل عن المرأة في مواضع صريحة وليس هذا بما نعت أن يقبل عبداً المساواة الاجتماعية بينها عند توافر أسبابها بتطور الزمن مادام يرى في جوهره إلى العدالة التامة وروح الحق الأعلى »

الاسلام يرى الى العدالة التامة ، وقد قرر أصلاً هو أن تكون المرأة في عفاف ، فمن العدالة التامة أن ينهى عن اختلاطها بالرجل إلا أن يكون محرماً ، وقرر على الرجل القيام بحاجاتها وحاجات ما يرزقان من ولد ، فمن العدالة التامة أن يكون حظ الرجل من الميراث

أكثر من حظها، وهل في الأزمنة طور يقتضى بطبيعته سقوط المفاهيم من حساب العضيلة ؟
 وهل في الأزمنة طور يقتضى بطبيعته وضع نفقة الرجل وولده على عاتق المرأة ؟ يكون
 هذا الطور عند ما يخلق الرجل والمرأة خلقاً آخر، وذلك ما لا يقصد الكاتب الحديث عنه
 ومن جرأة الكاتب قوله « ليس لي أن أقول تعدد الزوجات في الاسلام لأني لم أر
 للاسلام رأياً فيه وإنما هي سيئة من سيئات الجاهلية الأولى »

يقول الله تعالى (فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ)
 ويجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في لنكاح بين اثنين أو ثلاث أو أربع ،
 والرسول عليه الصلاة والسلام يشهد ذلك ويقرم عليه، واستمر العمل على تعدد الزوجات
 جارية في الأمة جيلاً بعد جيل ، حتى أتى هذا الكاتب فرأى أن ينفيه من الاسلام على
 الرغم من أنه منصوص في كتاب الله والعمل به جار منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم،
 ولا يظن بمسلم الجبل بأن تعدد الزوجات مما أباحه الاسلام، ولكن الكاتب أراد تقييده
 وهو ممن يزعم أنه يتكلم بلسان الشريعة فقدم بحجوده لأن يكون من الاسلام حتى يتيسر له
 أن يصفه بأنه سيئة من سيئات الجاهلية .

يجيء الكاتب الى الحديث الصحيح ويحاول رده بزعم أنه تكلم في سنده وليس لهذا
 الزعم وجه سوى أن الحديث لا يوافق الرأي الذي أحب تقليده ، كما قال « وروى بعض
 أهل الحديث أنه عليه السلام قال ما مننا (النساء ناقصات عقل ودين) ورغما مما قيل في
 سند هذا الحديث الى النبي فانه على فرض صحته لا يدري أكان يحدثنا به عن أصل تكوين
 المرأة في جوهرها - ولا دليل على ذلك من لفظ الحديث - أو هو يسبر عن حالتها في تلك
 المصور يمتدح عن بعض هفواتها لسائليه أو سامعيه »

كلامه هذه يدل على أنه متهم على الشريعة بهوى أكمه وأنه لا يتكلم في الدين بعد
 البحث ولو قليلاً، والحديث الذي أشار اليه الكاتب مروي في صحيح البخاري ومسلم ،
 ولفظه في البخاري (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل منك) قلن
 وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله قال : « أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل »

قلن بلى . قال « فذلك نقصان عقدها ليس إذا حاصت لم تصل ولم تصم » قلن بلى ، قال « فذلك نقصان دينها »

فالحديث في الصحيح وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ماذا أراد منه ، والوجه الذي ذكره في نقصان دين المرأة يرجع الى أمر لازم لها من جهة الأثوثة وهو الحيض ، فان كان للمصور طور يقطع فيه الحيض عن النساء جملة حتى يؤدين الصلاة والصيام في أوقاتها المحدودة ، لم يكن حينئذ ناقصات دين

والوجه الذي ذكره عليه الصلاة والسلام في نقصان عقدها أعني عدم مساواة شهادتها لشهادة الرجل ، بنى على ما يفسد على النساء من النسيان . والأحكام العامة تبني على الغالب ولعل الكاتب يكر أن النسيان يعرض للنساء أكثر من الرجال وإن دل عليه قوله تعالى (أَنْ تَضِلَّ إِحْدُهُمْ فِتْنَةٌ كَرَّ إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى) فنتبته أن معص علماء أوردة قرروا أن في ذكر المرأة ضعفاً وأنها لا تستحضر الماضي كما يستحضره الرجل .

فهذا الدكتور أوتو فينجر Otto Weininger الطبيب الفيلسوف النمساوي شهد في كتابه المسمى « الجنس والأخلاق »^(١) Geschlecht und Charakter في صحيفة ٩٤ - ١١٦ بأن المرأة ضعيفة الذاكرة فقال « إن التذكر هو التغلب على ماضى من الزمن واستحضاره في الذهن ، ولا يمكن المرأة - لأسباب عضوية ونفسية - السيطرة على هذه الموهبة لأن حياتها متقطعة لا تذكر منها إلا اليسير ، بخلاف الرجل فإنه يمكنه تنميع سلسلة حياته حلقة حلقة ، ولا يغيب عنه جوهرها في أى وقت من الأوقات » بل قرر في هذا الكتاب ضعف قوتها العاقلة فقل في صحيفة ٧٦ - ٨٤ « لا يمكن للمرأة التفرقة بين الشعور والتفكير (أى بين حياتها الموجدانية والعقلية) ولكن الرجل يمكنه فصلهما عن بعضهما فصلاتاً » وقال في ص ٨٥ - ٩٣ « إن النبوغ إحدى ميزات الرجل ولا يمكن أن تصل اليه المرأة مهما بلغت مواهبها »

ومن جرأة الكاتب على مقام الرسالة الأعظم قوله « ان تمدد أزواج النبي صلى الله

(١) ظهر هذا الكتاب في القامد الألماني في ١٠ يونيو سنة ١٩٠٣ وأعيد طبعه ٢٢ مرة ومنه الى نحو عمر لسان من اللغات الاوربية

عليه وسلم ليس تشريعا لأتمته كترغيبها فيه ، وإما كان ذلك قبل التحديد، والنبي إنسان كالشعر غير سالم من تأثير عوارض البشرية عليه فيما لم ينزل به وحى سماوى ،

معنى هذا أن تعدد زوجاته عليه الصلاة والسلام لا يستند الى وحى ، وأن هذا من قبيل ما لا يليق فعله اذ جعله من سيئات الجاهلية ، أما أن تعدد زوجاته لم يكن بوحى وأنه عليه الصلاة والسلام مدفوع اليه بعوارض بشرية فزعم باطل ، فان الله تعالى يقول فى حق زينب رضى الله عنها (فَمَا قَضَىٰ رِيشُهَا وَطَرًا رَوَّحْنَا كَمَا لِكَيْلًا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَرْوَاحٍ أَذْيَتَانِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا) وقد تزوجها عليه الصلاة والسلام وفى عصمته عائشة وسودة وحفصة رضى الله عنهن ، وورد فى آيات كثيرة ذكر أمهات المؤمنين على وجه يدل على أن الله راض عن هذا التعدد ، قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْطَيْنَا لَكَ أَزْوَاجِكَ اللَّاتِي ، أَتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ) وقوله تعالى (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ تَقَاتُيْنِ) وإذا ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد يفعل الشئ ، عن اجتهاد فيجوز على خلاف الأولى فيما يأتى الوحي منها لما هو الأولى فسأله تعدد زوجاته ليست من هذا القليل فى شئ ، فقد نزل الوحي صريحا فى إباحته ورضا الله عنه ، ولتعدد زوجاته عليه الصلاة والسلام حكم دينية اجتماعية تسمو عن عقول هؤلاء الذين لا يهتمون للزواج حاجة غير قضاء للشهوة ، ومن هذه الحكم تلقى أحكام الشريعة وإبلاغها للناس كما قال تعالى (وَأَذْكُرُنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) وسنعود الى هذا البحث فى مقال آخر ان شاء الله

ودعا الكتائب الى السفور مفتوحة بحال المرأة لأوربية وربين لقراء كتابه أن يجمعوا بين نساءهم وفتياتهم وأصدقائهم لمحادثة ، ولم يكتب يقول بمص أهل العلم . ان الزينة الظاهرة المأدون فى إبدائها بقوله تعالى (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) هى الوجه والكفان ، فقال إن ما ظهر من الزينة وقع فى القرآن مدحها اعتباراً منها لأعرف الناس فى ذلك بتطور الزمان ، والباطرون فى الشريعة ماحلاص يرون أن القرآن إذا أسهى عن

إبداء الزينة فاعلم يريد قطع وسائل الفجور ، فليس لأحد أن يحمل هذا من قبيل ما يراعى فيه العرف حتى إذا جرى عرف قوم بكشف المرأة لصدرها أو ساقها قضى فيه بالإباحة على زعم أن القرآن أبهم ما أباح إبداءه من الزينة ليؤخذ فيه بأعراف الناس ، والرجوع في مثل هذا إلى العرف يفتح طرقاً من الشر إنما جاء القرآن ليلسدها

ونحن ممن يدعو إلى تعليم البنات وتهذيبهن ، وإكرام الزوجات ورعاية حقوقهن ، والرفق بالنساء لضعفهن ، ولكننا ننكر هذا الذي يدعو إليه الكتاب من الأغضاء عنهن إلى حد الاختلاط برجال ليسوا بمحارم لهم ، فإن ذلك مما هتت عنه الشريعة ، وأرتنا المشاهدة رأت العين أنه أقرب الوسائل إلى تلويث الأعراض ونكد العيش ، وهو إلى ابتذال المرأة أقرب منه إلى كرامتها ، وإلى عنتها أقرب منه إلى راحة مالها ، فالكتاب يعيث بحقوق المرأة المسلمة من وراء العبث بأحكام الشريعة ، ويعمل لأن يفسد عليها دنياها قبل أن يفسد عليها آخرتها.

وفرأنا للكتاب بعد هذا جملاً كثيرة يطعن بها في عماء الاسلام ويقذفهم فيها بأنهم لم يفهموا مقاصد الشريعة ، ذلك لأنهم لم ينعنوا تعدد الزوجات ، ولم يزعوا حق الطلاق من يد الرجل ، ولم يحملوا ميراث الأنثى مساوياً لميراث الذكر ، ولم يأذوا للناس في أن يضعوا جبل الفتاة على غارها ، تجتمع مع من تشاء ، إلى نحو هذا من الشهوات التي لو طاشت إليها آراؤهم لانطفأت حكمة الله واندرست معالم هدايته ، فلا قرآن يتلى ، ولا سنة تروى ، وعلى الدين الحق يومئذ للسلام .

وكان من رأينا صرف القلم عن ذكر هذا الكتاب اكتفاء بما تناوله به أقلام أهل العلم في تونس من الرد المحكم ، ولكن الدعاية التي قام بها شركاء صاحب الكتاب في مصر دعنا إلى أن نذكره ونرى القراء مثلاً من باطله ليحذروا فتنته ويعلموا أن في الشرق نفوساً تقضى باسم الشريعة ما ربح قوم ينتفون فساد ما بقي فينا من عقيدة سليمة وأدب يبط عليه ففككم الجاهلية يبتغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون

كلمة وجيزة

نرى أن تلك الكلمة الوجيزة التي ثبتها هنا غير خارجة عن دائرة ما نحن فيه من البحث عن حال الدراسة تعلّما وتعلّما وأنا لنذكرها غير واقفين أنفسنا موقف الواعظين الناصحين لأخواننا وإن كان ذلك لا ضرر فيه ولكنها تبصرة وذكرى والذكرى تنفع المؤمنين .

جدير بنا أن نرفع صوت الدعوة الى العلماء والمعلمين جهرة ونلفت نظرم - وهم أحق من يلفت نظره وأولى الناس بالحاجة الداعية الى الحق - الى أنهم ورثة الانبياء وهم يعلمون أن الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين لم يورثوا أحدا دينارا ولا درهما وإنما يورثون العلماء الربانيين الدعوة الى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة فيجب على العلماء والمعلمين جميعا أن يقوموا بما يجب لله تعالى على كل عباده كما يجب عليهم أن يرشدوا الخلق الى ما لهم وما عليهم من حقوق لازمة ولا ريب أن أول حلقة من سلسلة وظيفة العلماء أن يبدؤوا أولا بتطهير النفس من أدران النقص وذنس الميوب وبذل ما استطاع في تنقية بذور الحقد والغل والحسد من الصدور حتى اذا ما صفت سرائرهم واطمأنن قلوبهم واشرفت بنور الاخلاص لله نفوسهم وجدوا ميادين العمل واسعة الأرجاء أمامهم للدعوة الى الله جل شأنه ولارشاد الخلق وسوقهم الى ساحة منفعتهم في معاشهم ومعادهم لا يبتغون بعملهم هذا الا وجه الله تعالى ولا يريدون من أحد جزاء ولا شكورا .

وأنا لعلّي يقين لا تخالطه ريبة ولا يحوم حوله شك أن العلماء والمعلمين متى صدقت في الدعوة الى سبيل ربنا عزيزتهم وافقت كلمتهم واجتمعت قلوبهم وأتابوا الى الله تعالى لاتأخذهم في الحق لومة لائم أمكنهم أن يقودوا الناس بزمام الطاعة الى مواطن العز والكرامة والشرف وعلو الهمة ويحملوهم على أن يخلعوا أردية الرذائل ويتدنّوا لحل الفضائل وينفخوا فيهم روح الاخلاق الكريمة والسجايا

العظيمة وينتشلوهم من وهدة هذا الخضيض الاسفل الذي أوشك الناس أن يردوا في بؤره ويسقطوا في حفره حتى كاد انفساد يحتاجهم جميعا فلا يبقى ولا يدر

وليم العلماء والمعلمون أن من أقدس واجبات عليهم أن يدعوا الناس الى عمارة الدنيا مع الدعوة الى العمل بلا خرة فان ديننا الخفيف السمع يس دين رهينة ولا استكانة ولا جمود بل هو دين جد وسعى وعمل وقد تكفلت دائرته اني لا يدرك مداها بسعادي المعاش والمعاد وسنا في حاجة الى تنبيه العلماء والمعلمين الى أنه يدخل في باب الدعوة الى عمارة الدنيا أن يرسوا للناس خطة السير في طريق الاستقامة والانصاف ويقفروهم بكل ما أوتوا من قصاصه سان وسعة بيان وهو برهان عند حدود الشرع الشريف ومي وقف كل واحد عند حده لا يتجاوز دائرة اختصاصه ووصت آحاد الأمة الى هذه الحاية أصبحوا اخوانا متحابين متعاونين على البر والتقوى متباعين عن الاثم والعدوان وانقطعت جرائم الحرائم وذهبت أعراض الفساد ادراج الرياح

ومن هذا يعلم أن العلماء والمعلمين عماد الملك ودعائم النظام وحفظه الأمن العام ومن شك في هذا فقد أخطأ ولم يفهم طسعة الدين الاسلامي هذه كلمتنا للعلماء والمعلمين خاصة.

ويحسن بل يجب أن ننبه الجمهور على امر خطير لا يجوز اغفاله وهو أن الناس قد أصبحوا الآن انما يطلبون العلم على أنه وسية للرزق وطريق يوصل الى فتح أبواب المعيشة فحسبهم وهم على هذا الاعتبار وتلك القاعدة يضعون بأيديهم أمامهم وخلفهم وعن آيائهم وعن شألهم غيبة بل عبات بحول بينهم وبين العلم اذ مجرد أن يضع الطالب قدمه في ساحة طلب العلم وقبل أن تكتحل عينه بشئ من نوره تراه قد انتبذ مكانا وشرع يعكر في شأن نفسه وأخذ الوهم يصور له صلا مستقلة وضياح مجهوده ومرارة حياته فتشرب عوامل اليأس الى قلبه وعيلا لهم قرارة نفسه وتنحل عرا عزيمته فيجتهد في القرار من تلك الحالة ويظهر بأجنحة الخلاص ، وكم قضت تلك

الأوهام على آمال كثيرة من نيهاء الطلبة واذكيائهم ، ومن نازعته نفسه الآيه ونزعت به همته العالية الى مغالبة هذه الخطرات والبقاء في طلب العلم تراه كريحشة في مهب الريح طائفة لا تستقر على حال من القلق ولو أن أولئك الذين سلطوا على أنفسهم قاصفا من روح الوهم حتى أغرقهم في بحار اليأس علموا أن الفرض الاسمي من التشرف بطلب العلم والمثابرة على تحصيله وبذل النفس والنفيس في اقتنائه انما هو تهذيب النفوس وتثقيفها وتصفيها من شوائب الجهل وتحليصها من معرته وتكمل الانسان في ذاته وما يترتب على ذلك من ثمرات ترعى على الحصر وحسنات تقوت المدلطاروا الى تحصيله باجحة الرغبة وعضوا عليه بالنواجذ وغاصوا في بحار فضائله يتناولونه عبالا ارتشافا ، ولو أنهم مع هذا قصدوا به وجه الله تعالى جل شأنه لساق الله اليهم الدنيا مرغمة وبعث النعم تترى والشواهد على ذلك تكاد تكون محسوسة ملحوسة .

وعندنا أن ذلك الخلق السيء (يأس الطلبة بما يصوره لهم الوهم) يمكن ازالته بأن يتمهد العالم المسلم الطالب من أول نشأته بما يبحث من صدره جذور تلك الوسوس والأوهام وينرس في نفسه حب العلم لذاته مينا له أنه طريق سعادة وفلاح في الدنيا والآخرة لمن أحسن السلوك فيه وليس على العالم المعلم من حرج في أن يزود طالب العلم بما يفتح أمامه باب الرجاء والأمل فان ذلك مما يشرح صدر الطالب ويعينه ويحمّله على الاجتهاد والمضي في عمله هذه كلمتنا بالنسبة لطلاب العلم ونرجو أن تكون موفقة مقبولة بتوفيق الله تعالى واهه تعالى يهدينا جميعا الصراط المستقيم .

محمد سليمان السرتي
شيخ معهد أميوط

العلوم والآداب

أثر الاسلام في الحضارة

من كتاب مختصر التاريخ لـ «Out Lines of History» Wells

جاء على الدنيا زمن كانت الحضارة فيه إسلامية عربية ، غير أن بعض الأوربيين في القرون العشرين انتقص فضل العرب وجحد يدم على الإنسانية ، وأما نسوق ترجمة هذه الكلمة على صفحات « نور الاسلام » كشهادة من كاتب كبير انجليزي مشهور أجرى الله الحق على لسانه قال :

« وقد ظهر في العالم الاسلامي عدد من الجامعات الكبرى في مراكز عدة في البصرة ، والكوفة ، وبغداد ، والقاهرة ، وقرطبة ، وقد تضرعت هذه الجامعات من مدارس دينية أسست في المساجد أولا ، وقد أرسلت تلك الجامعات أشعتها الذهبية الى ما وراء العالم الاسلامي وجذبت أنوارها المتلألئة الطلاب الوافدين اليها من الشرق والغرب ، وكان في قرطبة على الخصوص عدد لا يستهان به من الطلبة المسيحيين ، وكان أثر الفلسفة العربية الذي قاض من أسانية على جامعات باريس واكسفورد وشمالي ايطالية ، وعلى الأفكار في غرب أوروبا - كان هذا الأثر عظيما حقا .

وكان اسم « ابن رشد » في قرطبة (١١٢٦ - ١١٩٨ م) اعظم من بلغ القروة في تأثير الفلسفة العربية على الفكر الاوربي .

وهنا اسم آخر عظيم وهو « ابن سينا » أمير الأطباء (٩٨٠ - ١٠٣٧ م) وقد ولد في الطرف الآخر من العالم العربي . في بخارى : ، وساح في خراسان .

وقد انتعشت صناعة نسخ الكتب وأزهرت في الاسكندرية ، ودمشق ، والقاهرة ، وبغداد ، وفي حوالي ٩٧٠ ميلادية كان في قرطبة وحدها سبع وعشرون مدرسة مجانية مفتحة الأبواب لتعليم الفقراء .

أما في علوم الرياضه - كما جاء في كتاب تاريخ أوروبا العام تأليف تاتشر وشول (Thatcher & Schuil) - فقد بنى العرب على الأساس الذي شيده علماء اليونان فيها وكان «الصهر» مجهولا حتى القرن الثاني عشر حيث اخترعه عالم رياضى عربى اسمه «محمد بن موسى» الذى كان أول من وضع نظام الكسور العشرية، والذى رتب الأرقام حسب قيمتها، ولم يصف العرب الى نظريات «أفيلدس» فى الهندسة شيئا إلا أن «الحبر» من صنع أيديهم، ونشروا حساب المثلثات واخترعوا الظل والجيب، وفى الطبيعة أوجدوا رقائق الساعة وانتجت قرآنهم علم «القنوء»

وضربوا فى علم الفلك بسهم صائب فأسسوا المراصد، وصنموا كثيرا من الآلات الفلكية التى مازالت تستعمل الآن وحسبوا رايوه الخسوف وتتابع الاعتدالين، ومما لامرئيه فيه أن معرفتهم بعلم الملك كانت واسعة

وأما فى الطب فقد روى اليونان وسبقوهم فى هذا الميدان، فدرسوا علم وظائف الأعضاء وفن تدبير الصحة وكانوا يركبون الدواء كما نعمل الآن، ومازالت طرق علاجهم لمرضى تستعمل فى هذا العصر وعرف جراحهم استخدام المخدرات، وقاموا بعمليات كثيرة جراحية، من أصعب العمليات المعروفة وأدقها.

وفى الوقت الذى حرمت فيه الكنيسة على الأوروبيين الاحتراف بهذه الطب لاعتقد رجال الدين أن الشفاء يتم تعاوينا بديهة كانوا يقومون بها فى ذلك العصر المظلم كان عند العرب علم حقيقى فى الطب

وبدءوا بداهتنا فى علم الكيمياء، فاكشفوا مواد جديدة كثيرة، ومركبات عديدة كالسكجون واليوتاسيوم وترات نعمة وجامع الكبريتيك والتريك وغيرها.

وقاموا العالم فى المصنوعات من حيث التزيين، وجمال التنسيق، ودقة الصنع، وقد اشتغلوا فى كل المعادن، فى الذهب والفضة والحاس والبرنز والصلب، ولم يهمل أحد فى صناعة المنسوجات الى الآن، وكان الإزجاج وحرف اللذان صنمهما من أجود الأصناف وعلموا أسرار الصناعة، وصنعوا لورق. وأحروا عمليات كثيرة لدبج الجلود وكان عملهم ذائع الصيت فى أوربة كلها وصنعوا الصناعات والزواجر والأشربة. والسكر

من القصب ، وزرعوا أنواعاً بديعة من الكروم ، وفلحوا أرضهم بطريقة علمية وكان نظام الري عديم بديعاً ، وعرفوا فضل زراعة الأزهار ، ونوعوا محصولاتهم تبعاً لنوع التربة وبرروا غيرهم في علم التلقيح فقد عرفوا كيف يحدثون أنواعاً جديدة من الفواكه والأزهار ونقلوا من الشرق إلى الغرب كثيراً من الأشجار والنبات ، وصنفوا في الزراعة كتباً علمية .

ونحن لا يسعنا إلا الشاء على هذا الكاتب المجيد والمؤرخ المادل النزيه فهكذا تخدم الحقائق وبمثل هذا يجب أن يدون التاريخ

شحاته محمد الجويني

ناظر مدرسة اتياي البارود الابتدائية

الضوء والعمل

كثيراً ما يشعر الإنسان بقابلية ورغبة شديدة في العمل فيقوم بمجهود كبير ويأتي بنتيجة أحسن وذلك للملائمة ضوء خاص لتأدية الأعمال العقلية والجسمانية ، وقد تزول القابلية والرغبة أو تقل فيضعف المجهود ويعقم الانتاج لعدم ملائمة بعض الأنواء للعمل ، وقد أثبت الأستاذ الدكتور روفر أن المقدرة على العمل والاسراع والدقة فيه لا تتأثر تأثيراً محسوساً في الأصواء الطبيعية ، وأما إذا أحدثنا تغييراً وتحويراً في لون الضوء فإن الضوء الأصفر هو أصلحها وأكثرها مساعدة لتأدية الأعمال ويليها الأخضر ثم الأحمر فالأزرق ، وتتفق هذه النتيجة التي وصل إليها الدكتور روفر مع أبحاث وملاحظات « كورف » و « يترس » حيث أثبتا أن حدة النظر تصل غايتها القصوى في الضوء الأصفر وتضعف في الضوء الأزرق ، ولذلك يمكن اعتبار الضوء الأصفر أفضل أنواع الانارة لزيادة قدرة الإنسان على العمل وأصلحها لمهورة الانتاج .

(مترجمة عن مجلة Kosmos الألمانية)

الامثلية في التربية النفسية^(١)

« لا يزول الشر ولا ينقطع البلاء عن دولة لم تحكمها
فلاسفتها أو لم تحب ملوكها الحقيقة الصادقة »

أفلاطون^(٢)

يريد أفلاطون بالفلسفة التعاني في حب الحقيقة الصادقة ، فهو بذلك يفرض في
الفيلسوف حالة قلبية ووجدانية خاصة تستلزم الحاسة المطلقة بالحقيقة الصادقة والشجاعة
في الصدق مع اغفال كل وجهات النظر الذاتية ، وكذلك كان يرى « بسمارك »^(٣) أن
الكفاءة والمقدرة السياسية تحتم الوفاء والاخلاص والأمانة .

يفرض أفلاطون في الفيلسوف وضوح الرأي وحدة الفكر ، يفرض فيه المقدرة
على الوصول الى جوهر الأشياء دون أن تضله مصادقات وعوارض الحدثنان ، يريد فيه
خلوص الرغبة وقوة الارادة ، الرغبة والارادة فيما يتطلبه التاريخ من كل فرد ومن كل
أمة ألقت بزمام قيادتها وسياستها اليه في أى وقت من الأوقات ، فكل أمة لها مكانها
وزمنها وعليها واجبها في تاريخ الانسانية ، فسياسة الفيلسوف في إدارة أمور الدولة يجب
أن تكون سياسة الغايات والبواعث الخالصة ، سياسة النظر البعيد الناقب والتمشى مع
تسلسل المناسبات التاريخية العالمية .

وقد يستوجب تعريف ماهية لسانس الفيلسوف على هذا الوجه التبيين والتحديد ،
فلم يقصد بالفلسفة هنا الفلسفة الكمال النفساني بمسحتها الاخلاقية وعقيدتها الراسخة
بسلطان الفكر ، أو بعبارة أخرى فلسفة أنصار مثل الكمال الأعلى من فلسفة الأغريق

(١) خلاص مقال الاستاذ الدكتور هـ هـ ماركوكو : في كتابه (Der Tuermer) لاديب

(٢) هو أحد كبار فلاسفة الاغريق (٤٢٨ - ٣٤٨ ق م)

(٣) هو الامير أوتو فون بسمارك وزير ألية الاول وكبير ساستها (١٨١٥ - ١٨٩٨ م)

والألمان من أفلاطون وأرسطو طاليس^(١) إلى كانت^(٢) وفيشته^(٣) وهيجل^(٤) ويتفق فيشته في الرأي مع أفلاطون في أن الفلسفة ليست وظيفة القرينة المفكرة فحسب، بل هي حالة الإنسان أجمع، توجده وبأرادته ولقد صرح فيشته بذلك في قوله « أن فلسفة المرء تنويع على ماهيه ونوع المرء نفسه » فالفيلسوف هو كل امرئ أصبح بكل ذاته - أي بتفكيره وشعوره وأرادته - في حالة متحدة ملتزمة إزاء المسائل والواجبات الدينية أو ما يبرر عنه أحيانا بالشخصية الفردية، وليست التقوى في الواقع سوى وجهة وحالة خاصة من التفكير والشعور والارادة إزاء الشئون الدينية والدينية العليا، وهنا تتلازم الدانة مع الفلسفة فكلاهما عائد على الإنسان بأكمله.

يجدر بنا الآن أن نتقل إلى جوهر الموضوع وهو مسألة التريه والتعيم، وهنا نتساءل في صلاحية أساس بناء التعليم والتهديب الحاصر وملائته لأعداد شعب يصاح من الوجهة الفلسفية سياسة شئون الدولة والمسئولية عنها قد سبق لنا لايضاح أن الفيلسوف هو كل امرئ، مفكر أو محقق، تفكيره وشعوره وأرادته في حالة ملتزمة متحدة لا تتأثر حالته الروحية والفسيقية، وأراض الحدثناء، فلم يقصد بالفلسفة أي فرع من علم خاص وإنما قصد بها ما هو أكثر من ذلك، قصد بها الحكمة، وقد أطلق عليها « فيشته » الانسانية ككل معاني الحكمة، ويرى أنها الفرض الذي تطمح إليه التريه الصحيحة، ويوصي بتهدبها بالأخلاق، ولرقي ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فالفضل اللبيب والحكيم العقل والفردل الصالح هو من يدرك أن ذلك هو ما تنشد الإنسانية في هذه الحياة لدنيا وسر الوجود واليه تنتهي مساعي البشر فإذا شعرنا يوما بالافتقار إلى الفيلسوف قائما، يجب أن نلتزمه في الإنسان الكامل، قالت الفلسفة ليست علما خاصا من العلوم النظامية وإنما هي علم الانسانية الجامعة،

(١) هو أحد كبار علماء وفلاسفة الأفرقي ويطبق عليه العرب المسم الأول ٣٨٤ - ٣٤٢ ق.م.

(٢) هو إيمانويل كانت أحد كبار فلاسفة الألمان (١٧٢٤ - ١٨٠٤ م)

(٣) هو يوهان جورج فيشته أحد كبار فلاسفة الألمان (١٧٦٢ - ١٨١٤ م)

(٤) هو جورج فلهبرج هيجل أحد كبار فلاسفة الألمان (١٧٧٠ - ١٨٣١ م)

هي الحكمة التي تتعالى على جميع العلوم الخاصة وهي وحدها التي تورث هذه العلوم القدر والجلال ، هي الشيء الذي يجب أن يرود به الناشئ ، هي التآلي والاستقلال عن الزمان والمكان .

وليس كل استاذ في الرياضة والعلوم الاجتماعية أو الفلسفية فيلسوف بمعنى أنه إنسان كامل ، فإن هذه العلوم حتى الفلسفية منها قد انحطت وأزُل من قدرها إلى أن أصبحت علوماً نظامية ولم ترد في الوقت الحاضر على التعليم الخاص من ناحية واحدة لا تهيء المرء لأن يكون إنساناً كاملاً وعضواً عاملاً للإنسانية من جميع النواحي .

وربما ارتقى العامل البسيط وسمى إلى ذروة الحكمة إلى أن أصبح يحيا متألفاً في سماء الإنسانية فلا يخلو مرشد في الفلسفة من اسمه مثل بويج^(١) وسبينوزا^(٢) كما أن سياسة بسمارك لم تكن صناعه خاصة أو علما نظاميا بل هي نتيجة فيض إنسانية كاملة .

فطن فيشته إلى جوهر البلاء ومكن الشر في التربية والتعليم سد نف ومائة وعشرين عاما ورأى أن بناء الإنسانية يتهدم لانقسامه إلى اخصائيين متافرين ونشته في أفراد مفكرين غير متصلين فجاء في رسالته^(٣) ما معناه : « ان كل فرد يهتم باعداد نفسه للعمل الذي اختاره ، فيجهز تطفل مند نعومة أظفاره لطريق خاص في الحياة ويُمتنى كل الاعتناء في تربيته تربية صالحة تؤهله لعمله المستقبل ويُهمل كل ما ليس له به علاقة أو ما يمكن الاستغناء عنه ، وقد يترك الفتى الذي يمد نفسه لأن يكون يوما عالما جميع العلوم أو اللغات التي تعني بالثقافة العامة أو العلم لداته ويخصص حياته في دراسة ما سواها من العلوم واللغات التي يحتاجها في مستقبل حياته لجرد كسب قوته ، فيشب وهو يستهجن طرق الحياة الأخرى بقدر بعد بعضها عن بعض ، فيوحه الطبيب كل عنايته إلى معرفة الدواء والقانوني إلى تشريع بلاده ، والتاجر إلى فروع متجره ، وهكذا يعمل كل في واجبه ، وقد يكون ذلك سبباً في وجود مزايا خاصة لمجموع ولل فرد على حد سواء . الا

(١) هو يقطوب بويج أحد علماء اللغات الرومانس وكان من قبل صانع أجديه ١٥٧٥ (١٦٢٤)

(٢) هو بديكتوس دي سينور أحد الفلاسفة الهولندي وكان من دل عاملا في صبح رواج نظار ١٦٣٢ -

(١٦٧٧)

(٣) هي « رسائل فيشته إلى كولنتانت » وظهرت حديثا باسم « ملعة للمصويه »

أن هذه التربية التخصصية تمد علاجاً ناقصاً ومعرفة جزئية لا تنفع إلا لناحية واحدة وتؤول عادة إلى الخذلان والتظاهر بالعلم والمعرفة ، فقد يعتقد كل منهم أن التربية الصحيحة التي تنشدها الإنسانية إنما هي الخاصة بمهله ووظيفته في الحياة ، وهكذا يرفع العالم المتحذلق من قدر علومه ويحط من قدر ما سواها فيبذل كل وسعه في أن يفصح عن دقائق علومه في خطابه وأحاديثه إلى الجماعة ويحتهد في حمل الأفكار على الاتجاه إلى مورد ثقافته ، ويفعل مثل هذا التاجر المتحذلق باحتقاره العالم وتبجيله للمادة وحدها ، ويحتقر الفارس هذا وذاك ولا يمجد سوى القوة والنشاط الجسماني ، وهكذا يحتهد كل منهم في التأثير على جميع طبقات الناس لتربيتهم تربية جزئية تسبب التعصب والجمود » وهكذا تهدم صروح الإنسانية الصحيحة بمعاول الاختصاصيين ، وهذا فيه مافيه من فساد وتلف للهيئة الاجتماعية والدولة على حد سواء ، فينحصر تفكير وشعور وإرادة الناس في الذات والمنفعة الخاصة مهملين ما فيه المصلحة العامة الاجتماعية ويفقد المجموع مرتبته العليا وسيطرته ويفضى الأمر إلى المقم وعدم الكفاءة السياسية في تدبير شئون الدولة على الوجه الأكمل الصحيح ، بل وتفقد كلمة السياسة معناها الشريف وتأخذ معنى وشكلاً آخر خالياً من كل رونق وجمال

لذلك يحذوه فيشته « حذو أفلاطون بمطالته بتربية روح الإنسانية الكاملة لتجهيز الفلاسفة ، فذكر في خطابه إلى الشعب الألماني أن المشكلة السياسية ما هي إلا مسألة تربية شعبية وحمل على شيوع التخصيص في التعليم وذكر أنه منشأ كل شر وسبب البلية وذلك لامتنياز الاختصاصيين لسلطان واسع في تدبير شئون الدولة وكل منهم يسعى في توجيه كل العناية إلى تدريس فروع صناعته بالمدارس فتمتلأ عقول الدشي بمواد العلوم وتتغلب المادية في تفكيرهم وشعورهم وإرادتهم ، على أن الفرض الحقيقي من المدارس هو جعلها معاهد للتمرين العقلي وأن الفرض من تدريس القواعد والرياضة هو التضامن في لين ومرونة التفكير والشعور والإرادة وتحريرها من حور العوارض والأحداث ، فلا يجب اغفال أن قدر الحياة فوق قدر الغذاء ، فينبغي اختبار الطالب في مقدرة العملية دون أن تضل الإنسانية في تفكيره وشعوره أو إرادته بين فيض المواد البائدة .

ان ادخالنا مواد جديدة في التعليم للإصلاح كان سبباً في زيادة البلاء حتى ولو كانت هذه المواد للتربية الوطنية، إذ أن الطالب يستظهر مواد الدستور دون أن تنمو فيه الملكة السياسية الحقيقة التي ينشدها أفلاطون وفيشته .

ان الطريقة المثل والملاج الناجع إنما هو في انقاص العلوم خصوصاً العلوم الطبيعية وتقليلها في مناهج التعليم العالي على وجه الخصوص .

ان عدم معرفة الطالب لكيفية تركيب الآلة اللاسلكية أو بناء القاطرة ليس يجالب عليه شراً مستطيراً، ولكن عدم معرفته لأثر كانت وفيشته وهيجل الفلسفي وأن يتم دراسته، ودراسته المالية دون أن يتغذى بروح المفكرين والفلاسفة والشعراء النابيين هذا مما لا يحمده عقابه، ان دراسة الدساتير وما شاكلها من الأمور اللازمة الضرورية ولكنها ما فتئت رداء، وما الروح فهي وحدها باعثة الحياة .

فإذا أردنا السعادة والشفاء من هذا لمرض الاجتماعي فعلياً بالأمثلية في التربية النفسية .



اكتشاف جديد لمكافحة حمى الملاريا

جاء بمجلة (Kosmos) الألمانية أنه اتضح أخيراً أن نوعاً من السمك الصغير واسمه جامبوسيا ويطلق عليه أحياناً سمك البموض يفتك ببويضات وديدان جميع أنواع البموض، وهذا النوع من الأسماك لا يزيد طوله عن ٨ سم ولونه أخضر فاح يقطن سواحل المكسيك الشرقية وجنوب الولايات المتحدة الأمريكية، ونقل بعض منه إلى جزائر « هوائي » بالمحيط الهادي وفرموزاو ماناليا وجاوه والصين، وأخيراً أرسلت منه كمية أيضاً إلى بعض الجهات في إيطاليا الموبوءة بحمى الملاريا مثل منطقة مصب نهر التير هنتك بما لا يقل عن ٨٠ إلى ٩٠ في المائة من ديدان وبويضات بموض الملاريا، وتجري الآن تجارب للاستفادة منه في تطهير الجهات الموبوءة بهذه الحمى في شبه جزيرة البلقان

(١) مبادئ عامة

— ٢ —

في الاقتصاد السياسي

الحالة الاقتصادية

٢ — تعريف الاقتصاد السياسي

التعريف : يعنى الاقتصاد السياسي بدرس العلاقات الاقتصادية التى أسلفنا الكلام عنها وكذا بدراسة أنواع النشاط الاقتصادية والاعمال التى يقوم بها الناس ويتبادلونها .

ويمكن أن نقول في تعريف الاقتصاد السياسي ان موضوعه هو النشاط الذى تقوم به هيئة من الناس تربطها صلات اجتماعية والذى تؤديه بالتضامن لسد حاجياتها المادية وزيادة هوائها ورخائها . أو بعبارة أخرى : ان موضوع الاقتصاد السياسي هو الحياة الاقتصادية .

تعاريف أخرى : قد وضع العلماء تعاريف أخرى للاقتصاد السياسي وكان خطأ بعض تلك التعاريف أن جعلت الاموال والثروات الموضوع المهم لدراسة الاقتصاد السياسي . فقد وضع الاستاذ ج . ب . سي (J. B. Say) في سنة ١٨٠٣ مؤلفا اسماء : « رسالة في الاقتصاد السياسي — أو — شرح موجز للطريقة التى تتكون بها الثروات وكيف توزع وتستهلك » . أما روسى (Rossi) فقد عرف الاقتصاد بأوجز من ذلك حيث قال انه « علم الثروات » ومن هذا التعريف استعمل الاقتصاديون لفظ (Chrématistique) ومعناه كل ماله علاقة باتاح الثروات وكذا لفظ (Ploutologie) معني « درس في الثروات » أو « علم الثروات » كما لو كان

(١) مترجم عن الفرنسية من كتاب « موجز في الاقتصاد السياسي للاستاذ ب. ريبود (P. REBOUD)

الاقتصاد السياسي على دعم بعضهم علما يختص قبل كل شيء بدراسة الاشياء المادية أوكما لو كان الناس قد خلقوا من أجل الاموال لا العكس أى لا كما لو كانت الأموال خلقت من أجل الناس ، فالثروات بالمعنى الذى يقصده سىي (Say) لا توجد ولا تعتبر كثرات الا بعلاقتها وبنسبتها للناس ، فهى تستخدم كوسائل لسد حاجياتهم ، وعلى هذا الاساس يعنى الاقتصاديون بدراستها والافان المأرب الاسمى هو أن يتجس المراء كبر كمية ممكنة من البضائع بأقل مايمكن من النفقات دون العناية بالانسان نفسه أكثر من العناية بآلة من الآلات وبدون الاهتمام بالظروف التى يؤدى فيها الانسان عمله ولا بالحصة التى تؤول الى كل عامل عند توزيع الاموال

العلاقات الأخرى التى بين الناس - لم يرتبط الناس بعضهم ببعض بروابط اقتصادية فحسب بل هم مرتبطون كذلك بروابط اللغة التى تسهل بقية العلاقات الأخرى وبروابط أديبه ودينية وقانونية وسياسية ، وكل رابطة من تلك الروابط هى موضوع علم قائم بذاته ، وادا كان الاقتصاد السياسى علما من العلوم - وهذا مايسندرسه فيما ددد - فهو فرع من مجموع العلوم الاجتماعية التى تبحث كلها في دراسة الانسان بصفته كائنا حيا يعيش في هيئة اجتماعية لكنها تعتبره من وجهات مختلفة ، الا أنه توجد حتما بين تلك العلوم والاقتصاد السياسى نقاط اتصال عديدة بسبب وحدة الموضوع وهو الانسان الاجتماعى المدنى بالطبع ولا سيما بين الاقتصاد السياسى والقانون وعلم الاخلاق . فهذه العلوم الثلاثة تبحث في ثلاثة أوضاع مختلفة من نشاط الانسان والتى مواضعها هى على التوالى : (١) سد حاجيات الانسان ، (٢) واستعمال حقوقه ، (٣) اداؤه واجبه .

الاقتصاد السياسى والقانون وعلم الاخلاق :

١ - توجد صلات وثيقة بين القانون والاقتصاد السياسى ، فنشاط الناس الاقتصادى يحدث داخل دائرة القانون المكونة من قواعد يجب على الناس مراعاتها مثل القواعد الخاصة بالملكية ونظام الموارث والمعقود المدنية والتجارية والالتزامات التى تنشأ عنها

لكن المشرع عند ما يضع تلك القواعد يخضع لحدا ما لحكم بعض الظروف والشروط الاقتصادية الخاصة بهيئة من الهيئات الاجتماعية ، فكثير من تلك القواعد ماهر وليد حقا لضرورة الاقتصادية .

وكذلك القواعد القانونية فانه ينشأ كذلك عقب نشرها نتائج من شأنها أن تحدث تعديلا في الحالة الاقتصادية لهيئة من الهيئات الاجتماعية كما هو الحال مثلا في القوانين الخاصة بالوراثة التي لها تأثير عميق على توزيع ثروة الامة ، ويقال أحيانا—ولا سيما في ألمانيا—ان الاقتصاد هو «مضمون الحياة الاجتماعية الخاص وان القانون هو شكلها»

٢— أما من حيث الروابط التي بين علم الاخلاق والاقتصاد السياسي — تلك الروابط التي يثردها البعض تارة وينكرونها تارة أخرى—فانه لابد من التمييز بينها، فلم الاخلاق يعرف عادة بأنه علم الخير، ويشتمل على قواعد السلوك التي نعد في زمن معين من الازمان ولدى أمة معينة من الأمم كقواعد اضطرارية يجب على الاغلبية العظمى من أفرادها اتباعها بحيث ان كل مخالفة لتلك القواعد تحدث استياء عاما عند أعضاء الهيئة الاجتماعية . وهو (علم الاخلاق) مكون من مجموعة من الآراء عن الخير والعدل التي يرجع وجودها الى وجدان كل فرد من الافراد ويكون مجموعها الوجدان العام لشعب من الشعوب .

أما الاقتصاد السياسي البحث الذي موضوعه مقصور على البحث عن القوانين الاقتصادية — وسيأتي الكلام عليه بتفصيل — فانه ليس علما يدعو الى مكارم الاخلاق كما أنه لا يتنافى مع علم الاخلاق لكنه لا هذا ولا ذاك وموقفه من علم الاخلاق موقف حياد لا موقف تعارض ولا موقف اتفاق كعلم الطبيعة والكيمياء فهو يقرر الوقائع ويفسرها ويبحث مثلا في استنباط القوانين الاقتصادية التي هي المسيطرة على تحديد أثمان الاشياء سواء أكان ذلك في أحوال حرية التجارة أم في أحوال احتكار البضائع ولكنه لا يشير باتباع أى عمل ولا يرسم أية خطة يجب اقتضاؤها ولا يعنى بأى واجب من الواجبات بينما علم الاخلاق يعين للناس الواجبات التي يتحتم عليهم

اتباعها ويتضمن فكرة الوجوب لاداء أمر من الأمور أو اجتناب عمل من الاعمال خشية تقيع الرأى العام وسخط الجمهور .

واما الاقتصاد السياسى التطبيقى فهو على خلاف ذلك ، وعلى الاخص الاقتصاد الاجتماعى (وسأأتى الكلام عنهما بتوسع) فهو يبحث فى تحقيق قسط أعظم من السعادة لبني الانسان وتقرير قواعد السلوك لتحسين حالة أصحاب الأجر من العمال وحاله العجزة والمرضى والموزين وعلى العموم حالة صغار الناس والضعفاء

واما الاقتصاد الاجتماعى الذى يتضمن فكرة : «أن هناك ضرورة الى وجود نظام مدبر ومطابق لفكرة تستمد روحها من العدل والانصاف، فهو مأخوذ قاما من علم الاخلاق فقد تضمن القوانين لتنظيم العمل والمنشآت المخصصة لتسهيل وتحسين وسائل المعيشه من حيث التغذية والسكن والصحة العمومية والتربية الاجتماعية والاقلال من نسبة الاخطار المختلفة بفضل صناديق التوفير والتأمين وجمعيات التعاون ولجعل العمال أكثر استقلالاً . كل ذلك مستمد من اعتبارات أساسها علم الاخلاق . ولقد قيل بحق : «ان كل نظام اقتصادى يجب أن يكون من الوجهة الاجتماعيه مؤسسا على العدل، أى حول فكرة مبنية على الفضيلة ، فالاقتصاد الاجتماعى يعمل على تطبيق مبدأ الفيلسوف الالمانى «قانت» القائل : «اعمل دائما كأنك تعتبر شخصية غيرك كفاية لا كوسيلة»

لاشك أن للشروط الاقتصادية تأثيرا على حياة الشعب الاجتماعية أى على جميع مظاهر نشاطه الأخرى (مثل المظاهر القانونية والحلقية والدينية والسياسية) إلا أن بعض المؤلفين قد بانوا كثيرا فى مقدار ذلك التأثير إذ نسبوا اليه دورا راجحا جدا فادعوا ان كل المنشآت وكل معتقدات الناس يرجع أصلها وتفسيرها الى التكوين الاقتصادى للهيئة الاجتماعية . وسنعود لهذا الموضوع فيما بعد عند الكلام على نظرية التاريخ المادية

من أين جاء اسم الاقتصاد السياسى : - ان أول من استعمل لفظ «اقتصاد

سياسي « هو انطوان مونكريتيان (Antoine Monchretien) الذي ألف في
فرنسة عام ١٦١٥ رسالة في الاقتصاد السياسي كانت متداولة في فرنسة وخارجها في
غضون القرن الثامن عشر عند ما اقبل الناس كثيرا على دراسة الاقتصاد السياسي
الا ان هذا اللفظ لم يصادفه حسن الاختيار لأن معناه يدل من الوجهة اللغوية على
إدارة شئون المدينة، مما يحمل على الظن بأن الاقتصاد هو فن الحصول على إيرادات
لمدينة أو للدولة ويلتبس ذلك مع مانسيه وباسم علم المالية، ولقد استعملت الفاظ
غيره في فرنسة وخلافها من البلدان الا أنها لم تصادف نجاحا للتغلب على شيوع استعمال لفظ
الاقتصاد السياسي رغم أنها من الميوب والقصور عن تأدية المعنى المراد .

(يتبع)



العثور على نباتات سامة جديدة

أرسل معهد « سمثسون » واشنطن بعثة من العلماء لبحثين إلى مساح نهر
لأمازون بأمريكا الجنوبية لبحث ودراسة النباتات العربية في هذه المقاع ، وقد عادت
هذه البعثة قريبا واستحضرت معها ما يقرب من ثلاث آلاف نوع مختلف من النباتات
ينها الكثير من النباتات السامة ، يشبه بعضها في التركيب عنقور السب ويطلق عليها
الهنود اسم « كابي » ولا تأثير لها بقاء لو أكلت صالحة لما يؤكل كثير ، لأنه من أحد حصنها
فيكون لها تأثير مغيب كالأميون ، ومن هذه النباتات السامة يجب ملاحظة نباتي هذه
البقاع بأمريكا الجنوبية في صيد الأسماك . وهي تحتوي في السطح في مادة يشبه اللبن
إذا أقيمت في مياه الأنهار أصابت الأسماك بانغم ، فتطفو على سطح الماء دون أن تصيب
لحمها بتأثير سمي .

(مترجمة عن مجلة Umrau الألمانية)

الرؤية عن بعد

يرجع اختراع الآلات «الرؤية» الى سنة ١٨٨٤ التي اخترع فيها نيكولو أول آلة «رؤية» ومن ثم أخذت تتطور بتطور المسرة و «اللاسلكي» الى أن قام جنكز بأمرية ويرد بريطانية سنة ١٩٢٥ بعدة تجارب كان نصيبها النجاح وتلتها شركة المرات والمراقم الكهربائية (التلفرافات) الأمريكية بأول تجربة عام سنة ١٩٢٧ حيث نجحت في ارسال عدة صور من مدينة واشنطن الى مدينة نيويورك ، وفي سنة ١٩٢٨ أعلن ويرد امكان نقل الصور عرض المحيط الاطلانطي ولم يكن هذا النقل قاصرا على الصور العادية فحسب بل شمل الصور الملونة أيضا .

ومن ذلك الوقت أخذ هذا الاختراع في التقدم السريع الا أنه لم يزل الى يومنا هذا في دور الاصلاح والتحسين .

نظرية الرؤية عن بعد :

تتضمن نظرية الرؤية عن بعد تحويل الضوء الى اشارات كهربائية ثم ارسال هذه الاشارات الى مكان بعيد ثم احالتها الى ضوء من جديد ، فاذا أمكن القيام بهذه العمليات الثلاث بسرعة ودقة كافيتين يسر نقل صور كاملة سواء كانت ثابتة أو متحركة .

وقد يكون من السهل القيام بهذه العمليات لو أن كل ما يراد ارساله هو اشارة ضوئية واحدة ولكن لا بد لنقل صورة كاملة من ارسال عدد كبير من الاشارات في برهة وجيزة .

فاذا علمت أن كل صورة تتكون من عدد كبير جدا من المساحات والاجزاء نمت من كل منها ضياء مختلف عن المسعت من الأخرى وأن طبقة العين الشبكية ذات الأشكال المخروطية والطولية تقوم بتحليل الصورة التي تقع عليها العين الى أجزاء صغيرة تنقلها شعبيات عصب البصر العديدة الى الدماغ تبين لك كيف يمكن نظريا نقل الصور بتعريضها لعدد كبير من القوارير الكهربائية الحساسة وتوصيل كل منها بمجربى كهربائي يقوم بارسال الاشارات الكهربائية الى مكان بعيد .

غير أن هذه الطريقة المتشعبة ليست ميسورة في العمل فقد استمانوا في التجارب التي نجحت بطريقة تعرف «بطريقة الامعان» وهي الطريقة التي يمكن بها نقل الصورة بحذائيرها نقطة نقطة بإرسال الاشارات المناسبة لدرجة الضوء المنبعث من كل نقطة من حيث القوة والضعف وهي مستعملة في ارسال الصور الثابتة التي يستغرق ارسالها بضع دقائق ولكن الأمر يختلف في حالة الصور المتحركة حيث يجب أن لا يستغرق نقلها أكثر من جزء صغير من الثانية (نحو $\frac{1}{16}$ منها) حتى تبدو كاملة وحتى يمكن أن تتغير أشكالها بسرعة كافية تبعاً لحركة الشيء المرئي بدون أن يعرّض الصورة أدنى اضطراب .

جهاز الامعان :

هناك عدة طرق لرؤية الصور بسرعة منها طريقة المرايا المتذبذبة وطريقة الاقراص الدائرة ، وقد وجدوا بالتجربة أن الطريقة الأخيرة هي الطريقة المثلى وهي تشتمل على قرص مستو مستدير به ثقب صغير تتخذ في مجموعها شكلاً حلزونياً ، فإذا أدير هذا القرص فإن كل ثقب يمر بدوره أمام منطقة الرؤية وبذلك يمكن رؤية الصورة كلها عند تمام كل دورة . وقد وجدوا أن أفضل طريقة لاستعمال هذا القرص هي أن تلقى صورة المنظر المراد نقله خلال عدسة على ثغرة في القرص مصنوعة بشكل وحجم خاص بحيث يمكن تعريض ثقب واحد فقط للصورة المراد نقلها ، فإدارة القرص من ١٥ الى ٢٠ دورة في الثانية تظهر الصورة التي تنفذ من الثقوب تامة ثابتة ولو أنها في الواقع مكونة من اشارات ضوئية يأتي بعضها أثر البعض .

تحويل الضوء الى اشارات كهربائية :

يستعمل للحصول على تيارات كهربائية من الضوء الذي ينفذ خلال ثقب قرص الامعان مادة تتأثر بالضوء يجب أن تكون سريعة التأثر وأن ينبعث منها تيارات ذات قوة خاصة يمكن ارسالها بوسائل الارسال العادية كاسلاك المسرة مثلاً .

ولهذا الغرض استعملوا في التجارب الأولى مادة السليمنيم ^(١) غير أنه ظهر أنه بطل التأثير فاستعانوا في التجارب الحديثة بالقارورة الكهربائية وهذه مكونة من أنبوبة زجاجية على جدرانها الداخلية طبقة من معدن قلوى كالبوتاسيوم ويمكن تفريغ الأنبوبة من الهواء أو ملؤها بغاز عديم الحركة كالأرجون ^(٢) فيسبب وقوع الضوء على هذا السطح انبعاث الذرات الكهربائية السالبة (الالكترونات) ويتولد بذلك تيار كهربائي لا يكون تأثيره وحيا محسب بل معادلا لقوة الضوء أيضا .

ومن الضروري قبل الإرسال مصاعفة التيارات الكهربائية الناتجة بواسطة مضخات معرّغة ويرجع نجاح الرؤية عن بعد في الواقع إلى التحسين الذي تناول هذه المضخات الإرسال : إذ عرّضت الصورة المراد إرسالها لجهاز إمعان به خمسون تقيا فتحليل الصورة يعادل تقسيمها إلى ٥٠ في ٥٠ أو ٢٥٠٠ جزء فيجب لتكون صورة متسقة لا انقطاع فيها أن تمر هذه الصورة بتمامها بجهاز الإمعان نحو عشرين مرة في الثانية الواحدة وهذا معناه إرسال اشارات كهربائية تعادل ٢٥٠٠ في ٢٠ أو ٥٠.٠٠٠ جزء في الثانية وهو مايساوى كهربائيا ٢٥٠.٠٠٠ دورة في الثانية تقريبا ، فإذا علمت أن إرسال الكلام بالمسرة يستلزم من الاشارات الكهربائية مايساوى ٢٠٠٠ دورة في الثانية تقريبا وبالإسلكي يستلزم مايساوى ٥٠٠ دورة في الثانية انضح لك مايستلزمه إرسال صورة عادية من الوسائل الفائقة والمجهود العظم .

ويتم إرسال اشارات الرؤية عن بعد بطريق سلكي أو لاسلكي ففي الأول ترسل الاشارات في الاسلاك بالطريق المعتاد وفي الثاني ترسل الاشارات بواسطة آلة مرسل ذات قوة مناسبة .

تلقى الصور : - ان أسهل طرقه توصلوا إليها لاعادة تركيب الصور المرسلات هي طريقة القرص ذي الثقوب المتخذة شكلا هـ حلزونيا هـ كالقرص الذي في الطرف الناقل

(١) السليمنيم مادة معدنية تختلف مقاومتها للتيار الكهربائي الواقع عليها باختلاف درجة الضوء .

(٢) الارغون أحد الغازات الموجودة بالجو اكتشفه راييليه ولوميس سنة ١٨٩٤

فإذا أريد تلقى صورة ما يوضع وراء هذا القرص منبع للضوء يمكن رؤيته خلاله ويتبع القرص بدقة كل تغيير في قوة الاشارات الواردة من حيث الضياء والاقلام وقد وجدوا أن أفضل منبع للضوء هو مصباح غاز النيون^(١) المتوهج الذي ينير منطقة الرؤية اشارة تامة فإذا ما دار القرص بسرعة وراقبه الناظر رأى نقطة ساطعة من الضوء قوتها تعادل قوة الاشارات الواردة وهذه تعادل بدورها التيار الكهربائي الصادر من طرف الارسال أو بمعنى آخر تعادل قوة ضياء أجزاء الصورة المراد ارسالها .

ويرى الناظر -بامعان النظر- منطقة مضاءة اضاءة تامة تختلف اجزاؤها عتمة وسطوعا فإذا كان قرص التلقى دائرا بنفس السرعة التي يدور بها قرص الارسال ويتبعه في تغيره بدقة كانت الصورة في الطرف المتلقى مماثلة للصورة الأصلية في طرف الارسال .

ولمسألة اتفاق سرعتين هذه أهمية كبرى في نجاح نقل الصور حيث يجب لنقل منظر نقلا دقيقا أن تكون سرعتا القرصين متطابقتين بدرجة فائقة فإن مجرد تغير سرعة أحدهما عن الآخر ولو تغيرا نادرا يؤدي الى اهتزاز الصورة المتلقاه وتشوهها فتخرج كدرة غير واضحة.



(١) غاز النيون هو غاز أو خليط من غازات اكتشفه السير وليم رامسى .

الجلد سياج لجسم الانسان

جلد الانسان هو أول مايقع عليه نظرنا واليه يرجع غالبا حكمنا على المرء من الوجهة الصحية لأول وهلة ، ولذا كانت العناية بالجلد على أصول علمية صحيحة من أول الواجبات التي ينبغي الاهتمام بها وتعهدها دائما بالا صلاح والوقاية . فكلنا نعرف أى أثر يتركه منظر المرء الخارجى فى أنفسنا اذا كان هذا المظهر غير ممتنى به ، وكثيرا ما تقدر أعمار الناس بمجرد النظر الى جلد وحوهم وأيديهم

فلا عجب اذن اذا دعونا الى العناية بالجلد فى هذا العصر ، عصر التقدم والمعرفة وتطبيق العلم على العمل .

فاذا قلنا ان جلد الانسان هو السياج الذى وهبنا اياه سبحانه وتعالى ليقينا شر تأثيرات العوامل الخارجية وليتمم عينا صورتنا الجميلة فاننا بذلك لم ندع غير الحقيقة ولم نذكر غير الواقع الصحيح .

وليس الجلد سياجا يحول دون التأثيرات الخارجية فحسب ، بل هو بطبيعته المعصومة يحمينا من التأثيرات الكمائية والجراثومية الداخلية ، فهو بذلك مرآة تفصح فى غالب الأحوال عن حالة المرء الصحية ، هذا الى أنه كثيرا مايشف عن الحالة النفسية والوجدانية .

ومن الحقائق الثرية والتي لم يهتم بها العلم من قبل أن الأمراض الجسمية التي تعترى جلد الانسان لاتصيب الأعضاء الداخلية بمطأ أو أذى ، كما أن الأمراض التي تصيب الأطفال مثل الحصبة والحمى القرمزية تخف وطأتها اذا كانت مصحوبة بطفح جلدى .

فكل هذه الأمور جعلت الاعتقاد سائدا بين عامة الناس بأن الأمراض لايتخفى وقعها اذا ظهر طفحها على الجلد .

والجلد يوصل أشعة الضوء الى الأعضاء الداخلية ويخفف من تأثيرها عليها

وبدونه تصبح ضحية لتأثيرات أشعة الشمس فوق البنفسجية ذات الأمواج القصيرة ^(١) القاسية ولعصرت أعصابنا لداخلية الى تهلكة ولكن الطبقة الجلدية تقف في صريقها وتفسد قود صدماتها ثم تترك الاشعة ذات الأمواج الطويلة تنفذ لتنشيط تكوين المادة الملونة في خلايا الجلد .

وهذه المادة الملونة هي من أهم ما ينتجه الجلد من المواد الواقية وهي في المناطق الحارة غزيرة وكثيرة حتى أنها ترى حاكمة اسود في بعض الأحيان وذلك لشدة أشعة الشمس في هذه الجهات ، ولا يقتصر اثبات أثر هذا الحصاب على ذلك فحسب بل ان له في أمراض مختلفة أثرا عظيما .

ولقد انضح أخيرا أن التدرن الرئوي (السل) يكون أخف وطأة وأبطأ سريانا وأقل خطرا اذا أصيب به ذو البشرة اسمر ، كما أنه لوحظ أن المصابين بهذا المرض الخطر كثيرا ما تغفر لون بشرتهم فتأخذ لونا فاتما ، ويقلب على الظن أن لذلك علاقة بعملية الدفاع ضد شدة هذا المرض .

ولا يخفى أنه بزيادة حصانة الجلد ندفع عن أجسامنا أمراضا كثيرة ، وعلى هذه القاعدة بنيت عملية التطعيم .

ولقد يكون من الصواب أن نذكر شيئا عن خواص الجلد الحيوية الأخرى بعد أن أشرنا فيما سلف الى خواصه فيما يتعلق بالدفاع عن باقي الأعضاء الداخلية في الجسم . يتنفس الانسان بواسطة الجلد بقدر ، مما يحتاجه في عملية التنفس ، ولو أخذت هذه النسبة مجردة لظهرت ضئيلة ، الا أن أهمية هذا الجزء الصغير في التنفس يتضح لنا جليا اذا علمنا أن الانسان يموت اختناقا اذا احترق ثلث جلده ، وقد تظهر أهمية التنفس بواسطة الجلد في أجلى مظاهرها في الحيوانات ذات الدم البارد كالضفادع مثلا التي تحتاج الى الجلد في التنفس بما يقرب من ثلثي مقداره ، ويمكن للانسان أن يربط الرئة فيمنعها عن أداء وظيفة التنفس دون أن يعرض حياة هذا

(١) أشعة الشمس داخلنا بدمه فأنه يروح من ماتحت لأشعة حمراء ذات الأمواج الطويلة ، وبيا والذئبات الطويلة الى ما فوق الأشعة البنفسجية ذات الأمواج القصيرة ولتساقط الكبد .

الحيوان الى خطر ، ولكنه اذا غمرها في اريب ومنع الجلد بذلك عن أداء وظيفة التنفس فانها تموت مختنقة في الحال .

ولزيادة التثب من أداء الجلد لهذا العمل يجدر بنا ذكر بعض الارقام التي تدل دلالة واضحة على أن الجلد هو من أكثر أعضاء جسم الانسان نشاطا ، ففي درجات الحرارة العادية يفرر الانسان من خلال الجلد ٢٨ جرم ماء في كل ساعة ومن ٨ الى ١٠ جرامات حامض اكرينيك في كل ٢٤ ساعة ، وتنصاعف هذا الكميات بارتفاع درجة الحرارة أو زياده العمل والحركة ، ويحتوي عرق الانسان على ٦٦ في المائة من ملح الطعام ، وينتج الجلد يوميا : جرام من مادة الشعر ، على أن الانسان يفرز بواسطة الجلد زيادة عما ذكر مواد أخرى مختلفة كثره كالحامض البولي .

هذا . الى أن الجلد يمتص مواد أخرى خارجية ويوصلها الى باقى الأعضاء ، فبواسطته يدخل $\frac{1}{3}$ من الأكسجين الذى يحتاجه جسم الانسان ، كما أن كثيرا من الأدوية تصل الى دورة الجسم اذا دخل بها الجلد ، وقد لوحظ انخفاض كمية السكر في الدم اذا دخل الجسم «بالانسولين»^(١)

وللجلد تأثير كبير على جميع الافرازات الداخلية ، كما يتضح اختلال هذه الافرازات على الجلد ، فاجهد العدة الدرقية^(٢) ينتج عنه نقص الجلد فيجب ويتشقق ، وحمولها بسبب تنمخه فيصبح اسفنجيا ، ويرجع ذلك الى اختلال المجموعة العصبية لبيانية في الحالة الاولى واختلال لدوره الخيرية في الحالة الثانية ، ومن هذا يتضح لنا طريق علاج ووقاية الجلد .

كان قياصرة الرومان قديما يفسلون بماء الخلية^(٣) لم يحتويه من مواد دهنية وجيرية ، فالمواد الخيرية تساعد على حصانه الأنوعية الدموية وتحمض قابلية الجلد

(١) الانسولين هو دواء مرض السكر ويطلق عادة بواسطة الحقن تحت الجلد

(٢) الغدة الدرقية هي غدة في أعلا القرب . ولها افرازات داخلية حيوية هامة وسيت درية لانها على شكل درة

(٣) «معية نبات طي معروف علميا باسم «يوموروبا»

للالتهابات ونبيه المجموعة العصبية كما أن المواد الدهنية تساعد على زيادة سيلان الدم كما أثبت ذلك العلم حديثاً حيث أن الدم لا يتجمد بسرعة في الأواني الشحمية ، وتساعد الحصرات الأملاح الجيرية في عملها ، وعلى ذلك يمكننا أن نعتبر أن أحسن طريق لمعالجة ووقاية الجلد هو الاكثار من الأغذية الغنية بأملاحها الجيرية والاكثار من شرب اللبن واستعمال المساحيق ذات الأملاح الجيرية والمرامهم الدهنية دون أن يؤدي ذلك الى سد مسام الجلد .

وبما أن الجلد يتنصص مواد أخرى محل المواد الدهنية فينبى تسليكه من أن لا آخر بالكحول النقي كما ينبى تجنب الاكثار من أكل اللحوم حتى لا يكثر افراز الحامض البولى الذى يظف وونق الجلد .

تأثير درجة الحرارة على النباتات

لكل نوع من النباتات درجة حرارة خاصة ينمو فيها نمواً حسناً مضطرباً ، ولهذا السبب يرجع عقم كثير من أنواع البساتين إذا نقلت من مكانها إلى ناحية أخرى قد لا تكون درجة حرارتها كافية لنموها الطبيعي ، ودرجة الحرارة المرتفعة صارة بالنسبة لضرر درجة البرودة المنخفضة ، فالحرارة الشديدة قد تسبب موت النبات ، إلا أن هناك أنواعاً تتحمل أشد درجات الحرارة ارتفاعاً وبعضها يستلزم ارتفاع الحرارة لنموه ، كما أن كثيراً من النبات ما يدفع عن نفسه البرد القارس بواسطة قشور البرعم وشعيراته الرديئة التوصيل للحرارة ، كما يتوسل لذلك في بعض الأحيان بتقليل عصيره أو تغيير تركيب هذا العصير تغييراً كمائياً وعلى الأخص في النصوص ، إلا أن هناك نباتات تتحمل درجة حرارة منخفضة جداً مثل أشجار الصنوبر التي تنبت في سيبيريا وألاسكا وكندا ومثل نباتات القطب التي تعيش في درجات حرارة واطئة جداً .

(مترجمة عن مجلة Kosmos الألمانية)

الغواصات وكيف تغوص^(١)

يبتدىء تاريخ الغواصات من سنة ١٦٢٠ حين أنشأ كورنيليوس فان دربل وهو رجل هولاندى كان فى خدمة جايمس الأول ملك إنجلترا غواصة سيرها اثنا عشر مجذفاً على عمق يتراوح بين اثنى عشر وخمسة عشر قدماً لبضع ساعات بنهر التيمس وجاء بعد فان دربل كثيرون فى القرنين السابع عشر والثامن عشر وصنع بعضهم تصميمات وأنشأ البعض الآخر غواصات ولكن لم تستعمل الغواصات فى الأغراض الحربية حتى سنة ١٧٧٦ فى تلك السنة حاولت الغواصة الأمريكية «ترتل» (السلحفاة) إغراق السفينة الحربية الانجليزية «إيجل» (النسر) التى كانت راسية على مسافة من نيويورك بوصع عمارة من ملح البارود فى أسفلها بواسطة مثقاب لولبي ولكنها أخفقت فى سميها حيث لم يقو المثقاب على خرق صفائح السفينة النحاسية وعادت الغواصة أدرجها .

وفى ليلة ١٧ فبراير سنة ١٨٦٤ إبّان الحرب الأمريكية الأهلية غرقت السفينة «هوساتونيك» التى كانت تحاصر مدينة شارلستون^(٢) بنساف بحرى أرسلته عليها غواصة فكان ذلك أول مرة فى التاريخ أغرقت فيها غواصة سفينة حربية .

وكثرت بعد ذلك التجارب فى فرنسا والولايات المتحدة وكان التقدم فيها بطيئاً إلا أنه كان مؤكداً، وأخيراً قررت السلطات البحرية فى البلدين أن الغواصات قد بلغت درجة من التقدم تبرر إدماجها ضمن قواتها البحرية .

فأنشأت فرنسا الغواصة «جيمنوت» (ثعبان البحر) فى سنة ١٨٨٦ وأُنزلت إلى البحر سنة ١٨٨٨، وأنشأت الولايات المتحدة عدة غواصات أُنزلت أولها سنة ١٨٧٥ وحدت حذوها ألمانيا حيث أُنزلت غواصتين سنة ١٨٩٠ وأُنزلت إيطالية أول غواصة لها سنة ١٨٩٢ وتلتها بريطانية بخمس غواصات سنة ١٩٠٠ .

كيف تغوص الغواصات :

تغوص الغواصة بامتلاء عدة خزانات تسمى «خزانات الثقل»^(٣) الرئيسية «بالمياه

(١) من دائرة المعارف البريطانية (٢) ميناء على المحيط الأطلنطى بالولايات المتحدة (٣) المصادر

امتلاء تاماً وعدة خزانات أخرى صغيرة امتلاء جزئياً ، فإذا امتلئت هذه الخزانات أخذت العواصة في الهبوط وإذا أفرغت طفت العواصة على سطح الماء . وأم هذه الخزانات هي « خزانات الثقل الرئيسية » التي إذا امتلأت امتلاء تاماً استحالت على العواصة أن تطفو على سطح الماء ، ولكل خزان صمام في أسفله لدخول المياه وخروجها ومنفذ في أعلاه لخروج الهواء وانبويه يدخل منها الهواء المضغوط إلى خزان لدفع المياه ، فعندما تكون العواصة طافية على سطح الماء يفتح الصمام الأسفل ويقفل المنفذ الأعلى فيمنع ضغط الهواء ازدياد المياه بالخزان ، وعندما نفوس الصمام تفتح مسافذ الهواء بخزانات الثقل الرئيسية كلها فتعمر المياه الخزانات ويخرج الهواء من هذه المنافذ حتى تمتلأ خزانات فتقفل المنافذ . وقد غاصت العواصة « نارفال » (الحوت) في تحريتها الأولى في خمس وعشرين دقيقة ونقصت هذه المدة إلى اثنتي عشرة دقيقة بعد تدريب البحرة ، وأظهرت الحرب الكبرى أن الوقت الذي نفوس فيه العواصة عامل جوهري في تجنب طلقات الدافع أو المصادمة فزادوا عدد الصمامات والمنافذ حتى تستطيع العواصة أن نفوس الآن في دقيقة أو دقيقتين على الأكثر ، فعندما تهبط تحت سطح الماء تكون صمامات الامتلاء مفتوحة كما أسلفنا ومنافذ الهواء محكمة القفل وتطفو على سطح الماء بادخال الهواء المضغوط إلى الخزانات فيدفع المياه إلى أسفل ومن ثم إلى البحر .

ويهيمن صباط المراقبة على هذه الصمامات والمنافذ فإذا التقت العواصة وهي على سطح الماء بمركب حربي للعدو كانت خزانات ثقلها الرئيسية ممتلئة بالماء امتلاء جزئياً لتضمن سرعة غوصها ، فإن كانت ممتلئة إلى النصف فيل منها « طافية نصف طفو » وإن كانت ممتلئة إلى الثلث أرباع فيل منها « طافية ربع طفو » وإن كانت شاغرة قيل إنها « طافية طفوا تاماً » .

وتكون العواصة في حالة « الثقل التام » أو في حالة الاستعداد للنفوس إذا غاصت مباشرة على أثر امتلاء الخزانات الرئيسية ويجب أن تكون دائماً على هذه الحال في وقت الحرب والمناورات

وعلى الضباط المنوط بهم قيادتها أن يكونوا على تمام الأبهة بالمحافظة على هذه الحالة

الخاصة وأن لا تنفض لهم عين في مراقبه نقص الثقل وازدياده مادخال المياه وإخراجها من الخزانات ، ولهذا الغرض أنشأوا ما يسمى « بخزانات التعويض » أو « خزانات الثقل الإضافية » في كلا جانبي الفواصة وطرفيها ، ولهذا الخزانات صمامات امتلاء ومنافذ هواء وأنابيب لإدخال الهواء ومقاييس تبين مقدار الماء بها في أى وقت .

وزيت الحريق المستعمل في تسيير الفواصات هو المادة الأساسية التي تحتاج لتعويض ما ينفذ منها حيث يخزن هذا الزيت في خزانات تملأ ملاً تاماً تكون متقابلة الوضع طولاً وعرضاً ، فإذا احتاجوا إلى زيت من أحد الخزانات أدخلوا ماء البحر إلى قاع الخزان فيندفع الزيت إلى غرفة آلات تسيير الفواصة من أنبوب في أعلاه ، وينبع الفرق بين كثايتي مياه البحر وزيت الحريق امتزاجهما ، ولكنه يؤدي إلى زيادة في الثقل العام كلما استهلكت الآلات الزيت .

فتلاً إذا كان ثقل زيت الحريق النوعى هو ٩ و ٠ ، وأفرع خزان سعة ٥٠٠ قدم مكعب منه وملى ، هذا الخزان بمياه البحر فإن الثقل يزداد ٣٩٠٠ رطلاً^(١) . وهذا الوزن من الماء يجب تعويضه من خزانات التعويض أو « خزانات الثقل الإضافية » .

وهناك مواد أخرى كالشحم والدخائر والقابيل والمأكولات والماء المذب ألح يجب الاستعانة عن ثقلها كلما استهلكت بإضافة ثقل يساويها من ماء البحر فتزى من ذلك ما لعملية التعويض من الأهمية الكبرى ولذا توكل مسؤوليتها إلى صابط خبير يعهد إليه بمراقبة ما يطرأ على مخازن المواد المستهلكة ومقدار الماء في جميع الخزانات من ضروب التغيير فيتيسر له بمراجعة الأثقل في كل فترة أن يبقى الفواصة غائصة تحت سطح الماء .

(١) الماء أثقل من الزيت

العلم يحمينا من سطو اللصوص

(مترجمة عن مجلة « العلم والحياة » الفرنسية (La Saence et La Vie))

التقدم العلمى سلاح ذو حدين اذ أنه وإن كان يتيح لنا اصلاح شئوننا المعاشيه فانه كذلك وسيلة في يد النفوس الشريرة للهدم والتخريب ولذلك نرى اللصوص في العصر الحالى مجهزين بالآلات كاملة الدقة واستعداد مثل « بورياء » الصائغ^(١) التى هى نموذج لأشد الآلات تأثيرا لسطو على خزانات النقود الحديدية لكن العلم النافع لم يشأ أن يقر بالعجز والانهازم أمام تلك الآلة لأن الخزانة الحديدية أصبحت الآن بفضل التقدم العلمى كأنها حصن صغير منيع يصعب السطو عليها بواسطة شعلة البورية « الصاهرة » بل وأكثر من ذلك فقد أكملت الوسائل لحماية الخزانة بأعداد ارساد حقيقية لها تؤذن بوجود اللصوص قبل السطو عليها ، وهى عبارة عن آلات اخطار كهربائية حديثة سرعة التأثير من أقل اهتزاز ومن أخفت صوت عند اقتراب أى جسم أجنبي منها كجسم الانسان وهى مختر في الحال الحارس بوجود اللصوص بمجرد دخولهم المكان الموجودة به الخزانة .

ولأيهما يكون الفوز للقبلة أم للمدرعة ؟

نشاهد كل يوم المراك القاتم بين تحسين وسائل الهجوم وبين طرق الدفاع العلمية ، وهذا المراك الذى يظهر لنا بأجلى معانيه فيما هو خاص بالدفاع عن الوطن يجرى كذلك في ظل المعامل العلمية من الوجهة الاجتماعية لمقاومة اللصوص ، أو ليس الامر خاصا بالدفاع عن المال وهو الركن الاساسى للحياة الاجتماعية ، قد بلغت الخزنة من التحصين مبلغا يدعو للدهشة والاعجاب بحيث تستطيع أن تقاوم كل محاولات اللصوص المستمرة الذين بلغت طرق سطوهم درجة مزعجة

انها اذن الحرب تدور رحاها بين الخير والشر وتتطور وتتسع أمام أعيننا . ولكن - لحسن الحظ - سنرى قريباً أننا مجهزون بأسلحة قوية فيما اذا أردنا أن

(١) عماره عن غاية تنفع بها الصائغ لاسهار لعماد وادائها بواسطة نار الاوكسين والاسباب

نستفيد من تقدم الصناعات الذى حصل في خلال السنين الاخيره
آتوت الخطر : أرواد الدفاع

هذا ولما كانت هناك حرب بين الخير والشر فلا عجب أن يكون هنالك نظام
للدفاع يسير على منوال الخطط الحربية للدفاع ضد غارة اللصوص، وما هو اذن عمل
وحدة من وحدات الجيش ؟ انها تضع أمامها الارصاد المكلفة باعطاء اشارة الاخطار
لتحاشي أية مفاجأة أو أى هجوم على غرة ، وعمل هذه الارصاد ينحصر فقط
في التنبيه حتى يكون لدى قسم الدفاع الوقت الكافي لأخذ الأبهة والاستعداد .

والفرض من الخزائن الحديدية هو أن تكون حصنا منيعا لحماية الاشياء القيمة
التي نحرزها - من السرقة والتعطيل ، وسنرى هنا أننا إذا أحسنا اختيارها سنجدها
قائمة بحمايه الاشياء المودعة بها خير قيام، ولكن أليس من المفيد أن نجهزها بأرواد
ناية بوضع آلات بعيدة عنها من شأنها أن تعطى اشارة الاخطار في حال اقتراب
المدوكا هو الحال في أعظم المنشآت الحربية المائلة المجهزة بمراكز للحراسة والانصات ؟
لقد أجيب على هذا التساؤل بالإيجاب منذ زمن بعيد باستعمال الاجراس
اذ يعرف جميع الناس أن ليس هناك أسهل من إيصال القفل بتيار كهربائي يجعل
الناقوس يذق دقات الاخطار .

وقد استعمل كثيرا هذا الجهاز منذ زمن طويل على أبواب المخازن التجارية
والنوافذ وواجهات الحوائط وغيرها

ولكن مما يؤسف له أن نظام هذا الجهاز الشيق قد يحتل ويقف عن العمل
بسبب تلف الاسلاك من طول الاستعمال أو تعطيل التيار ، فضلا على ذلك فإن
اللصوص لم يتادوا أن يدخلوا دائما البيوت من أبوابها .

الارصاد الحديثة . لقد توصلنا الآن بفضل التقدم العلمى الى صنع آلات أكثر
ضمانا اذ قد انشئ ثلاثة نماذج من الارصاد يمكن أن تكون موضع الثقة التامة وهي
الآلات السريمة الارتحاف والآلات ذات القوة الكهربائية الكامنة والآلات

ذات الاشعة الحمراء المتحركة :

(١) الآلات السريعة الارتخاف .. هي عبارة عن آلات ارساد حقيقية دقيقة جدا وهي من طراز مرصد الزلازل ومجهزة بآلات لتعظيم الصوت تزدح في دائرة معينة أقل الاختلاجات واخف الاصوات .

فاذا وضعت تلك الآلات المعظمة للصوت والسلة التركيب في غزن تجارى أو في الغرفة الموجودة بها الخزائن الحديدية فانها حتما تؤذن بصوت الاخطار عند حدوث أية حركة أو وقوع أية محادثة مهما كانت بصوت خاف أو عند قيام اللصوص بنقب جزم من الجدار ، عند ما يقابل أولئك (اللصوص) بذلك الزئير المزعج الذى تحدثه الآلة فاهم لا يفكرون الا في سبيل النجاة وانتملق بأذيال الفرار .

وهذا المرصد يتيح لنا أيضا تسجيل عدد الاصوات غير العادية بواسطة خطوط بيانية ترسمها آلة التسجيل ويدرس هذه الخطوط تكشف لنا الأعمال الأولية التى يقوم بها « نقيب الجدران » عند اقترابهم ، ويمكن تتبع حركة تقدمهم فيتيسر بذلك اتخاذ كل الاجراءات اللازمة في الوقت المناسب ، غير أن ذلك المرصد يبقى جامدا لا يتحرك بالاهتزازات التى تسببها حركة المركبات في الشارع .

(٢) الآلات ذات القوة الكهربائية الكامنة :- لا يوجد الا ان انسان يحمل تأثير القوة الكهربائية التى تنبعث من جسم الانسان عند اقترابه من كتلة من المعدن فان العمل في ادارة محطات المحاطبات اللاسلكية والصغير الذى ينشأ عند ربط مراكز المحاطبات ببعضها قد أتاحا للناس معرفة تلك الظاهرة ، تلك القوة الكهربائية الكامنة في جسم الانسان ، والخزانة الحديدية المرتفعة عن الارض بعض الارتفاع ان هي الا كتلة من المعدن يمكن تغيير أو تعديل قوتها الكهربائية عند اقتراب جسم أو يد أو آلة منها مهما اتخذ اللص من الحيلة بإبتعاده من الارض ، وعلى هذا الاساس أمكن صنع مخطار (آلة للاخطار) شديد الاحساس جدا سمى باسم « أفرتكس » (Avertex) وقد أمكننا أن نرى كيفية استعماله في معرض المحاطبات اللاسلكية

الدى أقيم في باريس واطلق عليه «اسم المدينة المسحورة» وهذه الآلة التى هى فى غاية من السهولة والبساطة ومزودة فقط بشئ من شمع النور ومهياة لتكون أداة اتصال بين الخزانة الحديدية وصاحبها لاسيما اذا كانت تلك الخزانة فى حد ذاتها غير كافية من حيث مناعتها من سطو اللصوص ، ولكن لانفسى أن « حملة العتلة » (اللصوص) أو الأخرى فرسان (البورياء) يعرفون جيدا ولأول وهلة أن يفرقوا بين الخزانة التى يسهل السطو عليها بمجرد رؤية شكلها الخارجى وبين التى تقشش أمامها محاولاتهم لسرقها .

وانه بفضل مخطط «الفرتكس» لم يعد من الممكن الاقتراب من الخزانة دون أن يحدث ذلك صوتا ينم عن وجود اللصوص أو دون أن يشعر الحارس أو أصحاب الخزانة .

(٣) الآلات ذات الأشعة الحمراء المنحرفة . سنقتصر هنا على مبلغ ما لهذه الآلات الحديثة من الأثر فى حماية الخزانات الحديدية .

قد رأينا أن دائرة عمل الطريقتين السابقتين محدودة وضيقة الا أنه بفضل الأشعة الحمراء المنحرفة يمكن إيجاد حواجز حقيقية غير منظورة لحراسة فاعات شاسعة بأكملها لأن هذه الأشعة أى تبعثها آلات خاصة لإرسال الضوء الى مدى بعيد وتمكسها مرآيا محكمة الوضع وتغتميه عن الانظار تصل فى نهاية الأمر الى خلية كهربائية شديدة الحس ، فادا ماصادف الأشعة أى عائق فى أية نقطة أثناء سيرها فلا تصل بذلك للخلية فان هذه تحرك آلة الاخطار فى الأماكن المخصصة لها وبالشكل المرغوب (مثل اضاءة مصابيح أو تحريك أجراس ذات صوت مزعج) .

وبنفس هذه الطريقة يمكن نصب حاجز غير منظور حول الخيام المنزلة الثابتة وداخل أو خارج خزانات المصارف وفى مخازن الجواهر وغيرها .

هذا وقد شاهدنا فى معرض المحادثات الاسلكية الأخير بباريس كيف أن حجرة زجاجية يحل الجواهر كانت محصنة تمام التحصين بواسطة حاجز من الأشعة

الحرارة المنخفضة كما رأينا التصورات التي حدثت لسفينته صغيره بدون محرك تسيرها الأشعة الحمراء المنخفضة التي لا ترى .

وفصلا عن ذلك فان تلك الآلات الحديثة الى تقوم وحدها برقابة دائمة تحفظ توازنها باستمرار وتخطر صاحبها بمجرد أن يقف تأثير رقابتها لبس من الاسباب .



التسمم بغاز الفحم

جاء بمجلة "Umschau" الألمانية أن الاختناق بغاز الفحم يرجع إلى أن اختلاط هذا الغاز بهواء التنفس يحمل من المادة الملونة في الدم - الهيموجلوبين - مادة أخرى لا تستطيع حمل الأكسجين إلى أنسجة الجسم. وتوصل الدكتور كوزا بمدينة برسمبورج إلى علاج التسمم بهذا الغاز بواسطة الأشعة فوق البنفسجية التي تؤثر في المادة الجديدة المكونة من غاز الفحم والهيموجلوبين تأثيراً يفصل عنها الغاز فتعود طليقة حرة وتقوم بوظيفتها الأصلية

الشعور بالتغيرات الجوية

كثيراً ما يشعر المصابون بالالتهابات القديمة أو بآثار العمليات الجراحية أو بكسوف العظام بالتغيرات الجوية قبل حلولها بفترة غير قصيرة ، ولقد أدت أبحاث الاستاذ الدكتور (لاسلو) إلى أن ذلك يرجع إلى أن الأنسجة السليمة لها خاصية غريبة وهي امتصاص الرطوبة الجوية ، فتمدد بتأثير رطوبة الهواء المحيط وتنكمش في الجو الجاف ، فإذا كان الجسد مصاباً بالالتهابات المزمنة أو به آثار من عملية جراحية فان هذه الأمكة تعوق التمدد والانكماش ويؤدي ذلك إلى اختلال تعادل امتصاص الرطوبة فيشأ عنه الألم الذي يسميه البعض انذاراً بالتقلبات الجوية .

(مترجمة عن مجلة Kosmos الألمانية)

فقيد الاسلام والشرق

مولانا محمد علي

ولد هذا الزعيم الاسلامي في إمارة « رامفور » من بلاد الهند، وقضى زهرة شبابه في تلقي العلم بجامعة « عليكره » الاسلامية : فكان من نوابغ طلاب العلم بهذه الجامعة ، وسافر بعد الى أوربة والتحق بجامعة « اكسفورد » فمضى هنالك اربع سنين ، ثم عاد الى الهند وتولى منصبا اداريا في إمارة « برودة » ثم تخطى عنه وأنشأ صحيفتين كانتا تصدران لعاصمة الهند « كلكتا » إحداهما باللغة الهندية الأوردية ، وثانيتهما باللسان الانكليزي ، وانتقل بعد هذا الى عاصمة « دهلي » واستمر على إصدار الصحيفتين ، وفي أثناء الحرب الكبرى ظهر بمناطفة سياسية اسلامية أودع عقبها السجن إلى أن وضعت الحرب أوزارها فخرج إلى الجهاد في حقوق الهند خاصة والعالم الاسلامي عامة ، وكان من المؤسسين لجمعية اسلامية سياسية في الهند ثم جمعية الخلافة وكان من العاملين في جمعية وطنية كبرى في عاصمة « دهلي »

ومنذ عهد قريب سافر إلى لندن عضوا في مؤتمر الهند المسمى « مؤتمر المائدة المستديرة » فأدركته المنية في أواسط شعبان سنة ١٣٤٩ هـ فأض الله عليه وابل رحمه ، وعندما وصل نعيه إلى القدس الشريف بعث فضيلة رئيس المجلس الاسلامي الأعلى برقية إلى أخى الفقيد مولانا شوكت علي يرجو منه الموافقة على نقل جثة الفقيد لتدفن بجوار المسجد الأقصى فقبل هذا الرباء ، وتقرر دفنه حول المسجد الأقصى حيث دفن كثير من أبطال الاسلام .

وقد سافر رئيس تحرير هذه المجلة الى بورسعيد عند وصول جثة الفقيد لتعزية أخيه مولانا شوكت علي ، وبعث حضرة صاحب العزة مدير هذه المجلة الى فضيلة رئيس المجلس الاسلامي الأعلى رسالة في تعزية آل الفقيد والاعتذار عن عدم التمكن من الحضور لتشيع الجنازة يوم الدفن .

وكان العقيد رحمه الله تعالى بارعا في الخطابة قوى المارضة معروفة بصرامة العزم والافدام والصرحة في الحق، ومن مبادئ الدعوة الى الجامعة الاسلامية، وكان يقول «أنا مسلم ولا وثني وثالك» ويقول «إن الاسلام رابطة عقدتها الله تعالى بيننا، وأما الوطنيات فليها رابطة دعانا اليها الشيطان»

نسأل الله تعالى أن يحاذيه عن جهاده خيرا ويقبض للاسلام زعماء مجاهدين في سبيله بإيمان وشجاعة وإخلاص

« هدايتنا نفيسة »

أهدى حضرة صاحب العزة مدير هذه المجلة كتابين من معراته القيمة وهما كتاب «الف بالسكهرباء» تأليف استر (ديويتش ميدوكروفت) وكتاب «لعب بالتحارب السكهربائية» تأليف «د بليوج. كلارك» وهما معربان بعبارة واضحة وأسلوب سهل يحمل مافي الكتابين من فوائد قريب التناول كما أهدى مجموعة كتب نفيسة من مؤلفات المرحوم والده الاستاذ الفاضل الشيخ محمد الجنيني وهي : كتاب «الرايا المصرية» - لشبان الأمة المصرية وكتاب «كرم الربوبية وشرف العبودية» وكتاب «بلاياورا المصرية» وكتاب «تأكي المربي على عتاب المحسن» والحرر الأول من «رسالة الحبيب ودلالة الطيب» فشكر حصرت على هذه الهدية القيمة وهذه الكتب تباع في مكتبة التجارية بشاع محمد على اصحابها حضرة الفاضل مصطفى محمد وفي المكتبة السلفية بخوار محكمة الاستئناف وفي جمعية الهداية الاسلامية بالحامية الجديدة وفي مكتبة محمد افندي صبيح بخوار الأزهر الشريف

دعوة نصارى العرب الى الدخول في الاسلام

هي مجموعة مقالات محرره بقلم المسيحي العربي الاستاذ خليل اسكندر مرصى كانت قد نشرت في مجلة (الفتح) القراء اما خلا المقالة الأخره فانها نشرت في صحيفة (الجامعة العربية) لقراء، دعا لاستاد في هذه المقالات إخوانه المسيحيين من العرب الى الدخول في الاسلام مبينا فيها محاسن الاسلام وما ياله نصارى العرب من الحياة العاصلة إذ هم دخروا في حظيرته جميعا، وقد طبعت هذه المجموعة بالطبعة السلفية وبحث القراء على اقتنائها

قد جاء كرم القدر ورواد كرام منكم في هذه الأوقات التي نحن وسكانها في سلام
وتحريمهم من الظلمة إلى النور والهدى والهدى بهم إلى طريق الخير.

بغية الأئمة الإسلامية

مجلة دينية علمية فقهية تاريخية علمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

تظهر مرة كل شهر عربي

العدد ٩	ومضاف سنة ١٣٤٩	المجلد الأول
---------	----------------	--------------



رئيس التحرير
السيد
محمد الحضر حنين
من علماء الأزهر

مدير إدارة المجلة

الشيخ
عبد الحليم بن
عبد الحليم

المستشار بمحكمة الاستئناف
ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى

الاشتراك	الإدارة
داخل القطر المصري ٤٠ خارج القطر المصري ٢٠ لجنة المعاهد والمدارس ٥٠ لجنة المعاهد والمدارس ٣٠	شارع مظلوم بإشراق ١ تليفون : ٣٥٠٧ الرسائل تكون باسم مدير المجلة

يعامل ثمة المساجد والمدونون ومعلمو المدارس الأولية والمهال معاملة الطلاب

ومن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الإسلامية

١٩٤٩ - ١٩٥١ م

نَسْرُ الدِّينِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

الدهاء والاستقامة

خصلتان يبلغ بهما الرجل أن يكون عظيمًا ، وحق لمن استولى على الأمد الأقصى منهما أن يكون زعيمًا : هما بعد النظر في استكشاف غوامض الأمور ، وذلك ما نسميه الدهاء أو الكياسة ؛ والسير في سبيل الرشد بقلب سليم ، وذلك ما نسميه الاستقامة أو التقوى ؛ ولا نقصد في هذا المقام إلى الحديث عن بعد النظر في إدراك المويص من مباحث العلوم ، وإنما نقصد إلى الحديث عن الدهاء من ناحية تقدير وسائل النفع والضرر ، أو من حيث شعور صاحبه بما يحمل له من ضغن أو ينصب له من كيد .

يقارن الدهاء الاستقامة فيصرف في تدير الوسائل التي تكفي شرًا مقبلاً أو نجلب خيراً متصراً ، ويقارن زيف العقيدة أو لؤم الطبيعة فيندفع بصاحبه في شعاب الباطل ، ويكون نصيبه من الاقصاد في الأرض فوق نصيب الغباوة إذ يزيد عليها أن يبتكر الشر فنونا غير معروفة ، ويلبس الباطل ثوب الحق ، ويخرج المفسدة في لون المصلحة ؛ فإذا لم نجد الحقائق أو المصالح دهاء يحق دهاء المبطلين أو للفسدين ، عى على العامة أمرها وظهرت الضلالة والسفاهة مكانها .

ولكنة ما يصاحب الدهاء من المكر والنزوع إلى الشر نوح بعض العامة أنه لا يجتمع مع سلامة الضمير والحرص على فعل الخير ، فتراهم يعدون غفلة الرجل عما ينطوى عليه الحديث من مغامر ، وما يراده من مكاييد ، أثر صلاحه وطيب سيرته ، وكاد بعض الكاتبيين على حديث « لا يلدع المؤمن من جحر هرين » يحوم حول هذا الوم إذ حمل الحديث على عدم الانخداع في الدين بأن يصدق الكاذب الذي ظهر له كذبه مرة ثانية

ثم قال : (وأما الانخداع في أمور الدنيا بناء على قلة التفاته إليها وعدم اهتمامه بها فهو ممدوح مطلوب) ، وألحق أن الغفلة عن نواحي شر دينية أو دنيوية لا تدخل في سلك الكمال ولا تستدعي مدحا ، وإنما الكمال في اليقظة والكياسة ، واتقوا من الحديث الشريف تحذير المؤمن من أن يكون مغفلا وإرشده إلى ستمال الفطنة في شؤونه دينية أو دنيوية ، وإذا كان الحديث مسوقا للأخبار عن حال المؤمن فإنا يريد المؤمن الكامل وهو الذي يستنير بالحكمة ويمتبر بالحوادث فتصفو بصيرته ويهتدى إلى غوامض الأمور ، حتى يكون حذرا مما يقع ، وإذا أخذته الغفلة مرة فنكب من ناحية كانت نكبت من هذه الناحية هي الأولى وهي الآخرة ، ويوافق هذا قول عمر بن الخطاب : « لست بخب وأطلب لا يخدعني » ، وأما المؤمن الذي يكون حظه من الحكمة والاعتبار مخسا ، فقد يلدغ من الجحر الواحد مرتين أو مرارا

ولا يعارض هذا حديث « المؤمن غرّ كريم والعاجر خبثيم » فقد تكلم الحفاظ في سنده حتى ذهب بعضهم إلى أنه ، موضوع ، وهو بقطع النظر عن سنده قد وقع لفظ الغرّ فيه مقابلا للفظ الخب الذي هو الجُرْبُز أي الخداع ، فيكون المراد من الغرارة غفلته عن الشر ، فإن كريم الأخلاق طيّب السيرة لا يبحث عن الشر بحث من يريد التوغل في طرقة والخوض في غماره ، وهو مع كونه لا يبحث عن هذه الطرق بحث المولع بها يأخذ بسنة الاحتراس فلا يخدع لخب يزخرف له القول مداهنة أو ينصب في طرقة حباله ، ففقلة الرجل عن وسائل الشر لا نصرافه إلى الخير إشراشه لا تنقص من كياسته في تدبير وسائل الخير أو الاحتراز عما يهين له أو تقومه من الشر ، فلا يصح أن يكون الإيمان الذي هو أساس استنارة الفكر سبب الانخداع لنمويه مبطل أو غائلة في مآرب .

يحمد في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يرشدنا إلى أن الياسة الإسلامية لا يهض بها المستقيم إلا أن يكون أريبا ، ولا الأريب إلا أن يكون مستقيما .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كان مخفوقاً به من رعاية الله وتأيدته لم يترك
أمر السياسة الحربية أو المدنية دون أن يجره على سعة التدبير والاحتراز من أمور
يتبعها في إعادة عوقب سينته؛ فما تقرأه في سيرته الزهراء أنه إذا قصد السفر لحرب
قوم أخذ يسأل عن ناحية قوم آخرين حتى يظن السامع أنه ينوي السفر إلى الناحية
التي يسأل عنها، ونقرأ فيها أنه كتب لأمير سرية كتاباً وقال له: (لا تقرأه حتى تبلغ مكان
كذا وكذا، فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس وفيه ذكر الناحية التي أمرهم بالسجود
إليها؛ ومن مثل هذا أحد يحيى بن كتم قوله في حديث مع الأنعمون: « لا يستقيم كتمان
شيء إلا بإذاعة غيره » .

ومن بدائع سياسته عليه الصلاة والسلام صلح الحديبية، فقد خفي على بعض كبار
الصحناء حكمته فلم يرتج له، وإسكه أتى بخبر كثير إذ كان توطئة لفتح مكة دون أن تراق
فيه دماء طاهرة أو تقصم فيه ظهور الحمت بعد الفتح وكعة لله، وخرج منها رجال
جهدوا في الحق بحماسة وإخلاص، وكان صلوات الله عليه مع ما يجده في الناس من
حسن الطاعة والتسليم، قد يستحسن الأمر ويدعه حذراً من أن يلاقيه بعضهم بالكفر؛
فانظروا إلى ما جاء في الصحيح من أنه عليه الصلاة والسلام استحسن نقض البيات
وبناءه على أساس إبراهيم، وإيماناً تركه شفقة أن تكره قلوب من كانوا حديث عهد بالجاهلية
من قريش، وإيماناً يراعى عليه الصلاة والسلام إكثار الناس فيما لم يزل به وحى ولم تقتض
حاله أن يكون شرطاً نافذاً .

وإذا قل ابن خلدون في الحديث عن العرب (أنهم أبعد الأمم عن سياسة) فإنا
يريد العرب قبل أن يستضيئوا بحكمة الاسلام، أما بعد أن نزل القرآن وشاهدوا سيرة
أحكم الخليفة صلوات الله عليه فقد كان نصيهم من البراعة في سياسة فوق كل نصيب .

نقرأ في تاريخ فتح الفرس أن سعد بن أبي وقص أرسل المغيرة بن شعبه إلى رسم

القائد الفارسي، فأقبل حتى جلس معه على سرير، فوثب إليه أتباع رستم وأزروه من السرير، فقال للمغيرة: (إنا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضاً، فظننت أنكم تتواسون كما تتواسي، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، اليوم علمت أنكم مغلوبون، وأن ملكاً لا يقوم على هذه السيرة، ولا على هذه العقول)؛ قصد للمغيرة بما صنع وما قال تعليم القوم المساواة التي جاء بها الإسلام ليأفقه، وإشعارهم بأنهم يعيشون تحت راية تلك الدولة عيش المستعبدين، ليحني من وراء هذا سقوط مكانتها من أنفسهم فلا يدافعوا عنها من صميم أفئدتهم.

لا يستغنى رؤساء الشعوب عن الدهاء في السياسة، وأشددم حاجة إلى تدابير الغامضة رئيس قبض على زمام طوائف اختلفت أهواؤهم سببلاً، وتفرقت أراؤهم مذاهب؛ فإذا رأينا السياسة في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما تسير على مناهج من العدل واضحة فلأن الرئيس عادل ومعظم الأمة على سبيل من الهدية لا تختلف، وما استقام الأمر لمعاوية مع ما خالط الأمة يومئذ من التفرق في الآراء إلا لأنه كان يسلك في السياسة مسالك خفية، ويركب لها من الطرق الوعرة ما لم يركبه الخلفاء من قبله، ومعاوية هو الذي يقول: «لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت» ف قيل له: وكيف ذلك؟ فقال: «كنت إذا مدوها أرختها وإذا أرخوها مدتها».

ومن أساليب الدهاء في إضعاف الجماعة التي تناوى، سلطانهم أن يفروا بين كبرائها المداوة، فتنقسم راياتهم وتشتد الخصومة فيما بينهم، وهو مسلك قد يضطر إليه المصلحون في تفرق الجماعة التي تحالف على ما لا خير منه؛ ومن هذا القبيل ما فعله نعيم بن مسعود رضي الله عنه حين تحالفت قريش وغطفان وبنو قريظة على حرب النبي صلى الله عليه وسلم في واقعة الأحزاب، إذ ألقى بينهم ما تقطع به حبل اجتماعهم على الباطل فانصرفوا خائبين.

وقد يعمل الطامع في الأمة النافذة على هذا المسلك حذراً من أن يتنبه شعورها، فتجتمع أمرها وتوجه إليه قوتها؛ فمن واجب الأمة التي يربطها دين أو مصالح وطنية أن تؤكد أوامر الأخاء، وتجعل المصلحة العامة نصب أعينها، وتوجه ما تستطيع من قوة إلى من يريد القضاء على دينها، أو الاستئثار بمنافع بلادها؛ لما تحفز الملك «الاذفونش» للمحوم على بلاد الأندلس، عقد كبرائها مؤتمراً للنظر في دفاعه وقرروا لاستتجداد بساطان مراکش «يوسف بن تاشفين»، ولما أدى بعضهم التخوف من أن ينقد هذا السلطان البلاد من «الاذفونش» ثم يضع عليها يده قال له المعتمد بن عباد: (لأن يرعى أبنائنا الجمال خير من أن يرعى الخنازير).

ومن أساليب الدهاء في القديم أن يسوسوا الجماعة الناشئة بأيدي رجال منهم، قال عباد بن زياد يصف ريادة لعبد الملك بن مروان: (قدم العراق وهي جرة تشتمل فصل أحقادهم وداوى أدواءهم وضبط أهل المرق بأهل العراق) وهو أسلوب بعيد الشأو ظاهر الأثر قد يأخذ به ذو السياسة الرشيدة لزيادة تأليف القوم وتأكيده الاخلاص في نفوسهم؛ دلت السيرة النبوية على هذا الضرب من السياسة؛ ومن شواهد ترتيبه عليه الصلاة والسلام الجيش يوم فتح مكة إذ نظمته على حسب القبائل، وجعل على رأس كل قبيلة واحدا من سراتها، وعلامة كون السياسة رشيدة أن يوضع أمر القوم في يد من ينصح لهم، ويرعى مصالحهم ويعمل لسعادتهم.

وعما يتخذ الدهاء في وسائل أخذ القوم إلى جانبهم بذل شيء من المال إلى ذوي النفوذ من رجالهم، وهذا أحد الوسائل التي استطاع بها معاوية رضي الله عنه أن يقف تجاهه على كرم الله وجهه، ويأخذ منه شطر الخلافة على ما كان لعل من المسكنة الراجحة في العلم والبيان، والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبذل النفس في الجهاد، وبلوغه في تقوى القلب أبعد غاية.

وهذه الوسيلة قررهما لاسلام في سياسة الدعوة اليه فأذن في صرف جائب من
لزكاة لأناس قالوا : أسلمنا ، تأليفاً لقلوبهم ، واستدعاء لاطمئنان عقيدتهم ، كما قال
نعالى في آية مصارف الزكاة (وَأَلْوَفَقَهُ قُلُوبُهُمْ) .

لا يعتمد رئيس القوم على القوة يستطيع أن يحدد مها كل فتنة ويرى أنه في غير حاجة
الى أن ينظر في منابت الفتن بدهاء ، فللدهاء مواضع يظهر فيها فضله على القوة . منها
دفع الخطر الذي يتراءى شعبه من بعيد بحيث لا يشعر به إلا البصير بما وراء الخير
من ضرور ، فقد يكون استعمال القوة في نشر المتوارى موضع إنكار أو مشار فتنة ،
أما الدهاء فيرده والنفوس مطمئنة والفتن نائمة .

وبحسب الحاجة ، كم الى الدهاء في استبانة الحقوق حيث ترفع اليه الدعاوى مجردة من كل
بينة ، وفي مثل هذه الدعاوى يظهر مبدع ذكاء القاضي كما يظهر فضله في نقد البيّنات
وتمييز زائفها من صحيحها ؛ ومن دهاء المنصور بن أبي عامر : أن أحد التجار قدم قرطبة
ومعه كيس فيه ياقوت نفيس فتعرد ليسبح في البحر وترك الكيس على ثيابه وكان أحمر
فاختطفته حداة في محلها وتغلغلته به في البساتين ، فأبلغ أمره الى ابن أبي عامر فجعل
يستدعي أصحاب البساتين ويسأل العاملين فيها عن ظهر عليه تغيير حال من يؤس
الى سعة حتى ذكر له شخص ظهر عليه من اليسر ما لم يعرف به من قبل ، فاستدعاه
وفاحأه بقوله : أحضر الكيس لأحمر ، فتملكه الرعب وجاء به وقد نقص منه
ما عفا له عنه صاحبه .

بحسب الحاجة الى الدهاء في سياسة الجماعات واستبانة الحقوق ، وبحسب الحاجة اليه العلماء
في الدعوة الى الخير ، فقد تكون مواجهة لرجل بالأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر
لا تأتي بفائدة ، فيعدل لداعي الى طريق يكون له الأثر المقصود من الدعوة وهو السمع
والامتثال ... عزم المعتصم على قتل محمد بن الجهم البرمكي لجولان يده في مال الدولة

فراى القاضى أحمد بن دواد هذا التصميم وعرف أن الموعدة أو الشفاعة لا تحول دون هذا القتل ، فسلك لانقاذ محمد بن الجهم طريقاً آخر هو أن قال للمعتصم . وكيف تأخذ ماله إذا قتلته ؟ قال : ومن يحول بينى وبينه : قال : يا بنى الله تعالى ذلك ويأباه رسوله صلى الله عليه وسلم ويأباه عدل أمير المؤمنين ، فإن المال للوارث اذ قتلته حتى تقيم البيعة على ما فعله ، وأمره باستخراج ما اختاره وهو حى أقرب إليك ، فرجع المعتصم عن عزمه وخلص محمد بن الجهم من القتل .

وينتفع الرجل من دهائه عند لقاء الطبقات المختلفة ، يزن عقول من يلاقونه ، ويحس ما تكن صدورهم وتزج اليه نفوسهم ، فيصاحب الناس ويشهد مجالسهم وهو على بصيرة مما وراء ألسنتهم من عقول وسرائر وعواطف ، فيتيسر له أن يسايرهم إلا أن ينصرفوا عن الرشده ، ويتعالى ما يؤلمهم إلا أن يتألموا من صوت الحق ، ومراعاة عقول الناس وطباعهم وزعاتهم فيما لا يقعد حقاً ولا يقيم باطلا مظهر من مظاهر الانسانية المهذبة ، ومتى كان الدهاء — أعنى حودة النظر فى سياسة الأمور وتقدير وسائل الخير — عائداً الى الالمية وهى فى أصلها موهبة إلهية فان التدبر فى سير أعظم الرجال والنظر فى مجارى الحوادث باعتبار ما تقوى بهما خصلة الدهاء ، فمن حق المدنى انهم تربية النفس من أوليائهم ومعلمهم أن يصرفوا العناية الى تنفيذهم بالحديث عن دهاء الرجال وتنبههم لما دبروه من وسائل يبتغون بها إصلاحاً أو شرفاً ، ومن حقهم أن يلاحظوا لحودث التى تظهر من ناحية عرفت بالدهاء فيكشفوا غطاءها ، ويهفؤم على بطائنها ، ذلك لأننا نريد أن بعد للمستقبل ناشئة تستقيم على هدى الله ، وتخوض ليج الحياة بكياسة تبصر بها مواقع الشر والخير فتسمى الى أن يكون الشر بعيداً منها والخير طوع أيديها ، وعلى قدر ما يكون فى دعاة الشعب وقادته من دهاء وتقوى ، يبعد فى سبيل الشرف شأوه ، وتثبت فى مواقف الجهاد قدمه ، ويرقى فى السبأ ذكره ، والذكر الذى نحو طه التقوى ويحرسه الدهاء لا يحقت صوته إن شاء الله

محمد الخضر حسين

النفس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصة سيدنا شعيب عليه السلام

٨

سلك سيدنا شعيب عليه السلام بقومه أولا نهاية التلطف في النصيحة ، ورفق بهم غاية الرفق في المأورة واستزاهم عما هم فيه ، ولكمهم لمزغوا بل ظلوا في طغيانهم يعمهون ، فلما لم ينجح فيهم ذلك الرفق اتخذ الى هدايتهم ونجاتهم من عقاب المنتقم سبيلا آخر لعلمهم يهتدون ، فوعظهم الموعظة الحسنة وأيقظهم الى أن عاقبة ما هم فيه هي عاقبة من سبقهم من الأمم ، وإذ ذاك بحال بينهم وبين ما يشتهون (كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَئِكُم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ) .

قام عليه السلام بكل هذا خير قيام ، ثم ينزلهم أنهم بعد ارتكابهم ما ارتكبوا من الكفر والخباياث ، لا يزال عليه السلام راجيا لهم الهداية ، وأن الطريق الذي يصلون منه الى عفو الله ورحمته لا يزال مسلوكا ، وهذا هو قوله : (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) .

أمرهم بالاستغفار أولا وذلك يكون بتركهم ما هم فيه من الكفر والفسوق ، وبتطهير قلوبهم من الأباطيل والعقائد الفاسدة والذائل التي ورثوها عن أسلافهم ، ثم يتوبون بعد أن يتطهروا من كل ذلك الى الله سبحانه ، ويتوبون بصالح الأعمال الباطنة

والظاهرة التي تُقْتَمُّ إياها رسولهم عليه السلام، وقد سبق لنا الكلام في التوبة في العدد الثاني؛ فارجع إليه متى أردت .

ثم أثبت لهم بقوله: (إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) أنهم إذا استغفروا رهم استغفارا بالعمل لا باللسان، ثم تابوا إليه التوبة النصوح الخالصة واتقوه حق تقاربه، فانه ينفر لهم ما أسلفوه ويقبل توبتهم ويرضى عنهم، فانه حل ثناؤه رحيم بالإنسان والتفضل، ودود عظيم التودد والمعاملة الحسنى مع من يؤمن به ويعطيه فيما أمرَ ونهى .

هذا ثم انظر ماذا كان جواب قومه له عليه السلام بعد هذا النصيح والانذار والاعداد: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا يَمَا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ) .

أنظر كيف تنهى القوم في الفحّة وقطع ما بينهم وبينه من صلة القرابة، إذ يخاطبهم بقوله لهم (يَا قَوْمِ)، وهم يخاطبونه بقولهم له (يَا شُعَيْبُ)، ولو نكفوا الأدب معه ظاهرا لقالوا (يا أخانا)، وقد أرشد الله تعالى إلى هذه الصلة صلة الأخوة التي توجب عليهم التأدب معه ولايمان به عليه السلام في قوله: (وَالْإِلَٰهَ مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا)، ولكم عادوه واستهاتوا به و (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا يَمَا تَقُولُ) الآية .

الفقه قهّم غرض المتكلم من كلامه وذلك لا يكون إلا بالاستماع إلى المتكلم والإفصاح وسلامة النفس من عداوتها وكرهاتها لمراد المتكلم؛ فأما إذا لم يستمع إليه أو لم ينصت له أو مَرَضَتِ النفس ينفضها الحق؛ فإن المخاطب لا يفقه حينئذ غرض المتكلم، بل لا يعرفه أصلا كما في غير المستمع وغير المنصت، أو لا يعرفه المعرفة التي تحفز به وتدفعه إلى القبول والانحياز كما في مرض النفوس .

فإراد القوم أنهم يقولون لرسولهم عليه السلام: ما نهم مرادك، وإنما قلوا هذه الماتلة الخاطئة بعد ما سمعوا منه دلائل الحق المبين على أحسن وجه وأبانه، وبعد أن

ضائق عليهم الحيل وَأَعْيَبَهُمُ الْعِلْلُ ، فَمِنْ يَحْدُوا إِلَى مَحَاوِرِهِ سَبِيلًا سِوَى الصَّدُودِ عَنْ مَنَاجِ الْحَقِّ وَالسُّلُوكِ فِي سَبِيلِ الْغَىِّ وَالضَّلَالِ ، كَمَا هُوَ دِيْدُنُ الْمُتَعَمِّمِ الْمَجْجُوجِ ، بِقَابِلِ الْبَيِّنَاتِ بِالسَّبِّ وَالْإِبْرَاقِ وَالْإِرْعَادِ ، فَعْمَلُوا كَلَامَهُ الْمَشْتَمَلِ عَلَى فَنُونِ الْحَكْمِ وَالْمَوَاعِظِ وَأَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ مِنْ قَبِيلِ مَا لَا يَفْهَمُ مَعْنَاهُ وَلَا يَدْرِكُ خَوَاهُ^(١) .

وَلِحَقِيقَةِ أَنَّهُمْ فَفَقَهُوا كُلَّ مَا قَالَهُ لَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَايَةَ الْأَمْرَ أَنَّهُمْ خَشَوْا أَنْ يَعْصِيَهُمُ الْعَقْلَاءُ بِالْمَكَابِرَةِ الصَّرِيحَةِ الْمَضَامِيَةِ إِذَا قَالُوا . (مَا نَفَقَهُ مَا قَوْلُ) ، فَاهْدِ دَعَاؤُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَفْقَهُوا كَثِيرًا مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

اسْتَكْبَرَ أَهْلُ مَدْيَنَ عَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْحَقِّ ، وَأَخَذَتْهُمْ الْعِزَّةُ بِالْأَنَمِ ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ رَسُولُهُمْ مَا قَالَ ، وَأَنْ يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى إِصْلَاحَهُمْ ، وَأَنْ يَحْذَرَهُمْ وَيَنْذَرَهُمْ أَنْ يَصِيبَهُمْ مَا أَصَابَ الْأُمَمَ السَّالِفَةَ مِنَ الْعَذَابِ لِحَيْطِ

لِذَلِكَ أَخَذُوا يَزْدَادُونَ فِي الْاسْتِظَالَةِ عَلَيْهِ وَفِي تَهْدِيدِهِ وَوَعِيدِهِ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (وَإِنَّا لَنَرَاكَ قَيْنًا ضَعِيفًا) ، أَيْ أَتَانَا نَعْمَ أَنْتَ فِيمَا بَيْنَنَا ضَعِيفٌ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَوْصِلَ إِلَيْنَا مَنْفَعَةً كَأَصْلَاحِ أَحْوَالِنَا كَمَا زَعَمْتَ ، كَذَلِكَ لَا تَقْوَى عَلَى أَنْ تَدْفَعَ عَنَّا ضَرَرًا مَا ، بَلْ لَا قِبَلَ لَكَ نَاذَا أَرَدْنَا أَنْ نَبْطِشَ بِكَ جَزَاءَ لَكَ عَلَى دَعْوَاكَ فَسَادَ أَحْوَالِنَا ، وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى إِصْلَاحِنَا ، وَمُكَافَأَتِكَ عَلَى إِدَارِنَا وَتَهْدِيدِنَا بِمَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَنَا مِنْ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ . وَلِهَذَا أَرَدُوا ذَلِكَ الْاسْتِخْفَافَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَشْعَمٍ مِنْهُ وَهُوَ قَوْلُهُمْ لَهُ : (وَتَوَلَّى رَهْطُكَ لَرَجَائِكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ) .

الرَّهْطُ هُوَ الْمِصَانَةُ مِنَ النَّاسِ دُونَ الْعَشِيرَةِ ، وَالرَّجْمُ أَنْ تَرْتَمِيَ غَيْرَهُ بِالرَّجْمِ أَيْ الْحِجَارَةِ ، وَالْعِزَّةُ هِيَ الْحَالَةُ الَّتِي تَقِي الْإِنْسَانَ أَنْ يُغْتَبَ أَوْ يُزْدَرَى ، فَالْمُزِيرُ هُوَ الْمَكْرُمُ ، وَالْمَوْقَرُّ الَّذِي يَقْبَهُ وَلَا يُقْبَهُ .

فراحم أنهم لم يُنقوا عليه صلى الله عليه وسلم إلا لوجود رهطه بينهم ونقائه على دينهم وهجره سيدنا شبيب ومخالفته وتكذيبه إياه، فاحتراماً له ورعايةً لجانبه ووفاءً ببقائه معهم فيما هم فيه كفوا عند عليه السلام أيديهم أن تقتله بالرجم الذي هو شر قتلة. هذا مرادهم كانوا لله. وقد فعل، وليس مرادهم أن رهطه عليه السلام قادر على أن يمنعهم ويحول بقوته بينهم وبين رسولهم، فإن أهل مدين ألوف مؤلفة، ورهطه عليه السلام شرذمة دون العشرة لا يؤيِّد لها وليس لها معهم حول ولا طول.

لم يكتفوا بهذا بل اهتم بالنوا في الاستهانة به بقولهم له: (وَمَا أَنْتَ عَيْنُنَا بَعِزٌّ) أى لست أنت نفسك بمكرم ولا محترم ولا مُراعى الجانب حتى نمتنع من رجلك، وإني، كففنا عنك المحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا، فكأنهم قالوا: (وما أنت علينا بعزير بل رهطك هم لأعزة علينا).

إن أهل مدين ليسوا بدعاً من الأمم التي سبقتهم، فانه ما من أمة إلا أسأت إلى رسولها، استطاعت من التهديد والابراء وغير ذلك؛ كما حكى عز وجل عن قوم سيدنا نوح: (قَالُوا لَنْ لَمْ نَقْتِهِ يَا نُوحُ إِنَّكَ لَكُنْ مِنْ الْآزْجُورِينَ)؛ وعن قوم سيدنا لوط: (قَالُوا لَنْ لَمْ نَقْتِهِ يَا لُوطُ إِنَّكَ لَكُنْ مِنَ الْخَاطِرِينَ)؛ وقال تعالى في جميع الأمم: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَخْزَبُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادُلُوهُ بِالْبَاطِلِ يُدْحِضُوهُ إِلَى الْخَلْقِ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَتِفَ كَانَ عِقَابِ).

أليس عجيب أن رسول الله شبيباً عليه السلام يذكر قومه ويحذرهم أن يفعلوا كما فعل من قبلهم فيصيبهم مثل ما أصابهم وهم يراى ومستمع منهم، ثم أنهم بعد هذا لا يقيمون لقوله وزما، ولا يتوبون إلى الله ويستغفرونه، ولا يتعظون، ولا هم يذكرن، مع علمهم بسوء عاقبة المكذبين ؟

بلى إن ذلك لعجيب: فإن كل أمة قد قلدت الأمة التي قبلها واتبعت خطوئاتها

حتى اذا عجزت عن مقارعة الحجة بالحجة ، ومناضلة الدليل بالدليل ، توعدت نبيها وأهانت ورتبا قتلته ، ونسيت أو تناسلت ماعوقب به الأمم السابقة .

فمن الأمم المتأخرة فرعون وقومه مع رسولهم سيدنا موسى عليه السلام ، حينما دعاهم لى عبادة رب العالمين : (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ . قَالَ لِمَنْ حَوَّلَهُ آلَا تَسْتَعْمُونَ . قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ قَالَ لَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ . قَالَ أَوْ كَرِهْتَكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ) .

ومها ما قصه الله تعالى فى معاملة أهل مكة لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ يقول : (وَإِذْ يَمْكُرُ^(١) بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ^(٢) أَوْ يَقْتُلُوكَ^(٣) أَوْ يُخْرِجُوكَ^(٤) وَيَمْكُرُونَ^(٥) وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ^(٦)) .

هذا ومن البين أن أهل مدين إنما أرادوا أن ينقضوا عن رسولهم عليه السلام القوة والعزة الإلهيتين ، اللتين ثبتتاه بتمتضى كونه على يدنة من ربه مؤيدا من لذه سبحانه ، وكونه يطالب منه التوفيق فى كل شؤونه ومتوكلا عليه فى جميع أموره ومنيبا إليه فى كل ما يأتى ويدر .

نفوا كل ذلك عنه ولم يمتدوا به ، وذلك مهابة الاستهانة به عليه السلام ، ولا ريب

(١) لمكر هو التدبير الخفى النامح للمكدر له الصادر للمكدر به فاذا استند للذين كفروا كان ناصرا لهم صارا للذي صلى الله عليه وسلم . واذا استند الى الله سبحانه كان ناصرا للذي صلى الله عليه والسلام صارا للكافرين . وبهذا يتضح لك أن وصف الله تعالى بالمكر لا ينافى نكره سبحانه عما لا يليق به . ثم أن مكروهم كان حينما اجتمعوا للشاوردة فى شأن النبي صلى الله عليه وسلم فى دار البدوة . (٢) يوتقوك ومحسوك . (٣) أى كاهم معا قتلة رجل واحد . (٤) من مكة . (٥) يدرون لك الشر ويدبر الله ما هو شر لهم وخير لك فإوحى إليك ما يدبره وأمرك بالخروج . (٦) لا يدبر الشر لستحقه والخير لستحقه عدلا وفصلا .

أُهِمُّ إِذَا اسْتَهَانُوا بِرَسُولِهِمْ هَذَا، وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ لَا يَسْتَعِزُّ إِلَّا بِاللَّهِ تَعَالَى. وَلَا يَسْتَعِدُّ الْقُوَّةَ وَالْعِزَّةَ إِلَّا مِنْهُ سُبْحَانَهُ؛ فَقَدْ اسْتَهَانُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

ولهذا أجابهم عليه السلام بك حكاية الله تعالى عنه (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي عَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ).

قد اشتمل جوابه لهم عليه السلام على إنكارين لأمرين فيجيبان من أمورهم، وتأتيهما أفصح من أولها: الأول ترجيحهم جانب الرهط على جانب الله عز وجل؛ والثاني هو اتخاذهم الله العلي الكبير شيئاً منبذاً وراء الظهر.

فأنكر عليهم الأمر لأول بقوله (أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ)، وهم وإن لم يذكروا أن رهطه أعز عليهم من الله قد ارتكبوا إثماً عظيماً شأ هذا عليهم بهند الأعزّة، وهو قضيلهم جانب الرهط على جانب الله العزيز؛ ثم أنكر عليهم الأمر الثاني بقوله: (وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا) أي لم تقدروا الله تعالى حق قدره ولم تجعلوا له حظاً من العزّة، بل جعلتموه متروكاً منسياً لم يبالوا به، لأنكم لم تفتدوا برسوله الصادق الذي لا يأتي شيئاً ولا يدعه إلا بأمره ووحيه عز وجل، فهذه منه عليه السلام إجابة بليغة لهم لو فقهوها، لأنها تضمنت إنكارين شديدين ذميين مما اجتروا حوله على الله ورسوله.

قد سلك عليه السلام في إنكاره عليهم وتأييدهم سبيل الترقى في التقرير والتوبيخ كما قدمناه لك لعلهم يتوبون أو يذكرون، ولكنهما (لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ).

ثم انه عليه سلام الله نصحهم ووعظهم في إين وحزم، ورجاء وإطمان، ونحو ذلك ونحوه، فقال: (إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) لا تعزّب عن علمه سبحانه شيء من أعمالكم، فإذا كانت شراً جازاكم عليها جرأ الأشرار، وإن كانت خيراً الوأمنتم بي أنا بكم

ثواب الأخيار، ولكن (مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ).
لَمْ يُغْدِمْ وَعْظُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا نَفُورًا وَتَكْبَارًا، وَلَمْ يَزِدْهُمْ أَسْلُوبُهُ الْحَكِيمُ
فِي النَّصِيحِ إِلَّا إِنْكَارًا وَإِصْرَارًا، فَمَا رَأَى ثَبَاتَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَمَبَالِغَتَهُمْ فِي الْاِزْدِرَاءِ بِهِ،
وَعِزَّتِهِمْ عَلَى إِنْثَاذِ مَا هَدَّوْهُ بِهِ مِنَ الرَّجْمِ لَوْلَا عِزَّةُ رَهْطِهِ عَلَيْهِمْ؛ كَرَّرَ وَعْظُهُ لَهُمْ مَهْدَدًا
لَهُمْ بِسُوءِ الْعَاقِبَةِ وَوَخَامَةِ الْمَالِ فَقَالَ: (وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ،
سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ
رَقِيبٌ).

المكانة هي غاية التمكن من الشيء، يقول لهم عليه السلام: قد ادعيتُم أنكم أقوياء
قادرُونَ عَلَى رَجْمِي وَالْبَطْشِ بِي، وَزَعَمْتُمْ أَنِّي ضَعِيفٌ فِيمَا بَيْنَكُمْ، لَيْسَ لِي طَبِيرٌ أَسْتَظْهِرُ بِهِ،
وَلَا نَصِيرٌ أَسْتَنْصِرُهُ عَلَيْكُمْ، فَاتَّبِعُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ التَّكْذِيبِ وَالْكُفْرِ، وَدُومُوا
عَلَى الْمَشَافَةِ وَالِاسْتِخْفَافِ وَالْوَعِيدِ وَسَاءَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْفُسُوقِ وَالْفُحُورِ، ثُمَّ
اعْمَلُوا عَلَى غَايَةِ مُمْكِنِكُمْ، وَابْذُلُوا نِهَآيَةَ جَهَادِكُمْ فِي مَعَادَاتِي وَمُضَارَاتِي وَالِابْقَاعِ بِي كَيْفَهَا
شَقْتُمْ، وَفِي تَدْيِيرِ مَا تَدُولُهُ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ، ثُمَّ أَخْرَجُوا ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ (إِنِّي
عَامِلٌ) كَذَلِكَ عَلَى مَكَانَتِي كَمَا تَعْمَلُونَ، حَسْبِيَ يُؤَيِّدُنِي اللَّهُ وَيُوفِّقُنِي بِأَنْوَاعِ التَّأْيِيدِ وَالتَّوْفِيقِ.
ثُمَّ قُبِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ التَّهْدِيدَ بِذِكْرِ الْعَاقِبَةِ وَأَنَّهَا عَاقِبَةُ سُوءٍ؛ فَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ
سَوْفَ يَعْلَمُونَ حَتْمًا مَنْ سَيَصِيبُهُ الْعَذَابُ الْخُزْيُ الْمُبِينُ؛ وَهَذَا فِي مَقَابِلَةِ تَهْدِيدِهِمْ لَهُ
بِالرَّجْمِ كَمَا سَتَرَفَهُ.

وَصَفَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمُ الْعَذَابَ بِأَنَّهُ يُخْزِي مُذِلٌّ لِمَنْ سَيَقَعُ بِهِ، أَمْرٌ يُضَايِمُهُمْ كَانُوا قَدْ
هَدَّوْهُ بِهِ مِنَ الرَّجْمِ؛ فَإِنَّ الرَّجْمَ مَعَ كَوْنِهِ مِنْ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَأَلَمِّهِ فِيهِ خِزْيٌ شَدِيدٌ
وَمُهَانَةٌ عَظِيمَةٌ، لِأَنَّهُ لَا يَمَاقِبُ بِالرَّجْمِ إِلَّا فِي جُنَايَةِ فَاحِشَةٍ وَذَلِكَ نِهَآيَةُ الْخِزْيِ وَالِالْذُّلَالِ.
كَذَلِكَ بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ سَوْفَ يَعْلَمُونَ حَتْمًا مَنْ هُوَ الْكَاذِبُ الْمَفْتَرِي فِي دَعْوَاهُ، وَهَذَا

في مقابلة تكذيبهم له عليه السلام ، وفي ذلك تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجمه ، وفي نسبته الى الضعف والهوان ، وفي ادعائهم أيضا أنهم إنما أبقوا عليه ولم يَرْجُمُوهُ لرعاية جانب رحمة العزيز المكرم عليهم .

ولما كان عليه السلام على ثقة بما وعده الله تعالى به من النجاة والنصر عيهم ، ومما أوعدهم به من العذاب المحيط اذا عكفوا على باطلهم ؛ ختم وعظه وترغيبه وترهيبه بإمام بقوله : (وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ^(١)) . أي انتظروا ما كل ما بعتكم من رسالات ربي إني منتظر كذلك مثلكم ، فستعلمون (مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا) ، و (سَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى) م

عنه منصور

وكيل دار العلوم العليا سابقا

آثار برج بابل

تمكن الأستاذ « إكارد أونجر » أخيرا من حل رموز أثرية مكتوبة باللغة الآشورية استطاع بواسطتها من معرفة المقاييس المختلفة لبرج بابل الذي لم يعرف عنه حتى الآن سوى طول قاعدته المربعة البالغة ٩٠ مترا ، وأصبح الآن من الأمور الثابتة أن هذا البرج العظيم كان مكونا من سبع طبقات ومشيدا على قته معبد كان يستعمل أحيانا لرصد النجوم أيضا ، وكانت قاعدة البرج على شكل هضبة جبلية ذات لون أحمر قاتم ، وأما المعبد فكان لونه أزرق ؛ وقد ارتفع البرج بما يقرب من ٩٠ مترا .

[مترجمة عن مجلة « Umschau » الألمانية]

(١) قتوله ومن هو كاذب . مطوف على من يأتيه لكن لا على أنه فيسبه ومقابل له بل لانهم لما وعدوه بالرجم وكذبوه قال لهم سوف تعلمون من للملأب ومن الكاذب .

فضيلة الصبر

وعندنا في الحكمة الماضية أن نطالع بكلمة عن فضيلة الصبر نبين فيها حقيقةه وأقسامه وفوائده وآثاره وما يعين عليه وينمي في النفوس .

ولقد ترى في أسلوبنا هنا شيئاً من المفارقة لما سبق ؛ فاذ رأيت ذلك فاصبر ، وما صبرك إلا بالله ؛ واذ لاحظت أن في الكلام دقة في التعبير أو توسعاً في التقسيم أو ميلاً الى عبارات المؤلفين التي تتطلب إجهاد فكر وإطالة إمعان ، فاصبر إن الله مع الصابرين ؛ وقد قال عز وجل : (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا) .

وقبل أن ندخل في بيان حقيقة الصبر يجب أن ننظر الى منزلة الانسان في الترتيب بين منزلة الملائكة والبهائم ، فقد خلق الملائكة مجبولين على طاعة الله تعالى والتقرب اليه (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) ، ولم يودع في خلقهم ما يصرفهم عن هذا من شهوة تدعوهم الى نقص ، أو غضب يثور بهم الى شر ، فهم كرام بررة خيرون بأصل الخلقة لا يتصور منهم مخالفة ولا معصية ، وخلق الهائم مسخرة لشهواتها لا تتحرك إلا لطلب لذتها العاجلة أو دفع مؤذياتها الحاضرة .

وأما الانسان فقد خلق جامعاً الخصلتين المتعارضتين ففيه شبه من كلا النوعين ؛ خلق في أول أمره وبدء طفولته لا يعرف إلا شهوة غذائه ؛ فاذا ما كبر ونما نبت فيه شهوات آخر كشهوة لينة والاهو ، ثم يبدو حب العلو في نفسه وينشأ من كل ذلك قوة الغضب اذا فاته شيء مما يشتهي ويتبعها الحركة وقوة النفس والمغالبة على احرامه ؛ فاذا ما شب وترعرع نبت فيه غرائز أخرى وصحبها التمييز والعقل وحب النافع ولو مؤلماً ، وكراهية الضار ولو لذياً ولكنه لا يعدو النظر الى العاجلة ؛ فاذا ما اكتمل عقله وأن اوان تكليفه

صح أن يفكر في الآجلة، وأن ينظر بكلتا عينيه إلى كلتا حياتيه : حياته الدنيا، وحياته الآخرة؛ وهنا يجد نفسه بين قوتين متعارضتين تتجاذبانه إلى جهتين متضادتين؛ الأولى مهمها القوة الهيمية تدعوه إلى اللذات واتهاز فرصها قبل الفوات، توهمه أن في فوات الفرصة غصة، والثانية تنبيهه إلى ما هي له من نعيم مقيم وما أعد له من مكان عظيم؛ وكل منها لها خطرها ولها أثرها ولها مددها ولها نفعها أو ضررها؛ فأما الأولى فقد نشأت مع النفس وتكثرت بمرور الزمن وقوة الآلف واستحكام العادة ثم بحضور ثمرها وللحاضر معنى من القوة لا يناله الغائب، وللثانية أهميتها وعظم هولها وخطر شأنها وعدم القدرة على تحمل نتيجة مخالفتها ومواجهة هولها وإمها لمعركة حامية وموقعة دامية ميدانها قلب الإنسان وحيشاها جند الرحمن وجند الشيطان؛ وسعادة المرء وشقاوته بين كفتي الميزان فأما نال أعظم الربح، وإما باء أعظم الخسران، فهو إما في مصاف الملائكة، وإما ملحق بالهائم أو بحزب الشيطان؛ فالصبر هو ثبات جند الفضيلة أمام جند الرذيلة، هو تقوية جند الله حتى تقهر جنود الهوى فتنتصر النفس على الشيطان عدوها وتغوز بأقصى أمانها، وبذلك ترى الصبر دخلا في كل عمل من أعمال الإنسان النافعة، فقلما تجد عملا نافعا إلا وله صوارف متنوعة، أما الكسل عنه أو استصعاب طريقه أو الانصراف عنه لما هو حاضر اللذة، وكذلك الأعمال التي هي من باب الكف والترك وهي الانتهاء عن المعاصي، تيجد النفس دائما تنازعك بطموحها إلى الحركة للمشاهدة لها.

وإن شئت فقل الصبر هو ضبط النفس وقمعها عما نهوى وحبسها عما تكرهه جبا في إحراز خيرها الآجل ونعيمها المقيم وسعادتها الدائمة.

ولما كان الإيمان المعتد به شرعا هو ما يجمع بين تصديق القلب اليقيني وبين العمل بتقتضى تصديقه، وعرفنا أن عمدة كل الأعمال هو الصبر عليها والصبر عن الصوارف عنها كان الصبر بهذا الاعتبار كما ورد « نصف الإيمان »؛ وسيجيء لهذا تمة توضيح.

مقومات الصبر : يعتمد الصبر على دعائتين تقوماته وتكونان حقيقته ؛ وهما
 قوة اليقين وقوة الارادة ، وذلك أن الأعمال النافعة دائماً تجد ميولاً في النفس مضادة لها
 تصرفها عنها وتلك الميول غرائز ساقطة في النشأة على وجود الفضيلة في النفس ؛ فذهبت
 النفس بعمل مما يجدر بها أن تعمله ويطلبه داعي الدين ، هبت تلك الميول في وجهها هبوب
 العاصفة تصرفها عنه وتطالبها بأن تستوفي متعها وتنعم بما يحيط بها ، وألا تقوت على نفسها
 فرحها فتقع النفس في الحيرة بين هاتين الداعيتين : داعية الهوى يقويها الف النفس له
 واعتبارها إياه ويفذه أنه عاجل وقد طبعت النفوس على حب العاجلة ، وداعية الفضيلة
 يقويها عظم شأنها ودوام نعيمها ؛ وهنا تنشب المعركة بين الداعيتين وتتصارع القوتان
 فتحتاج داعية الفضيلة الى مدد يقويها حتى تغلب وتغلب عليها وتقره ، وذلك
 المدد هو قوة اليقين وقوة الارادة ؛ فأما اليقين فيتقوى بتكرار التذكير لعقيدته التي
 لا يشك فيها أي بماودة استحضار إيمانه المرة بعد المرة ، حتى لا تبتعد عقيدته طويلاً
 عن خاطره واليه الإشارة بقوله جل شأنه : (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) وانك
 لتشهد الرجلين كل منهما يحزم بأن عمله وكده سينتج له نتيجة عظيمة هو حريص
 عليها وراغب فيها أتم رغبة ، ولكن أحدهما دائماً يتذكر حرصه على نتيجته المرجوة ،
 فلا تكاد تبرح باله ولا تزايل خاطره ؛ والثاني لا يلهيها غافل حتى تذكره بها فيقول لك
 حقاً إن هذا لارم ولكننا انصرفنا عنه ، وقد يجد في تذكره له أليماً ومضايقة لأنك
 أشمرته بالحرمان الذي سيلحقه من إهماله ولا يجد عذراً يقنع به نفسه ويربح ضميره
 من الوخزات التي تنعقه ساعة الذكرى ، فقد يعمد الى التلهي عن ذلك التذكير فراراً
 من ألم التأنيب الذي يحسه من نفسه ، وتارة يجمع قواه ويحفز همته ويحمل نفسه وهي
 كارهة ، كارهة لأنها ألفت البطالة وخلدت الى الراحة والكسل أو استماعت
 مذاق تلك الملاذ والملاهي ؛ فإذا ما عاودتها الذكرى قويت نوع قوة على الداعية المضادة ،
 فإذا ما تكرر التذكير وطال أمدته كانت قوته بلا ريب أعظم من قوته حين يكون لمحات

أو خطرات سريعة الزوال . وقد حمل بعضهم معنى زيادة الايمان ونقصه على هذا ، أى على زيادة الاستحضار ونقصه ودوام ملاحظة المعنى الذى يؤمن به أو سرعة نصرافه عنه فيقوى هذا الاستحضار حتى يكون اليقين فيه كالشهود والمعاينة ، وبه فسرو ما ورد فى شأن أبى بكر الصديق رضى الله عنه من أنه لو وزن إيمانه بإيمان هذه الأمة لرجع بها ، وهذا هو السرفى طلب إدامة الذكر ؛ المقصود إدامة التفكير والذكر القلبي وإنما جعل الذكر للسانى وسيلة له لأن النفس غالباً تنذكر معنى ما تنطق به بل ما تسمعه أيضاً ؛ وأما الارادة فتقوى بالمران والتمود بأن يتبع المرء خواطره المتناثرة ويتمهدها بيقظة تحملها على تغيب مرضاة الله على مرضاة الهوى فإذا ما طفر مرة عاود الثانية فإذا ما تكرر له هذا سهل عليه أن يقود نفسه كالطليعة التى تراض على السير الخاص فتصح فى أول أمرها فلا يزال يحملها على ما تكره حتى يصير ذلك عادتها ، وكالشخص الذى يتمود المصارعة مرة بعد أخرى فيكتسب بمرانه قوة لم تكن له قبل المران ، فهكذا تجدد النفس فى أول تدريبها جالعة عن السير الذى يراد منها فتحمل عليه قسراً فتعاضى مرة بعد مرة حتى يسلس قيادها وتلين شكيمتها ، فإذا ما كررت ذلك عليها أصبح هذ المسلك ديدنها والتحق بفرائرها ووجدت فيه غبطتها ومسررتها وأصبح ما كنت تسميه قسراً أو صبراً رضاء وطياً نبتة فهذا طريق علاج النفس حتى تتحلّى بفضيلة الصبر ، وكما أنه لا يكفى فى سلامة البدن من لآفات مجرد معرفة أنواع الأدوية والعلاج بل ينبغى أن ترعى الوقاية من المرض قبل حلوله وذلك أفضل من التعرض له استناداً على العلاج الميسور ، كذلك لا يكفى فى سلامة النفس من آفات الأخلاق المردولة معرفة أدويتها وأنواع علاجها بل ينبغى استعمال الوقاية والعناية بها وتقديمها على اللجأ الى العلاج بعد حلول المرض النفسانى . وعلى هذا ينبغى الابتعاد عما يشير فى النفس دواعى الشر حتى يكفى شر المرض ومؤونة العلاج ، وهذا يأتى فى الموارد الاختيارية وهى التى تكون مبادؤها من ميول الانسان وختياره وذلك كارسال النظر الى المشتبهات المحظورة والاسترسال الى التفكير فى اللذائد

التهبة مما يجعل النفس متطلعة لها فتتقاد اليها متى منعت فرصتها وكالاتسلام لثوران النفس عند غضبها أو الاشتغال بالمرارة والمجادلة بغير الطريقة المثلى ، فانه مما يعرض النفس لزلزلات قد تندفع فيها بلا تبصر ولا ترو فلا تقطن لنفسها إلا وقد تردت فيما تكره فتعود على نفسها بالندم واللائمة إن كانت من النفس اللوامة أو تستمرى ذلك المرعى الويليل إن كانت من فريق المخذولين وفي ذلك دمارها وهلاكها ؛ فقطع تلك الأسباب من أساسها أسهل وأضمن لسلامة من علاجها بعد تورطها فيها ولذلك جعل الشارع الحكيم للمحرمات سياجاً واسماً يعتمد بالفوس عن حماها ، وجاء في الحديث : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لمرضه ودينه ، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمة ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب (١) » .

منزلة الصبر من الفضائل : إن نسبة الصبر للاخلاق الفاضلة كنسبة الأصل الى الفروع أو كنزلة الماء من الأحياء ، تلك المنزلة المذكورة في قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا) فلا تكاد تجد المرء في حال من أحوال حياته غنياً عن التذرع بفضيلة الصبر ليتحلى بالخلق الذي تستدعيه حاله ؛ فإني في حاجة الى الصبر ليمضبط نفسه عن البطر والظفیان المشار اليه في قوله تعالى : (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا) (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا) ، ولا تظن أن الصبر على هذه الحال حال الغنى وما على شاكلته من التمتع بالصحة والجلاء والولد وأنواع النعم من الهبات الهينات ، فالنفس شغوفة بالاسترسال في ملاذها والاستزادة منها والطعام يقوى شهوه التهم ؛ وقد جاء قوله جل شأنه : (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) ، فالإنسان بحاجة الى أن ينظر اليها بعين أنها نعمة أوجبت عليه حقاً يقوم به وليس من حقها عليه أن ينهمك في ملاذها

ويغفل عن شكرها ويستوجب لنفسه على الناس حقاً لا يلزمهم من أجلها ، فهو بين فتنه الإهمال فيها وفتنة التقصير في الشكر عليها وفتنة زعمه أنه وقد أنعم الله عليه بها يجب على الناس أن يعطوه من التوقير والتعظيم والتميز من أجلها ما لا يملكه عليهم ، أفلا تراه يغضب إن خوطب خطاب المساواة ممن لم يساوه فيها ؟ وهل هذا إلا جنوح للعظمة المفقودة وادعاء ما ليس له ؟ فهو بحاجة الى ضبط نفسه عن هذه الأحوال وذلك من أبواب الصبر ؛ والفقر أو الحرمان من بعض متع الحياة بحاجة الى ضبط النفس وحبسها عن التذمر والضجر والجزع مما حل به ، وأن يرى في نفسه أنه عبد قد منعه سيده الذي خلقه نعماً لو قاس بها ما حرم منه لم يكن شيئاً مذكوراً فضلاً منه لا وجوباً عليه (وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) ، فهل تأمل هذا الفقير نعمة وجوده وإماتته بحواسه وصحته وقواه ؟ بل هل التفت الى قوة تدير غذئه ومراتب جهاز هضمه مما يتم على أكل وجه لا شعور له به ؟ وهل دفع ثمن ذلك ؟ وهل راعى المريض أنه قد سلم من الأمراض الأخرى التي عوفى منها ؟ وما من بلاء إلا والمرء معرض لما هو أشد منه وأكبر ؛ واستعرض بعد ذلك الأخلاق تفصيلاً واستخرج منزلة الصبر منها فإليك تجد العفة صبراً عما يشتهى والشجاعة صبراً حين البأس والصدق صبراً عما يطمع في إحرازه لو كذب وكنة الصبر صبراً عن الإفشاء المحبوب بسبب أن يذكر للغير ما يتطلع لمعرفة ؛ وتجد في الامانة صبراً على منازعة النفس أن تنور بما أوثقت عليه ، وهل الحلم إلا الصبر على الأذى ؟ وهكذا دواليك نجد الصبر من الأخلاق كالماء من الأحياء .

ثم استعرض الطاعات تجد الصلاة بحاجة الى الصبر على أداء تلك الأركان والغلب على الشواغل التي تعرف عنها ، بل تحتاج الى الصبر على استحضار أسرار الصلاة وغلغلة وحضور القلب وهو أعظم من صبر الجوارح . والصوم ما هو ؟ أليس هو الصبر عن المشتهيات وكف النفس عما تميل اليه بطبعها ؟ ولشدة الاتصال

بين الصوم والصبر ورد في شأنها جزاء متناسب ؛ فقال عز وجل في شأن الصبر .
 (إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) . وقال عليه الصلاة والسلام في شأن
 الصوم : « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والحسنة بعشرة أمثالها »
 فقد جعل جزاء كل من الصبر والصوم خارجا عن التقدير موكولا الى فضل العليم
 الخبير فهو أعلم بمقدار ما يعاينه الصائم والصبور من مكاشفة الميل ومعصاة الهوى وقوة
 الجلد في اكتساب مرضاة الله وذلك أمر يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال وهو
 أعلم بذلك من صاحب هذه الأحوال نفسه . والزكاة بحاجة الى ضبط النفس وكف
 عن البخل ومعها من الاستئثار بما ليس لها من حق الفقير الذي وقع تحت يدها ؛ وهل
 ينحى عليك المشق التي يتعرض لها الحاج والمناعب التي تعترضه في طريقه فضلا عن
 بذل المال المحبوب في سبيل طاعة الله ، ولعلك قائل وما علاقة الصبر بالإيمان ؟ وأقول
 لك قد روى « الصبر نصف الإيمان » ، وقد فسر ذلك تفسيرين : أحدهما أن الإيمان
 المعتد به شرعا هو المعنى الجامع لليقين والعمل على مقتضاه ، وقد رأيت العمل كله بحاجة
 الى الصبر ؛ والثاني أن الإيمان إنما يكون إيمانا اذا أثمر ثمره في نفس المؤمن ، وذلك
 أن يكون شاكرا على السراء صابرا على الصراء والمرء في حياته لا يخلو عنها ؛ « الصبر
 صبران : صبر على ما تكره ، وصبر عما تحب ؛ ولعل الثاني أشق من الأول ، فالمكراه
 في الغالب محدودة الأمد ، وأما المحاب فهي محيطة بالنفس تطالبها أن تستوفيها فهي
 محتاجة إلى مصابرة أطول ويقين أثبت وإيمان حاصر في كل لحظة .

آثار الصبر : وأما آثاره وثماره فحسبك في تقديرها إجمالا ما رأيت من دخوله
 في كل الطاعات واحتياج المرء اليه في جميع الحالات ، وواضح كل الوضوح ، إن الانتهاء
 عن المحظورات بحاجة الى الصبر عنها كاحتياج امتثال الطاعات الى الصبر عليها ، ويزيدك
 معرفة أقدره نظرك الى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة في شأنه ؛ وانظر

الى قوله جل شأنه بعد أن أمر عباده بالذكر والشكر ونهاهم عن الكفر: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ وَلَتَبْلُوَنَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ).

فأنت ترى في تعقيب الأمر بالذكر والشكر والنهي عن الكفر بالأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة، أن الصبر قوام الطاعات ومعين عليها، وأن اقترانه في الآية السكرة بالصلاة التي هي عماد الدين لآية جليلة في ذلك، وهل يمارى أحد في تلك المنزلة الرفيعة التي منحها الله للصابرين وأنه معهم، وأي شرف وفوز أعظم من هذه المنزلة الرفيعة؛ وإنك لتلمح في قوله جل شأنه: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)، واقتصراره على الصبر ولم يضيف إليه الصلاة مع اقترانها به في الأول، تلمح من ذلك ما قدمناه من دخول الصبر في أنواع العبادات، فالمصلي صابر في صلاته فالله معه؛ ثم إنه جل شأنه قد بين عقب ذلك حقائق يعين فهمها على الصبر، ويقوى النفوس على الطمينة وتفتح، أمام الذهن مغالقات خفية، متى عرفت على وجهها سهل الازدعان للصبر عليها بل الاطمئنان إليها؛ فقال جل من قائل: (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ)، فنهاهم عن أن يصفوا الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله بالموت والقتل غاية المصائب وبين أنهم أحياء حياة لا تشعربها، وحسبنا أن أخبرنا بها ربنا؛ ثم بين حكمة تعريفه عباده بالمصائب وأن هذا ابتلاء منه لعباده ليميز الخبيث من الطيب، وليبين عدل الله لعباده الله؛ فقال تعالى: (وَلَتَبْلُوَنَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ) فعدد أنواعاً من المصائب تصيب العباد وجعلها مثلاً منتهى كمال عز وجل.

(أَلَمْ أَحَسِبِ النَّاسُ أَنْ يَسْكُوتُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)؛ ثم أردف هذا الابتلاء بتبشير الصابرين الذين بين صفتهم وعلامتهم بأنهم الذين إذا أصابتهم مصيبة قلوا بلسانهم قولاً يدل عليه اعتقادهم وبقيتهم : إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ إنا لله عبيداً يملكون ولا تلك عليه شيئاً أنعم علينا بفضلله بدون أن نستوجب ذلك ، فهو المنشئ لنا والخالق ، وهو الواهب لهذه النعم بلا ملجئ ولا قاهر ، فله ما أعطى ، وله ما أخذ ، وإنا إليه راجعون فيجزى كل امرء بما عمل ؛ فإن لم يكن الصبر اعترافاً بأنه هو مالك كل شيء فليكن أملاً في الفوز بما وعد به الصابرين يوم يرجعون إليه ، وما أجل السياق الذي ذكرت به البشرى حيث فررها على وجه الثبات والتكسين في قوله : (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعِدُونَ) ؛ فقد عرف في أسلوب اللغة العربية أن التعبير عن شيء بصيغة اسم الإشارة بدل الضمير بعد سبق التحدث عنه بآيات صفات تناسب السياق ، نكتته أن الحكم الذي تثبته قد نشأ عن تلك الصفات واستحق بديها ، فكانه هنا يقول إن الصابرين بما صبروا وبما قلوا واعتقدوا من أنهم ملك لله وراجعون إليه يستحقون من الله الصلوات والرحمة ، يستحقون الثناء العظيم ، يستحقون المعطف والاحسان ، صلوات ورحمة تشملهم وتممهم وتنفق بهم وتعلمو عليهم ، ثم وصفهم كذلك بأنهم هم الملتدون للحق والصواب باعترافهم بعبوديتهم لله ورجوعهم إليه ، الملتدون للفوز بما يشتهون وإدراك ما يرجون ، فهذا هو قوله : (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعِدُونَ) ؛ وقد قل امرضى الله عنه في ذلك نعم العبدان ونعمت العلاوة جعلنا الله منهم وحشراً في زميرتهم

ابراهيم الويلالي

مدرس بقسم التخصص بالأزهر

الشيعة

٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال . كنت خُفَّ النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال : يا غلامُ احفظِ اللهَ يحفظك ، احفظِ اللهَ تجده تجاهك ، وإذا سألتَ اللهَ ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله ، و علم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، جفت الأقلام وطويت الصحف .

قد حدثناك في العدد الثامن بطرف يسير مما حوته الوصية الأولى ؛ وهي قوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنهما : احفظ الله يحفظك .

فأما الوصية الثانية — فهي قوله عليه الصلاة والسلام له : احفظ الله تجده تجاهك ؛ أمره في الوصية الأولى أن يحفظ الله وين له فيها العاقبة الطيبة لها ؛ ثم علمه في الوصية الثانية أنه إذا حفظ الله تعالى وجده تجاهه ، أى أمامه كما في رواية الامام أحمد الملتزمة .

إن قول النبي عليه الصلاة والسلام : تجده تجاهك ، قد اشتمل على أمرين عظيمين لا ينالهما إلا من حفظ الله تعالى وأدى ما موراثة وهجر منه بآية : أولهما أن من حفظ الله سبحانه لا تتوجه نفسه في شأن من شؤونه إلا إلى الله عز وجل ، فإذا نزل به أمر أو احتاج إلى ما يصلح به أحواله مثلا ، فإن نفسه لا تقزع إلا إلى سيدها الأجل

الذى له الخلق والأمر؛ وثانيهما قُرْبَ الله سبحانه وتعالى من هذا العبد الذى حفظ حدوده، وسرعة أغاثته له على حسب ما تقتضيه مشيئته جل وعلا.

وهذا كما قال سبحانه للرسولين الكريمين موسى وهارون عليهما السلام، حينما خافا فرعون مصر أن يفرط^(١) عليهما أو أن يطنى : (لَا خَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى)، وهما كسائر النبيين والمرسلين من سادات المؤمنين الذين حفظوا الله تعالى أسماؤه حق الحفظ؛ فلهدا كافأهما على حفظهما له، فكان قريبا منهما بمعونته وعلمه وحراسته أن يفرط عليهما هذا الجاهل الظالم أو أن يطنى.

الوصية الثالثة — هى قوله عليه الصلاة والسلام : وإذا سألتَ فاسأل الله؛ بعد أن علمه أن الله عز وجل معه بعلمه وهدايته كان المحتم أنه إذا أراد أن يسأل شيئا مما، فأنما يسأل من يجده تجاهه وهو الله القريب الفنى الوهاب؛ ثم إن سؤال العبد لربه سبحانه له وسيلتان : إحداها وسيلة اللسان يدعو ويتضرع مترجعا عن القلب الحاضر الخاشع المستشعر بمجزه وافتقاره الى المولى الفنى القدير؛ وثانيها وسيلة العمل، فالأعمال التى من شأن التاجر أو الصانع أو طالب العلم أن يعملها، يجب عليه أن يكون ذا كرا لله تعالى وقت قيامه بها، متوجها إليه سبحانه حينما يعانها ويقاسى ما صادفه فيها، رجاء أن يسدده ويوفقه لينال من علمه ونصيبه عاقبة محمودة.

الوصية الرابعة — هى قوله صلوات الله وسلامه عليه : وإذا استعنت فاستعن بالله قد اشتملت هذه الوصية النبوية أولا على تعليمين عظيمين : أولهما تذكير الانسان بأنه عاجز محدود القدرة لا يتيسر له أن ينال رغائبه وحده، وفى هذا تعليم وتهذيب عظيم لما فيه من تعريف الانسان قدر نفسه، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه فلم يمتد طوره؛ وثانيهما تعليم الانسان أن قدرة المولى تبارك وتعالى ليس لها حد تقف

(١) يسجل بشربها أو يزيد عليها بالجرأة على الله رب العالمين.

دونه ، ولا ينالها مقدور ، ولا يقلت منها هارب ، فكان الله تعالى لذلك هو العزيز القهار الغالب على أمره ، وما من ممكن إلا وهو سبحانه آخذ بناصيته ، وما من شيء في السموات والأرض إلا وقد نفذ فيه أمره وحكمه ، كما قال عز سلطانه : (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْخَلِيمُ الْخَلِيمُ) ، وقال : (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْمٌ^(١) مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) .

فاذا عجزت قدرة مخلوق عن شيء ولم تصل يدها الى أن تتناوله ولم نستطع الى الاحتيال على الوصول اليه سبيلا ، وجب على ذلك المخلوق العاجز أن يستعين بالقادر الذي لا يعجزه مقدور ما في الأرض ولا في السماء وهو الله تعالى واهب القدر .

وبعد فإن ما قررناه لك في هاتين الوصيتين الثالثة والرابعة لا ينالني الأخذ بالسبب التي أذن الله تعالى بها ، فانها من جملة حدوده التي أمر بالمحافظة عليها ، فلا أخذ بها هو من جملة حفظ العبد لحدود الله سبحانه .

اذا تمهد لك هذا فاعلم الآن أن ما توجه النفس الى معاناته وممارسته ، نارة يكون مما لا يمكن أن تتناوله قدرة مخلوق ما ، ونارة يكون مما يمكن أن تتناوله قدرة مخلوق دون مخلوق آخر ، ونارة يكون مما يمكن أن تتناوله قدرة المخلوقين في العادة المألوفة ، فهذه أحول ثلاث . والواجب على الانسان اذا توجهت نفسه الى شيء منها ، أن يرجع فيها جميعها الى الله القريب المحيى بالسؤال والاستعانة ، رجاء أن يسدده ويوفقه لمعرفة الأسباب الصحيحة ، ويهديه الى الصراط القويم الذي يصل منه الى ما يبتغيه ، وأن يمدد ويمعنه بالوسائل التي جهلها أو عجز عنها ولا يقدر عليها إلا الله العليم القدير ، وأن يحفظه من الزلل والخطأ فيها ، وأن يحوطه بدوام رعايته وهدايته حذرا من الانحراف عن جادتها القويمة .

فقد ظهر لك من هذا أن العبد إذا تعلقت نفسه بمزاولة أمر يدخل تحت قدرته أو أمر تمحز عنه قدرته، هو في حاجة فاهرة إلى ربه القادر، فهو في كلتا الحالتين (قدرته وعجزه) يجب عليه طوعاً وكرهاً أن يفزع إلى الله تعالى سائلاً له بلسان مقاله وحاله أن يديم له ما وهبه له من هذه القدرة، وأن يُمدّه بروح من عنده فيما لم تصل إليه قدرته، والعبد في كل من هاتين الحالتين يمد أن أفرغ جهده وأخذ بالأسباب الصحيحة المشروعة يكون من المتوكلين على الله الذين فعلوا ما استطاعوا، ثم فوضوا إلى ربهم الأمر فيما لم يستطيعوا . وسألوه واستعانوه فيما استطاعوا وفيما عجزوا، فأكرمهم الله وأحبههم (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) .

وإجمالاً ما سبق أن العبد بازا، الأمر الذي يحاوله، سواء أكان تحت قدرته أم كان فوقها، يجب عليه أن يسأل الله تعالى قولاً وفعلًا ويستعينه في الحصول عليه، فإن كان ذلك الأمر في مقدور العبد، فسؤاله واستعانه بالله أن يضرع إليه ليديم له الهداية والاستقامة على سبيل الصواب؛ وإن كان غير مقدور له استوهمه أن يتولى سبحانه ما عجز هو عنه؛ ثم بما لم تصل إليه قدرته الانسانية المحدودة؛ فهو في كلتا الحالتين فقير كل الفقر إلى مولاه القادر الغني الكريم، متوكل عليه منيب إليه فيما يأتي ويذر .

هالك بعض أمثلة لذلك: طالب العلم، يزاول مسائل الفن الذي يعاينها بما وهبه الله من نعمة العقل، ونراه في أثناء هذه المزاولة سائلاً مستعيناً بالله أن يديم هذه النعمة عليه؛ وذلك هو قوله تعالى: (فَإِذَا عَزَمْتَ^(١) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) .

لكن قد تترض طالب العلم هذا مسألة غامضة يخفى عليه وجه الصواب فيها وكما حاول الوصول إليها زدياقها وأشككت عليه حتى تعجزه، حينئذ لا يكون له ملجأ

(١) صمت على العمل بعد أخذ الأمانة وتعمم العبادة .

من عصياتها عليه إلا الله القادر العليم ؛ فإذا سأله حق السؤال واستمعته بقلب سليم حاضر ، رُحِي له أن الله يَكُنَّه مما عجز عنه ويملئه من لذه ما جهِل ؛ كما قال سبحانه . (وَاتَّقُوا^(٢) اللَّهَ وَيَعْلَمْكُمْ اللَّهُ . وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

قد علمت مما سبق أن العبد إذا أراد الشيء أعد له عدته ، واستكمل ما استطاع من وسائله ؛ كما علمت أن العدة التي يُعِدُّها والوسائل التي يستكملها ، هي العدة والوسائل التي أذن الله بها وبها في الكون وفي الأنفس وشرعها لعباده وعلمهم إياها على لسان رسوله عليهم الصلاة والسلام .

« يتبع »

محمّد منصور

وكيل دار العلوم العليا سابقاً

الطرف والملح

بُعِثَ إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بحُلَّةٍ ، فقسمها فأصاب كلُّ رجل ثوب ؛ فصعد المنبر وعليه حُلَّةٌ ، والحلَّة ثوبان ؛ فقال : أيها الناس ألا تسمعون ، فقال سلمان : لا نسمع ؛ قال : ولِمَ يا أبا عبد الله ؟ قال : لأنك قسمت علينا ثوباً ثوباً وعليك حلة ؛ قال : لا تفعل يا أبا عبد الله ، ثم نادى يا عبد الله ، فلم يجبه أحد ؛ فقال : يا عبد الله بن عمر ، قال : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ . الثوب الذي انْتَزَرْتُ به هو ثوبك ؟ قال : اللهم نعم ؛ فقال سلمان رضي الله عنه : أما الآن فقل نسمع .

(٢) اتقوا لا تفكروا من غضب الله وعداءه بآمالكم سلكه الكونية وأحكامه الشرعية فإذا اجتنبوا بكم ويسمى ما لم تكونوا تعلمون .

الفتاوى والأحكام

المعراج

ورده إدارة المجلة من حضرة صاحب التوقيع مآيأتى : —

س : هل كان المعراج للرسول عليه الصلاة والسلام بالروح والجسد الشريف أو بالروح فقط ؟ وإذا كان الأول فما الدليل على ذلك ؟ «مصطفى محمد خضير»
ج : المعراج كان بالروح والجسد جميعا فان الله يقول : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِمَبْنِيِّهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) ، وقد كان المعراج والاسراء في ليلة واحدة ، والعبد إنما هو الروح والجسد جميعا والذي يصح أن يحمل آية من الآيات ويثبت به ذلك الامتنان إنما هو الاسراء بالروح والجسد ، وأما رؤاؤنا ذلك في المنام فبعيد عن أن يكون من الآيات أو المعجزات ولا معنى لأن يتعلق به الفتنة ، فان من الجائز أن يقع ذلك للعامة فضلا عن الخاصة ، ولهذا نقول : إن من الأدلة أيضا قوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) على ما يقول جمهور المفسرين فانها لو كانت رؤيا منامية لم يفتتن بها أحد ، وأى افتتان ، في أن يرى الانسان في منامه أنه ذهب الى الشام أو الى الهند وأنه رأى كذا وكذا ، ولو كان الأمر على ما يزعم الزاعمون أنها منامية ما كان لانكار قرش إياها معنى ولا لسؤالهم رسول الله عن المسجد الأقصى وصفته ، بل عن غير لهم كانت في طريق الشام للتجارة معنى معقول ، ولم يكن لافتتان بعضهم ورجوعه عن الايمان سر مفهوم ، فانى اذا قلت لك رأيت فى منامى أنى ذهبت الى الحج ورأيت هناك ما يراه النائم فى منامه لم يكن من الآيات فى شىء ، ولا من الاستبعاد والانسكاب فى كثير ولا قليل ، فاذن لا يمكن أن تكون مناقشة قرش للنبي صلى الله عليه وسلم ولا رجوع من

رجع منهم عن إيمانه إلا إذا كانت دعواه عليه السلام أنه ذهب إلى بيت المقدس يحسده لا بروحه فقط ثم عاد إلى مكة قبل طلوع الفجر ، ولذا كانوا يقولون له : نحن نضرب أكباد الابل إلى الشام شهرا وأنت تزعم أنك ذهبت إلى بيت المقدس ورجعت إلى مكة في ليلة واحدة ثم أصبحت بين أظهرنا ، أما التمسك بأن الرؤيا بالآلف لا تكون إلا منامية فهو غشك وإيه ، فلها قد تكون لما في اليقظة أيضا كالرؤية بالتاء كما حققه العلماء ، على أن جعلها فتنة للناس كاف في بيان المراد منها وإلا فلا معنى لجعلها فتنة على ما شرحناه ؛ وكذلك قوله تعالى في سورة النجم : (وَلَقَدْ رَأَوْهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ) إلى قوله : (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ) ، فإن مثل ذلك لا يقال فيما يكون مناما لدى من عنده أدنى ذوق سليم . . . هذا ومن اطلع على أحاديث الاسراء والمراجع لم يشك في أن ذلك كان يقظة لا مناما ؛ وأما الكلام على ذلك من حيث إمكانه وعدم مصادمته لشيء من النواميس الطبيعية التي يستندون إليها ويتبجحون بها ، فسنفرد له مثالا خاصا إن شاء الله تعالى ؛ وكثير من الناس من لا يفرق بين الاستبعاد المبني على عدم الإلزام والعادة ، وبين الاستحالة العقلية ؛ لكونهم لم يربوا بالمنطق وصناعة البرهان ، ولم يزاولوا من العلم إلا ما ضرره أقرب من نفعه ، وخطأه أدنى من صوابه ؛ وسنفيض القول في ذلك بعد في عدد آخر إن شاء الله ، ويكني ذلك الآن ؛ ولنتفرغ لغيره .

ورود من حفرة صاحب الامضاء مالى :-

س : أرجو شرح النقط الآتية على صفحات المجلة . . بالقرينة التي أنا موظف بها ، رجل متفقه تأتم به الناس في هذه البلدة وما جاورها ، يفسر ألفاظ القرآن الكريم بظاهرها وهو يحرم : (١) التوسل بالأنبياء والأولياء إلى الله تعالى . (٢) يحرم قراءة القرآن للموتى والعتائق (الصمدية) . (٣) والمهم الذي دعاني إلى الاستفهام قوله :

(إِنْ اللَّهُ سَبِّحَانَهُ وَتَعَالَى فِي السَّمَاءِ فَقَطْ) ، وَدَتَدَلُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ) ؛ وَقَوْلِهِ أَيْضًا سَبِّحَانَهُ : (الرَّتَحْنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) .

محمد سليمان الشيع
مدرس بمدرسة بئاج الاوليه

ج : التوسل بالأنياء والأولياء جائز لاشك فيه لدى من استنارت بصيرته وصفت قريحته ؛ وقد ذكرنا شيئاً من ذلك في العدد الثامن من المجلة ، وسنفيض القول فيه بعد .
أما قراءة القرآن فقد صححنا وصول ثوابها الى الميت ، وذكرنا في ذلك ما فيه مقنع وكفاية لمن أنصف ولم يتعسف ، فراجع في العدد الثامن من نور الاسلام ؛ وقد جاء في قراءة الصمدية أحاديث يعمل بها في مثل هذا الموضوع . أخرج الطبراني في الكبير مرفوعاً : من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة كتب الله له براءة من النار ؛ وأخرج البزار في مسنده مرفوعاً : من قرأ قل هو أحد مائة مرة أعتقه الله من النار ؛ وقد علمت أن الصحيح وصول ثواب القراءة الى الميت ، فلا بأس إذن من إهداء ثوابها الى الأموات كما يفعل الناس ؛ وليعلم القارئ الكريم أن العلماء من المحدثين والفقهاء قالوا : يجوز بل يستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ، وقد علمت أن الصحيح لدى العلماء هو وصول ثواب القراءة وغيرها كالصدقة والدعاء .

أما دعواه أن الله في السماء فقط فهي من أدل الأدلة على جهله بالمعقول والمنقول ؛ فإن الذي يحتاج الى مكان يكون فيه لا يكون لهما ، فإن الاله هو الذي يحتاج اليه كل شيء (حتى المكان) ولا يحتاج هو الى شيء ، وأين كان قبل المكان ، أين المكان محدثاً بعد إن لم يكن ومحتاجاً الى من يخرج من العدم الى الوجود ، ثم هو محتاج بعد ذلك الى من يحفظه بعد وجوده (إِنْ اللَّهُ بِسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا) إن المكان يستمد وجوده وحفظه من غيره ، كالممكن سواء بسواء ، وأحكام الأجسام الدنية لا تختلف

ولاتبين ؛ وقد قام البرهان العقلي على أن الله تعالى مخالف لمخلوقاته ، ولو ماثلها لكان حادثا مثلها ؛ ومن المعلوم أنه لو احتاج الى مكان لكان جسما مفتقرا الى ما يملأه ؛ ولكان مركبا من أجزاء ومحتاجا الى أجزائه والى من يركب تلك الأجزاء ويضع كلا منها في مكانه الذي هو فيه والى من يخصصه بطوله وعرضه ومسكه ؛ فانه كان يجوز عقلا أن يزيد عن ذلك المتدار أو ينقص عنه وكان يجوز أن تكون أجزاؤه في غير أماكنها الخاصة بها ؛ فاذن لا بد له من مخصص يخصصه بذلك كله ، والمعتقر الى غيره محال أن يكون إلها ؛ ثم نقول من وجه آخر أن هذا الجسم لا بد أن يكون أقل من العرش أو رائدا عليه أو مساويا له ، ونقول لا بد أن يكون قابلا للانحلال ، لأن كل مركب يقبل الانحلال الى أجزائه ؛ ولو فرضنا أنه في غاية الصلابة والثبات لكان هناك من الآلات القوة التي وجدت أو التي يجوز أن توجد ما يمكن أن يزيل كيانه ويعدم شخصه ويرجه الى أجزائه الأولى .

ثم نقول أيضا كونه في السماء يقتضى كون السماء ظرفا له ، فيكون أصغر من السماء والسماء أصغر من العرش بكثير ؛ فيلزم أن يكون الله تعالى شيئا حقيرا بالنسبة الى العرش — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُسَكِّنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا) ، فهو المسك لها وليست بمسكولة .

أفلا يكون ذلك كله قرينة على صرف بعض الآيات عن ظاهرها وجعلها كناية عن شيء آخر يليق بعظمة الله تعالى وجلاله ، مع أن صرف اللفظ عن ظاهره والتهاب به مذهب الحجاز أو الكناية يمكن فيه أية قرينة من القرائن التي يستبعد معها إرادة المعنى الحقيقي — ولو من طريق المادة — فإياك يا إبراهيم العقلية التي تزول منها الجبال ، وليت شعري ؛ أيعمله على عرشه بمقتضى قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) ؛ أم في سمائه بمقتضى قوله تعالى : (أَمْ يَسْتَمِعُونَ فِي السَّمَاءِ) وأية سماء هي ، أم في أرضه بمقتضى قوله تعالى : (وَلِلَّهِ الشَّرْقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيُّمَا تَوَلَّوْا قَبْلُ وَجْهُ اللَّهِ) أم في بيوتنا

ومجالسنا بمقتضى قوله: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَا كُنْتُمْ)، أم تحت لأرض بمقتضى مارواه
الترمذى من قوله صلى الله عليه وسلم: «لودلى أحدكم بحبل فى بئر لوقع على الله» أو كما
ورد؛ فمؤذ بالله من قصور الفهم وتسلط الوهم؛ وماذا يصنع فى حديث النزول إلى سماء
لدنيا كل ليلة وقت السحر إذا أخذ بظاهر قوله تعالى: (أَمْ تَنْتَهِمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ) ولعله
يقول إنه فى غير سماء الدنيا إلى آخر ما عليه الخيال أو يقتضيه الخيال؛ وما أدرى لماذا
يتمسك بهذه ولا يتمسك بقوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)، وإذا
كانت الروح من أمر الله ولسنا نعرفها وهى أقرب الأشياء إلىنا، ولا ينبغي أن نخوض
فيها مع هذا الجهل؛ وقد تبأينت آراء العلماء فيها قديما وحديثا، حتى ذهب الفلاسفة
وكثير من أهل السنة كالغزالي والحليسي وغيرهما إلى أنها من الجواهر المجردة التى لا تحتاج
إلى حيز ولا مكان، فكيف بمن هو رب الملائكة والروح؛ ولكن هناك نفوس غليظة
لا يمكنهم أن تعرف إلا الأجسام وأحكام الأجسام، وليس فى استطاعتهم أن تدرك ما ليس
جسما ولا جسمانيا ولو كلفنا الدودة الصغيرة أن تعرف حقيقة الإنسان وأحواله لكان ذلك
تكليفا بالحال؛ وما بيننا وبين الله تعالى أبعد مما بين الإنسان وتلك الدودة الحقيرة بما
لا يستطيع تقديره فانها تشترك معنا فى جنس الحيوان؛ وقد قلنا إن العوالم أنفسها تختلف
أحكامها اختلافا لا يحيط به العد، فن الغلط البين أن نحكم بأحكام عالم على عالم آخر؛ فإنا
بالك بمن تعالى عن سمات المخلوقات، ونزّه عن أن يدخل تحت نوع أو جنس، كيف
يتطلع العقل الضئيل والبصر السكليل والعلم القليل، أن يعرف ذاته أو يحيط بماله من
صفات وأحكام؛ ولئن أبى بعض الناس أن يعبدوا إلها لا يعرفون كنهه، ولا يقفون على
حقيقة صفاته، فإني والله أبى كل الأباء أن أعبد إلها يصل عقلى إلى كنهه المحدود، وصفاته
التي تشبه صفاتي، وأصرح بمسح من الخافقين إني لا أعبد إلها يمكن أن أدركه بعقلي
أو ألمسه بيدي أو ألمسه برجلي أو أمزقه بمدفعي الح... ولماذا لا يقلد أولئك المتفهبون

(المدعون لاتباع مذهب السلف الذى يجهاوه ولا يعرفونه) أئمة الهدى وجمهير العلماء، إن لم يسئل عليهم فهم الأدلة العقلية والبراهين المطقية وهو لا اله الا الله، والله خير ممن قلدوم وأكبر وأكثر، فلينظروا لأنفسهم وليحتاطوا لدينهم؛ وقد قلنا ذلك نصيحة لله ورسوله والمسلمين، والدين النصيحة، وما اشتدنا إلا لله، وفي سبيل الله ما نلاق من أوثاك الجامدين الذين محب لهم ما نحب لأنفسنا كما أمرنا الله ورسوله؛ وقد كان الامام الشافعى رضى الله عنه يقول: «آمنت بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله» أسأل الله أن يقينا شر الفتنة وأن يحملنا من أهل البصيرة في الدين الذين يؤمنون بالحكم ويردون اليه المتشابه لا من الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله؛ على أن العلماء قد يدنو المراد من تلك الآيات، فقالوا المراد أن في السماء سلطانه وأمره وقدرته، والمقصود من ذكر السماء تفخيم سلطانه وتمظيم قدرته؛ وقد قال تعالى: (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ) ومحال أن يكون في السموات وفي الأرض؛ فالتصديق أنه متصرف في السموات والأرض تصرف المتمكن فيهما، فما توجب الظرفية أن هي له من إتقان العمل وإحكام التدبير ومهولة التصرف وعدم غيبة شئ، عنه ثابت له تعالى بأتم معانيه في السموات والأرض، فلا يتصور في حقه تعالى بحد ولا قرب ولا غيبة وحضور على نحو ما نعرفه، فإن ذلك لا يتصور إلا بالجسمانيات؛ وأما هو فلا شئ كلها سواء بالنسبة إليه، فلوازم القرب والحضور ثابتة له، كما أن لوازم البعد والغيبة منتفية عنه، فليس قربه من جنس قربنا ولا معيته كميتنا، وكما أن ذاته ليست من جنس ذاتنا وصفاته ليست من جنس صفاتنا، فكذلك يجب التباين بين قربنا وقربه، كما يجب التباين بين ذاتنا وذاته؛ فالخلاصة أن المراد من كونه في السموات والأرض نفاذ أمره وقدرته وجريان مشيئته، كذلك قوله تعالى: (ءَأْمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ)، والمراد مزيد التخويف والتهويل فهو من وادى قوله تعالى: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ) في الآية مجاز بالحذف أو مجاز في الاستناد، والقرينة على

ذلك هى أكبر قربة رآها الرأون واستند اليها المستعملون ، وهى لاستحالة العقيدة التى قام عليها البرهان القاطع والدليل الساطع ؛ أما قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) فهو كناية عن تمام الملك وعظمة السطان ، كما تقول لمن تم له الأمر أنه جلس على عرش المملكة لا تريد حقيقة الجلوس وإنما تجمله كناية عن استتباب الأمر وتمام الملك ؛ وهناك أجوبة كثيرة أعرضنا عنها مخافة التطويل والاملال ؛ وبعد هذا كله فليست أفهم قوله أن لله فى السماء فقط مع ذكر قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) ؛ فاستلفت نظرك الى ذلك .

وليعلم أولئك الجاهلون ، أن مذهب السلف التنزيه وعدم الخوض فى بيان المعنى فالفرق بينهم وبين الخلف أن الخلف يعينون المعنى المراد ، فيفسرون اليد فى مثل قوله تعالى : (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) بالقدرة ، أو يقولون إنه من الكنايات التى تراد لوازمها لاحقاً ، أما السلف فلا يخوضون فى شئ ، من ذلك ولا يبينون المعنى المراد على التعيين ؛ ولكن يجب على القارىء أن يعلم أنهم ينزهون الله عز وجل عما تقتضيه تلك الظواهر أو يتبادر من تلك الآيات ؛ أما هؤلاء الذين زعموا أنهم مقلدون لهم فشيبهون لا منزهون ، فأين هم من السلف ؟

أيها المدعى سليمى سفاها لست منها ولا قلامة ظفر

ولنقتصر على هذا والله يتولى هدى الجميع
برسف المجرى
من هيئة كبار العلماء

شركات التأمين على الحياة

على أثر صدور العدد السادس من هذه المجلة وفيه كلمتنا عن شركات التأمين، وأن عملها مما لا ينطبق على قواعد الدين الاسلامي ولا يبيحه الشريعة الفراء، أخبرنا بعض إخواننا أن إحدى هذه الشركات كانت قد استصدرت فتوى من المرحوم الشيخ محمد عبده عليه رحمة الله بحل هذا العمل، فهاذا الأمر وأكبرنا أن يصدر ذلك منه، وطلبنا من مخبرنا أن يوافينا بنسخة من هذه الفتوى، إذ قال لنا إن الشركة طبعها في كراسة صغيرة ضمن إعلاناتها وتوزعها على الجمهور دعاية الى الاقبال عليها، فلم أحضرها وطلبنا عليها أخذ منا المحب مأخذه لتفنن أولئك الأقوام في التلبيس وإعطاء أعمالهم صورة بعيدة عن حقيقتها ليجتالوا على تطبيقها على قواعد الشرع بل ليوهوا الناس أنها مطابقة لعمل الدين بشهادة رجال الدين، كما بسوا عليهم وأوهوم أن في ذلك مصلحتهم الدنيوية، والله يعلم متقلبهم ومثوأم، فما كانت لها بالمعاملة التي أباحها لدين صلة ولا شبه صلة، وإن الفتوى المذكورة منطبقة على السؤال الذي قدم بشأنها، وقد بقا الفتوى على قدر السؤال، أما تطبيق نص السؤال على حال السائل الحقيقية فهي من عمل القاضي لا من عمل المفتي، لذلك كان وجبا على القاضي أن يتحرى عن الوقائع التي تقدم اليه ويطالب أصحاب الدعوى بإثبات أن حالهم الحقيقية منطبقة على الدعوى التي شرحوها بين يديه، وأما المفتي فلا يكلف إلا تبيان حكم الواقعة المستول عنها، سواء انطبقت على حال السائل في الواقع أم لم تنطبق، وسند ذلك نص السؤال والجواب، ثم نبين ما في السؤال من التلبيس المتعمد قصد طمس الحقيقة وإظهار العمل في غير صورته الصحيحة، ونبين أن الجواب صحيح بالنسبة الى السؤال وإن كان السؤال لا ينطبق على حال تلك الشركات.

فالسؤال هكذا: رجل يريد أن يتعاقد مع جماعة على أن يدفع لهم مالا من ماله
إلخاص على أقساط متساوية ليعملوا فيه بالتجارة، واشترط معهم أنه إذا قام بما ذكر
وانتهى آن الاتفاق للمعين بانتهاء الأقساط المعينة وكانوا قد عملوا في ذلك المال وكان حيا،
فيأخذ ما يكون له من المال مع ما يخصه من الأرباح؛ وإذا مات في أثناء تلك المدة فيكون
لورثته أو لمن له حق الولاية في ماله؛ أن يأخذوا المبلغ تعلق مورثهم مع الأرباح؛
فهل مثل هذا التعاقد الذي يكون مفيدا لأربابه بما ينتجعه لهم من الربح جائز شرعا؟ ...
والجواب: أنه لو صدر مثل هذا التعاقد بين ذلك الرجل وهؤلاء الجماعة على الصفة
المذكورة كان ذلك جائزا شرعا، ويجوز لذلك الرجل بعد انتهاء الأقساط والعمل في المال
وحصول الربح، أن يأخذ لو كان حيا ما يكون له من المال مع ما يخصه في الربح؛ وكذا
يجوز لمن يوجد بعد موته من ورثته أو من له ولاية التصرف في ماله بعد موته أن يأخذ
ما يكون له من المال مع ما انتجته من الربح.

فترحم قد أتوا من شروطهم بما ليس منشأ الفساد شرعا مهملين الشروط التي أوجبت
فساد تلك العقود وذلك ليلبسوا على الناس أمرهم ولتتم لهم الدعاية على المتمسكين بدينهم
والمرضين عنه؛ فلا يقول واحد هل أخسر الدين وهو سبيل الفوز بالسعادة الأبدية
بدنيا فانية ليست إلا أياما وتنتهي، فأكون ممن باع آخرته بدنياه؟ فهم يقولون للناس
تفريرا وتضليلا لا بل أنت تبيع دنياك بما لا يضر آخرتك ولا تخسر من أجله دينك،
وها هي ذي فتوى عالم من العلماء، أجل لا ينكر أحد أن إعطاء رجل ماله مقسطا
لجماعة ليعملوا به في التجارة حتى إذا انتهى أجل المتفق عليه أخذ ماله وما خصه من
الربح؛ وإذا مات أخذ ورثته ماله وحصته من الربح كذلك، ولكن مامنى (ماله) الذي يأخذه
الورثة؟ إن الذي يفهم من نوع السؤال أنه المال الذي دفعه للجماعة وهم يريدون المال الذي
اتفقوا على أن يأخذه المؤمن على حياته بالناس ما بلغ متى دفع أول قسط، فإذا اتفقوا على

ألف جنيه ودفع منها عشرة ثم مات عقبها استحق الألف جنيه كاملة لألف قرش ، فهل ذكروا هذا في السؤال ليتبين الحرام من الحلال ؟ وإذا أخل بالشروط وتوقف عن الدفع بلامبرد ضاعت عليه الأقساط التي دفعها و(لنت البوليصة) ، ولا يقول الشرع إن من دفع قسطا من مبلغ متفق عليه وعجز عن تنعيم الأقساط ضاع عليه ما دفع ، فهل ذكروا هذا في السؤال ليتبين الحرام من الحلال ؟ ويقولون أنهم يعملون بماله في التجارة ثم يأخذ ماله وربحه ، وقد يفهم من هذا أنه يأخذ ربحه في التجارة إذا ربحت كما يتحمل قسطه في الخسارة إذا خسرت التجارة فيكون من باب القراض الجائز شرعا ، ولكنهم ليسوا كذلك بل يتفقون على مقدريدفعونه لا يتفاوت قدره كثلثة في المائة مثلا سواء أربحت التجارة قليلا أو كثيرا أم لم تربح ، بل ولو خسرت ، فهل ذكر هذا في السؤال ليتبين الحرام من الحلال ؟ إن مثلهم في هذا كمثل من يعرض مريضا بالبطن سليم العينين على طيبب العيون ليأخذ منه شهادة على سلامة عينيه ليثبت بها سلامة مريضه من جميع الأمراض ؛ إن الشارع الحكيم ناط المعاملة بالعدالة الوانحة الجلية التي لا لبس فيها ولا غرر ولا مقامرة ، أما تلك الأبواب التي تقيد طرفا ولا تفيد الطرف الآخر فليست مما يقره الشارع الحكيم ولا مما ينطبق على صريح العدالة ، ولا تقولن إن الطرفين قد تراضيا وهما أصحاب الشأن في أموالهما فإن المتقارنين كذلك قد تراضيا ، ولكن كم جرّ عليهما هذا التراضي من وبال وخسران وشقاق وخصام وعداء وخرب بيوت وضياح قوت ، فالعدالة هي الأصل المحكم ولا ضرر ولا ضرار .

نحن لا نعرض لهم من ناحية القانون فليس هذا من شأننا ، وإنما ننكر عليهم لبسهم وتغريمهم بالناس ، وإيهامهم أن ذلك جائز في دينهم ليحلوا ما حرم الله ، فهذا ما لا يسع مسلما السكوت عليه ؛ والآز قد تبين الرشد من الغي فمن شاء فليؤمّن ومن شاء فليكفر والله الهادي إلى سواء السبيل

ابراهيم الجبالي

مدرس بقسم التخصص بالأزهر

ظاهرة مرئية

في أيام عيد الأضحى من السنة الماضية ١٣٤٨ هـ قام الكاثوليك الفرنسيون من رهبان وغيرهم بحملة عنيفة مناوئة للدين الاسلامي ، هي ذلك المؤتمر الأنطاقي الذي أقاموه في قرطاجنة^(١) ، وما هو إلا من مظاهر العمل لتتصير المسلمين لدى استبان في غاية الجلاء أنه من أول ما يرى اليه الفرنسيون بقوة وعدم مبالاة

وقد ورد إدارة المجلة من مكتب الأخبار التونسية كتاب عنوه « ظاهرة مرئية في سياسة الاستعمار الفرنسي » فقرأناه فإذا هو يحتوي بيان تاريخ هذه الحملة وتصريحات من بعض القسس ومحرمي الصحف الافرنسية ، والى القراء شيء من هذه التصريحات .

قال أسقف قرطاجنة على ما نشر في مجلة « الحياة الكاثوليكية » : إن مؤتمر قرطاجنة سيكون حملة صليبية جديدة ملؤها الكرم المسيحي ؛ وقالت جريدة تونس الاشتراكية « هل علم اليهود وغيرهم أن هذا المؤتمر إن هو إلا حرب ضد الأديان الأخرى ، ووسيلة للتصريح والاعلان بانتصار العقيدة الكاثوليكية وسيادتها على سائر العقائد » ، ويضاف الى هذا قول أسقف الجزائر على ما جاء في مجلة الحياة الكاثوليكية « ربما مع مرور الزمان تحصل لنا سعادة تمددنا للأهالي بتصويرهم مسيحيين » ولم يكن ذلك المؤتمر دينيا محتا بل أعطاه رجال السياسة الفرنسيون صبغة رسمية ، فقد كتبت جريدة الزهرة في ٥ ذي الحجة ١٣٤٨ ما نصه : « في هذا اليوم عند الساعة الثالثة بعد الزوال يصل الكردينال (لبيسي) مرسى العاصمة (تونس) ومعه حاشيته المؤلف من بعض كبار رؤساء الدين الفرنسيين ، ومن بينهم الكردينال (فرديني) وسيتوجه جناب المعتد السفير م. بورتون لتحيتهم بمرسى البحيرة ، ورافقهم ممثل البابا الى الكنيسة ،

(١) بلدة في ضواحي مدينة تونس لا تزال بها آثار رومانية وقد أقيم على أطلالها سان حديثة .

وستؤدي لهم جنود الحامية التحية العسكرية بالرصيف في كامل الطريق الموصلة للكنيسة ، وبعد ذلك يزور جناب المقيم العام ، وهذا يرد له الزيارة بعد برهة قليلة ، وفي يوم الاثنين الساعة العاشرة يقدم جناب المقيم العام ممثل البابا الكردينال الى سمو الأمير المعظم بقصر المرسى .

ولم يقتصر رجال السياسة الفرنسيون في تونس على الاشتراك في المؤتمر الكاثوليكي يمثل هذه المظاهر الرسمية ، بل أدرحوا في مصاريف الدولة التونسية مليونين من الفرنكات إعانة لاقامة هذا المؤتمر ، ولما أراد أعضاء « المجلس الكبير » التونسيون المناقشة في هذا التبرع ، أجبوا بمنع المناقشة في الموضوع بعلّة أن هذه الاعانة مقررّة من طرف وزارة الخارجية .

وفي يوم السبت ٤ ذى الحجة ١٣٤٨ وهو اليوم الذي تقرر أن تنزل فيه أول طائفة من الرهبان الوافدين الى المؤتمر أصبحت مدينة تونس مضربة عن العمل ، وخرج طوائف من المسلمين في مظاهرات منتظمة المصفوف ، وتجوّلوا في الحارات الأوربية الى أن وصلوا أمام الكنيسة وأمام دار المتمدن الفرنسي ، وهتفوا هناك بحياة الاسلام والوطن باللغتين ، العربية والافرنسية ، حتى هاجمهم البوليس بقصد تفرقهم بقوة ، ورفعت بعد هذا احتجاجات على انعقاد هذا المؤتمر من طوائف وبلاد في المملكة التونسية مختلفة .

فمعدّد هذا المؤتمر الكاثوليكي في تونس وما أخذ من مظاهر وما حقه به رجال الاستعمار من الرعاية ، ثم ما يعمل له الفرنسيون بالمغرب الأقصى من تنصير البربر ، كل هذه الوقائع شواهد على أن المستعمرين يضعون أيديهم في أيدي رجال الكنيسة ليحولوا شمال أفريقيا من الاسلام الى النصرانية .

هذا أمر واقع ، وقد قابلته الصحف والجمعيات والأحزاب بالانكار والاحتجاج ؛

ولم تقم أمانة على أن غضب العالم الاسلامى لتدخل القوة الفرنسية في شؤون المسلمين الدينية كان له أثر في صرف فرنسا عن هذه الخطة المقبولة ؛ وليس في يد أهل العم والخيرة على الدين الخفيف اليوم سوى أن يندروا الناس عاقبة الانحدار في هذه المملوكة ، ويتخذوا الوسائل التي تحمي البلاد من الفوابة وتبجل سمي المحاربين الاسلام خائبا .

استكشاف أدوات ذهبية وفضية قيمة

في مدينة بومباي الاثرية

عثر الأستاذ « ماجوري » عند استئناف أعمال التنقيب في مدينة بومباي الاثرية بطريقة أبوندازا بالسكن رقم ٤ الذي لم يعبره الباحثون اهتماما كبيرا حتى الآن على نفائس عظيمة للقيمة التاريخية والمادية من الذهب والفضة .

فوجد بداخل صندوق محرق أدوات مائدة من الفضة وعدد كبير من الحللى الذهبية مرصعة بالجواهر

أما أدوات المائدة فتكنى لأربعة أشخاص ويغلب على الظن أنها كانت لأحد البطارقة الأغنياء ، ومزينة بنقوش تمثل أعمال « هرقل » الذي يقال أنه المؤسس لمدينة بومباي .

أما الحللى فهو عبارة عن سوارين للمعصم وثلاث حلقات للأذن وثلاث عشرة خاتم ذهبي وعدة قلادات بعضها مرصع بالأحجار الكريمة ، كما وجدت بعض قطع من العملة الذهبية والفضية يرجع عهدها للعصر الجمهورى وعهد القياصرة .

ونقلت هذه الآثار مع العاديات الأخرى التي وجدت بنفس السكن مثل تمثال « أبولو » وصورة تمزى « لفرجيل » الى متحف مدينة نابولى بإيطالية .

[مترجمة عن مجلة « Umschau » الألمانية]

نموذج من نقد الشعر

الحسن البيان أثر كبير في تهذيب النفوس وتقويم العقول وتربية العواطف الشريفة؛ ومن أنفس فنون البيان فن الشعر، ولجوذة الشعر ورقية في معارج البلاغة أسباب معدودة؛ ومن هذه الأسباب أخذته بالنقد، ووزنه عند ما يعرضه صاحبه يميز العلوم لأدبية ولتوق السليم؛ وإذا نظرت إلى المصور أو البلاد التي أدرك فيها الشعر منزلة سامية، رأيت أدباءها كيف كانوا ينتقدون ما تصنعه قرائح الشعراء نقد الصيارفة للدرهم أو الدينار، فيجزون كل شعر بما يستحق من قبول وإطراء، أو إنكار وادراء؛ وأذكر على وجه المثل العهد الذي طهر فيه أبو تمام والبحري وأضرابهما، فإن وطيس النقد كان يومئذ حاميا؛ ومن شواهد هذا أن عبد الله بن طاهر ولي خراسان الذي ألف له أبو تمام ديوان الحماسة، كان لا يميز شاعرا إلا أن ينظر في قصيدته أبو العميش وأبو سعيد الضرير ويشهدان لها بالاجادة، بل كنا نرى كثيرا من الأمراء والخلفاء في أزمسة رقى الشعر ينتقدون ما ينشد بحضرتهم من الشعر فيميزون رديته من جيده، وتستمعون في هذا النموذج أمثلة من تنقاد الدال على سلامة التوق والالمام بفنون البيان.

فنقد الشعر من أسباب إبداع الشعر، وإبداعه من وسائل تنقيف الأخلاق وإيقاظ الهمم وعرض الحكمة في ثوب فاخر أنيق؛ وإذا كانت جمعية الهداية الإسلامية قد أنشئت لنصرة الفضيلة وإعلاء شأن اللغة العربية، فجدير بها أن تعنى بالوسائل التي يبلغ بها الشعر مكانته العليا، وهذا ما عني على أن ألقى كلمة أعرض فيها نموذجا من النوحى التي ينحفظها الأدباء عند نقد الشعر؛ وإذا فاتني شيء منها فلتغفلته عن الذاكرة، أو لأنه بقي فيما لا أعلم، « وفوق كل ذي علم عليم ».

تمهيد

نقد الشعر، فن من فنون الأدب قديم، تجده في عهد الجاهلية وصدر الإسلام
أثراً وشواهد كثيرة؛ أما تخصيصه بالتأليف فانا نعلم أن عبد الله بن المعتز المتوفى
سنة ٢٩٦هـ، قد ألف في نقد شعر أبي تمام، ومحمد بن طباطبا العلوي المتوفى سنة ٣٢٢هـ
ألف كتاب عيار الشعر، وقدامة بن جعفر المتوفى حوالي سنة ٣٣٠هـ ألف كتاب نقد الشعر،
وكتابتا ناقش فيه ابن المعتز في نقد شعر أبي تمام؛ وجاء على أثر هؤلاء محمد بن عمران المرزباني
وألف في ما أخذ العلماء على الشعراء كتابه المسمى «بالموشح» فأخرجه للناس كتاباً حافلاً.

وقد أسرف فريق في النقد، حتى عابوا ما ليس في الحقيقة بمعيب؛ ومن هؤلاء
الأصمعي فإنه كان مغرئ بالأخذ على الشعراء، وعاب عليهم أشياء وجه لجواب عنها
واضح مقبول؛ ووقف تجاه هؤلاء آخرون يحرصون على أن يكون ما قيل من الشعر
برئاً من العيب، ويتعسفون في دفع ما يرى به بعض الشعر من خلل في اللفظ أو المعنى؛
وعلى هذين الفريقين يصدق قول أبي العباس المبرد «من طلب عيباً وجدته، ومن طلب
مخرجا لم يفتته».

ومن عني بالدفاع عن الأشعار المعبية أبو عبد الله محمد بن جعفر القيرواني التميمي
المتوفى سنة ٤١٢هـ ومن مؤلفاته كتاب «ضرائر الشعر»^(١)، نكلم فيه عما
يجوز للشاعر دون الناثر، وأوشك أن يأتي لكل ما عيب به الشعر من ناحية مخالفة
قوانين اللغة، ويجعله من الرخص الشعرية.

والواقع أن في الشعر ما أخذ ينظر فيها إلى ما هو أحسن في النظم وأظهر في الغرض،
ومن هذا عيب بلال بن بردة لقول ذي الرمة من قصيدة أنشدها بين يديه:

رأيت الناس ينتجعون غيثاً فقلت لصيدح انتجعي بلالا

(١) موجود منه نسخة مخطوطة بدار الكتب الملكية المصرية.

يقال : إن ذا الرمة لما أنشد بلال بن بردة هذا البيت ، قال بلال : يا غلام مر لصيدح
بقت وعلف قائما هي انتجعتنا ؛ ومن الظاهر أن ذا الرمة إنما أراد من انتجاع صيدح
التي هي ناقته انتجاع نفسه ، ومثاله في القرآن قوله تعالى : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا
وَالْمَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) ، وإنما المراد أهل القرية وأهل المير ؛ وإذا ذكر العربي انتجاع
الناقة للممدوح وعنى به تنجاع نفسه فلأن الراحلة لا تنتجع مكانا إلا حيث ينتجعه صاحبها
ومثل هذا المجاز لا يخفى على بلال بن بردة ، ولكن الأوفق بمقام الاستعطاف وإظهار
الحاجة أن ينسب الشاعر الانتجاع لنفسه .

ومن المأخذ ما يورده صاحبه على غير تثبت فلا يقع موقع السداد ، قال ابن
عبدربه : « وأكثر ما أدرك على الشعراء له مجاز وتوجيه حسن ، ولكن أصحاب اللغة
لا ينصفونهم ، وربما غطوا عليهم وتأولوا غير معانيهم التي ذهبوا إليها ، ومن هذا
ما أخذ على الحسن ابن هاني في قوله :

وما لبكر بن وائل عصم إلا لحقائها وكاذبها

وقال الناقد : أراد بمحقائها هبقة القيسي ؛ ولا يقال للرجل حقاء ، وإنما أراد ابن
هاني دغمة المحلبة ، وعجل في كره ، ودغمة هذه يضرب المثل في الحق . وفي الشعر مواضع
هجنة لا ينبغي التكلف للحواب عنها شيئا ؛ ومن هذه المواضع ما لا يكاد يخفى على أحد ،
ككثير من سقطات أبي تمام ، وأبي الطيب المتنبي ؛ ومنها ما لا يدركه إلا الذوق السليم
والألمعية الصافية ؛ ومن شواهد هذا قول المتنبي :

عجبا له حفظ العنان بأتمل ما حفظها الأشياء من عاداتها

ووجه العيب فيه أنه يريد أن يبي عن أنامل الممدوح الحفظ جملة ، ويدعى أنه
لا يكون منها حفظ البتة ، وإضافة الحفظ الى ضميرها في قوله : « ما حفظها الأشياء »
يقتضى إثبات حفظ لها ووجوده منها ؛ وقد ساق عبد القاهر في دلائل الإعجاز هذا

البيت وقال : مضى دهر ونحن نقرؤه فلا تنكر منه شيئاً ، ولا يقع لنا فيه أنه أخطأ ،
ثم بأن بأخرة أنه قد أخطأ ، وبين الخطأ بالوجه المقرر آتفاً

وهو النقد :

يتوجه النقد الى ناحية لفظ تارة ، ولى ناحية المعنى تارة أخرى ؛ والسكل واحدة
من الناحيتين فنون هي ما قصد الى الحديث عن شيء من تفاصيلها ، وعرض نموذج
من أمثلتها .

النقد اللفظي :

الألفاظ بمنزلة الطاروف تنقل المعاني من نفس لى أخرى ، فيحسن أن تكون
على قدر المعنى الذى قصد الى نقله ؛ فإن كانت أقل منه وصل المعنى الى ذهن المخاطب
ناقصاً ، وإن كانت أكثر منه حمت لسانك ما لاجاجة الى حمله ، وألقت فى سمع
مخاطبك ما لا علم له ولا راحة .

والألفاظ للمعاني بمنزلة الثوب للبدن ، ومن لأثواب ما بقى من الحر والبرد ،
ولكن المين تمجه لردء مادته ، أو ضعف نسجه ، أو قبح منظره ؛ وكذلك الألفاظ
قد تفصل على قدر المعنى ، ولكن الدوق يعجزا لتنافر حروفها أو تجافى كلماتها ، أو تخاذل
نظمها ، أو انحرافها عن هيئة وضعها .

ونقد اللفظ إما أن يعود الى المفرد ، وإما أن يعود الى التركيب وما يعود الى
المفرد استعماله فى غير معنى صحيح كما عابوا قول المتنبي :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقة بد

فإن الصداقة المخالفة وهى إصفاء المودة ، والإنسان لا يضطر الى أن يصادق عدوه
أو يحض له المودة ، وإنما يضطره الحال الى مداراته ، وذلك ما يعنيه الشاعر ،
ومقتضى هذا المعنى أن يقول : « ما من مداراته بد » .

ومن عيوب المفرد مخالفته لقانون الصرف ؛ كما قال أبو عبد الله الحجاج .
 خرفت صفوقهم بأقب^(١) نهـد مراح الصوت متعوب المنان
 فانه يقال كَيْبٌ ومُتَعَبٌ ، ولا يقال متعوب ، لأن تعب فعل لازم فلا يجي منه
 متعوب بمعنى متعب .

ويعاب بعض مفردات البيت لمخالفته للهيئة التي بناها عليه الواضع ؛ ومن أمثله
 قول ابن زمرك في بعض قصائده :

يا بن الخلاف من بني نصر ومن حاطوا ذمار الملة السمحاء^(٢)
 وقوله : ستمهم الملة السمحاء نكرمة

إذ لم يرد في السباحة صيغة فعلاء ، فلا يقال سمحاء ؛ وإنما يقال ملة سمحة ، أى ليس
 فيها حرج ولا ضيق ؛ وقد عاب بعضهم قول أبي نواس :

وإذا نرعت عن الغواية فليكن لله ذاك النزع لا للناس

وقال : إن نزع بمعنى انتهى وإنما جاء مصدره على فعمل ، فيقال نزع عن الأمر
 نزوعاً إذا انتهى عنه ، ولكننا نجد في كتب اللغة أن النزع يأتي مصدر لنزع بمعنى انتهى^(٣) .
 وعابوا على المتنبي قوله :

ليس التعلل بالآمال من أدنى ولا القنوع بضنك العيش من شيمى

وقالوا إن القنوع مصدر قنع بمعنى سأل ، أما الرضا بالقسم الذى هو مراد الشاعر ،
 وإنما يقال فيه قنع قناعة ، ويقال : إن أبا الطيب غير البيت الى قوله : « ولا القناعة
 بالافلال من شيمى » ؛ والواقع أن من أهل اللغة من روى أن العرب قد يستعملون
 القنوع فى الرضا ، قال ابن السكيت : ومن العرب من يستعمل القنوع فى معنى الرضا
 وهو لغة قليلة حكها ابن جني وأشد :

(١) اقب من القب وهو دفعة الخصر وضرب البطن . والتهد العرس الحسن الجليل . (٢) تمنع الطيب
 ج ٤ ص ٢٩٩ . (٣) فى القصار . روع عن الأمر يترع روعاً كف وانتهى ودعماً قالوا نزعاً

أَرْضِي بهذا منكم ليس غيره ويقنعنا ما ليس فيه فنوع
ومما يعود العيب فيه الى المفرد لفظ عربي يستعمله العامة في غير معناه فيجربى
الشاعر فيه على استعمال العامة ، ومن هذا قول ابن أبي حجة :

في الحمد نار وفي أجفاتها شرك لوقمة القلب كل منهما صالى
فاستعمل كلمة صالى بمعنى صابر مترقب ، وهي لغة العامة من أهل الشام وحماه ، قال
بعض الأدباء : لم أفهم ما أراد ابن أبي حجة حتى سألت عنه بعض عوام حماه ففسره لى .
وقد تعاب الكامة في الشعر من جهة تجافى الذوق عنها وثقل وقعها على اللسان ،
كلفظ ابتشاك في قول المتنبي :

وما أرضى لمقلته بحلم اذا انتبهت توهمه ابتشاك
والابتشاك الكذب ، ومن ذا يسمع هذه الكلمة ولا يتبرأ منها ذوقه كما يتبرأ
من معناها قلبه ولبه .

وقد يأتى الشاعر في البيت بكلمة لها معنيان : أحدهما لائق بالمقام وهو المراد ،
وثانيهما يصير به معنى الكلام منبوذاً مستقبحاً وليس بمقصود للشاعر ؛ فيعاب الشعر
من جهة هذه الكلمة المحتملة لمعنى مستهجن ، وقد وقع أبو تمام في هذا العيب حين قال :
أعطيت لى دبة القليل وليس لى عقل ولا حق عليك قديم

فقوله : « وليس لى عقل » يوم أنه يتنى عن نفسه العقل الذى هو القوة المدركة
وانما أراد الشاعر الدية ، ولو قال : وليس لى عليك عقل لارتفع اللبس وزال القبح

النقد العائد الى التركيب :

من النقد العائد الى التركيب وروده على خلاف ما يقتضيه علم النحو ، وضربوا
للمثل لهذا بقول الفرزدق :

وعض زمان يابن صروان لم يدع من المال إلا مسحاً أو مُحْلَف

المُسَحَّتِ الْهَلَكُ، والمجلف الذى بقيت منه بقية؛ فالنظم يقتضى نصب مجلف عطفًا على للنصوب قبله وهو « مسحتنا » ولكن الشاعر أتى به مرفوعا، وليس لرفعه وجه ظاهر، وأراد بعض النحاة أن يخلصه من وصمة الخطأ فى الاعراب فجعله خبرا لمبدأ محذوف، والمعنى « أو هو مجلف »؛ وإذا نفع هذا الوجه الشعر وخلصه من عيب اللحن، فإنه لا يمنع الناقد من أن يجعله دون منزلة الشعر الذى يستقر معناه فى الأذهان لأول ما يقع لفظه على الاسماع.

ومن ما أخذ المركب خروجه عن قانون علم البلاغة، فيجىء غير مطابق لمقتضى المقام؛ ومن أمثلة هذا العيب أن عبد الرحمن بن حسان سأل بعض الولاة حاجة فلم يقضها، ثم بعث إليه شفيعا ففضاها له فقال:

دُفِعتَ فلم تُحمد وأدركت حاجة تولى سواكم أجرها واصطنعها
أنى لك كسب الحمد رأى مقصر ونفس أضلق لله بالخير باعها
إذا هى حنته على خير مرة عصاها وإن همت بشر أطاعها

وموضع العيب فى رأى علماء البلاغة هذا البيت الثالث، فقد جاء على خلاف ما يقررونه من أن « إذا » تستعمل فيما بكثرت وقوعه، « وإن » تستعمل فيما لا يقع إلا نادرا، ومقام الهجاء يقتضى أن نفس ذلك الوالى تحته على الخير قليلا، وأنها تهتم بالشئ كثيرا، وهذا يقتضى أن يأتى فى جانب الحث على الخير بـ « إن »، وفى جانب الشر بـ « إذا »، ولكن الشاعر جرى على عكس القاعدة فقال:

اذ هى حنته على الخير مرة عصاها وإن همت نشر أطاعها

قال الرمضرى: وللاحصل يتوافق « إن » و « إذا » بزيادة كثير من الخاصة عن الصوب فيغلطون، ألا يرى الى عبد الرحمن بن حسان كيف أخطأ بهما للموقع، ثم أورد الأبيات وقال: « لو عكس لأصاب ».

ومن مآخذ التركيب عدم انساق كلماته، فلا تقع كل كلمة منه موقعها اللائق بها، وينتج عن هذا أن الذهن يقف في فهم البيت فلا يصل إلى المراد منه إلا بعد تردد النظر وإمعانه، ومن أمثلة هذا قول البحتري:

فنى لم يعمل بالنفس منه عن الملى إلى غير هاشيء سواء مملها
وإذا استطاع بعض أنصار البحتري أن يخلص البيت من اللحن بوسيلة التأويل فإنه لا يستطيع أن يحميه مما يميمه بالتعسف والتعقيد.
ومن معائب التركيب أن ينبو عنه الذوق السليم، ويكون وقعه على اللسان ثقيلاً، ووقع في هذا العيب قول كساجم:

حدائق كف كل ربح حل بها خيط كل قطر

قال ابن الأثير: هذا البيت يحتاج الناطق به إلى بركان يضعه في شذقه حتى يدبره له.

النقد المعنوي:

مثل الشاعر في صنع المعاني مثل صانع الصور المحسوسة، وإذا كنت لا تشهد لصانع الصور بالاصابة إلا أن يعرض عليك الصورة مطابقة لحالتها الواقعة، فكذلك الشاعر لا تعدد مصيباً في تصوير المعنى إلا أن يعرضه عليك سالماً من النقص، غير متقل بزيادة ما لا فائدة منه، حسن الوضع متلائم الأجزاء، وافقاً من المقام الذي أورده فيه موقع المناسب المقبول، ومن هنا كان لنقد معاني الشعر وجوه مختلفة.

يدخل العيب على المعنى من جهة الجمع بين أشياء غير متناسبة، وكثيراً ما يقع في هذا العيب من يقصد إلى النوع المسمى بالمطابقة، ومما ذهب بعض النقاد إلى أن الشاعر جمع فيه بين شيئين غير متناسبين بيت المتنبي:

أزورم وسواد الليل يشفع لي وأنثى وياض الصبح يفرى بي

فقد روى أن المعتمد بن عباد تباحث مرة مع جلسائه في هذا البيت وقال: ما قصر في مقابلة كل لفظة بضدها إلا أن فيه نقداً خفياً وهو أن الليل إنما يطابق بالتهار ولا

يطابق بالصبح الذي هو جزء من النهار ، ومراد الاعتماد القدح في المطابقة بين الليل والصبح وإن كان لذكر الصبح وجه هو أن لحب ينصرف من الزيارة عند المحبوب انفجار الصبح خيفة الرقباء .

ويعاب الشعر بوقوعه في عكس الغرض كقول أبي تمام :

إن البشاشة والندى خير لهم من عفة جمست عليك جموس
لو أن أسباب العفاف بلا تقى نعمت لقد نعمت إذا إبليس

ساق الجرجاني هذين البيتين وقال : ليت شعري لو أرد هو ، وقصد الغرض منه ، هل كان يزيد على أن يذم عفته ويصفها بالجوس والجود ، وهما من صفات البرد والثقال ، ثم يختم الأمر بأن يصرب له إبليس مثلاً ويقيمه بازائه كقولاً :

ويعاب الشعر بقصوده عن بلوغ الغرض ، حيث يقصد الشاعر إلى ضرب من المدح مثلاً ، ويصوغ له معنى يظنه وافياً بالغرض فلا يبلغ أن يكون مدحاً ، وقد وقع في هذا العيب كثير عزة حين قال :

فاروضة بالحزن طهرة الثرى يمجج الندى جثائها^(١) وعراها
بأطيب من أردان عزموهنا^(٢) وقد أوقدت بالجمر^(٣) اللدن نارها

أراد مدح عزة بطيب الرائحة فلم يبلغ ما أرد ، فإن كل من يتجمر بالجمر اللدن تطيب رائحته ، وقد أشار إلى هذا القصور بعض من سمع يفسد البيت فقال له : لو فعل هذا بأمة زنجية لطاب ريحها ، ألافت كما قال امرؤ القيس :

ألم تر أني كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً ولم تطيب

ومن هذا الضرب قول الفرزدق — في رأى بعض الناقدين —

فمن يأمن الحجاج والغير تتقى عقوبته إلا ضعيف العزائم

(١) الجثعات نبات سهل دسم . (٢) المرءن نحو من نصب الليل وقيل هو بعد ساعة منه .

(٣) الجمرة : العود يطيب به .

قال ناقذو البيت : إن الطير يخشى كل أحد حتى أقصر الناس يدًا كالصيادين
ونحوهم ، فليس في اتقاء الطير للحجاج كبير مدح للحجاج ، ويقال إن الحجاج قال
للفرزدق : ما عملت شيئاً ، إن الطير تنفر من الصبي والخشبة .

ومن الظاهر أن الفرزدق قصد إلى مدح الحجاج بقوة السلطان وطول اليد بحيث
لا ينجو من سطوته مجرم ولو كان الحيوان الذي شأه أن يكون في منعة ، كالطير يذهب
في الجو صاعداً فلا تناله يد حتى ينزل في مأمن من كل ذي قوة ، فاتقاء الطير للحجاج
كناية عن سعة سطاته وأنه لا يخلص منه مجرم ولو شق عنان السماء هرباً .

ويدخل في هذا الباب قول الجعدي :

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فلا يبق من المال باقياً
أشم طويل الساعد بن شمر دل " إذا لم يرح في المجد أصبح غادياً

أنشد هذا الشعر في مجلس هارون الرشيد فأنكر منه قوله : « إذا لم يرح المجد » ،
وقال لم يَمْ يروحه في المجد كما أغداه : ألا قال :

« إذا راح للمعروف أصبح غادياً »

ومن معائب الشعر بعده عن الواقع إلى حد أن يدفعه العقل لأول نظرة ، دون
أن يعرض على السامع صورة بدیعة من صنع الخيال ؛ قال أبو بردة الثقفي : أدركت
الناس وهم يزعمون أن أكذب بيت قالته العرب قول أعشى ميمون :
لو أسندت ميتاً إلى نحرها عاش ولم ينقل إلى قابر

وقال محمد بن يزيد النحوي : أحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه ، وعدل فيه
عن الإفراط . كما قال القائل :

وعنهما من أن تطير زمامها

أما إذا جاء الإفراط في صورة بديعة الصنعة فليس به من بأس، ذلك لأن براعة التخييل تشفع في تجاوزه حد المعقول؛ ومثل هذا قول المتنبي يصف الجياد:

عقدت سنانكها^(١) عليها عثرا لو تبتغى عنقا عليه لأمكننا

ومنها سوء تصرف خيال فيصوغ صورة ينقصها شيء من التناسب، ويظهر هذا في نحو التشبيه والاستمارة؛ ومن أمثلة هذا العيب قول الشاعر:

وخال على خديك يبدو كأنه سنى البدر في دجاء باد دجونها

فإن مقتضى هذا التشبيه أن يكون الخال وهو أسود قد وقع مشبهاً بسنى البدر، وأن يكون الخد وهو أبيض قد وقع في مقابلة الظمء، فهذه المحاكاة لا يحصل منها ما يريده الشاعر من إظهار الموصوف في صورة رائعة الجمال.

ومما لحقه العيب من ناحية التخييل قول أبي القاسم بن فراس يمدح أحد أمراء الأندلس:

رأيت أمير المؤمنين محمداً وفي وجهه بذر المحبة يثمر

فإنه جعل وجه الممدوح موضعاً للبذر، ووصف ما يبذر بمد بالآثار، وهذا ما لا يسيغه الذوق السليم؛ ويقال: إن الشاعر لما أشد هذا البيت قال له مؤمن بن سعيد: فبعاً لما ارتكبته، جعلت وجه الخليفة محرثاً يثمر فيه البذر؛ فغجل الشاعر وما كان جوابه إلا أن شتم الناقد.

وقد يمتد الشاعر في التخييل إلى المدح فتجى الصورة الخيالية وهي إلى الهجاء أقرب منها إلى المدح، وبمثل هذا العيب قول الشاعر يمدح أحد الأمراء بالشجاعة:

يهتز من تحت السلاح كأنه ريحانة لعبت بهاريج الصبا

ولوقيل هذا البيت في جبان فر من وجه أعدائه فأدركوه حتى وقع تحت سيوفهم،

لكان وصفاً مطابقاً؛ ويقال : إن الممدوح لما سمع هذا البيت نار غضبه ، وهم بعقوبة الشاعر لولا أنه أنشد بعده :

في كل منبت شعرة من جسمه أسد يمد إلى الفريسة مخبياً

وقد ينظر في الصور الخيالية من لم يصف ذوقه فينحو في نقدها نحو المعاني العلمية ؛ ووقع مثل هذا لأحد الكتاتين في البيان إذ ناقش الشاعر في قوله .

كالطيف يأتي دخول الجفن منفتحاً وأيس يدخله إلا إذا انطبقا

وقال : إن الطيف لا يدخل الجفن وإنما هو شيء يخيل إلى النفس ، وهذا مدفوع بأن الصور الخيالية ليست بموضع لمثل هذه المناقشة الفلسفية ، والشاعر يعلم أن الطيف لا يدخل الجفن ولا يخرج منه ، ولكن يخيل إلى النفس على وجه يشبه المرئي رأى البصيرة ، فكان بمنزلة ما يدركه البصر من الصور المحسوسة في صحة التعبير فيه بدخول الجفن كما صح أن يعبر عن امتناع تخيله حال انفتاح الجفن باباً إلى الدخول فيه .

وقد يحى العيب من ناحية الخلل الذي ينشأ من حذف بعض الكلمات ، كما جاء في قول الشاعر :

وأني لظلام لأشعث بأئس عرانا ومقرور برى ماله الدهر

وجار قريب الدار أو ذى جنابة بعيد محل الدار ليس له وفر

فالشاعر يريد أنه ظلام لثناقة بنحر فصيلها للأشعث البائس أو المقرور لذى يرى لدهر ماله ، ولكن ألقاظه لا تدل على ما أراد ، قال الجرجاني بعد أن أورد البيتين : هل يشك من أنشدتهما أن الشاعر وصف نفسه بأقبح الصفة ، وأضاف إليها أشنع الظلم ؛ وإنما أراد أني أظلم لثناقة فأنحر فصيلها لأجل هذا الأشعث أو الجار ، ولو قال « وإني لنهار » لانتضح المعنى ، وإنما يتضح المعنى نظراً إلى أن النحر الذي هو إصابة النحر معروف في تذكية الأبل فهو مصروف إلى هذا المعنى .

ومما يؤخذ على الشاعر في الرثاء والتعزية أن يتوسل بالخط من شأن البيت إلى تخفيف مصابه على من يمز عليه فقده، كما قال البحتري يمزى أباهشل الطوسي على وفاة ابنته :

أُتَبكى من لا ينارل بالسيف مَشِيعاً^(١) ولا يهز الالهواء
والفتى من رأى القبور لما طاف به من بنته أكفاه
قد ولدن الأعداء قدما وورثن انتلاد الأقاصى البعداء

ثم قال :

ولم يمرى ما العجز عندي إلا أن تبیت الرجال تبكى النساء
فقد خرج البحتري من مقام تعزية أبي نهشل بوفاة ابنته إلى محوها والخط من شأنها، وإيس هذا طريق تسلية لأباء عن نلتهم وتخفيف حزنهم عليهم ، والتحدث بنقائص للبيت أو بسلب خصال الكمال عنه ، مما لا تراح له نفس قريب أو صديق يأسف لفراقه .

ومن وجوه النقد أن يقصد الشاعر إلى تحسين شيء قد يعمده بعض الناس شائنا فيصرّح في الشعر بعيب الناس له ، والأفضل أن يبين وجه حسنه حتى يتلقاه السامع من حيث لا يشعر بأنه مظنة لأن يعاب ؛ وأسوق مثلاً على هذا أن المعرّ بن باديس استخلى محمد بن شرف وابن رشيق وقال لهما : أريد أن تصنعا شيئاً تمدحان به الشعر الرقيق الذي يكون على سوق بعض النساء ، فإني أستحسنه ، وقد عاب بعض الضرائر بعضاً به ، وكاهن قارئات كاتبات فأحب أن أريهن هذا ، وأدعي أنه قديم لأحتج به على من عابه ، فكان التي قال ابن رشيق :

يعيبون بلقيسية أن رأوا لها كما قد رأى من تلك من نصب الصرحا
وقد زادها التزغيب ملحا كمثل ما يزيد حدود الغيسد ترغيبا ملحا
فانتقد المعرّ على ابن رشيق قوله : (يعيبون بلقيسية) ، وقال له : « أوجدت تلصّبها حجة بأن بعض الناس قد عابه » .

(١) التبيح : المجد .

وقد يجيىء العيب في الشعر من عدم رعاية الشاعر للغرض الذي يتحدث عنه ،
كما قال أبو نواس في مطلع قصيدة يهني فيها الفضل بن يحيى الهرمكي ببناء دار :
أربع البيل إن الخشوع لباد عليك وإني لم أخنك ودادى

يقال : أن الفضل عند ما سمعها تطير وتكس رأسه ، وأخذ الناس ينظر بعضهم
الى بعض ، يعجبون لأبي نواس إذ صكب في هذه الخلبة جواده ، ولم يسعده عند
الحاجة ذكاؤه .

ومن الزلل الذى يقع فيه الشاعر أن يسيء الأدب مع الخلق أو الرسول أو من
يجب احترامه في نظر الدين ؛ وللسيوطى رسالة تسمى (تنزيه الأنبياء عن تشبيه
الأنبياء) ، أورد فيها نبذة من هذه الأشعار الرقيقة وقال : إنما أكررت الشواهد مع
استثقالنا لحكايتها ، لتعرف بأمثلتها .

ومن هذا النوع الأشعار التى تحمل المجون والفحش من القول ، وتزين لقرائها
الخطا والخلاعة ؛ وإنما يتعذر فى هذه الحماة من لم يقرأوا فى مهد الأدب الرفيع ، ولم
تستقبلهم الفضيلة يوم يخرجون من بطون أمهاتهم .

وإن تعجبوا لطائفة من فسنة الشعراء يقتبسوا آيات من كتاب الله ويقصدون
بها مدانى قبيحة منكورة ، فاعجبوا لفئة أخرى يوردون فى بعض مؤلفاتهم من هذه الأشعار
ما يتصعب له الجبين من الحياء عرفا .

هذا نموذج من وجوه نقد الشعر ، وأكثرها يجري فى غير الشعر أيضا ، كخالفه
قانون الصرف والحو ؛ ومنها ما له مزيد اختصاص بالشعر ، كأن نقد المائد الى تصرفات
الخيال أو صناعه النظم ، وهذا الوجه من النقد لا يحكم عليه إلا من كان بصيرا بهذه
الصناعة ، فضعف التسج مثلا ، ونبو الكلمة عن موقعها فى النظم ، وطيش الخيال عن

غرض الابداع في تصوير المعنى ، لا يدركه أينما كان إلا شاعر واسع المدى ، أو أسمى قضي دهرًا في تدبر أشعار البلغاء .

وإذا حضرنا في نقد الشعر بمد هذا ، فإتاما توجه العناية الى الوجوه التي لها مزيد اختصاص بالشعر ، ولا نعبأ بما يدركه النحوي أو العروضي أو اللغوي على البدهة ، فإنه سهل المأخذ ، وفي دراسة العلوم العربية السكافية م

محمد الخضر حنين

استخراج غذاء المواشى من الاخشاب البالية

جاء بمجلة « Kosmos » الألمانية أن الأستاذين « فلستر » و « زشمبايستر » نجحا بعد تجارب كبيرة في اختراع طريقة فنية يمكن بواسطتها تحويل الأخشاب عديمة القيمة الى غذاء للمواشى .

يؤخذ ذلك الخشب ويحزأ الى قطع صغيرة ثم يوضع في أوعية كبيرة مع « حمض الهيدروكلوريك » أي حامض الملح المركز ، فتتفصل مادة خلايا الخشبية وتحول الى مادة سكرية ويتكون حامض الخلل الذي يمكن الانتفاع به بعد تنقيته في الأغراض المختلفة . أما « حامض الهيدروكلوريك » المستعمل في العملية فيمكن استعادته كاملاً وذلك بالتقطير بواسطة الزيت الساخن والهواء الحار .

أما المادة السكرية المكتسبة فهي التي تستعمل علناً للمواشى وهي ذات قيمة غذائية كبيرة فضلاً عن أنها تعد غذاءاً شهيًا للمواشى .

وقد دلت التجربة على أنه يمكن استخراج ٦٦ كيلوجراماً من هذه المادة السكرية و ٣٠ كيلوجراماً من المادة للسماه « ليجنين » التي تضغط في شكل قوالب وتستعمل وقوداً للتدفئة و ٤ كيلوجرامات من حامض الخلل وذلك من ١٠٠ كيلوجرام من الخشب . هذا إلى أنه يمكن تحويل المادة السكرية المكتسبة إلى مواد أخرى .

أثر الثقافة الإسلامية في تطور النهضة الفكرية

لمنحه من التاريخ

— ١ —

إذا حدثت فصدقك التاريخ الصحيح، ارتفعت درجة حديثك الى رتبة الحقائق الصادقة البينة، وكان مشمولاً بالقبول ممن ولاك أو خالفك في الرأي أو في العقيدة، وكنت في هذا الحديث «صادقاً» منصفاً تقول الحق وتهدى السبيل؛ إذ التاريخ شاهد صدق وحكم عدل، لا يبقى في كتابه مسطوراً تحت عنوان «الحق» إلا ما كان ثابتاً ثبوته يبرح إياه العقل النير، وتؤمن به الفطر السليمة، وتطمئن الى الحديث عنه القلوب الطاهرة؛ أفلمست تراه يبدأ على كشف القناع عن وجه كثير من الأساطير كانت مازلة منزل اليقين عند كثير من الأمم، فيجعلها تبدو كما هي خيالات لا تليث إذ شمع عليها قبس من نور البرهان أن تذهب بدداً؟ أو لست تراه يحفظ في ثنايا مسطوره حقائق لم تصل العقول الى غورها، فبقيت ثابتة رغم ما عصفت عليها من عواصف الفكر وتقلبات الزمن؟؟ وذا هو العلم يكشف عنها الستار فتبدوا ناصعة جليلة.

فاذا تحدثنا عن الثقافة الإسلامية وأثرها في النهضة العلمية وتطور الفكر الانساني؛ قائماً نعتمد على رواية التاريخ الصحيح، ليستبين لناظر هذا الأثر الذي أسكره بعض من جفوا الاسلام، وتجاهله شباب المسلمين أو جهلوه، فراحوا يترسمون خطى قوم استغف بهم الغرور واستحوذ عليهم ما ألبوا به من بعض تماثيل الغرب، إمامة لم تصادف من قلوبهم عقيدة راسخة، ولم تلق في أفئدتهم يقيناً قوياً، ولم تجد من نفوسهم إيماناً بالله تعالى وكتبه ورسوله واليوم الآخر؛ فضربوا في مهاوى الشك والاستهتار بالمقائد

والآداب والأخلاق والعلم النافع، فكانوا من الأخشرين أعمالاً، الذين ضل سبيلهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

الثقافة :

ثقافة كل أمة ما تستمسك به من دين وأدب وأخلاق وعادات، وتعاليم حكيمية أو سياسية أو اجتماعية، تأخذها عن فلاسفتها وعلمائها وذوى رأى فيها؛ فلايونان ثقافة تجدها في تعاليم «سقراط»^(١) و«أفلاطون» و«أرسطوطاليس» و«فيثاغورس» وغيرهم من حكماء هذه الأمة، وللمصريين الأولين ثقافة تنمؤك عنها هذه الهياكل والمنابر الهرمية، وللأشوريين والبابليين ثقافة تحدىك بها الاستكشافات الأثرية، وللهند ثقافة نقرؤها في طقوس «برهما»^(٢) و«بوذا» الدينية، وللصين ثقافة تراها في تعاليم حكميهم «كونفشيوس»^(٣) ومن أخذ عنه، وللفرس ثقافة نحبها كتب «زرادشت»^(٤) و«مانى»^(٥)، وللرومان ثقافة أبعداها أثر في الحياة علم الحقوق والتشريع الوضعى على أساس ألواحهم المعروفة، وللإسبانيين والكلدانيين ثقافة عرفت في تاريخ حكمهم وآثارهم، وللمبرانيين ثقافة أساسها التوراة وما يتصل بها من شرح أو تأليف، وللعرب قبل الإسلام ثقافة تظهر فيما نقل عنهم من علم التطبيق وسير النجوم ومعرفة

(١) فيلسوف يونانى كان ينجح في بحثه طريقة المحاورة . وأفلاطون أبول تلاميذه . وأرسطوطاليس أنفل تلاميذ أفلاطون . أما فيثاغورس فهو فيلسوف عظيم كان يعيش في القرن الخامس قبل الميلاد وهو الذى استخرج مذكاة علم الألفان وتاليف الحم ومن حكته انتس سقراط . (٢) إليه تنسب الديانة الهندية القديمة المعروفة . وفى بعض الكتب أنه اسم من أسماء الله تعالى فالة السنسكريتية وكتابه للقدس عند أتباعه يسمى (الفيدا) . وبودا لقب لمؤسس الديانة البوذية ومما بلغتهم العالم الكمال . (٣) عالم صينى وفيلسوف قديم . (٤) حكمى الفرس ومؤسس ديانتهم القديمة . قال الدهرستانى : كان أبوه من (أدربيجان) وأمه من (الرى) . وفى زمنه خلاف كثير والأرجح عند رجال التاريخ أنه كان يعيش في القرن السادس قبل الميلاد . وله كتاب مقدس عند الفرس يسمى (أستاق) وهو عبارة عن مجموع عدة كتب تنقسم الى ثلاثة أقسام الأول : فى العقائد والعبادات . والثانى : فى المسائل . والثالث : فى الفلسفة والمعم . (٥) مانى بن فالتك الذى ظهر فى زمان شابور بن أردشير وقتله بهرام بن هرم بن شابور ومنهجه غلط من النصرانية والمجوسية .

الأناب وقص الأثر وقصص السير وغيرها مما اقتضته حياتهم البدوية، ومما أصابه (المناداة - والفلسفة) من حضارة الفرس والرومان بمقتضى الجوار .

هذه كلها أمم يحدثنا التاريخ عن ثقافتها وثقافات غيرها، وأنها كانت حيناً من الدهر تتنازع قيادة الفكر، ونستبقى الفضل في الحضارة، وتدعو إلى استنارة العقول؛ ومهما يكن من أمر إصابتها لهدف الحقيقة فيما تنقفت به أو عدم توفيقها، فإنا نتساءل أين هي هذه الثقافات، وأين هو أثرها في نهضة العلم وتطور الفكر ؟؟ .

البقاء أمانة الحياة، واستمراره دليل قوتها؛ فلا بقاء في هذا العالم إلا ما يوجد يحمل بين جنبه قوة مغنوية، وروحاً قوية، تدافع أعاصير الحياة وتغبر الزمن؛ فلو أن هذه الثقافات العنبرة كانت بهذه الثابة من القوة والحياة، إذن لبقيت واستمرت مع تطور الحياة، ولكنّها كانت قليلة الحظ من هذه القوة فذهبت مع لذهابين كأن لم تكن بالأمر .

الثقافة الإسلامية :

الثقافة الإسلامية موضوع بيد الغور واسع الأرجاء متعدد النواحي، ليس في استعانة أحد كائننا من كان أن يحددها في شأن من شؤون الحياة؛ فهي كما عُنيت بالشؤون الدينية التهذيبية والأدبية والعلمية، وإقامتها على دعائم ثابتة وأصول قوية، كذلك عُنيت بالنواحي المدنية التعميرية والاجتماعية النظامية، فأستلها على أركان من العدل والعمل الصالح المشر والجد المستقيم .

والذي أحاول التحديث عنه هو ما يقصه علينا التاريخ من أثر هذه الثقافة الإسلامية، في تغذية الفكر الإنساني، ومسايرة التطور العلمي؛ فأجلو صفحة من الحقيقة أضمتها أمام نظر إخواني من شباب المسلمين تبصرة وذكرى، عساها أن تحرك فيهم العزة والشيم، وتدفعهم إلى النفاذ في تاريخ أسلافهم الأكرمين، فيعلموا أنهم فيما بدرسون من سير غير سيرا بطل لا سلام وحكائه وعلمائه يندوعون أريدوا على البعد عن هذا الخير، فكانوا أسلس قيادا في أيدي الزائفين منهم في أيدي الناصحين إلى أشدين .

سطع « نور الاسلام » على وجه المصورة فلم يُأف من ثقافات الأمم الغابرة شيئاً مذكوراً، إلا أمشاجاً من حكمة اليونان، وآداب الرومان، وتعاليم المسيحية على ما أصابها من تحريف . لجأت الى مدرسة الاسكندرية على أثر حملة عنيفة حملها الملك (غوستيان) على الفلاسفة والحكماء انتصاراً منه لآراء الكنيسة النورية التي كان من قواعدها يومئذ اضهاد العلم والعلماء، والقسوة على الحكمة والحكماء، ففر من وجه العسف الروماني جم غفير من الفلاسفة، أم بعضهم لاسكندرية، وأرغمتهم طبيعة الحوادث على ولوج معمرة النزاع الكنيسي؛ فاستعملوا النظريات الفلسفية للدفاع عن آراء فريق من المسيحيين، حتى امتزجت نظرياتهم بهذه الآراء وكان منهما مذهب (الأفلاطونية الجديدة) وهو مذهب كنيسي أكثر منه فلسفي؛ وهكذا أخذ أثر الثقافة القديمة يتضاءل أمام جور المتعسف من حكام الرومان، وقتلهم العلماء والحكماء بغير حق؛ والفرس والرومان هما الدولتان اللتان بقيتا تتذوقان طعم الحياة الى ذلك الحين .

قام بناء الاسلام الشامخ في أقل من ربع قرن، أكل الله فيه على خير أمة أخرجت للناس دينها، وأزل على نبيها الكريم صلوات الله وسلامه عليه في يوم الحج الأكبر قوله تعالى : (أَلْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَنَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنًا) إذاً ما منه جل شأنه بأن هذا الخير ليس بعمه من لدن السماء خير من استمسك بعروته الوثقى رشد واهتدى، ومن تقلت عنه ضل وغوى، فكان ذلك حائزاً لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على استظهار القرآن الكريم — وهو المنبع الفياض بأسرار الكون — واستنباط ماحوى من حكم وأحكام، مسترشدين بسنة النبي عليه الصلاة والسلام بأذهان سيالة وقلوب واعية؛ فنبغ فيهم العلماء والحكماء، وظهر من بينهم النواد والأبطال، ونهد في صفوفهم الساسة الذادة، وأشرف على حياتهم أئمة قادة، فكانوا — وم نيف ومائة ألف — شمس الدنيا ورحمة الحياة الفاضلة .

لثقافة الإسلامية مرحلتان :

المرحلة الأولى

تبتدى المرحلة الأولى للثقافة الإسلامية من مَشْرِق « نور الاسلام » ، وتنتهى بقيام الدولة العباسية ؛ وفي هذه المرحلة تتجلى عظمة الاسلام ، وتبدو ثقافة تستمد نورها من مشكاة الذكر الحكيم .

امتازت هذه المرحلة بشئ يعمده الباحثون من أعظم ماسجل التاريخ . ذلك أنه في زمن لا يتجاوز عشرين عاما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أسسها قويا للدولة الإسلامية من الأمة العربية ، التي كانت متفرقة شيما وأحزابا ؛ فوحد أئخاذها وجمع شمل قبائلها تحت راية القرآن الخفانة ، حتى كانت منهم أمة حملت علم الثقافة وضربت في الأرض تؤدى الأمانة ، وتبلغ العالم أجمع رسالة الرسول الأعظم خاتم النبيين ، ففتح الله عليها من ذلك والأقطار في قليل من الزمن ما على مثله تحطمت سيوف الأكلسة والقيصرة ، ولا تنس هنا أن تذكر السر في هذا النصر المبين ، وتوازن بين معاملة المسلمين للأمم المملوكة على أمرها من الرفق والرحمة والحرية التامة ، وبين ما تلحق به التاريخ وجه المسيحية القاسية أيام (دواوين التفتيش) وفضائلها التي تقشر منها الجلود ، وأيام الحروب الصليبية من القسوة المرة والفضاعة الوحشية ؛ وهذا مما يعترف به المنصفون من دلائهم ومؤرخيهم . قال الكونت « هنرى دى كستري » في كتابه (الاسلام - سوانح وخواطر) : (إن أتباع محمد « صلى الله عليه وسلم » هم وحدهم الذين استغنوا الجمع بين الرفق في معاملة منلوبيهم والرغبة في انتشار دينهم ، وهذه الرغبة هي التي دفعت العرب الى الفتوحات العظيمة فنشر القرآن رايته خلف جيوشه المظفرة ولم يختلفوا في طريقهم أثر الجور) . وقال فيلسوف فرنسة « غوستاف لوبون » (من ينظر الى أخبار معاملة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) لأهل بيت المقدس

يعلم علم اليقين أن العرب كانوا يبالغون في حسن معاملة مغلوبهم، وهذا يبين تمام المباينة معاملة الصليبيين للمسلمين في بيت المقدس أيام الحروب الصليبية)

وقد تجلت في هذا العصر العبقريّة الحرّية : وهي ضرب من ضروب الثقافة عند الأمم الحية ، فأنجبت جيوش المسلمين - وهي مدارسهم العسكرية - أبطالاً وشهائداً وبطلين ، وحسبك في الحديث عنهم نثر الاسلام وسيف الله أوسليمان خالد بن الوليد ، وبطل القادسية سعد بن أبي وقاص ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد ، وفتح مصر عمرو بن العاصي وغيرهم من أجيال الصحابة رضي الله عنهم . وقد قارن هذه النهضة العربيّة نهضة أدبيّة - والأدب مقياس حضارة الأمم وميزان رفيع - فنبغ من المسلمين الخطباء المصاقع والشعراء المبدعون والكتّاب المجيدون ، وكان هذا العصر اللغة العربيّة ميدان فضاءها ومظهر أسرارها وثوب جذنها ، وهذه نهضة أحدثها القرآن العظيم ؛ لأن العرب لم يأتهم الله من الفضائل على كثرتها فيهم أفضل من فصاحة اللسانية ولقوة الخطابة ، فكان أسوأ شيء اعتزوا به وناسقوا للمعاصرة في حليته ، إنما هو الحياة الأقوية ، ولما فاخترة فيها والتذّن في أساليبها أقاموا مدارس عكاظ وذى الحجاز ، وسواها ، فاجتمع لهم قرآن الكريم بأسلوبه الفخم ولقظه الجدل وإيجاز تراكيبه حتى شعروا أنهم أمام كتاب لا عهد لهم بأسلوبه ولا طاقة لهم ببلاغته على عظم ما وصلوا اليه في هذا المصير ، وأدركوا أن القرآن أنى بلاغة تسمعوا على متناول ألسنتهم فقتلوا بالافتقار منه ، وفطنوا الى موضع العبرة فيه ولاستفادة من علو اندحامه وفصاحة نظمه ، والاعتراف من مهله العذب ومعيبه الذي لا ينضب ؛ فأنجبت اللغة العربيّة اتجاهها جديداً ودحات في دور التأليف والتدوين ووضعت في قواعد علومها الكتب والدواوين ، وتذاكر الناس النحو والصرف وعلوم البلاغة والأدب ، فأينما توجهت وفي أي بلد إسلامي حللت شعرت أنك في جامعة أدبية عظيمة زاهرة .

وظهر في فجر هذه المرحلة نوع من الثقافة الاجتماعية لم يشهد التاريخ مثله لأمة من الأمم، ندبى به ذلك النظام الذي ابتدعه الإسلام ورمى من ورائه إلى بث روح المساواة والوحدة العالمية التي جاء بها القرآن الحكيم، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)؛ وغرسها النبي صلى الله عليه وسلم في نفوس الأمة حتى كانت الوصية بها في آخر موافقه العامة في خطبة الوداع، حيث يقول: (أيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى)؛ وكانت أولى خطوات الصديق رضي الله عنه في أول خطبة خطب بها المسلمين بعد ارتقائه أريكة الخلافة إذ يقول: (أيها الناس إني وليت أمركم ولست بخيركم)؛ وكان مظهراً أسمى لها حياة الفاروق ثاني الخلفاء وأول الأمراء عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي نفخ في الأمة الإسلامية أفراداً وجماعات روح الاعتداد بالنفس، بقوله في إحدى خطبه وهو أمير المؤمنين: (من رأى منكم في أعوجاجاً فليقومه)، فقام إليه رجل وقال: (والله لو رأينا فيك أعوجاجاً لقومناه بسيوفنا) فحمد الله الفاروق على أن جعل في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من يقوم أعوجاج أميرها لو رآه؛ وهل ذكر التاريخ في جميع عصوره أن المرأه أوتيت قسطاً من العلم والحرية تقف بهما في وجه الخليفة تحتاجه وهو يخطب في تحفيف مهور النساء، حتى يقول على مرأى ومسمع من عامة المسلمين (أخطأ رجل وأصاب امرأة) ٢٢ لحر خلق إن هذا ضرب من اتربية النفسية - لم يقصص التاريخ أن أمة تعاطته في حياتها - تشأم عليه القرآن العظيم تشنة سادوا بها الأرض وقادوا الممالك؛ ولم يحدثنا التاريخ من مبدأ الخليفة إلى عصرنا هذا الذي يقتدق فيه المتفقون لقشور الغرب بما سموه (الديموقراطية) أن سيداً مطلقاً وأميراً معظماً وخليفة إذا قال فعل، ملك شرق الأرض وغربها ييوشه المظفرة كسيدنا عمر بن الخطاب يخطب رعيته بهذا القول الذي يبعث فيها حياة العزة والكرامة، ويحمل الكل فرد منها مهما صغر مقامه حق للملاحظة على الخليفة وحق نقد أعماله وتصرفاته. هذا هو

الكمال الاجتماعي الذي يجب أن تربي به الأم التي تريد بحق أن تقبوا مكانتها تحت السماء . ومن مفاخر الإسلام في عصره الأول هذه التربية الفاضلة التي تربت عليها المرأة المسلمة فكانت المثل لأعلى في الكمال النسائي ، يمجدها لزواج شريكة في الحياة صالحة ، ويحمد فيها لأولاداً مأمراً ، تغذيهم بالعلم وتنشئهم بالأدب ، يحيط بها سرادق العفاف ويزينها الحياء . يطافت التاريخ بالحالة السوء التي كانت عليها المرأة قبل الإسلام في جميع الأمم ؛ فلما جاء الإسلام أفصح للمرأة مكانتها في الحياة وفتح لها باب العلم على مصراعيه ، وأشركها مع الرجل في خطاب التكليف بما يتفق مع تركيبها الجثتي ، بل صرح القرآن الكريم بأنها هي والرجل مساوية في الحقوق ولواجبات فقال : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَاقِبَتُنَّ بِدَرَجَةٍ) ، وهذه الدرجة هي درجة القوامة بالانفاق والحماية المذكورة في آية أخرى : (لِّلرِّجَالِ قُوَّةٌ مِّثْلُ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا نَفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) وهذا إرداق بها ورحمة ؛ وقد فهم المسلمون تقدير القرآن لقام المرأة فكانوا ياملونها بمنتهى الرقة والعطف ما دامت حافظة للغيب بما حفظ الله قائمة على حدود الدين والتفضيلة ؛ حتى أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول : (إني أحب أن أزين لامرأتي كما أحب أن تزين لي) ، فهل رأيت إخلاصاً للمرأة واحتراماً لها مثل هذا الصنيع ؟

شعرت المرأة المسلمة بوجودها في الحياة وفمرت إنسانيتها ، وشاركت الرجل في العلوم والآداب ، حتى نبغ من النساء المسلمات كثيرات كن مرجعاً للعلماء والأدباء . أما أم المؤمنين (الخميرة) السيدة عائشة رضي الله عنها فهذه واحدة الدنيا علماً وفصلاً ، فمما أشكل على المسلمين شيء من القرآن والحديث وأدب العرب وسير الماضين إلا وجدوا عندها به علماً . وأما ذات النعتاين السيدة أسماء أختها فقامت النساء على مثلها بقيتاً وحزماً وصرامة في الحق ، فهل سمعت عن امرأة يدخل عليها ولدها وفره عينها ليتعرف

صبرها على فقدته إذ يقول لها : (يا أمه خذني الياس حتى أهلى وولدى ولم يبق معي إلا من لا دفع عنده إلا صبر ساعة من النهار ، وقد أعطاني القوم ما أردت من الدنيا فإرا بك ؟) ، فتقول له أخرج الى القتال إن كنت تعتقد أنك على الحق ، والله لضربة بسيف في عز أحب إلي من ضربة بسوط في ذل ؛ فيقول لها : أخشى أن يثتلوا بي بعد قتلى ، فتقول له : يا بني إن الشاة المذبوحة لا يؤاها السائح ؟؟ . تلك هي أسماء بنت أبي بكر الصديق وابنها عبد الله بن الزبير ، وهل سمعت بامرأة ينمى إليها أولادها خرجوا ليجاهدوا في سبيل الله فتقول : الحمد لله الذي شرفني بشهادتهم في سبيل الله ؟؟ تلك هي الخنساء شاعرة العرب وأديبة المسلمات ، هذه مثل من نفوس ربها الاسلام ، فهل علم المجتهدون أنهم عن الصراط السوي نا كيون ؟؟ .

وأجل ما لهذه المرحلة من المحامد أن الثقافة الإسلامية فيها كانت كذلك فحسب ، وبعبارة أدق أنها كانت إسلامية المنشأ عربية التفكير والتربية ، فلم يكن للمسلمين عهدئذ مورد يستقون منه ثقافتهم غير القرآن الحكيم وما علمهم النبي صلى الله عليه وسلم من الحكمة ، ولم يكن قادة الفكر بومئذ غير العرب أو المستعربين الذين درجوا في أحضان تعاليم الاسلام ولم يرتضعوا لسواه ثديا ولم يأخذوا عن غيره أدبا ، فهو أصدق العصور للتعبير عن الثقافة الإسلامية ، وهو الدليل الداهض على أن للاسلام ثقافة مبتكرة مستقلة تستمد نورها من وحي القرآن الكريم والسنة المأهولة ، دون أن يكون لأمة من أمم الأرض على المسلمين يد فيها ، إذ لم يكن قد فتح على المسلمين باب النقل والترجمة عن علوم الفارسيين ؛ فكان للمسلمين فقه إسلامي أوسع ما عرف في علوم التشريع والاجتهاد ، وأصح نظراً وأصدق عرجاً ، وهما هي مؤلفاتهم شاهداناطق على صفاء أذهنهم واستنارة أفكارهم ؛ فهل قرأت في « مدونة » مالك بن أنس رضي الله عنه ، وعرفت كيف كان نظر أئمة المسلمين في المسائل ونحريج أحكامها بما ينبغي على مصلحة المجتمع ونظام الحياة ؟؟ وهل نظرت في كتاب « الخراج » لأبي يوسف صاحب أبي حنيفة رحمه الله ، وعلمت الى أي حد وصل المسلمون الألوان من سعة العلم

وقوة الادراك؟؟ وهل اطلعت على كتب « لأم » للشافعي رحمة الله عليه، فتعلمن الى لايمان بمظمة علماء الاسلام، ويظهر لك سحف ما يزعمه خصوم الاسلام من أن الفقه الاسلامي أخذ شيئاً من مبادئ الفقه الروماني. لنضع فقهاء الشام والعراق ومصر، وننظر الى فقهاء الحجاز في القرنين الأولين، فمن أى طريق وصل الفقه الروماني الى المدينة المنورة فأخذ عنه الامام مالك وأصحابه هذا التشريع البديع؟ ومن أى السبل انتهى هذا الفقه الى فقهاء مكة المكرمة فاستفادوا منه كما يزعم الزاعمون؟؟ اللهم إن هذه فرية ما فيها مغبة، وأقول بل يذيعها لذين نفسو على الاسلام فضائله ومزاياه.

صالح ابراهيم عربونه

« يتبع »

التاريخ الهجري

ترد إدارة المجلة رسائل يقتصر فيها أصحابها على التاريخ الاقربجي، وكان حقاً على المسلمين ولا سيما أهل العلم أن يحافظوا على التاريخ الهجري الذي هو شعار ما يكتبه المسلمون منذ عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا ندرى ما هو الداعي الى تقليد لأم الغربية فيما يؤرخون به رسائلهم ووقائعهم، وفي التاريخ الهجري تدكار مبدأ عظمتنا وظهور دين الله على الدين كله، وإذا قضى الحال ذكر التاريخ الاقربجي في رسالة أو تدوين واقعة، فلا مقتضى للاقتصار عليه وطرح التاريخ الهجري في حال، وإذا كان غيرنا من الأمم يتمسكون بما اعتادوه في التاريخ، فلماذا لا تتمسك بما اعتاد أسلافنا من التاريخ الهجري حتى في مراسلة الأجانب أو الشركات الأجنبية؛ ومن بواعث الأسف أن يجري في مجالسنا الحديث عن بعض الوقائع فلا نسمع عند التعرض لتاريخها إلا الشهر أو السنة الاقربجية، فالاحتفاظ بكرامتنا والاعتزاز بما يشير اليه مبدأ تاريخنا ينصحان لنا بأن نستعمل في مراسلاتنا وتدوين وقائعنا التاريخ الهجري، وبذلك نبعده التاريخ الاقربجي أو غيره حيث تدعوا اليه الحاجة. وقد كتب بعض الأفاضل الى المجلة رسالة في التنبيه على ذلك فنشكره على غيرته.

العلوم والآداب

النجوم

وأثره في التربية الوطنية^(١)

كانت حكومات الأمم القديمة تعتبر المدارس العالية كمعاهد لاعداد موظفين مأجورين، أو لهيئة جنود أقوياء لأغراض الدولة المالية أو الحربية؛ ولو أن هذا النرض من المدارس لم يكن هو الوحيد لئذ ترمى اليه التربية والتعليم على وجه العموم، إلا أنه كان حين ذلك أهم أغراض المدرس والمعاهد، وقد يرجع السبب في ذلك الى الاعتقاد السائد بأن خدمة الوطن محصورة في الانضمام الى الجيش أو العمل في المصالح الحكومية العامة.

وقد تكون الأحوال الماضية في تلك العصور هي وحدها للسبب عن انتشار مثل هذا الرأي، وأما الآن — وقد حطمت مناطق النفوذ الواسعة التي كانت تخضع على الموظفين المركز الرفيع والسلفان الكبير وأصبحت هيئة الحكومة عبارة عن آلة إدارية لتحقيق رغبات الشعب وتنفيذ مطالبه الحيوية والعمرائية — فإن الفرد أصبح يتأله من حقوق وعليه من واجبات عضوا مستقلا هاما في حياة المجتمع، وله أثر ظاهر في منفعة أو مضرة، بصرف النظر عن نوع وظيفته أو مرتبته في الحياة العامة، ولا يقيد في ذلك سوى مؤهلاته الشخصية ومعلوماته وتربيته الصالحة ومتانة أخلاقه وكما لها. فالحياة العامة تتطلب اليوم أكثر من ذي قبل أن يكون كل فرد ملما بالعلوم، واسع الاطلاع، متمشيا مع مطالب الزمان والمكان لرفعة شأن وطنه ومواطنيه، وأن يرى النشء على ما فيه نفع المجتمع، وقد يكون ذلك من الأهمية بكان عظيم في الوقت الحاضر المعصيب الذي فيه فصل الخطاب.

(١) نقل عن مقال للاستاد «جرارد جيب» من مجلة «Woche» الألمانية.

فيجب على القائمين بالتربية المالية الحديثة أن يهتموا قبل كل شيء بالإنابة: طالب الزمن الحاضر الضرورية حتى تثمر ثمراً صالحاً يرجى خيره .

وهنا قد يتساءل البعض عما إذا كان قد أتبع للتربية ذلك حتى الآن بواسطة الأسلوب أو المناهج الموضوعية، وعما إذا كان يمكن تحصيل ما هو أكثر من ذلك خيراً وأعم نقماً، وعن أحسن الطرق المؤدية لمثل هذه النتائج ؟ .

فلو أننا اكتفينا بمجرد تلقين المعلومات العامة وتاريخ الأمم وتقوم البلدان أو النظم القومية ، لكانت المناهج الموضوعية للتعليم ولأساليب المتبعة في التربية كفيلة بتحقيق الأغراض .

ولكن النرض الحقيقى من التربية والتعليم لا يقف عند حد تلقين العلوم أو سرد الحوادث التاريخية أو بيان أصول النظم القومية أو حفظ موادها ، وإنما هناك ما هو أكثر من ذلك فائدة وأجل قدراً ، وهو أن يشترك الناشئ فعلاً بواسطة حواسه ووجدانه في البحث والتعرف على جواهر الأشياء الداعية لكل ما يذكر له من علوم وفنون ، فإن مواد المستور ولا أنظمة القومية لا توصلنا إلى إدراك القوى المستأصلة في المشاعر الشعبية التي تقوم عليها الحياة الوطنية ، ولا يمكن إدراك هذه المشاعر بالتعليم أو التلقين وإنما بالتجربة والمدرسة ؛ فإنه لا بد للإنسان أن يحسك بأخيه ويكثر من مخالطته ويغليل من معاشرته حتى يتصل بطرق تفكيره ويفهم ميوله وأغراضه ويشاركه في مشاعره ونواحي حياته ، وعلى هذا الأساس يجب أن يشيد بناء التربية الوطنية ، فإن الوصول إليها يكون عن طريق التجربة والمدرسة أجمع مما لو توصلنا إليها بطريق التلقين والتعليم حسب .

وقد يكون تأسيس الجمعيات المختلفة الأغراض بين الناشئين من نواحي البلاد المتعددة ممهداً لسبيل التعميم الوطنى والتعاون القومى ، إلا أن ذلك ليس كافياً للوصول

الى الغرض الجوهري من التربية الوطنية، إذ ينقصه زيارة واحة البلاد المختلفة والتجول في ربوعها وبين أهلها والتعرف على طرق معاشهم، حتى تتم تربية الروح الوطنية والتي بدونها لا تقوم حياة قومية مشتركة يتعاون فيها الجميع لصالح المجتمع على حد سواء .

إن التربية لوطنية حديثة ترمي الى إرسال الناشئين الى الأصقاع المختلفة والنواحي النائية من الأوطان، حتى تنمو فيهم روح التفاهم على الحياة التعاونية الاجتماعية .

وللاصول الى هذه الغاية ينصح العلماء والناشئون بأمر التربية الوطنية الحديثة، أن يوضع نظام خاص لتبادل الناشئين بين العائلات يراعى فيه مركز العائلة الاجتماعي وأعمار الطلبة ثم واجباتهم المدرسية، حتى لا تختل بذلك طرق معيشتهم أو حياتهم الأدبية وواجباتهم المدرسية على قدر الامكان، وذلك لمدد تختلف بحسب الحاجة الملحة الى ذلك، إما أثناء الدراسة بأن يلحقوا بالمدارس الأخرى، وإما أن يكتبني بذلك أثناء المطالعات المدرسية .

وعلى هذا انوال فقط تنفع دائرة التربية الوطنية لدراسة الأنظمة القومية الحقيقية، ولادراك القوى المسيرة للشعور الوطني والتي عليها نبني حياة الشعوب .

وإن ثل هذا التبادل الواسع النطاق بين آلاف العائلات من جميع أنحاء البلاد النائية أكبر أثر في تربية وثقافة الناشئين على أساس متين يضمن غرس الروح القومية بين رجال المستقبل، كما يكفل سهولة التفاهم وتوحيد الفكر ومشاركة الشعور بين أهالي الأصقاع المتباعدة على بعد شقتهما واختلاف حياتها الاجتماعية والأدبية، ويكون أكبر عون للاتحاد والائتلاف القومي .

كما أنه يجب مراعاة أن يكون تبادل الناشئين بين الأصقاع التي تختلف في الحياة من لوجهة الاقتصادية حتى يتم لهم إدراك حاجات ورغبات أهالي هذه النواحي، وليتبين

لهم طرق معيشتهم المختلفة ، فإن الزمن الحاضر بما جلبه من مستحدثات ومبتكرات ، وما حثته من اختلاف وتباين في طرق المعيشة جعل اليون شاسعا بين حياة البلاد الزراعية والبلاد الصناعية ، وبين المراكز التجارية والمالية الى غير ذلك من أوجه المعيشة الاقتصادية .

ينبغي أن يتاح للطالب في بدء نشأته فرصة التأمل والدراسة العلمية بل الإقامة في جميع هذه الجهات المختلفة من وطنه ، حتى يتمكن من إدراك أغراضها والامام بشؤونها ذاتها التي اليه رمام قيادتها وهو رجل ، ولا يتم له إدراك ذلك إلا بطريق التجربة والممارسة دون الحفظ والتلقين بين جدران قاعات المكاتب والمدارس

وليس بالأمر العسير أن يترك الطالب في وقت ما من أوقات دراسته لتتعمق في جهة من وطنه تختلف حياتها وطرق معيشتها عن البلاد الذي نشأ وتربى فيه ، ليعرف جزء من حياته في احترام الأعمال البدنية التي يشتغل بها كثير من مواطنيه ثم ليدرس تاريخ هذه الحرف والصناعات في مواطنها حتى يدرك مستلزمات الحياة فيها ، وبذلك يكون ملما بملمه واسع الاطلاع ، فينشأ وهو قادر على التمشي مع روح الزمان والمكان لرفعة شأن وطنه ومواطنيه .

فإذا لم يتفق تنفيذ هذا النظام مع مناهج التدريس المقررة بمعنى أنه لا يمكن الوصول الى الغرض المسمى البحث مع مثل هذا الانقطاع الطويل عن الدراسة ، فيمكن ذلك نوعا من التضحية الواجبة لادراك ثقافة حقيقية راسخة الأساس واسعة المعارف ثابتة التجربة ، هذا الى أنه يمكن تخفيف وطأة هذه التضحية حتى تكاد تصبح معدومة الأثر يمانب المنافع الأكيدة المنتظرة ، وذلك بتقسيم وتوزيع العمل والزمن بطريقة حكيمة عادلة تضمن الانتفاع الكلي بمدى الدراسة والمعالجة

وعلى كل حال يمكننا الجزم بأن في ذلك أكبر عامل لتقوية الارادة وتربية النفس تربية استقلالية قوية .

نور الاسلام

عرف المسلمون الألوان منافع هذا النوع من التربية الفاضلة وأدركوا ما للتجول في الممالك والأقطار والطواف في البلاد المختلفة من فوائد أدبية واجتماعية وسياسية عظيمة الأثر في تكوين حياة الشعوب والأمم فأخذوا منه بأكبر نصيب ، وكان دأبهم في فتوحاتهم درس أحوال الأمم العلمية وتعرف نظمهم الاجتماعية وتقدير ما عندهم من أدب وأخلاق وعادات ، وعلى أساس هذا البحث كانت تقوم علاقات المسلمين مع بقية الأمم ؛ وللطالع على سائر علماء الاسلام ، يعلم أثر هذه التربية في نفوسهم ، وتعاليم الاسلام ترشد الى السير في الأرض لتعلم والاعتبار ، وكثير من علماء المسلمين قد جابوا الأرض للعلم ودرسوا أخبار الأمم فأخذ غريهم عن شرفهم وقاصيهم عن دانيهم وتعرفوا أحوال الناس ووطؤا لهم علما يستقيم مع تطور حياتهم ، وكانت الحكومات الاسلامية حريصة على معاونة طلاب العلم والعلماء في رحلاتهم لعلها بالأثر الطيب الذي يكون لهذه الرحلات المباركة . ومن فوائد التجول العظيمة التعارف بين الأمم لتشر راية السلام يرشد الى ذلك قول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) .

فإن رأينا اليوم فريقا من علماء الغرب يترحون على أهمهم الأخذ بأسباب هذه التربية ، ورأينا المسلمين قد ضمفت همة القادرين منهم عن التجول ولأسفار فانقطعت الصلة بين شعوبهم ، فذلك أثر من آثار يقظة الغرب وبقية من سنة أخذت المسلمين فأنسهم تاريخ أسلافهم الأجداد ، فهل يتنبه المسلمون ويمودون سيرتهم الأولى آخذين بأسباب النهوض والتقدم ؟ وهل للحكومات الاسلامية أن تعمل على بث هذه التربية في نفوس الناشئة ، لتتسع دائرة ثقافتهم ويكونون تكوينا صالحا لتحميلهم عبيء قيادة الأمة في المستقبل ؟ . نسأل الله الهداية والتوفيق

مبادئ عامة^(١)

في الاقتصاد السيلسي

الحياة الاقتصادية — (٢) أغراض النشاط الاقتصادي

٣

التقسيم : إن الأغراض التي تحدد أعمال الناس الاقتصادية يمكن أن تنقسم إلى نوعين : الأغراض الذاتية ، والأغراض غير الذاتية .

فإن الأغراض الذاتية هي غريزة المحافظة على الجنس والرغبة في الحصول على منفعة اقتصادية شخصية ، وميل المرء إلى إرضاء كبريائه وحبه للظهور (ولم يفت الحكومات هذا الغرض فوضعت مبدء الوسامات الفخرية وأوشعة الشرف) ، والحاجة إلى تنمية النشاط الجثماني والقوة المفكرة .

وأما الأغراض غير الذاتية فيمكننا أن نذكر منها :

أولاً — الأغراض المجردة من الأثرة وهي التي تدفعنا إلى القيام بقسط من أعمالنا في سبيل سعادة وهناء بني جنسنا ، مثل عاطفة المحبة التي نشعر بها نحو الأهل وذوي القربى ، وعاطفتي الاحسان وحب الخير للناس .

ثانياً — الأغراض التي تأتي من الناحية الخلقية أو الدينية أو العلمية ، وهي التي تدوقنا إلى العمل طبقاً لمبادئ علم الأخلاق ، أو وفقاً لمعتقداتنا الدينية ، أو حسب ما تعلمه علينا الرغبة في السعي لتقدم العلوم أو الفنون ، دون أن تكون هذه الرغبة مشوبة بفكرة الحصول على ربح مادي أو منفعة شخصية .

مبدأ السعادة الشخصية : إن أقوى غرض ذاتي بعد غريزة المحافظة على الجنس

(١) مترجمة عن الفرنسية من كتاب « موجز في الاقتصاد السياسي » للاستاد (ريوبود — REBOUD) .

هو الحصول على منفعة اقتصادية شخصية ، «الاقتصاديون من أصحاب المذهب العلمى عزوا لهذا الفرض أكبر تأثير على نشاط الناس الاقتصادى، إذ زاعم — لكى يسهلوا المسائل التى يدرسونها — قد بنوا نظرياتهم وأحكامهم على فرض أن لذلك الفرض وهو غرض الحصول على منفعة اقتصادية قوة مهيمنة وسيطانا قاهرا ، فتخيلو لذلك وجود إنسان وهمى وأطلقوا عليه اسم «الإنسان الاقتصادى» الذى عرف تماما مصلحته الشخصية ، فجعلها الفرض الذى لا أعماله دون الاهتمام بالأغراض المجردة من الأثرة والخالية من المنفعة الذاتية مراعىا فى ذلك مبدأ «الحصول على أعظم رضىة مع بذل أقل مجهود» ، ويطلق أحيانا على هذا المبدأ اسم «مبدأ اللذات» ؛ ولكن أصحاب المذاهب الحديثة وإن كانوا قد جعلوا «الإنسان الاقتصادى» غرضا لدرسهم وبحسبهم ، فذلك لا لأنهم ينكرون الأغراض الخالية من الأثرة والمجردة من المنفعة الذاتية ، وإنما يحيل اليهم أنه من المستحيل أن يحدوا فيها أية أهمية عند البحث فى القوانين الاقتصادية .

وفضلا عن ذلك لا بد لنا من الاعتراف بأن المنفعة الذاتية هى المسيطرة على العالم فى زماننا هذا ، ومن هذه الوجهة نرى أن معظم الناس لا يفكرون إلا فى تنمية ثروتهم المادية ، ولا يسمعون إلا الى الحصول على ما يزيد فى راحتهم الشخصية ، حتى أن بعضهم يبذلون جهودهم لبلوغ هذا الفرض بوسائل يابأها الشرف ولا يقرها القانون .

أما أصحاب مذهب الشيوعية أو مذهب الاشتراكية المتعارفة ، فيرون أنه من السهل جدا تغيير طبيعة الإنسان وإنشاء هيئة اجتماعية مكونة من أساس يقدمون المصلحة العامة على مصالحهم الشخصية^(١) .

لكن تعلم الناس الانقياد بياعت المصلحة العامة وتدريبهم على الخضوع للأغراض المجردة عن الأثرة وحب المنفعة الذاتية ؛ إن ذلك العمل لعمل طويل وشاق لأن

(١) ذلك هو ادعاء أصحاب هذا المذهب «للتفريم» .

ما يبعثه أى مبدأ مادى فى نفوس الناس من فكرة التضحية والقيام بالواجب والتضامن الذى يتعلبه نظام اقتصادى كالنظام الاشتراكى ، لأقل بكثير مما تبعثه فى نفوسهم دعوة دينية . هذا أمر واقع قد دللنا عليه لتعارب وبقراءه بدون تحيز كل من تخصص فى دراسة المسائل الاجتماعية وبدون الحاجة الى تقديم أى برهان جديد .

علم الاقتصاد - الصلات التى بين الظواهر الاقتصادية

صلة السببية : يعيل عقل الانسان الى البحث عن أسباب الظواهر ؛ كبعته عن سبب قيمة الأشياء وعن أسباب زيادة ثمن الحاجات المعيشية ، وعن أسباب الأمراض وغيرها ؛ ويشعر المرء بنوع من رضاء النفس وراحة الضمير عند ما يتوفق - اذا كان هذا ممكنا - الى معرفة الصلة التى تربط ظاهرتين تكون إحداهما سببا للأخرى ، والثانية نتيجة للأولى ؛ ولكن لا يجب أن يفوتنا أن الصلة بين سبب والنتيجة هى الصلة الوحيدة للممكنة بين ظاهرتين مرتبطتين لاسيما بين الظواهر الاقتصادية .

توقف الأسباب على النتائج والمكس : إن ارتباط ظاهرتين بصلة السببية يجعل إحداهما متوقعة على الأخرى ، أى أن كتما الظاهرتين (السبب والنتيجة) معلقة على وجود الأخرى ؛ معنى أنها فى حالة خضوع متبادل من جانب كل منهما للأخرى ، بحيث أنه يصبح من غير الممكن أن يعرف أيتهما هى السبب وأيتهما هى النتيجة ؛ إذ أن تأثير الأسباب على النتائج وتأثير النتائج على الأسباب متبادل وبأسية واحدة ، ويقتل ذلك بنصق قوس قزعة ، فإن كلا النصفين يمنع الآخر من الانهيار ، أو كما هو الحال مع كوكبين يجذب كل منهما الآخر نحوه .

ولتأت على مثل بسيط من المسائل الاقتصادية : إن ارتفاع أو هبوط ثمن الأشياء متوقف على كمية البضائع التى يرغب القادرون على شربها فى الحصول عليها ، أى أن الثمن

معلق على الطلب ، فالتمن قابل للزيادة أو النقصان عند ما ينقص الطلب أو يزيد بنسبة عكسية ، أى أنه إذا ارتفع الثمن قل الطلب وإذا هبط الثمن ازداد الطلب ؛ فمثلا إذا كان ثمن رطل الشهد درهم أقبل كل الناس على شرائه ، وإذا بلغ ثمن حزمة من الفجل دينارا لما اشترى الفجل غير كبار الموسرين ، وإن هاتين الظاهرتين المتغيرتين — ثمن البضاعة والكمية المطلوبة منها — متوقفة إحداهما على الأخرى وتغير كل منهما بتغير الثانية ، (وهما يتغيران كذلك بتغير كثير من الظواهر الأخرى) وإن الصلة بينهما كالصلة التي بين معادلتين من معادلات الجبر .

وإن هذه الفكرة فكرة تعلق ثمن الأشياء على الكمية المطلوبة منها لذات أهمية كبرى لاسيما عند البحث في تفسير التغيرات التي تحدث في ثمن البيع و ثمن ما نكفنه البضائع على الصانع وأجرة العامل ومقدار الربح ونسبة الفائدة والدخل ، كل هذه ظواهر متوقفة بعضها على بعض .

الأسس التي يبنى عليها تفسير الظواهر . لكي نصل إلى تفسير الظواهر الاقتصادية تفسيراً منطقياً بحيث نتاح لنا ألا نقع في أخطاء فادحة عند تكييفنا الأشياء وإدراك كمها إذا أردنا ذلك لا بد لنا — كما هو الحال عند تفسير الظواهر غير الاقتصادية — من أن نضع موضع النظر القواعد التالية :

(١) عند ما تكون الظاهرة «أ» (غلاء المعيشة مثلا) نتيجة لعدة أسباب «ب» و«ج» و«د» (مثل : غلاء المعيشة ، وقلة المحصول عن الحاجة ، وارتفاع أجور المساكن والعمال ، وإصدار أوراق مالية أكثر من الحاجة إليها) يجب علينا لكي نعلق الظاهرة «أ» على أحد الأسباب المذكورة ونجعلها نتيجة له وحده ، أن نتأكد تمام التأكد من أنه ليس للأسباب الأخرى أى تأثير عليها ، وأنه لا بد لنا قبل البت في ذلك من استعراض جميع الأسباب التي يمكن أن تنتج الظاهرة المذكورة .

(٢) عند ما تقع عدة ظواهر «ا» و «ب» و «ج» في وقت واحد أو على التتابع، (مثل قلة المحصول - وهبوط ثمن البيع وغيرها) لا يجب أن تتسرع في الحكم بأن إحدى تلك الظواهر نتيجة لواحدة منها أو لبقيةها إذ من الممكن أن يكون بينها ارتباط متبادل دون أن يكون بينها الصلة التي تربط السبب بالنتيجة . «يقع»

كتاب الدين الاسلامي

مؤلف نفيس اشترك في وضعه ثلاثة من الأفاضل حسبهم من التنويه بقدرهم ما لهم من المكانة الرفيعة بين الطبقة المثقفة الفاضلة : وم الأستاذ الأجل الشيخ حسن منصور وكيل دار العلوم العليا سابقا ، والشيخ مصطفى عناني المفتش الأول للعلوم العربية بالأزهر والمعاهد الدينية ، والشيخ عبد الوهاب خير الدين المدرس بمدرسة دار العلوم . وموضوع الكتاب ، أبحاث في الدين على منهج وزارة المعارف ، وهو في جزأين : الأول يشتمل على بيان حقيقة الدين الاسلامي وخصائصه ومزاياه ، وأثره في تهذيب النفوس وفي حياة الفرد والمجموع ، وعلى كيفية نزول القرآن الكريم وتدوينه ، ونبذة من تاريخ المصاحف وطرق كتابتها ، وبيان ما اشتمل عليه القرآن الحكيم من الأحوال الشخصية والشئون العمرانية ... الخ . والجزء الثاني يحتوي مباحث في الرسالة والرسول والمعجزات ، وبمئة سيدها محمد صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وسيرته وسنته ومزلتها من الدين ، والاجتهاد وأطواره وأشهر المذاهب والفرق الاسلامية والشورى والحرية ، والمساواة في الاسلام ، وتنبيهها على بعض البدع الشائعة بين الناس ... الخ . وفي كل جزء كثير من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية مفسرة ومشروحة شرحا موجزا لطيفا ، وهالك نموذجاً لأبحاث الكتاب وأسلوبه .

سبحنا محمد صلى الله عليه وسلم

«يتبين لك من موجز سيرة هذا النبي الكريم ، أن مدة رسالته ثلاثة وعشرون سنة

قضى منها ثلث عشر سنة يدعوا قريشا إلى الإيمان فلا يستجيب له إلا قليل منهم مع نفر من غيرهم، وتحتل في ذلك من صنوف لا يذاه وضروب الاضطهاد ما لا يطاق احتمله إلا بتثبوت من الله تعالى وقضى بالمدينة عشر سنين وهو الزمن الذي قويت فيه الدعوة وانتشر الاسلام بين قبائل العرب ودخل الناس في دين الله أفواجا حتى عم الجزيرة وتحولت فيه تلك الأمة الأمية الجاهلة الوثنية المتنافرة المتخاذلة، أمة متعلمة موحدة متآلفة متناصرة .

« إصلاح عجيب مدهش في سرعته ، مدهش في إحكامه ، إصلاح يمثل سعادة الروح ومطالب الجسد على حد التوسط والاعتدال . »

« لم يهد التاريخ انقلابا سريعا تاما شاملا في الاعتقادات والأخلاق والعبادات وشئون الاجتماع كهذا الانقلاب في أي أمة على يد أي مصلح أو رسول من الرسل قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولن يكون بعده . »

الحرية في المصوم

« الحرية خلوص الإنسان من ضيق الجبر وحرمة بكل حق إنساني سوغه العقل ، وقضى به الشرع ، وهي حق طبعي للناس إذا حرموه فقد سلبوا إرادتهم وفقدوا إنسانيتهم ، لهذا قررهما الاسلام ورفع من شأنها ومنع من العبث بها وجعل الإنسان حر النفس ، حر العقل . »

وعلى هذا النحو نجد موضوعات الكتاب القيمة مصوغة في عبارات سهلة ممتعة فتحت القراء على اتقناة والاستفادة بما حواه من المباحث الدينية والعلمية .

تبيير . وقع خطأ مطبعي في العدد الثامن من ٥٩٨ س ٦ حيث جاءت الآية الكريمة (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ) والصواب (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَمِيقٌ دَرَجَةٌ) .



مَدِينَةُ كَرَسَاتُكَ لَوْرُوكَاكَ مَعِي يَهْدِي بِهَ أَفْهَ مَرَايَاحَ رُصُونِهِ رُسُلُ السَّلَامِ
وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى الْهُدَى وَيُؤْتِيهِمْ رِزْقَهُمْ مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ

بَيْتُ الْأَسَاسِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكيمية

تصديدها ميسخدا الأزهري الشريف

تظهر غمرة كل شهر عربي

العدد ١٠	شوال سنة ١٣٤٩	المجلد الاول
----------	---------------	--------------

رئيس التحرير

السيد

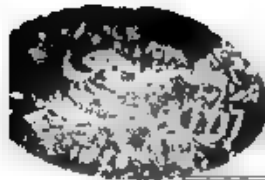
محمد الخضر حنين

من عملاء الأزهري

مدير إدارة المجلة

الشيخ محمد بن

المستشار بمحكمة الاستئناف
وس أعضاء مجلس الأزهري الأعلى



الاشتراك

٤٠	داحل القطر المصري
٢٠	للمهات غير المدرسين وطلة المعاهد والمدارس
٥٠	خارج القطر المصري
٣٠	لطلبة المعاهد والمدارس

الإدارة

شارع محمد مظلوم باشا رقم ١

تليفون : ٣٠٠٧

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

يسامل أئمة المساجد والمأذونون ومعلمو المدارس الأولية والمهات معاملة الطلاب

ونعم الحزب الواحد ٣ صاع داحل القطر و ٤ خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الإسلامية

١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مطلة الأزهر

وأثره في حفظ الدين ورفق الشرق

ليس من غرض هذا المقال أن نحدثك عن حال الأزهر من حيث هو حجر وطن وأرض فوقها سماء ، وإنما نقصد الى أن نضع نصب عينك صورة موجزة من حياته العلمية ومكائنه الدينية ، لتريك أمه الحصن الذي لا يتصدع ، ومطامع النور الذي لا يتقلص ، ومبعث القوة التي لا تغلب ، حتى تكون على ثقة من أنه الكفيل بأعلاء كلمة الاسلام ورفع لواء المدينة النقية من كل قذى .

في يوم السبت الثاني والعشرين من جماد الاولى سنة ١٢٥٩ هـ . شرع القائد الفاطمي أبو الحسن جوهر بن عبد الله « الدقلى » فى بناء مسجد بالمدينة التى أنشأها ، حيث ضرب خيام جيشه وسميها « المنصورة » ، ثم سماها للمز بعد « القاهرة المعزية » وتم بناء هذا المسجد فى نحو ثلاثين شهرا ، ذلك المسجد هو الأزهر الشريف .

وفى صفر عام ١٣٦٥ هـ . جلس قاضى مصر أبو الحسن على بن النعمان بن محمد بن حيون بهذا الجامع ، وأملى مختصر آييه المؤلف فى الفقه على مذهب الشيعة .

وفى سنة ١٣٧٨ هـ . تولى الوزارة يعقوب بن كلس الحليفة زار بن المعز ، وكان هذا الوزير من رجال العلم ، فانتخبت الدولة خمسة ولاثين عالما ، وعيّنهم للتدريس بهذا الجامع ، وأنشأت لهم منازل حول الأزهر وكانوا يحضرون يوم الجمعة ، ويدرسون بعد الصلاة الفقه والعقائد وفتون الأدب .

ولما قضى صلاح الدين لأيوبي على الدولة الفاطمية ، وكان قاضى القضاة بدولته صدر الدين عبد الملك بن درباس شافعى المذهب ، أمر بأن لا تقام الجمعة فى مساجد متعددة وقصر الجمعة على جامع الحاكم ، إذ كان أوسع حرم بالقاهرة ، وبقي الأزهر عاطلا من صلاة الجمعة الى أن جاءت دولة الملك الظاهر بيبرس ؛ فعفى أحد أمرائها هو عز الدين أيدمر الحلى بعمارة الأزهر ، فأصلح ما اختل من مبانيه ، وأعاد اليه صلاة الجمعة فى ١٨ ربيع الأول سنة ٦٦٥ هـ . وأتم لذلك حفلة حضرها رجال الدولة وأعيان الأمة . وما زال لأمراء والسلاطين والكرام من ذوى اليسار يبسطون أيديهم بالانفاق على الأزهر ، ويقفون عليه الأوقاف بسخاء ؛ وكثير منهم يعملون لترقية شأنه من حيث هو جامعة دينية علمية حتى ، أصبح منذ عهد بعيد معهدا عامرا بدراسة العلوم الشرعية والعربية ومجالس الوعظ .

ولخضرة صاحب الجلالة ملكنا للعظم قواد الأول - أيده الله - اليد الطولى فى إنهاض الأزهر من خوله ، وإحياء كثير مما ذبل من علومه . وتجديد ما بلى من نظمه ، حتى أحرر فى عهده المبارك مكة طالما حاولت بعض الأيدي الأثيمة صرفه عنها أو القضاء عليه قبل أن يقبواها .

وما فتئ هذا الجامع المورث الذى يؤمه طلاب العلم من كل ناحية حتى أنشئت له شعب فى القطار المصرى هى معهد اسكندرية ، ومعهد طنطا ، ومعهد أسوط ، ومعهد الزقازيق ، ومعهد دمياط ، ومعهد دسوق .

وكان فى إنشاء هذه المعاهد تيسير على طلاب العلم من سكان هذه البلاد ، حتى لا يجتهدوا كلمة المقام فى القاهرة إلا حيث يتأهلون لدراسة الكتب العالية فى نفس الأزهر الشريف ؛ وفى هذه المعاهد مظاهر تجعل الشعور الدينى ساريا فى الأمة ، والأهم صورة قوية وأروحها الشعور بأن لها دينها حقا وشريعة عادلة .

اقسام التعليم :

في الأزهر قسم ابتدائي ومدته أربع سنوات ، وثانوي ومدته خمس سنوات ، ومواد هذين القسمين تدرس في أماكن خاصة بها خارج الجامع الأزهر ؛ وبعد هذين القسمين قسم عال ، ومدته أربع سنوات ودروسه الآن تلتقى في نفس الجامع الأزهر ؛ وبعد القسم العالى قسم التخصص ، ومدته ثلاث سنوات .

أنشئ هذا القسم في ١٣ محرم سنة ١٣٤٢ هـ - ٢٦ أغسطس سنة ١٩٢٢ م ليخرج رجالاً لهم مزيد اختصاص في بعض العلوم الدينية أو العربية وما يتصل بها ، وهو ضرب من ضروب الإصلاح التي يعمل لها الرؤساء الناصحون ؛ وفي هذا القسم نحو خمسين مدرساً ، وبه نحو ٢٠٠ طالب علم ما عدا المتطوعين ، وترجع العلوم التي يقصدها الطلاب إلى التخصص بها في سبع مجموعات : (١) التفسير والحديث (٢) الكلام والمنطق . (٣) الأصول والفقه الحنفي . (٤) الأصول والفقه المالكي (٥) الأصول والفقه الشافعي . (٦) النحو والصرف . (٧) البلاغة ^(١) (٨) الوعظ والارشاد . (٩) التاريخ والأخلاق .

وإذا كان الأزهر قد أخرج قبيل إنشاء هذا القسم رجالاً لهم رسوخ في بعض العلوم أكثر من رسوخهم في غيرها ؛ فسيكون لرسوخ هذا على طريق منظم بحيث لا تبقى باقية من نوحى العلوم التي تدرس في هذه الجامعة إلا وقد قام عليها طائفة خاضوا عباها ، وتوغلوا في أحشائها ، وأصبحت كلماتهم القول الفصل في تقرير مسائلها ؛ وليس يعمد على الأذكياء المجددين من طلاب هذا القسم أن تكبر همهم ، ويخلص في سبيل العلم قصدهم ، حتى نرى فيهم رجالاً يهرون النفوس علماً ، ولا تشهد منهم العيون إلا استقامة ورشداً .

العلوم التي تدرس بالأزهر :

يدرس في الأزهر التفسير ، والقراءات ، والحديث ، والسيرة النبوية ، وعلم الكلام ، والفقه وأصوله ، والحدود ، والصرف ، والبلاغة ، والانشاء ، وآداب اللغة ، والعروض

(١) للماتى والبيان واللمع وآداب اللغة والانشاء .

والقوافي، والوضع، والنطق، وعلم النفس، والتاريخ، والأخلاق، والفلسفة،
والحساب، والمهندسة، والطبعية، والكيمياء، والجغرافيا.

ورعنا أشار بعض الكتاتيب في إصلاح الأزهر بقصر التعليم فيه على العلوم الدينية
والعربية، وهو رأى لا يستقيم مع ما يقتضيه حال العصر من أن يكون السالم الديني
على جانب من العلوم التكوينية والاجتماعية؛ وهذا يكون الأزهر كفيلا بإخراج نشء
يمثلون القاضى العادل، والمدرس النحرير، والمصلح الخطير، والمرشد الحكيم، وناكيب
البارع، والمدير لبعض الشؤون العامة في حزم ونظام.

الأروقة :

بالأزهر أروقة معدة لسكن طلاب العلم، والرواق يحتوى على غرف وممرات؛
ومن هذه الأروقة ما هو خاص بالقطر المصري، كرواق الصعائدة، ورواق البحاروة،
ورواق الشراقة، ورواق الخنفة، ورواق الطيرسية، ورواق السارية؛ ومنها
ما هو خاص ببعض الأقطار الإسلامية من غير مصر، كرواق الحرمين، ورواق
الشوام، ورواق المنارة، ورواق الهندود، ورواق الأتراك، ورواق الأفغان، ورواق
البحرين، ورواق الأكراد، ورواق جاوة، ورواق الدكارنة البرناوية.

وفي هذه الأروقة وما وقف عليها من كتب وجرايات معونة المنتسبين إليها على
طلب العلم، وإذا وجد في نهاء الطلاب بها حرص على الخير أمكنهم أن ينفقوا فيما بينهم
صلة التعارف واتماطف التي أرشد إليها لدين بقوله تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ »
فيعملوا حقوق ما يستفيدونه من علم وأدب عملا صالحا هو تأكيد الرابطة بين الشعوب
الإسلامية المتفرقة .

وبهذه الأروقة صار الأزهر ملتقى أمم إسلامية متباعدة الأقطار؛ ومتى اشتدت
عناية أولى الشأن بأمورهم، فنظروا إليهم بمطف ورعاية، وراقبوا سيرهم في التعليم،

وأخذهم بالظلم الخازمة؛ وجدت فيهم أوطانهم — اذا انقلبوا إليها — القدوة الصالحة، وكانوا السنة تهب بفضل الأزهر؛ وتعيد الأزهر يرجع نفعه الى سكان وادي النيل قاطبة.

فتوجيه طلاب العلم هذه الأروقة — ولا سيما النبهاء منهم — وحملهم في التعليم على انظم الصالحة، حق من حقوق العالم الاسلامي على الأزهر الشريف، ومفخرة زداد بها ذكر الأزهر رفعة؛ وبشمله تبقى القاهرة عاصمة الشرق الأدبية، ومبعث الهداية الاسلامية.

مستبصر الأزهر .

ما زال الأمراء ينظرون في شئون الأزهر بأنفسهم حتى اتسعت دائرته، واقتضى حاله أن يستند المظر الى أحد "كبار من شيوخه، وأول من عرف بولايته شيعا للأزهر الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشبي المالكي المتوفى سنة ١١٠١ هـ. وتولاها بعده الشيخ ابراهيم بن محمد البرماوي^(١) الشافعي المتوفى سنة ١١٠٦ هـ وتولاها بعده الشيخ محمد النشرفي^(٢) المالكي المتوفى سنة ١١٢٠ هـ. وتولاها بعده الشيخ عبد الباقي النقيبي^(٣) المالكي، وتولاها بعده الشيخ محمد شرف الجداوي المالكي المتوفى سنة ١١٣٣ هـ. وتولاها بعده الشيخ ابراهيم بن موسى الفيومي المالكي المتوفى سنة ١١٣٧ هـ. وتولاها بعده الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي المتوفى سنة ١١٧١ هـ. وتولاها بعده الشيخ محمد بن سالم الحفني^(٤) الشافعي المتوفى سنة ١١٨١ هـ. وتولاها بعده الشيخ عبد الرؤف السجيني^(٥) المتوفى سنة ١١٨٢ هـ. وتولاها بعده الشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمهوري^(٦) المتوفى سنة ١١٩٠ هـ. وتولاها بعده الشيخ أحمد المروسي^(٧) الشافعي

(١) نسبة الى «درو» بدمديرة الغربية . (٢) نسبة الى «فخر» بدمديرة الغربية . (٣) نسبة الى «عين» بدمديرة الغربية . ولم نقف على تاريخ وفاته . (٤) نسبة الى «حننا» ببلدة بالقرية . وهو صاحب «حاشية المراجع صغرى» . (٥) نسبة الى «عين» قرية بدمديرة الغربية . (٦) تقه على يد صاحب الامام الشافعي ثم «دوس بية للذاهب» وكان يكتب في توقيعه : الشافعي الحقى المالكي الحلي . ومن مؤلفاته شرح الجواهر للكتون . (٧) نسبة الى «منية مروسي» بلدة ببلد النوبة تابع مركز أشون .

المتوفى سنة ١٢٠٨ هـ . وتولاها بعده الشيخ عبد الله بن حجارى بن ابراهيم الشرقاوى الشافعى المتوفى - سنة ١٢٢٧ هـ . وتولاها بعده الشيخ محمد الشنوائى ^(١) الشافعى المتوفى سنة ١٢٣٣ هـ . وتولاها بعده الشيخ محمد بن أحمد المروسى الشافعى المتوفى سنة ١٢٤٥ هـ . وتولاها بعده الشيخ أحمد بن على بن عبد الله الدهموجى ^(٢) الشافعى المتوفى سنة ١٢٤٦ هـ . وتولاها بعده الشيخ حسن بن محمد المطار ^(٣) الشافعى المتوفى سنة ١٢٥٤ هـ . وتولاها بعده الشيخ حسن القويسنى ^(٤) الشافعى المتوفى سنة ١٢٥٤ هـ . وتولاها بعده الشيخ أحمد بن عبد الجواد الشهير بالصائم السفطى ^(٥) الشافعى المتوفى سنة ١٢٦٣ هـ . وتولاها بعده الشيخ ابراهيم البيجورى ^(٦) الشافعى المتوفى سنة ١٢٧٧ هـ . وتولاها بعده الشيخ مصطفى بن أحمد المروسى الشافعى ، وعزل عنها سنة ١٢٨٧ هـ . وتقلدها الشيخ محمد المهدي العباسى الحنفى ، وعزل عنها فى المحرم سنة ١٢٩٩ هـ . وخلفه فيها الشيخ محمد ابن محمد بن حسن الابابى ^(٧) الشافعى الى شهر ذى القعدة من تلك السنة ، ثم أعيد اليها الشيخ المهدي حتى استقال سنة ١٣٠٤ هـ . وأعيد اليها الشيخ لأنبابى الى أن استقال سنة ١٣١٢ هـ . وتقلدها بعده الشيخ حسونه ^(٨) بن عبد الله النواوى الحنفى حتى استقال سنة ١٣١٧ هـ . وتولاها بعده الشيخ عبد الرحمن القطب النواوى الحنفى ، وتوفى بعد ولايتها بنحو شهر ثبأ ، وخلفه فيها الشيخ - سليم البشرى المالكي حتى استقال سنة ١٣٢٠ هـ . وتولاها بعده السيد على بن محمد البيلادى المالكي واستقال سنة ١٣٢٣ هـ . وتقلدها بعده الشيخ عبد الرحمن الشريبنى الشافعى واستقال سنة ١٣٢٧ هـ . وأعيد اليها

(١) لبة الى « شوان » بلدة بالنمى لندونية . وهو مؤلف حاشية مختصر اى أن حرره . (٢) دسة الى « دهبوج » قرية بالقرب من « ها السل » . (٣) هو صاحب حواشى شرح الحصى على التهذيب . وحواشى شرح الحلال اهلى لجمع الحواش . (٤) فنية الى « قوستا » وله شرح على السلم . (٥) لبة الى « حفظ العرفاء » قرية بمديرية البيا . (٦) دسة الى « البحر » قرية بمديرية الموية . (٧) لبة الى « امانه » قرية بنواحي القاهرة . (٨) مما يحفظه التاريخ لهذا الاستاد أن بطرس باشا على حين كان وزيراً للحقانية أراد أن يدخل فى المحكمة لثلاثة عصور من لستشارين محكمة لاستئناف . فصفق نقاضى الترك أمام هذه الارادة أما الشيخ حسونه فوقف فى وجهها فوقف من يرى مقامه بطرس فوق كل منصب حتى قال لبطرس بشا بعد ما أحد يدافع عن رأيه فى سوء من الشدة « أسكت يا بطرس لكم دينكم ولى دين » فدفع عن المحاكم الشرعية أمراً وبما اقبلت منه الى صفة غير صحتها .

الشيخ حسونه النواوي واستقال سنة ١٣٢٧ هـ . فأعيد اليها الشيخ سليم البشري الى أن توفي سنة ١٣٣٥ هـ . وتولاها بعده الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي الوراق^(١) المتوفى في ١٥ محرم سنة ١٣٤٦ هـ . وتولاها بعده حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المارغني في ٢ ذي الحجة من تلك السنة ، واستقال في ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٨ هـ . وتولاها بعده حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدي الطواهري ، وهو شيخ الجامع الأزهر لهذا العهد .

وامبات شيخ الجامع الأزهر :

ينظر شيخ الجامع الأزهر في شئون المدرسين وطلاب العلم ونظم التعليم ، وبما أن الجامع الأزهر أكبر معهد ديني في العالم الاسلامي كان لرئيسه حق النظر في حالة الأمة من حيث موافقتها لروح الدين أو بعدها عنه ، وعليه أن يوجه نصيحته الى أي فطر إسلامي متى انحرف جماعة من المسلمين عن السبيل ، أو فتنهم ذويد طائشة عن دينهم الخفيف ، وإذا كانت أحوال الشعوب الاسلامية قبل هذا غير معروفة لشيخ الأزهر بتفصيل ، أو كانت كلمة الأزهر لا تصل الى من في أقصى الشرق والغرب إلا بعد أمد طويل ، فإن وسائل الاطلاع على أحوال الجماعات الاسلامية في هذا العصر متيسرة ، والطرق التي تصل منها نصيحة رئاسة الأزهر الى جماعات المسلمين على بمد أوطانهم غير متعسرة ، وقد أصبحت الرسائل تهديد وسائل المواصلات ترد هذه الرئاسة من البلاد القاصية في أيام معدودة ، ولا شك في أن انتظام المواصلات يحمل ارتباط الأزهر بالأقطار الاسلامية في هذا العصر أشد من ارتباطه بها في العصور السالفة .

وأذكر على وجه المثل أن مسلمي الصين — وهم عشرات من الملايين — لا تعرف لهم صلة بالأزهر ، وقد بلغهم صوته في هذا العهد فقاموا يسمعون الى تأكيد الرابطة

(١) نسخة الى « وراق الخضر » ببلدة بالمزة .

بينهم وبينه لينالوا مثل ما نالته الشعوب الأخرى من عم وهداية؛ وجاء في رسالة لهم إلى رياسة الأزهر أنهم عقدوا العزم على إرسال طائفة منهم إلى الأزهر، ليتفقهوا في الدين ويقوموا بالدعوة والارشاد في بلادهم إذا رجعوا إليها، ونقلت الرياسة هذه الرسالة بارتياح.

المدرسون :

في سنة ١٢٩٣ هـ كان عدد المدرسين ٣٦١، وفي هذا العهد سنة ١٣٤٩ هـ يبلغون زهاء ٧١٣ مدرسا : مدرسو العلوم الدينية والعربية ٥٠٥، ومدرسو العلوم الحديثة والخط والاملا، ٢٠٨؛ وكثير من مدرسي العلوم الحديثة أزهريون تخرجوا من الأزهر بعد أن صارت تدرس فيه هذه العلوم.

والمدرسون في الأزهر أحرار في تقديم وآرائهم؛ فللمدرس أن يتقد آراء أهل العلم من قبله ما شاء، فإن وجدده أهل العلم على حجة تقبلوا رأيه بقبول حسن، وإن وجدوه في خطأ، نبهوا على وجه خطئه بالتي هي أحسن؛ وإذا أبدى بعض المدرسين أو الكتابين رأيا حاول به هدم أساس من أسس الشريعة أو نقض أصل من أصول الدين، فلقى بعد تفنيد رأيه بالحجة شيئا من الإنكار، فذلك لأنه نادى على نفسه بقلة العلم أو مرض القلب؛ وليس من مصلحة طلاب العلم أن يجلسوا إلى من يبادرهم بآراء في أصول الدين يخرجها عما أجمع عليه أئمة الاسلام جيلا بعد جيل، فلا يرى التدريس في الأزهر بعدم الحرية في النقد إلا من فاته أن يعرف حال المحققين من علمائه، أو من أراد من كلمة الحرية معنى غير المعنى الذي يعقله العالمون.

طلب العلم به :

يقص علينا التاريخ أن طلاب العلم بالأزهر كانوا في سنة ٨١٨ هـ سبعمائة وخمسين شخصا، وكانوا في سنة ١٢٩٣ هـ عشرة آلاف وسبعمائة وثمانين طالبا؛ أما عدهم اليوم

فيقدر بنحو ٩٤٦١ : في الأقسام الابتدائية ٥١٠٦ ، وفي الثانوية ٢١٨٢ ، وفي القسم العالي ١٠٣٣ ، وفي القسم الموقت ٤٩٠ ، هذا عدد الطلاب المصريين ، ويضاف إليهم نحو ٦٥٠ من المنتسبين إلى أقطار إسلامية مختلفة .

وبهذا العدد الكبير من الطلاب المصريين الذين يردون الأزهر في أول السنة ويعودون إلى بلادهم في آخرها ، بقي احترام الدين وطاعة أوامره في نفوس الأمة المصرية راسخا ، ولولا هذه الروح التي يبعثها الأزهر في كل ناحية لوجدت دعاية الفسوق عن الدين الحنيف المجال واسعا .

ولا أحرص من طلاب العلم بالأزهر على فهم مقاصد المؤلفين ، فلا تجدهم يقنعون بفهم مسائل العلم في نفسها حتى ينقدوا عبارة الكاتب ويعرضوها على قواعد الوضع والنحو ، ليعرفوا وجه دلالتها ، ويميزوا حقيقتها من مجازها ، ويتبينوا ما فيها من حذف أو تقديم أو تأخير ؛ والنجباء منهم لا يقفون عند هذا الحد ، بل يتجاوزونه إلى المناقشة فيما يدخل في موضوع العلم ؛ ومن أجل هذه الطريقة ترى التابغة المكب على العلم في الأزهرين أقدر على حل المشكلات وأسرع إلى تطبيق كلام المؤلف على ما يراد منه .

يكتب بعض من يتلقى عادات الغربيين بتقليد ، ويزن فيما يكتب قبول الفتيات للتعلم بالأزهر الشريف ، يكتبون ولا يخجلون أن يقولوا في الاستدلال على هذا الرأي « إن إحياء البنات مع الولد في التعليم يساعده على نفس الكمال والأدب ، ويثير فيه حب النجاح والتفوق » .

والحقيقة أن في خصال الشرف ما يسمى صيانة وعفافا ، واختلاط الفتيان بالفتيات مما لا يبق للصيانة والعفاف عينا ولا أثرا ، ومن نازع في هذه الحقيقة فائما ينكر الشمس وهي طالعة في سماء صاحبة ، وخير لمن يرائي في الناس فيزعم أن اختلاط الفتيان والفتيات لا يأتي بشر ، أن يرفع صوته بطرح العفاف من حساب الشرف والفضيلة ،

حتى اذا أقنع الناس بأن العفاف شيء لا يقيم له علم الأخلاق وزنا، بلغ مأربه ولم يجد دعوته لى الجمع بين الفتيان والفتيات فى معاهد التعليم عقبة .

الأزهر أساس النهضة الشرقية :

إذا كان الأزهر قد تجرد للبحث العلمى حينما من الدهر ، وغفل عن الأمراض التى تصيب المسلمين فى دينهم ومدنيتهم فقد تنبه اليوم من غفلته ، وادكر ماضيه ، وأحس رفعة مكانته ، ووثق بأن فى استطاعه مداواة هذه الأمراض ، والتهوض بالشرق الى ذروة السعادة ، فهو سائر فى سبيله واضعاً يده فى يد كل مجاهد أمين .

فى الأزهر علم وأدب ، وفيه الارشاد الى أصول العزة والمنعة ، كتأكيده رابطة الاخاء ، وتربية الفيرة على الحقوق والمصالح ، لأنه يدرس فيه القرآن ، ولم يفادر القرآن كبيرة ولا صغيرة من نواحي السعادة والعظمة إلا دل عليها بأبلغ بيان .

كيف يكون حال من يتفقه فى مثل قوله تعالى : (كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً) أنلا يشب على التخوف من أن يستولى على قومه من يحدد دينهم ولا يحترم شريعتهم ؛ ومن مقتضى هذا التخوف البحث عن طرق النجاة من أولئك الذين شأنهم اضطهاد الأمم المستضعفة ، والبحث عن طرق النجاة يذهب بالفكر مذاهب بعيدة المدى ، والفكر الذى يسوقه الاخلاص وتوافقه الحكمة يبلغ بتأييد الله غايته وإن بعد ما بينه وبينها ، ووقفت العقبات دونها .

وكيف يكون حال من يتفقه فى قوله تعالى : (أَيْتَنُّونَ عِنْدَكُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ للهَ جَمِيعاً) أنلا يزدري كل عزة ينالها من أشياع الباطل ، واثقاً بأن عزة الله فوق كل عزة ؛ ومقتضى هذا أن لا يبيعهم عينا يعمرون بها أو أذبا يسمون بها أو يداً يبطشون بها ، بل يأبى له أدبه اللين أن يلتقى اليهم السهم وهو يستطيع أن يكف بأسهم ، أو يخفف فى الأقل من طغيانهم .

وكيف يكون حال من يتفقه في قوله تعالى: (إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُونَ كَمَا تَأْمُونُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا). أفلا يشب على خصلة الأقدام والتفاني في مواقف لدفاع عن الحق، حتى إذا لقي نصبا أو مسه أذى نذكر أن خصمه يلاقى مثل ما يلاقيه هو من العناء والألم، واستمر في جهاده علنا أن أولى الفريقين بالصبر والثبات من حسن في الله ظنه، ورجع بالتوكل عليه وزمه

وكيف يكون حال من يتفقه في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ). أفلا يصب نظراته الصائبة في أحوال أمته لما حثت على علل وهما وخولها ليعمل على تغيير ما بها من الأحوال التي أخذت بها إلى الاستكانة، وقعدت بها عن مثالبه خصوصها راضية بحياة لا آمن فيها ولا كرامة.

والكتاب الكريم والحديث النبوي عامران بأمثال هذه الحكم التي لم تخلط نفوس زاكية إلا فزعت لأن رسمها في حياة الأفراد والجماعات خططا، فحق على أولى الشأن أن ينظروا إلى النشء الأزهريين فنظروا إلى رجال خلقوا لأن يجاهدوا في سبيل لا صلاح مما استطاعوا من حكمة وقوة، فالأزهري جاهد وسيجاهد في ظهور الحق على الباطل وإعلاء الفضيلة على الرذيلة، وإنما ينهض الشرق نهضته الطاهرة المطفئة إذا سار تحت إشراف الهداية الدينية، وكان ولاية أموره ممن يرجون الله وقارا م

محمد الحضر حسين

النفس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا)

معنى الآية من يتق الله فيما يأتي ويذر يجعل له مخرجا، أى خلاصا من هوم الدنيا وغمومها وشدائد الآخرة وأهوالها، ويرزقه من حيث لا يحتسب، أى من وجه لا يخطر بباله ولا يكون فى حاسبه . ومن يتوكل على الله فهو حسبه، أى كافيه فى جميع أموره . إن الله بالغ أمره ممضيه ومنفذه فلا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب . قد جعل الله لكل شئ، قدرا ، أى تقديرا وتوقيتا أو مقدارا ، وهو بيان لما يوجب التوكل عليه والتفويض إليه ؛ فإن الانسان إذا علم أن كل شئ من الرزق وغيره لا يكون إلا بتقديره تعالى لم يكن منه إلا التسليم والتعذر والتوكل عليه عز وجل — هذا هو إجمال التفسير ثم نقول بتوسع :

كل من يتق الله يكون بمنجاة من كل شر ، فإن الله مع المتقين ، ومن كان الله معه فلا خوف عليه فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فقد أصبح من الدين توكل الله تعالى بفضله وهو يتولى الصالحين ، بل من أولياء الله الذين قال الله فيهم : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) . ثم بينهم بقوله : (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) .

ثم ذكر أنهم مكفولون بعنابته مشمولون برعايته في الدين ، فقال : (لَهُمْ أَنْبِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) . ثم أكد ذلك بقوله : (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ) . وستقول الملائكة لأولئك المتقين : (الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) . (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) ومن كان في ولاية الملائكة في الدنيا والآخرة كيف يلحقه شر أو يعثره كرب ؛ وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في تفسير هذه الآية : ومن يتق الله يجعل له مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة . أخرجه أبو يعلى وأبو نعيم والديلمي ، وأخرج الامام أحمد والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، وأبو نعيم في المعرفة ، والبيهقي عن أبي ذر قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآية : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) .

جعل يرددها حتى ندمت ، ثم قال يا أبا ذر : لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتمهم ؛ والتقوى هي الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وإذا تدبرت أحوال الناس وجدت كل شدة وعنة ومغم وإحسا جاءهم من تخلف الخلود التي أمرهم الله ألا يعتدوها ، والانحراف عن صراط الله المستقيم الذي يذره الرسول صلى الله عليه وسلم اتباعا للهوى وانقياد للشهوات ؛ وقد قال تعالى : (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) وقال (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) وأمرنا أن نطلب منه في كل صلاة بل في كل ركعة أن يهدينا الصراط المستقيم صراط من أنعم عليهم ، وعرفنا أن المنحرف عن ذلك الصراط مفضوب عليه إن كان يعرفه ، وهو من الضالين إن كان لا يعرفه ؛ وجدير عن ينحرف عن الصراط المستقيم أن يلقى كل خيال ووبال في الدنيا والآخرة ، فليس هناك إلا سبيل الله وسبيل الشيطان (وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ

فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا يَعِدُكُمْ وَيُنْهِيهِمْ وَمَا يَعِدُكُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا وَمَا أَرْسَلْتُ إِلَّا أَنْبِيَاءَ إِلَّا لَتُخْلَصُنَا مِنْ حِبَائِلِ الشَّيْطَانِ وَشِبَائِلِ النُّفُوسِ الْأَمَارَةِ بِالسُّوءِ الَّتِي تَوْقَعُنَا فِي كُلِّ شَرٍّ وَتُبْعِدُنَا عَنْ كُلِّ خَيْرٍ؛ وَلَوْ بَحِثْتَ عَنْ مَصَائِبِ الْعَالَمِ كُلِّهَا لَوَجَدْتَهَا مُسَبِّبَةً عَنْ تَوَرُّطِ الْأَفْرَادِ أَوْ الْجَمَاعَاتِ فِيمَا تَصْبُؤُا إِلَيْهِ النُّفُوسُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَزِينَةِ الشَّيْطَانِ مِنَ الْآفَاتِ، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ ذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْلَمُ عَنْ كَثِيرٍ) وَيَقُولُ: (أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِنْهَا مِثْلَهَا قُلْنَا إِنَّ هَذَا قُلُوبُ هَؤُلَاءِ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ). وَيَقُولُ: (إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا).

وقال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه: لا ينزل بلاء إلا بدنب، ولا يرتفع إلا بتوبة؛ وقد بمض السلف وأظنه سفيان الثوري إني إذا عصيت الله وجدت أثر ذلك في خلق حمارى وزوجتى. «ولعل هذه معاملة خاصة يؤدب الله بها بعض من يعتنى بهم من عباده حتى لا يخافوا غيره ولا يعملوا على شيء سواه»؛ ثم رجع إلى حديثنا فنقول: لا عاصم من نزوات النفوس التي لا تعرف الاعتدال، وإنما تعرف الإفراط أو التفريط، ولا حافظ من نزغات الشيطان الذي يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير إلا تقوى الله في السر والعلانية، فإذا اتقيت الله تعالى حفظك من مسaire الأهواء ومتابعة الشهوات؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم: «أحفظ الله يحفظك»؛ وإن بابتك نائبة، وأملت بك ملة — على ما هو سنة الله في هذا العالم — جعل لك فرحاً وغرماً ولا مركله يده ومتى تعرفت له في الرخاء عرفك في الشدة؛ وقد قال بمض العارفين: إذا أردت أن تعرف قدرك عند الله فاعرف قدره عندك، فعلى قدره عندك يكون قدرك عنده، وعلى قدر ذكرك له يكون ذكره لك (فَإِذَا كُروُنِي أَذْكُرْكُمْ)، وعلى قدر عنايتك بطاعته تكون عنايته برحمتك هذا ومما وعد الله المتقين جزاء على تقوam أيضاً أنه

يرزقهم من حيث لا يحتسبون ، أى من حيث لا يدبرون ولا يعرفون ؛ وهو القادر الذى يصرف الأمور على ما يريد ، ويسحر الجن والانس والملائكة فيما يشاء ، فيكونون أعوانا أو مسخرين فى خدمتك ؛ ولا بدع فى ذلك ، فالأرض أرضه والسماء سماؤه والملك ملكه : (فَسُبْحَانَ الَّذِى يَبْدُو مَا كُنتَ كُلُّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) .

وقد قيل لبعض الصالحين المنقطعين الى الله تعالى إننا لا نترك تشتغل بشئ ، فمن أين ترزق ؟ أمن السماء يأتيت رزقك ؟ فقال إن كانت الأرض ليست له رزقى من السماء ، ومن ذلك ما يحكى أن رجلا من أهل هذا المقام كان منقطعا لله فى مسجد من المساجد ولا يعرف له سبب ظاهر ؛ فقال له إمام المسجد يوما . من أين تأكل ؟ فقال له : انتظر حتى أعيد ما صليت وراءك .

« بيان أن الشريعة جاءت بتعاطى الأسباب الدنيوية »

وليس معنى ذلك كله أننا لا تتعاطى الأسباب الدنيوية ، فإن ذلك يخالف القرآن نفسه فى مثل قوله (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهَا) ؛ وقوله : (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة وينافى ما كان عليه صلى الله عليه وسلم فى سنته العمالية ، وما ورد عنه من سنته القولية فى مثل قوله : « إعتقلها وئوكل » ، ومن روى الشريعة بأنها شريعة التواكل والتكاسل فقد جنى على الشريعة جنابة كبرى ، فإن دين الاسلام دين العمل لا دين الكسل ، ودين الرق والتقدم فى كل شأن من شئون الحياتين الجسمية والروحية لا دين الجلود والتأخر ، ويكفيه أنه حرم على ذويه أن يكونوا عالة على غيرهم فى أصغر الأشياء وأحقها ، وأوجب عليهم أن يكونوا بالدروة العليا من العزة للقمصاء والاستقلال التام ، حتى يكونوا أرفع الأمم على الإطلاق وأعزها على الإطلاق (وَلَنَجْجِلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) ، (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) . (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ). ولو كان الاسلام على ما ظنوا لما ارتقى أهله في الصدر الأول على جميع سكان المعمورة، ولما وضع رجلا بالهند ورجلا بمراكش أو نقول بالأندلس، وتغلغل في أحشاء أوربة حتى وصل الى « بردوا » من أرض فرنسا في أقل من قرن مما عجب له العالم ودهش له التاريخ. ولعلنا نفيض القول في ذلك بعد. ولكن اذا سرت معي على الانصاف، وكانت وجهتك تحقيق الحق، ولم تكن محبوسا في سجن العادات، ولا مقيدا بقيود الظواهر، وكنت ممن يعلم أن العلم لا آخر له، وأن قوانين الله في هذا العالم ليست محصورة قيدا تعقل ولا مقصورة على ما تتخيل؛ اذا وافقتني على ذلك وغلب عليك الايمان والايمان، أمكنني أن أقول لك إن شئون الله كبيرة وقوانينه كثيرة، وعلمه لا يحيط به محيط وقدرته لا تصل اليها إلا وهام، سبحانه لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك؛ فلتعلم أن لله قوانين جسمية وقوانين روحانية، وأن القوانين الجسمانية التي بنيت على الأسباب الظاهرة والمسببات المعتادة، هي التي خوطب بها السواد الأعظم، لأنه لا يكاد يعرف غيرها ولا يستطيع أن يقوم بشيء سواها، لكونه يحتاج الى استعداد خاص أو عمل شاق أو شرط مجهول، وعالمنا هذا هو عالم الأسباب والمسببات، وهو مظهر الحكمة الإلهية؛ وللقدررة الربانية بعد ذلك شئون أخرى وتصرفات لا تحصرها تلك الحدود المعروفة ولا تحكم عليها تلك النواميس المقررة (أو نقول التي وصلنا اليها) والشرعية جاءت بكلا الأمرين وأشارت الى كل من القانونين الجسماني والروحاني، جاءت بالأسباب الظاهرة وحشت عليها بل أوجبتها في قانونها العام الذي لا يعلم على استعداد أكثر الناس، وحظرت عليهم ترك تلك الأسباب لأنهم من أهلها ولا يصلحون إلا لها، ولكن حاطتهم بما يدفع سموها ويحفظ من الشرك فيها؛ فقالت لهم كونوا في الأسباب ولا تغفلوا عن مسببها واعلموا أن زمامها بيده، فإن شاء أتجعبها، وإن شاء لم ينجحها، وإن شاء أرشدك، وإن شاء أضلك، وإن شاء سهل لك من الأسباب الخفية ما يقرب اليك الغاية، وهيا لك من الوسائل التي

لا تقدر عليها ما يحقق لك البقية ، فليكن شعارك الاستعانة بالله والالتجاء الى الله ، وهجيرك في كل حال لا حصول ولا قوة إلا بالله . عرفنا الدين ذلك كله كي نكون متوكلين في الأسباب فتكون قلوبنا معه لا مع لأسياب ؛ وأما من ظن أن التوكل ينافي التسبب فقد غلط غلطاً كبيراً ، فإن الله يقول : (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) جعل التوكل بعد العزم ؛ ويقول عليه السلام : « إعفاها وتوكل » فنحن مأمورون بالتوكل في كل أحوالنا وجميع أعمالنا ، والتوكل عمل الباطن والتسبب عمل الظاهر ، ولا منافاة بين عمل الباطن وعمل الظاهر ، والتوكل لازم من لوازم الإيمان ؛ كما قال تعالى . (وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) . فكيف يفارقه في حال من الأحوال . ولنعد صدر الموضوع فنقول :

هذا الفريق جعله الدين في الأسباب الظاهرة وأمره بها بعد أن أدخله في حصن التوحيد وسلحه بسلاح المعرفة .

« بيان أن الشريعة جاءت بالقوانين الروحية » .

ولكن من نظر في الشريعة وجدها لم تقتصر على ذلك بل جاءت بقانون آخر من قوانين الله تعالى وأشارت الى ذويه فقالت يقول الله تعالى . « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي » ويقول تعالى . (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) . ويقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي : « لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خفافاً وتروح بظانا » ولا داعي لعدم عناية بآدم منه ، ويلحق بهذا قوله تعالى . (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا ثَابِتِهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) . وقوله : (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنْحِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ قَوْفِهِمْ وَفِيهِمْ رَحْمَةٌ لِّأُولَئِكَ) . وما يتحقق به أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : « رب أشعث أغبر لو أقسم على

لله لأبره» وامت الى ذلك بشيء من المناسبة قوله تعالى في الحديث القدسي «عادا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» ومن كان لله سمعه وبصره لم يكن رجلا عاديا ولا الأمور بالنسبة اليه على نحو ما يعرفه الناس ومن هذا الوادي على قرب أو بعد قوله صلى الله عليه وسلم: «إن من أمتي محدثين وإن منهم لعمر» وقد ورد بغير هذا اللفظ.

والخلاصة في هذا المقام أن هناك قوما انقطعوا الى الله تعالى بظاهريهم وباطنيهم فلم يبق فيهم متسع لغيره فهؤلاء لهم من الله تعالى عناية خاصة ومعاملة لا يقاس عليها، فأمرهم غير جار على تلك القوانين العامة بل لهم قانون يختص بهم ولا يعتمد الى من ليس في درجتهم من اليقين ولا منزلتهم من الثقة بالله. هؤلاء تنحرق لهم العادات فيأتيهم رزقهم غفو من غير أن يشتغلوا بالأسباب المعروفة أو يكدحوا كدح العامة، بل يتولى الله ذلك عنهم فيرزقهم من حيث لا يحتسبون؛ وقد قلنا إن الأمور كلها بيد الله يصرفها كيف شاء، وخلق كلهم عبيده يسخرهم فيما يشاء، والسموات والأرض تحت حكمه يفعل فيهما ما يريد، والله في خلقه قوانين لا يعرفها كثير من الناس؛ فمن ظن أنه لا يرق إلا بالأسباب كما هو حال العامة لم يرزق إلا بالأسباب، وهؤلاء هم الذين أمروا «أن يتشروا في الأرض ويبتغوا من فضل الله وأن يمشوا في مناكبها ويأكلوا من رزقه» ومن سقطت الأسباب من نظره وغلب عليه الركون الى الله والثقة بالله، كان من الفريق الثاني الذي يرزقه الله من حيث لا يحتسب لأنه بلغ من اليقين ما تنفعل به الأشياء. ولنقل بتوسع — وما أجدر هذا المقام بالتوسع — إن الله قوانين كثيرة والناس يجهلون بها تمام الجهل؛ أما المسلمون فقد جهلوا اليوم قوانين الله الدنيوية والديوية والروحانية والجنائية؛ وأما الأوربيون فقد جهلوا قوانينه الروحية والدينية وإن كانوا أعم الخلق بقوانينه الدنيوية، لأن القوانين الروحية لا تؤخذ إلا

عن الأنبياء والمرسلين في مثل قوله تعالى : (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) وقوله : (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) . ولعل قائل يقول : نرى كثيراً من الناس يدعون فلا يستجاب لهم ، ونرى من المشاهدات أن الذي لا يأخذ في الأسباب ولا يتعاطاها لا يصل إلى المصائب ؛ فهل فيما يقول النبي صلى الله عليه وسلم خلف ؟ وهل فيما يقول الله تعالى ريب ؟ كلا أمر الله لا ينحرم ، ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم لا يتخلف ؛ ولكن هذه الأسباب الروحانية غير المعروفة مشروطة بشروط لم نحققها تمام التحقيق ولو حققناها بشروطها لترتبت عليها غاياتها ؛ فضعيف اليقين لا يمكن أن يرقى إلا بالأسباب ولا يصل إلى شيء إلا بوسائله المعروفة وربما عمل أسباباً كثيرة فشتتها الله له ففشلت ولم تنجح ؛ فالأروبي مثلاً ومن على شاكلته إذا قال إن الذي لا يعمل كذا لا يحصل له كذا ويعد حديث التوكل والتقوى من الخرافات معذور فيما يقول لأن الأسباب الروحانية كما قررنا مشروطة بشروط وهم لا يعرفونها ، ورادم رسوخاً فيما يستقدون أنهم نظروا في أهل لا أسباب فوجدوه متفاوتين على حسب تفاوتهم في إتقانها والتفنن فيها ، فكل من كان أعظم إتقاناً للأسباب وأشد تعاقباً كان أقرب إلى تحصيل نتائجها ، وكل من كان أعظم تفريطاً في الأسباب كان بعيداً عن تحصيل الغايات منها « والامداد على قدر الاستعداد » فأولئك هم أرباب الأسباب حقيقة ولو تركوها لما توا « أنا عند ظن عبدي بي إن خيراً خيراً وإن شراً شراً » ، ثم نظروا من جهة أخرى فوجدوا أهل البطالة من هذا الفريق الذي يجب عليه تعاطي الأسباب ولا عيش له إلا بها ، نظروا إليهم فوجدوه من أسوأ الناس حالاً وأنكد هم عيشاً ، ولم يعلموا أن هناك قوماً آخرين ليسوا من هؤلاء ولكن لهم شرط صعب المركب ، وهو أنه لا بد أن يبلغوا من اليقين كما قلنا إلى درجة يسقط معها في نظرهم كل شيء . إلا الله تعالى ، فهؤلاء بمقتضى ذلك اليقين التام يجوز أن تنخرق لهم الأسباب فيسخر الله لهم الخلائق ويسهل لهم الأمور من حيث لا يحتسبون ولا يدبرون ، فإن الأسباب لا تحكم على الله

تعالى، بل هو الخاكم عليها وإنما هي ناموس من نواميسه عز وجل ومظهر من مظاهر قدرته وإبداعه الحكيم وتصرفه الواسع، فאלله تعالى يفعل في الأسباب والنتائج ما يشاء.

فالمسألة بالنسبة للخاصة هي أنه يجوز أن يحرق لهم العادات وبالنسبة له تعالى هي أنه يفعل ما يشاء؛ وقد قيل لبعضهم إن بعض الأولياء مشى على الماء فقل لو ازداد يقينا لنشى على الهواء، وسر هذا هي مسألة اليقين الصحيح وقوته. وكانت بعض الصالحين يقول كانت تختلف أحوالي جئت مرة الى الماء فحدثني نفسي أن أسير عليه فقلت في نفسي أتمكن أن أسير على الماء أم لا؟ فوضعت رجلي فكادت أغرق، والسبب في ذلك واضح لأن الشك داخل نفسه ومتى داخله الشك زال اليقين؛ وإن القاري الكريم ليعرف من معجزات الأنبياء ما هو أكثر من هذا وأعظم، وهذه للقوانين لا يصدقها السادي ولا يقول بها، ويعجب كيف ينبغي على هذه الاعتقادات الغيات العجيبة ولا يمكن أن يفهمها، لأنها كما قلنا لا تتلقى إلا عن الأنبياء؛ وهؤلاء الخاصة أرباب هذا النقام لهم حكم خاص لا يخاطب به العامة لأنهم لا يعرفونه أو لا يقدرُونَ عليه وإن كان ثابتاً في نفس الأمر تابعاً لناموس آخر مجهول لدى السواد الأعظم، ولا داعي لأن نتوسع أكثر من هذا.

«تكميل يقتضيه المقام»

ذكر كثير من المفسرين في سبب زول الآية، أن عوف بن مالك أسر المشركون إبناً له فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال أسر بني وشكا إليه الفاقة؛ فقال له: إتق الله واصبر وأكثِر من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله». فصاد الى بيته وقال لاسرائيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني وإياك أن تستكثر من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله»، فقالت «نعم ما أمرنا به»، فجعل يقولان ذلك فبينما هو في بيته إذ فرغ ابنه البلب ومعه سرح من الغنم غفل عنه العدو فاستاقه؛ فنزلت هذه الآية.

هذا : ولهم عبارات في تفسير التقوى ، فقال بعضهم : هي ألا يراك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك ؛ وقال آخري التبري من الحول والقوة . وقال غيره : هي التزهد عن كل ما يشغل السر عن الحق حتى قال قائلهم :

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهواً حكمت بردي
وهذه المرتبة أو ما يقرب منها هي التي قال فيها القائل :

خل الذنوب كبيرها وصغيرها فهو التقى
واصنع كمش فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى
لأنحقرت صغيرة إن الجبال من الحصى

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذاراً بما به بأس » أخرجه الترمذي ، ولعل هذه المرتبة هي التي تراد من الآية وإلا فالتقوى من الوقاية وهي مراتب باعتبار ما يتق من المضار فهي متفاوتة تفاوت الأضرار التي تنقيا ، ولذلك تراهم في بعض المقامات يقسمونها إلى درجات ثلاث : التوقي عن الشرك وهي لعامة المؤمنين ، والتوقي عن الكبائر (ومنها الإصرار على الصغائر) وهو لصالح المؤمنين ، والدرجة الثالثة وهي المرتبة العليا وهي ما سبق الكلام فيها ، وقد أشير إليها حديث الترمذي الذي ذكرناه ، ولعل هذه المرتبة هي التي ينبغي أن نفهم بها الآية الشريفة كما قلنا ، ولنتقف هنا فقد طال لنا الكلام .

أسأل الله أن يجعلنا من أهل البصر في الدين ، وأن يرزقنا التوكل عليه والاعتناء إليه بجنه وكرمه .

يوسف الدجوي

من هيئة كبار العلماء بالأزهر

نفسير

قصة سيدنا شعيب عليه السلام

٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى في كتابه العزيز : (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجْمِينَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
يُرْسِلُونَا) وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِينَ . كَأَن لَّمْ يَفْنَوْا
فِيهَا إِلَّا بُعْدًا لِّلَّذِينَ كَمَا بَعِدَتِ كُفُودُ .

أرسل الله ذو الفضل العظيم رسوله الحكيم حطيب الأنبياء سيدنا شعيبا عليه
السلام ، وجعله على بينة منه ورزقه من لدنه رزقا حسنا ، فجاء قومه مبليا لما أمروه به
ربه لا يريد منهم جزاء ولا شكورا ، بل لا يريد إلا إصلاحهم ما استطاع اليه سبيلا ،
محتسبا أجره على الله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا ، مستمدا منه تعالى التوفيق
والسداد لما كلفه إياه ، متوكلا عليه في جميع أموره ما قدر عليها وما تجزأ عنها ، متبيا إليه
في كل شؤونه راجعا اليه فيها بالفعل لا بالقول وقت أمته وسلامته ، كما هو شأن عباده
المصطفين الأخيار .

جاءهم عليه السلام فأنار لهم المعجزة وأقام وجوههم لها ، ونصب لهم الدلائل على
صحة دعوته ، وبين لهم حسن عاقبتها إذا استقاموا عليها ، وحذرهم سوء مصيرهم إذا هم
أعرضوا عنها وتكبروها ؛ كل ذلك مع الجدية والمثابرة على الوعظ ، والاخلاص في النصيح
وبذل توسع في التعليم والبيان ، واللين والرفق والتبشير نارة ، والحزم والتهديد
والتخويف نارة أخرى .

لكن القوم قد أبوا إلا أن يتبعوا خطوات من قبلهم من الأمم التي عنت عن أمر ربها ورسله ، بعد أن علموا أن ربها قد حاسبها حساباً شديداً وعذبها عذاباً نكراً فذاقت وبأل أمرها وكان عاقبة أمرها خُسرًا .

لهذا كان من المحتم في سنة الله التي قد خلت في عباده أن تكون عاقبة أهل مدين كعاقبة تلك الأمم السالفة التي كانوا على آثارها مفتدين ، و (حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ) . وهذا كما قال عز ساطانه : (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا) الآيات .

أى لما نزل بأهل مدين عذابنا الذي قضينا به عليهم جزاء لهم على عصيانهم ، وقد أنبأهم به رسولنا شعيب عليه السلام وأمرهم بانتظار وقته في قوله لهم : (سَوْفَ نَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ) . لما وقع ذلك (نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا) .

فأما رحمة سبحانه التي بسببها نجَّى شعيبا عليه السلام ، فهي إنعامه عليه بنعمة الايمان الاكل ايمان الانبياء والمرسلين ، وباصطفائه سبحانه له ليكون في زمرة من خصَّهم بالنبوة والرسالة هداة للناس مبشرين ومنذرين ، وأما رحمة تعالى بالذين آمنوا من قومه فهي تفضله عليهم بالتوفيق حتى فقهوا عنه عليه السلام كل ما قاله لا بعضه فلم يقولوا له كما قال قومهم . (يَا شُعَيْبُ مَا نَفَعُهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ) . بل استجابوا له استجابة (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ . أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ . وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا^(١) الْأَلْبَابِ) .

إن تجية الله عز وجل لسيدنا شعيب والذين آمنوا معه سنة له سبحانه ، كتبها على نفسه لرسوله والمؤمنين بهم (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَأَن يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ

(١) كما رسم للمصنف الامام .

نَبْدِيلاً) . وقد أخبرنا سبحانه بأن سنته هي نصر الحق وأهله على الباطل، وأشياعه في آيات كثيرة من القرآن المجيد؛ فيها قوله تعالى: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ لِأَشْهَدُ ^(١)) وقوله: (ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ ^(٢) الْمُؤْمِنِينَ) وقوله: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) وقوله: (حَتَّى إِذَا اسْتَيْشَسَ ^(٣) الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ^(٤) جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُصِّرِيهِمْ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) .

إن المتدبر في الآيات التي نحن بصدد تفسيرها كالآيات التي تلوناها يتضح له غاية الوضوح أن العقاب الذي يصيبه الله الحكم العدل على الأمم إنما يكون بعد أن يبلغ الرسل في الوعظ والهداية والإنذار والإعذار الغاية، كما أنه كذلك لا يكون إلا بعد أن تصل الأمم في العناد والاستكبار والتمرد وصنوف الفسوق والجحود النهاية .

ألم تر ما قصه الله تعالى في شأن قوم نوح عليه السلام: (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا . فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا . وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي ءَادَانِهِمْ وَاسْتَفْسَحُوا يَابَهُمْ وَأَصْرُوا ^(١) وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا . ثُمَّ إِنِّي أَعلنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا . فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) الآيات .

هكذا كان شأنه عليه السلام معهم وشأنهم معه، يرجو لهم أن يستمعوا له ويستجيبوا، وتحدثه نفسه أنهم عسى أن يهتدوا ويؤمنوا، ثم هم يقابلون رجاءه وحديث نفسه بالاستكفاف والاعراض والتكذيب، وهكذا دواليك ^(٢)، أمل منه ورجاء،

(١) جمع شاهد كصاحب وأصحاب . أو شهيد كشرع وأشراف . أى يشهدون يوم القيامة أن الرسل قد بلغوا وأن أممهم قد كذبوا . (٢) يتحدث الباء فيما تطلق في رسم المصحف الامام . (٣) كذا رسم المصحف الامام . أى صاروا في يأس من إيمان أقوامهم . (٤) أى حديثهم أنفسهم بأنها ترجو إيمان أقوامهم لكنه لم يتحقق بعد . وسيأتي بطل الكلام في ذلك . (٥) أى تداولوا وتكراروا واستمراراً .

وكفر منهم وإيابه، حتى نأس من إيمانهم ونقطع حبل الرجاء من اهتدائهم؛ فكان من المصلحة العاجلة لالحق وأهله أن يدعو الله ليظهر الأرض من رجسهم وطفائهم وانتشار الفساد وتأصله فيها بيقائهم. وهذا هو ما قصه الله تعالى عن نوح عليه السلام في قوله: (فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَحْجُوتٌ ^(١) وَازْدُجِرَ ^(٢) . قَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرُ ^(٣)) وقوله: (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا ^(٤) . إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) .

قد علمت مما بسطناه لك في قصص سيدنا شعيب، وكذا مما ذكرناه لك الآن في قصص سيدنا نوح، أنهما معا عليهما السلام كانا يرجوان لقومهما الخير والهداية؛ ولكنهما ليس في قدرتهما أن يهديا من أحبباً، فان ذلك إماماً هو الى الله القدير الذي يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم . أما الرسل عليهم الصلاة والسلام فانه ما من رسول منهم إلا وقد كانت تحذنه نفسه الطيبة الزكية لعظم شغفها بهداية العباد أن قومه عسى أن يستموا له ويؤمنوا به ويدعوا لدعوته الصادقة الملويدة بالذلائل والبيّنات، ولهد صبروا وصابروا وثابروا على مواصلة التبليغ والتعليم والنصح والوعظ، حتى إذا صاروا في يأس من قبول دعوته وإيمان قومهم وأدركوا أن ما كانت تحذشهم به أنفسهم من لرجاء والأمل في اهتداء أقوامهم لم يتحقق، جاءهم نصر الله الذي كتبه لهم ووعدهم إياه فتجاءم والمؤمنين بهم . و (حَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) .

كان من تلك الرسل وهؤلاء الأئمة سيدنا شعيب عليه السلام وأمثه، بلغهم رسالات ربه ونصح لهم ولكنهم كانوا عنها عمين ^(١)، حقت عليهم كلمة ربه؛ كما قال

(١) وحرره قومه واتهموه ليكف عن تبليغهم . (٢) فانتقم ل الله . (٣) أحسداً من قومي الكافرين . (٤) جمع عم أي أعمى من لهدى .

سبحانه : (وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَنِينَ كَانُوا لَمْ يَفْنَوْا فِيهَا . أَلَا بَعْدَ لَمَدَيْنَ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودُ) .

ثم إن الأخذ هو تناول الشيء وحيازته ، وهو يحصل بكيفيات مختلفة ؛ فمما أن يكون على وجه القوة والتغلب والقهر ، ولهذا حسن جداً ذكر النوم بعد السَّنة في تنزيه الله سبحانه عن صفات المخلوقين في قوله : (لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ) على معنى أنه لا تتغلب عليه سبحانه القوة التي هي مبدأ النوم ، بل ولا النوم الذي هو الموت الأصغر .

هذا المعنى الذي ذكرناه للأخذ هو المراد في الآية هنا ؛ فعلى هذا يكون أخذ الصيعة لهم عبارة عن أنها تناولتهم تناولاً أليماً وقسرتهم قسراً لم تقم لهم بعده قائمة ، كما قال عز وجل : (فَاصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَنِينَ كَانُوا لَمْ يَفْنَوْا فِيهَا) عبر الله سبحانه عن أهل مدين بقوله : (وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ) ولم يقل : (وَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْغَةَ) مع أن سياق القصة صالح له ، ولكن بلاغة القرآن العظيم قد اقتضت التعبير عنهم بهذا اللفظ الشنيع لحكمتين جليلتين : الأولى وصفهم بهذا الوصف الذميم وصف الظالم وأنهم قوم سجلوا على أنفسهم الحق والسَّعة بوضعهم الشيء في غير موضعه ، فأحلوا الباطل محل الحق ، والضلال محل الهدى ، والحق محل الرشده ؛ ولا ريب أن هذا أقبح ما يكسبه الإنسان على نفسه بسوء اختياره وخش تصرفه . والثانية بيان أن ما حاق بهم من التعذيب والتدمير حتى صاروا أحاديث لمن بعدهم ، إنما هو أثر لازم لما ظلموا به أنفسهم من الفجور والفساد في الأرض وفنون العكس والمعاصي ، وهذا استحقاق أن يكونوا في زمرة من قال الله جل ثناؤه فيهم : (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ . وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)

ثم اعلم أن أهل مدين وأصحاب^(١) الأيكة هما أمة^(٢) واحدة هي أمة شعيب عليه السلام، أضافها الله تعالى صرة إلى قبيلتها مدين لأنها من ذريتها، وصرة إلى الأيكة لأنهم كانوا يبدونها^(٣) أو يقطنون^(٤) في مكانها؛ فإذا أضافها إلى مدين كان من المستحسن أن يوصف شعيب عليه السلام بأنه أخوهم لأنه كما سبق من قبيلة مدين، أما إذا أضافها إلى الأيكة فإنه لا يحسن أن يوصف عليه السلام بأنه أخوهم؛ ووجه^(٥) ذلك أن لا يكة ابن كانت معبودا لهم فإنه يتنزه سيدنا شعيب عليه السلام أن يوصف بأخوة هؤلاء الجيلة الوثنيين الذين يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفنى عنهم شيئا؛ وإن كانت^(٦) مكانا في بادية بلادهم فكذلك لا يجوز وصفه بأخوته لهم، لأنه من المعلوم أن الله جل ذكره إنما يصطفى رسوله الكريم من عليّة^(٧) القوم ومن أزكاهم نسباً وأطهرهم حسبا وأعلام منزلة وأجلهم قدراً ومكانة وأحسنهم خلقاً وأكملهم فضلاً ولا مرأ أن هذه الفضائل لن تكون لأهل البوادي لرحل أهل اللدر والوير والجفاء والنائظة، بل كما قال الله تعالى فيهم: (أَلْعَرَبُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .^(٨)

إذا تمهد لك أنهما أمة واحدة فاعلم أن المقاب لنرى استحقاق أهل مدين بسوء أعمالهم قدسية الله تعالى بثلاثة أسماء: الأول الصيحة كما في الآيات التي فسرناها، والصيحة هي الصرخة بأقصى طاقة الصارخ، فهي الصوت الشديد للسكر تهلع منه القلوب وتقرع له النفوس والثاني الرجفة كما في سورة الأعراف والمنكسبات، والرجفة هي شدة اضطراب الشيء وزلزالته وعنف حركته ذهاباً ومجيئاً . والثالث الظلة

(١) واحدة الأيكة وهو الشعر الملتف بعنقه على بعض . ويطلق أيب على المكان الذي ينبت فيه ذلك الشجر من أرض البادية . وكان يسكنه بعض أهل مدين . (٢) قاله الحافظ ابن كثير في تاريخه والامام ابن جرير في تفسيره . (٣) قاله الحافظ ابن كثير في تاريخه . (٤) قاله غيره . (٥) مأخوذ من كلام الحافظ ابن كثير في التاريخ . (٦) لم أر هذا التوجيه لغيري ولعله سوابق إن شاء الله تعالى . (٧) وجوههم وأشرفهم . (٨) بهذا تلمّض قول من قال أن أهل مدين وأصحاب الأيكة أمتان مستتلا يذكر الأخوة مع الأولى دون الثانية .

كما في سورة الشعراء ، والظلة السحاب ، وأكثر ما نستعمل في السحاب الذي يُكره ولا نُحمد عاقبته .

ثم إن لكل اسم من هذه الأسماء الثلاثة حكمةً بلاغيةً فائقةً اقتضت التعبير به عن العقاب الذي نزل بأهل مدن ، فأما حكمة التعبير بالصيحة فهي أن الله عز وجل قص علينا في سورة هود هذه أنهم قالوا لنبي الله شعيب عليه السلام على سبيل التهمك والاستهزاء والتنقص : (أَصَلَوْنُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَايِمُ الرَّشِيدُ) .

فناسب أن يذكر الصيحة التي هي كالزجر عن تعاطي هذا الكلام الفحيح الذي واجهوا به هذا الرسول الكريم الفصيح ، فجاءتهم صيحة أسكتهم مع رجفة أسكنهم . وأما حكمة التسمية بالرجفة فهي أنهم أرجفوا نبي الله وأصحابه وتوعدوهم بالخراج من قريتهم أو ليعودن في ملتهم راجعين ، فقال تعالى : (فَأَخَذْنَاهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) . فقابل الأرجاف بالرجفة والاختافة بالخيفة ، وهذا مناسب لهذا السياق ، ومتعلق بما تقدمه من السياق .

وأما حكمة التسمية بالظلة فهي أن الله عز شأنه قد أجابهم لى ما طلبوا وأسعفهم بما فيه رغبوا ، فانهم قالوا لرسولهم الأرجيع عقلا والأصدق قولاً : (إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَفَّرِينَ . وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ) فَأَقْطَعْنَا عَلَيْهِمْ^(١) مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . قَالَ رَبِّيَ أَعْمَى بِمَا تَعْمَلُونَ) . فقال الله تعالى وهو السميع لما قالوا العليم بما فعلوا واقترحوا : (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ . إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) .

ثم إنه سبحانه أخبرنا بما آل إليه أمر القوم بعد أن أخذتهم الصيحة فقال :

(١) حكمة كفة . ومراهم بها قطعة من السحاب تطهرهم العذاب استهزاء وتهكم برسولهم الجليل .

(فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَبْشِينَ) الإصباح هو الوجود والصيرورة في وقت الصباح ، كما أن الإمساء والإظهار والإشراق كذلك في أوقات المساء والظهر والشروق . والدار لها معان ، فتطلق على المنزل المشتمل على حُجْرٍ مبنية ، وتطلق على البلد المشتمل على المنازل ، وتطلق على الجهة والناحية والمقر من الأرض . والجُثوم هو التصاق الطائر مثلاً بالأرض وملازمته لمكانه لا يَرَحُّه ولا يفارقه .

والمعنى أن الله المنتقم العدل أرسل عليهم الصيحة فلبسهم قوام وخطفَتْ أرواحهم وصعقهم نفراً واحصيماً أخامدين ، وصاروا في ديارهم وقت الصباح لاصقين بها لا ينفكون عنها ولا يبرحون (فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ) . (إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنْ رَمَتْهُمُ الْمَرِيضَةُ الرَّحِيمُ) .

كان وقت الصباح هو الوقت الذي أخذت فيه الصيحة أهل مدين ، وهو أحد الأوقات التي إذا أراد الله بقوم سوءاً أنزله عليهم فيها ؛ فنها وقت الصباح كما عرفت وهو وقت الشروق أيضاً ، ومنه قوله تعالى في شأن لوط عليه السلام : (إِنْ مَوْعِدُهُمْ الصُّبْحُ) (وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ ^(١)) (فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ) . وفي شأن أهل الحجر ^(٢) (فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ) ومن تلك الأوقات أيضاً وقت الليل ووقت القيولة (وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ فَارِتُونَ ^(٣)) . ومنها وقت الضحى (أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ . أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا نَحْمِي وَهُمْ يَلْمِزُونَ) . ومنها وقت اشتغالهم بأمور ديارهم وانهماكهم في لذائذهم وشهواتهم وهم آمنون ، وعما سيحقيق بهم عافلون (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ ^(٤)) فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ . أَوْ

(١) دائم متصل بعذاب الآخرة . (٢) هم ثمود قوم صالح عليه السلام . (٣) فارتلون وقت القيولة أي وقت الاستراحة بالظلمة . (٤) اسارهم وترددهم في مراوغة أعمالهم .

يَأْخُذُكُمْ عَلَى نَخْوَفٍ^(١) فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ . وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَائَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مَشْيًا وَلَا يَرْجِعُونَ) .

إن الحكمة الإلهية البالغة في معاقبة الأمم الفاسقة في هذه الأوقات واضحة لا تخفى على أولى الأبواب فإن هذه الأوقات منها ما هو أوقات سكون واطمئنان وراحة وتمتع باللذائذ الفاتنة الغانية كوقت البيات والقبولة، ومنها ما هو وقت التسابق والتراحم والتنافس في اقتناء حطام الحياة الدنيا والتكاثر في أموالها وأولادها والتفاخر بين الناس أيهم أكثر مالا وأعز نفرا .

ومن البديهة أن مداومة المصائب للقوم وم في كثرة ساهون ، وأن أخذ المذاب لهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ومن فوقهم ومن تحتههم وم في خوضهم يلبعون متقلبين في أوقات الرخ والكسب والفرح والفرح والرفاهية والتمتع والطبابة والأمن كل ذلك أشع وأشنع ، وآلم وأوجع ، وأدهى وأمر . (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَثُورَ) .

قدمنا لك أن لفظ (الدار) له عدة معان ، فكن على ذكر منها ؛ ثم نقول : قد جرت سنة الله تبارك اسمه في القرآن الكريم أنه إذا عبر في عقاب الأمم بالصيحة جمع لفظ الدار فقال : (وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ فَاصْبُحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِمِينَ) . وإذا عبر بالرجفة أفردا فقال : (فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ فَاصْبُحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِمِينَ) . وهذا أسلوب من أساليب البلاغة العليا التي استأثر بها القرآن العظيم ، سبق بها كل سابق ، ولن يلحق أثره فيها لاحق ، ولا غرور فللقرآن الجيد للنزل الأعلى : (تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) .

(١) خوف أن يرسلهم عذاب مماثل لعذاب الذي نزل بالأمم من قبلهم أي أنهم خائفون من ذلك ولكم لا يعرفون عن عصيائهم .

أما السر في الجمع اذا عبر بالصيحة فهو أن الصيحة زلت بالقوم أنفسهم فحدثت أجسامهم على الأرض تجديلا ، وجزعهم في مواضعهم فزموها لا أنفاس لهم ولا حرارة ، فكانوا هم فرصة الصيحة وموطن إهلاكها ومهبط تدميرها ؛ أما ديارهم التي هي منازلهم وبيوتهم التي يسكنونها فانها لا تزال قائمة شاخصة على حالها وعددها وصفاتها قبل الصيحة ، لكن الصيحة لم تكن هي كل المذاب الذي حكم الله تعالى به عليهم بل هي بعض منه ، وبعضه الآخر هو الرجفة التي تدك الأرض دكا ، وتشق منها الأرض وتخر الجبال هدا ، فهي التي تجعل الديار (بمعنى المنازل) أثرا بمد عين ، بل تحرقها حرقا وتصيرها قلعا صفصفا ، فلا يبقى بعد تدمير المنازل إلا الأرض التي كانت تقوم عليها وهي موضع واحد هو محلة القوم ومقر بيوتهم .

بجمله القول أن الصيحة اذا عبر بها لوحظ أن تأثيرها في القوم أنفسهم لا في ديارهم أي منازلهم فذلك جهت لأنهم باقية على حالها ؛ أما الرجفة فان الديار (بمعنى المنازل) لا تكون باقية معها ، وإنما الباقي هو الدار (بمعنى الأرض والمقر الذي فيه أبنية القوم) . وهو شيء واحد لا تعدد فيه كالبيوت ؛ فلهذا أفرد لفظ الدار ولم يجمع .^(١)

ثم إن الله عز وجل بين بعد ذلك وقع هذا المذاب بأهل مدين وعظم محقه لهم فقال : (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) أي أن من رأى أرض مدين بعد أن أخذتهم الصيحة يظن أنهم لم يكونوا مقيدين بها عائشين مترددين فيها من أولين أعمالهم عمارين شؤونهم متممين مترقين بما كانوا فيه من الخير والنعمة .

ثم ختم الله سبحانه قصصهم بالدعاء عليهم فقال : (أَلَا بُعْدَ لَهَٰذَيْنِ كَمَا بَدَأْتَ تَبَدُّوْا) . صدر الدعاء عليهم بكلمة (أَلَا) تنبيها واستعزاء ، للأسماع ليعلم الناس خطرا ما سيق عليهم من الكلام وجلال قدره ، والبعد هنا كالبعد هو الهلاك والدمار ، دعا عليهم

(١) لم أر هذا التوجيه لأحد . لكنه يكون حروبا بتوفيق الله تعالى .

بالهلاك مع كونه جلت حكمته قد أهلكهم أي إهلاك ودمرهم أي تدمير، تسجيلا عليهم ونأكيدا بأنهم مستحقون لما حل بهم من هذا الهلاك مستوجبون لما حاق بهم من ذلك العقاب والفناء، فبعد ألهم وسحقا غير محزون ولا مأسوف عليهم؛ كما حكى الله تعالى ذلك عن رسولهم بعد هلاكهم في قوله سبحانه: (فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ: إِنِّي أَنذَرْتُكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لِقَاءِ رَبِّكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ ظَالِمِينَ) (١) (٢) على قوم كفيرين). ثم إنه عز شأنه شبه هلاكهم المدعوبه عليهم هلاك ثمود، لأنه (٣) سبحانه لم يعذب أمتين بعذاب واحد إلا قوم شعيب وقوم صالح عليهما السلام.

عذب كلا منهما بالصيحة والرجفة، فذكر الصيحة في سورة هود عليه السلام. وذكر الرجفة في سورة الأعراف.

وخلاصة القصة أن الله جلت نعمته وعظمته نعمته تفضل فأرسل إلى أهل مدين رسولا منهم مؤيدا بالآيات اليبينات فبلغهم ما أمرو به، وبشرهم وأنذروهم ورغبهم ورمهم فاستكبروا وكذبوا وتوعدوا وتهددوا، فإق باق بهم سينات ما عملوا، ونجى الله تعالى رسوله والذين آمنوا معه.

وتلك هي سنة الله العزيز الحكيم التي كتبها على نفسه إذ يقول: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَأَشْنَا (١) لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ. وَإِنَّ جَبَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ. فَتَوَلَّى عَنْهُمْ إِلَى حِينٍ. وَأَبْصَرْتُمْ (٢) فَسَوْفَ يَصْطَرُونَ. أَفَمِئذِنَا يَنْتَعِبُونَ. فَلَمَّا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ. وَتَوَلَّى عَنْهُمْ إِلَى حِينٍ. وَأَبْصَرْتُمْ فَسَوْفَ يَصْطَرُونَ. سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

(١) أحزن. (٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. (٣) هي قوله تعالى هذا إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون. وقوله: (كتب الله لأعلى وأرسل). (٤) وجه إصاارهم وحولها ما سبق من العذاب فانه قريب.

قد كل ما وفقنا الله تعالى له من تفسير قصص سيدنا شعيب عليه السلام مع
قومه ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وصلى الله
وسلم على سيدنا محمد وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

حسبه منصور

وكيل دار العلوم العليا سابقا

الظرف والملمح

[كل ما ينشر تحت هذا العنوان فهو في مختارات فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور]

وصى بعض العلماء فقال :

لا يحملنك مآثرى من إقبال النعمة على الجاهل على الرغبة في الجهل ، ولا
ادبارها عن العالم على الرغبة عن العلم ؛ فإن إقبالها على الجاهل اتفاق ، وإقبالها على العالم
استحقاق ^(١) وليس مستحق النعمة ومستورجها حكاملها بدون استحقاق .



من وصية لبعض الحكماء . قال :

أطلب في الحياة العلم والمال تحز الرئاسة على الناس ، لأنهم بين خاص وعام ؛ فالخاصة
تفضلك بالعلم ، والعامة تفضلك بالمال ، والتمس الرفعة بالتواضع والشرف بالدين .

(١) حتى ثابت له لأنه أهل وجدير به وإن حرم منه لما قد يزول .

إيمانه بها وزغبه أيمًا ترغيب في الحرص على العمل بها، وتبلاً نفسه للطمئنة حسن اعتماد وتوكل، ووثوق بوعد الله الذي لا يخاف وعده . هاتان الوصيتان هما أنَّ مَصْدَرَ النِّفْعِ والفَرْ في الحقيقة إنما هو الله عز وجل، وهما اللتان تضمنهما الاسمُان الجليلان (الضارُّ النافع) من أسمائه تعالى الحسنى .

لا جدال في أن ابن عباس رضي الله عنهما قد عَلِمَ السَّبَبَ فيما تضمنته الوصيتان المذكورتان، وفقه تمامَ الفقه منشأ كونِ النفع والضرر إنما هو بيد الله وحده؛ وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام قد علَّمه في الوصايا الأربع الأولى أنَّ حفظَ الله تعالى وكَلَامَهُ له، وأنَّ قُرْبَهُ سبحانه منه كأنه تحاَّه، وأنَّ استحبابَهُ له إذا سألَه بقوله أو عمله، وأنَّ إِيَّائِهِ وإِسْعَافَهُ له إذا استعانَ به؛ كُلُّ ذلك معاملةٌ حَسَنَةٌ نافعةٌ مَخْتَصَةٌ بالله تعالى لا يقدر عليها سواه، فيعامل بها ابن عباس إذا عمِلَ بما علَّمه الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم إنه بضدِّها تميَّز الأشياء، فيكون الضُّرُّ بدلاً من النفع، والضَّرُّ عوضاً عن الخير، إنَّ قَرِطَ في هذه الوصايا مُفَرِّطٌ، أو أَعْرَضَ عنها مُعَرِّضٌ؛ فكما أن عاقبة النفع الطيبة مَخْتَصَةٌ بالله تعالى لأنها ثمرة طاعة أمره، كذلك عاقبة الضَّرِّ المكروهة مَخْتَصَةٌ به لأنها نتيجة عصيان أو أمره والوقوع في منيائه .

وبعد فإنا نقول لك الآن كما قلنا من قبل : لو حفظ المسلمون حدودَ ما أنزل الله على رسوله فَحَرَّصُوا عليها جهدهم واستقاموا على صراطها المستقيم، ولو سألوه حق السؤال كما شرعه لهم فأقاموا وجوههم إليه بالسفهم مُترجمةً عن نفوس ضارعة وقلوب حاضرة خاشعة، وبأعمالهم المؤسسة على أُسُسٍ ثابتة وقواعد صحيحة، ولو استعانوه جل وعلا كما يجب أن يستعان، فتوسلوا فيما يجلب إليهم النفع ويدفع عنهم الضرر بالوسائل الصحيحة المشروعة، معتمدين مع ذلك في كل شؤونهم على إِيَّائِهِ له، لو فعل المسلمون كل ذلك لحفظهم الله تعالى مما يضرهم، وَلَقَرَّبَتْ منهم رَحْمَتَهُ ومَمَوْنَتَهُ، ولاستجاب لهم

ما سألوه، ولا عامهم فيما استعانوه؛ أما إذا فعلوا ضد ذلك فإن العاقبة تكون ضد العاقبة،
والمآل يكون عكس المآل (جَزَاءٌ وَفَاءٌ). (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ مُضْلَمًا لِلْعِبَادِ).
فمن هذا يتبين لك أن وصول المنافع إلى العبد إنما سببه الوسائل التي قضى الله
أن العبد إذا قام بها فاز بالرفع، وأن حصول المضار له إنما منشأه تفريطه فيها وسأوكه
سبيلا غير سبيلها؛ وعلى ذلك يكون مَصْدَرُ كُلِّ نَفْعٍ وَضَرُّ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الَّذِي
لَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا، فهو جل وعلا الذي كتب لعباده النفع والضرر والخير والشر
والمعاده والشقاء.

كذلك يبين لك أن الأمة لو اجتمعت على أن تنفع فلانا أو تضره، فلهما لن
نستطيع أن ننفعه أو نضره إلا بشيء. قد كتبه الله العظيم الحكيم في علمه أزلا؛ أما تلك
الأمة التي اجتمعت على أن تنفع أو تضر، فإنما هي مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ أَقْضِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى
وَأَحْكَامِهِ الْأَزَلِيَّةِ، ووسيلة من الوسائل التي أجزى على طَبَقِهَا شُرُوءَهُ فِي خَلْقِهِ
وَتَصَرُّفَاتِهِ فِيهِمْ: (فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَآكُوتَ كُلِّ نَفْتٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).
بعد ذلك ختم صلى الله عليه وسلم وصاياه الجليلة لابن عباس رضى الله عنهما بهذه
الوصية السابعة، وهي قوله: (جَعَلْتُ الْأَقْلَامَ وَطَوَيْتِ الصُّفْهَ). لماعبر صلوات
الله وسلامه عليه في الوصيتين السابقتين بالكتابة، قضت البلاغة النبوية التي أُعْطِيَ
صاحبها صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، أن يعبر في هذه الوصية بالأقلام وجفافها
والمصحف وطيبها، وهذا كناية عن أن أقضية الله تعالى الأزلية وأحكامه التي حكم بها
في علمه القديم، أقضية مسجلة وأحكام ثابتة لا يعترها تغيير ولا يمتسها تحويل؛ كما قال
سبحانه: (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).
ثم نقول: إن من جملة كلمات الله تعالى التي تمت صدقا وعدلا ولا تبدل لها، ما جاء
في قوله عز وجل: (يَتَحَوَّنَ^(١) اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ). فاعلم أولا

(١) هكذا رسم للمصحف الامام.

أن محو الشيء هو إدهابه وإزالته ، وأن الله تعالى لا يشاء الشيء إلا لحكمة بالغة يحى ذلك الشيء على مقتضاها ، ثم إن تلك الحكمة قد تظهر للعبد وقد تخفى عليه ، فهو سبحانه منزّه كل التنزيه أن يفعل شيئاً ما عبثاً كما قال : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) وأن الكتاب هو القضاء الإلهي المخصوص ، والحكم المعين لدى حكم الله الحكيم به أربلا ، وأن أم ذلك الكتاب أى أصله هي علمه القديم المحيط الذى لا يتبدل ولا يتغير وعلى طبقه كانت كلمات الله ، أى كتبه التى كتبها على خلقه وأحكامه التى حكم بها عليهم هذا العلم المذكور قد استحال شرعاً وعقلاً أن يأتقه بتبدل ما يوجه من الوجوه . أما استحالة تبديله شرعاً فبصرح مثل قوله سبحانه : (أَلَا إِنَّهُ سَكَنَ ثَنِيَّ مُحِيطٌ) وقوله : (وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ) . فلو تبدل علمه تعالى لكان سبب ذلك التبديل ظهور أمر جديد كان خافياً عليه سبحانه من قبل ، مع أنه يقول : (إِنَّهُ سَكَنَ ثَنِيَّ عَلِيمٌ) . ويقولون : (وَفِيهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) . والمثل الأعلى ألا يعزب عن علمه سبحانه شئ من أمور الدنيا والآخرة ؛ وأما استحالته عقلاً من تبديله نقض له ، وهو مستلزم للجهل وعدم الاحاطة بكل الأشياء وجميع لوجوه والصفات والأحوال التى تاتى المحككات والمحددات ؛ وقد أطلقت العقول السليمة على وجوب تنزيه الله الملك الحق وتقديسه ، وعلى أنه له خاصة المثل الأعلى ، وعلى أنه قد أحاط بكل شئ علماً .

إذا كان الشرع والعقل كلاهما قد أجمعا على استحالة تبديل علم الله جل ذكره ، فقد وجب إجماعهما بالضرورة على استحالة تبديل كلماته ، وأفضيته التى قضاهما أربلا على طبق علمه الأزل المحيط الذى لا يتبدل له .

ثم إننا بعد هذا نتفق على ما قررناه لك بكلمة نستين بها معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : (جَبَّتِ الْأَقْلَامُ وَطُوِيََتِ الصُّحُفُ) . ومعنى قول الله جل ثناؤه :

(يَعْبُورُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّتُ وَرَعْدَهُ أَمُّ الْكِتَابِ) . فنقول : قد علمت مما سبق أن الله عز وجل قد علم كل الأشياء أزلا لم يعزب عن علمه شيء مما منها ، وعلى مقتضى هذا العلم المحيط الثابت كُتِبَ كتابه الأزلي وحكم أحكامه القديمة ، فلا تبدل في علمه ولا تحويل في كتابه .

هاك أمثلة تجلي لك هذا . مثال أول : عَلِمَ اللهُ تَقَدَّسَ اسْمُهُ أَرَلَا أَنْ فُلَانًا سَيَسُوءُ اخْتِيَارُهُ فِي وَقْتٍ كَذَا بِمَعْدَنْ أَنْ يَخْلُقَ ، فَيُعْصِي وَيُضِلُّ ، فَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَبْقَى عَلَى هَذَا الْعَصْيَانِ طَوْلَ حَيَاتِهِ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ اللهِ ، وَكُتِبَ عَنْهُ شَقِيئًا دَائِمًا لَا تَبْدِيلَ لِذَلِكَ وَلَا حَوَ ، وَإِنْ عَرِمَ أَنَّهُ سَيَحْسُنُ اخْتِيَارُهُ بِمَعْدَنْ أَنْ سَاءَ ، كُتِبَ عَنْهُ أَرَلَا شَقِيئًا مَدَّةَ إِسَاءَتِهِ ، وَسَعِيدًا مَدَّةَ إِحْسَانِهِ .

فهذا الكتاب أي تلك الكلمة القديمة بطرفيها وهي ذلك الحكم الأزلي بشقيه لا تبدل ولا يحو يلحقه ؛ ثم إذا خُلِقَ فُلَانٌ هَذَا وَجَاءَ الْوَقْتُ الْمَعِينُ الَّذِي يَسُوءُ فِيهِ اخْتِيَارُهُ فَعَصَى رَبَّهُ ، كَانَ شَقِيئًا شَقَاءَ مَوْقِفًا سَبَقَتْ بِهِ كَلِمَةُ اللهِ أَرَلَا وَفَقًا لَعَلِّمِ الْأَزْلَى ؛ ثم إذا انقضى زمن إساءة الاختيار وَأَتَى رَمَنٌ حَسَنُهُ ، عَمَّا اللهُ بِكْرَمِهِ عَنْهُ ذَلِكَ الشَّقَاءُ لِلْمَوْقِفِ الَّذِي كَانَ قَدْ كُتِبَ أَرَلَا ، وَبَدَلَ مِنْهُ السَّعَادَةُ الَّتِي كَانَ قَدْ كُتِبَ أَيْضًا أَرَلَا طَبَقًا لَعَلِّمِ الْأَزْلَى ؛ أَيُّ أَنَّ اللهُ تَعَالَى قَدْ شَاءَ مَحْوَ الشَّقَاءِ الَّذِي كَانَ قَدْ كُتِبَ أَرَلَا كِتَابَةً مُؤَقَّتَةً بِمَعْدَنْ سُوءِ الْاِخْتِيَارِ ، وَأُثْبِتَ بَدَلًا مِنْهُ السَّعَادَةَ الَّتِي كُتِبَ لَهَا أَرَلَا مَتَى حَسُنَ اخْتِيَارُهُ وَاسْتَقَامَ .

فقد ظهر لك من هذا أن كلمة الله وكتابه وقضائه وحكمه ، كُنَايَاتٌ عَبَّرَ اللهُ تَعَالَى بِهَا عَنْ شَوْؤُونِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ أَرَلَا فِي خَلْقِهِ ، وَكُلُّهَا قَدْ شَاءَ اللهُ تَبَاهَا وَلَمْ يَشَأْ مَحْوَهَا ، لِأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْعِلْمِ لَا عَلَى الْوَقْتِ لَا يَقْبَلُ شَيْئًا مِنَ التَّغْيِيرِ وَالْمَحْوِ ؛ أَمَّا مَا شَاءَ اللهُ تَعَالَى مَحْوَهَا وَقَتًا مَاءً وَإِثْبَاتِهَا غَيْرَهَا وَقَتًا آخَرَ ، فَهِيَ الْأَحْوَالُ وَالشَّوْؤُونُ الَّتِي هِيَ صِفَاتُ هَذَا السَّكُونِ وَمَا فِيهِ

بعد وجوده ، فيمحو منها ما يشاء محوّه ويثبت عوضاً عنه ما يشاء إثباته ؛ وكلّ ذلك مظاهرٌ حادثةٌ وصورٌ طارئةٌ جديدةٌ نعلم بها ما سبق أرلّا من كلماته وأحكامه الأزلية الثابتة ، وجميعها على وفق كلمته الأزلية وعلى حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية العليا ؛ فإن كانت الله العلي الحكيم كلها لأصلاح الكون والمعاد في الحيّاتين الأولى والثانية ؛ ومن الواضح أنّ ذلك الإصلاح يختلف باختلاف الأحوال المتغيرة بتغير الأوقات ، كما يختلف علاج المرضى حسب اختلاف أحوالهم اختلافًا تابعاً لاختلاف أوقات مرضهم .

مثال ثان : علم الله تعالى أرلّا أن فلاناً ، إذا وجد في الدنيا في وقت معين ، رضى لنفسه أن يبقى جاهلاً بالعلم العلاني مدة عمره ، أو مدةً محدودةً ؛ ففي الحالة الأولى يكتب الله سبحانه عنده أرلّا أن ذلك العبد يبقى جاهلاً أبداً ، وفي الحالة الثانية يكتبه عنده جاهلاً مدة رضاه لنفسه بالجهل ، وعالمًا متى كره لها الجهل وأحب العلم ونعمه ، ثم بعد وجوده في الدنيا وتعلمه يشاء الله تعالى محو الجهل عنه ويشاء إثبات العلم له ، لأنّه سبحانه حكيم وحكمته تقضى بالصالح والمنافع وترتيب الآثار على مؤثراتها والمسببات على أسبابها التي أعدها لها وذّرأها في الخلق والأكون .

مثال ثالث . علم الله تعالى أرلّا أن عبداً من عباده سيُفَرِّطُ تبعاً لاختياره السيئ بعد وجوده في الدنيا دائماً أو في وقت مخصوص ، فيهمد في الأخذ بالأسباب التي سبها الله تعالى لأصلاح هذه الحياة ؛ فهو سبحانه يكتب عنده أرلّا بقاء على هذا العلم القديم الثابت أنّ هذا العبد محروم دائماً بعد وجوده في الحالة الأولى أو وقتاً معيناً في الحالة الثانية من كل المنافع التي هي نتائج الأسباب التي أهمها ؛ ثم إذا وجد في الدنيا وأخذ بالأسباب كما أمر بها الله بفضله عنه حرمانه وأثبت له الخير والمنافع بشيئته لذلك كما تقتضيه حكمته البالغة .

على ما ذكرناه في هذه الأمثلة يقاس جميع ما في هذا العالم من المخلوقات مودّها وأجرامها وأعراضها وأحوالها ، مثل معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام ، كمعجزة

النافعة لسيدنا صالح ، ومعجزة العصا لسيدنا موسى ، ومعجزة إبراء الأكمة مثلاً لسيدنا عيسى ، ومعجزة القرآن الكريم مثلاً لتبييننا عليهم صلوات الله وسلامه ، وكألهدى والضلال ، والحق والباطل ، والرفعة والضعفة ، والصحة والمرض ، والغنى والفقر ، لى غير ذلك مما لا يحصى .

فدعنا لك أن جميع ما يصدر عن العباد من الأقوال والأفعال خيرها وشرها ، إنما هى مظاهر وصور لما كتبه الله تعالى عليهم أزلاً بناء على علمه المحيط الثابت بأهم سيكسيومها لأنفسهم أو عليها حسب اتخاذ سبيل الغنى والضلال ؛ وذلك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ يَتَمَلُّ بِمَا خُفِيَ لَهُ أَوْ لِمَا يُسْرُّ لَهُ » . (١) وكما قال عز وجل : (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى فَاَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى) .

قد عرفت مما أسلفناه لك أن الله عز وجل قد يكتب على العبد الشقاء دائماً إذا علم أزلاً أن ذلك العبد سيرضى الشقاء لنفسه دائماً بسوء اختياره وفساد رأيه ، وأنه قد يكتبه عليه إلى أمد معلوم إذا علم أزلاً أنه سيختاره ثم يُقْلَعُ عنه ويُقْبَلُ به الرشدة والهدى ؛ كما عمت أيضاً أن أم الكتاب هى علم الله القديم الذى لا يتبدل ولا يتغير . فاعلم لأنَّ مَنْ دَعَا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَمَحُوَّ عَنْهُ الشَّقَاءَ أَوْ الطَّرْدَ أَوْ الْحَرَمَانَ أَوْ ضَيِّقَ الرِّزْقِ الَّذِى كَتَبَهُ عَلَيْهِ فِي أَمِّ الْكِتَابِ كَمَا يَدْكُرُونَ ذَلِكَ فِيمَا يَسْمُونَهُ دَعَاءَ لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ، فَإِنْ كَانَ قَصْدُ الدَّاعِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَمَحُوَّ عَنْهُ مَا كَتَبَهُ عَلَيْهِ دَائماً بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ سَبْحَانَهُ عِلْمٌ أَزْلاً أَنَّ هَذَا لَنْ يَخْتَارَ لِنَفْسِهِ إِلَّا الشَّقَاءَ الدَّائِمَ مِثْلًا فَإِنْ هَذَا الدَّعَاءُ يَكُونُ مُحَرِّمًا مُرَدودًا عَلَى هَذَا الدَّاعِي الْكَاذِبِ فِي دَعَائِهِ الْجَاهِلِ بِرَبِّهِ الْمُسْتَهْتَرِ بِهِ الْمُنَافِقِ الَّذِى

(١) رواه البخارى فى كتاب اللغو عن عمران بن حصين .

يَلُوكُ هذا النعاء الباطل بلسانه وقلبه يشهد عليه إِنَّهُ كُنَّ الكاذبين . وَإِنْ كَانَ قَصْدُهُ
أَنْ اللَّهُ عز وجل يمن عليه بالتوفيق لسلوك سبيل الهداية والطاعة ليفوز بما عسى أن
يكون لله قد كتبه له من السعادة والرضا عنه ، فإن هذا النعاء منه يكون مأذونا به بل
مندوبا اليه . لأنه لم يقتض محالا على الله سبحانه ولا خروجا عما يجب على العبد في حقه
سبحانه من الأدب ۞

محمـه منصور

وكيل دار العلوم العليا سابقاً

الظرف والمُلمح

كان للأعمش صديق متصرف في عمل السلطان فيبقى عليه مال فخبس فيه فزاره
الأعمش متغماً له^(١) . فلما دخل عليه رأى بين يديه سَلَّةً^(٢) فيها فالودج وهو يتغذى منها
فقال : والله ما لازمت الوثاق إلا لاسرافك في الانفاق ، فلو قنيت نفك وعفت
بذك لم يكن مضيق السجن مقعدك .

..

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن الشحاعة والجبين غرائز في الرجال .
تجد الرجل يقاتل عمن لا يبالي أَلَّا يَتُوبَ إلى أهله ، وتجد الرجل يمر عن أبيه وأمه ،
وتجد الرجل يقاتل ابتغاء وجه الله فذلك هو الشهيد .

(١) مظهر آله التمس من سجنه . (٢) وطاء .

الفتاوى والأحكام

كرامات الأولياء

ورد إدارة المجلة من حفرة صاحب للتوقيع ما ياتي :-

س : هل لنا أن نعتقد أن المدفونين في الأضرحة أولياء (وأن نصدق ما نسمع من الملأ عن لايات التي أظهروها في حياتهم من مدة ٦٠٠ سنة أو أكثر أو أقل) .
(وأرجوا أن ترسموا لنا حدا يبين لنا الولي وغيره) . وهل للأولياء شفاععة عند الله بمعنى أنهم يقومون بدور رجا ؟ وهل يقبل الله رجاهم على أنه قال تبارك وتعالى : (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) ؟
مصطفى صبري الشنواي

وجاءنا مثله أيضا من حصرة الشيخ أحمد سلطان حسين رئيس مدرسة أبو غدير
الأولية في ضمن أسئلة أخرى نرجئها لعدد آخر .

ج : الولي هو لعارف بالله وصفاته المواظب على الطاعات لمجتنب المعاصي المعرض عن الإهمالك في الذنوب والشهوات وإن كانت من المباحات ، هكذا عرفوه ، ولا داعي للاطالة فيه ويكفي قول الله تعالى في بيان الأولياء (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) .
أو تقول هم الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، أو تقول هم الذين أشار إليهم قوله تعالى :
(وَلَسَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَبَنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي رُقَابٍ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِمَهْدِهِمْ إِذْ عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ) .

أما الكرامات فهي جائزة لاشك فيها وقد توارت في المعنى - وإن كانت التفاصيل
 أحادا - كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الصالحين وهي ثابتة بالكتاب
 العزيز والسنة الصحيحة كما ستقف عليه ولا ينكرها إلا أهل البدع وليس يكادهم إياها
 بمعيب منهم، فانهم كما قال بعض العلماء لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم ولم يسمعه من
 رؤسائهم مع اجتهدهم في المبادات غير عالمين أن المسألة مسألة قلوب لا أبدن وصفاء
 أرواح لا تمب أشباح، وقوة يقين وتمكين لا شدة مجاهدات وكثرة عبادات « إن
 الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم ». أخرجه مسلم وقد ثبت حديث « إن
 بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثير صيام ولا صلاة ولكن بإسلامة الصدور وسحابة
 الأنفس » وقد جاء في الحديث المتفق عليه « إنه سيكون في لأمة أقوم بحرق أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاتهم وصيامهم في جنب صلاتهم وصيامهم يرقون
 من الدين كما يبرق السهم من الرمية ». تقول إن الكرامات منح إلهية يعطيها الله من
 يشاء ويعتصمها من يشاء، ولا فرق بين المطايا الحسية والمطايا المعنوية ولا بين الأرواق
 الحسماية التي قال الله فيها: (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي حَيَاةِ الدُّنْيَا) . ولا بين
 المواهب الروحية التي قال فيها: (يَخْتَصِرُ رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) . فبعض من قسم الحظوظ
 في البابين ومنع ما شاء من شاء من المريقين فكأن الناس متفاوتون في الصحة الجسمية
 هم أيضا متفاوتون في الصحة الروحية، ولذلك تفاوتوا في لآخرة كما تفاوتوا في الدنيا
 أو أشد (نَظَرُ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ
 وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) .

ولتقرب لك الأمر نعم التقريب حتى يكون على طرف الثمام فقد كثر فيه انقبيل
 والقال جودا على رأى وتعصبا للهوى فقول: إن الفاعل هو الله لا لولى ولا النبي
 ولكنه يكرم من يشاء عما شاء وهو على كل شيء قدير، فأى مانع من أن يخرق الله

العادة إكراما لبعض عباده الصالحين حيا كان أو ميتا فيرزقه رغيفا في مفازة أو شربة ماء في صحراء أو يكرم زائريه ومحبيه ، مثل ما فعل بسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ضل الطريق فتعرض له الأسد فقال له أنا سفينة مولى رسول الله فبصبص له وسار بجانبه يهديه الطريق .

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في آجامها نجم

الى آخر ماورد عن الصحابة وغيرهم وستسمع شيئا منه ، وأى قيمة لذلك بجانب ما أعطاهم الله من شرف معرفته ومحبته والقرب منه حتى قال في الحديث القدسي الذي رواه البخاري : « من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب » . الى أن قال : « ولا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به » الخ . فانظر الى قوله من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب والى قوله كنت سمعه وبصره ، فالى أى حد تكون منزلة ذلك الولي عند الله تعالى حتى يحارب من يعاديه ، وكيف يكون بصره الذي استضاء بنور معرفته عز وجل والى ماذا يصل سمعه الذي له ذلك الشرف الأعلى ، ولا غرو فمعاملة الله تعالى تأتي بالعجائب والغرائب وهو الرحيم الودود رزقنا الله الأدب معه والتوكل عليه وانظر الى قوله تعالى : (وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) وقوله في الحديث القدسي : « من تقرب إلى شبرا تقربت اليه ذراعا » . الى آخر الحديث وقوله عز وجل في الحديث القدسي أيضا : « مرضت فلم تعدني فيقول المبد كيف أعودك وأنت رب العالمين ؛ فيقول مرض عبدي فلان فلم تعده ولو عدته لوجدتني عنده » الى آخر الحديث . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « رب أشمت أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » ولم يفرق بين شئ وشئ ، وأنى ألفت نظرك الى تلك المنزلة السامية التي كادت نخرجه من ذل العبودية وجعلته يقسم على الله قسما يستتبع الاجابة . وهذا يشبه قوله تعالى : (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) . فهل بعد ذلك التanzil الالهي والمطف الرباني الذي سمعته يستبعد أن يخرق لهم العادات أو يمن عليهم بما شاء

من الكرامات فلا بدع أن يكون دعاؤهم أقرب الى الاجابة من دعائك لأن منزلتهم عنده أعظم من منزلتك ، أما قوله : (وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلِ الْوَدِيدِ) . الذى شتبه على السائل فهو وصفه لا وصفنا فانه يعلم مخلوقاته كلها على السواء لا تفاوت بينها فى علمه وإحاطته ، ولكن هناك تفاوت كبير بين منازل عباده قريبا وبعدا بحسب انقيادهم له وإقبالهم عليه ومحبتهم إياه أو انصرافهم عنه وإقبالهم على غيره . « ولست فى حاجة أن أعرفك أن القرب معنوى والبعد كذلك فان الله متمال عن قرب المسافات وبعدها » . ومن ذا يستطيع أن يقول إن للفاسق من القرب وحسن المعاملة من الله ما للصالح المطيع (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) . ولتذكر لك شيئا مما جاء فى القرآن والسنة مما يفيد الوقوع فضلا عن الامكان فنقول :

- (١) قصة أصحاب الكهف وبقاؤهم فى النوم أحياء سالمين عن الآفات مدة ثلثمائة سنة وتسع سنين وأنه تعالى كان يعصمهم من حر الشمس كما قال : (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَوَارَدُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرِّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ) . الى أن قال : (وَنَحْسِبُهُمْ أَيَّامًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَيْحِدِ) الى أن قال : (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) .
- (٢) قصة صريم وحملها بعمى عليه السلام من غير أب على ما قصه الله علينا فى الآيات العديدة .

- (٣) إثمار الجذع اليابس الذى أمرها الله بهزه وعرفها أنها ستجد منه ما لم يكن لها فى حسيان

- (٤) ما قص الله علينا من أن زكريا عليه السلام كان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا قال يا صريم أتى لك هذا قالت هو من عند الله .

(٥) ما فقص الله علينا من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار على يد الخضر الذى علمه الله من لدنه علما على ما هو مبين بالتفصيل فى سورة الكهف، وهى ثلاث كرامات ولكن نساحك فى أن تعدها وحدة وليس الخضر نبيا على الصحيح .

(٦) قصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام على ما قاله جمهور المفسرين فى قوله تعالى : (قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) . جاء بعرش بلقيس من اليمن قبل ارتداد الطرف .

وأما السنة الصحيحة فقد جاء فيها شيء كثير من هذا .

أولا — قصة جريج المابد .

ثانيا — قصة الغلام الذى تكلم فى المهد .

ثالثا — قصة عباد بن بشر وأسيد بن حضير

رابعا — قصة أبى بكر مع أضيافه .

خامسا — كرامة خبيب بمكة

سادسا — كرامة عمر بن الخطاب وهو على منبر المدينة فهذه ستة برهين من

كتب السنة الصحيحة ومثلها من القرآن العزيز ، وماذا يقول القائلون بعد الكتاب والسنة وانذكرك ما أشربا اليه .

أخرج البخارى ومسلم فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة . عيسى بن مريم عليه السلام ، وصبي فى رمن جريج الناسك ، وصبي آخر ؛ أما عيسى فقد عرفتموه وأما جريج فكان رجلا عبدا يبنى سريل وكانت له أم فكان يوما يصلى إذا اشتاقت اليه أمه ، فقالت يا جريج : فقال يارب الصلاة خير أم أى ثم صلى ، فدعته ثانيا فقال مثل ذلك حتى قال ثلاث مرات وكان يصلى ويدعها ، فاشتد ذلك على أمه فقالت : اللهم لا تمته حتى تربيه المومسات ؛ وكانت زانية

هناك فقالت لهم أنا أفقن جريحا حتى يزني فأنته فلم تقدر على شيء وكان هناك راع يأوى بالليل إلى أصل صومعته فلما أعيها راودت الراعى عن نفسها فأناها فولدت ثم قالت : هذا ولدى من جريج فأناها بنوا اسرائيل وكسروا صومعته فصلى ودعا ثم نحس الغلام قال أبو هريرة : كفى انظر الى النبی صلى الله عليه وسلم حين قال بيده باغلام من أبوك ؟ فقال : الراعى ؛ فقدم القوم على ما كان منهم واعتذروا اليه وقالوا بنى صومعتك من ذهب أو فضة فأبى عليهم وبنائها كما كانت ؛ وأما الصبي الآخر فان امرأة كان معها صبي لها رضعه إذ مر بها شاب جميل ذو شارة حسنة فقالت : اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي : اللهم لا تجعلني مثله ، ثم سررت بها امرأة ذكروا أنها سرقت وزنت فقالت : اللهم لا تجعل ابني مثل هذه ، فقال الصبي : اللهم اجعلني مثلها فقالت له أمه في ذلك ، فقال : إن الشاب كان جبارا من الجبابرة فكرهت أن أكون مثله وإن هذه قبيلا إنها زنت ولم تزن وقيل إنها سرقت ولم تسرق وهي تقول حبي الله ، وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم وابن سعد وهو في البخارى من غير تسمية الرجلين « أن أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضى الله عنهما كاتا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة حتى ذهب من الليل ساعة وهي ليلة شديدة الظلمة خرجا ويبد كل واحد منهما عصا فأضاءت لهما عصا أحدهما فشيا في ضوءها حتى اذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فشئ كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله . وأخرج البخارى « أن خبيبا كان أسيرا عند بنى الحارث بمكة » في قصة طويلة ومنها « أن بنت الحارث كانت تقول ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب فقد رأيت يأكُل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقا رزقه الله . وأخرج البخارى أيضا (أن أبا بكر كان عنده أضياف فقدم لهم الطعام فكلوا أكلوا منه ربا من أسفله حتى إذا شبعوا قال لامرأته يا أخت بني فراس ما هذا قالت وقررة عيني لى تعنى القصعة أكثر منها قبل أن يأكلوا) الى آخر القصة ؛ وقد صح أن عمر بن الخطاب كان له جيش (بهاوند) من بلاد العجم وكان سارية رضى الله عنه أميرا عليهم وكان للمدو كين في أصل الجبل

لا يعلم به جيش المسلمين فنادى عمر وهو على المنبر بخطب الناس يوم الجمعة « يا سارية الجبل الجبل » فسمعوا صوته بهاوند ونجاءم الله تعالى ببركته ، وفى ذلك كرامتان : الكشف عن حالة الجيش وحال العدو، ووصول صوته من المدينة الى نهاوند . وأخرج الترمذى أن بعض الصحابة ضرب خباءه على قبر ولم يكن يعلم أنه قبر فسمع من داخل القبر رجلا يقرأ سورة تبارك (الملك) فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال هي المانة هي المنجية تنجى من عذاب القبر الى غير ذلك وهو كثير وقبل الختام لابد أن نقول انه لا فرق عندما بين الحى والميت حيث إن الله هو الفاعل لا الحى ولا الميت ولا فرق فى فعله تعالى بين أن يتولاه هو إكراما لوليه من غير أن يكون للولى دخل فيه أو علم به وبين أن يجره على يديه أو يقوى روحه حتى تفعل ما لا يستطيع غيرها كما يقوى بعض الأجسام فيكون له من الأثر ما ليس لغيره ، ولا فرق فى التحقيق بين أن يفعل لك أو يفعل بك فانه الفاعل على كل حال على أن الأرواح بينهما من التفاوت ما لا يعلمه إلا الله تعالى ؛ فلا يصح أن تقاس الروح الضعيفة على الروح القوية ولا الروح الحرة على الروح الندله والسكل مرتبة من مراتب الأرواح خصائص تناسب تلك المرتبة وللأرواح من القوانين ما يبين قواين الأجسام ، ولذلك ترى الحاسد يؤثر فى المحسود من بعد مع أن القوانين المادية تقضى بعدم التأثير إلا اذا حصلت مجاورة أو ملامسة ، ثم نقول إن الأرواح اذا صفت صمح أن تطلع على الغيب لأنها من عالم الملكوت . فأى بعد بعد هذا فيما ينسب للكاملين من أولياء الله المقربين الذين أرواحهم أكل الأرواح وأفواها وطم من عناية الله وفيضه ما ليس لغيرهم ؟؟

وقبل إلقاء القلم لابد أن نقول إن كثيراً من الناس كاذبون فى دعوى الولاية مفترون على الله فيها ولكن هذا لا يضر الموضوع شيئاً فكل طائفة فيها الصادق والكاذب سنة الله ولن نجد لسنة تبديلاً وقد عرفناك الولى بصفاته الجليلة ونموته الجليلة ، أما التطبيق فنكله اليك ونلقى تبعته عليك ويكفى هذا اليوم وربما عدنا للموضوع مرة أخرى إذا أراد الله منى

يوسف المبرورى

من هيئة كاد الطساء

الشفاعة

وورد فيها أيضا السؤال الآتي لصاحب التوفيق : —

س : اطلعت على موضوع الشفاعة فرأيت للمعتزلة أدلة بصریح القرآن ومبرون عدم الشفاعة ، ولأهل السنة أدلة دونها في القوة وهم يقولون بالشفاعة ؛ وأرجو اتساعا في الموضوع لأعرف ما يجب أن أدين الله عليه ؟

سماعیل موسی بدر
طالب بمعهد اسکندرية

ج : لقد كثرت الكلام في الشفاعة قديما وحديثا واتسعت دائرة الخلاف بين الطوائف لحرص كل على التمسك بما قال وغلوه في التشنيع على خصمه والتشهير به ، وما زالت عوامل الخلاف تعمل عملها في كل جيل ، وكأنت أناسا يحلو لهم أمر الجدل وحب الانتصار وقهر الخصم والتشنيع ، فيساعدون على خلق الخلاف وتوسيع شقته ؛ وقد كان الأمر أمما لو لم يكن ذلك في شئون الدين لذي ما بعث الله به النبي صلى الله عليه وسلم إلا لتكئين الروابط وشد الأواصر وتوثيق الألفة وتوحيد الكلمة .

ونرى أن نقدم لك مقدمة في بيان المعنى المتعارف بين الناس للشفاعة وبيان المعنى المقصود منها شرعا ، حتى نعرف سبب الخلاف ومنشأ شبهة النكرين ، وتبجلي لك أنها بالمعنى المشروح ليست مما ينبغي أن يختلف فيه ثنائز وبالله التوفيق .

للمعنى المتعارف بين الناس في الشفاعة هو أن إنسانا يسيء الى عظيم مثلا ، فيتوعدده بالانتقام منه ويصر على إيذائه البتة ويصمم على ذلك عاقدا نيته ويشمر المسيء بأنه لا قبل له به ، فيقصد الى أحد المقرين الى ذلك العظيم وذوى الوحاهة والمنزلة المقبولة ، فيستشفع به

اليه ليحمله على العدول عما أصر عليه ، فيجبي الشفيع لذلك العظيم وما يزال به حتى يغير رأيه ويعدل عن تصميمه ويحل عزمه على الايذاء والانتقام ؛ أو أن يطمع أحد الضعفاء في معروف لدى ذلك العظيم ويعتقد أنه ليس على باله شيء من أمره أو أنه ينوي حرمانه من معروفه ، فيستشفع اليه بوجبه لديه بحمله على أن يشمله معروفه وإحسانه ، وهلم جرا من مواضع الشفاعة ؛ وحاصلها أن الشفوع لديه كان مصمما على أمر خلاف ما شفيع عنده فيه فيجبي الشفيع ويحمله على تغيير بيته وإرادته ؛ والشفاعة بهذا المعنى مستحيلة بالنسبة لله عز وجل فإنه لا يقع أمر في الكون إلا وهو عالم به من الأزل وقد أراحه كذلك ، كما جاء في حديث : « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك حفت الأقلام وطويت الصحف »

ولكن الشفاعة قد وردت في الكتاب الكريم في غير ما آية كقوله تعالى : (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) . وكقوله تعالى : (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) وكقوله : (وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) . فإن الاستغفار للمؤمنين طلب مغفرة ذنوبهم وذلك شفاعة ، وكقوله : (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَاجٍ وَلَا لَشَفِيعٍ يُطَاعُ) فإنه يدل بمفهومه على أن غير الظالمين شفيعا مقبول الشفاعة ، وكذلك وردت في السنة في أحاديث إن لم تكن أفرادها متواترة ؛ فالمعنى المشترك بينهما متواتر فهي من باب المتواتر بالمعنى كحديث : « ادخرت شفاعة لأهل الكبار من أمتي » . وكحديث : « إن الخلائق تلجأ الى الأنبياء يوم القيامة يستشفعون بهم عند ربهم فكل يقول نفسى حتى يذهبوا الى سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقول أمتى أمتى ، ويسعد تحت العرش ؛ فيقال له : ارفع رأسك واشفع تشفع » . بل الشفاعة مما قال به طوائف المليون حتى المعتزلة وإن خصوها بأنها تكون لزيادة الثواب لا لرفع العقاب بناء على أصلهم الذى

زعموه أنه لا عفو إلا عن الصغائر إذا اجتنبت الكبائر وعن الكبائر إذا حصلت التوبة، وليس كلامنا الآن في جواز العفو أو عدم جوازه، وإنما كلامنا في إثبات الشفاعة في الجلة وقد علمت أنهم قائلون به .

وإذا كانت الشفاعة بهذه المثابة واردة في الكتاب والسنة متواترة واجمعت عليها الأمة ، وكان معناها المتعارف بين الناس مستحيلا بالنسبة الى الله تعالى ، فإنه يؤدي الى جواز تفسير الارادة الأزلية ، والى أنه تعالى لم يعلم من الأزل ما سيحصل فيما لا يزال ، أو يؤدي الى القول بالبداء ، أى أن الأمر أنف وأن الله تعالى يبتدى تدير الأشياء أولا فاولا ويستأنف علمها من جديد بعد أن لم يكن عالما بها ، وكل ذلك محال على الله كما عرفت ؛ اذا كان الأمر كذلك وكان الدليلان القطعيان لا يتعارضان وجب أن تفسر اشفاعة بمعنى يصح نسبه الى الله تعالى وبحوز حمل النصوص الواردة عليه .

ذلك أن آيات الوعيد الواردة في القرآن المجيد والسنة الشريفة تعتبر كقانون عام أرشد الله اليه عباده وأعلمهم به ، ليرجعوا اليه في أحكامهم وأعمالهم فيرتدعوا عن منتهياته ويمتنعوا أوامرهم ، وبذلك صار العباد يعلمون أن من اقترف الذنب استحق عليه العقوبة المقدرة له ، يستوى في علم ذلك الملك والانس والجن ولكن الله الرؤوف الرحيم العليم الحكيم قد يعلم من بعض المذنبين ما لا يعلم غيره مما يستحق به أن يستثنى من تلك العقوبة وهو الفاعل المختار لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ، فيجعل من باب الحكمة وارد واج المصلحة أن يجعل مظهر تنفيذ إرادته الأزلية في إعفاء من أراد من العقوبة المستحقة ، يجعل مظاهر ذلك عن طريق شفاعة بعض أصفياه حتى يكون في ذلك تكريم للشفيعة وتنويه شأنه عند الناس ليحببه اليهم فيتبعوا طريقته ، وليدعوا الناس الى الاكثار من الاقتداء به في أفعاله حتى يكونوا أيضا شفعاء عند الله ، وهذه حكمة جريئة جلييلة ؛ ومرجع الأمر كله الادارة الأزلية والعلم القديم الذى أحاط بما كان وما سيكون ،

ستقول لى : « اذا كان الأمر كذلك فافائدة الشفاعة ؟ فان من أراد الله خلاصه من العقوبة سيخلص منها شفع له أو لم يشفع ، ومن أراد عقابه فيعاقب شفع له أو لم يشفع . » وأقول لك وما فائدة سؤالك هذا ؟ اذا كان الله أراد أن تعلم الجواب فستعلمه سألت أو لم تسأل ، وإن لم يكن أراد أن تعلم جوابه فليست بعالم به سألت أو لم تسأل ، ثم ما فائدة اغتذاءك لدفع الجوع وشربك للرى ودفعك الصائل عليك وفرارك من النار والوحوش وهلم جرا ، هذه أشياء إن أراد الله أن تبرز ثمراتها ونحصل نتائجها حصلت على أى حال أخذت فى أسبابها أو لم تأخذ ، وإن لم يرد فليست بحاصلة ألبتة ، ومثل ذلك الصلاة فى الثواب والدعاء فى الاجابة وهلم جرا من أسباب شرعية أو عادية هى كلها متشابهة فى أن الله تعالى قد اقتضت حكمته أن يربط للسبب بالأسباب ، وأن يحكم نظام العالم إحكاما يحمله سلسلة واحدة آخذا بمضاهى مجزى بعض وهو محيط بكل شئ . وخالق كل شئ . وقادر على كل شئ . ، يقدر أن يخلق للسبب بلا سببه ويفك عنه الارتباط الذى اختاره له ؛ فلو شاء لجعل من النار ديا ، ومن الماء احراقا ، فهو مالك الملك كله واليه يرجع كل شئ . »

بهذا تعرف أن لنا مقامين لا يجوز أن يخلط أحدهما بالآخر . الأول ما سنه الله من قانون ونظام فى هذا العمل وربطه به وأرشدنا اليه ، إما بما وهبنا من عقل وإما بما هدانا اليه من شرع ، وهذا ما يجب علينا أن نترسمه فى أعمالنا ونسير عليه فى أحكامنا . والثانى مقام هيمنته على العالم ونفاذ تصرفه فيه وكال اختياره وإن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهذا تؤمن به إجمالا وتفصيلا كلياً ، ولكننا لسنا مطالبين بتعرف ما شاء وما لم يشأ قبل أن يبرز لنا فى عالم الوجود .

وبعد فاذا تفهمت ما قررناه لك فى أمر الشفاعة وأنها كاسائر الأسباب العادية التى تؤدى إلى مسبباتها ، وأن السببية أما أن تعرف من العقل والتعارف والتأمل فى أسرار

الكون، وأما أن تعرف من طريق الشرع والنقل كالطاعات وثوابها والمعاصي وعقابها، وأن كل ذلك لا يؤثر على إطلاق تصرف الفاعل المختار في ملكه وملكوته؛ أقول إذا تفهمت هذا سهل عليك حل الشبه التي تأتي من هذا القبيل كأمر التوسل الذي شرحه فضيلة الأستاذ المربي المحقق الشيخ الدجوى في إحدى مقالاته بهذه المجلة، ومقالة الدعاء والاجابة التي كثيراً ما تلوكمها الألسنة والله الموفق للصواب .

وورد سؤال من حضرة الأستاذ ابراهيم الشناوى المدرس بمدرسة دروب بحم الأميرية عن حكم من أنزل في رمضان بتأثير المزاح والملاعبة دون جماع ثم أمسك فية يومه . والجواب أنه يفطر ويلزمه القضاء دون الكفارة .

وورد السؤال عن حالة تحصل كثيراً في بلاد الريف عند ما تشيع جنازة رجل مشهور بالصلاح والتقوى، فترى النعش يسرع تارة ويبطئ أخرى، أو يجري حيناً ويقف حيناً، أو يمتو حاملوه به، أو يأخذ يميناً وشمالاً وهكذا مع حميده محمد الوكيل ناظرة مدرسة بنات كفر المصيلحة

والجواب أن هذه أمور لا أصل لها في الدين، وإنما هي في الغالب من عبث الحاملين للنعش، وقد يكون من عبث واحد منهم، فيدفع الخشبة بقوة تضطر شركاءه في الحمل إلى السرعة أو يقف بها بقوة كذلك فيعطلهم عن السير، يقصد بذلك تقرير كرامة الميت وحمل الناس على الاعتقاد بولايته، وليس مثل هذه الأعمال من باب الكرامات ولا لها صلة بها، وإنما هي ناشئة عن أغراض للحاملين أو من عبث بعض الجهال في مقام يجب فيه الانعاط والادكار، وفي ظننا أنه ما حمل بعض المفكرين على التنديد بكرامات الأولياء والوصول إلى حد يقرب من إنكارها بالكلية إلا مثل هذه الأعمال السفهية المنافية للأدب الواجب في كل حال وبالأخص في حال يصدق فيها الكذب؛ نسأل الله التوفيق والهداية .

وورد سؤال من صاحب الامضاء عن الدعاء وهل ينفع الداعي ؟ وهل يوجد في القرآن الكريم أو الحديث النبوى الشريف ما يدل على ذلك ؟ وأضاف السائل الى سؤاله مثالا حملا ما لا سبيل لنا الى علمه ، فقال مثلا : اذا كنت مسافرا ونهت في صحراء لا خلاص لي فيها وقد قدر لي عدم الخلاص منها ، فهل مع استمرار الدعاء والتضرع يتغير ما قد يكون كتب لي من سوء وأخلص بالنعاة ؟

عبد العزيز توفيق عبد السلام
طالب بمدرسة الاقباط بالخرطوم

والجواب أن الدعاء ينفع الداعي وقد قال تعالى : (اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) . ومثله مثل العبادة التي أمر الله بها ورتب عليها ثوابها ، بل مثله مثل الأسباب العادية التي هداها الله الى استعمالها لتحصل مسيباتها والتي جرت عادة الله بترتيبها عليها وإجابة الدعاء في تفرج الهم والتخليص من الضيق الذي لا يحد صاحبه غلصا قد وردت في السنة الشريفة الصحيحة ، فقد روى الشيخان « أن ثلاثة نفر انطلقوا فأووا الى غار ، فالتحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم باب الغار ، فقالوا : لا ننجيكم إلا أن ندعو الله بصالح أعمالكم ، فذكر أحدهم أنه كان له أبوان شيخان كبيران وكان يرعى عليهما ولا يفتق قبلهما أهلا ولا مالا - والغبوق شرب المساء - فنأى به طلب الشجر يوما فحماه بالابن عبد ما ناما فكره أن يوقظهما وكره أن يسقى أحدا قبلهما فأزال ينتظر استيقاظهما والقدرح على بده والصبيبة يتضاغون - أي يضجون ويصيحون من الجوع - حتى برق الفجر وقال اللهم ان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانرجت الصخرة حتى رأوا الضوء ؛ وذكر الثاني أنه كانت له ابنة عم هي أحب الناس اليه فأرادها على نفسها فامتنعت حتى ألتها سنة فجاءته فأعطاهما مائة وعشرين دينارا على أن تخلى بينه وبين نفسها ففعلت فلما قدر عليها قالت له اتق الله ولا تقض الخاتم إلا بحقه فتمرج من الوقوع

عليها وخاف مقام ربه وترك لها الذهب ثم قال اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة ولكنهم لا يستطيعون الخروج؛ وذكر الثالث أنه استأجر أجر، فأعطاه أجره إلا وحداً ترك أجره وذهب فثمرة له حتى كثرت منه الأموال فجاءه بعد حين يطلب أجره فقال له كل ما ترى من هذه الابل والبقر والغنم والرقيق فهو أجرك فظننه يستهزئ به فقال إني أصدقك فاستاق الجميع وذهب به ثم قال اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا فانفرجت الصخرة فخرجوا يعيشون .

فترى من هذه القصة كيف استحکم الضيق والكرب وكيف انفرج الدعاء، أما قول السائل في سؤاله (وقد قدر لي فيها عدم الخلاص منها) فإن كان يريد ما في علم الله فهذا أمر لا اطلاع لأحد عليه وقد استأثر الله به ولم يطلب منا البحث عنه، وإنما كلفنا بأن نقوم بما أمرنا به وننظر ما وعدنا الله به . وأما الكلمة التي يلوونها الكثير من الناس وهي إن قدرت لي السلامة نلتها دعوت أو لم أدع وإن قدر علي العطش لحقني دعوت أو لم أدع، فهي كلمة واهية لو صحت لصحت في كل شيء وفي كل سبب شرعي أو عادي فإنها تجري في العبادات وفي المعاديات كما ذكرنا ذلك في جواب سؤال الشفاعة، فتقول إن قدرت لي النجاة من النار نجوت سواء أظمت الله أم عصيته، وإن قدر علي المذاب ذقتة سواء أكنيت من الطائعين أم من العصيين؛ ويقول من تدعوه لتناول طعامه الذي يملك حياته؛ أو للاحتراز من الهلاك لحقق كثر بريق نفسه أو تحريرها؛ سيقول لك إن قدر لي طول العمر في علم الله أدركته، وإن قدر علي الموت أدركني وهكذا . وجوابه ما أجاب به المصطفى صلى الله عليه وسلم من سألته وقد قال « ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة، فقلوا أفلا نتكلم على كتابنا أو نفهم العمل، فقال صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لخلق له » أما من كان من أهل السعادة

فسيصير الى عمل السمادة ، وأما من كان من أهل الشقاء فسيصير الى عمل الشقاء ،
ثم قرأ : (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) الآية .

والحاصل أن الله جلّت قدرته هو الخالق لجميع الكائنات ، وقد علم من الأزل
ما كان وما سيكون الى يوم القيامة ؛ ومع علمه بذلك وخلق له لكل شيء ، فقد أحكم نظام
كونه فربط أشياء بعضها ببعض لحكمة أرادها ، فرتب أشياء على أشياء ؛ ولو شاء لجعل
الأمر فرطاً لانظام له ولا ارتباط ، وجعل من الأشياء ما يخلق عقب توجه نفوسنا
وتعلق قدرتنا التي منحنا إياها ، فلما ربطها بتوجه نفوسنا وتعلق قدرتنا صبح أن تنسب
تلك الأفعال إلينا ونكون اختيارية لنا ويترتب عليها ثوابنا وعقابنا أو مدحنا وذمنا
أو مؤاخذتنا على الضار وشكرنا على النافع ، ويكفي في هذا اطراد هذا الربط فلا توجد
تلك الأفعال بذير اختيارنا ولا تتخلف عن تعلق قدرتنا وإرادتنا حتى أن ما نخلف منها
أو وجد عن غير طريقها شعرنا شعوراً ضرورياً بخروجه عن دائرة الأفعال الاختيارية ،
فتبيحت النفس عن انتباه اليها ضاراً كان أو نافعاً ؛ محموداً كان أو مذموماً . ذلك أمر
مستقر في فطر الناس وسجايا النفوس ومدارك أبسط العقول حتى الصبيان ؛ فترى الطفل
الساذج بهم يؤاخذته وضربه لكسره آنية فيقول لك : (انكسرت غصيباً عنى) أليس
معنى هذا أنه يشعر شعوراً لا يمتريه شك أن له أفعالا اضطرارية وأفدالا اختيارية وأنه
مؤاخذ بالثانية دون الأولى ، وقد يقول لك : (نبت لا أعود بمدها) ومعنى ذلك
في نظره أنه يستحق العقوبة ولكنه يلتبس منك الصفع منحة ويؤكد لك ألا يمود ، فانه
يشعر بأنك تضربه كيلا يمود لا استرداد العفوق ؛ ثم دع هذين واستمع الى الكلمة التي
يقولها مجرم يحاول التخلص وهو واثق بأنه مغالط واهي الحجة لا يستحق الرحمة ولا يرجوها
وإنما يطعم فيها أو هي الطمع حيث يقول لك (أمر الله مقدر على) فاتها كلمة تلفظها شفتاه
وأنت تقرأ ما في نفسه وإذا هو (كلا إنها كلمة هو قائلها) نعم هو عالم بما في نفسه ويكاد
يقصه عليك بلسانه ولا حاجة بك أن تسمعه من لسانه فكل جوارحه تحذرك بأنه ما فعل

ذلك إجابة لما في علم الله ؛ فما كان الله ولا علمه له على بال وقت اقترافه جرمته ؛ ولو ذكر الله خاليا فاضت عيناه « ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » أي أنه لا يحفظ معنى إيمانه ولا يذكر علم ربه وقدرته وإلا لأقطع حياه إن لم يقلع خوفاً ؛ فلم الله قد اختص به ولا دخل لنا فيه ولا شعور لنا بما علمه ولا بما أرادته وقت تحصيل الأعمال ، وإنما نعمل إجابة لداعي نفوسنا ولا نعلم أن هذا أمر أراد الله إلا بعد حصوله بالفعل ؛ فكيف تكون العلة في ارتكابنا له أنه أمر أراد الله وهل تتأخر العلة عن معلولها .

نعم هو أمر أراد الله ولكنه أراد أن تفعله إجابة لداعي نفسك لا أنك تقصد به تحقيق ما في علم الله الذي لا اطلاع لك عليه ، فلما أجبته لداعية نفسك استحققت أثره وثمرته حتى في نظر نفسك إن خيراً خيراً وإن شراً شراً ؛ وما ربك بظلام للعبيد .

وقد يرى أننا أطلنا القول في جواب هذا السؤال واستطردنا منه الى مسائل أخرى ، والذي أوجب هذا هو ما نراه من حكم هذه الشبهة على كثير من الأفكار ونرددها على السنة عدد عديد من عامة وخاصة ثم اتصال هذه المسائل بعضها ببعض ، فأردنا أن يكون كشف النقاب عنها دفعة واحدة عسى الله أن يهدي هذا البيان وشرح له صدور قوم مؤمنين .

وأما الدعاء فهو أمر تنساق له النفوس وترجو منه الخير بفطرتها خصوصا عند الشدائد كما قال تعالى : (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ أَوْ قَاعِيداً أَوْ قَايِمًا فَمَكَّ كَشَفْنَا عَنْهُ غُضْرَهُ مَرًّا كَانَتْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرِّ مَسِّهِ) م١

ابراهيم الجبالي

مدرس بقسم التخصص بالازهر

صنع الصور واقتنائها

وورد إدارة المجلة الأسئلة الآتية :—

س : ما حكم الشرع الشريف في التصوير الفوتوغرافي ، وهل الصور الفوتوغرافية تمنع دخول الملائكة في المحل لدى توجد فيه ؟

وما حكم الشرع الشريف في إقامة تماثيل العظماء ، هل يجوزها أو يحرمها ؟

عبد المجيد رضوان

تاجر بوادي حلفا

س : هل يحرم التصوير الشمسي (الفوتوغرافي) ؟ وإذا كان ؛ هل الحرمة مطلقة أم هناك تفصيل ؟

محمد علي حسن طرابلس

بالقسم المالي بالأزهر الشريف

س . هل يجوز حمل الصور والتماثيل ، والنظر إليها ، واقتنائها في المكاتب والبيوت ؟ وإذا كان ذلك حراما فما حكمة التحريم ؟

وهل هناك فرق في التحريم بين التصوير الشمسي والرسم باليد (النصفي والكامل) وصنع التماثيل (النصفية والكاملة) ؟

وهل تصوير ما فيه روح وما لا روح فيه سواء ، وما رأى « نور الاسلام » في إقامة تماثيل لعظماء الرجال بالميادين الفسيحة والمتنزهات الكبيرة ؟

صالح محمد حسين عمشة

مأذون الشرع الشريف بميت عزب دقهلية

محمد عادل الأزهرى

س : هل يجوز التصوير الشمسي ؟

الجواب : - يذكر فريق من أهل العلم حكم الصور وما جرى فيها من خلاف ؛ غير فارقين بين صنعها واقتنائها ، ويرى فريق منهم أن في الصور التي يحرم صنعها ما لا يحرم اقتناؤها ؛ وطريقة هذا الفريق تدعوها الى أن تبحث عن صنع الصور ثم تبحث عن اتخاذها واقتنائها والله ولى التوفيق .

التصوير :

ورد في التصوير أحاديث صحيحة ، منها حديث : « إن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون »^(١) . وحديث : « أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » . ولما كان ظاهر هذين الحديثين يجعل المصور في أشد العذاب التي هو جزء الكافرين ، وأصول الشريعة تقتضى أن عقوبة فعل المحرم لا تبلغ أشد العذاب . حمل بعض أهل العلم الحديث الأول على من يصور ما يعبد من دون الله ، وحملوا الحديث الثانى على من يصور قاصدا أن يضاهى خالق الله ، ومن يصنع الصور قاصدا لأن يعبد من دون الله ، أو يصنعها قاصدا التشبه في فعله بخلق الله فقد جاء بما لا يفعله إلا جاحد فيستحق أن يكون من أشد الناس عذابا يوم القيامة .

ومقتضى فهم الحديثين على هذا الوجه يخرج من وعيدهما من يصور ما لا يعبد ومن يصور غير قاصد المضاهاة بخلق الله .

ووردت أحاديث في وعيد المصورين بالعذاب دون أن تجعلهم في أشد مراتبه كحديث : « إن أصحاب هذه المور يمدبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم »^(٢) . وحديث : « من صور صورة كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنفخ »^(٣) . جاءت هذه الأحاديث وهي تدل بظاهرها على حرمة التصوير بوجه عام ، ولكن العلماء اختلفوا في حكم تصوير الحيوان والاسان على حسب اختلاف أنظارهم في فهم

هذه الأحاديث والتفقه في علة النهى واختيار طريق الجمع بين ما يظهر في بعضها من تعارض، فذهب فريق إلى اللع من صنعها باطلاق، وقالوا: تصوير الحيوان حرام بكل حال، وسواء كان في ثوب أو بساط أو دينار أو درهم أو فلس أو إناء أو حائط، وسواء في هذا كله ما له ظل وما لا ظل له.

واستثنى بعض أهل العلم من منع تصوير ما له ظل الصور التي تصنع للعب البنات لما ورد فيها من الرخصة. ذكر هذا القرطبي في تفسيره؛ ونقل الماوردي في الأحكام السلطانية أن أباسعيد الاصطخرى من أصحاب الامام الشافعي تقلد حسبة بغداد في أيام المقتدر، وأقر سوق اللعب ولم يمنع منها، وقال: قد كانت عائشة رضي الله عنها تلعب بالبنات بمشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينكره عليها^(١)، ثم قال: وليس ما ذكره من اللعب ببيع من الاجتهاد.

وأجاز بعض أهل العلم كأصنع بن الفرج المالكي صنع الصور مما لا يبقى طويلاً كالعجين، ومن هذا ما يصنع في شكل الحيوان من الحلوى؛ قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل): قد استثنى من هذا الباب لعب البنات وما يصنع من الحلوى أو العجين، ووجه نظر هؤلاء أن صورة ما يعظم ويعبد من دون الله ليس من شأنها أن تصنع مما لا يبقى زمناً طويلاً.

وقيد آخرون منع الصور المجسمة بتمام الأعضاء الظاهرة، أما إذا كانت الصورة ناقصة عضواً لوقطع من الحيوان فقد ممة الحياة كالرأس والبطن، فصنعها غير محرم عند هؤلاء؛ ووجه هذا القيد أن الحديث يقول في وعيد المصورين: «ويقال لهم أحيوا ما خلقتم». ومقتضاه أن تكون الصورة تامة الأعضاء التي لا حياة لها بدونها ولا ينقصها إلا نفخ الروح الذي يكون به الأحياء.

(١) في صحيح الامام البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت لعب البنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لي سواحب يلعبن معي.

ورأى بعض الفقهاء - فيما حكاه أبو محمد الجوينى - جواز نسج الصور فى الثوب وأفتى آخرون بأباحة التصوير على الأرض ونحوها؛ وقال الخطابى : الذى يصور أشكال الحيوان (أى يصنع صورتها دون أن يكون لها ظل) أرجو أن لا يكون داخل فى هذا الوعيد . ومما يصح أن يكون مستندا لهؤلاء أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أخبر أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة قال : « إلا رقا فى ثوب » . وهذا الاستثناء وإن ورد فى سياق التهنئة عن اتخاذ الصور فهو يؤذن بأن رسم الصور فى الثوب غير داخل فيما حرم من التصوير .

وزهد بعض الناس فى الشذوذ الى مكان بعيد فأجازوا تصوير ما له ظل باطلاق ، حكى هذا القول بعض المفسرين عند قوله تعالى : (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل) . قال ابن عطية : وذلك خطأ ، ولا أعلم من أثمة العلم من يجوز ولا حجة لهم فى هذه الآية على جواز تصوير ما له ظل ، ولو سلمنا أن هذه التماثيل التى كانت تعمل لسلطان عليه السلام من قبيل الصور ذات الأجسام التامة الأعضاء ، فإن الآية حديث عما يعمل الجن لسلطان عليه السلام ، وشرع من قبلنا ليس شرعا لنا عند كثير من أهل العلم حتى يقوم الدليل على مشروعيته .

ومن يذهب الى أن شرع من قبلنا شرع لنا ، يضع لذلك شرطا هو أن لا يرد فى الكتاب أو السنة ما يخالفه ؛ وقد ورد فى السنة الصحيحة أحاديث صريحة فى تحريم الصور وليس وراء الصور ذوات الأجسام ما يصح أن يكون مناط التحريم فى هذه الأحاديث .

ويبقى النظر بعد هذا فى أخذ الصور بالآلة المصورة (الفوتوغرافية) هل يجرى فى حكمه على ما يرقم فى الثوب أو يرسم على الأرض أو الورق من أشكال الحيوان فيكون من مواضع الخلاف السابق ؛ حراما عند قوم ، جائزا أو مكروها عند آخرين ؟ أو أن

لأخذ الصورة بالآلة المصورة نظرا آخر يستدعى من الحكم غير ما يستدعيه التصوير باليد مباشرة فيكون جائزا ولو عند من يقول بحرمة تصوير أشكال الحيوان .

من لو ضح أن المصور بنحو الرق أو النقش ، والمصور بالآلة للصورة يفترقان في وسيلة حصول الصورة ؛ فالأول يمسك القلم أو الرشة بيده ويأخذ في صنع الصورة جزءه فجزءا حتى يستوفى أجزاءها ويخرجها في شكل نى روح ، فهو صانع الصورة بيده ، وهذا ما يمكن أن يقتزن بعلة مضاهاة الخالق أعنى العلة لواردة في الحديث أما حصول الصورة باستعمال الآلة المصورة فطريقه أن صاحب الآلة يضع رق التصوير في مزيج من أملاح الفضة و (يودور) الفضة ومادة أخرى لزجة ، بمقدار مناسب ، ثم يمرض رق التصوير (الفيلم) بالضوء فتنتطبع فيه صورة ما يراد أخذ صورته بوسيلة دخول الضوء من عدسة الآلة ووقوعه على الرق (الفيلم) ويعالج بعد هذا بمحلول (هيبوسلفات السوداء) فتظهر الصورة بعد أن كانت خافية ، وبعد ظهورها تعالج بمحضر خاص لتصير ثابتة ، غير أن أجزاء الجسم المستتيرة تظهر في الصورة سوداء ، وأجزاء القائمة تظهر بيضاء ، وهذه هي الصورة المسماة عندم بالصورة السالبة ؛ والذي يصنعه المصور بعد هذا حتى تخرج الصورة موافقة لما في الواقع ، هو أن يلمسق الصورة السالبة بورقة من الورق الحساس ويعرضها للضوء فتنتطبع الصورة في الورقة عائدا كل لون منها الى أصله من بياض أو سواد ، وتلك هي المسماة عندم الصورة الموجبة .

فهذه الوسيلة لأخذ الصورة لم تكن معروفة لمهد الوحي في تصوير ما ليس له ظل فن يذهب الى إباحة رقم الصور في الثوب يميز التصوير بهذه الآلة من غير تردد إذ لا تزيد على الرق في الثوب والنقش على الورق بشئ يقتضى منها .

ومن منع من تصوير ما ليس له ظل ، قد يرى أن المنع مقصور على التصوير بالطريقة المعروفة لمهد الوحي لأن التصوير بإيجاد الصورة ، وهذا المعنى ظاهر فيمن صنع

أجزاء الصور بيده ، أما الصور الحادثة بالآلة المصورة فرجها الى ما أوجده الخالق تعالى في تلك المواد من خواص ، ثم دخول الضوء من المدسة ، وانطباع الصورة على الرق (الفيلم) أو الزجاج ، ثم انطباعها على الورق الحساس ؛ فليس من البعيد أن يكون لهذا الفرق أثر في أن يكون الجواز في التصوير الشمسي أظهر منه في رقم أشكال الحيوان باليد مباشرة ، وهذا ما أفتى به حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد بن حنيت مفتي الديار المصرية سابقا .

عذر تحريم التصوير :

بعث النبي صلى الله عليه وسلم والناس ينصبون تماثيل يدعونها آلهة ويعبدونها من دون الله بزعم أنها تقر بهم إلى الله زلفى ، فجاء الإسلام منكرا لصنيعهم هذا أشد الانكار ، ومعبرا عن سفه عقولهم بأبلغ بيان ؛ ومن المناهج التي تسلكها الشريعة لحكمة لظهور الرشيد على النى ، أن تجيئ إلى ما شأنه أن يكون وسيلة إلى ضلالة ولا منفعة فيه البته ، أو تكون منفعة أقل من إثم ما يتوصل به إليه من ضلال ، فتمنع من إتيانه ، وهذه الطريقة تقتضى النهى عن التصوير لذى هو أحد لوسائل إلى عبادة غير الواحد الخلاق ؛ وقد قرر بعض العلماء المنع من التصوير هذه العلة وهى كونه ذريعة للفلو في تعظيم غير الله ؛ قال القاضى أبو بكر بن العربى « والذى أوجب النهى عن التصوير فى شرعنا — والله أعلم — ما كانت العرب عليه من عبادة الأوثان والأصنام ، فكانوا يصورون ويعبدون ، فقطع الله الذريعة وحى الباب » .

وإذا قيل : إن علة المنع من التصوير فيما يظهر فى الأحاديث هى التشبه بخلق الله ، يؤخذ هذا من قوله صلى الله عليه وسلم : « إن أشد الناس عذبا يوم القيامة الذين يضاھون بخلق الله » . فقد به على أن علة عذابهم الأشد تشبههم بخلق الله إلى صنعهم شيئا يتشبهون فيه بالخلق ، ودل على هذا الوجه أيضا حديث : « ويقال لهم أحيوا

ما خلقتم . فقوله : (أحيوا ما خلقتم) مشعر بأن علة الانكار هي التشبه بالخالق .
إذا قيل هذا قلنا : هذه العلة المشار اليها في الحديث لا تمنع من أن يكون المنع
من التصوير علة أخرى هي كونه وسيلة لعبادة ما ليس بإله ، فيكون المنع من
التصوير علتان : إحداهما تجعله مفسدة في نفسه وهي التشبه بمبدع الخليفة ، والأخرى
كونه وسيلة الى ما فيه أكبر مفسدة أعنى القلو في تعظيم غير الله ؛ قال القاضي أبو بكر
ابن العربي بعد - أن ذكر علة سد الذريعة الى عبادة الأصنام - . فان قيل : فقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم : « من صور صورة عذبه الله بها حتى ينفخ فيها الروح وليس
بنافع » وفي رواية (يتشبهون بخلق الله) فعمل بغير ما زعمتم ، قلنا نهى عن الصورة
وذكر علة التشبه بخلق الله ، وفيها زيادة على هذا عبادتها من دون الله ، فنهى على أن
نفس عملها معصية ، فما ظنك بعبادتها .

وهذا النظر يقتضى أن النهى عن التصوير قائم على هاتين علتين ؛ ولو كانت
العلة سد الذريعة وحده ، لكان لا نظار الفقهاء في حال انقطاع الناس عن اتخاذ الصور
ألمة مجال ، ولكن علة المضاهاة بخلق الله تجعل المنع باقيا ، حيث لم تقيد المضاهاة
في الحديث بالقصد اليها ، وقد عرفت أن الملء الذين يذهبون الى إباحة صنع بعض
الصور ، مثل ما ليس له ظل ، أو كان مجسما غير تام الأعضاء أو ما دعت اليه مصلحة
التدريب على إدارة المنزل ، يستندون فيما أفتوا به الى أحاديث تجعل النهى مقصورا
على غير ما أفتوا بإباحته .

هل يجوز التصوير لمصالح تنبغي ؟ :

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التصوير صرعا للناس عن حال التشبه بالخالق ،
وأذن بلمب البنات لمصلحة التمرين على إدارة المنزل ، فدل على أن مصلحة هذا التمرين
ترجح على مفسدة التصوير ، فهل للفقهاء اذا عرفوا في تصوير شيء من الأشياء مصلحة
جلية ، أن يفتوا بإباحته على قدر ما تدعو اليه الحاجة ؟

لم نجد في كتب الفقه ما يشعر بصحة هذا التصرف إلا كلمة قلها الماوردي في الأحكام السلطانية عند الحديث عن لعب البنات، ونصه: «وأما اللعب فليس يقصد بها المعاصي وإنما يقصد بها إلف البنات لتربية الأولاد، وفيها وجه من وجوه التدبير تقارنه معصية بتصوير ذوات الأرواح ومشابهة الأصنام؛ فلتتمكن منها وجه، وللمنع منها وجه، وبحسب ما تقتضيه شواهد الأحوال يكون إنكاره وإقراره»

وإذا أراد الماوردي من شواهد الأحوال، الأحوال التي نص فيها الشارح على منع التصوير أو إباحته، لم يبق بأيدينا نص من الفقهاء في إباحة التصوير عند ما يكون له — فيما يظهر — فائدة.

ومن المواضع التي ينتفع فيها بالتصوير لهذا العهد أن يوجد قبيل في خلاه ولا يعرف من أي قبيل هو، فتؤخذ صورته لتمرص في الصحف لعل أهله يطمون عليها، ويترتب على درايتهم بقتله نحو الارث وتنفيذ الوصايا، وفي حضور أهله معونة على تحقيق البحث في الجنابة.

ويشبه هذا أن يوجد صبي ضائعا فتؤخذ صورته لتمرص في الصحف؛ حتى إذا رآها وليه جاء فتمسكه؛ ومن هذا القبيل وضع صورة من مرد على الجنائيات، في الصحف أو في المجتمعات العامة ليحذره الناس فيملوا من أذيته، ويضاهي هذا رسم أشكال الحيوانات في كتب علم الحيوان؛ إذ يتوقف عليه الرسوخ في ذلك الممر.

فهذه الأحوال ونحوها مما يظهر فيه وجه الانتفاع بالتصوير، يصح أن يؤخذ فيها بذهب من يبيع تصوير ما ليس له ظل، مرفوعا كان أو ممتنا، ناقص بعض الأعضاء أو تامها.

اتخاذ الصور :

الصور على نوعين : (١) ما ليس له ظل كالرقوم في ثوب أو الرسوم في ورق.

(٢) وما له ظل وهو ما كان ذا جسم قائم بنفسه ، أما ما ليس له ظل ففيه أربعة مذاهب :

(أحدها) المنع من اتخاذه باطلاق وقوفامع طاهر الأحاديث الواردة في الوعيد أو النهي غير مصحوبة بقيد .

(ثانيها) منع ما تكون فيه الصورة متصلة الهيئة تامة الشكل ، وإباحة اتخاذ ما كان غير تام الشكل وما تفرقت أجزاؤه بعد أن كانت ملتزمة ، وهذا ما اختاره القاضي أبو بكر بن العربي ورجحه ابن عبد البر ، وهذا المذهب نشأ بالجمع بين حديثين في ظاهرهما تعارض ، وهما حديث هتك النبي صلى الله عليه وسلم للستر الذي كان فيه ثماثيل ، وجعل عائشة رضى الله عنها منه وسادتين ؛ وحديث قيامه عليه الصلاة والسلام بيباب الحجرة إذ رأى نمرقة فيها تصاوير حتى قال متكررا ذلك : (ما هذه النمرقة) ؟ فقالت له عائشة : لتجاس عليها وتوسدها ، فلم يقر ذلك ، بل قال : « إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم » . فالحديث الأول يدل على أن الصورة المنسوجة في نحو الوسادة جائزة ، والحديث الثاني يدل على أنها ممنوعة ومتى قلت : إن الصورة في الحديث الأول — عندما جعل الستر وسادة — لم تبق تامة الشكل بل تفرقت أجزاؤها ، فكانت حائرة ، والصورة في الحديث الثاني كانت تامة الهيئة فأنكرها عليه الصلاة والسلام ، زالت شبهة التعارض بين الحديثين .

(ثالثها) منع ما يكون معلقا أو مرفوعا ، وإباحة ما يكون مفروشا أو ممتنا بالاستعمال كالصور المرقومة في وسائد أو ربابي ، وهذا هو الذي رواه المزني عن الامام الشافعي ورجحه التنوي وقال : هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين ، والفرق بين المعلق والمفروش أن ما يوطأ ممنه ومبتذل ، والمرفوع يشبه مانصب من الأصنام ، والصور الممتنة يرجح الامام التنوي جواز استعمالها ، ويحزم مع هذا بحرمة صنعها

(رابعها) الجواز باطلاق ، وهو ما نقله ابن أبى شيبة عن القاسم بن محمد أحد فقهاء المدينة السبعة ، ولفظه : « عن أبى عوز قال : دخلت على القاسم وهو بأعلى مكة فى بيته فرأيت فى بيته حجلة فيها تصاوير القندس ^(١) والعنقاء . »

وهذا المذهب يستند الى حديث بسر بن سعيد عن زيد بن خالد عن أبى طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه الصورة » . قال بسر : ثم اشتكى زيد فمداه فإذا على بابه ستر فيه صورة ، فقلت لعبيد الله ربيب ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول ؟ فقال عبيد الله : ألم تسمعه حين قال : (إلا رقا فى ثوب) ؟ وفى كتاب الموطأ : (أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود دخل على أبى طلحة الأنصارى يمدوه ، فوجد عنده سهل بن حنيف ، فدعا أبو طلحة إنسانا فنزع نطفا من تحته ؛ فقال سهل بن حنيف لم تنزعه ؟ قال : لأن فيه تصاوير ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد علمت ، فقال سهل : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم (إلا رقا فى ثوب) ؟ قال : بلى ولكنه أطيب لنفسى . وعلى هذا المذهب حرى المتأخرون من فقهاء المالكية غير أنهم عبروا بالكراهة وخلاف لأولى ؛ قال الشيخ خليل فى كتاب التوضيح : التمثال إن كان لغير حيوان حار ، وإن كان لحيوان ويقيم (أى يبق طويلا) فهو حرام بإجماع ، وكذا إن لم يقيم خلافا لأصنيف ، وما ليس له ظل إن كان غير ممتن فهو مكروه ، وإن كان ممتنا فتركه أولى . ومن أهل العلم من يرى أن النهى عن اتخاذ الصور قد جاء فى أول الاسلام عاما ليقطع الوسيلة الى عبادة الاصنام ، وبمد أن تقرر هذا الحكم وعرف الناس شدة مقت الشارح للتعالى فى تعظيم غير الله الى حد العبادة ، أذن فى اتخاذ ما كان رقا فى ثوب ، فيكون حديث (إلا رقا فى ثوب) مرخصا فى بعض ما حرم فى أول الأمر من التصاوير

وأما ما له ظل قائم وكان تام الأعضاء مصنوعاً مما يبق زمن أطول ولا ولم تدع إليه مصلحة التدريب على تدبير المنزل فيحرم اتخاذه بلا خلاف ، والرأى الشاذ الذى حكاه بعض المفسرين فى جوار صنعه ، ومقتضاه جواز اقتنائه ، لا يستند الى أصل معقول أو وجه يتلقاه النظر بالقبول

فإن كان ناقص بعض الأعضاء الظاهرة كالرأس أو البطن فذلك ما يفتى المتأخرون من فقهاء المالكية بإباحته ، وإن كان مصنوعاً مما لا يبق زمن أطول فهو ما يقول أصبغ بجواز اتخاذه ، وإن دعت إليه حاجة التدريب على إدارة شؤون المنزل فهو جائز عند بعض الفقهاء ، مستنداً الى ما قدمناه لك من حديث عائشة رضى الله عنها فى اتخاذهما صور نيات تلعب هن على مرأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير إنكار .
وبهذا التفصيل يعلم حكم إقامة تماثيل للمعظم .

محمد الحضر حسين

كتاب المبسوط

أهدى حضرة الفاضل الحاج محمد افندى الساسى المغربى مكتبة « نور الاسلام » نسخة من كتاب المبسوط ، وهو كتاب جليل ومرجع عظيم من مراجع الفقه الحنفى الامام شمس الدين أبى بكر محمد بن أبى سهل السرخسى ، أملاه وهو فى المجلس بأوزجند ، وقد شرح به مختصر الحاكم الشهيد أبى الفضل الروزى للأخوذ من تصنيف الامام محمد ابن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة رحمهما الله وقد اكتفى السرخسى بذكر ما هو المعتمد فى كل باب بمبارة سهلة محكمة .

والكتاب ثلاثون جزءاً وقد طبعه حضرة المهدي سنة ١٣٤٢ هـ طبعة متقنة على ورق جيد ، فتشكره على هديته ونحث أهل العلم على اقتنائه ، وهو يطلب من مكتبة ملزم طبعه ومهديه فى سوق الفقامين .

أثر الثقافة الإسلامية

في تطور النهضة الفكرية

لمحمد محمد التلويج

- ٢ -

نحدثنا في المقال الأول عن أنواع من الثقافة الإسلامية - في مرحلتها الأولى - أفاضها القرآن الكريم على أبناء الإسلام فدفعهم إلى باحات العلوم والمعارف دفعا غير وجه التاريخ وأثر عقولا تنفضي لأجيال تلو لأجيال ولا تجود الدنيا عنهم، وذلك سر الفرق بين تعاليم الوحي الإلهي - الذي رل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم عند بلوغ الإنسانية حد النضوج الفكري واستعدادها لقبول تشريع سماوي خاتم في بحاجاتها لروحية والمدنية على ممر الأزمان - وبين تعاليم يستقل العقل البشري بوضعها، فلا تعدو معها رتقت في البحث والتحصيل دائرة الفرض والتخمين على ما في العقول من تفاوت بالضعف والقوة واختلاف في التفكير

والآن نأخذ في الحديث عن نوع آخر من الثقافة الإسلامية - في مرحلتها الثانية - حتى يشهد المثقفون من إخواننا أن الثقافة الإسلامية لم تقف عند حد النهوض بالأمة الإسلامية في عصورها الزاهرة، بل كان لها أعظم الأثر في اتجاه الفكر الحديث؛ ويلمحوا أن هذه الشريعة المطهرة تمتلك ثروة خالدة من الثقافة الفكرية والنهضة العلمية، لا نتم شريعة من الشرائع جاءت تمثل حظها منها، ولذا كانت المعزة العلمية - وهي القرآن الحكيم - أفضل معجزات بيننا صلوات الله وسلامه عليه على كثرتها ووضوحها، ولعل هذا مما يدخل في ثنايا قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما

رواه الصحيحان : (ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أتى من الآيات ما آمن على مثله البشر ؛ وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثر نبياً يوم القيامة) . ولئن كان فريق من الناس يحاول ستر محاسن الشريعة الإسلامية - وما هو ببالغه - فإما ذلك لسوء طوية وتباعد عن تفهم أسرار الكمال في هذا الدين القيم الذي قال عنه الصدوق المصدق عليه الصلاة والسلام : (إن هذا الدين متين فأوغل فيه رفق ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه) .

المرحلة الثانية

ظهور الفلسفة وأطوارها :

كان فتح مدرسة « دار الحكمة » التي أسسها أبو جعفر المنصور في مدينة بغداد عاصمة الملك الجديدة لدرس الفلسفة بدءاً للمرحلة الثانية للثقافة الإسلامية ، فقد دعا إليها العلماء والفلاسفة والأطباء من سائر الأقطار ومختلف الملل ، ووطأ ناعلماء أسبب للبحث العلمي ، وهياً للفلاسفة وسائل الترجمة والنقل عن علوم الأوائل ؛ فتقدم فلاسفة جنديسابور ، وهوران ، وأنطاكية ، من اليعاقبة والنساطرة والسريان والعبريين ، وعربوا ما استطاعوا من حكمة الهند وفلسفة اليونان وعموم الفرس مما جعل « دار السلام » الزهية محط رحال العلماء والفلاسفة ؛ وإذا حدثنا التاريخ عن المكانة الرفيعة التي نالها آل « بنحيشوع »^(١) أو عن المنزلة التي حظى بها أبناء « مسويه »^(٢) وسواهم من فلاسفة النصارى وأطباء اليهود الذين خدموا الملوك وخلفاء وتبوا لديهم مقاماً

(١) أنشورهم (بنحيشوع بن جورجيس) وأبوه داه (حبرائيل) وحبيده (بنحيشوع بن حبرئيل) وهو داهم منزلة حتى أنه كان يبارى الخلفاء في مظهره وكلمهم خدموا الخلفاء الصائرين .

(٢) مسويه كان لا يقرأ ولا يكتب وإنما عرف الأمراض وعلاجها بالدرية والناشره داه (ميخائيل) كان طبيباً ماهراً خدم للأبوين مدة من حياته ؛ وأما أخوه (يوحنا بن مسويه) وكان أخلق منه وأرسخ قديماً وأعظم مكانة هذه الاسماء . ولده (الرشيد) ترجمه الكتب القديمة الطبية وكان ملوك الهاميين لا ينامون شيئاً من أعينهم إلا محصرون .

لم يحلم به العلماء والفلاسفة في غير كنف المسلمين ، فأنما ذلك أثر التربية النفسية الفاضلة والسباحة الإسلامية التي استفادها المسلمون من تعاليم القرآن الحكيم وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأين هذا الاجلال والتعظيم لله التسامح السامى مما سود وجه صحيفة المدنية الغربية في واقعة « سان برتلى »^(١) ، تلك الواقعة التي ذهب ضحيتها زمرة من علمائهم ومفكرهم ؟؟ فهل يدكرون مصرع « غاليليه » و « باتريرى » و « كامبانيلا » وغيرهم كيف كان ؟؟ وبأى جزاء جازتهم أمهم على أنجاثهم العلمية ؟؟ إنهم قدموا إلى النيران أحياء لأنهم فكرو وحرروا العلم من رق الكنيسة وطقوسها .

أجل : هو الاسلام الناهض يقود أهله الى حظيرة تقديس المسم والعلماء ، أو لست تراه قد صعد بأمتة الى أوج العزة فأجلسها على عرش العظمة التي دانت لها الممالك طرا يوم أن كانوا بهديه مهتدين ، ثم ذا هو تركهم في أيدي الأمم نهبا مقصدا وغما بلا غرم لأنهم نبذوا تعاليمه وراءهم طهريا واستنوا سبنا ما أنزل الله بها من سلطان ؟؟ اذا حاول الباحث أن يتعرف حقيقة الثقافة الإسلامية في العهد العباسى وما تلاه وجد أمامه (نوعين) من الثقافة مختلفي المظهر والمصدر .

(النوع لأول) ثقافة قامت على الأصول الإسلامية خلية من الشوائب والرب تتصل بالثقافة في مرحلتها الأولى اتصالا وثيقا ، أو هي الحلقة الوصلية بين الثقافتين ، وهذا النوع حمل لواءه قوم فقهوا دين الله وغاصوا على أسرارهم مستقيم وعقل رصين ، فلم يحدوا في أحكام لدين ما يصدم عن سبيل النظر في علوم الغابرين ، بل رأوا أن القرآن الحكيم أعظم شأن الحكمة وأعلا قدرها فقال تعالى : (يُؤْتِي

(١) في أول القرن السادس عشر ظهر للذهب « البروتستانتى » و « داية وما زال بعد أطرافه حتى وصل الى فرنسا . فلم يرح المسكة (كاربر) الى انتشاره في ملادها . فخرمت والكنيسة الكاثوليكية من وراثتها تزيها على إيادة « شتبه » . فترسحت حتى كان يوم ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ م وهو يوم عيد عندهم وفيه هم الكاثوليك على البروتستانتين وقتلهم في مذبحه دمت ثلاثة أيام .

الحِكْمَةُ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا). والحكمة كما يقول العلامة العيني في شرح البخاري : معرفة الأشياء على ما هي عليه ، أو هي كما يقول إمام الأئمة مالك بن أنس رضي الله عنه : معرفة الدين والفقه فيه ، ومالك رحمه الله وهو إمام المسلمين لا يعني بمعرفة الدين والفقه فيه معنى يقصرون شموله كافة العلوم ، وعن النحوي : هي معرفة الأشياء وفهها ، وهذه العلوم الفلسفية التي كانت عند الأمم الماضية وترجمت الى اللسان العربي المبين في العصر العباسي إن هي إلا معارف لا تخلو عن ترفع ولا يحرم الباحث في غضونهما من بادرة ينتهزها أو شاردة يلتقطها أو فائدة يستفيدها ، فهذا السبب سوغ المخلصين من علماء الاسلام أن يلجوا مداخل الفلسفة سيما وأن هذه العلوم احتوت طرقا جدلية استمسك بها طوائف اعوج بهم سبيل النظرات المنحرفة لمحاجة علماء الاسلام ومجادلتهم في الدين ؛ فكان لا بد لهم من معرفة حقائقها ليدفعوا الباطل بسلاحه حتى يكون أمكن في الامر .

على هذا النحو أقبلوا على درس علوم لا وائل وفلسفتهم ، يزنون المعاني بقسطاس العقل الرجيح الذي أحاطه الدين بسياج من العصمة عن الزلل في العقيدة أو الزيغ في الايمان بعد أن كانت في بطون الكتب المكفسة في أجواف المكاتب لا تجد عقولا ذكية حرة التفكير طليقة من أغلال الكنائس والبيع ، حتى جاءها العقل العربي بـ « نور الاسلام » فأراح عنها غياهب ظلمات الأحقاب ، ورفع عن أسرارها النقاب ، وأضاف إليها ما كل نقصا وبين ما فيها من زائف العقول التي لم تفتصم بوحى السماء ولم تستر بنور « الهداية الإسلامية » ، وقد أنجبت هذه التهضة المباركة أعلاما لم يشهد التاريخ مثل عظمتهم الفكرية ؛ فهذا إمام الجماعة « أبو الحسن الأشعري » ما أطفأ جذوة الاعتزال غير حجته الدامغة ، وهذا شيخ السنة القاضي « أبو بكر بن الباقلاني » المالكى كان سيفاً من سيوف الحق ، وهذا صاحبه « ابن فورك » جعله الله لساناً من ألسنة الحكمة والجدل ، وإذا ذكر الباقلاني وابن فورك فلا يذهب عن الفكر الأستاذ الفاضل « أبو اسحق الاسفراييني » فهو ثالثهم في رفع راية الدفاع عن عقيدة الجماعة .

وفي ثلاثهم يقول الوزير صاحب بن عباد : « ابن الباقلاقي بحر مفروق ، وابن فورك يصل مطرق ، والاسفراييني نار تحرق » ، وفي الحق إن الله جاء بهم في زمن لو لم يكونوا فيه لعظمت الفتنة على المسلمين ، فقد قرب الخلفاء في زمنهم زعماء الطوائف المبتدعة ورفعوا أمكنتهم حتى هاب العلماء المناظرة معهم فلم يكن أقدر على ولوج هذه المصعة على ما فيها من أخطار غير أنى بكر وصاحبيه ، ثم جاء بعد هؤلاء إمام الحرمين أبو المعالي « عبد الملك الجويني » وسيف الدين « الأمدى » و « نغر الدين الرازي » ومن نهج نهجهم القوم من الذين درسوا الفلسفة ليزودوا عن حوض الدين ويردوا تلبس اللبسين ؛ كانت أفكارهم وما زال بعنوان عبقرية فذة وعقلية عديعة المثال .

(النوع الثاني) ثقافة قامت على درس الحكمة باعتبارها علوما فلسفية يرجع الحكم فيها إلى قانون العقل ؛ وزعماء هذه النهضة أوتوا من الذكاء وقوة النفس والصبر على عناء البحث والتأيد من أمراء عصرهم ما هيا لهم سبيل الغوص في محيط الفلسفة بشجاعة نادرة وعقول لا تعرف الحذر ، بل انساقوا إليها انسياق الواله الذئوب ، وإن تكن هذه النهضة الفلسفية بدأت من عهد أبي جعفر المنصور إلا أنها لم تبلغ قبل عصر المأمون الشأو الذي بلغته فيه .

ارتقى المأمون أريكة الخلافة العباسية مؤيدا من لدن خوئلته الفارسية ، والفرس يومئذ كانوا قد استولوا على كثير من مرافق الدولة ومناصبها الخطيرة ومرجل الضعيفة يفتل في أفئدتهم على العرب الذين قوضوا كسروتهم وهدموا بيوت نارهم وأحلو بينهم السلام والإسلام ، وهذه الضعيفة كامنة كالشرر يتطاير كلما رن زناد الفتنة في الدين لأنه منشأ الجامعة الإسلامية ومصدر الدولة العربية ، وقد أدرك هذا الضرب من عدون الأعاجم السرى الخليفة « الرشيد » فأوقع بالبرامكة في قسوة الملوك إذا لمحو مغزى في جسم الدولة أو معولا يهوى إلى بناء الدين ، غير أن هذا الدواء أتى بعد أن ضرب الداء إلى القلب فلم يكن متأصلا وإنما كان مسكنا لحسب ، ولذا كان على أيدي الأعاجم انقضاء الدولة العباسية .

في حياة المأمون العلمية ظاهرة ثان لا يستطيع الباحث أن يمر على تاريخ الثقافة في عصره دون أن يستوقفها لما لها من الأثر الواضح في تكوين الحياة العلمية الإسلامية بلون تميزت به عن الثقافة الإسلامية في عصورها الأولى من فجر الإسلام إلى آخر عهد أبيه « الرشيد » .

الظاهرة الأولى : أخذ به مذهب الشيعة أخذاً جريئاً ، فإن التاريخ يحدثنا عن موقف الحدر ، بل موقف المهجوم الذي وقفه العباسيون في أول عهدهم بالخلافة والملك إزاء أبناء عمومته من العلويين ، ويحدثنا عن تربص هؤلاء وتطلعهم إلى الإمارة التي كانوا يرون أنها حق لهم منصوب ، فما إن تبوأ المأمون عرش الخلافة حتى بدد سحب البغضاء بين أبناء العصية الهاشمية وقرب الطالبين إليه وأدانهم من مجالسه الخاصة وأغدق عليهم واسع هباته وعطاياه ، ولم يقف نزوع المأمون لهذا المذهب إلى هذا المدى ، بل يذكر المؤرخون أنه عقد المزم على البيعة من بعده إلى سيد من غطارفة هؤلاء السادة ، فلما أحس آل بيته منه ذلك ائتمروا فيما بينهم على ألا يسلموا في ملك استولوا عليه ببذل الأرواح ، وكان هذا سبباً لنقض ما وقفه في نفسه ، أما دفاعه العلمي عن هذا المذهب في كتب التاريخ والأدب منه الكفاية ، والذي يستوقف النظر أن دعاة هذا المذهب الذين مثلوا دوره في عصور التاريخ الإسلامي وحملوا لواءه من بدء نشأته إنعام رعايا الأعاجم الذين دخلوا في حظيرة الدين بعد الفتح الإسلامي ، ومهما يكن مبلغ هذا المذهب — لذي كان له أظهر الآثار في الانقلابات الإسلامية من عقيدة المأمون فإنه ظاهرة انفراد بها عن آباءه من الخلفاء قبله .

الظاهرة الثانية : انحيازها بكلية للفلسفة انحيازاً دفعه إلى حمايتها بقوة الحكم ورغبة السلطان وتأييدها تأييداً أفسح المجال أمام الذين أحبوا الفلسفة من أعماق قلوبهم فأولوها كل عنايتهم وانكبوا على درسها درساً عميقاً ، وقد كانوا خليطاً من المسلمين وغيرهم ، درسوا الفلسفة ليكونوا فلاسفة يحتمكون في العقل والمنطق ، ومنهم

من حاول مزيج الفلسفة بقواعد الدين مزجاً لا يستقيم مع التفكير الموزون ، ومن ثم تفرعت أكثر الفرق التي سلكت في الدين سييلاً ملتوية ضلت بها منهج الحق .

يشيد بعض الناس بالثقافة في العصر العباسي ويعتبرونها النثل الأعلى للثقافة الإسلامية ، وما نلومهم بل نحمد لهم إسهادهم لو أنهم يذكرون ذلك اعترافاً بفضل الإسلام الذي أطلق العقول من عقالها وتقديراً لعظمة العقل العربي الناضج وتقريراً للحقيقة في غير إزاء بتعاليم الإسلام وغمط لتاريخ سلفنا الصالح ، ولكن الذي يؤسفنا من هؤلاء الشادين أنهم يعملون نقل علوم الفرس وترجمة فلسفة اليونان والهند هما مفخرة العباسيين وهما مصدر الثقافة الإسلامية ، فإذا ما ذكرنا ما جاء به الإسلام من تعاليم سامية أهابت بالعقل الإنساني فأيقظته من رقدته ونبهته من خوله — فنشر بين الملأ هذه العلوم التي لو لا الروح العلي الذي سرى في الأمة الإسلامية سريان الماء في شجر البادية ما شهد التاريخ قيامه هذه الثقافات من رسمها — رأيهم ينفضون إليك رؤوسهم منكبين ساخرين ، أولئك قوم جهلوا الإسلام غاربه ، وإن يكن منهم من اتسم بسمة الإسلام أو تسمى باسم المسلمين فذلك إنما جاءهم بالورثة لا بالعقيدة والفطرة .

ومهما يكن من أمر هذه النهضة فإنها أُنجبت رجالاً أفذاذاً في تاريخ الفلسفة لا تزال أراؤهم عاملاً قوياً في تطور النهضة الفكرية قديماً وحديثاً ، فهذا أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندي العربي الصميم — جده الأشعث بن قيس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم — يقول عنه الوزير جمال الدين القفطى : (المشتهر في الملة الإسلامية بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية متخصص بأحكام النجوم وإحكام سائر العلوم فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها) . وهذا محمد أبو نصر الفارابي يقول عنه القفطى أيضاً : (فيلسوف المسلمين غير مدافع قرأ العلم الحكيم وبرز فيه على أقرانه وأربى عليهم في التحقيق وشرح الكتب المنطقية وأظهر غامضها وكشف سرها وقرب متناولها) . وهذا شيخ الفلاسفة وأمير الأطباء الرئيس أبو علي بن سينا نحاً في الفلاسفة نحواً استقلالياً بديعاً ، فاسمع إليه يحدثك عن منهجه في البحث في آخر إشاراته إذ يقول :

(إياك وأن يكون تكيسك وتبرذك عن العامة أن تنبرى منكراً لكل شيء، فذلك طيش وعجز، وليس الخرق في تكذيبك ما لم تستبن لك بعد جليلة دون الخرق في تصديقك ما لم تتم بين يديك بينته، بل عليك بالاعتصام بحبل التوقف، وإن أزعجت استنكار ما يوعاه سمعك ما لم تبرهن استحالته لك، فالصواب، أن تسرح أمثال ذلك إلى بقعة الامكان ما لم يذكك عنه قائم البرهان).

يبد أن انتصار الفلاسفة الاسلاميين للفلسفة انتصاراً كلياً أفضى إلى التعقيد في مسائل من الالهيات انتهض لتحقيقها ورد مزاعم المتفلسفة في شأنها كثير من المحققين والجهلي في حلبة هذا المضمار حجة الاسلام أبو حامد الغزالي، فانه رحمه الله تعالى درس الفلسفة فكان فيلسوفاً متبحراً ودرس الشريعة فكان إماماً حاذقاً وكتابه «تهافت الفلاسفة» من الطراز الأول في تحليل شبه المتفلسفة وتحقيق الحجج للدفاع عن العقيدة الاسلامية، وقد خلع أبو حامد رضى الله عنه على الفلسفة رداء نسيج وحده فلم ير النظر فيها إلا للخواص الذين امتازوا بجودة الذهن وسمو التفكير، ولذا قال في كتابه «القسطاس المستقيم»: (المدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم، وبالموعظة قوم، وبالمجادلة قوم، فان الحكمة إن غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلعم الطير... الخ). وهو لا يرى التسليم بما ينحط عن رتبة اليقين ولا يرى اليقين إلا ثمرة المعرفة والنظر فيقول في كتاب «ميزان العمل» بمد أن وصف آراء الحكماء (ولو لم يكن في هذه الألفاظ إلا ما يشكك في اعتقادك الموروث لكفى بذلك نفعاً فإن من لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقى في العمى والحيرة). فهل سمع المجتهدون من معلمي العصر نداء الاسلام في صوت الغزالي؟ (فإنها لا تسمى إلا بصراً وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ).

هذا الأخذ والرد وذلك المد والجزر في محيط الفلسفة طوح بسفينتها إلى أيدى لم تحسن سياستها وعدلت بها عن التهجج للمستقيم تحت طي الخفاء فأسسوا جماعات سرية كان من أهمها وأبعدها شأواً في هذا الميدان جماعة (إخوان الصفا وخلان الوفا)

وهم قوم اجتمعوا وزعموا أنهم يوفقون بين أحكام الدين والفلسفة فأنفوا كتابا يشمل خمسين رسالة كل واحدة منها في نوع من الفلسفة ورسالة فوق الخمسين جامعة لضمون الرسائل كلها على سبيل الإيجاز والاختصار، وقالوا: (إنهم رأوا أن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وأنه متى اتفقت الفلسفة اليونانية والشريعة « العربية » فقد حصل الكمال). وقد نشروا هذه الرسائل وكتبوا أسماءهم فتلقاها علماء الاسلام الأجلاء المحققون بالبحث والتحصيل والنظر المعمق ونهبوا على ما فيها من مغامز ومزالق وهي في مجملها كما يقول الوزير القفطي: (مقالات مشوقات غير مستقصاة ولا ظاهرة الأدلة والاحتجاج). ومن حذر من الوقوع في شركها وصرح بضلال مصنفها الامام الراشد أبو بكر بن العربي الفقيه في كتابه « المواسم والقواصم ». وأبو سليمان السجستاني من علماء القرن الرابع وكانت له دراية بالفلسفة فأن تلميذه أبا حيان التوحيدي عرض عليه رسائلهم فنظر فيها وتبجها ثم قال: (هؤلاء قوم تعبوا وما أغنوا ونصبوا وما أجدوا وحاموا وما وردوا .. ونسجوا فهللوا ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا استطاع ... على أن وراء هذه العوائف جماعة أيضا لهم مأخذ من هذه الأغراض). وهذا أبو حيان نفسه يقول في وصفها: (وهي مبثوثة في كل فن بلا إشباع ولا كفاية وفيها خرافات وكنائيات وتلفيقات وتزيينات).

النهضة الأندلسية :

بهذا الانجلاء من أنصار الفلسفة وهذا الجهاد من علماء الاسلام انطلقا مصباحا من المشرق ونسبت قيادتها الدولة العربية الأندلسية في المغرب، وهذا برهان على أن مجد الفلسفة المستقيمة قرين الفطرة العربية، فحيثما كان مجد العقلية العربية في أوجها كان بهاء الفلسفة والحكمة بالغاحد الكمال .

هذه الدولة الفتية الناهضة القوية ازدهرت في أيامها الصنائع والفنون وزهت

في عصرها العلوم والمعارف وبلغت في عواصمها الحضارة مبلغا يفوق الوصف والتقدير، وكان نصيب الفلسفة فيها أوفر .

وقد نبت في أحضان هذه الدولة الزاهرة فيلسوف طبق ذكره الآفاق، وطأها فلاسفة الغرب اعظمته الأعناق؛ ذلك هو القاضي أبو الوليد حكيم الاسلام غير منازع وفيلسوف الشرق غير مدافع أستاذ المشرقين والمغربين مالك ناصية الحكمة والقابض على زمام الفلسفة الامام الفقيه (محمد بن أحمد بن رشد) الحفيد الذي شهد بعظمته فلاسفة أوربة قال الأستاذ (هورتن) المستشرق الألماني في كتابه : «استعداد الاسلام لقبول الثقافة الروحية» : (ابن رشد الفيلسوف الطائر الصيغ في القرون الوسطى كان إيمانه بالله عظيما وكان معتصما بالقرآن حتى بكل كلمة في القرآن ومع ذلك لم يمنعه دينه والقرآن الذي يعتصم به من مطالعة الفلسفة اليونانية والأخذ من آثار أرسطو طاليس والبناء عليها).

صلة الثقافة الإسلامية بالثقافة الأوروبية :

حسبنا الآن أن نشير الى هذه الصلة بما يقوله النصفون من علماء الغرب قال العلامة (مبولد) : (إن العرب خلقهم الله ليكونوا واسطة بين العلوم وأسباب التمدن وبين الأمم لأن لهم بقتضى طبيعتهم حركة تخصهم أثرت في الدنيا تأثيرا لا يشقيه غيره، فانهم كانوا يحملون معهم التمدن غيما حلوا حل معهم فيثبون في الناس دينهم وعلومهم ولغتهم ونهذيانهم)، يوم أن كانت أوربة كما يقول (دروى) العالم الفرنسى : (لا ترى الضوء إلا من سم الخياط) . وقال (مبولد) أيضا : (ثبت عندنا بما صنعه العرب واخترعوه رجعان عقولهم الغريب في ذلك الوقت الذى وصل صيته الى أوربة النصرانية وهذا حجة على أنهم أساتذتنا ومعلمونا) ويقول الاستاذ (جوستاف لوبون) : (إن العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر واستقامة الدين). (إن يمسسكم فرح فققد مَسَّ القَوْمَ فرحٌ مثله قرنالك الأيامُ نَدَاوْهَا بَيْنَ النَّاسِ). م

صالح إبراهيم عمر

